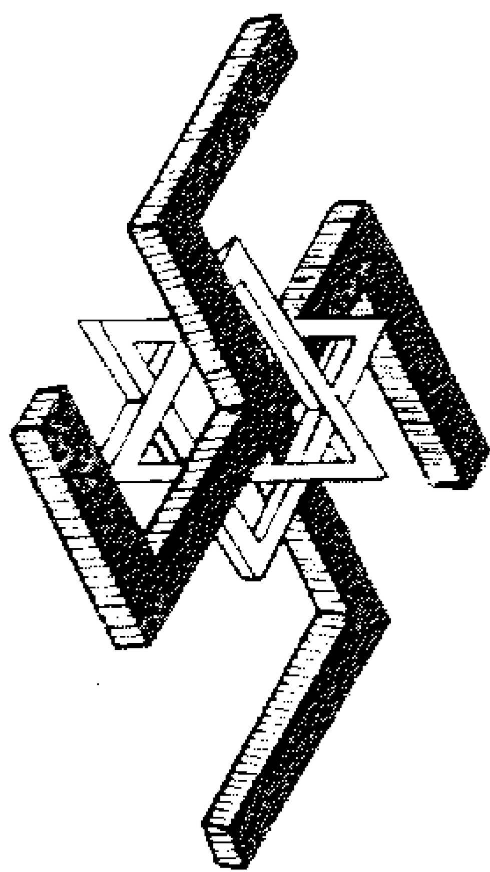
جمهورية مصر العربية
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة (٧٣٨)

THE HOAX
OF THE
TWENTIETH
CENTURY



by A. R. BUTZ

خدعة القرن العشرين

تأليف
أ. ر. باتز

اهداءات ٢٠٠١

د. محمود دياب

راح بالمستشفى الملكي المصري

جمهورية مصر العربية
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة (٧٣٧)

خدعة القرن العشرين

تأليف
أ . ر . باتز

القاهرة

« شكر »

أسهم عدد من الأفراد باقتراحات ونقاط نقد قيمة ، ولقد انعكس هذا فى نص الكتاب الحالى . لكن إذا كانت هناك أخطاء فى إيراد بعض الحقائق ، أو إذا كانت هناك أخطاء فى التفسير ، فإن مسئولية ذلك تقع كاملة على عاتقى بطبيعة الحال . كذلك فإنى أود أن أتحمل وحدى أية مشاكل قد تنجم عن ردود فعل إزاء هذا الكتاب . ومن أجل هذا فإنى أتجنب شكر أحد بالاسم هنا .

لكنى أتقدم بالشكر إلى المؤسسات التالية : الوثائق القومية للولايات المتحدة الأمريكية – الوكالة الصوتية المرئية لجيش الولايات المتحدة الأمريكية – مركز وثائق ومراجع الشئون الخارجية بوزارة الخارجية الأمريكية ، واشنطن – متحف بانستووى فى أوسفييكم – مكتبة جامعة شيكاغو – مركز مكتبات البحوث بشيكاغو .

كما أتقدم بالشكر الخاص للعاملين بمتحف الحرب الإمبريالى بلندن ، والمكتب الوطنى للصليب الأحمر الهولندى بلاهاى ، ومكتبة جامعة نورث ويستارن (وبخاصة قسم تبادل الاستعارات بين المكتبات) بايفانستون ، فلقد أسهموا جميعا بما هو أكثر من الخدمات المعتادة دون علم ، بالطبع ، بطبيعة البحث الجارى .

أ . ر . بوتز

مقدمة

إلى وقت قريب وأنا أشارك كل الأمريكيين ، الذين تشكلت أفكارهم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، الرأى القائل بأن ألمانيا قدمت للعالم عنفا دمويا خلال الحرب العالمية الثانية . هذا الرأى قد ساد الرأى العام الغربى منذ ١٩٤٥ وقبل ١٩٤٥ . ولم أكن وحدى فى تقبل نقاطه الأساسية .

ويهمنا هذا الوصف الوارد فى السطر السابق « نقاطه الأساسية » ، ذلك أن مجموعة الجرائم التى قيل إن الألمان ارتكبوها خلال الحرب العالمية الثانية سرعان ما تنكمش حين نفحص الأدلة والحجج التى تجمعت فى كتب « المرتدين » المتاحة للجميع . أن أى فحص واع بسيط يكشف عن أن معظم الجرائم التى تجسدت حتى فى عقول المثقفين (ومنها أن بعض الألمان صنعوا أباجورات ، من جلود بشر قتلوا فى معسكرات الاعتقال) ليس لها أساس من الصحة . ينطبق هذا أيضا على الأساطير التى تحكى عن سوء معاملة أسرى الحرب الأمريكيين والبريطانيين . وعلاوة على ذلك تتضح المشكلة العامة وضوحا كبيرا إذا ما نحن قارنا ذلك – مثلما فعل المرتدون – بالفظائع البشعة التى إرتكبها الحلفاء الغربيون خلال الحرب وفى أعقاب الحرب .

غير أن مثل هذا التحرى لا يلغى أسطورة « الإبادة القاتلة » ، وقتل « ٦ مليون يهودى فى غرف الغاز » ، إذ يبدو هذا حقيقة ثابتة . والكتب « المرتدة » التى تبدد معظم المفاهيم الخاطئة بين أوساط الناس تميل إلى الأخذ بقصة غرف الغاز باعتبارها حقيقية واقعة . إن كافة الأساتذة الذين يرجع إليهم الباحث يأخذون بقصة « الإبادة » هذه . وإذا ما سألنا أساتذة التاريخ المتخصصين فى ألمانيا ، بدا أنهم ينظرون إلى هذه التهمة كحقيقة واقعة مثلما أن الهرم الأكبر حقيقة واقعة . والإعلاميون من أحرار ومحافظين قد يختلفون اختلافا شديدا فى موقفهم من الحرب العالمية الثانية وانضمام أمريكا إلى تلك الحرب ، وقد يتشاجرون فيما بينهم حول كل شىء ، ولكنهم يتفقون ويوحدون صفوفهم إزاء واقع « الإبادة الكاملة » .

ولقد لاحظت السبل الواضحة لاستغلال هذه الأسطورة فى حلبة السياسة المعاصرة ، وبخاصة فى حقل التأييد – اللامنطقى بالمرة – الذى تبديه الولايات المتحدة الأمريكية

لاسرائيل فإذا بي تراودني إزاءها شكوك كبيرة ، ومنذ زمن بعيد ، وثمة حقيقة تالية : كان هناك عدد محدود من المراقبين المحترمين الذين لم تشكل آراؤهم بالكامل عقب الحرب العالمية الثانية ، مراقبين استطاعوا من خلال القنوات المحدودة جدا المتاحة أمامهم ، وبدرجات متفاوتة من الصراحة ، أى ينكروا صحة الأسطورة ، أو حتى صحتها النسبية . وأفضل مثال على هؤلاء المراقبين الأستاذ الأمريكى البارز جون بيتى ، الذى استدعى للعمل فى المخابرات العسكرية بهيئة أركان الحرب قبل دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب بفترة وجيزة ، والذى رقى إلى أن وصل إلى رتبة كولونيل قبل نهاية الحرب . كان بيتى مسئولا عن أشياء عدة ، من بينها أنه كان أحد رئيسى تحرير النشرة اليومية السرية « تقرير ج٢ G — 2 Report » الذى كان يصدر كل ظهيرة لكى يقدم للكبار ، بما فيهم البيت الأبيض ، تقريرا عن صورة العالم خلال الساعات الأربع السابقة على إصدار النشرة . لقد أصدر عام ١٩٥١ ، كتابه « ستار حديدى حول أمريكا » وفيه يسخر من أسطورة الستة مليون ، كما يسوق ملاحظات قليلة موجزة وغير كاملة لسوء الحظ – لكن لها وزنها ، لأنها تجيء فى شخص كان من أكثر العليمين بحقائق الأمور فى العالم خلال الحرب .

وإذ نظرت فى الأمر بشكل مبدئى ، مثلما يفعل غير المؤرخين عادة ، لم أصل إلى شيء . ثمة كتابات محدودة جدا باللغة الإنجليزية تنكر هذه الحقيقة ، لكنها كانت تفتقر إلى الإقناع ، ولم يكن بالإمكان الاعتماد عليها ، يضاف إلى هذا أنها لم تكن تتحرى الدقة فى الرجوع إلى المصادر – هذا إذا رجعت إلى المصادر . لذا كان تأثيرها سلبيا وعكسيا ، وبذلك دعمت جوهر الأسطورة (بصرف النظر عن مشاكل العدد : هل أبيد ٦ مليون أم ٤ مليون فقط ؟) فى ذلك الحين نما إلى علمى أن هناك كتابات أخرى بالفرنسية والألمانية ، لكنى لم أعتد قراءة نصوص بهاتين اللغتين اللهم إلا فى حالات نادرة ، كأن أرجع إلى بحث بالفرنسية أو الألمانية فى مجلة متخصصة فى الرياضيات . وهكذا لم أحصل على نسخ من دراسات ظهرت بلغات أجنبية . وعلاوة على ذلك افترضت إنه إذا كانت تلك الدراسات ستقدم جديدا غير موجود بالإنجليزية فسيكون هناك من يفكر فى نشرها فى ترجمات انجليزية .

لكن الشكوك ظلت تساورنى . وهكذا جلست ، فى مطلع عام ١٩٧٢ ، وبدأت أقرأ بعض ما كتب عن « الإبادة الكاملة » على نحو منهجى لم أتبعه من قبل ، لأرى ما هى

الحجج التى سبقت فى هذا الصدد وما هى الأدلة . ومن حسن الحظ أن اختيارى وقع ، بين ما وقع ، على كتاب Raul رول هيلبيرج « تدمير اليهود الأوروبيين » . كانت تجربة قراءة ذلك الكتاب بمثابة صدمة ، لقد أيقظتنى بعنف . ذلك إن كتاب هيلبيرج فعل ما لم تفعله الدراسات المعارضة بت موقفا أن أسطورة قتل ملايين اليهود بالغاز إن هى إلا خدعة ، وأكثر من هذا أننى توصلت إلى « إحساس » – صار بعد ذلك يقينا – بالعقلية المتآمرة جدا التى أضفت على الكذبة شكلها المحدد ذاك (على الذين يريدون أن يوقظوا بعنف كما أوقظت أن يتوقفوا هنا ويرجعوا إلى الصفحات ٥٦٧ – ٥٧١ فى كتاب هيلبيرج) .

ولم أعد خائفا من تشككى الطويل ازاء الأسطورة ، إلا أن معلوماتى لم تكن ، فى أوائل عام ١٩٧٢ ، بالمعلومات المتكاملة ولم يكن المامى بالموضوع بالإلمام الشامل ، وهكذا شرعت ، خلال وقت فراغى « فى البداية » ، أمحص الأمر بالدقة التى يقتضيها هذا الأمر .

وسيدرك القارئ أن « وقت فراغى » اتسع آخر الأمر واتسع . وتوصلت إلى عدة اكتشافات أذهلتنى وأصبح للموضوع اغراؤه الذى لا يقاوم فى الناحية الفكرية . وحصلت على ما ظهر فى دراسات باللغات الأجنبية . وفى النهاية أنفقت صيف ١٩٧٢ بأكمله أعد عرضا للخدعة ذلك أننى كنت قد تغلغلت فى تلك الفوضى بأكملها وقضيت عليها وإذا كان الكتاب الذى تتصفحه الآن يختلف اختلافا كبيرا – من حيث كم المضمون الحقيق ، والخصائص العامة – عن الصورة التى كونتها فى صيف ١٩٧٢ ، إلا أن تلك الصورة – التى أعرض هنا لأساسياتها – كانت تتعارض تعارضا هائلا مع الأكاذيب التى زودنى بها الغرب . وهكذا لم يصرفنى عن الموضوع أية دعوة إلى التعقل أو أية حسابات واقعية . ولقد بات واضحا ، حتى فى بواكير صيف ١٩٧٢ ، أن بحثى قد وصل إلى أبعد ما وصلت الدراسات الموجودة ، ومن ثم أحسست بأنى ملتزم لامحالة بأن أعرض على المجتمع ما عرفته عن هذه الخدعة الخبيثة جدا ، وأن يقوم بتقييمها . وسرعان ما أصبح واضحا أن هذا لن يتحقق إلا بإصدار كتاب ، ذلك أننا إذا أخذنا فى اعتبارنا سنوات الدعاية الطوال ، تعذر أن نكتفى بعرض الموضوع فى ورقة بحث أو نشرة ، كذلك فإنه لا يمكن معالجته فى محاضرة بشكل كامل .

كتبت صلب النص فى صيف ١٩٧٢ ، واخذت أنقح الأصول بالتدريج خلال العامين التاليين . واستفدت كثيرا فى رحلة إلى أوروبا فى صيف ١٩٧٣ ، كذلك استفدت

كثيرا من رحلة إلى واشنطن فى أواخر العام نفسه . وانتهيت فى الكتاب فى أواخر عام ١٩٧٤ .

أعرف أن هناك من سيقولون انى غير مؤهل للاضطلاع بمثل هذا العمل ، بل سيكون هناك من يقولون أنه ليس من حتى نشر هذه الأشياء . فليكن ما يكون . إذا أدرك « أستاذ » – بصرف النظر عن تخصصه – أن الأساتذة صامتون – أيا كانت بواعثهم – أمام كذبة هائلة ، فإن فى واجبه أن يفضح الأكذوبة ، أيا كانت مؤهلاته . ولا يهم أن يزاحم كل المتخصصين « الراسخين » فى الميدان ، وأن كان هذا لا ينطبق على الموضوع المطروح هنا . ذلك أن المؤرخين الأكاديميين قد تفادوا أية دراسة نقدية فاحصة لـ « الإبادة » فى أية زاوية ، لا من الزاوية التى يعالجها هذا الكتاب وحسب . أريد أن أقول إن كافة المؤرخين يضمون صوتهم إلى الأكذوبة على نحو ما ، فإذا ظهرت فى كتب وأبحاث تتناول موضوعات أخرى لا نجد واحدا منهم بدراسة أكاديمية يسوق الحجج التى تقول إن الإبادات قد وقعت أو لم تقع . فإذا كانت الإبادات قد وقعت حقا فقد كان من الممكن اعداد كتب تبين كيف بدأت ، ولماذا ومن الذى نظمها ، وتسلسل المسئولين عن عمليات القتل ، والوسائل التى استخدمت ، وما إذا كان لهذه الوسائل تفسير دنيوى (مثال هذا : الدفن بالحرق) ، ومن هم الفنيون الذين اشتركوا فى العمليات ، وعدد الضحايا فى مختلف البلاد ، وتواريخ الإجهاز عليهم ، إلى جانب عرض الأدلة التى تثبت هذه الإدعاءات ، والأسباب التى تدعو إلى تقبل كافة الوثائق فى محاكمات غير قانونية . ليس هناك مؤرخ أقدم على مهمة فى هذا القبيل ، ليس هناك سوى أناس غير مؤرخين تناولوا نتفا منها .

وبهذه الملاحظات التمهيدية أدعوك قارئى إلى دراسة أكذوبة القرن الذى تعيش فيه .

ايفا نستون

ولاية الينوى
أغسطس ١٩٧٥

الفصل الأول

المحاكمات ، واليهود ، والنازى

أجرى المنتصرون فى الحرب العالمية الثانية « محاكمات مجرمى الحرب » وكان المتهمون من الألمان أساسا ، غير أنها ضمت أيضا الكثيرين من اليابانيين ، وكانت سابقة مزلزلة ، من حيث حجمها ، ومن حيث ادعاء الدول المنتصرة الصريح ، بحقها القانونى فى ذلك ، واشارتها إلى قوانين واتفاقات لم تكن موجودة فى الفترة التى قيل إن دول المحور انتهكتها . هكذا ضرب عرض الحائط باتفاقات الشرف الاوروبية التى ظلت تراعى لقرون ، وكان أن مات أسرى ألمان أسرى مدنيون وأسرى عسكريون – وكثيرون منهم برتب عالية ، ميتة عنيفة وهم فى سجون الحلفاء ، كان ذلك نتيجة لتلك الإجراءات غير العادية .

لم يحدث من قبل محاكمات كمحاكمات ١٩٤٥ – ١٩٤٩ التى عقدها أعداء المانيا فى الحرب . هنا ترد إلى الأذهان حالة جان دارك ، غير أن الأمر – فى حالة جان دارك – يتعلق بسجينة واحدة ، لا بدولة بأكملها . أما الإنجليز الذين كانوا مسئولين ، آخر الأمر عن المحاكمة فبذلوا قصارى جهدهم كى تظهر القضية فى شكل قضية هرطقة وممارسة للسحر ، أشياء تعتبر رسميا غير قانونية ، وثبت فيها كنيسة محايدة ، عالمية ، وفقا لقوانين الأدلة والاجراءات القائمة .

وفى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهى المنبع الحقيقى للمحاكمات ، انقسمت الآراء حول صحة إجراء مثل تلك المحاكمات ، غير أن نسبة المؤيدين وغير المؤيدين كانت تتنوع . فعقب الحرب مباشرة كانت الآراء بصفة عامة – تحبذ المحاكمات ، لكن كانت هناك بعض الأصوات المعارضة ، وكان لهذه الأصوات وزنها . فى غمرة الحملة الانتخابية الحامية عام ١٩٤٦ ، قبيل شنق النازيين الكبار – جورنج ، ريبنتروب والآخرين – ألقى السناتور روبرت أ . تافت خطابا هاجم فيه الأساس القانونى للمحاكمات كما هاجم الأحكام التى فرضت ، ويبدو أن خطابه أضر بحزبه الجمهورى فى تلك الانتخابات .

ومن الواضح أن الآراء تغيرت إلى حد ما بعد عشر سنوات ، فى ذلك الحين نشر

المرشح الأكيد للرئاسة - جون ف . كيندى - كتابا بعنوان « صور للشجاعة » (ويتناول فيه أشخاصا يرى السناتور كيندى أنهم شجعان) وفى هذا الكتاب أثنى على تافت لأنه اتخذ الموقف المشار إليه آنفا ، وأضاف أن آراء تافت « يشاركه فيها . . عدد كبير من المواطنين الأمريكيين اليوم »[1] .

ثم تم اختطاف أيخمان عام ١٩٦٠ ، وأعقب ذلك محاكمته ، وتلاها حملة إعلامية ، وبدا أن الرأى يتجه من جديد - وإن تم ذلك ببطء - نحو تحبيذ المحاكمات . وقد تكون هناك أسباب عديدة وراء هذا الاتجاه المغاير بشكل غير عادى ، ولكن يبدو لى أن ما حدث هو أن انتباه العالم - فى زمن السلم وفى جو غير هستيرى عموما - تركز على حكاية واحدة ذات طابع مروع بشكل خاص ، ألا وهى قتل (فى غرف الغاز أساسا) وبضعة (الرقم المعتاد هو ستة) ملايين يهودى من كافة الأعمار والظروف ، على يد النازى خلال الحرب ، كجزء من برنامج يستهدف تخليص أوروبا من اليهود . وجدير بالذكر أن كتاب جيرالد ريتلينجر « الحل النهائى » (الطبعة الثانية ، ١٩٦٨) يؤخذ عادة على أنه فى أكثر الكتب التى أسهمت فى عرض هذا الادعاء وأوضحته . كما أن كتاب رول هيلبيرج « تدمير اليهود الأوربيين » (١٩٦١) يحكى نفس القصة أساسا . وثمة كتابات أخرى : « الابادة » لنورا ليفين (١٩٦٨) - عدد من الكتب فى تأليف ليون بولياكوف - مؤلف حديث جدا « الحرب ضد اليهود ١٩٣٣ - ١٩٤٥ » من تأليف لوسى س . دافيد ودفش (١٩٧٥) .

فلنعد إلى مشكلة سلامة محاكمات جرائم الحرب . إن الكل سيتفق على الأقل حول عدم رسوخ الأساس القانونى للمحاكمات . بيد أنه فى الواضح أن الكثيرين سيوافقون على الادعاء القائل بأن المحاكمات كانت مناسبة لأنها لم تقترن بما تقترن به أيام الحرب من تطرف ، أما الطبيعة غير العادية للجريمة - ابادة اليهود الأوروبيين - فكانت تستدعى اجراءات غير عادية . غير أنه لا يكفى معاقبة هذه القسوة ، وإنما يجب أيضا تدعيمها بالاسانيد .

ولا أنوى أن أحل فى هذا الكتاب قضية : ما هو العنف الذى يبرر تسيبا قانونيا ، لكنى أؤكد هنا على نقطة تدخل فى صميم المناقشة ، وإن كنا لا نسمع بهذه النقطة كثيرا : من المسلم به أنه بدون الأدلة التى « ظهرت » خلال المحاكمات لم تكن هناك أدلة يعتد بها تثبت أن هناك برنامجا لقتل اليهود . ويكفى أن نفحص مصادر هيلبيرج وريتلينجر كى نلمس ذلك ولو لم تكن المحاكمات انعقدت فإن الشخص الذى يدعى وجود برنامج للإبادة

لا يستطيع – إذا ما تحداه أحد أن يثبت ادعاءه – أن يثبت ذلك سوى بالرجوع إلى قلة فى الكتب (بخلاف هيلبيرج وريتلينجر) التى لا سند لادعاءاتها مثلما لادعاءاته ، ثمة مشكلة إذن ، مشكلة ماذا كان يجب أو لا يجب اجراء محاكمات بسبب موضوع الإبادة اليهودية ، والقضية هنا ليست مجرد قضية محاكمة أو عدم محاكمة القتل الجماعى ، وإنما هى تختلف عن الفشل المعتادة من حيث إن هناك شك مشروع ، ومدعم جدا ، فى أن يكون القتل قد حدث .

وقد يدهش هذا القارئ الذى يعتبر حكاية إبادة اليهود شبه مؤكدة . لكن القضية ليست بهذه البساطة . وثمة اعتبارات عديدة تساند هذا الرأى ، وبعضها من البساطة إلى حد أنها ستثير لدى القارئ مزيدا من الدهشة . ان أبسط وأصدق سبب يدعو إلى التشكك فى دعوى الإبادة هو فى نفس الوقت أبسط سبب يمكن تصوره : فى نهاية الحرب كان اليهود لا يزالون أحياء .

ولا نحتاج إلى أدلة كثيرة لإثبات هذا فتتصور مراقبا من اوروباالغربية ملما بوضع اليهود الأوربيين قبل الحرب . لنتصوره وهو يقوم بعملية مسح ليهود اوروباالغربية ، لنقل فى أواخر ١٩٤٦ (كان يهوداوروبا الشرقية عبر الحدود) . سيجد أن اليهود الإيطاليين ، والفرنسيين ، والبلجيكيين ، والدانماركيين لم يصابوا بخدش (سنناقش هذه النقاط بأسباب أكبر فى فصول لاحقة) . ومن ناحية أخرى سيجد أن أعدادا كبيرة من اليهود ، وربما أغلبيات ، لم تكن موجودة فى اللكسمبورج ، والأراضى المنخفضة ، وتشيكو سلوفاكيا (كان بالإمكان الوصول إليها من الغرب فى ذلك الحين) . واختلط الأمر بالنسبة لليهود الألمان – النمسويين ، فرغم أن معظمهم كان قد هاجر قبل الحرب ، كان من العسير تحديد الأعداد التى هاجرت ، وتحديد البلاد التى هاجروا إليها . أيا كان الأمر فإن أعداداً كبيرة – ربما أغلبيات – من التى بقيت لم تعد تقطن بيوتها الأصلية .

لكن ، فى مقابل المفقودين كانت هناك حقيقة واضحة : إن معسكرات المهاجرين فى ألمانيا كانت خاصه باليهود (ورد أن الرقم فاق ٢٥٠,٠٠٠)[٢] ، كذلك فإن كثيرين من اليهود الأوربيين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، أو فلسطين ، أو أى مكان آخر منذ بداية الحرب . إن الحقائق التى كانت متاحة للمراقب فى اوروبا الغربية فى أواخر عام ١٩٤٦ كانت تدحض بشدة – ادعاءات الإبادة التى كانت موضع دعاية واسعة النطاق خلال الحرب وخلال محاكمات نورمبرج الأخيرة .

ورغم عدم حدوث تطورات كبيرة إلا أن مضى ربع قرن قد عزز ، شيئا فشيئا ، حكاية الإبادة ، رغم أن الميدان خلا ، لأعوام عديدة ، من أى كاتب جاء فى الميدان ، باستثناء كاتب السير الفرنسى الراحل : بول راسينيه . فى عام ١٩٤٧ نشر راسينيه كتاب Passage de la Ligne. وتناول فيه تجربته كسجين سياسى يسارى فى بوخينفالد ، ١٩٤٣ — ١٩٤٥ ، وقوبل هذا الكتاب بالتعاطف بصفة عامة ، ولم يتسبب إلا فى غيظ مكتوم ، عابر ، فى أحد الجوانب » .

وفى عام ١٩٥٠ نشر Le Mensonge d'Ulysse وهى دراسة ناقدة لما ظهرت حول معسكرات الأعتقال ، وفيه تحدى أن تكون حكاية غرف الغاز صحيحة : « لا يزال من السابق لأوانه جدا أن نحكم بشكل قاطع على غرف الغاز » وقد تسبب هذا فى رد فعل صحفى عنيف أدى فى النهاية إلى اجراءات قانونية ، وفى البداية برئت ساحة الكاتب ، ساحة الكاتب والناشر ، ثم اعتبرا مذنبين ، وتم فرض غرامة ، وخسائر وأحكام بالسجن مع إيقاف التنفيذ وأخيرا برأة مرة أخرى . وفى عام ١٩٥٥ تم ادماج الكتابين فى طبعة ثانية بعنوان "Le Mensonge d'Ulysse" وفيها أضيفت مواد تنتقد ، على نحو متزايد ، الادعاء بالابادة فى غرف الغاز . وأشهر طبعة اليوم (وإن تكن غير واسعه الانتشار) هى الطبعة الخامسة (المشار إليها فى المراجع) ، والتى نشرت عام ١٩٦١ ، وفى نفس العام نشر راسينيه مجلدا صغيرا . «مكملا» وذلك تحت عنوان Ulysse Trahi Par Les Siens وتضم ثلاث مقالات تبين أنه ازداد نفيا لحكاية غرف الغاز ، والمقال الثالث هو نص خطاب ألقاه فى عدد من المدن الألمانية والمنسوبة فى مطلع ربيع ١٩٦٠ (قبيل قضية ارخمان) . وفى عام ١٩٦٢ ظهر Le Véritable Procés Eichmann وهى دراسة لكل الجرائم المنسوبة إلى الألمان ، داخل اطارها التاريخ والسياسى . وفى ذلك الحين كان قد توصل إلى نتيجة محققه فيما يتعلق بحكاية ابادة اليهود : « انها لأكذوبة تاريخية : انها لا بشع وأفظع ادعاء عبر كل العصور . »[٣] واستعان راسينيه بمنهجين اساسيين للتوصل إلى ذلك الاستنتاج : المنهج المادى والمنهج الديموغرافى . ونقصد بالمنهج المادى تحليل الادلة التى تثبت أن قتل اليهود جماعيا ، بوسائل الغاز أو أية طرق أخرى محددة قد تم فعلا على يد الألمان خلال الحرب العالمية الثانية . إن المنهج المادى يكاد يماثل تحليل الأدلة فى محاكمات جرائم الحرب ، أو الأدلة فى المحاكمات كما فسرها هيلبيرج وريتلينجر ، وكما اضافا إليها مستندين إلى أدلة مماثلة . لقد مس راسينيه المنهج الديموغرافى مسا خفيفا وذلك فى كتابه

"Le Vèritable Rocés Eichmann" أما فى كتابه الأخير العام عن مشكلة ابادة اليهود « دراما اليهود الأوروبيين » (١٩٦٤) فقد حلل ، باسهاب هذه القضية فى وجهة نظر ديموغرافية وفى عام ١٩٦٥ نشر "l'Opération Vicaire" وهى دراسة لمسرحية رولف هوخوت « النائب » ويتعين علينا إن نقول أن من واجبنا مراجعة راسينييه فى تفسيره للمراجع ، والبعض لا يفعل هذا . يضاف إلى ذلك أنه يستخدم فى بعض النقاط مصادر لا يمكن الاعتماد عليها . وهناك أيضا بعض الاخطاء الكبيرة . وإن كانت لا تمس صلب الموضوع ، كأن يصف هانس بولدوين بأنه « خبير صحيفة النيويورك تايمز فى شئون السكان اليهود » (نشك فى أن يكون لدى صحيفة النيويورك تايمز محرر يمكن أن يوصف على هذا النحو) . أو أن يؤكد أن غالبية اليهود الأمريكيين ضد الصهيونية وأنهم يساندون المجلس الامريكى لليهودية المناهض للصهيونية (وهى ليست بالمنظمه ذات الوزن السياسى بالمرة) . غير أن راسينييه كان رائدا شجاعا اقتحم منطقة مهملة ورغم مثالب بحوثه ألا أن الشخص المنصف سيقراها فإذا به يشك على الأقل فى حكاية « الابادات » ومات راسينييه فى يوليو من عام ١٩٦٧ وظهرت لكتبه ترجمات بالألمانية ، والإسبانية ، والايطالية ، لكن مضت أعوام دون ظهور ترجمة انجليزية لها .

وفى أعقاب كتب راسينييه ظهرت ثلاثة كتب نشرها جوزيف جينزبرج تحت اسم مستعار : أ . ج . بيرج . والكتب هى « الدين والقدر » (١٩٦٢) ، «كبش فداء » (١٩٦٧) ، « جرائم الاشتراكية الوطنية » (١٩٦٨) . ولا تساند كتب جينز برج ابحاث مستفيضة ، ذلك أن آراءه تستند أساسا على ماقرأة فى الصحف ، بالإضافة إلى تجاربة الشخصية كيهودى تعرض ، هو وأسرته ، للترحيل أثناء الحرب إلى الاقاليم الشرقية المحتلة من قبل النازى والرومانيين . وعقب الحرب صحب جينزبرج أسرته إلى اسرائيل ، لكنه صار فى النهاية جد مناهض للصهيونية ، وعاد مرة أخرى إلى اوروبا ، وانتهى به المطاف إلى فتح محل لتجليد الكتب فى ميونيخ . وإذا كان يعتقد أن كثيرين من اليهود هلكوا نتيجة لتأثير السياسة النازية وظروف الحرب معا ، الا أنه ينكر أن تكون الحكومة الألمانية قد فكرت قط فى ابادة يهود اوروبا ، وهو يسخر كل السخرية من حكاية الستة مليون . وهو لا يقطع بوجود غرف غاز ، لكنه يعتقد أن يهودا كثيرين هلكوا بسبب الأوبئة ، والمذابح المنظمة والاغارات الجوية ، واعدام المتشيعين . ويقدر أقصى رقم للضحايا بـ ٣ مليون ، وإن كان يعتقد أن الرقم الحقيقى أقل من ذلك بكثير . وكمكافأة له على جهوده للوصول

إلى الحقيقة ضربه السفاحون اليهود – وهو الرجل الضئيل العجوز – وهو يزور قبر زوجته فى الجبانة الاسرائيلية بميونيخ .

وفى عام ١٩٦٩ ظهر فى الولايات المتحدة الأمريكية كتاب صغير منسوب إلى كاتب مجهول وكان عنوانه « أسطورة الستة مليون » . ولقد كان لهذا الكتاب تاريخ غامض ، وظهرت دعوى قضائية أجبرت على سحب الكتاب ولما يمض على ظهوره وقت طويل . لكن ، حدث عام ١٩٧٣ أن عرض مرة أخرى للبيع . ويكفى أن أعلن هنا بقولى أن الكتاب ، فى رأيى بشع وأنه بعد انتكاسة واضحة بالقياس إلى المؤلف الذى سبقه ، والذى وضعه راسينييه .

حدث بعد ذلك أن ظهر فى ألمانيا كتاب لا يميل أرتيز بعنوان « جدول ضرب الساحرات : أكذوبة » ، ويبدو أن الطبعه الثالثة منه هى التى حظيت بتوزيع كبير . أن أرتيز يخطو ، بعد راسينييه خطوات محدودة إلى الأمام فى دحضه لقصة الابادة . وهو يعتمد فى هذا الصدد ، على راسينييه إلى حد كبير ، وإن كان قد عرض أيضا مادة جديدة ، وثمة دور كبير يلعبه كتابه ، وهو الدفاع عن الأمة الألمانية بشجاعة وصراحة تلفت النظر .

استمرت محاكمات جرائم الحرب فى ألمانيا الغربية استمرارا غير معقول . ولم تكن هناك لائحة تحد من الطوفان ، بالنسبة لجرائم الحرب المنسوبة إلى الألمان . وأسفر هذا عن شىء قلما انتبه إليه أحد ، إن الذين كانوا هناك خشوا الظهور والحديث عما حدث فعلا استنادا إلى معلوماتهم . لقد آثروا ألا يلفتوا نظر أحد إلى أنهم « كانوا هناك » حقا . ومع ذلك كان لابد من ظهور قلة من الشجعان رغم ذلك . وأهمهم . إلى الأن ، تييس كريستوفير سين ، مؤلف كتيب « أكذوبة أوشفتيز » . كان كريستوفيرسين موجودا بأوشفتيز من يناير حتى ديسمبر ١٩٤٤ . وفى عام ١٩٧٣ نشر ذكرياته وجزم بأنه لم تحدث هناك بالمرة ، عمليات ابادة ، وفى عام ١٩٧٤ ظهرت ترجمة انجليزية لكتيب كريستوفيرسين ، أضيفت إليها بعض البيانات المثيرة . وظهر بعد كريستوفيرسين . الدكتور فيلهيلم ستاجايخ ، وهو الآن قاض بها مبورج وكان قد ألحق بوحدة مضادة للطائرات قرب أوشفيتز خلال عام ١٩٤٤ وزار المعسكر فى مناسبات محدودة .(٤)

وفى أواخر ١٩٧٣ نشر أوستين ج . آن – وهو أستاذ انجليزى متقاعد فى ميريلاند – كتيبا صغيرا بعنوان « خدعة الستة مليون » . وفى مطلع عام ١٩٧٤ نشر وولف دييتار روثى

وفى عام ١٩٧٤ نشر Die Endloesung der Judenfrage الجزء الأول من دراسته ريتشارد هاروود فى انجلترا ، كتابه « هل مات ستة مليون حقا ؟ » ويعد كتاب هاروود طيبا من حيث القدرة على الاقناع رغم احتوائه على بعض نقاط ضعف ، وعلى القارئ أى يرجع كتابات راسينييه ليجد معالجة قاطعة للموضوع . ولقد أثنى عليه كولين ويلسون عندما كتب عنه فى عدد نوفبر ١٩٧٤ من المجلة الشهرية البريطانية ذات النفوذ « الكتب والكتاب » وأثار ما كتبه جدلا استمر لشهور على صفحات تلك المجلة .

وفى أوائل ١٩٧٥ ترجم هارى المار بايتز أحد كتب راسينييه « دراما اليهودالأوروبيين» ونشر الترجمة ناشر صغير فى الولايات المتحدة الأمريكية .

ونحن فى هذا الفصل التمهيدى نعرض بسرعة للمشاكل الرئيسية الناجمة عن اثارة قضايا ديموغرافية . وبعد ذلك سنبين كيف يحل هذا الكتاب المشاكل الديموغرافية . بيد أننا نود أن نوضح أن مهمة الحلول المحدودة ستؤجل إلى فصول لاحقة فى الكتاب .

إن الدراسة الديموغرافية تنطوى على مشاكل هائلة . أولها أن كل مصادر المعلومات الأولية عقب الحرب ملك لمصادر يهودية أو شيوعية خاصة « وبالنسبة للأخيرة فإنها فى يد روسيا وبولندا » . ثانيها يبدو أنه بمقدور المرء أن يحصل على النتائج التى يرغبها بالرجوع إلى مصادر ما قبل وما بعد الحرب المختارة بشكل مناسب . ولنفكر فى عدد اليهود فى العالم . لقد ظهرت عام ١٩٣٩ دراسة لأرثر روبين ، استاذ علم اجتماع اليهود بالجامعة العبرية بالقدس ، وذكرت هذه الدراسة أن عدد يهود العالم عام ١٩٣٨ بلغ ١٦,٧١٧,٠٠٠ يهودى(*) . ونظرا لأن روبين (الذى مات عام ١٩٤٣) كان يتعبر أكبر حجة فى مثل هذه المسائل بسبب الكتابات العديدة التى ألفها حول هذا الموضوع خلال سنين عديدة تميل التقديرات الأخرى الخاصة بالعدد قبل الحرب إلى الأخذ برأيه . وهكذا نجد أن تقديرات اللجنة اليهودية الأمريكية لعام ١٩٣٣ – والتى ظهرت فى « ويرلد المالناك ١٩٤٠ » – بلغت ١٥٣١٥٣٥٩ . أما أرقام الـ « ويرلد ألمانك » لعام ١٩٤٥ فكانت ١٥١٩٢٠٨٩ (صفحة ٣٦٧) ، ولم يشر الكتاب إلى مصدر . لكن يبدو أن الرقم يستند إلى احصاء دينى ما . وقام « ويرلد ألمانك » لعام ١٩٤٦ بتعديل هذا الرقم إلى ١٥٧٥٣٦٣٨ ، وظهر نفس الرقم فى طبقات عام ١٩٤٧ . (صفحة ٧٤٨) وعام ١٩٤٨ (صفحة ٥٧٢) وعام ١٩٤٩ (صفحة ٢٨٩) . كذلك فإن « ويرلد ألمانك » لعام ١٩٤٨ (صفحة ٢٤٩) ينقل تقدير اللجنة اليهودية الامريكية الخاص بعام ١٩٤٨ : ١٥,٦٨٨,٢٥٩ ، بينما يسوق

« ويرلد ألمانك » لعام ١٩٤٩ (صفحة ٢٠٢) أرقاما جديدة للجنة اليهودية الأمريكية وضحت فى الفترة ١٩٤٧ – ١٩٤٨ فكانت ١٦,٦٤٣,١٢٠ فى عام ١٩٣٩ وكانت ١١,٢٦٦,٦٠٠ غير أن هانسون بولدوين ، الخبير العسكرى لصحيفة النيويورك تايمز ، كتب عام ١٩٤٨ مقالا يتناول الحرب العربية اليهودية القادمة على أساس معلومات متوافرة لدى الأمم المتحدة وأماكن أخرى . فذكر أن عدد يهود العالم يبلغ من ١٥ إلى ١٨ مليون نسمة ، إلى جانب ارقام لتصفيات مثل : اليهود فى فلسطين ، اليهود فى الشرق الأوسط ، العرب فى فلسطين إجمالى عدد العرب ، إجمالى عدد المسلمين . . الخ . . . . الخ . . . . (٦)

هذه الصورة العابرة تبين لنا أبسط أنواع الغموض الذى يكتنف دراسة ديموغرافية فاذا مضينا فى البحث لخطوات وجدنا أن رقم الـ ١١ أو ١٢ مليون يهودى فى العالم – وهو الرقم الضرورى كى تنهض نظرية الابادة على قدميها – لا يعتد به لسببين . أولهما : مجموعة الاحصائيات الخاصة بالولايات المتحدة الامريكية ، ثانيهما : مجموعة الاحصائيات الخاصة باوروبا الشرقية . والاثنتان ، وبخاصة الثانية ، موضع غموض لامخرج منه . فلننظر أولا فى الولايات المتحدة الأمريكية . إن الاحصائيات الخاصة باجمالى عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية هى (٧) :

السنة	السكان
١٩٢٠	١٠٥٧١٠٦٢٠
١٩٣٠	١٢٢٧٧٥٠٤٦
١٩٤٠	١٣١٦٦٩٢٧٥
١٩٥٠	١٥٠٦٩٧٣٦١
١٩٦٠	١٧٩٣٠٠٠٠٠

واليك عدد سكان اليهود فى الولايات المتحدة الأمريكية كما أوردها المكتب الاحصائى اليهودى (التابع إما للمؤتمر اليهودى الأمريكى أو معبد أمريكا) وفقا للمدير هـ . س . لينفيلد (٨) :

السنة	السكان اليهود
١٩١٧	٣٣٨٨٩٥١
١٩٢٧	٤٢٢٨٠٢٩
١٩٣٧	١٧٧٠٦٤٧
١٩٤٩	٥٠٠٠٠٠٠
١٩٦١	٩٥٣٠٠٠٠

ثمة ملاحظة هامة وهى أن كافة الأرقام الخاصة بالسكان اليهود فى الولايات المتحدة الأمريكية نابعة من نفس المصدر (لينفيلد) .

وثمة اشارة إلى أن عدد السكان اليهود بالولايات المتحدة الأمريكية ارتفع فى الفترة ١٩١٧ – ١٩٣٧ بنسبة ٤٠,٨٪ بينما نجد أن نسبة الزيادة فى اجمالى عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية . فى الفترة ١٩٢٠ – ١٩٤٠ هى ٢٤,٦٪ . هذا التباين معقول بصفة عامة ، ذلك أن الفترة موضع البحث شهدت هجرة يهودية عالية جدا . غير أن الهجرة اليهودية إلى الولايات المتحدة الأمريكية تثير عددا من المشاكل فى حد ذاتها . ففى الكتاب السنوى ليهود أمريكا نجده يذكر صافى الهجرة اليهودية للسنوات ١٩٣٨ – ١٩٤٣ و ١٩٤٦ – ١٩٤٩ على أنه : ٢٣٢١٩١ . ولا يبدو أن أرقام ١٩٤٤ و ١٩٤٥ متوافرة وبالمناسبة فخلال هذين العامين سمح بدخول عدد غير محدد من اليهود إلى الولايات المتحدة « خارج نطاق اجراءات الهجرة المعتادة » . وقيل إن ١٠٠٠ يهودى فقط من هذه الفئة كانوا داخل معسكر قرب أوسويجو ، نيويورك وأنه لم يسمح لهم بدخول الولايات المتحدة . ويبدو أنها كانت خطوة من جانب الولايات المتحدة ، للاسهام فى حل مشاكل اللاجئين غير أن الحكاية بأكملها تبدو غاية فى الغرابة ، ومدعاة للشك والريبة [١٠] .

وبدلا من محاولة حل المشكلة المتعلقة بحجم الهجرة اليهودية ، لنفرض أننا سلمنا بنسبة زيادة – فى عدد السكان اليهود خلال ١٩٣٧ – ١٩٥٧ مساوية على الأقل للسكان اليهود بأمريكا فى الفترة ١٩١٧ – ١٩٣٧ ، اذ يبدو هذا معقولا على الأقل ، على ضوء عوامل مختلفة ، منها على سبيل المثال أن الاسباب التى جعلت ١,٥ مليون يهودى يذهبون إلى فلسطين خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها قد حفزت أيضا إلى هجرة مماثلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ولم تكن قوانين الهجرة على أساس وطنى أو عنصرى . تنطبق على

اليهود . عندئذ لابد أن يكون هناك على الأقل ٦٦٧٨٠٠٠ يهودى فى الولايات المتحدة فى ١٩٥٧ لا الرقم المذكور (٥٣٠٠٠٠٠) . هناك نفس قوامه ١٤٠٠٠٠٠ يهودى فى أرقام ١٩٥٧ ، ونحن نعتبر الرقم متحفظا ، للاسباب التى سقناها . لقد شهدت الفترة ١٩٣٧ - ١٩٧٥ حركة يهودية على نطاق لم يسبق له مثيل .

ومن ناحية أخرى نستطيع أن نسلك نفس المسلك المتحفظ ونفترض أن عدد الـ ٤٧٧٠٦٤٧ يهودى لعام ١٩٣٧ قد ارتفع - فى الفترة ١٩٣٧ - ١٩٧٥ بنفس النسبة التى ارتفع بها سكان الولايات المتحدة فى الفترة ١٩٤٩ - ١٩٦٠ ووفقا لهذا الافتراض يجب أن يصل الرقم إلى ٦٥٠٠٠٠٠ يهودى فى الولايات المتحدة عام ١٩٥٧ . فإذا أضفنا رقما معقولا (٣٠٠٠٠٠) نتيجة للهجرة أصبح لدينا ٦٨٠٠٠٠٠ يهودى عام ١٩٥٧ . لذا فإن كلا الاسلوبين من أساليب الاستقراء يدلان على أن الأرقام الخاصة بالسكان اليهود فى امريكا فى أعقاب الحرب تقل عن المعدل بنحو ١,٥ مليون على الأقل عام ١٩٥٧

إن الخطأ الأكبر ، المحدد ، فى أرقام السكان اليهود بأمريكا يتمثل فى ادعاء زيادة محدودة من ١٩٣٧ حتى ١٩٤٩ رغم نشاط حركة اليهود وانفتاح سياسة الهجرة فى أمريكا .

غير أن أوربا الشرقية هى جوهر المشكلة الديموغرافية . ولكى نتفادى أى خلط كبير يجب أن ندرك أنه قد طرأت تغيرات ضخمة على حدود أوربا الشرقية خلال القرن العشرين . والرسم رقم ١ يعرض لنا خريطة أوربا عشية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) . وفى الرسم رقم ٢ نجد خريطة عن يناير ١٩٣٨ تبين ، أساسا ، أوربا وفقا لمعاهدة فرساى ، قبل شروع هتلر فى توسعاته الاقليمية . ويبين الرسم ٤ خريطة أوربا عقب الحرب ، وجدير بالذكر أن التغير الرئيسى الذى طرأ على الحدود فى نهاية الحرب العالمية الثانية هو امتداد الحدود السوفييتية غربا . فقد ضمت بلدان البلطيق الثلاثة (لتوانيا - لاتفيا - ايستونيا) وأجزاء من رومانيا ، تشيكوسلوفاكيا - بولنده - شرق بروسيا . وتم تعويض بولنده باعطائها باقى شرق بروسيا وماكان يسمى شرق ألمانيا ، وكان معنى هذا زحزحة (جسم) بولنده غربا .

وفيما يتعلق بتقديرات السكان اليهود بأوربا الشرقية قبل الحرب (١٩٣٨) فقد قدمها هـ . س . لينفيلد واللجنة اليهودية الأمريكية فى « ويرلد ألماناك » لعام ١٩٤٨ (صفحة ٢٤٩) أما أرقام ما بعد الحرب (١٩٤٨) فقد نشرت فى طبعة ١٩٤٩ لـ « ويرلد ألماناك » صفحة ٢٠٤ .

	١٩٣٨	١٩٤٨
بلغاريا	٤٨ ٣٩٨	٤٦ ٥٠٠
المجر	٤٤٤ ٥٦٧	١٨٠ ٠٠٠
بولنده	٣١١٣ ٩٠٠	١٠٥ ٠٠٠
رومانيا	٩٠٠ ٠٠٠	٤٣٠ ٠٠٠
الاتحاد السوفييتى	٢ ٢٧٣ ٠٤٧	٢ ٠٣٢ ٥٠٠
الاجمالى	٧ ٧٧٩ ٩١٢	٢ ٧٩٤ ٠٠٠

ومعنى هذا أن اليهود الذين فقدوا فى أوربا الشرقية هم ٠٤٩٨٥٩١٢ وبالنسبة للأرقام الخاصة بالاتحاد السوفييتى فإنها تضم – فى الحالتين بلدان البلطيق الثلاثة ، ويهود آسيا السوفييتية . وجدير بالذكر أن أرقام ما قبل الحرب قريبة – فى كافة الحالات من الأرقام التى نشرها روبين قبيل الحرب . وإذا كانت أسطورة الابادة تستند إلى احصائيات سكانية فإنها تستند تماما إلى هذا الاحصائيات أو المعادل لها .

والمشكلة أن أرقاما كهذه لا معنى لها . وليست هناك طريقة يستطيع بها المراقب الغربى أن يتأكد من وجاهة – فضلا عن دقة – مثل هذه الارقام . وعليه أن يكون مستعدا لقبول الادعاءات اليهودية أو الشيوعية « الشيوعية أساسا » الخاصة بالسكان اليهود فى أوربا الشرقية ، والا فليرفض أية أرقام تعرض عليه ، بدعوى أنها لا تستند إلى حجج مرضية .

نستطيع أن ندعم اعتراضنا على هذه النقطة الهامة ونستطيع فى نفس الوقت أن نعالج تحفظا قد يخطر ببال القارئ : سيبدد من قبيل التبجح المفرط القول باختفاء اليهود البولنديين تماما إذا لم يكن هذا أو شيء قريب من هذا قد حدث حقا . يبدو هذا التحفظ فى محله ، بيد أنه يتعين علينا أن نتذكر أن الشطر الأكبر من الأراضى التى كانت بولندية عام ١٩٣٩ صارت سوفييتية بحلول ١٩٤٥ . بات بالامكان اختفاء اليهود البولنديين فعلا إذا كان السوفييت – خلال الاحتلال الروسى لشرق بولندا فى ١٩٣٩ – ١٩٤١ – قد نقلوا اعدادا كبيرة من اليهود البولنديين إلى الاتحاد السوفييتى . وإذا كان الالمان خلال ١٩٤١ – ١٩٤٤،قد ركزوا اليهود البولنديين ناحية الشرق ، إلى أن استوعب الاتحاد السوفييتى فى النهاية جزءا كبيرا منهم داخل أراضيه ، أما الذين آثروا عدم البقاء فى الاتحاد السوفييتى فهاجروا ، أساسا ، إلى فلسطين والولايات المتحدة الأمريكية ، كما هاجروا

أيضا – وبشكل محدود – إلى بولندا الجديدة وغيرها من الأقاليم هذا ما حدث بالفعل لليهود الذين كانوا قد استقروا فى بولندا قبل الحرب .

ومها قيل عن السياسة السوفييتية ازاء اليهود بعد ١٩٥٠ على سبيل المثال ، الا أنه من الواضح أن السياسات السابقة لم تكن مناهضة لليهود ، ولقد شجعت على استيعاب اليهود داخل الاتحاد السوفييتى . ومن المعروف أن كثيرين من اليهود البولنديين تم استيعابهم خلال الحرب وفى اعقابها مباشرة ، بيد أنه من الصعب التعرف على الارقام الطبع . ويدرس ريتلينجر هذه المشكلة ويتوصل إلى رقم قوامه ٧٠٠ ٠٠٠ دون أن يبين لماذا لا يكون الرقم الصحيح أكبر من هذا بكثير. ثم يلاحظ أن الدليل الذى يسوقه على ابادة اليهودية فى روسيا (الوثائق منسوبة إلى الألمان) يدل على ابادة نفس العدد من اليهود السوفييت ، ويخلص من هذا إلى أن عدد اليهود السوفييت ربما ازداد حقا خلال الفترة ١٩٣٩ – ١٩٤٦ [(١١)] . هذا التسليم الهام ، من مؤلف « الحل الاخير » ، يدل على أن عدم استعدادنا لقبول الارقام الشيوعية ليس مرجعه بالضرورة مقتضيات نظريتنا . إننا لا نستطيع أن نركن إلى هذه الأرقام ، ما فى ذلك شك . ويقول السوفييت إن اليهود الموجودين بأراضيهم تناقصوا بنسبة ٣٨ ٪ رغم ضم أراض تضم عددا كبيرا من اليهود . ونظرا لأن الاتحاد السوفييتى أحد البلاد التى تعترف قانونا باليهودى كقومية ، فليس من شك فى أن لدى السوفييت أرقاما دقيقة عن عدد مالديهم من يهود ، غير أنهم أثروا (فى رأى ريتلينجر إذا لم تكن تريد أن تأخذ برأى مؤلف الكتاب الذى بين يديك) أن يزعموا انخفاضا وهميا فى عدد السكان اليهود ، بنسبة ٣٨ ٪ .

ينسحب هذا أيضا على نظرتنا إلى الباقية التى يعرضونها .

ويبدو أن أنسب بحث قام به عالم ديموغرافى هو بحث ليسزيلك أ . كوزنسكى ، من جامعة ألبيرتا (جيوجرافيكال ريفيو ، المجلد ٥٩ ، عام ١٩٦٩ ، الصفحات ٣٨٨ – ٤٠٢ وكانيديان سلافونيك بيبارس ، المجلد ، عام ١٩٦٩ ، الصفحات ٣٥٧ – ٣٧٣) ، فلقد درس التغيرات التى طرأت على التركيب العرقى بأسره فى أواسط شرقى أوربا (مع استبعاد المانيا وروسيا) خلال الفترة ١٩٣٠ – ١٩٦٠ . وهو يتحدث على الصعوبات الهائلة التى وقفت فى طريق الاحصائيات الأساسية :

« ان المعايير المستخدمة فى عملية الجمع تختلف من بلد إلى بلد ، وهى ليست دقيقة بصفة مستمرة . ولقد لجأنا إلى نوعين أساسا : المعايير الموضوعية ، مثل اللغة ، والانتماء

الثقافى ، والهوية الدينية – والمعايير الذاتية ، وتستند إلى ما يفصح عنه الأشخاص أنفسهم . ولكل مزاياه وعيوبه : ان المعايير الموضوعية لا تحدد القومية الا بطريقة غير مباشرة ، ومن الصعب تطبيقها فى الحالات الحدية (مثال هذا الشخص الذى يتكلم لغتين) . ويزداد النقد بالنسبة للمعايير الذاتية . فالضغوط الخارجية ، والانتهازية ، تستطيع أن تؤثر على النتائج ، خاصة إذا لم يكن الوعى القومى قد تطور تطورا كاملا ، أو إذا كانت الاجابات الصادقة ستؤدى إلى نتائج غير مستحبة . المعلومات الرسمية لا يمكن الاعتماد عليها بصفة مستمرة إذن ، حتى حين لا تكون مزودة ، لكن التزوير حدث . غير أن انتقاد المعلومات الرسمية لا يمكن أن يطبق بنفس المعدل على كل بلد ، والصدق قضية سياسة قومية .

واليهود بالطبع ، أحد المجموعات التى يهتم بها توزينسكى ، وهو يعرض أرقاما مشابهة للارقام السالف ذكرها ، فى تناوله لعدد اليهود قبل الحرب . غير أن معلوماته الخاصة بما بعد الحرب عديمة الجدوى من هذه الزاوية ، ومن ثم لا يحاول أن يقدم رقما محددا عن عدد اليهود بعد الحرب ، رغم أنه يعرض أرقاما لطوائف أخرى ، كالغجر على سبيل المثال ، مقدما أرقاما أقل فى أهميتها الاحصائية . من أرقام اليهود الذين عاشوا فى أوربا الشرقية ، وفقا لأصحاب اسطورة الابادة . صحيح أنه يتقبل أسطورة الابادة بشكل عام ويعرض جدولا يصور تناقصا مخيفا فى عدد السكان اليهود فى بولندا ، المجر ، رومانيا ، تشيكوسلوفاكيا . كذلك فإنه يذكر أن الحربين ، مجتمعتين ، تسببتا فى فقدان يوغسلاف ، ويهود ، وبولنديين ، ومواطنين من المانيا الشرقية تقدر اعدادهم بحوالى ١٢,٥ – ١٤ مليون نسمة ، لكنه لا يقدم أرقام كل جنسية على حدة ، وهو يحيل القارئ إلى الملخص الاحصائى « التغيرات السكانية فى أوربا منذ ١٩٣٩ » بقلم جريجورى (جريتزيجورز) فرومكين ، الذى يستقى أرقام اليهود من المؤتمر اليهودى الأمريكى ، المنظمة الصهيونية لأمريكا ، ومركز التوثيق اليهودى المعاصر فى باريس – غير أن النقطة التى نريد أن نوضحها هى أن كوزينسكى لا يتوصل إلى أرقام خاصة باليهود ، ومن الواضح أنه لم يكن ليستطيع ذلك ، إذا وضعنا فى اعتبارنا ما صادفه من مشاكل . أما الأرقام السكانية العرقية لرومانيا الشيوعية فتستند إلى « القومية » أيا كان معنى هذا فى مختلف الحالات . وهو يعتذر ، بالطبع ، عن استخدام « الاحصائيات الرسمية التى قد تفتقر إلى الصحة » .

ولنا عودة إلى المشاكل الديموغرافية ، خاصة المتعلقة باليهود البولنديين ، وذلك فى

الفصل السابع .

ولزاما علينا أن نتذكر أن مشكلة عد اليهود فى البلدان الغربية تنطوى على مشاكل هائلة بسبب الافتقار إلى أى أساس قانونى ، أو عنصرى ، أو دينى ، لتحديد « اليهودى » . مثال هذا أن الاحصائيات المتاحة لريتليتجر تقول له أنه فى أوائل الحرب العالمية الثانية كان فى فرنسا ٣٠٠ ٠٠٠ يهودى ، بما فى ذلك يهود ألمان مهاجرون(١٢) . أما النازيون فاعتقدوا أنه كان هناك ٨٦٥٠٠٠ ، ولا أرى أى باعث يدفع إلى تعمد تضخيم الرقم ، وفيما يتعلق بأرقام أخرى استخدمها النازى لم يكن هناك تضخيم كبير إذا ما قورن بمصادر أخرى(١٣) .

ويجب أن أضيف أنه ليست لدى أدنى فكرة عن عدد اليهود الموجودين فى الولايات المتحدة الأمريكية . فإذا رجعت إلى « ويرلد ألماناك » فسيقول لى أن هناك حوالى ٦ ٠٠٠ ٠٠٠ ، لكنى لا أرى كيف تم التوصل إلى هذا الرقم ، وانى لا أثق بهذا الرقم إلى حد كبير . ومبلغ علمى أن الرقم الصحيح قد يكون بسهولة ، ٩ ٠٠٠ ٠٠٠ . ولابد أن هناك ٤ ٠٠٠ ٠٠٠ يهودى على الأقل فى منطقة مدينة نيويورك وحدها .

ولنلخص ما قيل عن احصائيات السكان اليهود : ان مشكلة جمع مثل هذه الإحصائيات لمشكلة هائلة ، حتى فى حالة عدم وجود تدخل أو ضغط سياسى ، وعلاوة على ذلك إذا نظرنا إلى الحجة الديموغرافية التى تردد حدوث انخفاض قوامه ٥ أو ٦ مليون من سكان العالم من اليهود ، فإن مصادر هذه الأرقام هى مصادر شيوعية ويهودية ، ولذا يتعين اعتبارها عديمة الجدوى ، إذا نظرنا إلى طبيعة المشكلة التى ندرسها . ويضاف إلى هذا أن الأرقام الخاصة بالولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب منخفضة جدا بشكل واضح .

يجب الا ينطبع لدى القارئ أنه مطالب بتقبل أية استنتاجات ديموغرافية تم التوصل إليها فى السطور السابقة خدمة للحجج التى أسوقها انما أردت أن أبين نوع المشاكل التى ستثور إذا ما نحن حاولنا منهجا ديموغرافيا مباشرا جدا . ليس بالامكان حل أى شيء على هذا النحو . وسنجد فى النهاية ، أن المشكلة أن الارقام المتوافرة لا تعد أن تكون بيانات — من مصادر يهودية وشيوعية — مؤداها أن ملايين اليهود قد قتلوا . إننا نتوقع ادعاءات كهذه ، بيد انها يجب ألا تثنينا عن التعمق . لكنا سنعرض للمشكلة الديموغرافية فى فصل لاحق بالكتاب ، ذلك أن طبيعة المشكلة تشير إلى إمكانية التوصل إلى استنتاجات ديموغرافية مفيدة إذا ما فهمنا مالذى حدث لليهود بصفة عامة .

وإذا شئنا الدقة قلنا أن دراسة راسينيه الديموغرافية لا تحاول فى الواقع حل المشكلة . ومنهجه الأساسى هو تحليل الاستقراءات المأخوذة عن مجموعتين مختلفتين من المعلومات ، احداهما من « مركز التوثيق اليهودى المعاصر » ، والاخرى من هيلبيرج ، والاثنان يستنتجان من معلوماتهما أن ضحايا النازى من اليهود هم ٥ إلى ٦ مليون . ويخلص راسينيه إلى أن المركز لا يستطيع – بناء على معلوماته – أن يصل إلى أكثر من الرقم ١٤٨٥٢٩٢ ، أما هيلبيرج فان رقمه لن يتعدى ٨٩٦٨٩٢ (١٤) . ويسلم راسينيه بأن ضحايا السياسات النازية من اليهود بلغوا حوالى مليون ، وهو يرفض الادعاء بحدوث ابادة . مثال هذا أنه من المعروف أن بعض مواطنى أوربا الشرقية استغلوا الظروف السياسية – العسكرية العامة فاضطهدوا اليهود . يضاف إلى هذا أن كثير من اليهود الذين تم ترحيلهم عن ديارهم لاشك هلكوا نتيجة للفوضى التى سادت آخر مراحل الحرب .

وإذ أوفى بأن المهمة غير ممكنة ، لن أقدم للقارئ تقديرًا مؤكدا لخسائر اليهود . لكنى لا أجد سببا قويا يدعونى إلى الاختلاف مع تقديرات راسينيه .

وكما ذكرت فانى سأفيض هنا فى المنهج « المادى » ، يضاف إلى هذا أنى سأقدم « منهجا تاريخيا » – سياسيا » . انها طريقة مثيرة لتبيان مايلى : ستتصور أن هناك قوتين سياسيتين لا قوة واحدة ، لهما دخل فى المشكلة . وبعبارة أخرى هناك حكاية ابادة ، ويجب أن نتعمق ظروف اثارة هذه الحكاية . من الواضح وجود دولتين لهما دخل فى المشكلة . لألمانيا سياسة مناهضة لليهود تقتضى ، فى حالات كثيرة ، ترحيل اليهود من ديارهم والبلدان التى استوطنوها . هذا مؤكد . وتلخصت سياسة واشنطن خلال الحرب فى ادعاء وجود ابادة ، أما سياستها عقب الحرب فتلخصت فى اجراء محاكمات لم تظهر فيها الا الادلة التى لدينا الآن ، والتى تستند إليها الادعاءات التى ظهرت خلال الحرب . ذلك أمر مؤكد أيضا . أن سياسة كل من ألمانيا وواشنطن تثير الاهتمام بالضرورة ، وإذا كان هذا الكتاب يرتاد ارضا جديدة بالنسبة للمشكلة ، فلأن الكتاب يصر على أن واشنطن لعبت دورا فعالا فى خلق القصة . لذا فأننا لا نهتم فقط بما كان يفعله هتلر ، هملر ، جورنج ، جوبلز ، هيدريخ أثناء الحرب بالنسبة لهذه المسائل ، وإنما يهمنا أيضا ما فعله روزفلت ، هل مورجينتاو ، النيويورك تايمز ، وما اتصل بهم من أجهزة اعلام خلال الحرب ، ويهمنا أيضا ما فعلته مختلف المحاكم بعد الحرب ، تلك المحاكم التى كانت واشنطون توجهها أو تسيطر عليها . ليس هذا منهجا تاريخيا عادلا وحسب ، وإنما هو منهج يسلط الأضواء

على أمور أيضا . وهذا هو المهم .

والنتيجة هي أن واشنطن وضعت اطارا لتهمة ابادة اليهود فإذا ما اعترفنا بهذا استطعنا التعرف على حقيقة طبيعة السياسة الألمانية ازاء اليهود .

وقبل أن نستعرض تفاصيل القصة يجب أن نشير إلى أن هناك أسباب وجيهة مسبقة تجعلنا نتوقع وجود الاطار المشار إليه . هناك ، بالطبع ، حجة عامة جدا مؤداها أن العداوة السياسية التى يبلغ فى شدتها أنها تثير صراعا مسلحا بين دولتين تقضى بالضرورة على موضوعية أحد الطرفين ، والموضوعية مطلب ضرورى فى المحاكمة العادلة ، وليس للموضوعية بديل هنا . كان للقضاة مناصبهم السياسية داخل اطار السياسات الداخلية لدول الحلفاء المعادية لألمانيا فإذا لم يكونوا قد أقدموا على أى شيء خارج على المألوف أثناء محاكمات جرائم الحرب ، فإننا نفترض أنهم سيعودون بعد المحاكمات إلى مناصبهم السياسية . يضاف إلى هذا أنهم ظلوا ، لسنوات عدة ، لا يسمعون الا وجهة النظر المعادية للألمان . وإذ اتخذوا مقاعد القضاة . فى المحاكم العسكرية كان اختيارهم اختيارا سياسيا . هذه الاعتبارات تستبعد الموضوعية النسبية .

بيد أن هناك أسبابا أكثر تحديدا تجعلنا نتوقع المكيدة . فإذا أردنا أن نعرفها فليس علينا إلا أن ننظر الحقائق المتاحة للغاية ، والتى تتعلق بمختلف المحاكم التى شكلت للغرض .

كان هناك ، أولا ، « المحاكمة الضخمة » التى أجرتها المحكمة العسكرية الدولية فى نورمبرج عقب الحرب مباشرة . هناك حوكم كبار النازى : جورنج ، هيس ريبينتروب ، والاخرون ، واستمرت من نوفمبر ١٩٤٥ حتى أكتوبر ١٩٤٦ . وكان القضاة والمدعون العموميون من الأمريكيين ، والبريطانيين ، والفرنسيين ، والروس . ولم يكن هناك محلفون ، كما هى العادة فى كل المحاكم « العسكرية » . وتم الافراج عن ثلاثة ، وحكم بالسجن على سبعة ، وبالاعدام على أحد عشر . وتم تنفيذ أحكام الاعدام بعد المحاكمات فورا ، فيما عدا جورنج الذى أفلت من حبل المشنقة بأن ابتلع حبة من سيانيد البوتاسيوم قبل الشنق مباشرة ، ولم يثبت بالمرة كيف حصل جورنج على السم ، أوكيف استطاع اخفاء السم لفترة . وأعقب هذا شيء فريد ، مؤداه أن أول طبيب نفسى لسجن نورمبرج ، وهو الدكتور دوجلاس م . كيلى ، الرائد فى علاج الاضطرابات النفسية بالعقاقير ، نشر بعد ذلك مباشرة كتابا تناول فيه تجاربه فى نورمبرج ، واثنى على جورنج وعلى الأسلوب الذى أنهى به حياته :

« لقد احتمل بصبر سجنه الطويل ، كي يهزم محكمة الحلفاء ويرهب محامى الاتهام بأسلوبهم . . وكان انتحاره . . لمسة أخيرة ماهرة ، بل رائعة ، استكمل بها الصرح الذى سيعجب به الألمان فى قادم الأيام . . وقد يبين التاريخ أن جورنج انتصر فى النهاية ، رغم الحكم الصادر ضده فى المحكمة العليا للدول الحليفة .

ومضت عشرة أعوام ليلحق الدكتور كيلى بجورنج . لقد أخذ واحدة من حبوب سيانيد البوتاسيوم التى كانت فى حوزته ، والتى قيل إنها كانت « تذكارات » أخذت فى جسد جورنج[١٥] .

رقم القضية	المتهم أمام الولايات المتحد الأمريكية	الوصف	مجلد محكمة تورمبرج العسكرية
١	برانت	قضية طبية	١ ، ٢
٢	مليش	قضية مليش	٢
٣	ألستويتار	قضية عدالة	٣
٤	بوهل	قضية اعتقال معسكرات	٥ ، ٦
٥	فليك	قضية رجال أعمال	٦
٦	كروش	قضية أ . ج . فاريين	٧ ، ٨
٧	ليست	قضية الرهائن	٩
٨	جريفيلت	قضية روشا	٤ ٥
٩	أوهيليندورف	قضية انيزاسجروبين	٤
١٠	كروب	قضية كروب	٩
١١	فايتسيكار	قضية فيليا الميستراسى أو الوزراء	١٢ ، ١٤
١٢	فون ليب	قضية القيادة العليا	١٠ ، ١١

كانت محاكمات المحكمة العسكرية الدولية هي الوحيدة التي قوبلت باهتمام كبير للغاية . وتتلخص أهميتها في أن الدول الحليفة التزمت بنص محدد بالنسبة لادعاء الابادة ، لكن لم تكن هناك أدلة كثيرة ذات طبيعة يعتمد بها ، أدلة تثبت أن اليهود أبيدوا . كانت كلها تقريبا ، شهادات واقرارات كتابية بقسم ، وليس هذا بالأمر العسير على دول منتصرة وفي ظروف الانتصار . والفضيلة الوحيدة ، نسبيا ، لمحاكمات المحكمة العسكرية الدولية والتي تخدم غرضنا في الكتاب ، هو توافر نص كامل لما قيل في المحاكمات ومختارات كاملة تقريبا ، للوثائق التي قدمت للاثبات (انظر إلى المراجع) ، فهي موجودة في عدد من المكتبات في شكل ٤٢ مجلدا مزودا بفهرست مستفيض بالاسماء والموضوعات .

وخلال الفترة ١٩٤٦ - ١٩٤٩ عقدت ١٢ محاكمة ليست بذات أهمية كبيرة ، وعقدها الأمريكيون فيما يسمى هنا محكمة نورمبرج العسكرية . ويشار إليها هنا وفقا لـ « رقم القضية » ، والمتهم الأكبر ، والوصف .

وأسفرت هذه المحاكمات عن بعض احكام بالإعدام ، غير أن الغالبية حكم عليها بالسجن ، السجن لسنوات طوال في كثير من الحالات . غير أن الجميع ، تقريبا ، قد أطلق سراحهم في مطلع الخمسينات .

والقضايا الوحيدة التي ستهمنا هنا هي القضية ١ ، وتدور حول محاكمة عاملين في الميدان الطبي بسبب « القتل الرحيم » وتجارب طبية ، والقضية ٤ ، ودارت فيها المحاكمة حول إدارة معسكر الاعتقال ، والقضيتان ٦ ، ١٠ تشرحان نفسهما بنفسهما ، أما القضية ٨ فتتعلق بمشاريع اعادة الاستيطان الألمانية ، بينما تتناول القضية ٩ (كانت الاينزاتسجروبين تستخدم في حماية أمن المؤخرة في روسيا) والقضية ١١ محاكمة مسئولين في مختلف الوزارات . ونشرت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ١٥ مجلدا سنشير إليها هنا بمصطلح « مجموعة محكمة نورمبرج العسكرية » ، وفيها قد نجد « تلخيصات » للقضايا ، إلى جانب « مختارات » محدودة جدا من الوثائق التي قدمت في معرض اثبات التهم . وفي الجدول السابق أرقام المجلدات وفي المقابل أسماء القضايا .

وهنا يصادف الدارس صعوبة كبيرة ، اذ سنجد - إذا مارجعنا إلى هيلبيرج وريتلينجر - أن كل الأدلة تقريبا على ادعاءات الابادة إنما أثيرت في محكمة نورمبرج العسكرية لا المحكمة العسكرية الدولية . معنى هذا أن الوثائق الهامة ، الوثائق التي تشكل مصدرا كبيرا للمعلومات عند كتابة أي تاريخ لألمانيا النازية ، انما وردت في سلسلة

NO, NI, NG وتم تقديم هذه الوثائق ، كأدلة ، فى محاكمات محكمة نورمبرج العسكرية . والأدلة المعتمدة على الوثائق أصدق من الشهادة ، خاصة بسبب الظروف القانونية السياسية المضطربة ، السائدة آنذاك . وجدير بالذكر أن الأدلة – المعتمدة على وثائق – والتى ظهرت فى محكمة نورمبرج العسكرية إنما تتألف من مواد معينة تدعم اتهامات الابادة ، وثائق تتناول ادارة معسكر الاعتقال انشاء محرقة ، الترحيل ، مشروعات لفاربين وكروب استعانت بعمل المساجين ، سياسة الحكومة الألمانية – بصفة عامة . تجاه اليهود . . الخ . وليس هناك بالطبع ادلة مدعمة بالوثائق تثبت وجود برنامج للابادة . وفى عام ١٩٦٠ اعترف دكتور كوبوفى – بمركز التوثيق اليهودى بتل أبيب – « ليست هناك أية وثيقة موقعة من هتلر أو هملر أو هايدريخ تتحدث عن ابادة اليهود . . أن كلمة « ابادة » لا تظهر فى الخطاب الموجه فى جورنج إلى هايدريخ والخاص بالحل النهائى للقضية اليهودية » .

والمشكلة التى تواجه شخصا فى ظروف عادية هى أن اجزاء محدودة فقط من أدلة ووثائق محكمة نورمبرج العسكرية تتاح على نطاق واسع ، فى ترجمات انجليزية (مجموعة محكمة نورمبرج العسكرية التى تتألف من ١٥ جزءا) يضاف إلى هذا أننا لا نستطيع أن نثق دوما بالترجمة ، كما سنرى كذلك فإن المقتطفات التى نشرت تم اختيارها وفقا لمعايير مجهولة . وأخيرا : لا يحتمل العثور على هذه الاجزاء إلا فى المدن الكبرى نسبيا .

غير أن الوضع افضل فى حالة السكنى بمدينة كبيرة جدا ، فوى مكتبات معينة تتوافر مجموعة ، كاملة تقريبا ، من وثائق وتسجيلات ، ومدونة ، للمحاكمات (بالألمانية فى معظم الأحوال) . غير أن الشخص الذى يعيش ظروفا عادية قد يصادف متاعب وهو يحاول دراسة قطع معينة يريدها ، وفى بعض الاحيان لا ترحب المكتبة بتصفح الوثائق بشكل عام حتى لو كان الراغب فى ذلك احدى كليات الجامعة . وعلاوة على ذلك لا نجد لمحاكمات محكمة نورمبرج العسكرية فهارس بالموضوعات أو الأسماء (لا نجد فى مجلدات محكمة نورمبرج العسكرية سوى فهارس بشهادات الشهود حافلة بأخطاء كثيرة) .

ومحاكمات المحكمة العسكرية الدولية ومحكمة نورمبرج العسكرية هى وحدها المحاكمات ذات الأهمية بالنسبة لنا . وثمة سلسلة من المحاكمات ذات أهمية محدودة ، وهى المحاكمات التى عقدها البريطانيون . ولا يهمنا هنا بآية حال من الأحوال سوى قضية بيلسين وقضية زيكلون ب . كذلك أجرى البولنديون والروس ، والفرنسيون ، والهولنديون والايطاليون ،

محاكمات ليس لها أهمية اللهم الا للضحايا . كذلك أجرت حكومة بون بعض المحاكمات ذات الأهمية الضئيلة ، مثال هذا « محاكمة أوشفيتز » لاعوام ١٩٦٣ – ١٩٦٥ ، والتى تناولها لانجبيين ، كما تناولها الاتيرنسار وناومان .

ونستطيع أن نتوصل إلى صورة كاملة للطريقة التى شكلت بها المحكمة العسكرية الدولية ومحكمة نورمبرج العسكرية . منذ ١٩٤٣ كانت هناك هيئة جرائم الحرب التابعة للأمم المتحدة وكان مقرها لندن . غير أن هذه الهيئة لم تغفل شيئا قط سوى أنها أدركت – فى مرحلة من المراحل ، أنه إذا كانت هناك ثمة خطوات فإن هذه الخطوات لن تتم الا على أيدى كل حكومة من حكومات الدول الحليفة منفردة .

وبدأت أول تحركات جادة فى الولايات المتحدة الأمريكية فنى أغسطس فى عام ١٩٤٤ فكرت القيادة المشتركة لرؤساء الأركان فى برنامج مقترح لمواجهة جرائم الحرب . ووافق على ذلك الاقتراح المدعى العام للجيش الأمريكى . وفى الأول من أكتوبر ١٩٤٤ وافقت القيادة المشتركة لرؤساء الأركان على ذلك الاقتراح ، وفى نفس الوقت ، وبناء على توجيهات من وزير الحربية أنشئ « فرع جرائم الحرب » بمصلحة المدعى العام ، ورأس « فرع جرائم الحرب » البريجادير جنرال جون م . واير ، يساعده الكولونيل ميلفين بورفيس . وكان مسئولا عن كافة شئون جرائم الحرب بوزارات الخارجية ، والحرب ، والبحرية .

غير أن الاقتراح الذى وافقت عليه رئاسة الأركان المشتركة لم يعمر طويلا ، ذلك أنه كان ذا طابع تقليدى بمعنى أنه فكر – أساسا فى محاكمة – الأشخاص الذين انتهكوا فى الميدان – قوانين الحرب المسلم بها . وهكذا فإن الافعال التى ارتكبت قبل الحرب ، أو الأفعال التى ارتكبتها سلطات الاعداء ضد مواطنيها أنفسهم لم تدخل تحت تشريعات الحلفاء . وهكذا فإن كافة الاجراءات ضد اليهود الألمان اعتبرت خارج نطاق خطة محاكمة جرائم الحرب . كان مفهوم جرائم الحرب ، آنذاك ، واقعا إلى حد كبير تحت تأثير المبدأ الذى لم يناقشه أحد : وهو أن من حق المحارب أن يحاكم جنود الاعداء على نفس التهم التى يحاكم عليها جنوده هو .

واجتمع وزير الحربية سيتمسون بالرئيس روزفلت فى ٢١ نوفمبر ١٩٤٤ ، وفى ذلك الاجتماع أوضح روزفلت أنه يفكر فى اطار أعرض لجرائم الحرب ، وأن المقترحات التى وافقت عليها قيادة الأركان المشتركة غير مرضية تماما . ونتيجة لهذا عين روزفلت ، فى يناير

١٩٤٥ ، القاضى صمويل روزينمان ممثلا شخصيا له فى المناقشات الدائرة حول مشاكل جرائم الحرب . وفى ١٨ يناير انعقد اجتماع حضره كل من ستيمسون ، روزينمان ، المدعى العام فرانسيس بيدل وآخرون ، وتم التوصل فيه إلى اتفاق عام حول مفاهيم ، أشمل ، لجرائم الحرب(١٧) .

وقيض لبيدل بعد ذلك أن يكون القاضى الذى يترأس المحكمة العسكرية العليا ، رغم أنه كتب فى يناير ١٩٤٥ (تمهيدا لما سيتوله روزفلت فى مؤتمر يالتا) إن كبار زعماء الألمان جد معروفين ولن يصعب إثبات جرمهم . أما « القاضى » الروسى بالمحكمة العسكرية الدولية – نيكيتشينكو – فكان أكثر صراحة ، إذ أعلن قبل المحاكمة « أننا نتعامل هنا مع مجرمى الحرب الرئيسيين الذين هم مدانون بالفعل بالفعل »(١٨) .

وفى مطلع مايو ١٩٤٥ وافق الرئيس ترومان على المقترحات المعدلة وعين روبرت هـ.جاكسون – القاضى المساعد بالمحكمة العليا – رئيسا لمستشارى الولايات المتحدة الأمريكية فى المحاكمات القادمة ، على أن يمثل الولايات المتحدة أيضا فى المفاوضات مع الحكومات الاجنبية من أجل اجراء المحاكمات . وفى ٦ يونية ١٩٤٥ أعد جاكسون للرئيس تقريرا مؤقتا ، وفى يونيه أصبح لجاكسون ومساعديه مقر فى لندن ، حيث تم الكثير من العمل التمهيدى للمحكمة العسكرية الدولية .

وكان من بين الاعضاء الهامين فى مجموعة جاكسون المقيمة بلندن الكولونيل موى س . بيرنيز ، الذى كان من بين الأوائل الذين ارتبطوا بمشاكل جرائم الحرب . تخرج فى جامعة هارفارد عام ١٩١٥ ، ومارس المحاكمة فى نيويورك . والتحق بالجيش عام ١٩٤٢ ، وفى عام ١٩٤٣ عين رئيسا لفرع المشروع الخاص قسم شئون العاملين ، القيادة العامة للجيش وتلخص مشروعه الأكبر ، وهو فى ذلك المنصب ، باعداد الخطط الخاصة بمحاكمة « مجرمى الحرب » الألمان . وبعد كل مرحلة من مراحل التفاوض مع البيت الأبيض وآخرين كان يدخل التعديلات المناسبة على الخطط موضع البحث ، لكننا إذا صدقنا ما رواه هو فهو صاحب الخطة التى تم اقرارها فى النهاية . على كل فعقب تعيين جاكسون بوقت قصير كوفئ بارنيز بنوط الجدارة ، وجاء فى البراءة :

« وإذ ادرك ، فى وقت مبكر ، الحاجة إلى أساس سليم لمعالجة مشكلة مجرمى الحرب وجرائم الحرب ، صاغ المفهوم الأساسى لمثل هذه السياسة وأقدم على الاجراءات المناسبة ، وفى حينها ، مما ضمن الأخذ بها كأساس للسياسة القومية » .

وعاد بارنيز إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى يناير ١٩٤٥ ، واستقال فورا من الجيش . ونظرا - كما سبق أن أوضحنا - لوجود حوار مستفيض على أعلى المستويات بالنسبة لخطط محاكمات الحرب ، نشك فى قدرتنا على التسليم الكامل بادعاءات بارنيز لكن ليس من شك فى أنه لعب دورا كبيرا فى التخطيط لخطط المحاكمات . وعلاوة على ذلك فمن المؤكد أنه كان اختيارا مناسبا لهذا الشيء الجديد : صياغة البنيان « القانونى لمحاكمات جرائم الحرب . كذلك كانت آراؤه فى العدالة شيئا جديدا . وبعد عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية تحدث مع عدد من رؤساء التحرير (الذين وصفوه بأنه « الرجل وراء الرئيس ») . وردا على سؤال كيف سيتم صيد صغار المذنبين؟ ، رد(١٩) .

« سينجو عدد كبير جدا من مجرمى النازى إذا لم تتم الاعتقالات بكفاءة . لكن إذا ما تواضعنا على أن الـ SS ، على سبيل المثال ، كانت منظمة اجرامية ، وأن عضويتها دليل ، فى حد ذاته ، على الاجرام ، سيستطيع الحلفاء أن يضعوا ايديهم على عدد كبير اضافى من المجرمين بضربة واحدة . أريد أن أقول لكم أن عددا كبير من الناس هنا لا يدركون أننا ، فى منطقتنا ، تمثل الحكومة الألمانية ، وأنه لا يمكن لنظام قضائى أن يقوم دون موافقتنا . نحن القانون . ونستطيع ، لو أردنا ، أن نحاكم الألمان لجرائم ارتكبوها منذ عشرين أو ثلاثين أو أربعين عاما . لكنا سنكون جد مشغولين بالحصاد الحالى من مجرمى الحرب ، لذا لن نجد الوقت الذى ننظر خلاله فى مخالفات قديمة » .

وفى لندن تفاوض جاكسون مع الحلفاء حول المحاكمات ، وأصبح تقريره المؤقت فى ٦ يونيه أساس « اتفاقية لندن » الصادرة فى ٨ اغسطس ، والتى وقعت عليها الولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا ، وروسيا ، وفرنسا . وتم توجيه « اتهاما » ضد ٢٤ شخصا و ٦ منظمات (الـ SS ، القيادة العامة . . الخ) فى ١٨ أكتوبر وبدأت المحاكمة فى نورمبرج فى ٢٠ نوفمبر ١٩٤٥ . ولم يظهر فى المحاكمات ثلاثة من الذين وردت أسماؤهم فى القائمة . ذلك أنهم لم يعثروا قط على بورمان ، أما روبرت لاى فانتحر قبل المحاكمة ، ولم يستطع جوستاف كروب المثول أمام المحكمة لشدة مرضه وتقدمه الكبير فى السن . وحاول الاتهام احلال ابن كروب كمتهم ، لكن كان هذا أكثر مما تحتمله محكمة ، ولوكانت محكمة عسكرية ، وهكذا تعين تأجيل محاكمة الفريد كروب إلى محكمة نورمبرج العسكرية .

وهى مناسبة نذكر عندها أن القاضى جاكسون - إلى جانب كونه المدعى العام الأمريكى خلال المحاكمة - كان الشخصية الرئيسية فى مفاوضات لندن الخاصة بصياغة

نظام قانونى يعمل بمقتضاه خلال المحاكمة . تلكم فرصة نادرة لمدعى عام ، ويحتمل الا يكون لها سابقة بالنسبة لاجراءات اعتبرها المتمدينون محاكمات . ومن السمات الفريدة أيضا للمحكمة العسكرية الدولية – فى شكلها النهائى – أن اختصاصاتها لم تكن قاصرة على اجراءات تتصل بالحرب وحسب ، وإنما امتدت بحيث شملت كل حياة الحزب . النازى وأن الدفاع الجيد لم يكن يطبق ، وأن الادعاء يستطيع أن يجبر المهتمين على الشهادة .

أما فرع جرائم الحرب الذى أنشئ عام ١٩٤٤ فلم يتوقف عن ممارسة نشاطه ، فبالنسبة لمحاكمات المحكمة العسكرية الدولية اعتمد جاكسون « على تعاون واسهام فرع جرائم الحرب التابع لمكتب المدعى العام » . وعلاوة على ذلك فنى الشهور الأولى لنشاط المحكمة العسكرية الدولية (وربما بعد ذلك أيضا) كان العاملون ومع المدعى العام – باستثناء جاكسون – « يتقاضون رواتب من المدعى العام »(٢٠) .

كان طبيعيا جدا أن يكون لمصلحة المدعى العام دورها البارز فى ظل الظروف السائدة ، فلقد كانت المصلحة بمثابة الوكالة القانونية للجيش ، وكان جيش الولايات المتحدة الأمريكية هو الجهاز الادارى الأساسى لامريكا فى ألمانيا عقب الحرب مباشرة . وكان الدور التقليدى لمصلحة المدعى العام هو القضاء ، العسكرى ، والمحاكمات العسكرية ، وما اتصل بذلك من أمور . لكن ، حدث خلال الحرب العالمية الثانية ، أن امتدت عمليات المصلحة إلى كافة مراحل النشاط العسكرى كلما أثيرت قضايا قانونية ، بل لقد تدخلت فى دعاوى قضائية تتصل بعقود الانتاج الحربى . وفى مايو من عام ١٩٤٥ ألقى المدعى العام ميجور جنرال مايرون س . كريمار خطابا « اعلن فيه أن تعقب واستدعاء النازى للمحاكمة سيستنفذ جل طاقة فرع جرائم الحرب وأنه سيشكل جزءا كبيرًا من نشاط مصلحة المدعى العام ، التى تعهد لجاكسون بتدعيم مواردها . ومن المؤكد أنه لم يكن بالوعد الأجوف ، ذلك أن المنظمة التى يرأسها كريمار كانت أهم من منظمة جاكسون ، وإذا كنا نعرف بشكل محدد ما فعله فرع جرائم الحرب ازاء المحكمة العسكرية الدولية ، الا أننا نرجح أنه كان يشرف على الدور الأمريكى (الذى اصبح كبيرا) فى التحرى عن ، واختيار ، جهاز الاتهام ومحامى الدفاع والموظفين ، وفى اختيار غيرهم مثل المترجمين ، إلى جانب دوره فى الاستجواب . وليس من شك فى أن جاكسون كان مسئولا عن شطر كبير من هذا ، لكن من المؤكد أن مثل هذه المسئوليات كانت ، فى الواقع ، بيد فرع جرائم الحرب(٢١) .

بيد أن فرع جرائم الحرب كان له دور كبير فى المحاكمات . فخلال المحاكمات الدائرة فى المحكمة العسكرية الدولية ومحكمة نورمبرج العسكرية ، كانت هناك محاكمات أقل درجة من بينها المحاكمات التى دارت فى معسكر داشو (خارج ميونيخ ، وبالتالى ليس بعيدا عن نورمبرج) ، وكان المهتمون من العاملين فى بعض معسكرات الاعتقال (بوخينفالد ، فلوسينبورج ، داشو) وكان قد قبض عليهم الامريكيون ، إلى جانب المان اتهموا بقتل ٨٣ أسيرا أمريكيا عند ماليدى خلال معركة النتوء ، وأشرف فرع جرائم الحرب على هذه المحاكمات[٢٢] . وربما كانت من أكبر حكايات التاريخ الأمريكى مدعاة للخزى .

مورست فى داشو أساليب الدرجة الثالثة برمتها : الضرب ، الركل العنيف ، بل خصى ١٣٧ رجلا ، إلى جانب نزع الاسنان ، التجويع ، الحبس الانفرادى ، التعذيب بشظايا مشتعلة ، تمثيل دور قساوسة لتشجيع المسجونين على « الاعتراف » . وقيل لصغار المسجونين أن الأحكام ستصدر ضد كبار الضباط فقط ، وانهم لن يخسروا شيئا بالتعاون والادلاء بالبيانات المطلوبة . ثم استخدمت هذه « الأدلة » ضدهم عندما وقفوا مع رؤسائهم فى قفص الاتهام . أما الكبار فكان يقال لهم أنهم بـ « اعترافهم » قد تحملوا كل المسئولية ، وبذلك حموا رجالهم من المحاكمة . فإذا رفض سجين التعاون لجأوا إلى أسلوب أثير لديهم ، الا وهو ترتيب محاكمة وهمية . كانوا يقودون السجين إلى غرفة يلبس فيها محققون مدنيون حللا عسكرية للجيش الأمريكى . كانوا يجلسون إلى مائدة سوداء يتوسطها الصليب ، وليس هناك من ضوء غير الضوء المنبعث من شمعتين . ثم تشرع هذه « المحكمة » فى اجراء محاكمة وهمية ، وفى نهاية المحاكمة يصدرون حكما وهميا بالاعدام ، وفيما بعد يتلقى السجين المحكوم عليه بالاعدام وعدا بأنه إذا تعاون مع ممثلى الاتهام فى تقديم أدلة فسيعفى عنه . وفى بعض الأحيان كان المستجوبون يهددون السجناء بتسليمهم للروس . وفى حالات كثيرة كانت أسرة السجين تتلقى تهديدا بسحب بطاقة التموين ، أو التعرض لمشاق أخرى ، إذا لم تتعاون .

بيد أن المحاكمات الرسمية كانت بدورها سخرية ، متعمدة فى أى مفهوم للاجراءات السليمة . تبدأ المهزلة بالاتهام ، الذى يكتفى باشارة عامة إلى أشكال عامة جدا من الجرائم التى يقال إنها ارتكبت فى السنوات من ١٩٤٢ إلى ١٩٤٥ (بالنسبة للعاملين فى معسكر الاعتقال) ، ثم يشرعون فى تقديم قائمة طويلة من المتهمين الذين يقال انهم ارتكبوا جرائم ، والاتهام يتسم بالتعميم الشديد . أما تحديد الجرائم ، ومرتكبيها ، والتواريخ التى

ارتكبت فيها ، فلم يكن جزءا من الاتهام (مثال هذا الوثيقة : PS — 3540)

وفى بعض الأحيان يكون « الدفاع » أمريكيا غير مدرب تدريبا قانونيا ، كما أنه لا يتحدث الالمانية . ولم تكفل المحاكمات مترجمين فوريين اكفاء . كذلك كان « الاتهام » يفتقر إلى التدريب القانونى ، ينسحب هذا أيضا على « المحكمة » التى كانت تضم عشرة من ضباط الجيش الأمريكى . لم يكن هناك سوى شخص واحد مدرب تدريبا قانونيا ، وكانت احكامه بصحة الأدلة نهائية . وثبتت التهمة على ١٤١٦ من بين الـ ١٦٧٢ الذين حوكموا ، وصدر حكم الاعدام على ٤٢٠ منهم .

وكان بمقدور الاتهام أن يجوب اوروبا من أقصاها إلى أقصاها بحثا عن شهود ، وكان بمقدوره – إذا اقتضت الضرورة – تعذيب الألمان أو اجبارهم على التوصل إلى أدلة . وكان المتهمون معزولين عن العالم الخارجي ويعوزهم المال ، وندر أن استطاعوا استدعاء أحد للدفاع عنهم . يضاف إلى هذا أن « رابطة المضطهدين على يد النازى » لجأت إلى حملة دعائية لمنع من كانوا فى معسكرات الاعتقال من الشهادة فى معرض الدفاع .

وهنا نشير إلى المحامى الأمريكى جورج أ . ماك دونو ، الذى مر بتجربة فريدة فلقد كان مدعيا عاما ومدافعا بمقتضى برنامج جرائم الحرب ، ثم بعد ذلك عمل عضوا فى هيئة التعديلات ، ومحكما فى التماسات العفو . وكتب إلى صحيفة النيويورك تايمز عام ١٩٤٨ يشكو من توافر أساس قانونى للمحاكمات ، ملاحظا أنه « فى تسع مشكلات من بين كل عشر لم يكن لدى السلطات ، أو كتب القانون ، من جواب » على المشاكل القانونية التى كانت تعترض دوما كل من تهمه الشرعية حقا . وبالنسبة لماك دونو ، تمثلت المشكلة الكبرى فيما إذا كان الدفاع – استنادا إلى امتثال المتهم لأوامر رؤسائه – يجب تقبله فى محاكمات جرائم الحرب . وبالنسبة لمحاكمات داشوا كتب يقول :

« خلال محاكمات داشوا ، كان المتهم يلجأ إلى القول بأنه كان سيعدم رميا بالرصاص إن هو رفض أمرا لرئيسه بالاقدام على شيء يعتبره هو – عن جهل – أمرا مشروعا ، أو يعلم أنه غير مشروع . ويبدا أن المحاكم كانت تسلم بهذا كواقع . وكان توافر هذا الدفاع يتوقف على سن المتهم ورتبته ، وطبيعة المعركة التى كانت قائمة ابان ارتكاب الجريمة . كان اجراء تعسفيا أن يعتبر الجند مسئولا عن ادراك عدم شرعية فعلة معينة بينما السلطات الدولية نفسها غير متفقة حول عدم شرعيتها أو لم تصل قط إلى تعريف وتحديد لهذه الفعلة .

أما الاثبات بالسماع فكان يسلم به دون تمييز ، وكانوا يسمحون بأية بيانات يتم الادلاء

بها بعد اداء القسم ، بصرف النظر عن معرفة أو عدم معرفة الشخص الذى يدلى بالبيان . فإذا رأى الاتهام ان بيان شاهد سيكون أكثر اضرارا مما لو اكتفى بالشهادة فى المحكمة فإنه سينصح الشاهد بأن يعود إلى بيته ويكتب بيانه ويقدمه كاثبات . فإذا اعترض الدفاع فإن الاتهام يبادر إلى عدم الاخذ بالاعتراض » .

ومن ابرز الاحداث ما وقع يوم أحضر المحقق جوزيف كيرشباوم رجلا يدعى اينشتاين إلى المحكمة ، كى يشهد أن المتهم منتزيل قد اغتال شقيق اينشتاين وعندما استطاع المتهم أن يشير إلى أن هذا الشقيق حى وعلى ما يرام وأنه يجلس ، فى الواقع بقاعة المحكمة ، أحسن كيرشباوم بحرج شديد ، ووبخ اينشتاين المسكين قائلا : « كيف تستطيع أن نضع رقبة هذا الخنزير فى المقصله وقد بلغ من غبائك أنك احضرت شقيقك فى المحكمة ؟

واعترفت سلطات الجيش الأمريكى المكلفة بالأمر ببعض هذه الاحداث . مثال هذا أن الكولونيل أ . هـ . روزنفيلد ، رئيس الفرع الحكومى لجرائم الحرب فى داشو ، ترك منصبه عام ١٩٤٨ وسأله الصحفيون عن صحة المحاكمات الصورية التى تعلن فيها أحكام صورية بالاعدام . وكان أن أجاب : « أنها صحيحة بالطبع . والا لما استطعنا أن نجعلهم ينطقون . . لقد كانت خدعة ، ولقد كان لها فعل السحر »[٢٣] .

ولقد كان لمتهمى ماليدى دفاع كفؤ ، ممثل فى الكولونيل ويليس . ليفريت الابن ، بالإضافة إلى جوقة من الاحتجاجات الصادرة من رجال دين ألمان وغيرهم ، بالإضافة إلى بعض تفاصيل ما حدث – تفاصيل وجدت طريقها إلى الصحافة – مما حدا بالحاكم العسكرى الأمريكى ، الجنرال لوشياس د . كلاى ، إلى أن يطلب تحقيقا فى محاكمات داشوا . وفى ٢٩ يوليو ١٩٤٨ قام سكرتير الجيش بتعيين لجنة مؤلفة من قاضيين أمريكيين ، جوردون سمبسون من تكساس ، وادوارد فان رودين من بنسلفانيا ، والاثنان من ضباط الاحتياطى . وساعدهما الليفتنانت كولونيل تشارلز لورنس الابن . وقدمت اللجنة تقريرها إلى سكرتير الجيش فى أكتوبر ١٩٤٨ ، وأذيعت اجزاء مختارة من ذلك التقرير فى يناير ١٩٤٩ . اعقب ذلك ملاحظات اذاعها فان-رودين ، ويضع ملاحظات لسيمبسون ، إلى جانب تحقيق مستقبل لهيئة مراجعة عينها كلاى . وكان من شأن هذا كله كشف النقاب عن الامر بأسره ، إلى حد أن المدافعين عن المحاكمة لم يعودوا يتشاحنون الا حول عدد الاسرى الألمان الذين تعرضوا للفظائع . واكدت هيئة المراجعة كل ما قاله فان رودين ، واعترضت فقط على عدد الفظائع[٢٤] . والغريب أن كلاى ، فى كتابه « قرار فى ألمانيا » ينفى

الفظائع ، لكن ماقاله فى هيئة المراجعة يتناقض وهذا الزعم .

وخلال عام ١٩٤٩ لفتت القضايا – وبخاصة قضية مالميدى – انظار الكثيرين ، وتشكلت لجنة فرعية يرأسها السناتور بولدوين لاجراء تحقيق . وكان هناك شاهد سبق له أن غطى – صحفيا – محاكمات داشوا ، وشهد بأنه بلغ من نفوره وتقززه مما جرى هناك أنه استقال من وظيفته وقال أن اللفتنانت بيرل ، وفرانك شتاينار ، وهارى و . ثون ، كانوا أكثر الجميع وحشية . وقال إن بيرل وزوجته كانا فى معسكرات اعتقال النازى وأن النازى قتلوا أم شتاينار . أما القاضى جوردون سمبسون (بخلاف فان رودين ، الذى يحاول أن يقدم أفضل تفسير ، وإن يكن بتحفظ شديد ، للحقائق المؤلمة التى تكشفت) فاعترف بأن الفريق كان ضعيفا ، وأن قلة عدد المحامين الأمريكيين الذين يتكلموان الألمانية ، وقلة عدد المترجمين الفوريين ، أجبر الجيش على الاستعانة « ببعض اللاجئين الألمان » . ومرة اخرى ظهر شتاينار ، وكيرشباوم ، وثون (الذى صار فيما بعد رئيسا لقسم التقييم فى الإدارة المدنية للحكومة العسكرية الأمريكية) وأنكروا كل شىء ، لكنهم اهتزوا أمام شهادة المحقق بروثو جيكوب ، الذى اعترف ببعض الوقائع . كذلك فإن المحققين دوايت فانتون وموريس ايلوفيتز انكرا أمام الصحافة كل شىء . وانكر الكولونيل روزينفيلد كل شىء تقريبا . واتهم الليفتنانت كولونيل هارولد د . ماك جاوين – قائد الجنود الأمريكيين الذين ذبحوا فى مالميدى – بأنه صادق الكولونيل النازى يواقيم بايبار ، القائد الألمانى ، وأن هذا يفسر لماذا ظهر ماك جاوين فى داشو كشاهد دفاع لصالح بايبار ، وكيف أنه شهد أن بايبار عقدت معه مباحثات وأنه كان مسئولا عن انقاذ عدد من الأمريكيين . وادى روزينفيلد – لاثبات وجود مؤاخاة بين الاثنين – آن ماك جاوين وبايبار » بلغ بينهما الود مبلغه خلال الليالى التى قضياها فى التحدث سويا » وأنه عندما استطاع بايبار ورجاله أن يهربوا فيما بعد من فخ نصبه الجيش الأمريكى « كان ماك جارين معهم » . لقد كان ماك جاوين ، بالطبع سجين بايبار(٢٥) .

ورب قائل ، بالطبع ، أن « محاكمات » داشوا هذه – التى هى أشبه بالكوابيس – ليس لها صلة كبيرة بموضوعنا لأن معايير محاكمات نورمبرج لا تقاس بشىء ، ولأنه مرددى أسطورة الابادة لا يستندون إلى أية « أدلة » ظهرت فى تلك المحاكمات . أن هذه الحجج تنطوى على شىء من الصحة ، فالوحشية والقمع لم تبلغا فى محاكمات نورمبرج الشهيرة ما بلغتاه فى محاكمات داشوا ، والابادات الجماعية لم تتأكد فى محاكمات داشوا (رغم أن

غرف الغاز ظهرت فى حين لآخر فى الشهادة) . لكننا لا نستطيع أن ننحى محاكمات داشوا جانبا بكل هذه البساطة ، ذلك أن الجهاز المسئول وهو فرع جرائم الحرب ، كان ضالعا جدا فى محاكمات نورمبرج أيضا ، كما لاحظنا وكما سنؤكد بعد قليل ، بالنسبة لجانب مثير بصفة خاصة . يضاف إلى هذا أن القمع قد استخدم بالفعل للتوصل إلى أدلة فى محاكمات نورمبرج . لكننا سنناقش القضية فى فصل لاحق .

لم تكن الدول الأربع الكبرى سعيدة بترتيبات المحكمة العسكرية التى تهمهم . كانت المحاكمات البريطانية تعكس اهتماما عاما ، وبنقاط لا تهمنا كثيرا هنا . أما المحاكمة الفرنسية الكبرى الوحيدة فكانت لكبير رجال الصناعة فى سار ، هيرمان روينحليينج ، الذى حاكمه الفرنسيون أيضا - غيابيا - بعد الحرب العالمية الأولى أما التخطيط للمحاكمات العسكرية الأمريكية فبدأ فى الواقع عام ١٩٤٥ ، وفى مارس ١٩٤٦ أنشئ فرع فى قسم جاكسون برئاسة تيلفورد تيلور - لهذا الغرض .

ويجدر بنا أن نلاحظ أنه فى كل هذه المحاكمات التى حوكم فيها النازى ، بدءا بالمحكمة العسكرية الدولية ، مرورا بـ « محاكمة » أيخمان عام ١٩٦١ (والتى لم يسمح فيها بشهود دفاع) إلى (محاكمة أوشفيتز » فى ١٩٦٣ - ١٩٦٥ (والتى لم تسمح حكومة بون خلالها بحضور راسينييه كمراقب) لم يملك محامو الدفاع مساعدين ، مدربين على البحوث للنظر فى الوثائق . يضاف إلى هذا أن الوثائق التى أتيحت لهم خضع جميعها ، تقريبا ، لسلطات الاتهام[٢٦] . وأيا كان الحكم القانونى على موقف كهذا ، فان من شأنه أن يضع أمامنا صورة جد مشوهة تاريخيا ، اللهم إلا إذا وقفنا من هذه الصورة موقف المتشكك .

وبمقتضى السلوك القانونى للاحتلال كان هناك قيد هام يقيد محكمة نورمبرج العسكرية وغيرها من المحاكم التى تعقدها دول بمفردها :

« إن بت المحكمة العسكرية الدولية فى الاحكام . . بأن عمليات الغزو ، أو الأعمال العدوانية ، أو الجرائم ، أو الفظائع أو الأعمال اللاانسانية ، تمت أو وقعت بتخطيط ، سيكون ملزما للمحاكم التى تنشأ بمقتضى هذا ، ولن تكون هناك مساءلة لهذه الأحكام اللهم الا فيما يتعلق باشتراك شخص معين فيها ، أو معرفته بها . وما تعلنه المحكمة العسكرية الدولية من احكام . . يشكل دليلا على الوقائع المذكورة ، فى حالة عدم وجود دليل جديد ملموس على العكس » .

وفى محكمة نورمبرج العسكرية كانت هناك منظمتان متميزتان اداريا . تتمثل إحدى

المنظمتين فى مجموعة « المحاكم العسكرية » ، القضاة الذين يمارسون مهامهم – اداريا – من خلال أمانة عامة يرأسها أمين عام . وكانت مصلحة الجيش هى التى تجند هؤلاء القضاة الأمريكيين . وكان يجلس فى كل محاكمة ثلاثة قضاة أو أكثر .

أما المنظمة الثانية فكانت مكتب مجلس جرائم الحرب (تيلفورد تيلور) ، التى خرجت إلى حيز الوجود فى ٢٤ أكتوبر ١٩٤٦ ، فور مقتل ريبينتروب وغيره مباشرة . ولقد خرجت بأول اتهام لها فى اليوم التالى فورا . ورغم الاختلاف تافه فى اسماء المناصب فإن تيلور ، الذى كان مستشارا مساعدا بالمحكمة العسكرية الدولية هو الذى خلف جاكسون فى الواقع فى المحاكمات التى دارت بمحكمة نورمبرج .

وفى الكتاب الحالى سنفيض كثيرا فى ذكر محاكمات نورمبرج العسكرية . غير أن القارئ يستطيع أن يستخلص روح هذه الاجراءات حتى من مجرد ملاحظات ساقها بعض القضاة الأمريكيين الذين جندهم الجيش الأمريكى للجلوس فى نورمبرج . وطبيعى أنهم لم يكونوا يرحبون عادة بأن ينتقدوا – علانية – مالاحظوه . من أجل هذا فإن أحد القضاة فى محاكمة فاربين أسر إلى الاتهام « بوجود عدد كبير جدا من اليهود فى الاتهام » ولم يكن يقصد أن يكون تعليق للنشر . غير أن القاضى الأول فى القضية ٧ (محاكمة جنرالات ألمان بتهمة الاغتيال الجماعى للاسرى) – وهو تشارلزف فينارستروم – تحدث بصراحة وعنف ، فور النطق بالاحكام مباشرة(٢٨) :

« لو كنت أعلم ، منذ سبعة شهور ، ما أعلمه اليوم ، ما أتيت إلى هنا » .

من البديهى أن المنتصر فى أى حرب ليس هو أفضل حكم على تهم ارتكاب جرائم حرب . ومهما حاولت فلن تستطيع أن تقنع الدفاع ، أو مستشارى الدفاع ، وتقنع شعب المتهمين ، بأن المحكمة لا تمثل البلد الذى جند القائمين بالمحاكمة ، لا الجنس البشرى بأسره .

وما قلته عن الطابع الوطنى للمحاكم ينطبق أيضا على الاتهام . انى لم أجد تلك المثل العليا التى قيل إنها الباعث وراء تأليف هذه المحاكم .

لقد فشل الاتهام فى أن يباعد بين الموضوعين والانتقام ، وبين الموضوعية والطموح الشخصى إلى الادانة . لقد فشل فى السعى لوضع سوابق قد تساعد العالم على تجنب الحروب فى المستقبل .

ان رائحة كريهة تفوح هنا من الجو بأكمله . ثمة حاجة الى لغويين . والأمريكيون فقراء

فى اللغات بشكل ملحوظ . وتم استخدام محامين ، وكتبه ، ومترجمين فوريين ، وباحثين وهؤلاء لم يصبحوا أمريكيين الا فى السنوات الأخيرة ، ونشأتهم قد تشربت بالكراهية والتحيزات التى تبديها اوروبا .

كان هدف المحاكمات أن تقنع الألمان بالذنب الذى ارتكبه قادتهم . لكنها اقنعت الألمان بشىء واحد ، وهو أن قادتهم خسروا أمام منتصرين خشنيين .

وكانت معظم الادلة فى المحاكمات فى شكل وثائق ، تم اختيارها من بين اطنان السجلات التى تم الاستيلاء عليها . وكان الاتهام هو الذى يقوم بعملية الاختيار . أما الدفاع فلم يكن يستطيع الوصول الا للوثائق التى يرى الاتهام أنها تهم القضية .

وأدخلت محكمتنا لائحة تنص على أنه إذا قام الاتهام بتقديم مقتطفات من وثيقة وجب توفير الوثيقة بأكملها للدفاع لاستناد اليها فى الادلة . واعترض الاتهام على هذه اللائحة بشدة . وحاول الجنرال تيلور – خارج المحكمة – أن يدعو إلى اجتماع للقضاة لالغاء هذا الأمر . لم يكن هذا مسلك مسئول فى المحكمة لديه ضمير وينشد العدالة الكاملة .

ومن الأمور البشعة أيضا ، فى نظر العدالة الأمريكية ، اعتماد الاتهام على اعترافات يدين فيها المهتمون أنفسهم بعد أن ظلوا أسرى لأكثر من عامين ونصف ، إلى جانب الاستجواب المستمر دون حضور مستشارين . أن السجن لعامين ونصف عام هو شكل من أشكال الاكراه بالتهديد فى حد ذاته .

كذلك فان رفض الالتماس جعلنى أشعر أن العدالة لم تأخذ مجراها .

. . . لابد أن تذهب إلى نورمبرج . ستجد هناك قصرا من العدالة يضم أناسا ١٠ ٪ منهم مهتمين بالالتهام والادانة .

. . يجب توفير مزيد من المعلومات عن المحاكمات للشعب الألمانى ، ويجب أن يكون للمتهمين الألمان الحق فى الاستئناف أمام الأمم المتحدة .

ومن سخرية القدر أن صحة هجوم فينرستروم على انهيار ، أو انعدام ، معايير الاتهام فى نورمبرج قد تأكد بسبب الطريقة التى دربها تيلفورد تيلور على تصريحات فينرستروم التى كان المقصود منها أن تكون سرية داخل نورمبرج ، غير أنها نشرت فى الـ « شيكاغو تريبون » . فلقد قام مراسل الـ « تريبون » ، هال فوست ، بارسال الرسالة إلى برلين ، كى تنقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، عبر قناة اذاعية مفروض أنها لا تخضع للتصنت . . غير أن الاتهام – ربما عن طريق استخدام خدعة – عمد إلى الحصول على نسخة من

الرسالة وسرعان ما قام ارنست س . دين ، سكرتير تيلور الصحفى ، بمكالمة فوريست تليفونيا فى محاولة « لاقناعه بعدم ارسال القصة » . غير أن القصة كانت قد أرسلت بالفعل ، وكان رد فوست أن « تيلور لا يمكن أن يعلم بمضمون القصة الا عند نشرها » . وكان أن أعد تيلور ردا على ملاحظات فينرستروم . بل واذيع الرد على الجمهور قبل أن تنشر الـ « تريبون » قصة فوست التى تتضمن هجوم فينرستروم ووجه تيلور إلى القاضى اتهامات عدة من بينها أنه أدلى بملاحظات « تهدم مصالح وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية » وعندما وصل فينرستروم إلى الولايات المتحدة عقب نشر « رد » تيلور وقصة الـ « تريبون » لم يتزحزح عن موقفه ، وانتقد تيلور مرة أخرى .

كانت هذه الحادثة منه أبرز حوادث « التجسس الحكومى » فى عام ١٩٤٨ . وأصدر الجيش أمرا ضد مثل هذا التجسس ، وأشارت تكهنات كثيرة إلى أن تيلور سيحاكم عسكريا وعندما سأل المراسلون تيلور عن رأية فى شرعية ما اقدم عليه دار الحوار التالى :

أجاب « لا أدرى ما إذا كان قانونيا أم لا » .

« ألم تكن مستشارا عاما لهيئة الاتصالات الفيدرالية لعامين ، قبل أن تلتحق بالجيش ؟ » .

« نعم ، لكن ما علاقة هذا بذاك ؟ » .

وتشبث تيلور بعدم ابداء الرأى فى شرعية ما اقدم عليه لكنه بعيدا عن النشر عبر عن رضائه عن نفسه كضابط ميدان . . وهو مالم يحدث . . ضابطا انتصر على العدو بحيلة لا تعترف بها قوانين الحرب التى نصت عليها اتفاقية جنيف لعام ١٩٠٧ » .

هذه السطور مأخوذة من قصة هال فوست التى حكى فيها عن وقائع المؤتمر الصحفى الذى تحدث فيه تيلور . وقال فوست إنها المرة الثانية التى يتدخل فيها الجيش فى رسائله إلى صحيفة ، وأن عملاء الجيش قبضوا عليه – فى المرة الأولى – واستجوبوه ، بعد أن بعث برسالته الصحفية .

وطبيعى ، فى دراستنا لمحاكمات نورمبرج ، أن يهمنا أن نعرف من الذى اشرف على سير العمل فى محكمة نورمبرج العسكرية . كان تيلور ، من ناحية الشكل ، يشرف على كل شىء تقريبا باستثناء تعيينات القضاة ، ذلك أن المسئوليات الرسمية لرئيس المستشارين لم تكن قاصرة على مجرد الاتهام فى القضايا . كذلك كان مكتبه مسئولا أيضا عن تحديد من الذى يجب محاكمته ومن الذى لا يحاكم (لم تكن هناك اجراءات منفصلة يتم بمقتضاها اعداد

الاتهام ، لم يكن هناك فريق محلفين مثلا) ، وأى تهم توجه للمتهم وكيف يتم التصرف فيمن سينجو من المحاكمة . كذلك اضطلع المكتب بمهام جهاز العاملين فى نورمبرج ، ومن ثم نتصور أن المكتب اضطلع – ولو من الناحية الشكلية – بمسئولية جهاز العاملين (الذى تضخم) فى نورمبرج . هكذا بات المكتب مسئولا عن الاستجوابات ، والعمل الميدانى ، وفحص الوثائق وتغطية ما يدور فى المحكمة ، والترجمة والترجمة الفورية[٢٩] .

ولقد سقنا الأسباب التى تدعونا إلى أن نتوقع أن جهاز العاملين فى نورمبرج سيكون تحت الاشراف الفعال لفرع جرائم الحرب ، وسنرى قريبا أنه أيا كانت سلطات تيلور الرسمية الا أن سلطاته الفعلية لا توحى بأنه صار مسئولا عن جهاز العاملين فى نورمبرج بشكل فعال ورغم أن فرع جرائم الحرب قائم بعيدا ، فى واشنطون ، الا أننا سنأخذه فى الاعتبار ونحن ندرس محاكمات نورمبرج .

فى ١٢ يونيه من عام ١٩٤٨ نشرت الصحف الأمريكية قصة مؤداها أن ضابطا فى الجيش الأمريكى – هو الكولونيل ديفيد (ميكى) ماركوس ، خريج ويست بوينت والذى يعمل تحت اسم « ميكى ستون » قتل وهو يحارب بوصفه القائد الأعلى فى قطاع القدس ، وذلك خلال الحرب اليهودية العربية من أجل السيطرة على فلسطين (الواقع أن ماركوس لقى حتفه خطأ برصاص واحد من حراسه) . ونشرت الـ « نيويورك تايمز » نبذه عن حياته وأعماله . عمل فى نيويورك قبل الحرب « مندوبا للتصحيحات » ، وعاون ، وهو ضابط بالجيش ، فى صياغة شروط التسليم الألمانية والايطالية . وعمل مساعدا قانونيا فى مؤتمر بوتسدام (صيف ١٩٤٥) فاذا اقتصرنا فى استنتاجاتنا على تقريظ الـ « نيويورك تايمز » وحده فمن المفروض أن تنتهى حياته العملية عند هذه النقطة . فلا أحد يحدثنا عن أى نشاط آخر لماركوس ، إلى أن ظهر مع الهاجانه بفلسطين فى يناير ١٩٤٨ ، ثم يزور الولايات المتحدة فى ابريل ، ويتلقى ميدالية فى حفل بالسفارة البريطانية بواشنطون (ربما كغطاء للتفاوض حول تفاصيل الانسحاب البريطانى النهائى) ، ثم يعود إلى فلسطين بعد ثلاثة أسابيع ، ليتقلد منصبه فى القدس . والاشارة الوحيدة إلى أى نشاط له فى الفترة من أغسطس ١٩٤٥ إلى يناير ١٩٤٨ هى قصة نشرت فى ٢٤ يونيه – الصفحة ١٥ – وجاء فيها أن الصحيفة اللندنية « ديلى تلجراف » نشرت بنفس التاريخ .

« انه عند موته كان كولونيلا » بمكتب المدعى العام ، بفريق ضباط الاحتياط . . ورغم أنه لم يكن خاضعا للجيش الا أنه وافق على أن يظل رهن الاستدعاء » .

الواقع أن ماركوس خلف فيار كرئيس لفرع جرائم الحرب . وعقب الحرب مباشرة صار « الرجل رقم ثلاثة فى رسم السياسة الأمريكية » فى ألمانيا المحتلة ، غير أنه نقل من ذلك المنصب فى مطلع عام ١٩٤٦ لكى يضطلع بمهمة جرائم الحرب . وأصبح تعيينه نافذا بدءا من ١٨ فبراير ١٩٤٦ ، غير أنه قضى بضعة شهور فى اليابان بعد مغادرة ألمانيا ، ثم انتقل إلى مكتب جرائم الحرب فى واشنطون فى يونيه . وظل رئيسا لفرع جرائم الحرب حتى ابريل ١٩٤٧ ، وتقاعد من الجيش وانصرف إلى المحاماة[٣٠] .

من الواضح أن ملاحظاتنا السابقة توحى بأن فرع جرائم الحرب هو فى الواقع الجهاز الذى اضطلع بالمهام الكبار فى محكمة نورمبرج العسكرية . هذا ما حدث ، وهو ما توضحه قراءة متأنية لتقرير تيلور الختامى الرسمى عن محاكمات محكمة نورمبرج العسكرية ، غير أن هذه الحقيقة لا تلقى تركيزا هناك[٣١] . ويؤكد هذه الحقيقة ذلك الكتاب اللافت للنظر من تأليف جوسياه أ . دوبوا ، الذى رأس الاتهام فى محاكمة أ . ج . فارين بمحكمة نورمبرج العسكرية ، كما أن كتاب برلمان عن ماركوس يرسم بعض الخطوط لهذا الجانب فى حياة ماركوس العملية[٣٢] .

عين ماركوس رئيسا لفرع جرائم الحرب كى يضطلع أساسا « بتلك المهمة العملاقة : اختيار مئات القضاة ، ومدعى العموم ، والمحامين » لمحكمة نورمبرج العسكرية ولمحاكمات الشرق الأقصى (طوكيو) . وفى ديسمبر من عام ١٩٤٦ استدعى دوبوا إلى مكتب ماركوس فى واشنطون ليناقش امكانية اضطلاع دوبوا . بمهمة المدعى ضد كبار المسئولين فى الشركة الألمانية الضخمة للكيماويات : أ . ج . فارين . كان دوبوا حائرا ، ومن أجل هذا اجتمع طويلا مع ماركوس لمناقشة مختلف المشاكل ، من بين هذه المشاكل توافر أو عدم توافر ما يكفى من الأدلة لاتهام فارين بتدبير « حرب عدوانية » ، فإذا كان الأمر كذلك فما هى الآثار السياسية التى تنجم عن هذا الموقف . وناقشا المزايا العامة لمثول رجال فارين أمام المحكمة . ومن النقاط التى أثارها ماركوس أن المحاكمة قد تكشف كيف أن فارين سعت إلى التوصل إلى أسلحة معينة فى جو من السرية التامة كذلك فانه إذا ما ترك الأمر لهم فقد يشرعون فى التعامل مع الروس . وأبدى ماركوس معرفة كبيرة بأمور فارين . وأشار إلى أن هناك « مخزنا عامرا » بسجلات فارين فى الإسكندرية القريبة ، بولاية فرجينيا ، وقد نسى دوبوا هذه الحقيقة إلى ان اجبرته الحوادث ، بعد ذلك ، على أن يتذكرها ويرجع إليها خلال التحريات السابقة على المحاكمة .

ثم وصلا إلى الفترة الزمنية اللازمة لاجراء التحريات قبل المحاكمة . وقال ماركوس « بالنسبة لى تستطيع أن تذهب إلى هناك طيلة الفترة التى تروق لك ، قصرت أم طالت » . « ويقول دوبوا أنه قد يحتاج إلى أربعة شهور ، ويجيب ماركوس » ليس لدى اعتراض على ذلك . وفى خلال أيام معدودة من عودتك إلى دارك قد تصلك برقية من تيلفورد تيلور يعلن فيها عن موافقته » .

كان تيلور فى اوروبا بالطبع ، بوصفه رئيس المستشارين . ويسجل دوبوا أنشطة تيلور المتعلقة بمحاكمة فاربن ، أنه يحبذ اقتراحا من أحد العاملين لديه بأن يكون دوبوا (هذا العامل سبق أن عمل تحت أمرة دوبوا بوزارة الخزانة خلال الحرب) هو المدعى العام الذى سيوجه الاتهام إلى فاربن . ويتم ارسال التوصية إلى واشنطن . وبعد أن يتسلم دوبوا مهام منصبه يزمع مقابلة تيلور كى يحصل على موافقة تيلور بضم رجل آخر – يحدده دوبوا – للانضمام إلى جهاز المدعى العام – وتتم الموافقة . وذهب تيلور إلى باريس ليلتمس من مجلس الوزراء الفرنسى تسليم متهم يعد من كبار رجالات فاربن . والقى تيلور الكلمة الافتتاحية خلال محاكمة فاربن ثم اختفى من المداولات . لم يشترك تيلور فى التحقيق السابق على المحاكمة أو فى صياغة التهم التى حددها الادعاء .

ان هذا كله يوحى ، وبشدة ، بأن دور تيلور كان فى مجال العلاقات العامة وأنه لم يشترك – على نحو كبير – فى تفاصيل إدارة المحاكمات ، رغم أنها مسئوليته من الناحية الرسمية . لابد أن شخصا ما ، أو اشخاصا ، يضطلعون بالمسئولية الفعلية وليست هذه بالمواقف غير المعتادة فى عمليات على نطاق كبير .

وتبين الحقائق أن المنظمين الحقيقيين لمحاكمات محكمة نورمبرج العسكرية لم يكونوا فى الضوء مثلما كان تيلور ، الواقع أن تيلور كان « الواجهة » ، وربما تم هذا عن قصد . وليس من شك فى أن ماركوس ، بوصفة رئيس فرع جرائم الحرب مارس سيطرة فعالة على الكثير من العاملين فى جهاز نورمبرج ، وكان ينتقى القضاة والمحامين للمحاكمات (مع استثناءات قليلة) . ويبين الكتاب الذى وضعه دوبوا أن تيلور لم يكن ضالعا فى المحاكمات من الناحية العملية ، لا مفر من أن نستنتج ، إذن ، أن السلطات الفعلية لمكتب تيلور كان يمارسها فرع جرائم الحرب أو أشخاص تابعون لتيلور . وحين ندرس الأسماء البارزة فى الفئة الأخيرة نصادف اسم روبرت م . و . كمبنر ، الذى سنتحدث عنه فى الفصل الخامس .

ويبدو أن ماركوس كان مهما حقا ، ولم تكن أهميته لتتناسب وتلك الرتبة العادية

نسبيا ، رتبة كولونيل ، ويقال لنا أنه أعطى ، خلال الحرب « انطباعا طيبا » . . وكان من القلة غير المعروفة التى ترسم السياسة الأمريكية من وراء ستار . « ثم رجل ارتبطت حياته العملية بماركوس ارتباطا وثيقا بشكل ملحوظ ، وهو الجنرال ج . هـ . هيلدرنج الذى رأس قسم الشئون المدنية للجيش ، وهو القسم الذى التحق به ماركوس عام ١٩٤٣ . كان هذا القسم قد أنشئ عام ١٩٤٣ داخل قيادة أركان الجيش توقعا للحاجة إلى فريق يعنى بالسياسة التى تتبع فى الأراضى المحتلة . وكان هناك تفكير فى تعيين فيوريلولا جواردبا رئيسا لهذا القسم ، غير أن المنصب كان من نصيب هيلدرنج . وأصبح ماركوس عضوا فى فرع التخطيط بهذا القسم ، ثم صار فيما بعد رئيسا لهذا الفرع . وأثبت ماركوس وجوده بفضل نشاطه بالقسم ، وكان الحاقه بالحكومة العسكرية بألمانيا نتيجة مباشرة للمسئوليات التى أضطلع بها فى قسم الشئون المدنية بالجيش . وهيلدرنج هو الذى أخذه ، بعد بضعة شهور ، من منصبه فى الحكومة العسكرية وأسند إليه رئاسة فرع جرائم الحرب (وهو الفرع الذى نقل إلى قسم الشئون المدنية بالجيش فى ٤ مارس ١٩٤٦) . وفور هذا انتقل هيلدرنج إلى وزارة الخارجية كمساعد وزير لشئون مشاكل المناطق المحتلة ، وبحكم هذا المنصب رأس أمانة لتنسيق سياسة الجيش والبحرية والخارجية فى ألمانيا . وفى سبتمبر ١٩٤٧ ترك وزارة الخارجية وأصبح مستشارا لوفد الولايات المتحدة الأمريكية لدى الأمم المتحدة ، حيث دارت المعركة الدبلوماسية بين الصهيونيين والعرب . كان هيلدرنج « عملاقا قويا » منذ البداية . . وصفه جسر معلومات مع الممثلين اليهود ، كان كثيرا مايتباحث مع واضعى الاستراتيجية الصهيونية وفى الوقت الذى عين فيه ماركوس قائدا أعلى فى القدس أعيد هيلدرنج إلى الخارجية كمساعد وزير لشئون فلسطين . وأخذت المصادر الصهيونية تتفاخر فيما بعد بأن منصب الأمم المتحدة ومنصب وزارة الخارجية الأمريكية كانا نتيجة مباشرة للتحركات الصهيونية(٣٣) . يا لهما من فريق : ماركوس وهيلدرنج .

إن شغل منصب فرع جرائم الحرب بصهيونى متعصب « أول جندى منذ عصر التوراة يشغل رتبة جنرال فى جيش اسرائيل » لا تقتصر دلالته على الطريقة التى سيستغل بها الصهيونيون هذا الوضع ، وإنما هو يكشف أيضا ، وبطريقة بسيطة ، عن طبيعة القوى السياسية الشاملة فى المحاكمات . هذه هى النقطة الهامة . ليس أدعى من هذا التعيين مثارا للشك حول طبيعة المحاكمات .

وفى ظل ظروف سياسية كهذه سيكون من الغباء ألا نتوقع « محاكمات » مرسومة وعلى

هذه الصفحات سنفضح بجلاء ما ارتبط بذلك من أكذوبة « الابادة » .

والكتاب الحالى يخاطب أناسا على علم بالصورة الأوربية فى الحرب العالمية الثانية والسنوات السابقة عليها مباشرة . ولسنا ننوى هنا استعراض طبيعة الدولة النازية ، وأدوار جورنج ، وهيلر ، وجوبلز . . الخ . . أو الاجراءات المضادة لليهود قبل الحرب ، وان كنا سنمس هذه الأمور هنا وهناك حينما تستدعى الحاجة ذلك . ونحن نفترض أن القارئ على علم بالأحداث الكبرى والتواريخ التقريبية الخاصة بمسار الحرب .

وعندما كانت أوروبا تحت سيطرة الألمان لم تكن منظمة وفقا لمعاهدة فرساى ، والرسم رقم ٣ يعرض خريطة أوروبا على النحو الذى نظمت به فى خريف ١٩٤٢ ، عندما وصلت قوة هتلر إلى الذروة . كانت ألمانيا قد ضمت إليها النمسا ، والألزاس واللورين ، وجزءا فى تشيكوسلوفاكيا ، وشطرا كبيرا من بولندا (وهو أساسا الجزء الذى اقتطع من ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية) . أما الجزء الذى تبقى من بولندا فسمى « الحكومة العامة » وكانت فى حكم المقاطعة التابعة ، التى يحكمها الألمان . ينسحب هذا أيضا على ولايات البلطيق الثلاث : لتوانيا ، لاتفيا ، استونيا . وكان وضع التبعية ينسحب أيضا على روسيا البيضاء ، وأوكرانيا ، وبوهيميا – مورافيا (تشيكوسلوفاكيا الغربية سابقا) وبانات (وقد ظلت لفترة طويلة جزءا من المجر يسوده ألمان من المنطقة) . أما الجزء الشرقى من تشيكوسلوفاكيا فأصبح ولاية سلوفاكيا المستقلة ، بينما أعيد تنظيم يوغوسلافيا لتصبح كرواتيا والصرب ، وفقا للقوميتين الكبريين من خمس قوميات تألفت منها يوغوسلافيا . وكان لايطاليا مصالحها فى ذلك الشطر من أوروبا ، فسيطرت على ألبانيا ، وشاركت حليفتها ألمانيا فى النفوذ فى البلدان المجاورة . كذلك تحالفت فنلنده والمجر ورومانيا وبلغاريا مع ألمانيا ، وقام الرايخ وافين (واحدات عسكرية نظامية داخل الرايخ) بتجنيد القوات فى كافة أنحاء أوروبا ، وبخاصة فى ولايات البلطيق ، وفى أوكرانيا ، واسكندناوه ، وهولنده ، وبلجيكا .

واحتل الألمان النرويج ، والدانمارك ، وهولنده ، وبلجيكا والكثير من فرنسا (ثم فرنسا بأكملها بعد ذلك) أما السويد ، وسويسرا ، وإسبانيا ، والبرتغال فظلت محايدة طيلة الحرب .

ومن المناسب أن نستعرض ، عند هذه النطقة ، بعض الأمور المتعلقة بالرايخ ، ذلك الجهاز البيروقراطى الغريب الذى كان مسئولا عن مزيج – غير معقول – من المهام .

ولا يهمنا فى هذه الدراسة الا ثلاثا من هذه المهام : الأمن – إدارة معسكرات الاعتقال سياسة الاستيطان .

ثمة وكالة كانت من أشهر الوكالات التابعة للرايخ ، وهى مكتب الأمن الرئيسى للرايخ ، وكانت تضم الجستابو (بوليس الدولة السرى ، الذى يرأسه اللفتنانت جنرال مويلر من الرايخ) ، وجهاز الأمن (الذى يرأسه اللفتنانت جنرال شيلينبرج) ، والشرطة الجنائية (التى يرأسها من الرايخ الفتنانت جنرال ينبى الذى خلفه الليفتنانت جنرال بانتزينجر) ، هذا إلى جانب مهام مشابهة . وكان أول رئيس لمكتب الأمن الرئيسى للرايخ هو الجنرال راينهارد هايدريخ ، وكان شابا طموحا قاسيا ، كسب بوسائله أعداء كثيرين .

ومنذ حركة تطهير روىم ، عام ١٩٣٤ ، أسفرت مطامح الريخ – الكبيرة – فى ميدان الشئون العسكرية عن صراع متعاظم بين الرايخ والمؤسسة العسكرية النظامية ، ولم يكن الويرماخت وهايدريخ متهاونين فى الأسلوب الذى لجأ إليه فى هذا الصراع . ففى عام ١٩٣٨ أجبر الجنرال بلومبرج وزير الحربية ، على الاستقالة ، بأن كشف أن زوجة بلومبرج الجديدة كانت عاهرة . وكان من المقدر أن يخلف بلومبرج الجنرال فون فريتش ، فما كان من هايدريخ إلا أن رسم صورة لفون فريتش تستند إلى ادعاءات مزيفة بأن فون فريتش به شذوذ جنسى . ورغم أن فريتش قد برئت ساحته بعد ذلك إلا أن سمعته العملية كانت قد دمرت ، وتعاظمت المرارة تجاه هايدريخ .

وكان هناك منافس آخر للرايخ فى المؤسسة العسكرية . كانت أجهزة المخابرات الالمانية تضم الأبوير : المخابرات العسكرية الألمانية ، المسئولة أمام القيادة العليا للجيش ، والتى رأسها – منذ ١٩٣٥ – الادميرال ويلهلم كاناريس . وكان هناك أيضا فرع المخابرات السياسية التابع لها يدريخ وهملر. ونظرا لتعذر الفصل بين هذين النوعين من أنشطة المخابرات كان لا مفر من أن يصبح كاناريس غريمين . ويبدو أن هايدريخ حاول التعاون مع كاناريس ، فى البداية على الأقل ، وربما يرجع هذا إلى كون هايدريخ – فى الماضى ظابط مخابرات فى البحرية خدم وتدرب – فى العشرينات – تحت إمرة كاناريس بل كان يزوره فى بيته من حين لآخر .

ومما هو أكثر دلالة أن الادميرال كانا خائنا ، أنه أحد ألغاز الحرب العالمية الثانية الرهيبة . فخلال بل وقبل الحرب (كان على اتصال بتشرشل عام ١٩٣٨) خدع كاناريس ألمانيا كلما سنحت الفرصة . ولقد عبر أحد المسئولين البريطانيين عن دور كاناريس بايجاز

بليغ إذ قال «كان لنا الادميرال كاناريس» وتظل بواعث هذا الرجل غامضة غموض شخصيته وسوابقه. ونذكر هنا أن ايان كولفين، وهو أحد الثقات فى أنشطة المخابرات خلال الحرب العالمية الثانية، ألف كتابا كاملا عن كناريس، غير أنه لم يحل لغزه ابدا:

«والحكم متروك للقراء ليقولوا ما إذا كان الادميرال ويلهلم كاناريس وطنيا ألمانيا أم جاسوسا بريطانيا، رجل سياسة أوروبى أم مدير دسائس دولى، عميلا مزدوجا، انتهازيا، ام رائدا. ولن يسهل على القراء الوصول إلى قرار».

وقد يكون من المناسب أن نذكر هنا أن الرجل الذى وصفه كولفين فى كتابه عام ١٩٥١ بأنه أحد «اصدقاء كاناريس» «الشخصيين الحميمين» – وهو أوتو جون – ورجل الابفير فى العاصمة المحايدة الهامة – لشبونة – خلال الحرب العالمية الثانية، هذا الرجل أصبح فيما بعد رئيس أمن الدولة بحكومة بون، ثم اتضح (عام ١٩٥٦) أنه عميل سوفييتى(٣٤).

ويحدث أحيانا الا تفهم قضية كاناريس على وجهها الصحيح، فيضم اسم كاناريس إلى اسم الرجال الذين هم وراء الانقلاب الفاشل فى ٢٠ يوليو ١٩٤٤. وهذا ضرب من الخطأ الكبير، فكاناريس استخدم كل مالديه من نفوذ لخيانة ألمانيا، أم رجال ٢٠ يوليو فخانوا هتلر وحده، ولم يكونوا ليخونوا ألمانيا قط. ليس هناك إنجليزى يستطيع أن يقول بعد الحرب بصدق «كان معنا ايروين روميل». وأقصى ما يمكن أن يقال عن اشتراك كاناريس هو أنه كان على علم – دون شك – بالمؤامرة فى مراحلها الأولى، وطبيعى أنه ترك لدى أعضائها بأنه معهم. كان كاناريس أستاذا كبيرا يتقن اعطاء مثل هذه الانطباعات.

ولنعد إلى هايدريخ: إن الطموح الكبير أدى إلى تعيين جنرال الريخ الشاب نائب حامى بوهيميا – مورافيا فى أواخر ١٩٤١. وهكذا أخذ يبدو أكبر ممن هم أعلى منه فى المراتب: فوهرر الرايخ: هنريخ هملر. وقد يبدو من المناسب أن نتصور هنا أن هايدريخ ربما بدأ يدرك لعبة كاناريس، فبوصفه رئيس مكتب أمن الرايخ الرئيسى، وشريكا سابقا لكاناريس، لم يكن هناك من هو أقدر منه، وأكثر منه رغبة، فى التغلغل إلى سر كاناريس. وعندما نفكر فى العداء للجيش، ذلك العداء الذى استعر واستمر طويلا، سيبدو أن هايدريخ كسب، بمطلع ١٩٤٢، أعداء كثيرين أقوياء فى ألمانيا. هكذا فما يلفت النظر أن يقال إن الانجليز – فى هذه المرحلة من راحل حياة هايدريخ العملية، تخلصوا منه مصادفة فى مايو ١٩٤٢ بأن أوفدوا إليه اثنين من القتلة من حيث لا يدرى

ولا يحتسب ووفقا للمألوف فى « سيناريوهات » الاغتيالات السياسية (كاغتيال أبراهام لنكولن وجون ف . كيندى) قيل إن الذى وجهت اليهم تهمة الاغتيال لقوا حتفهم قبل أن تتاح لهم فرصة الكلام .

عمت الدهشة الجميع حينما شغل منصب هايدريخ – فى أوائل ١٩٤٣ – الدكتور ارنست كالتينبرونر ، غير المشهور نسبيا . ومن الواضح أن هملر أراد الا يتكرر ما حدث بالنسبة لهايدريخ ، ومن أجل هذا احتفظ بسيطرة شبه مباشرة على الجستابو وجهاز المخابرات ولم يكن هذا عهده فى الماضى . ومع ذلك ظل الجهازان مسئولين رسميا ، أمام رئيس المكتب الرئيسى لأمن الرايخ ، أى الدكتور كالتينبرونر كذلك كلف هملر كالتينبرونر بمهمة خاصة : بناء مخابرات جهاز الأمن . جاء قرار هملر فى حينه ، ذلك أن كاناريس انتهى نفوذه (دون أن ينكشف عنه السر تماما) فى فبراير ١٩٤٤ ، وبمقتضى مرسوم خاص من هتلر آلت كل مهام المخابرات العسكرية والسياسية إلى المكتب الرئيسى لأمن الرايخ ، وهكذا توحدت كل أنشطة المخابرات فى ظل رئيس الامن شيلينبرج . وتم القبض على كاناريس بعد انقلاب ٢٠ يوليو وأعدم قبل نهاية الحرب مباشرة .

كانت إدارة معسكرات الاعتقال تابعة للمكتب الاقتصادى الادارى الرئيسى الـ WVHA برئاسة الجنرال أوسفالد بول . كان هذا الجهاز معينا بالدور الاقتصادى الناجم ، فى معظمه ، عن توافر العمالة ، ممثلة فى المعتقلين . وكان قواد معسكرات الاعتقال مسئولين أمام تفتيش معسكرات الاعتقال » ، الذى يرأسه البريجادير – جنرال : جلوكس ، المسئول بدوره أمام بول . وكان بول مسئولا أمام هملر ، وكان موازيا ، فى الرتبة ، لكالتينبرونر وهايدريخ .

وقد يكون من المناسب هنا أن نتحدث ، وبشكل عام جدا ، عن أحوال يهود اوروبا خلال عهد النازى . قبل الحرب لجأت الحكومة الألمانية إلى شتى الوسائل للتشجيع على هجرة اليهود من ألمانيا ، وغادر معظم اليهود الألمان ألمانيا قبل اندلاع الحرب . أما المشاكل الملحة التى اقترنت ببرنامج الهجرة هذا فتمثلت أولا فى ارتباك الاقتصاد ، نتيجة لتحرك اليهود خارج ألمانيا ، وتمثلت ، ثانيا ، فى صعوبة ترتيب ايواء اليهود فى بلاد أخرى . وبحلول صيف ١٩٤١ كانت ألمانيا تحارب روسيا ، وصار عدد كبير من اليهود – بمعنى الشطر الأكبر من كافة يهود أوروبا –فى مجال نفوذ ألمانيا . غير أن الحرب فتحت أمام الألمان أيضا – ومؤقتا – أراض جديدة شاسعة – ونتيجة لهذا ظهر فى خريف ١٩٤١ برنامج

لاعادة توطين اليهود . وخلال الحرب ، وطالما ظلت ألمانيا مسيطرة على أى جزء كبير من الأقاليم الشرقية ، تم استيطان يهود أوروبا فى هذه الأقاليم الشرقية . كذلك كان هناك عدد من الشباب اليهودى البالغ الذى تم تجنيده للعمل .

وبسبب مشاكل سياسية - معينة ، وبسبب اعطاء الأولوية لمتطلبات الحرب ، تم تنفيذ جزء من برنامج الاستيطان ، ولم يشمل هذا بالطبع ستة مليون يهودى . وإذا استبعدنا اليهود البولنديين والرومانيين ، فلربما بلغ عدد من تم استيطانهم من اليهود ٧٥٠ ٠٠٠ ، فى أوكرانيا ، وروسيا البيضاء ، ولاتفيا . ولم يخضع كل اليهود البولنديين لسيطرة الألمان . وإلى جانب من استطاعوا الهرب قبل الاحتلال الألمانى أو بعده ، عمد الروس - عام ١٩٤٠ - إلى ترحيل مئات الآلاف من اليهود - وربما مليون يهودى - من بولندا ، وتفرق هؤلاء فى ارجاء الاتحاد السوفييتى . أما معظم اليهود البولنديين الذين وقعوا فى قبضة الألمان فتكدسوا فى المعزل بشرق بولندا (حدود ١٩٣٩) .

ماذا حل بكل هؤلاء ؟ لا يمكن اثبات هذا الا بشكل عام جدا ، ذلك كل الأراضى التى تم توطين اليهود فيها أصبحت أراض سوفييتية بعد الحرب ، يضاف إلى هذا أن الدول المنتصرة عمدت إلى التكتم على البيانات بشكل كبير . ومع ذلك هناك من الأدلة ما يكفى لمساعدتنا على ادراك ما حدث على وجه التقريب . فرغ أنه يحتمل إلى حد بعيد - هلاك عدد كبيرً وسط الظروف المضطربة والفوضوية التى واكبت الانسحاب الألمانى ، الا أنه ثبت أن عددا كبيرا من اليهود - ومعظمهم كان يحمل الجنسية البولندية قبل الحرب - استوعبوا داخل الاتحاد السوفييتى أما باقى اليهود الذين بوعد بينهم وبين أوطانهم فاستوطنوا ، فى النهاية ، فلسطين ، والولايات المتحدة الأمريكية ، اوروبا ، وبلادا أخرى .

لقد سقنا هذه الملاحظات العامة هنا كى تكون خلفية تعين القارئ على تفسير التحليل الخاص بادعاءات « الابادة » ، وهى مهمة الفصول القليلة القادمة . غير أن الأدلة الكبرى على ما حدث حقا لليهود لن ترد قبل الفصل السابع .

كان المكتب الرئيسى لأمن الرايخ مسئولا عن تنفيذ جوانب هذه السياسة الخاصة باليهود . وكان هناك ، داخل الجستابو ، مكتب « ب ع » ويتبعه « القسم الدينى وقسم العبادات - فرع الديانة اليهودية برئاسة رجل يدعى كارل أدولف ايخمان ، الذى كانت أعلى رتبة وصلها هى رتبة ليفتنانت كولونيل أوكولونيل[٣٥] . اضطلع ايخمان بالعمل

الروتيني المضني المتعلق بالهجرة اليهودية وسياسات الاستيطان كما رسمتها الحكومة الألمانية ، ولقد انفق معظم وقته في الترتيب مع مختلف المجالس اليهودية لإعداد القوائم الخاصة بنقل اليهود ، والترتيب لوسائل نقل للذين يتم ترحيلهم . وليس هناك ما يدل على أن ايخمان اشترك يوما في رسم السياسة . وطالما أنه لم يشترك في ادارة معسكرات الاعتقال لا يمكن أن يكون ضالعا – على نحو مباشر – في أي شيء وقع في تلك المعسكرات .

لذا كان من المضحك أن يساق عدد كبير من الناس إلى كل هذا الاهتمام بقضية شخص مثل ايخمان ، شخص كان يضطلع بأعمال روتينية تماما في ألمانيا النازية . وكانت هذه الأعمال تنفذ وفقا لأوامر محددة صادرة من رؤسائه . ولقد أعطيت شهادته في القدس « بعد مشاورة رايتلينجر وبولياكوف ، و (ابراز) سبعة عشر رسما متعددة الألوان ، لم يفد كثيرا في فهم الجهاز البيروقراطي للرايخ الثالث[٣٦] . لست أرى في حكاية ايخمان الا خبطة دعائية من جانب دولة اعتادت على تجاهل المقتضيات التي تشعر دول أخرى بأنها ملزمة باحترام . وسنعرض في فصل لاحق ، مناقشة موجزة لقضية ايخمان . وشهادة ايخمان في القدس .

ثمة أجهزة أخرى في الرايخ كانت معنية بأنشطة الاستيطان ، ومنها : لجنة الرايخ لتدعيم الصبغة الألمانية ، برئاسة الجنرال أولريخ جراي فيلت – المكتب الرئيسي للأجناس والتوطين ، برئاسة الجنرال أوتو هوفمان ثم الجنرال رتشارد هيلدرانت – مكتب الاتصال الخاص بالألمان الاصليين برئاسة الجنرال فيرنر لوريتس . كانت مسئولية هذه المكاتب الرئيسية ، هي أن يعيدوا توطين الألمان الأصليين في المناطق المحتلة ، وكان جراي فيلت المسئول الرئيسي في هذا البرنامج . وكان لا مفر من اشتراك هذه المكاتب – إلى حد ما – في برنامج توطين اليهود .

الفصل الثانى

المعسكرات

عندما انهارت ألمانيا فى ربيع ١٩٤٥ حدث هذا بحملة دعائية مطولة من جانب الحلفاء ، حملة أخذت تدعى ، المرة بعد المرة ، أن الناس – وبخاصة اليهود – يلقون حتفهم فى « المعسكرات » الألمانية بشكل منتظم . وعندما استولى البريطانيون على المعسكرات القائم فى برجين – بيلسين شمالى ألمانيا وجدوا عددا كبيرا من جثث لم تدفن تحيط بالمعسكرات . واثر هذا وزعت على العالم كله صور مثل الصورة الموجودة تحت رقم ١٠ ، وصور لحراس ارتسمت التعاسة على ملامح وجوههم (رقم ١٢) .

واعتقد أن بيلسين ظلت تشكل (الدليل) الفعال على الابادات ، فى حملة الدعاية الجماهيرية . بل إنك تجد إلى اليوم مثل هذه المناظر ، يلوحون بها بين الحين والحين على أنها « دليل » .

والواقع أن هذه المشاهد ، التى تكررت بدرجات متفاوتة فى معسكرات ألمانية أخرى – مثل داشو وبوخينفالد – لا تتصل بـ « الابادة » بالقدر الذى تتصل به مشاهد فى درسدن بعد الاغارات البريطانية – الأمريكية فى فبراير ١٩٤٥ ، عندما تناثرت أضعاف أضعاف الجثث حول المعسكر[1] . أن الوفيات فى بيلسين كانت نتيجة فقد الزمام الكامل ، ولم تكن نتيجة سياسة مدبرة ومن السهل أن تتكرر مشاهد مماثلة فى أى بلد تغزوه جيوش الأعداء من كل جانب ويشله القصف القوى « الاستراتيجى » ، الذى تسبب فى شتى ضروب النقص والفوضى .

ان السبب الرئيسى فى الوفيات التى حدثت فى بيلسين هو انتشار وباء التيفوس . والكل متفق على أن التيفوس كان يشكل خطرا دائما فى كافة المعسكرات الألمانية والعمليات العسكرية الشرقية ، ومن أجل هذا كان هناك خوف حقيقى من انتشار التيفوس فى كافة أنحاء ألمانيا وكان أن تم اتخاذ اجراءات مضادة مشددة[2] . أن مشكلة التيفوس ستلعب دورا بارزا جدا فى قصتنا ، لأن هذه المشكلة لم تبرز عند نهاية الحرب وحسب ، فمشاهد

الأيام الأخيرة للحرب كان مردها الانهيار الكامل لكافة الاجراءات ضد مرض نكبت به معسكرات الاعتقال الألمانى منذ مطلع الحرب . كان التيفوس من النوع الذى يحمله قمل الجسم ومن أجل هذا تمثلت أساسا إلى الاتصال المستمر بالشرق من خلال السكك الحديدية . وهكذا نجد أن كل ماكتب عن « الناخبين » – سواء أكان صادقا أم مختلفا ، وبصرف النظر عن نمط المعسكر ، كان يحكى نفس الاجراء الأساسى الذى يتخذ عند دخول أى معسكر ألمانى : خلع الملابس – حلاقة شعر الرأس – الحمام – ارتداء ملابس جديدة أو ملابس قديمة بعد تطهيرها[٣] .

بدأت المشاكل فى بيلسين فى أكتوبر ١٩٤٤ ، عندما انهارت هذه الاجراءات ونحن هنا أمام حكاية أحد المسجونين السياسيين[٤] .

« فى الأيام الاخيرة من شهر فبراير من عام ١٩٤٥ تغير وضعى تماما . بات التيفوس يشكل خطرا كبيرا على المعسكر بأسره . كان من نوع التيفوس الذى ينقله القمل . فى رحلة من المراحل اقتضى الأمر أن تتعرض كل وسائل النقل التى تصل بيلسين لـ « حمام بشرى » ويبدو أن عمليات التطهير كانت فعالة بحيث حمت المعسكر من القمل حتى خريف ١٩٤٤ .

وفى أواخر شهر أكتوبر سمح – لأول مرة فى المعسكر – بدخول حمولة ضخمة دون تعقيم ، وذلك لحدوث تلف بأجهزة الحمامات ، ولسوء الحظ كان الداخلون يحملون قملا ، ومنذ ذلك اليوم أخذ القمل ينتشر تدريجيا فى المعسكر كله . . وانتشر التيفوس فى المعسكر رقم واحد فى أواخر شهر يناير . كانت هناك حالات بعد شهر ، وصار من المستحيل وقت انتشار المرض . . .

وطرأت مشكلة أخرى معقدة ، ففى الشهور الأخيرة اعتبر بيلسين « معسكر مرضى » ، وهكذا فإن معظم من دخلوه كان مرضى فى المقام الأول[٥] . ولم يكن بمقدور البريطانيين أن يوقفوا التيار فورا ، وهكذا فعندما تسلموا زمام المعسكر هلك أكثر من ربع الأحياء خلال الأسابيع الأربعة الأولى[٦] .

ورغم الدور الدعائى جد الفعال الذى لعبته مشاهد بيلسين ، لا أحد ممن يعلمون الحقائق – التى من السهل جدا الوصول إليها – يدعى أن ثمة ابادات وقعت فى بيلسين كذلك فان المحكمة العسكرية البريطانية التى حاكمت القائد كرامر لم توجه إليه أبدا تهمة الاشراف على معسكر للابادة فى بيلسين[٧] . والواقع أننا لا نجد اليوم انسانا جادا يدعى

وقوع عمليات ابادة فى أى معسكر من معسكرات الاعتقال الألمانية : ولم تكن معسكرات بيلسين ، بواخينفالد داشو .. الخ . معسكرات ابادة . أما المعسكرات التى يفترض أنها كانت معسكرات ابادة فكانت كلها فى بولندا المحتلة ، أى المعسكرات التى تطلق عليه أسماء أوشفيتز ، بيلزيك ، كولمهوف (شيلمنو) ، لوبين (ماجدانيك) ، سوبيبور ، تريبلينكا[٨] . كذلك يفترض أن ابادات اليهود فى روسيا تمت على يد من استخدموا الاعدام الجماعى رميا بالرصاص أو «غرف الغاز المتحركة» . كذلك هناك ادعاء بأن معسكرات بولندا استخدمت «غرف الغاز» وأن كانت غرفا ثابتة لا متحركة ، باستثناء شيلمنو .

وهكذا فمن المفروض أن عمليات الاباده لم تقع الا فى مناطق تم هجرها قبل استيلاء الروس عليها ، لا معسكرات كانت تعمل – وان كان بشكل سىء – عندما استولت عليها القوات الغربية .

ورغم الادعاء بوجود ستة معسكرات اعتقال ، الا أن معسكرا واحدا منها – أو شفيتز – هو مفتاح القصة كلها . ومن اجل أوشفيتز يقدمون كميات وكميات من الادلة الموثقة ، بينما لا يقدمون أدلة تذكر ، من أى نوع ، بالنسبة للمعسكرات الأخرى . ومعسكر أوشفيتز – كما سنرى – هو الذى حظى باهتمام خاص جدا من جانب واشنطون ، قبل أن تنتهى الحرب بزمن طويل . ومن أجل هذا فإن الشطر الأكبر من الكتاب الحالى معنى بالضرورة بالادعاء القائل بأن يهود أوشفيتز كانوا يبادون خلال الحرب العالمية الثانية .

ويدور موضوع الكتاب الحالى حول ما إذا كان الألمان قد حاولوا ، أو لم يحاولوا ابادة اليهود الأوروبيين . ولسنا معنيين هنا بأن نتناول – بالتفصيل – القضية العامة ، الخاصة بما نسب إلى النازى من شتى أنواع الفظائع ، أو بتقديم صورة كاملة لنظام سير معسكرات الألمان . بيد أنه اتضح أن لدى الكثيرين صورا مشوهة لهذه المعسكرات ، وهكذا ولأن أوشفيتز كان بها معسكرات ، يصعب عزل أوشفيتز من البداية ودراستها بمعزل عن المعسكرات الأخرى . لذا يحسن بنا أن نعرض بايجاز صورة المعسكرات عموما . ويبين الرسم ٢٣ خريطة (حدود يناير ١٩٣٨) بها مواقع عدد من المعسكرات التى كثرت الاشارة إليها ، مع بيان موقع عدد من المدن الكبرى .

كانت المعسكرات الألمانية متعددة الأشكال وقلة وقليلة من هذه المعسكرات كانت تسمى «معسكرات اعتقال» . كان هناك ١٣ معسكر اعتقال ألمانيا ، كل معسكر منها

عبارة عن مجموعة من المعسكرات المجاورة . واثنان فقط من بين الستة « معسكرات ابادة » المزعومة – أوشفتيز ولوبلين – كانا من معسكرات الاعتقال ويعرض اروميانو (الصفحات ٢٠٣ – ٢٥١) قائمة لأنماط متعددة من المعسكرات الألمانية ، وتضم كثيرا من السجون العادية ، وتضم قائمته حوالى ١٤٠٠ « معسكرا » ، مع بيان مواقعها و « طابعها » . وإذا كانت القائمة تسلط بعض الضوء على مجال السجون والمعسكرات الألمانية وتنوعها ، الا أنها تعانى من أخطاء كبيرة ، واضحة ، فهى تصف بيركينا ومثلا بأنه « التجارب الطبية » .

وتتركز أهمية أورانيينبرج الرئيسية (وتقع قرب برلين) فى أنها كانت مقرا لـ « تفتيش معسكرات الاعتقال » ، ومن أجل هذا كانت على اتصال مباشر بكافة معسكرات الاعتقال .

والصورة المعتادة لنزيل معسكر اعتقال ألمانى هو أن يكون قد اعتقل لمعاقبته أو لاسباب تتعلق بالأمن . وكانت هناك خمسة تصنيفات كبرى تميزها شارات ملونة تلصق بما يرتدونه [٩] .

الخضراء – مجرمون

الحمراء – معتقلون سياسيون (شيوعيون أساسا)

وردية – شاذون جنسيا .

سوداء – ضد المجتمع (صعاليك – سكارى . . . الخ) .

قرمزية – فى عداد غير المخلصين بسبب آرائهم الدينية (شهود يهود أساسا) .

وفى معسكر أوشفيتز وبعض المعسكرات الأخرى كان يلصق بالزى مثلث من اللون المناسب . فإذا كان السجين يهوديا ركبوا فوق المثلث الأول مثلا آخر أصغر اللون بحيث تتكون من المثلثين نجمة داوود . كان هذا الاجراء يسمى « نظام النجوم » بأشفيتز .

ونظرا لطبيعة الظروف الاقتصادية التى سادت آنذاك بذلت الحكومة الألمانية كل جهد لاستفادة من نزلاء معسكر الاعتقال كعمال كذلك تم استخدام أسرى الحرب إلى الحد الذى لا يتعارض والاتفاقيات ، وفقا لتفسير الألمان لا لتزاماتهم أمام هذه الاتفاقيات . وهكذا تم استخدام أسرى الحرب الروس دون قيود لأن روسيا لم تحترم الاتفاقيات . أما استخدام أسرى الحرب من الغرب فكان قاصرا على حالات يمكن فيها « تحويلهم » قانونيا إلى عمال مدنيين – كما حدث لكثيرين من أسرى الحرب الفرنسيين – أو حالات لا تستبعد فيها الاتفاقيات ضروبا معينة من العمل ، كما حدث لبعض أسرى الحرب البريطانيين الذين

كانوا فى ظروف سنعرض لها فيما بعد .

بلغ عدد نزلاء معسكرات الاعتقال الألمانية كلها حوالى ٢٢٤٠٠٠ فى أغسطس ١٩٤٣ و ٥٢٤٠٠٠ فى العام التالى(١١) . وهذه الارقام قاصرة على المعسكرات التى اعتبرها الألمان معسكرات اعتقال ، ولا تشمل أى معسكرات انتقالية أو معسكرات تدخل فى تصنيفات أخرى ، مثل معزل تيريز نشتات ، أو أى مؤسسات أخرى ، لعزل الأسر.

ونحن نراعى الدقة بصفة عامة حين نقول أنه ليس هناك « معسكر اعتقال » لليهود كيهود . غير أن هذه الملاحظة تحتاج إلى توضيح . إذ أن هناك ثلاثة تصنيفات مميزة لليهود يجب دراستها فى هذا الصدد .

أولا : كان عدد ضئيل ممن اعتقلوا للعقاب أو لاعتبارات الأمن من اليهود ، وفى ظل النظام الاشتراكى الوطنى كان من الطبيعى - فى المعسكرات - عزلهم عن النزلاء « الآريين » . وبهذا المفهوم يمكن اعتبار بعض المعسكرات لليهود » .

ثانيا : كانت هناك تشريعات محددة لتجنيد اليهود للعمل ، ووجد الكثيرون ممن اختيروا للعمل ، وجدوا طريقهم إلى معسكرات الاعتقال على هذا الأساس .

ثالثا : تمثيل التصنيف الثالث فى الأسر اليهودية ، وإذا كان البعض قد وجد نفسه فيما يشبه « معسكرات اعتقال » فإن هذه المعسكرات كانت فى شكل معسكرات انتقالية ، وكانت فى بعض الحالات معسكرات مستقلة ، مثل فيستربورك فى هولنده(١٢) . وغيرها (سنذكرها) كما كانت فى بعض الحالات منشآت منفصلة قائمة فى بعض معسكرات الاعتقال ، مثال هذا : بيلسين ، وربما داشو(١٣) وغيرها (وسنذكرها) . كان معسكر الانتقال ، كما يوحى اسمه ، للإقامة المؤقتة فقط ، لحين النقل إلى مكان آخر .

وإلى جانب المعسكرات الانتقالية كانت هناك « معسكرات » لبعض الأسر اليهودية ، مثل تيريز نشتات فى بوهيميا - مورافيا ، ومعسكرات أخرى أقرب إلى الشرق ، غير أن أقسى اصطلاح يمكن الصاقه بهذه الحالات هو « المعزل » لا « معسكر الاعتقال » . يضاف إلى هذا ، كما سنرى ، أنه عندما أوشكت الحرب على الانتهاء وأخذ الروس يقتربون من الجبهة الشرقية وضع الألمان كثيرا من اليهود الطلقاء فى المعازل ، لأسباب الأمن .

أن وضع اليهود بالنسبة لمعسكرات الألمان ، بكافة أنماطها ، لقصة معقدة . وبدلا من أن نحاول هنا أن نتحدث عن ماهية هذا الوضع بالضبط سنعرض لهذا الموضوع فى أماكن متعددة من الكتاب بحيث يستطيع القارئ أن يحصل على صورة كاملة بشكل معقول .

ولن يفيدنا أن نحاول أن نناقش هنا نظام المعسكرات الألمانية برمته . يكفينا هنا أن نناقش المعسكرات الثلاثة التى تكثر الاشارة إليها (مع استبعاد أوشفيتز) : بيلسين — بوخينفالد — داشو (بلغ عدد النزلاء فى أغسطس ١٩٤٣ : ٣٠٠٠ فى المعسكر الأول — ١٧٦٠٠ فى المعسكر الثانى — ١٧٣٠٠ فى المعسكر الثالث)[١٤] . وبعد ذلك نناقش ، بشكل مبدئى ، « معسكر الاعتقال » المزعوم — أوشفيتز — فى بولنده .

لم يعمر بيلسين طويلا . كان فى الأصل معسكرا لأسرى الحرب من الجرحى . وفى أواسط عام ١٩٤٣ أخذ الرايخ نصف المعسكر لأغراض من بينها تحويله إلى « معسكر تبادل » ، معسكر انتقالى لأصحاب الجنسيات الأخرى واليهود الذين فكر الألمان فى استبدالهم بألمان موجودين بالخارج . وأضيفت إلى المعسكر أيضا بعض الأراضى والمبانى . وكان يهود سالونيكا ، اليونان ، الذين يحملون جوازات سفر إسبانيه ، أول من وصلوا من اليهود (كان الأمل معقودا على ارسالهم إلى إسبانيا) ، لكن الرقم الأكبر كان من نصيب اليهود الهولنديين فى النهاية (حوالى ٥٠٠٠) . وكان عدد من اليهود الهولنديين هناك بصفة شبه دائمة ، فقد كانوا يشكلون قسما كبيرا من الصناع المهرة المدربين فى حقل قطع الماس — الصناعة الأساسية فى أمستردام وهكذا لم يحدث سوى نقل عمليات قطع الماس إلى بيلين . وأطلق على أحياء اليهود فى بيلسين « معسكر النجمة » ، وكانت معزولة عزلا كاملا عن باقى المعسكر . ولم يمسها وباء التيفود الذى حل فى الشهور الأخيرة[١٥] .

كانت عمليات الترحيل ضربة قاصمة لليهود الهولنديين ، وسنعرض فى صفحات لاحقة لاسباب ذلك . وفى بيلسين ، فى مارس ١٩٤٥ ، يقال ان آن وانك هلكت[١٦] . وقد يكون هذا صحيحا ، فقد كان فى بيلسين عدد كبير من اليهود الهولنديين ، لكن اقل ما يمكن ان يقال هنا انه من الصعب تخمين سبب الوفاة فى حالة كهذه . لم تكن هناك عمليات ابادة وكانت الاسر اليهود بمعزل عن وباء التيفود . اما قضية صحة اليوميات فليست من الاهمية بحيث تستحق تمحيصها هنا ، يكفى ان اقول انى درستها فلم اصدق صحتها . مثال هذا اننا لا نزال فى الصفحة الثانية فاذا بنا امام مقال عن لماذا تكتب فتاة فى الثالثة عشرة من عمرها مذكراتها ، وفى الصفحة الثالثة تاريخ اسرة فرانك بايجاز ، وسرعان ما نستعرض الاجراءات المحددة المناهضة لليهود التى اعقبت الاحتلال الالمانى عام ١٩٤٠ . وباقى الكتاب بنفس النغمة التاريخية .

اما باقى معسكر الاعتقال ببيلسين فكان يضم المزيج المعتاد من النزلاء ، ولقد عرفنا ماذا

حل بالمعسكر. لم يكن لبيرجين - بيلسين اى جانب اقتصادى - صناعى هام ، فيما عدا قطع الماس.

اما اهمية بوخينفالد الرئيسية فتتمثل فى الصناعة ، وكانت المعسكرات التابعة ، فى بوخو - دورا - الريخ - ايلسنج - جاندرشايم - هالبرشتات قائمة اساسا من اجل مصنع سرى للطائرات كان يستعين بنزلاء معسكرات الاعتقال ، والعمال الاجانب ، الى جانب العمال الالمان المعتادين[١٧] . لكن ، كان هناك جانبان اخران : التجارب الطبية التى كانت تجرى بالمعسكر الرئيسى - بوخينفالد - ونشاط القائد كوخ . وهذان الجانبان مثال متكامل عن الطريقة التى شوهت بها الحقائق عن الحديث عن تلك المعسكرات . ومن حسن حظنا ان لدينا كتابا لكريستوفر بيرنى ، وكان نزيلا بهذه المعسكرات ، وهذا الكتاب لا يمارس بعض هذا التشويه وحسب وانما يعرض ايضا الحقائق او الاشارات التى تعيننا على التعرف على طريقنا وسط التشويهات . ويجب ان يدرك اى قارئ ، من مطالعته كتاب بيرنى ، ضرورة التمييز الصارم - عند قراءة هذا النوع من كتب « التجارب الشخصية » ، بين المشاهد التى يدعى الكاتب انه رآها حقا ، او الدعاوى التى قراها او سمع بها ، وبين الاستنتاجات التى توصل اليها او ادعى التوصل اليها . سنجد ان الاختلافات صارخة فى معظم الاحيان . ها هو يصف كوش[١٨] .

« ان اى ضرب من ضروب القسوة لم يكن غريبا عليه ، وليست هناك خلية من خلايا عقله لم تسهم فى وقت ما فى التخطيط لتطوير صنوف العذاب والهالك لهؤلاء الفئران الذين وقعوا فى فخه » .

ثم يستطرد بيرنى قائلا انه نظرا لشذوذ كوش الجنسى كانت زوجته تمارس الحب مع المسجونين « كى يرسلوا بعد ذلك إلى المحرقة ، » مضيفا انهم كانوا يحتفظون بالجلود الادمية التى عليها وشم ، باعتبارها جلودا قيمة ، كى يصنعوا منها « اباجورات » . عند هذه المرحلة فى كتاب بيرنى تبدو الامور جد سيئة امامه حقا ، خاصة اذا كان يحمل فى جسمه وشما قد تكتشفه مسز بيرنى ، لكن من حسن الحظ ان الامور التى تحدث عنها بيرنى انما وقعت قبل وصوله المعسكر فى مطلع ١٩٤٤ . كان قد قبض على كوش عام ١٩٤٣ بتهمة الاختلاس ، ليخلفه بيستر الذى كان من اكثر قادة معسكر الاعتقال وداعة فى التاريخ » . وهكذا :

« فى العام الاخير من حياة معسكر الاعتقال فان المراقب العابر الذى يزوره ويتطلع اليه بشكل عام استكناه اركانه لن يشهد احدا يضرب ، او سيشهد ضربا محدودا ، وسيصادف



الرسم ١ : أوروبا قبل الحرب العالمية الأولى

Fig. 1: Europe before World War I



الرسم ٢ : أوروبا بين الحربين العالميتين

Fig. 2: Europe between the two World Wars



الرسم ٣ : النازى يسيطر على أوروبا

Fig. 3: Nazi dominated Europe

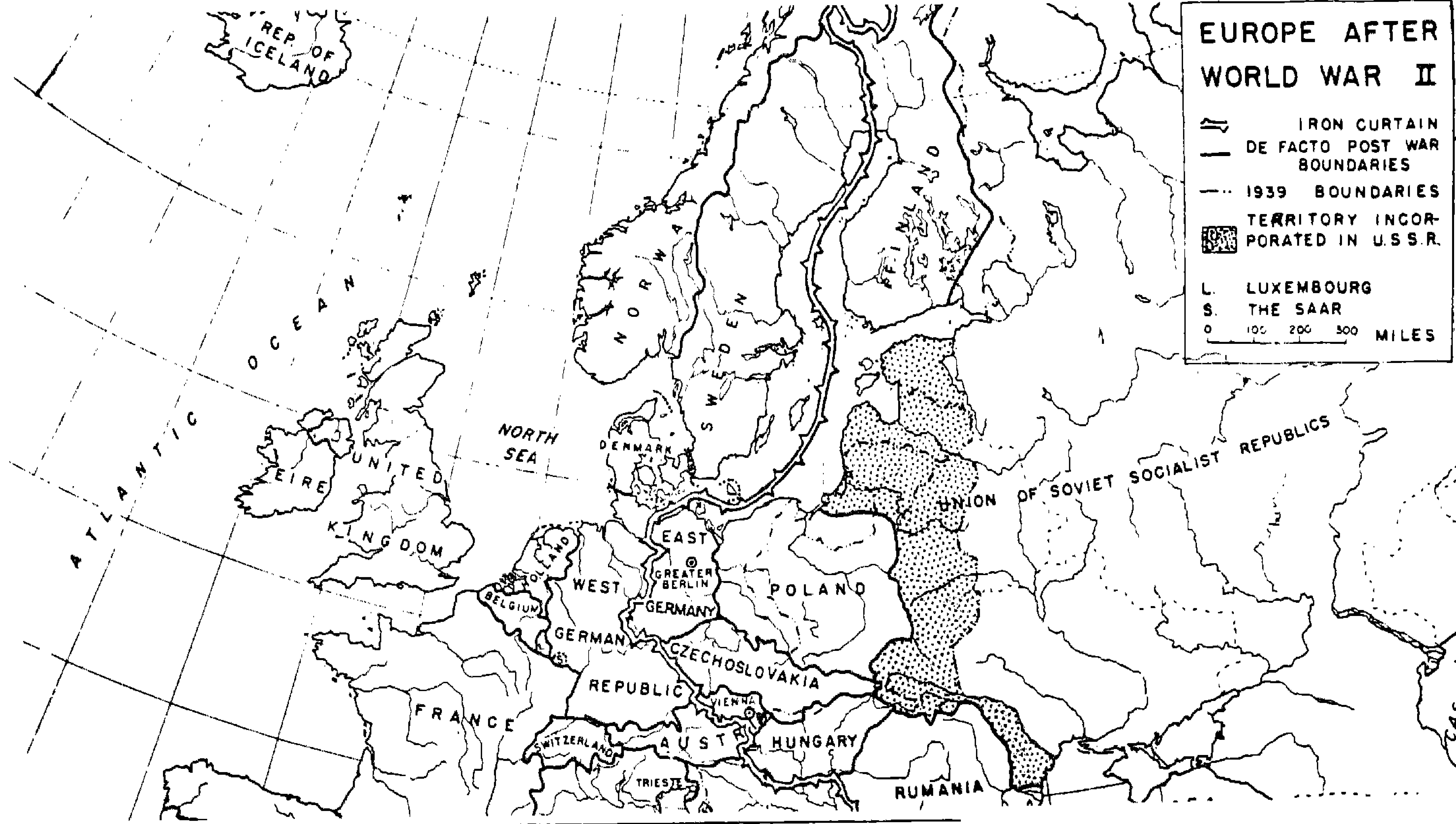


Fig. 4: Europe after World War II

الرسم ٤ : أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية

عددا كبيرا من الناس لا يعملون شيئا ، وعددا اكبر يعمل بتكاسل تعلمه من الروس ... ، وسيجد مساكن نظيفة ، ومطابخ مزودة باوانى غلى الحساء الحديثة المخيفة ، ومستشفى لا يبدو انه مستشفى مناسب عند الوهلة الاولى » .

الواقع ان القبض على كوش كان جزءا من كسر حلقة النساء الذى انتشر فى نظام معسكرات الاعتقال الالمانية وتسبب فى اغتيال عدد من المسجونين الذين كانوا يعرفون اكثر من اللازم . وتم الكشف عن هذا من خلال جهود القاضى كونراد مورجين . ونفذ النازى حكم الاعدام فى كوش[١٩] .

وليس من شك فى ان حكاية الجلود ذات الوشم مرجعها التجاوب الطبية فى بوخنيفالد . وكما قال بيرنى عندما يموت احد نزلاء بوخنيفالد يفحص الاطباء جسده فاذا وجدوا ما يلفت النظر احتفظوا به[٢٠] . ومن المؤكد ان مجموعات العينات الطبية التى تم جمعها بهذا الشكل هى مصدر الجلود ذات الوشم والرأس البشرية التى ظهرت فى « معروضات » المحكمة العسكرية الدولية بدعوى انها لأناس « اغتيلوا » فى بوخنيفالد . وعادة ما تبين الصور الرأس دون أى تفسير ، مصحوبة بصابون يزعمون أنه مصنوع من اجساد بشرية ، وقد تقدم الروس بهذا كدليل ، وعندما علموا بانه ستكون هناك محاكمات رجعوا إلى التهم التى وجهت للالمان فى الحرب العالمية الاولى[٢١] . وما ان انتهت المحكمة العسكرية الدولية من « التوصل » إلى الحقائق حول الجلد ذى الوشم الذى عثر عليه فى بوخينفالد حتى نصادف استعراضا رسميا[٢٢] .

« فى عام ١٩٣٩ صدرت الاوامر لكل المسجونين الذين يحملون وشما على اجسامهم بان يقدموا انفسهم للعيادة الطبية . لم يكن هناك من يعلم الهدف من وراء ذلك ، ولكن ما ان تم فحص المسجونين ذوى الوشم حتى تم الاحتفاظ ، فى العيادة ، بمن يحملون افضل واجمل وشم ، وبعد ذلك قتلهم بالحقن . . وتم انتزاع افضل القطع ومعالجتها طبيا . وبعد ذلك يتم تحويل هذا الانتاج إلى زوجة كوش التى تصوغه فى شكل « اباجورات » وديكورات اخرى للمنزل . ولقد رأيت بنفسى نماذج من هذه الجلود ذات الوشم ، تحمل تصميات واساطير مثل اسطورة « هاينزل وجريتيل » ، وكانت فوق ركبة احد المسجونين ، إلى جانب تصميات لسفن فوق صدور المسجونين » .

وأدينت مسز كوش بهذه الجرائم خلال محاكمتها امام محكمة عسكرية امريكية ، لكن حدث عام ١٩٤٨ ان اعاد الحاكم العسكرى الامريكى ، الجنرال لوشاس كلاى ، النظر

فى قضيتها ، فانتهى إلى انه رغم الشهادات التى قدمت خلال محاكمتها ، الا انه لا يمكن ان تكون لمسز كوش صلة بالاباجورات وغيرها من الاشياء التى « اكتشفت » (اى تم وضعها وضعا) فى مسكن معسكر بوخنيفالد عندما تم الاستيلاء على المعسكر عام ١٩٤٥ . ذلك ان مسز كوش لم تقطن بهذا المسكن منذ ان التى القبض على زوجها ، وعليها ، عام ١٩٤٣ . يضاف إلى هذا ان « يوميات الاسرة » الخاصة بها ، والتى قيل انها مجلدة بجلد بشرى ، والتى كانت واحدة من التهم الكبرى الموجهة ضدها ، هذه اليوميات لم يستدل على مكانها ابدا ، ومن الواضح انه لم يكن لها وجود بالمرة . وهكذا خفف كلاى حكم الاعدام الصادر ضدها إلى سجن لاربع سنوات ، لقاء تصرفات وحشية عادية .

وما حدث بعد تخفيف الحكم هو قصة من بين القصص العديدة التى اثبتت – مثلما اثبتت حقائق ١٩٤٨ – ١٩٤٩ حول ما وقع فى محاكمات « داشو – الفوضى التى عمت محاكمات جرائم الحرب . بلغ من احتجاج الحاخام وايز وغيره من اصحاب النفوذ ضد حكم التخفيف ان نظر مجلس الشيوخ فى الامر وانتهى إلى ان :

« السلطات العسكرية تقول انها لم تستطيع ان تجد دليلا على اى جرم اخر ارتكبته مسز كوش ويمكن محاكمتها بمقتضاه دون مساس بالقانون ، لكن .... نظرا لان المحاكمة التى اجرتها محكمة عسكرية خاصة من وطننا قد استندت إلى تهم مؤداها ان مختلف المتهمين اساءوا معاملة « مواطنين غير المان » فان المحاكم الالمانية قد تحاكم مسز كوش وفقا لقوانينها بسبب جرائم ارتكبت ضد المواطنين الالمان .... فاذا ما استطاع الالمان ان يحاكموا مسز كوش على مثل هذه التهم فان اللجنة الفرعية تؤمن بانه سيكون من واجب سلطاتنا العسكرية ان تتعاون فى هذه الحالة مع السلطات الالمانية كل التعاون » .

هذا التمييز بين جرائم ضد الالمان وجرائم ضد غير الالمان مجرد تحذلق صيغ لتلك المناسبة . فمحاكم جرائم الحرب الامريكية كانت تعتبر نفسها مسئولة فى قضايا الجرائم المنسوبة ضد اليهود الالمان ، كذلك فان التميز السابق الاشارة اليه ليس فى موضعه . لقد خفف كلاى الحكم الصادر ضد مسز كوش على اساس انها بريئة من التهم الكبرى التى نسبت اليها ، التهم المتعلقة بالاباجورات وما شابه ذلك ، بصرف النظر عن جنسية الضحايا المزعومين . ولم يغير كلاى موقفه طيلة الجدل الطويل حول محاكمة مسز كوش مرة اخرى استنادا إلى نفس التهم ، وهو جدل تقول النيويورك تايمز « انه هز الولايات المتحدة الامريكية واوروبا » . واصر كلاى على قراره بالنسبة لقضية كوش شارحا ان : « دراسة

الملف ، استنادا إلى التقارير التى تلقيتها من المحاكمين ، تشير إلى ان اكثر التهم خطورة انما استندت إلى السماع لا إلى ادلة واقعية . ومن اجل هذا تم تخفيف الحكم .

ولست اتعاطف مع مسز كوش فقد كانت منحرفة الشخصية وسيئة السمعة . ولقد ارتكبت افعالا كثيرة ليس من شك فى ان القانون الالمانى يعاقب عليها . لكننا لم نكن نحاكمها لهذه التهم ، وانما كنا نحاكمها كمجرم حرب ، واستنادا إلى تهم محددة » .

ورغم هذا الموقف الحازم من جانب الحاكم العسكرى الامريكى ، مارست الولايات المتحدة الامريكية ضغطها على السلطات الالمانية فحاكمت مسز كوش بعد ان اطلق الامريكيون سراحها فى اكتوبر ١٩٤٩ . ومرة اخرى حوكمت بنفس تهم « الاباجورات » المالوفة . ورغم ان الدفاع استطاع ان يثبت ان شهادة اثنين من شهود الاتهام تتعارض وشهاداتهما السابقة خلال المحاكمة الاولى – مما اجبر المحكمة الالمانية على شطب شهادتهما من السجلات . اثبتت المحكمة ان مسز كوش مذنبة ، وحكمت عليها بالسجن المؤبد . وشنقت نفسها فى زنزانتها عام ١٩٦٧ [٢٣] .

ويتحدث بيرلى عن بعض مشاهد فى بوخنيفالد مشابهة لمشاهد بيلسين ، لكن تمس اساسا مسجونين قادمين من مناطق شرقية ، وذلك خلال الاسابيع الاخيرة التى عمتها الفوضى انتهينا من بوخنيفالد [٢٤] .

كان معسكر داشوا من اقدم معسكرات الاعتقال النازية ، وكان يركز على اسرى الحرب النمسويين ، وقساوسة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية (الذين اعتقلوا لاسباب ليس هنا محل دراستها) إلى جانب الشيوخ وشبه العمال من كافة التصنيفات . كذلك كان بالمعسكر فريق من المجرمين العاديين . كان العمل يتم اساسا خارج المصانع ، لكن ، كان هناك مصنع اعشاب يقام داخل المعسكر . كذلك فقد عمل بعض المسجونين فى تجفيف المستنقعات [٢٥] .

ومن المفيد هنا ان نتعرض لبعض التفاصيل : كيف حدث فى نهاية الحرب وعقب الحرب مباشرة ، ان أسيء تصوير داشو فاعتبرت معسكر اعتقال مزود بغرف غاز . وحين نظهر ان مثل هذه الاحداث لم تقع بالمرة فى داشو فليس فى هذا – بالطبع – تعارض مع القصة الحالية التى يسوقها مرددوا اسطورة الابادة ، الذين لا يشيرون إلى داشوا فى هذا الصدد ، وانما يبنون قصتهم حول المعسكرات فى بولندا ، مع احتلال اوشفيتز مركز الصدارة . وانما الهدف من التعرض لتفاصيل داشوا هو ان نقضى على اهلية الاحتلال

الامريكى للتصديق . لقد ادعت الدعاية الامريكية حدوث ابادات فى المعسكرات الالمانية ، وكان داشو هو المعسكر الكبير الذى استولى عليه الامريكيون (تم تسليم بوخنيفالد فيما بعد للروس) . وهكذا كانت هناك جهود ترمى إلى تشويه ما حدث فى معسكر الاعتقال بداشوا . فاذا ادرك القارئ كيف كان هذا الجهد فجا وساذجا بشكل مذهل ، واذا ادرك مهزلة « الادلة » التى قدمت فسيصبح مؤهلا لدراسة تحليلنا لتلك المهزلة الرئيسية : كذبة اوشفيتز .

فى مارس ١٩٤٥ اضطرت الظروف التى سادت المعسكرات ، اضطرت الحكومة الالمانية على اتخاذ الخطوة الاخيرة ، التى رجعت فيها عن سياستها السابقة التى تقضى باستبعاد اللجنة الدولية للصليب الاحمر من معسكرات الاعتقال تماما (كانت الاتفاقيات القائمة تتعلق باسرى الحرب وليس بنزلاء معسكرات الاعتقال) . وفى ٢٩ مارس من عام ١٩٤٥ خول الجنرال كالتنبرونر للجنة الدولية للصليب الاحمر حق ايفاد مندوب إلى كل معسكر بهدف توزيع معونات الاغاثة ، شريطة ان يبقى المندوب فى المعسكر حتى نهاية الحرب[٢٦] . ورتبت اللجنة الدولية للصليب الاحمر لنقل مواد الاغاثة بالطرق البرية (كان استخدام السكك الحديدية امرا مستحيلا) ، غير ان فعالية هذه الاجراءات تأثرت ، الى حد ماله قواد ، بموقف كل قائد من قواد معسكرات الاعتقال . مثال هذا ان الاستجابة فى ماوتهاوزين ، فى الفترة ٢٣ - ٣٠ أبريل ، كانت سلبية فى البداية ، فقد ادعى الكولونيل زايريس انه لم يسمع بأمر كالتينبرونر .

وفى داشو حظيت اللجنة الدولية للصليب الاحمر باستقبال حار نسبيا فى ٢٧ ابريل (بعد شىء من البرود فى ٢٦ ابريل) ، وسمح باستقرار مندوب فى المعسكر . وبحلول يوم الاحد ، ٢٩ ابريل ، اتضح ان معظم الضباط والحراس والعاملين الالمان قد هربوا ، وآلت القيادة الفعلية للمعسكر إلى ليفتنانت يدعى ويكيرت ، الذى كان ينوى ايضا الهروب على راس من بقى من الحراس . ونظرا لما اثاره هذا من مخاطر عديدة - وبخاصة اعمال عنف من جانب المسجونين ضد المدنيين الالمان فى المنطقة ، وانتشار الاوبئة - اقنع المندوب ويكيرت بعدم الهرب . وتوصلا إلى اتفاق بشان استسلام المعسكر ، على ان يبذل مندوب اللجنة الدولية للصليب الاحمر قصارى جهده لاحترام الاتفاق . اذ يتعين .

اولا : أن يظل الحراس فى الابراج للحيلولة دون هرب المسجونين .

ثانيا : على الجنود الذين ليست لديهم نوبات حراسة ان يتجمعوا — بلا اسلحة فى احد الافنية .

ثالثا : يسمح للحامية بان تنسحب إلى « خطوط المعركة » الخاصة بها ، بعد تسليم المعسكر للالمان .

بعد ذلك قام مندوب اللجنة الدولية للصليب الاحمر بتثبيت منشفة بيضاء فى مقبض مكنسة واصطحب معه ضابطا المانيا ، وغادر المعسكر يفتش عن بعض الامريكيين . وبعد فترة صادفا وحدة ميكانيكية امريكية ، وقدم المندوب نفسه للجنرال الامريكى (لم يرد اسمه فى تقرير المندوب عن هذه الاحداث) . وما ان علم الجنرال بهوية ضيفية الجديدين حتى طلب من المندوب والضابط الالمانى ان يصحباه لالتقاط صور صحفية بالمعسكر ، وبخاصة صور لقطار مليء باحداث موتى . ورغم ان المندوب كان بالمعسكر لمدة يومين ، يبدو انه كان جد مشغول بحيث لا يعلم بامر ذلك القطار خلال تواجده بالمعسكر ، وعلم بامره من الجنرال .

واذ تحددت مهمة الوحدة ، تحركت متجهة إلى المعسكر وفى الطريق استطاع المندوب ان يطلب من ميجور يدعى ايفرى ان ينقل إلى الجنرال الاتفاق الخاص بتسليم المعسكر ، ولكن يبدو ان محاولة الاتصال بالجنرال لم تنجح .

واذا وصلوا إلى المعسكر وجدوا ان بعض الامريكيين قد وصلوا فعلا ، وكان قد تم استبدال الحراس الالمان الموجودين بالأبراج ، واستسلم كل الالمان . كانت الفوضى تعم صفوف النزلاء ، وكان بعضهم مسلحا ، واطلقت نيران على الحرس الالمانى ، واسفر هذا عن مقتل عدد من الجانبين . واخيرا استطاع المندوب ان يحظى باهتمام الجنرال ، كى يعرض خطة تسليم المعسكر . ووافق الجنرال على الخطة ، لكنه لم يسمح للمسجونين الالمان بالرحيل ، وعانى الكثيرون منهم على يد النزلاء الذين ينشدون الانتقام . وتم تجريد اكبر عدد ممكن من النزلاء من السلاح ، غير ان هذا لم يضع حدا للفوضى . احتضن بعض النزلاء الجنود الامريكيين ، بينما مزق اخرون الاسلاك الشائكة وهربوا . واطلق الامريكيون النار فوق رؤوس النزلاء ، واخيرا ، وفى العاشرة مساء ، ساد هدوء قلق . لكن كانت هناك طلقات بين الحين والآخر خلال الليلة التالية . وفى اليوم التالى ، ٣٠ ابريل ، امكن امداد طعام مناسب ، وفى اليوم الذى يليه ، الثلاثاء اول مايو ، وصل بعض ممثلين للجنة الدولية للصليب الاحمر ، ووفقا لما قاله المندوب ، لم يكتفوا بزيارة اكوام الجثث وانما

« زاروا ايضا غرفة الاعدام ، وغرفة الغاز ، وافران الحرق .... الخ[٢٨] .

ان السطور السابقة تلخص تقرير مندوب الصليب الاحمر وهو لا يحمل اية تاكيدات مشابهة لتاكيدات لاحقة ساقها ، كل على حده ، النزيلان السابقان ليترونيرين ا . جن ، اذ ادعى الاثنان اى الامريكيين شرعوا ، فور وصولهم ، فى قتل كل الحرس الالمانى (ليس من شك فى ان هذا مبالغة على الاقل) . وادعى جن ان الجنرال اصدر اوامره بقصف المدينة العزلاء داشوا لساعتين (وكان هناك من اثناه عن ذلك فيما بعد) انتقاما للاجساد التى وجدوها ملقاة هنا وهناك[٢٩] . اذا كان ثمة واقع فى هذه الادعاءات فقد حذف مندوب الصليب الاحمر ، اذن ، شيئا هاما من تقريره .

ومن المهم جدا ان نتعرف على ما اشار اليه مندوب الصليب الاحمر فى تقريره « غرفة الغاز » . ان النغمة السائدة فى تقرير المندوب هى السخرية والاستهزاء من حين لآخر ، ذلك انه كتبه وهو يقف موقف الدفاع ، وسط طوفان الكلام الاحمق الذى حظى بانتشار فى الصحافة وهكذا يقول ، فى معرض الكلام عن الجثث التى وجدت فى القطار بداشوان «كثيرين من هولاء الرجال قتلوا ، ويحتمل ان الاخرين ماتوا جوعا . » كذلك بينما يسعد المندوب ان يذكر (بالفرنسية) اسماء الليفتنانت ويكارت والميجور ايفرى واخرين ، يرفض ان يذكر اسم القائد الامريكى (يبدو انه اما ليدين او باتيك) الذى يكتفى بالاشارة اليه بقوله « الجنرال » .

ثمة نوعان من الغرف ادعت الدعاية الامريكية انها غرف غاز ، وذلك بعد الاستيلاء على المعسكر . وحين يقدم لنا الصور المتصلة بهذا . ونحن نعرض هنا الصورة ١٦ و ٢٢ . تعرض الصورة الاولى دشا عاديا تجاسر رجال الدعاية الامريكيون فوصفوه بانه غرفة غاز منخفية فى شكل دش . اما الرسم ١٩ فيصور مدخلا للحمام .

اما النوع الاخر الذى زعموا انه غرفة غاز فكان غرفة غاز حقا ، والرسم ٢٢ يبين باب هذه الغرفة . ومن المؤكد ان هذا الباب يبدو بابا حقيقيا وليس بابا اصطنعته الدعاية فاذا اردت ان تتحقق من الامر فافحص الصورة ١٣ ستجد على اليسار نفس الباب ، وقرب الباب ستجد كومة ملابس قذرة للمسجونين . من الواضح ان « غرفة الغاز » هذه كانت لتعقيم الملابس كان هذا الجهاز ضروريا ، وكان موجودا فى كل معسكرات الاعتقال . والصورة رقم ٦ تبين غرفة التعقيم من الداخل .

اما المبنى القائم فى الصورة ١٣ فيضم غرف التعقيم، والدش الوارد فى الصورة ١٦ ، وللمحرقة الواردة فى الصورة ١٧ ، ولقد تمت المحافظة على هذا المبنى ، ويزوره السياح بصفة منتظمة . وهو بمعزل عن القسم الرئيسى للمعسكر ، ويقع فى منطقة منعزلة نسبيا . ولقد كان من المنطقى جدا وضع غرفة التعقيم والمحرقة على هذا النحو حتى لا يحتك المسجونون بهذه الاشياء كثيرا (الغرفة الاولى لاسباب صحية والثانية لاسباب تتعلق بالروح المعنوية) . ومن الواضح ان الدش كان ضروريا لتعقيم الذين يعملون فى هذا المبنى قبل عودتهم إلى الجزء الرئيسى فى المعسكر . ولا اعلم ما اذا كان هذا الدش لخدمة المسجونين الجدد ايضا ، او ان هناك دشا اخر لهذا الغرض . وكما يوحى الرسم وتؤكده الدراسات ، فان الحمام فى كل الحالات تقريبا ، لا غرفة التعقيم ، هو الذى خدم الدعاية ، حين وصفته بانه « غرفة غاز[٣٠] » . ويبدو ان الدعاية رات ان غرفة التعقيم اصغر من ان تصلح غرفة غاز راح ضحيتها عدد لا حصر له .

وطبيعى ان « محاكمات جرائم الحرب اسفرت عن شهود ادعوا عمليات اعدام بالغاز فى داشو (كن هولاء الشاهد فرانتزبلاها فى المحكمة العسكرية الدولية ، الذى ادعى حكاية الجلود ذات الوشم فى بوخنيفالد) .[٣١] وطبيعى ان الذين وجدت اجسادهم عند الاستيلاء على المعسكر ، وبخاصة من كانوا بالقطار ، صوروا دائما على انهم قتلى .

كان عدد الاجساد فى قطار داشو حوالى ٥٠٠ . وكان العثور على موتى فى قطارات المانيا قرب نهاية الحرب امرا غير شاذ ، حتى فى قطارات المسافرين العادية . ففى يناير ١٩٤٥ تم العثور على ٨٠٠ المانى تجمدوا حتى الموت فى قطار وصل إلى برلين[٣٢] . كان نظام السكك الحديدية الالمانى تعمه الفوضى ، ومن الصعب تصور الظروف التى كانت سائدة فى ابريل ١٩٤٥ ، لكن البد من محاولة رؤية هذه القطارات المملوءة بالجثث داخل اطارها الصحيح . وقد نفكر ايضا فيما يمكن ان يكون عليه حال الناس عندما بدأوا رحلاتهم فى هذه القطارات . ويحتمل تماما ان قائد معسكر الاعتقال ، الذى تصدر اليه اوامر يعتبرها جنونية ، اوامر « بنقل » نزلاء المعسكر ا إلى المعسكر ب راى ان وضع من شارفوا على الموت فى القطار له فائدتان : انه يقلل من عدد الموتى داخل المعسكر ، وبخاصة من بعض من ماتوا . غير ان هذه المشاكل ليست لها اهمية كبرى هنا .

ظهرت حقيقة داشوا فى وقت غير متاخر ، غير انها لم تحظ بالنشر الواسع . فاسباب العثور على اجساد الموتى فى المعسكر – عند الاستيلاء عليه – قد وردت فى مطبوع ظهر عام

١٩٤٨ عن الرابطة الامريكية لخدمة العلوم . عندما تقدم الجيش الامريكى نحو المانيا ، صادف الظروف التى تنبأت بها الاجهزة الطبية الامريكية واستعدت لها باجراءات مضادة[٣٣] .

كان منظر المانيا فى شهور الربيع ابريل ومايو منظرا مذهلا : مزيجا من البشر يرحلون إلى هنا وإلى هناك ، بلا ماوى ، جوعى فى معظم الاحوال ، ويحملون التيفوس ..... وكلما كشف عن مزيد من الاقاليم زاد عدد الحالات ، فالمانيا الغربية – فى المنطقة التى تقدمت فيها امريكا – كانت نهبا للتيفوس دون استثناء . صحيح انه كانت هناك مجموعات اقل تاثرا . كانت الحالات متعاظمة فى معسكرات الاعتقال والسجون ، وفى المجمعات الصغيرة المجاورة .

وفى (داشو) تم العثور على حوالى ٣٥٠٠٠ إلى ٤٠ ٠٠٠ سجين ، يعيشون فى ظروف لا يحتملها معسكر المانى من هذا النوع ، ظروف اسوا من ظروف اى معسكر اخر وقع فى يد الالمان . كانت القذارة سائدة بشكل مفرط ، وكان العمل متتشر ، وكانت مبانى المعسكر متكدسة بالبشر . . . ووجدت اجساد الموتى مصفوفة فى عربات فى فناء السكك الحديدية المتاخمة للمعسكر ، وبقايا شحنة من مسجونين من معسكرات من الشمال نقلوا إلى داشو فى ايام الحرب الاخيرة هربا من القوات الامريكية المتقدمة .

ولن نعرف قط عدد مرضى الحمى التيفوس داخل المعسكر لحظة الاستيلاء عليه انصرمت ايام قبل امكانية احصاء عدد المرضى . وتم العثور على مئات فى مستشفى السجن ، غير ان عددهم كان صغير بالقياس إلى عدد المرضى الذين ظلوا يعيشون مع زملائهم فى ثكنات المعسكر ، مرضى لا يرعاهم احد ، يرقدون فى اسرة معلقة ارتفاعها ثلاثة طوابق ، مع اثنين او ثلاثة فى سرير ضيق اشبه بالارفف ، المريض بجانب الصحيح ، تكدس بهم المكان على نحو يفوق الوصف ، تفوح منهم رائحة القذارة والاهمال وفى كل مكان تنبعث رائحة الموت » .

ليس غريبا ان تصادف داشو كوارث مشابهة جدا لما حدث فى ليلسين . ومنذ بداية ١٩٤٥ قدر عدد من ماتوا من المسجونين بالتيفوس ١٥٠٠٠ ، ومعظمهم خلال الشهرين الاخيرين[٣٤] .

وسيطر الامريكيون على المعسكر ، واستخدم المعسكر – كما راينا – كمعسكر امريكى ومركز لـ « محاكمات جرائم الحرب » . واقام هناك محام امريكى يدعى ستيفن س . بنتر ،

وفى الواضح انه لم يرض عما نفذ هناك باسم الولايات المتحدة الامريكية فقد كتب يقول عام ١٩٥٩ [٣٥] :

« اقمت فى داشو ١٧ شهرا بعد الحرب ، كمحام بوزارة الحربية الامريكية ، واستطيع ان اسجل انه لم تكن فى داشو غرفة غاز . والذى شاهده الزوار والسياح هناك وصف خطا بانه غرفة غاز ، لكنه كان محرقة . ولم تكن هناك غرف فى اى معسكر اعتقال اخر بامريكا . قيل لنا ان هناك غرفة غاز بأوشفيتز ، لكن اوشفيتز كانت فى منطقة الاحتلال الروسية ، ولم يسمح لنا بالتحقيق من الامر لان الروس رفضوا ذلك . . . يستخدمون اسطورة الدعاية القديمة التى تقول ان ملايين اليهود لقوا حتفهم على يد الاشتراكيين الوطنيين . وعلى ضوء ما استطعت التحقق منه خلال ست سنوات انفقتها بعد الحرب فى المانيا والنمسا لقى عدد من اليهود حتفهم لكن الرقم لم يصل ابدا إلى مليون بكل تاكيد ، ولقد ناقشت آلاف اليهود ممن كانوا نزلاء معسكرات الاعتقال فى المانيا والنمسا ، واعتبر نفسى خبيرا فى هذا الموضوع شانى شان الآخرين » .

وفى عام ١٩٦٠ اعلن معهد Iastitut fuer Zeitgeschichte بميونخ « وهو مثال العداء والمقاومة للنازية » اعلن ان[٣٦] :

« غرفة الغاز فى داشو لم تستكمل أبدًا ولم يتم تشغيلها ... ولقد بدات الابادة الجماعية لليهود عن طريق الغاز فى ١٩٤١ — ١٩٤٢ بمساعدة منشآت صممت خصيصا لهذا الغرض ، وفى الاقليم البولندى المحتمل اساسا (وليس فى اى مكان فى ظل الرايخ القديم) ..

هذه هى اسطورة داشو اساسا ، على النحو الذى تظهر به اليوم . وفى صيف ١٩٧٣ فان البيانات التى تقدم للسائح الذى يزور داشو كانت تصف له غرفة التعقيم دون تزييف ، دون محاولة لتصويرها على انها غرفة غاز لابادة البشر . اما بالنسبة للحمام فان الكتيب يقول :

« لم تستخدم غرفة الغاز هذه ، التخفية فى شكل حمام . كان المسجونون الذين يختارون للموت بالغاز ينقلون من داشو إلى قلعة هارتيم ، قرب لينتز (النمسا) او اية معسكرات اخرى » .

يكفى هذا حديثا عن داشو . وقد كان من الضرورى دراستها عن كثب حتى يتسنى لنا تقييم مدى صحة الدعاية الامريكية بصفة عامة .

وكانت معسكرات اوشفيتز ، بالطبع ، جزءا من نظام معسكرات الاعتقال الذى ناقشناه لتونا . غير ان العمليات التى يشار اليها عند الحديث عن أوشفيتز كانت حقا نسيجا وحدها من نواح عدة . هذا صحيح ، ومن ثم يجدر بنا ان نعود إلى الوراء ، فى حساب الزمن ، اذا اردنا رؤية دور اوشفيتز بوضوح . ومن الضرورى ايضا ، لسوء الحظ ، الدخول فى مناقشات قد تبدو ، فى البداية ، فنية بشكل مفرط .

ان السبب الرئيسى فى هزيمة الالمان فى الحرب العالمية الأولى فى ١٩١٨ ، هو ضروب النقص التى تسبب فيها الحصار البريطانى اساسا . كان هناك نقص فى البترول والمطاط ، مما شل الجيش ، كما ان الظروف الشبيهة بظروف المجاعة جعلت الوضع السياسى الداخلى امرا لا يمكن التنبؤ به ، كما جعلته غير مستقر . واستسلمت المانيا التى كانت ضحية ظروف كثيرة من بينها أنها كانت اول ضحية « لازمة لاطاقة » فى القرن العشرين .

وطبيعى ان صناعات المانيا الكيماوية ادركت ، خلال الحرب ، خطورة وضع المانيا بالنسبة للمواد الخام . وبعد الحرب شاع مفهوم عدم الانحياز على الواردات او المعونة الاجنبية ، وكان مرد هذا الاعتبار السابق إلى حد ما . والمواد الخام الوحيدة التى تهمنا هنا هى البترول والمطاط ، ولم تكن هذه المواد موجودة فى المانيا . وبالنسبة لاوروبا كانت رومانيا هى البلد الوحيد الذى لديه موارد بترول كبيرة ، ولم يكن هناك مطاط طبيعى فى اى مكان فى اوروبا . لكن كانت هناك موارد فحم ضخمة فى المانيا وبلاد اوروبية اخرى .

اما شركة الكيماويات الالمانية الضخمة – ا . ج . فارين – فكانت تتالف عام ١٩١٨ من مجموعة من ست شركات اصغر تجمعت عام ١٩٢٥ لتشكل فاربين . اما الشركة الرئيسية السابقة Badische Anilin und Soda Fabrik. للدفيج شافن – ام – راين ، فبدات فى مطلع الحرب العالمية الاولى ، وكانت تدرس عمليات من شانها انتاج بترول صناعى ومطاط صناعى من الفحم . واستمرت هذه الدراسات بعد تكوين فاربين وكذلك بعد ظهور هتلر عام ١٩٣٣ . وسرعان ما نتهجت حكومة النازى سياسة دعم هذه الجهود التى تستهدف تحقيق الاكتفاء الذاتى[٣٧] . وهكذا ، ونتيجة لتشجيع الحكومة . والحاجة حقا إلى مواد صناعية ، والتفوق الالمانى فى المجال العلمى – التكنولوجى عموما فى تلك الفترة ، وخاصة فى الكيماويات والهندسة الكيماوية ، سبقت المانيا العالم بشكل كبير فى هذه المجالات .

كان البترول الصناعى ايسر المشكلتين . فالفحم كربون اساسا ، وثمة مبدا عام ان

الفحم الذى يعالج بغاز الهيدروجين تحت ضغط وحرارة عاليتين (هدرجة) ينتج بترولا . ويمكن ان نتتج من هذا البترول القائمة المعتادة من المنتجات الكيماوية : الاصباغ – المتفجرات – العقاقير.... الخ وثمة مرحلة اخرى من مراحل المعالجة بالهيدروجين ينتج عنها جازولين . كانت الفكرة بسيطة اساسا ، وان كانت العملية مكلفة بطبيعتها ، وكانت البحوث تتركز فى استنباط عامل مساعد فعال . وخلال الحرب العالمية الثانية تعددت مصانع البترول الصناعى داخل المانيا وحولها ، وكانت تنتج ٧٥٪ من بترول المانيا ، وكان الباقى يجىء اساسا من رومانيا[٣٨] .

اما المطاط الصناعى شيئا اخر ، فهناك مشاكل فنية معقدة امام التوصل إلى مطاط صناعى اقتصادى صالح للاطارات ، ولم تحل هذه المشاكل حقا الا قرب بداية الحرب .

تتلخص الخطوات الاساسية لصناعة المطاط فى المشروع اولا فى عمل سلاسل طويلة من الجزئيات – بلمرة – ثم جعل هذه السلاسل تتقاطع وتتلاصق عند نقاط مختلفة – فلكنه . ويقتضى الامر جزئيا يناسب البلمرة والفلكنة . ووجد ان البوتاديين مناسب بصفة خاصة . واتضح فى اواخر العشرينات ان الصوديوم عامل مساعد ممتاز لبلمرة البوتاديين ، ولذا فان المطاط الصناعى الذى صنع من البوتاديين والصوديوم كعامل مساعد ، كان يسمى مطاط « بونا » . وتم التخلى عن الصوديوم عام ١٩٣٥ لكن تعبير « بونا » استمر . وتم التوصل إلى المطاط المناسب لصنع الاطارات بإحلال مطاط الستيرين (بونا – اس) محل ٢٥٪ من البوتادين[٣٩] .

كان اول مصنع المانى جاد ، وضخم ، من طراز (بونا اس) هو مصنع شكوباو ، الذى بدا العمل فيه عام ١٩٣٧ وانتهى عام ١٩٣٩ . وكانت طاقته الانتاجية ٦٠٠٠ طن فى الشهر . وبدئ العمل فى مصنع اخر بهويلز عام ١٩٣٨ وبدا ينتج فى اغسطس ١٩٤٠ ، بطاقة انتاجية ٤٠٠٠ طن فى الشهر . وبدا مصنع اخر فى يناير ١٩٤١ فى لودفيجشيفن – مقر بحوث فاربين – واخذ ينتج البونا فى مارس ١٩٤٣ ، بطاقة انتاجية ٢٥٠٠ طن فى الشهر . وبدا المصنع الرابع فى اوشفيتز عام ١٩٤١ وكان الهدف منه ان ينتج ٣٠٠٠ طن فى الشهر .

وخلال كل هذه العمليات الانشائية استمرت البحوث الرامية إلى التوصل إلى عمليات جديدة ، ومما يعكس هذا تنوع العمليات المستخدمة فى المصانع الاربعة . كان الفحم هو نقطة البداية بالنسبة للجميع ، اما فى شكوباو فكان البوتاتديين ينتج بالتدريج

الكلاسيكى : كالسيوم – كاربايد – استيلين – بوتادين ، وفى رهويلز حل محل مرحلة الكباربايد عملية تقتضى استخدام غازات الهيدروكربون . وعادت لود فيجاشفين إلى التدرج الكلاسيكى مع الاستعانة بعملية ريب المتقدمة ، وذلك فى مرحلة الاستيتيلين – بوتادين . كذلك فان مصنع البوتا فى اوشفيتز استخدم شكلا من اشكال المراحل الكلاسيكية[٤٠] .

والسبب فى ظهور اوشفيتز فى هذا الاطار بسيط جدا : كانت اوشفيتز عملية صناعية ضخمة .

وعندما ضمت المانيا اليها جزءا كبيرا من بولندا بعد تقسيم بولندا بين المانيا وروسيا عام ١٩٣٩ ، اصبح فى حوزتها حقول الفحم الضخمة فى سايليزيا العليا البولندية . وكان طبيعيا ان يتقرر استغلال هذا ، ودرسوا امكانية قيام مصنع للهدرجة والبونا . واكتشفوا ان مدينة اوسفييكيم الصغيرة (عدد السكان ١٣٠٠٠) والتى ترجمت إلى الالمانية فاصبحت « اوشفيتز »(كانت اوشفيتز دوقية تابعة لامبراطورية هابسبرج قبل الحرب العالمية الاولى) اكتشفوا ان هذه المدينة ذات موقع مثالى ، فالانهار الثلاثة تتجمع هناك ومن الممكن تكفل الطاقة الضرورية ، بينما تواجد عن قرب نهر رابع لحمل النفايات . كذلك فان اوشفيتز كانت على الحدود الجنوبية لحقول الفحم فى سايليزيا ، وهى منطقة تعدين كاتوفتيز (كاتوبكى) فى بولنده[٤١] .

وفى مطلع ١٩٤١ تقرر تشييد مصنع للهدرجة والبونا فى اوشفيتز ، مع الاستعانة بالعمال والمسجونين . وبمحض الصدفة توافر قرب المدينة معسكر لاسرى الحرب يضم ٧٠٠٠ سجين (كان فى الماضى ثكنات للمدفعية البولندية) ، واصبح هذا المعسكر نواة التضخم عن طريق التوسع فيه ، وكذلك عن طريق تشييد معسكرات اضافية . وسرعان ما تحول إلى معسكر للمسجونين السياسيين الذين يعملون ، وظل هكذا حتى النهاية ، ويشار اليه عادة على انه اوشفيتز ١ . وفى بعض الاحيان يستخدم اصطلح المعسكر الرئيسى[٤٢] » .

خلال عام ١٩٤١ بدا العمل فى المعسكر الثانى ، او شفيتز ٢ ، ويشار اليه عادة باسم : بيركفاو . وكان يبعد عن اوشفيتز ١ من ميل إلى ميل ونصف ، وكان يشار إليه اساسا على انه معسكر لأسرى الحرب . وتم تشييد جزء منه فى ابريل ١٩٤٢ ، وتم استخدام اسرى الحرب الروس فى انشائه وسنبحث وظائفه بتفصيل .

وتم نقل حوالى ٤٠٠٠ يهودى من المدينة إلى مدينة اخرى لاتاحة الفرصة للعمال

الاحرار المرتبطين بالصناعات . وفى ١٦ نوفمبر ١٩٤١ تقرر انشاء معسكر ثالث ، ويشار اليه عادة باسم مونوفيتز ، ويقع على مسافة ثلاثة اميال شرقى المدينة ، وعلى مقربة من مصنع فاربين وذلك لايواء العمل الذين يعملون فى المصنع . ومرة اخرى استخدم اسرى الحرب الروس فى انشاء المعسكر[٤٣] . ويبين الرسم ٣ المواقع النسبية للمعسكرات الثلاثة[٤٤] .

كذلك كان هناك عدد كبير من المعسكرات الصغرى فى المنطقة المتاخمة ، ومعظمها داخل قطر يبلغ ٢٥ ميلا . كانت هذه « معسكرات خارجية » ، ومن امثلتها « رابيسكو » « هارمينس » وكانت ادارتها خاضعة لإدارة معسكر اوشفيتز ، واختلفت تقديرات عددها من ١٣ إلى ٣٩ ، ويتوقف هذا على مفهوم المعسكر الواحد . وكانت هذه المعسكرات الصغرى ، او الخارجية خاصة بمن يعملون فى افران الصهر الخمسة ، او مناجم الفحم الخمسة وفى بعض الاحيان يشار إلى مونوفيتز ومجموعة المعسكرات الخارجية باكملها على انها اوشفيتز ٣ . اما مجموعة المعسكرات كلها ، وكذلك الصناعات التى تستخدم المسجونين ، فهى ما يطلق عليه مصطلح « اوشفيتز » ، الذى يغطى الجميع[٤٥] .

لم يكن هناك شىء غير عادى يميز المسجونين فى اوشفيتز ٣ ، اللهم الاكثرة عدد اسرى الحرب البريطانيين[٤٦] . ولقد حكمت محكمة نور مبرج العسكرية بان استخدام اسرى الحرب البريطانيين لم يكن يتعارض واتفاقية جنيف فلقد كان لمصنع بونا هدف سلمى فى نهاية الامر[٤٧] . ويبدو ان الصليب الاحمر راى هذا الراى ، فهو على علم بالامر ، لكنه لم يشر إلى استخدام اسرى الحرب البريطانيين فى تقريره اللاحق الذى عرض فيه للمشاكل التى صادفها خلال الحرب فيما يتعلق باستخدام اسرى الحرب فى اعمال تتعلق بالحرب[٤٨] .

وكان عدد الموجودين بالمعسكرات : ٢٠٠٠٠ فى اشفيتز ١ – ٣٥٠٠٠ فى بيركنيلو (من ٣٠٪ إلى ٦٠٪ منهم من النساء) – ١٥٠٠٠ فى اوشفيتز ٣ . كانت اوشفيتز اكبر تجمع لمعسكرات الاعتقال فى النظام الالمانى ، وفى اغسطس ١٩٤٣ كانت ساشسينهاوزين تليها فى المرتبة من حيث الضخامة ، اذ بلغ عدد من فيها ٢٦٥٠٠٠[٤٩] . كذلك كان هناك عمال احرار كثيرين يعملون بالمنطقة ويعيشون فيها . مثال هذا ان اقل من ٣٠٪ من العمال فى مصنع فاربين كانوا من المساجين » ، واكثر من النصف من العمال الاجانب الاحرار الذين انخرطوا فى سلك العمال بمحض ارادتهم ، اما الباقون حوالى ٢٠٪) فكان من المستخدمين الالمان العاديين[٥٠] .

وكانت اوشفيتز (المركز الادارى لكل مهام الرايخ فى اوشقيتز . وكانت هذه المهام

تتضمن حراسة المسجونين ، واطعامهم ، وكسوتهم ، وايوائهم ، والترفيه عنهم ، وتاديبهم ، وكذلك توفير الخدمات الطبية . وكانت ساعات العمل فى اوشفيتز هى ساعات العمل المعتادة فى معسكرات الاعتقال الالمانية : ١١ ساعة فى اليوم ، ستة ايام فى الاسبوع ، مع عمل اضافى صباح الاحد فى حالة « الطوارئ »[٥١] ، ولان اوشفيتز مؤسسة ضخمة ، استطاعت ان توفر انشطة ترفيهية متنوعة نسبيا : حفلات موسيقية ، عروض كابارية ، عروضا سينمائية مباريات رياضية . بل لقد كان هناك بيت دعارة للمساجين من الرجال[٥٢] . وسنعلق ، فى موضع لاحق ، على الخدمات الطبية .

وطبيعى ان توفير مثل هذه الخدمات الضخمة كان معناه ان الشركات التى كانت تستفيد من عمل المسجونين كانت « تستاجرهم » . ويبدو ان الاجر المعتاد كان ٤ RM او ٦ RM (يعادل : دولار او ١ ½ دولار امريكى) فى اليوم ، وقد يزيد على ذلك[٥٣] . وهكذا كان المسجونون يشكلون اساس امبراطورية هملر البيروقراطية الاقتصادية ، ونتيجة لهذا كانوا جد حريصين على هذا المورد ، إلى جانب المهام المساعدة (اطعام ، كسوه . . . الخ . .) ومع ذلك بلغ من ضخامة مؤسسة فاربين انها استطاعت التوصل إلى ترتيبات لمن فى مونوفيتز ، وحولت لها السلطة الكاملة لرعاية المسجونين هناك ، وهكذا قلة تكاليف الرايخ . وأدى هذا إلى المشاحنات المتوقعة بين الرايخ وفاربين . شكا المسئولون عن المعسكرات من الضرب وضروب اخرى من سوء المعاملة ، مثل عدم توافر الظروف الصحية المناسبة فى مستشفى مونوفيتز . كذلك فان ⅕ الذين سجلوا فى هذا المستشفى تم اخراجهم وذلك بارسالهم إلى بيركيناو ، وهكذا توقفت اعتماداتهم التى كانت فاربين توفرها لعالجهم ، واصبحوا من اختصاص المسئولين عن معسكرات الاعتقال الذين كانوا قد تضايقوا من حرمانهم من الحقوق المعتادة الخاصة للمسجونين العمال ، وها هو حنقهم يزداد اذ يتسلمون عاطلين فى مونوفيتز . ومن اجل هذا طالبوا بالتوسع فى مستشفى مونوفيتز الذين لم يكن به سوى ٣٠٠ سرير ، لكن الرد الطبيعى كان « اذا لم تكن لديهم القدرة على العمل فان ارض المصنع ليست مكانهم »[٥٤] .

وكان بيركيناو ، شانها شان اوشفيتز ١ ، مسئولة عن توفير العمالة لفاربين وللمتعاقدين مع فاربين ، كذلك كانت تكفل العمالة لمؤسسات اخرى مثل مصنع كروب للصمامات الكهربائية ، ومصنع سيمينز للمعدات الكهربائية . وبالاضافة إلى هذا كان المسجونون يعملون فى ازالة الابنية المنهارة ، وتخفيف المستنقعات ، وتعبيد الطرق ، والعمل فى مؤسسة

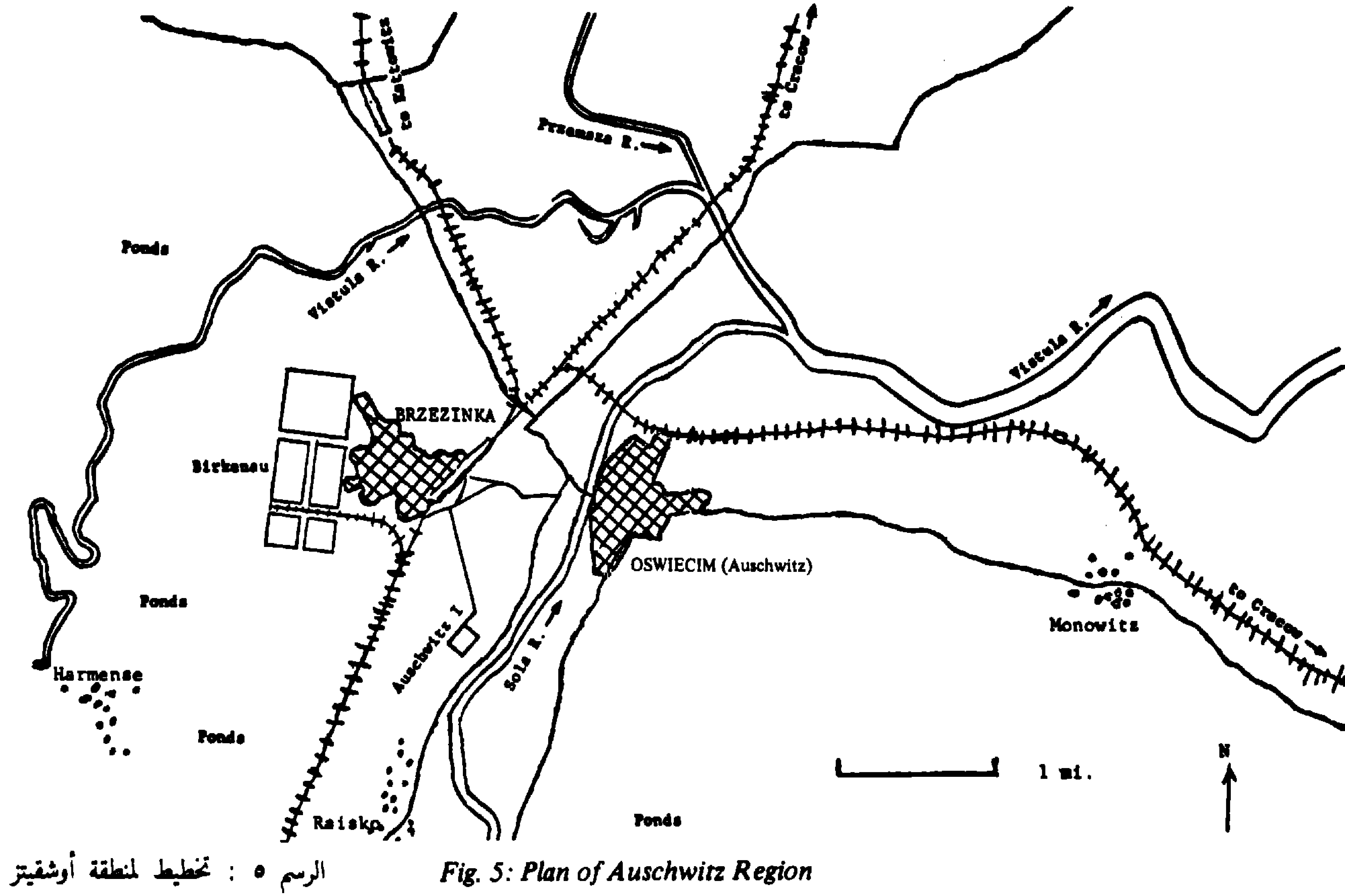


Fig. 5: Plan of Auschwitz Region

الرسم ٥ : تخطيط لمنطقة أوشفيتز

لزراعة نباتات معينة (راسكيو) ، واعداد وتشغيل مزرعة نموذجية (هارمينسى) ، وصناعة الملبوسات . . الخ . . .[٥٥] كذلك كان لبيركينا ومهام اخرى كما سنرى . وسيكون من الضرورى – بصفة خاصة – ان ندرس الادعاء القائل بان بيركيناو شهدت برنامجا لقتل اليهود جماعيا عن طريق غرف الغاز ، وانه قد تم نقل اليهود إلى او شفيتز لهذا الغرض اساسا[٥٦] .

والارقام التقريبية التى عرضناها سابقا فى حديثنا عن سكان المعسكرات انما بهدف التصوير ، والواقع ان الرقم الخاص ببيركينا وكان يختلف اختلافا كبيرا . يضاف إلى هذا ان المعسكر بيركينا ولم يستكمل نهائيا . ويبدو ان بيركينا وكانت تستهدف ٠٠٠ ٢٠٠ سجين ، بينما توسعت اوشفيتز إلى حوالى ٠٠٠ ٣٠ ثم استقرت[٥٧] . وهكذا ، وبسبب الاقدمية ، ولان اشفيتز كانت مقر قيادة معسكرات الاعتقال ، كانت اوشفيتز ١ « المعسكر الرئيسى » حقا . غير ان بيركيناد ، التى صممت للوفاء بالمتطلبات الخاصة لعمليات اوشفيتز ، كان مقدرا لها ان تكون « المعسكر الاساسى » بالنسبة لمهام ايواء المسجونين .

واذا كانت منطقة اوشفيتز – كاتوفيتز مثالية من الناحية الفنية : لا أنها كانت تعسة من الناحية الانسانية . كانت الارض مسطحة للغاية ، ولم تكن بها من وسائل لتصريف الماء فى مناطق عديدة . وكانت مليئة ببرك راكدة تسمم الجو وتتسبب فى جعل المنطقة موحلة دائما . كانت الملاريا والتيفوس من الاخطار الطبيعية وليسا من صنع الحرب ، كذلك فان ظروف الحرب جعلت الامور تتفاقم إلى حد كبير . وقيل ان « السيارات كانت تعقم بعد كل رحلة تحمل فيها مساجين او تحمل ملابسهم[٥٨] » .

وبعد ١٩٤٢ انتج مصنع الهدرجة فى اوشفيتز البترول والجازولين وغيرها من الكيماويات ، لكن حين اخلى المعسكر فى يناير ١٩٤٥ لم يكن قد انتج اى بونا ، وانما كان على وشك انتاج الاسيتالدهايد من الاسيتيلين[٥٩] . هذا البطء النسبى فى انشاء المصنع يرجع ، بلا شك ، الى جدة المنطقة ، وإلى استخدام المسجونين ، وسوء صحة الكثيرين منهم ، ولهذا العامل الاخير مدلولات اخرى سنعرض لها فى اطارها الصحيح .

ولست ادرى ما اذا كان الهدف من مصنع اوشفيتز للبونا ان يكون مماثلا اساسا لمصنع لودفيجشافين ، او محسنة منه ، او صورة جديدة لمصنع للبونا . ايا كان الامر لو كان قد استكمل لما كان هناك مصنع للمطاط اكثر تقدما منه فى العالم فى ذلك الحين .

الفصل الثالث

واشنطن ونيويورك

كان الموقف العسكرى لدول الحلفاء فى عام ١٩٤٢ موقفا يائسا من الناحية الظاهرية . ذلك انه بعد انقضاء شتاء عام ١٩٤١ - ١٩٤٢ ، واصلت الجيوش الالمانية تقدمها عبر اراضى روسيا . وقد ادى تدمير الجزء الاكبر من الاسطول الامريكى فى المحيط الهادى فى بيرل هاربور يوم السابع من ديسمبر عام ١٩٤١ إلى ان اصبح المحيط الهادى بحيرة يابانية فى الواقع . وواجهت امريكا فجاة مشكلة بدت غريبة بالنسبة لها : وهى النقص فى احدى المواد الخام الهامة لم يكن من الممكن بدونها القيام باى عمل حربى . اذ سيطرت اليابان على المصدر الذى تحصل منه امريكا على ٩٠٪ من المطاط اللازم لها وهو الملايو جزر الهند الغربية ، كما ان المصدر الآخر لنسبة الـ ١٠٪ الباقية وهو امريكا الوسطى والجنوبية لم يكن كافيا على الاطلاق .

والطريقة التى انتزعت بها امريكا نفسها من هذا الموقف الخطير سوف يسجلها التاريخ بوصفها واحدة من اكبر المفارقات فى التاريخ . ولم يكن بمقدور امريكا ، كما قد يتوقع المرء ، ان تحل هذه المشكلة طالما ان احدا فيها لم يفكر فى مسالة « الاكتفاء الذاتى » .

وكانت شركة ستاندارد اويل بنيوجرسى قد توصلت إلى اصول تصنيع المطاط الصناعى الذى تنتجه شركة فاربين الالمانية وذلك نتيجة لسلسلة من الاتفاقات الموقعة بين الشركتين والتى بدأت فى عام ١٩٢٧ ، وتشمل هذه الاتفاقات مجالات التعاون الفنى وترتيبات التراخيص المتبادلة . وقد اهتمت شركة ستاندارد تماما بالمطاط الصناعى نظرا لانه من الممكن تصنيعه (وبسهولة اكبر) من البترول واستمر هذا التعاون قائما ، بموافقة الحكومة الالمانية حتى نشوب الحرب ، بل وبعد نشوبها ، إلى حد ما . وقد استفاد الجانب الامريكى استفادة ضخمة من هذه الترتيبات ولكن الجانب الالمانى لم يحقق من ورائها شيئا .

وقد ادى نشوب الحرب فى سبتمبر من عام ١٩٣٩ بين المانيا من جانب وانجلترا وفرنسا من جانب آخر إلى ارتباك الوضع القانونى للترتيبات المبرمة بين شركتى فاربن وستاندارد وهو

امر لا حاجة بنا إلى الخوض فى تفاصيله هنا . وارادت شركة فارين توضيح هذا الارتباك ، وهكذا تم الترتيب لعقد اجتماع فى لاهاى يوم الثانى والعشرين من سبتمبر ، وتم فيه وضع بعض الترتيبات القانونية . وقد اثار هذا الامر كله حيرة فرانك أ . هوارد المسئول بشركة ستاندارد ، اذ يقول :

« على انى لم استطع التغلب على اعتقادى بان الالمان انفسهم هو الشعب الوحيد الذى يمكن ان يستفيد من وجهة نظر عسكرية وذلك بترك العلاقات بين شركتى ستاندارد وشركة فارين . فى الوضع الذى انتهت اليه نتيجة الحرب » .

وسرعان ما اتضح ان الترتيبات التى اتخذت فى لاهاى لم تكن كامنة ولذلك تقرر فى ربيع عام ١٩٤٠ انه من الضرورى عقد اجتماع آخر . وكان من رأى هوارد ان هناك دافعا آخر لعقد اجتماع آخر اذ يقول :

« .... لقد اعتزمنا ايضا ان نطلب منهم تزويدنا ببعض تصميماتهم التفصيلية الخاصة بتصنيع المعدات والتكنيك الخاص بانتاج المطاط الصناعى . وكنا نأمل فى ان تحصل الشركة الالمانية على تصريح من حكومتها بأن تبيع لنا المشروعات الخاصة بمصانع تحويل مركبات المطاط الصناعى والتى أقوها فى المانيا بموجب برنامج الحكومة » .

وقد تحطمت هذه الآمال على مائدة المؤتمر الذى ضم شركتى ستاندارد وفارين والذى عقد اخيرا فى بال بسويسرا فى منتصف ابريل من عام ١٩٤٠ ، اى اثناء احتلال المانيا للنرويج الذى كان بمثابة اعلان عن انتهاء سياسة الاستسلام . فقد ادت الظروف السياسية الجديدة التى نجمت عن ادراك الالمان لمدى خطورة الموقف إلى انهاء العلاقات الفعلية بين شركتى فارين وستاندارد وذلك على مائدة المؤتمر . وبالطبع لم تحقق شركة ستاندارد اى تقدم بشان مقترحاتها بشراء تصميمات المصنع . على ان هوارد فسر ذلك بقوله :

« هناك نقطة اخرى كانت ماثلة فى اذهاننا . كنا نريد ان نتاكد ، اذا امكن ، من ان الالمان لم يحدثوا ، منذ نشوب الحرب فى اوروبا ، اى تغيير جذرى فى عمليات تصنيع المطاط الصناعى او مواصفاته . ولم يكن توجيه الاسئلة المباشرة مجديا نظرا لان رجال شركة فارين لا يستطيعون مناقشة مرحلة من مراحل المجهود الحربى الصناعى الخاص بالمانيا على انه اثناء تسوية المسائل المتعلقة بنقل براءات الاختراع ومناقشة تعريفات الامتيازات اللازمة لتنفيذ اتفاق لاهاى ، حصلنا على بيانات كامنة اكدت لنا ان جميع الاسس الجوهرية الخاصة بعملية انتاج المطاط الصناعى مازالت كما هى بدون تغيير. وقد تاكد هذا

الاستنتاج تماما فيما بعد».

وكان ذلك «آخر اتصال مباشر اجرته شركة ستاندارد مع الالمان بشان المطاط الصناعى».

لقد حصلت امريكا على كل المعلومات الخاصة بعمليات تصنيع المطاط الصناعى، والتى جعلت المجهود الحربى الامريكى ممكنا، من العلاقات التى كانت قائمة مع شركة فارين الالمانية وهذه حقيقة مسلم بها فى صناعة المطاط وبرغم ذلك تعرضت ستاندارد فيما بعد لبعض الانتقادات الحمقاء بل ولدعاوى قضائية بسبب هذه العلاقات.

وقد ادى فقد احد مصادر المطاط بصورة مفاجئة فى عام ١٩٤٢ إلى اثارة ازمة سياسية كبرى فى الولايات المتحدة. اذ كان برنامج انتاج المطاط الصناعى قائما منذ منتصف عام ١٩٤٠، عندما تم تأسيس شركة احتياطى المطاط داخل نطاق شركة تمويل التعمير. وكانت هذه الوكالة التى يراسها جيسى هـ. جونز، تشرف على تخزين احتياطى المطاط الخام كما كانت تشرف على انشاء مصانع المطاط الصناعى، الذى بدا فى عام ١٩٤١. على ان احدا من المسئولين لم يتنبأ بفقدان مطاط الشرق الاقصى كلية، ولهذا كان مشروع المطاط الصناعى متواضعا فى حجمه. ونتيجة لذلك لم تكن هناك اية خبرة فعلية تقريبا فى عام ١٩٤٢ بشان استخدام عمليات تصنيع المطاط الصناعى على نطاق واسع.

وتاكدت الحاجة الملحة الطارئة بعد الهجوم على بيرل هاربور نظرا لان الحكومة الامريكية فرضت، بعد الهجوم بثلاثة ايام، حظرا على بيع اطارات السيارات الجديدة للاغراض المدنية. وسرعان ما طبق نظام بيع المطاط بالبطاقات. وفى اوائل عام ١٩٤٢ اتضح انه اذا ارادت امريكا القيام بمجهود حربى، فانه يتعين اقامته صناعة ضخمة للمطاط فى وقت قياسى. واثارت ضآلة فرص تحقيق هذا فيما يبدو قدرا من الفزع، وكان من الطبيعى محاولة ايجاد كبش فداء. واصبح جيسى جونز هدفا مفضلا، اذ عندما ادعى انه سوف يتم انتاج ثلاثمائة الف طن من المطاط الصناعى فى عام ١٩٤٣، وستمائة الف طن فى عام ١٩٤٤، قوبل ادعاؤه هذا بالسخرية والاستهزاء (بلغ استهلاك الولايات المتحدة من المطاط ٦٤٨٥٠٠ طن فى عام ١٩٤٠) وتعرضت شركة ستاندارد اويل ايضا لاتهامات صارخة وظالمة من قبل اشخاص فسروا الاتفاقات المعقودة بين شركتى فارين — ستاندارد بأنها مؤامرة تهدف إلى تعطيل عملية تطوير المطاط الصناعى فى الولايات المتحدة. وقد برز اسم هارى س. ترومان رئيس احدى لجان الكونجرس التى قامت

بالتحقيق فى مشكلات الانتاج الحربى ، لاول مرة نتيجة لارتباطه بازمة المطاط فى عام ١٩٤٢ .

واثارت الازمة ايضا صراعات سياسية داخلية . ذلك ان المصالح البترولية الضخمة كان لها دور طليعى قديم فى انتاج المطاط الصناعى ، ولكن كتلة المزارعين كانت تتمتع بالسيطرة فى الكونجرس . واصبح من الممكن الآن انتاج المطاط الصناعى لا من الفحم والبترول فحسب ، وانما من الكحول ، وهو ناتج زراعى . وعندما توقعت المصالح الزراعية مولد صناعة ضخمة جديدة ، بدات تدعو إلى صنع المطاط من الكحول وهو اكثر الوسائل تكلفة) واستشهدوا فى دعواهم بان الروس ، الذين نشطوا منذ وقت طويل فى مجال صناعة المطاط الصناعى ، قد بداوا باستخدام الكحول . وقدموا ايضا لاجئا بولنديا يفترض انه استحدث ابتكارا ثوريا فى مجال صنع المطاط الصناعى من الكحول .

وكانت هناك كتلة سياسية اخرى مرتبطة بالمصالح فى امريكا الجنوبية ، واقترحت هذه الكتلة تقديم اعانات للمزارع . وكانت توجد ايضا كتلة من صغار المزارعين تلح على التوسع فى زراعة نبات الجوايول فى الجنوب الغربى . وكان من اثر هذه المعارك السياسية الداخلية خلق حالة ارتباك واسعة النطاق وتعطيل التقدم فى برنامج المطاط الصناعى الامريكى الذى كان قائما فى ذلك الوقت .

وشغلت ازمة المطاط اعمدة الصحف فى عام ١٩٤٢ وكانت فى الحقيقة اكبر ازمة شهدت الولايات المتحدة فيما يتعلق بالحرب وكان البعض ينعون دائما ان المانيا متقدمة تماما عن الولايات المتحدة ، وان الولايات المتحدة تفتقر إلى الخبرة الاساسية التى يمتلكها الالمان فى مجال عمليات التصنيع . وتم استعراض الاساليب المستخدمة فى المانيا عند مناقشة فرص نجاح البرنامج الامريكى .

وقد حققت المعركة التى شنتها كتلة المزارعين ضد ما اسمته « بالمصالح الزيتية » نجاحا ضخما مؤقتا فى يوليو عام ١٩٤٢ عندما اصدر الكونجرس « قانون امداد المطاط لعام ١٩٤٢ » الغريب . وكان من المقرر ان يؤدى القانون إلى تاسيس وكالة جديدة لانتاج المطاط تخضع تماما لاشراف الكونجرس وخارج نطاق سيطرة مجلس الانتاج الحربى ، او الجيش او البحرية او اية وكالة تنفيذية تابعة للحكومة . وبالطبع ، نص القانون ايضا على ان يتم تصنيع المطاط من الكحول التجارى . وقد استخدم الرئيس روزفلت حق الفيتو فى رفض مشروع القانون يوم السادس من اغسطس واعلن تشكيل لجنة لدراسة مشكلة

المطاط وتقديم بعض التوصيات بخصوص تنظيم برنامج للمطاط الصناعي الامريكي » ربما كان اكبر عمل قوبل بالتاييد على نطاق واسع فى الجبهة الداخلية فى تاريخ برنامج الحرب » . وقد تكونت اللجنة من الدكتور جيمس د . كونانت ، رئيس جامعة هارفارد ، ودكتور كارل ت . كومتون ، رئيس معهد التكنولوجيا فى ماسشوستس ، وبرناردم . باروخ وهو خبير مالى وزعيم سياسى ، عين رئيسا للجنة التى تعرف عادة باسم لجنة باروخ .

وقد تم اختيار هؤلاء الرجال الثلاثة لانهم اعتبروا غير مرتبطين باية مصالح معينة فى النزاع ، كما اختيروا نظرا لخبرتهم . وقد يبدو تعيين باروخ رئيسا لمجموعة فنية كهذه امرا غريبا لاول وهلة ، ولكنه ليس امرا غريبا فى الحقيقة . فقد كان باروخ شخصا ذا مواهب متنوعة وله صلات مالية وصناعية وسياسية هامة ، كما راس مجلس الصناعات الحربية اثناء الحرب العالمية الاولى . فضلا عن انه ظل مهتما لفترة تزيد عن الثلاثين عاما بالمشروعات الصناعية التى يدخل فيها المطاط ، وقام بصفة مستقلة بعمل جرد لمخزون امريكا من المطاط فى ربيع عام ١٩٤١ ، وكانت متطلبات الحرب تشغل تفكيره. ونتيجة لذلك دخل باروخ فى منازعات مع العديد من الاشخاص واهمهم جيسى هـ. جونز. فضلا عن ان باروخ ، على عكس اى رئيس عادى للجنة مؤقتة فى واشنطن قد عمل بكل طاقته فى هذه اللجنة . وانضم مساعده سام لوبل ايضا إلى العمل فى مهام اللجنة . وحتى بعد اصدار التقرير النهائى ، واصل باروخ اهتمامه بالموضوع نظرا لان هوارد يذكر ان باروخ قد عبر فيما بعد عن رغبته فى التحدث إلى المسئولين فى شركة ستاندارد ، وتم عقد اجتماع بالفعل تمت فيه مناقشة المشكلات الاقتصادية الفنية الكبرى .

وقد انتهت لجنة باروخ عملها بسرعة غير عادية وصدر التقرير النهائى يوم العاشر من سبتمبر عام ١٩٤٢ ، وافضل تفسير لهذه السرعة هو اهتمام باروخ المستقل السابق بالمشكلة .

وعلينا ان نحاول تفهم هذه المشكلة كما راتها اللجنة عام ١٩٤٢ . لقد كانت المشكلة فى المقام الاول مشكلة سياسية تتطلب التوفيق بين المصالح المختلفة المتنازعة بشان صناعة المطاط الصناعى . ولهذا اوصى تقرير اللجنة النهائى بتوفير طاقة لانتاج مائة مليون جالون اضافية من الكحول التجارى سنويا . وتعلقت المشكلة الثانية بافتقار امريكا إلى الخبرة العملية فى مجال تصنيع المطاط الصناعى . كانت المواصفات الفنية متوفرة ولكن كانت هناك اسئلة كثيرة بشان العديد من التفصيلات ، مع وجود عدد قليل من انماط عمليات التصنيع البديلة . ولذلك ، فمن اجل الاسراع ببرنامج المطاط الصناعى الامريكى ، رأت

لجنة باروخ ان هناك حاجة إلى التعرف على اكبر قدر ممكن من خبرات الاخرين . وقدمت توصية خاصة ببذل الجهود فورا من اجل دراسة خبرات الروس فى مجال انتاج المطاط الصناعى واستغلالها فى البرنامج الامريكى (وقد اتهم جيسى جونز باغفال هذه الامكانية) . وتم بذل هذا المجهود ولكنه لم يسفر عن اية نتيجة ذات قيمة . وفى ظل هذه الظروف فانه من الضرورى ان نفترض ان شخصا ما فى امريكا قد اطلع على التطورات الجديدة فى المانيا بالقدر الممكن من التفصيلات المتاحة فى ذلك الوقت ، وكان التطور الالمانى الجديد فى صناعة المطاط فى عام ١٩٤٢ يتم فى اوشفيتز التى كانت موقعا لاحدث التطورات فى صناعة المطاط الصناعى فى ذلك الوقت .

والنقطة التى يجب ايضاحها فى مناقشتنا لازمة المطاط الامريكية فى عام ١٩٤٢ هى ان المخابرات الامريكية لابد وان تكون قد علمت بما يجرى فى اوشفيتز فى ذلك العام . ولا شك انه سيكون من المفيد لو استطعنا ان نعرف بالضبط المعلومات التى توصلت اليها المخابرات العسكرية الامريكية بشأن الاحداث التى وقعت فى المانيا وحولها اثناء الحرب . ولكن وكالات المخابرات تحجم عادة عن كشف مثل هذه المعلومات ، حتى بعد مرور سنوات عديدة على وقوع الاحداث المتعلقة بها . وفيما يتعلق بعمليات المخابرات فى الحرب العالمية الثانية ، لا نعرف سوى عدد ضئيل من الحوادث المثيرة ، ولكن فحوى معلومات مخابرات الحلفاء عموما لم يتم الكشف عنها . وسوف يمر وقت طويل قبل الكشف عن المعلومات المتعلقة باوشفيتز ، هذا اذا تم الكشف عنها اطلاقا .

ولذلك يجب علينا ، فى محاولتنا تقييم المعلومات التى توصلت اليها مخابرات الحلفاء ، ان نسترشد بالفطرة السليمة . والصعوبة هنا هى ان ادراكى للامور قد يختلف كثيرا عن فطرة او ادراك شخص آخر ، كما قد يكون من العسير تماما التوصل إلى اتفاق بشان مثل هذه الامور . والآن ، فإن حكمى على الامور بالفطرة السليمة يدلنى على ان مخابرات الحلفاء لابد وانها كانت تعلم ، بغض النظر عن ازمة المطاط ، فى منتصف عام ١٩٤٢ بما كان يجرى فى اكبر معسكر اعتقال المانى . فضلا عن انه لو كان هناك اى تصرف شاذ مثل برنامج لابادة اليهود بصورة منظمة فى اوشفيتز فى ربيع عام ١٩٤٢ ، كما تؤكد جميع روايات اسطورة الابادة ، فان فطرتى تنبئنى بانه من المؤكد ان المخابرات العسكرية الامريكية كانت ستعرف بذلك .

واذا ما توصل شخص اخر عن طريق الحكم على الامور بالفطرة إلى استنتاج اخر ،

فمن المشكوك فيه تماما ان نتمكن من تسوية هذا الخلاف فى الراى عن طريق المناقشة . على انه فيما يتعلق باوشفيتز ، نحن نعرف انها كانت ذات اهمية لا بوصفها اكبر معسكر اعتقال (ولا بوصفها اكبر معسكر ابادة ، اذا صحت المزاعم الخاصة بالابادة) ولكن ايضا بوصفها موقعا لاكثر التطورات تقدما فى صناعة المطاط الصناعى . فى عام ١٩٤٢ لم يكن هناك مكان اهم منها فى الريخ الالمانى ، ولم تكن هناك عمليات صناعية تفوق صناعة المطاط الصناعى من حيث الاهمية الاستراتيجية . ولذلك اذا اراد المرء ان يزعم ان المخابرات الامريكية (او المخابرات البريطانية الوثيقة الصلة بها) لم تكن على علم بما كان يدور فى اوشفيتز فى صيف عام ١٩٤٢ فاننى اخشى القول انه لابد للمرء ان يدعى ، منطقيا ، جهل وكالات المخابرات هذه وعدم كفاءتها على الاطلاق .

ويرجع السبب وراء اهتمام الولايات المتحدة الكبير باوشفيتز فى منتصف عام ١٩٤٢ إلى اهميتها التكنولوجية الهائلة . وقد راينا من قبل اهتمام هوارد الضخم ، فى عام ١٩٤٠ بالحصول على اية معلومات بشان التطورات الجديدة المحتملة التى يمكن الحصول عليها بصورة مباشرة او الاستدلال عليها بصورة غير مباشرة . ولابد ان نفترض وجود اهتمامات مماثلة من جانب الامريكيين فى عام ١٩٤٢ . ومن الموكد ان المخابرات قد طورت الحقائق الاساسية الخاصة بالصناعة القائمة فى اوشفيتز وتتمثل فى وجود مصنع لعمليات المدرجة وعدد اخر من العمليات الكيميائية التى تهدف إلى انتاج البنزين والمطاط . وقد عرف ان كل مصنع من مصانع المطاط الصناعى الالمانى يستخدم عمليات تصنيع تختلف من حيث اهمية التفصيلات عما تستخدمه باقى المصانع ، وان عمليات التصنيع فى أوشفيتز هى المستفيدة من تجميع الخبرات فى صورة انماط مختلفة . ولهذا فان لنا العذر فى ان نفترض ، نظرا للالحاح الغريب اتسمت به مشكلة المطاط ووضع اوشفيتز الغريب بالنسبة إلى هذا الالحاح ، ان المخابرات تناولت مسالة اوشفيتز بتفصيل غير عادى وربما درست كل بوصة منها عن طريق الصور الفوتوغرافية وان المعلومات التى أمكن جمعها قد قدمت لعدد من الاشخاص فى الولايات المتحدة . ولعل هذه المعلومات شملت كثيرا من التفصيلات التى لا ترتبط كثيرا بمشكلة المطاط ، مثل تشغيل المسجونين واسرى الحرب فى اوشفيتز .

وعلى الرغم من ان اخفاء المعلومات هو القاعدة السائدة فى مجال المخابرات العسكرية ألا اننا نستطيع ان نفترض ان وسائل جمع بيانات المخابرات المتعلقة باوشفيتز شملت تقريبا بعض الاساليب التقليدية مثل : استغلال الاتصالات مع الممثلين التجاريين لشركة فارين

الموجودين فى دول محايدة (كالبرتغال واسبانيا وتركيا والسويد وسويسرا) ، والمعلومات التى يتم الحصول عليها عن طريق التصوير الجوى (الطائرات المستخدمة فى هذه الأغراض قد تتميز دائما بانها ابعد مدى من قاذفات القنابل ويرجع ذلك إلى انها لا تحمل اسلحة) ، وعن الدراية العامة بالشئون الصناعية والاقتصادية الالمانية ، والجواسيس والمخبرين داخل الصناعة الالمانية والحكومة الالمانية (على سبيل المثال الاميرال كاناريس) ، والجواسيس الذين يعملون فى خدمة المنظمات المحايدة ذات الوضع المتميز مثل رجال السلك الدبلوماسى السويسرى والسويدى والشركات التى تمارس اعمالا تجارية فى المانيا) . وبالرغم من ان هذه الوسائل جميعها قد لعبت دورا بلا شك ، فان المعلومات التى يتم الحصول عليها من الصور قد اتسمت باهمية خاصة اذ ان تكنولوجيا المعلومات المستندة إلى التصوير قد وصلت إلى مستوى متقدم فى عام ١٩٤٢ ، بحيث اصبح من الممكن تقديم دليل قاطع عن طريق تحميض الصور التى تلتقط من الجو ، حتى بالنسبة للمواقع المحاطة بحراسة مشددة . وكانت هناك وسائل أخرى لجميع المعلومات يهمنا ذكرها لاهميتها من حيث طبيعتها ووجودها ، وسوف نناقشها فيما بعد .

وحيث اننا لا نعرف تماما طبيعة المشكلات الفنية المتعلقة بالمطاط الصناعى فى ذلك الوقت ، فليست لدينا فكرة عن المعلومات التى ربما كان الامريكيون يسعون للحصول عليها وكيفية استخلاصها من بيانات المخابرات كما اننا لا نعرف نوعية الاسئلة التى كانت تدور فى اذهان رجال شركة ستاندارد اثناء الاجتماع الذى عقد فى مدينة بال او كيفية استخلاص الاجابات الجزئية من بين الاجراءات القانونية التى تمت فى هذا الاجتماع . على اننا نستطيع تقديم احتمال واحد كمثال دون ان ندعى ان هذا هو ما حدث بالضبط .

لقد راينا كيف ان اول مصنع المانى للمطاط الصناعى اقيم فى شكويا وقد استخدم طريقة تجمع بين مركب الكربون والاستيلين وهيدروكربون غازى ملتهب فى التصنيع ، فى حين ان الطريقة المستخدمة فى مصنع هوليلز هى طريقة الهيدروكاربون استيلين. وقد لجأ المصنع الجديد الذى اقيم فى لود فيجسافين ، والذى كان العمل فيه قد اشرف على الانتهاء فى الوقت الذى اجتمعت فيه لجنة باروخ ، إلى صنع غاز الاستيلين من مركبه الكربون ، كما ادخلت تحسينات على غاز الاستيلين ليصل إلى مرحلة البوتادين . وحيث ان طريقتى التصنيع المستخدم فيها مركب الكربون او الهيدروكاربون كان من المحتمل تطبيقها فى عمليات التصنيع التى كانت ستستخدم فى الولايات المتحدة (والتى كان من الممكن ان

تبدا من البترول او الكحول التجارى) ، فقد كان من المهم معرفة ما اذا كان مصنع اوشفيتز يستخدم عملية تصنيع يدخل فيها الكربيد (كما كان الحال فعلا) مما يوحى بتخليه عن عملية الهيدروكاربون على اساس التجربة التى تجرى فى مصنع هويلز ، او انه يستخدم عملية الهيدروكاربون او اية عملية اخرى ، مما يوحى بفشله فى الالتزام بعمليات الكربيد . فضلا عن ان معرفة العملية المستخدمة سواء اكانت الكربيد او الهيدروكاربون ، كان من السهل تحديدها على اساس الصور التى تلتقطها المخابرات من الجو ، اذا لزم الامر.

فماذا كانت القيمة النهائية – بالنسبة للمشكلات التى يواجهها الامريكيون – للمعلومات التفصيلية عن التطورات التى ادخلت على صناعة المطاط الالمانى ، والتى من المؤكد انهم درسوها بدقة فى منتصف واواخر عام ١٩٤٢ تقريبا ؟ ربما لم تكن هذه المعلومات ذات قيمة اطلاقا ، كما كان الحال بالنسبة لمعظم نوعيات المعلومات ، ولكن المهم انه ينبغى عدم اهمال اية ذرة ضئيلة من المعلومات فى ذلك الموقف الذى كان الامريكيون يواجهونه فيما يتعلق بالمطاط فى عام ١٩٤٢ .

لقد كانت دراسة الجوانب الفنية المتعلقة بهذا الامر ضرورية لان الجوانب الفنية هى التى اضفت الاهمية على اوشيفتز فى نظر واشنطن . على ان هدفنا هنا ليس دراسة المسائل الفنية ، بل يتناول مسالة الاهمية او الكشف الواسع الذى قامت به الدوائر الداخلية الامريكية فى عام ١٩٤٢ عما يجرى فى اوشفيتز فهذه هى النقطة الوحيدة التى ترتبط بموضوعنا . وليس لدينا دليل مباشر على ذلك ، ولكننا استعرضنا الاسباب التى تجعل من الضرورى افتراض وقوع هذا الكشف . ويتبقى ان نبين ان الاحداث التى وقعت فى اوشفيتز فى ذلك الوقت كانت كافية للايحاء فعلا لمن هم فى الدوائر السياسية الداخلية بوجود « تجهيزات للابادة » ، وقد كان هؤلاء منتبهين لمبدا الاسس شبه الحقيقية لقصص الفظائع . وسوف نتناول احداث اوشفيتز فى اواخر عام ١٩٤٢ واوائل ١٩٤٣ فى الجزء الثانى من الفصل التالى ، ولذلك لن نتناولها هنا .

ولابد ان أغرب جانب كانت تمثله اوشيفتز ، عندما كانت لجنة باروخ تعقد اجتماعاتها هو الجانب المتعلق بموقع مصنع مهجور ، اذ ان مصنع المطاط الصناعى كان قد اغلق ابوابه ابتداء من اول اغسطس تقريبا فلم يكن هناك اى نشاط واضح به سوى ظهور حارس بين الحين والحين . ولابد ان ذلك قد اثار قدرا كبيرا من حب الاستطلاع ، واتخذت خطوات بلا شك لمعرفة ما يجرى به .

لقد ظهر مرض التيفوس فى اوشفيتز ، وادى هذا الوباء إلى اغلاق مصنع المطاط الصناعى لمدة شهرين ، وهكذا لم يستأنف العمل به الا فى اواخر سبتمبر. ولابد ان عدد الموتى قد وصل فى هذه الفترة إلى عدة آلاف ، وان كان هذا الرقم غير مؤكد إلى حد كبير. وكانت سياسة الالمان هى حرق جثث نزلاء المعسكر الذين يموتون ، ولكن سلطات اوشفيتز فوجئت بالوباء ولم يكن لديها امكانيات كافية لحرق جثث الموتى . وكان هناك فرن صغير فى اوشفيتز رقم (١) الا انه كانت هناك امكانيات اوسع نطاقا كان يتم اقامتها فى بيركناو . وقد وضعت الخطط الخاصة بها فى يناير عام ١٩٤٢ ، ولم يكن من الممكن بدء تشغيل الوحدة الاولى الكاملة ، التى تتكون من خمسة عشر فرنا تقليديا للحرق قبل يناير عام ١٩٤٣ – ويبدو ان عددا كبيرا من ضحايا الوباء كان يتم احراق جثثهم على الفور فى قبور كبيرة ، ولكن يحتمل ان عددا كبيرا منهم قد دفنوا بصفة مؤقتة على الاقل . ومن المحتمل ان عمليات المراقبة المستمرة التى كان بها الحلفاء (والتى نفترض انها كانت قائمة) فى خريف عام ١٩٤٢ كشفت عن قيام الالمان ببناء افران حرق فى بركناو . وقد احتوت المبانى التى اقيمت داخلها افران الحرق فى بركناو ، على عدة صالات او غرف او زنزانات ذكرت الاتهامات انها غرف غاز » .

وتقدم كتب عديدة روايات عن الشكل رقم ٧ الذى يقال انه يمثل صورة لضحايا ماتوا بالغاز على وشك الدفن فى قبور كبيرة ، التقطها احد الذين كانوا فى اوشفيتز فى عام ١٩٤٤ . ولا نستطيع ان نعرف متى واين التقطت الصورة او من الشخص الذى التقطها . على ان هذه المناظر كانت مالوفة فى اوشفيتز فى عام ١٩٤٢ ، عندما اصبحت مخابرات الحلفاء تولى بعض الاهتمام – على ما يفترض – بالمعسكر . والواقع ان عدم وضوح الصورة قد اثار بعض التكهنات المبدئية لدى بان الصورة التقطتها المخابرات من الجو ، والزاوية المنخفضة التى التقطت بها الصورة لا تلغى هذا الاحتمال ، نظرا لان هذه الزوايا كانت تحقق حتى فى صور المواقع المحاطة بحراسة قوية كما ان النسخ التى فحصتها فى عدة كتب لا تتضمن المنطقة المجاورة التى تدعم الزعم بانها قد التقطت على الارض . وقد نقلنا الشكل رقم ٧ عن صورة فوتوغرافية تم الحصول عليها فى عام ١٩٧٣ من المتحف الذى تديره الحكومة البولندية فى اوشفيتز ، ومازال يحيط بها قدر من الغموض . فالنسخة المنقولة هنا هى النسخة الوحيدة بقدر علمى ، التى لم يتناولها تحريف إلى حد ما . على ان مثل هذه الملاحظة لا تحسم المسألة وذلك بسبب الحقيقة الغريبة المتمثلة فى ان الصور التى تناولتها

بعض التحريفات (او التى اجريت عليها بعض الرتوش على الاقل) تكشف عن تفاصيل حقيقية بدرجة اكبر فى خلفية الصورة ، على ما يبدو (مثل السور والاشجار) .

وعلى اية حال فان بركناو كانت بالمعنى الحقيقى تماما معسكرا للموت « اذ كان يتم ارسال الموتى والمرضى اليه ، وبعد بناء افران الحرق ، يتم التخلص من الموتى فيها . واذا ما ادعى شخص وجود « معسكر ابادة » مع عدم وجود مثل هذا المعسكر فما هو الخيار الافضل من ذلك سوى « معسكر الموت » ؟

وفى حين يبين ما تقدم بصورة كافية ، كيف نشأت اكذوبة اوشفيتز ، الا انه لا يرتبط بالظروف التى نشأت فى ظلها اسطورة الابادة الاوسع نطاقا فالمزاعم الخاصة بابادة اليهود لم تنبع من معلومات مخابرات الحلفاء ، ولكن من العمليات التى قام بها المؤتمر اليهودى العالمى ، الذى كان زعماؤه فى بداية الامر اما غير مهتمين بالحقائق المتعلقة باوشفيتز او غير مطلعين عليها .

فى هذا الصدد يتعين على المرء أن يرفض خاطئين محتملين . أولها أن تسعى دعاية الحلفاء إلى تضخيم الدعاية الخاصة بأوشفيتز إلى الحد الأقصى ذلك بعد أن أدركت أن فرص الدعاية ممتازة . والثانى أن الادعاءات التى ذكرتها دعاية الحلفاء بشأن أوشفيتز عارية تماما من الحقائق الثابتة .

فلو لم يكن هناك ، كما يدعى هنا ، برنامج ألمانى للابادة وإنما أراد بعض رجال الدعاية فى الولايات المتحدة قبول الافتراض بوجود مثل ذلك البرنامج ، لكان من الخطأ الجسيم أن يركز المسئولون عن الدعاية تركيزا تاما على مسألة أوشفيتز أو أى مكان آخر بوصفه معسكر ابادة مزعوم ، لأن ذلك كان سيصبح بمثابة اتهام سيرد عليه الألمان . ولو كان كبار المسئولين الأمريكيين مثل روزفلت أو أعضاء حكومته ، قد أدلوا بملاحظات محددة بشأن الابادة وذكروا أسماء مواقع كانت فيها عمليات الابادة ، وذلك فى ظل ظروف كانت تجعل ملاحظاتهم هذه تحظى بدعاية واسعة النطاق كما يحدث عادة بالنسبة للتصريحات العلنية الصادرة عن مسئولين فى مستواهم ، لكان قد تعين على كل من الألمان والحلفاء أن يواجهوا هذه المسألة فى التو ، ولما استغرق ظهور الحقيقة وقتا طويلا . ولكن على العكس ، كما سنرى فى فصل تال فإن الفترة الأولى التى تكررت فيها الاشارة الى أوشفيتز بوصفها معسكر ابادة فى ظل ظروف غامضة تلت مباشرة بداية غزو الحلفاء لأوروبا لتحريرها من الاحتلال الألمانى (فى السادس من يونيو ١٩٤٤) . عندما لم يكن هناك من

يلقى بالا إلى مثل هذه القصص . وفى وقت متأخر من صيف عام ١٩٤٤ ، تحول التركيز إلى معسكر لوبلين ، الذى كان الروس قد استولوا عليه لتوهم . وكانت أول اشادة تصدر عن مصدر حكومى أمريكى من الأهمية بحيث لا يمكن تجاهلها ، والتى وجهت اتهاما بحدوث عمليات ابادة فى أوشفيتز ، هى تلك التى صدرت فى أواخر نوفبر عام ١٩٤٤ ، أى بعد توقف عمليات الابادة كما يفترض . وفيما عدا ذلك فإن البعض مثل روزفلت وتشرشل ووزرائهم لم يتحدثوا عن عمليات الابادة إلا بعبارات أخلاقية عامة . ولو كان المرء يعتقد فعلا بوقوع عمليات ابادة فى أوشفيتز ويريد منعها لوجه اتهاما محددا بخصوص أوشفيتز ولا ضطر الألمان إلى الرد على هذا الاتهام . إلا أنه لم يوجه أى اتهام من هذا النوع . وبالرغم من أن جميع صور أسطورة الابادة قد ذكرت أن عمليات الابادة فى أوشفيتز قد بدأت بصورة أكيدة فى أواخر صيف عام ١٩٤٢ ، وعلى الرغم من أن المخابرات العسكرية الأمريكية كانت تدرى بلا شك بما يدور فى أوشفيتز فى ذلك الوقت ، إلا أن أيا من المصادر العليا لم توجه أى اتهام محدد بالابادة إلا فيما بعد ذلك بفترة طويلة .

والتوقيع الخاطئ الثانى هو أن تكون الدعاية الأمريكية المتعلقة بأوشفيتز مجردة من الحقيقة تقريبا ولقد أشرنا من قبل إلى أن هذا أمر ينبغى الا نتوقعه . فلقد توفرت لدى واشنطن معلومات ممتازة ودقيقة بشأن أوشفيتز كما توفرت لديها معلومات عن المراحل الهامة فى النشاط الصناعى الألمانى ، وكما أشرنا من قبل فإن الحقائق الصحيحة حول بركناو تشجع على تشويه التفسيرات .

وقد وقعت أولى الحوادث « الداخلية » المتعلقة بالدعاية الخاصة بالابادة فى نطاق نزاع شمك أطرافه كل من وزارة الخزانة ووزارة الخارجية الأمريكيين والمؤتمر اليهودى العالمى (والمؤتمر اليهودى الأمريكى) الذى يرأسه الحاخام ستيفن س . وايز . وكانت الشخصيات الرئيسية فى هذا الموضوع هى وزير الخزانة مورجنتاو الذى أصبح فيما بعد من الناحية الاسمية صاحب مشروع مورجنتاو الشهير لنهب ألمانيا ، ووزير الخارجية كورديل هول ، ووكيل وزارة الخارجية سمر ويلز ، وهؤلاء رفضوا بلطف الانسياق وراء هذه الدعاية ، ومساعد وزير الخارجية ج . بركنريدج لونج الذى عرض الدعاية بشدة وقد شمل النزاع أيضا ممثلى المؤتمر اليهودى العالمى فى سويسرا وهم جيرهارد راينر والبروفيسور بيل جوجنهايم اللذين كانا يقومان بنقل قصص يفترض أن مصدرها أوروبا ، إلى وايز أو إلى اشخاص آخرين فى الولايات المتحدة وبصورة خاصة إلى وزارة الخارجية عن طريق السفير الأمريكى فى

سويسرا ليلاندهاريسون ، أوعن طريق القنصل الأمريكى فى جنيف بول سى . سكوير .
وكان العمل الرئيسى الذى أثار الاحداث التى أحاطت بنشأة اسطورة الابادة هو كتاب « بينما كان ستة ملايين يموتون » ، ومؤلفه آرثرد . مورس ، وهو كتاب يكمله إلى حد ما كتاب هنرى ل . فينجولد « سياسة الانقاذ » . وقد ذكرت معلومات اضافية فى الروايات التى رواها بعد الحرب كل من مورجنتاو ، والمؤرخان ج . م . بلوم وانتونى كوبيك (فى تفسيرهما لأوراق مورجينتاو) (والأخير قدم المادة لنشرة مجلس الشيوخ الأمريكى بعنوان يوميات مورجنتاو) ، والمؤرج ف . ل . اسرائيل (فى تلخيصه لأوراق ج . بركنريدج لونج) وج . دى بوا الذى كان فى أول الأمر كبير مستشارى مراقبة الاعتمادات الخارجية بوزارة الخزانة والذى اتصل بهذه الأمور عن طريق الجهود المبذولة لتقديم المساعدات إلى اللاجئين .

ويبدو أن أول المزاعم الخاصة بالابادة قد صدرت عن فرع المؤتمر اليهودى العالمى فى لندن وذلك فى عام ١٩٤٢ وقد ادعى هذا الفرع أن مليون يهودى قد قتلوا فى « سلخانة ضخمة لليهود » لم يحدد اسمها أو موقعها ، أقيمت فى أوروبا الشرقية . وكانت المحاولة الوحيدة التى جرت لتقديم دليل على صحة هذا الزعم هى ملاحظة تلقتها الحكومة البولندية فى المنفى فى لندن تؤكد صحة المعلومات . وقد نشرت صحيفة نيويورك تايمز هذا الادعاء فى قصة نتناولها فيما بعد .

ومن الواضح أن الأدلة الخاصة بمازعمته لندن كانت واهية تماما بحيث لا تصلح كدعاية فعالة ، ولذلك بذلت محاولة لتحسين الأمور قليلا . فنى الثامن من أغسطس عام ١٩٤٢ اتصل داينر وجوجنهايم بالقنصلية الأمريكية فى جنيف والتى وصل مستوى تعاونها مع المؤتمر اليهودى العالمى إلى حد السماح للمؤتمر باستخدام الوسائل الدبلوماسية فى نقل الرسائل ، وذكر للقنصلية قصة مؤداها أن رجال الصناعة الألمان ، مجهول الاسم . قد أبلغها أنه علم بوجود قرار لقتل جميع اليهود غير السوفييت الخاضعين للاحتلال الألمانى . وأن المناقشات التى سمعها رجل الصناعة الألمانى بطريق المصادفة تجرى فى مقر الفوهرر وتتناول الاساليب التى ستستخدم فى تنفيذ هذا الأمر . وأن احدى الوسائل التى تجرى مناقشة استخدامها هى القتل بالغاز باستخدام حامض البروسيك (غاز سيانيد الهيدروجين) وذلك بعد تجميع اليهود فى معسكرات فى أوروبا الشرقية . وقد نقلت القنصلية هذه القصة إلى واشنطن عن طريق القنوات الدبلوماسية الأمريكية ، وإلى لندن

بالوسائل الدبلوماسية البريطانية . وقد ظل اسم رجل الصناعة مجهولا حتى اليوم .

وعندما تلقت وزارة الخارجية الأمريكية هذه الرسالة قامت بتقييمها وقررت :

« أنه لا يبدو من المستحسن نظرا لما تتسم به الادعاءات من طبيعة خيالية واستحالة قيامنا بتقديم أى عون . إذا اتخذ مثل هذا الاجراء – نقل هذه المعلومات إلى دكتور وايز . »

وهكذا تم ابقاء الرسالة فى طى الكتمان ، ولكن وايز علم بمضمونها على اية حال ويقال انه علم بها من لندن ، ولكن من المحتمل أيضا أنه هو الذى قام باختلاق الرسالة فى المقام الأول ثم على بنقلها وحظرها عن طريق اتصالاته المتعددة .

واتصل وايز على الفور بويلز ، الذى كان قد وافق على قرار ابقاء الرسالة فى طى الكتمان ، وذلك ليحتج على طريقة معالجة وزارة الخارجية للأمر . ورد ويلز بأن المعلومات « تفتقر إلى دليل يقطع بصحتها تماما » بحيث لا يمكن أخذها مأخذ الجد وأنه يجب الحصول على تأكيد لها قبل إصدار أى إعلان رسمى . وأصدر ويلز بعدئذ تعليماته إلى مندوب الولايات المتحدة فى الفاتيكان بأن يحاول التأكد من هذه الادعاءات من مصادر الفاتيكان . ولم يكن أحد فى واشنطن يدعى ، فى ذلك الوقت ، أنه يأخذ هذه الأمور مأخذ الجد ، وحتى الرئيس روزفلت نفسه أكد للقاضى فليكس فرانكفورتر بأن اليهود الذين تم ترحيلهم إلى الشرق إنما يستخدمون فى بناء التحصينات .

وفى شهر سبتمبر ظهر شخصان مجهولان فى جنيف وزعما أنهما هاربان من المناطق التى يسيطر عليها الألمان . وأبلغا عن عمليات إبادة لليهود البولنديين واستخدام جثث اليهود فى صنع السماد . ونقلت هذه المعلومات إلى واشنطن بالوسائل الدبلوماسية ، ومرة أخرى بذلت محاولة للتأكد من صحة هذه المعلومات من الفاتيكان (والذى كان قد تجاهل حتى ذلك الوقت طلب التأكد الأول) . وفى نفس الوقت تقريبا ، كان وايز قد تلقى رسالة من مسئول بالمؤتمر اليهودى العالمى فى أوروبا يبلغ فيها عن « صنع الصابون والسماد الصناعى » من جثث اليهود .

وفى أواخر شهر سبتمبر خرج وايز بوثيقتين جديدتين . أولاهما كما قال ، من إعداد ضابط (مجهول بالطبع) ملحق بالقيادة الألمانية العليا ووصلت إلى راينر عن طريق عدة وسطاء . وقد زعم الضابط المجهول أن هناك على الأقل مصنعين يقومان بإنتاج الصابون والغراء وزيوت التشحيم من جثث اليهود ، وأنه تقرر أن يكون سعر جثة اليهودى الواحد ٥٠ مارك ألمانيا . والوثيقة الثانية مكونة من رسالتين بالشفرة كتبهما ، كما قيل ، يهودى

سويسرى يقيم فى وارسو . وذكر هذا اليهودى المجهول عمليات ابادة جماعية ليهود وارسو الذين تم ترحيلهم إلى الشرق . ونقلت جميع الرسائل إلى واشنطن ثم حفظت بالملفات .

ويجب أن نلاحظ ، بالمناسبة ، التشابه بين هذه المزاعم والدعاية التى كانت سائدة فى الحرب العالمية الأولى ، وافتقار المؤتمر اليهودى العالمى بصورة مروعة إلى الأصالة والإبداع . وغنى عن الذكر أن مصانع الصابون والفراء كانت تشكل ظاهرة عابرة فى الدعاية وأن التهم الشبيهة الوحيدة التى وجهت فى نورمبرج هى تلك التى وجهها الروس . وقد قوبلت هذه التهم بالتجاهل بدرجة كبيرة حتى فى ذلك الوقت ولم يحدد أحد حسبما أعلم ، منذ ذلك الوقت هذه المصانع أو هوية الأشخاص الذين كانوا يديرونها أو أية معلومات مماثلة . ولا يدعى رايتلنجر وجود مثل هذه المصانع ، ولا يعتقد هيلبرج بوجودها على الإطلاق .

وفى العاشر من أكتوبر أبلغ الفاتيكان أخيرا ممثلى الولايات المتحدة أنه لم يتمكن من التأكد من صحة الأنباء التى سمعها عن الإجراءات القاسية التى تتخذ ضد اليهود .

وفى الثانى والعشرين من أكتوبر اجتمع راينر مع السفير هاريسون وقدم له مزيدا من نفس نوع « الأدلة » السابقة ، وأبلغه هذه المرة عن « معلومات » قدمها مخبر ألمانى مجهول آخر (على أنه يقال ان اسمه قد قدم إلى هاريسون فى مظروف مغلق وظل سرا بالنسبة للجميع عدا مكتب الخدمات الاستراتيجية) وكذلك مسئول مجهول فى الصليب الأحمر الدولى . وقد نقل هاريسون هذه المعلومات إلى واشنطن ، ولكنه كتب أيضا رسالتين شخصيتين إلى ولز فى أواخر شهر أكتوبر ، ادعى فيهما أنه يعرف اسم رجل الصناعة الألمانى وزعم أيضا أن مسئول الصليب الأحمر المجهول إنما هو كارل جاكوب بيركهارت الباحث المشهور فى أدب فوليتر وجوته الذى كان يشغل منصبا بارزا فى الصليب الأحمر الدولى أثناء الحرب . وأرفق معهما اقرارا كتابيا بأن جوجنهايم قد أدلى بشهادة أمام سكواير فى التاسع والعشرين من أكتوبر زعم فيها أنه حصل من مخبر ألمانى مجهول على معلومات تؤكد ادعاءات رايز . وأن الألمانى المجهول قد حصل على معلومات من مسئول مجهول بوزارة الخارجية الألمانية ، ومن مسئول مجهول بوزارة الحربية الألمانية . فضلا عن أن مخبرا سويسريا يعيش فى بلجراد ، قد قدم أيضا معلومات إلى جوجنهايم تؤيد هذه الادعاءات .

ولكى يتأكد سكواير من صحة هذه المزاعم رتب مقابلة مع بيركهارت تمت فى جنيف فى السابع من نوفمبر . وفى التاسع من نوفمبر نقل سكواير إلى هاريسون مذكرته بشأن المقابلة والتى كان قد سجل فيها أن معلومات بيركهارت تفيد بأن هتلر قد وقع أمرا يقضى بأن

تصبح ألمانيا خالية من جميع اليهود قبل نهاية عام ١٩٤٢ . وتفسر رواية سكواير عن هذه المقابلة كما يلى :

« وعندئذ سألته هل تم استخدام كلمة إبادة أوكلمة مرادفة لها ، فرد بأن الكلمات التى استخدمت هى « لابد أن تكون خالية من اليهود » . ثم أوضح أنه طالما لا يوجد مكان لإرسال هؤلاء اليهود إليه ونظرا لأنه ينبغى تطهير البلاد من هذا الجنس ، فمن الواضح ماذا ستكون النتيجة » .

إن الإبلاغ عن ملاحظة غامضة أدلى بها مواطن سويسرى غير مطلع تماما ونقلها وسيط كان على علاقات ودية مع المؤتمر اليهودى العالمى ويتلهف على اكتشاف تفسير خبيث لما يتاح من هذه الحقائق يعتبر دليلا راسخا شأنه شأن « الأدلة » التى تم الحصول عليها . وبقدر علمى فإن بيركهارت لم يتحدث عن هذه الأمور علانية مطلقا ، سواء أثناء الحرب أم بعدها . وقد أجاب عن بعض الأسئلة المكتوبة التى طرحها عليه الدفاع عن كالتنبرونر أثناء محاكمة المحكمة العسكرية الدولية ، ولكن هذه الأسئلة ، التى دارت حول جهود كالتنبرونر من أجل السماح للصليب الأحمر بدخول المعسكرات الألمانية قرب نهاية الحرب ، لا ترتبط بموضوعنا ولم يوجه أحد أسئلة إلى بيركهارت بشأن الإبادة .

وفى أواخر نوفمبر تلقت وزارة الخارجية « معلومات » من مصدر مجهول الاسم بالفاتيكان تتكون من وصف باللغة الفرنسية فى ثلاث صفحات لأحداث زعم أنها تجرى فى بولندا . وكانت الوثيقة بدون توقيع ، والتصديق الوحيد عليها هو ملحوظة بخط اليد فى الصفحة الأولى تقول « من السيد ف بمدينة الفاتيكان » . وتتحدث الوثيقة ، من بين أشياء أخرى ، عن :

مزارع لتربية المخلوقات البشرية يجرى إنشاؤها ، ويتم نقل السيدات والفتيات إليها ليصبحن أمهات لأطفال يتم فصلهم عنهن بعد ذلك لتنشئتهم فى منشآت نازية . . . وعمليات الإعدام الجماعية لليهود مستمرة . . . ويتم قتلهم بالغاز السام فى غرف أعدت خصيصا لهذا الغرض (غالبا ما تكون عربات سكك حديدية) وباستخدام نيران المدافع الرشاشة وبعد ذلك يدفن الموتى المحتضرون فى التراب . . . وتتردد أنباء تفيد أن الألمان يستخدمون هذه الجثث فى المصانع الخاصة بإنتاج المواد الكيماوية (مصانع إنتاج الصابون) .

وخلال أواخر صيف وخريف عام ١٩٤٢ ، قام راينر بحملة مستمرة من أجل حمل

حكومات الحلفاء على اتخاذ موقف علنى فى إدانة عمليات إبادة اليهود المزعومة فى أوروبا إدانة مباشرة . وفى الثامن من ديسمبر تزعم راينر وفدا توجه إلى البيت الأبيض وقدم للرئيس روزفلت وثيقة من عشرين صفحة بعنوان « مخطط الإبادة » ، بنيت على أساس « المعلومات التى استعرضناها » . وأدت الضغوط اليهودية فى هذا الصدد أخيرا إلى الاستسلام لراينر بشأن الابادة الأسطورية . وأصدر الحلفاء بزعامة واشنطن يوم السابع عشر من ديسمبر عام ١٩٤٢ ، بيانا يدين عمليات الإبادة . وادعى بيان فى هذا الصدد ، صدر بعد ذلك بيومين ، وقوع عمليات إبادة فى بيلزيك وشيانو ، ولكن البيان لم يذكر أوشفيتز (سوف نستعرض قصص الأنباء المتعلقة بذلك فيما بعد) .

وبالرغم من هذا البيان العلنى ، فإن الجماعة التى يرأسها ج . بركنريدج لونج واصلت مقاومة الدعاية . ففى التاسع عشر من يناير ١٩٤٣ ، قدم راينر إلى هاريسون « المعلومات » التى تفيد بأنه يجرى قتل ستة آلاف يهودى يوميا فى مكان ما فى بولندا . وفى يوم ٢١ يناير نقل هاريسون هذه المعلومات إلى وزارة الخارجية وأيضا إلى بعض « وكالات يهودية خاصة » غير محددة ، أى راينر على ما يبدو . وتم الاكتفاء بوضعها فى الملفات ، ولم تذكر وزارة الخارجية أى شيء عنها علنا . وقد التزمت الوكالات اليهودية الخاصة أيضا الصمت لبعض الوقت بشأن هذه الرسالة . وفى العاشر من فبراير قامت مجموعة لونج بخطوة أخرى نحو اسكات هذه الدعاية فقد وجهت تعليمات إلى هاريسون فى رسالة وقعها ويلز (الذى يقال انه لم يقرأ الرسالة) مع الإشارة بصفة خاصة إلى برقية هاريسون المؤرخة ٢١ يناير ، بالآتى :

« يجب فى المستقبل عدم قبول التقارير المقدمة إليك لنقلها إلى أفراد عاديين فى الولايات المتحدة ما لم تكن هناك ظروف استثنائية تبرر ذلك . إذ أن هناك شعورا بأن إرسال مثل هذه الرسائل الخاصة التى تفلت من الرقابة فى الدول المحايدة نفسها مضطرة إلى اتخاذ خطوات للحد من أو إلغاء وسائل اتصالاتنا السرية الرسمية » .

وأخيرا ، وفى الرابع عشر من فبراير نشرت جريدة نيويورك تايمز القصة . وفى تفسيرنا للتأخير فى نشر القصة أربعة أسابيع كاملة ، بالرغم من أن « الوكالات اليهودية الخاصة » قد تلقتها يوم الحادى والعشرين من يناير ، وبالرغم من وجود سياسة واضحة تتمثل فى نشر الادعاءات غير المدعمة بدليل والتى تقدمها هذه الوكالات ، لا يسعنا إلا أن نخمن أن اشخاصا غير معروفين كانوا يأملون فى أن تقوم وزارة الخارجية بنفسها ، مع وجود سابقة

مماثلة هى بيان ١٧ ديسمبر ، بإذاعة هذه المعلومات يضفى عليها قدرا أكبر من الثقة عما كانت ستتمتع به القصة بالصورة التى ظهرت بها فى نهاية الأمر : فهى مجرد ادعاء لا يتميز من حيث ثقله عن الادعاءات العادية الخاصة بالفظائع . وسرعان ما دخلت الخزانة فى نزاع مع وزارة الخارجية حول كتمان هذه المعلومات . (وكانت وزارة الخزانة قد تدخلت مرارا فى تيسير دفة الشئون الخارجية منذ عام ١٩٣٦ على الأقل بسبب الحملة القاسية الطويلة التى شنها مورجنتاو ضد ألمانيا) . وقد نشأ سبب ثان وملموس بدرجة أكبر للنزاع بين الوزارتين فى فبراير من عام ١٩٤٣ . فقد علم أن الحكومة الرومانية كانت مستعدة لنقل سبعين ألف يهودى إلى فلسطين على سفن رومانية تحمل علامات الفاتيكان المميزة (ولا يحتمل أن يكون الرومانيون قد اهتموا على الإطلاق بالوجهة التى يتم إرسال اليهود إليها وهكذا فإننى افترض أن فلسطين لابد وأنها كانت التى حددها الصهاينة المشتركون فى صياغة المقترحات) . وقد قام « رسميون مسئولون عن المصالح اليهودية فى رومانيا » بتحديد شرط هام وهو دفع مائتين وخمسين جنيها (حوالى ألف ومائتى دولار) عن كل فرد وذلك بجانب صعوبات أخرى .

وذلك أن السياسة البريطانية فى ذلك الوقت كانت تهدف إلى عدم استعداء العرب ، وبخاصة فى ضوء العواقب الوخيمة المحتملة التى تترتب على أى تمرد عربى فى وقت الحرب ، ولذلك رفض البريطانيون فى مبدأ الأمر التفكير فى مسألة قبول مثل هذا العدد الكبير من اليهود فى فلسطين . وتمثل موقف البريطانيين فى أنه إذا كانت هناك رغبة فى إخراج هؤلاء اليهود من أوروبا فيتعين على الولايات المتحدة أن تقيم لهم مخيمات فى شمال أفريقيا . يضاف إلى ذلك أن كلا من وزارة الخارجية البريطانية ووزارة الخارجية الأمريكية اتخذت موقفا يتمثل فى أن جماعة ضخمة من الناس على هذا النحو لابد وأن تضم بعض الجواسيس ، وأن مشكلات الخدمات المتعلقة بنقل وإيواء مثل هذه الأعداد بالغة الضخامة ، كما أن الأموال المطلوبة قد تقع فى أيدى الأعداء (الذين كانوا يقدرون قيمة عملات دول الحلفاء لأسباب عديدة (وكانت وزارة الخزانة متلهفة على الاشتراك فى عملية تقديم المساعدات للاجئين اليهود ولذلك سعت إلى تذليل هذه العقبات . ومع حلول شهر يوليو عام ١٩٤٣ قيل ان هناك رشوة مطلوبة لليهود الرومانيين تبلغ مائة وسبعين ألف دولار واقترحت وزارة الخزانة والمؤتمر اليهودى العالمى أن يقوم رجال الأعمال اليهود الرومانيون بتوفير أموال الرشوة هذه إذا كان من الممكن ردها لهم بعد الحرب من أموال يتم ايداعها فى بنوك سويسرا .

ومع ذلك ظلت الاعتراضات البريطانية على قبول اليهود فى فلسطين قائمة ، واصطدمت الجهود التى بذلت لتذليلها عن طريق اقتراح – جهات أخرى يهجر إليها اليهود ، بمعارض من الدول المختلفة التى رشحت لتهجير اليهود وأيضا بقوانين الهجرة الأمريكية .

وقد اعتبرت وزارة الخارجية الأمريكية وبخاصة ج . بركينريدج لونج ورفاقه الحديث عن عمليات « الإبادة » مجرد دعاية من دعايات الحرب وشأنها تماما شأن القصص التى تم اختلاقها أثناء الحرب العالمية الأولى . وكانوا يبحثون باستمرار المقترحات الخاصة بنقل هؤلاء الأشخاص الذين يتعرضون للإبادة إلى خارج أوروبا ، وفى أواخر يناير من عام ١٩٤٤ قامت وزارة الخارجية الأمريكية بخطوات من أجل تشجيع اليهود على مغادرة بولندا إلى المجر وكتب لونج يقول إن إحدى الأخطار المترتبة على تأييد مقترحات وايز هو أنه « قد يخلق انطباعا بأن اتهامات هتلر لنا بأننا نخوض هذه الحرب بسبب وبتحريف وتوجيه من مواطنينا اليهود صحيحة » ، واعتبرت وزارة الخارجية الأمريكية أن المشروع كله لا جدوى منه وأنه يتعارض فى الحقيقة مع متطلبات المجهود الحربى المثلى . وكتب بونج يقول :

« إن وايز يتخذ دائما مظهر الشخص التقى الفاضل وأنه يدافع لانقاذ المثقفين الشجعان واللاجئين من التعذيب على يد الدكتاتوريين » أو غير ذلك من الكلمات المشابهة والحقيقة أن جزءا ضئيلا جدا من المهاجرين يتدرجون تحت هذه الفئة – وأن بعضهم عملاء ألمان بلاشك . . . وأنا لم أشر إلى « النافيار » – التى تبحر من لشبونة إلى هافانا ونيويورك – وهى سفينة ركاب تتسع لخمسة عشر شخصا وتحمل ألفا وخمسمائة يهودى مسكين فوق سطح السفينة وفى باطنها ولا يوجد بها إجراءات صحية أو خدمات أو تسهيلات مطابخ وتتراوح أجرة الراكب الواحد ما بين سبعمائة وألف وخمسمائة دورلا ومات أربعة من الركاب قبل وصولهم إلى برمودا وأدخل ستة آخرون إلى المستشفيات هناك للعلاج حيث مات أحدهم وهم ضحايا لجشع رفاقهم – وليسوا ضحايا لألمانيا ولا لسياسة الولايات المتحدة وتشكل الباخرة خطرا على الصحة العامة فى أى ميناء ترسو فيه كما تعد عارا يكشف الجشع الإنسانى . ولكننى لم أشر إليها فى ردى على الحاخام وايز فكل واحد من هؤلاء الرجال يكرهنى وهم يعتبروننى تجسيدا للانتقام وهم جميعا يعتقدون أن من « حق » أى شخص من أى مكان أن يحضر إلى الولايات المتحدة . وأنا أعتقد أنه ليس من حق أى فرد فى أى مكان . أن يدخل أراضى الولايات المتحدة إلا إذا كانت الولايات المتحدة ترغب فى ذلك » .

وأما أن وزارة الخارجية الأمريكية قد ماطلت بشأن هذا الأمر أو أنها خربت المشروع المقترح تماما . وفى نهاية صيف عام ١٩٤٣ ، علم أنه من الممكن إخراج ستة آلاف طفل يهودى من فرنسا ، وبذلك دخل هذا الاحتمال فى المشكلة .

وقد واصل المسئولون فى وزارة الخزانة والمؤتمر اليهودى العالمى الضغط من أجل تنفيذ المشروعات المقترحة ، وظلوا مقتنعين اقتناعا جادا بصورة كاملة على ما يبدو ، بأن البديل الوحيد هو موت هؤلاء الأشخاص على يد هتلر . بل لقد ظهرت اتهامات علنية تقول ان الإحجام عن الموافقة على هذه المشروعات يعنى « قبول هذه الحكومة لقتل اليهود » . وتعرض البريطانيون أيضا لضغط عدة أشخاص . إذ أصبح لونج كبش الفداء على المستوى العلنى وفى داخل الدوائر الحكومية ، وقد كتب يقول فى مرارة : « إن الإثارة اليهودية تعتمد على مهاجمة شخص ما . وإلا فلن يحققوا أية دعاية . وهكذا أصبحت أنا الهدف الرئيسى للهجوم فى الوقت الحاضر » .

ونتيجة لهذه الحملة ، نجح وايز ومورجنتاو فى تحقيق تقدم مفاجئ فى ديسمبر من عام ١٩٤٣ ، عندما تم أخيرا اتخاذ الاجراءات الخاصة بترحيل يهود رومانيا ، وتم إيداع الأموال فى حساب ببنك سويسرى تحت إشراف راينر ووزارة الخزانة الأمريكية . وفى شهر ديسمبر استطلعت رومانيا احتمالات السلام ، وتلقت تأكيدا بأنها سوف تلقى معاملة طيبة إذا ما عاملت اليهود معاملة حسنة ، وعلى الفور قررت رومانيا أن تعيد إلى البلاد اليهود الذين كانت قد نقلتهم إلى منطقة تطل على بحر أزوف فى روسيا .

وقد حقق مورجنتاو انتصاره هذا فى اجتماع عقد يوم العشرين من ديسمبر وضم كلا من هول ولونج ومورجنتاو وجون بيهل رئيس الرقابة على الاعتمادات الخارجية بوزارة الخزانة . ومن الواضح أن مورجنتاو كان ينوى الدخول فى مواجهة مع وزارة الخارجية بشأن المسألة بأكملها ، إذ أنه طلب أثناء هذا الاجتماع ، وبصورة عرضية الحصول على نسخة من النص الكامل لرسالة العاشر من فبراير التى أرسلها ويلز إلى هاريسون (التعليمات بحظر المعلومات) . وقد أذعنت وزارة الخارجية للطلب ولكنها حذفت الإشارة إلى رسالة هاريسون يوم ٢١ يناير ، وبذلك جعلت رسالة العاشر من فبراير تبدو وكأنها رسالة روتينية عادية . وكان من الواضح أن وزارة الخارجية ، عندما أعادت كتابة الرسالة بهذه الصورة ، لم تكن تدرك أن النص الكامل لهذه الرسالة كان قد تسرب إلى دى بوا فى وزارة الخزانة عن طريق دونالد هيس من وزارة الخارجية ، (وهو شقيق الجرهيس ووصف فيما

بعد فى شهادة نتيلى شامبرز بأنه شيوعى ، وان كان قد نفى ذلك) ، الذى كان قد حصل على نسخ من الرسائل بصعوبة بالغة وتلبية لطلب دى بوا ولكنه حذر الأخير من أن الرسائل « ليست من شأن وزارة الخزانة » وأن هيس يمكن أن يفقد وظيفته نتيجة لتسرب الرسائل » .

وعندما تلقى مورجنتاو الرسائل التى حذفت منها أجزاء ، وادرك أنه حصل على سلاح جديد يستخدمه ضد لونج ورفاقه وهكذا تسبب فى حدوث صدام بتوجيهه اتهاما بحذف أجزاء من الرسالة وبمطالبته الحصول على الملفات الكاملة ، والتى قدمت له بعد ذلك بوقت قصير ، مما يفضح المحاولة الخرقاء التى قامت بها وزارة الخارجية لاخفاء المعلومات . وأصبح رجل وزارة الخارجية الآن فى موقف دفاعى ، وقد كشف فحص آخر لملفات وزارة الخارجية (وهو الفحص الذى أصبحت وزارة الخزانة الآن فى وضع يجعلها تصر على اجرائه) عن أن ويلز قد قام ، استجابة لطلب من واينر ، بارسال برقية إلى هاريسون فى شهر أبريل لكى يجتمع مع راينر وينقل إليه معلومات جديدة كان من المفروض أن راينر قد حصل عليها . وقد نفذ هاريسون ما طلب منه (كانت معلومات راينر تتعلق بالمقترحات الخاصة بمساعدة اللاجئين اليهود فى فرنسا ورومانيا) كما ذكر لويلز أيضا أن هذه المعلومات يجب ألا تخضع للقيود التى تفرضها رسالة العاشر من فبراير .

وخرج مورجنتاو منتصرا من الصدام بين وزارتى الخارجية والخزانة ، وانحاز روزفلت الذى استحوذت القضية على اهتمامه ، إلى جانبه وذلك بأن أسس فى يناير من عام ١٩٤٤ ما يسمى مجلس لاجئى الحرب الذى يضم مورجنتاو وهول وستيمسون وزير الحربية . على أن المدير التنفيذى كان جون بيهل « تلميذ مورجنتاو الأشقر » ، وجوزيا دى بول المستشار العام . وهكذا كان المجلس بالفعل مجلس مورجنتاو . وحصل مجلس لاجئى الحرب بطبيعة الحال على السلطات التى كانت تتمتع بها الوزارات الثلاث المشتركة فى المشروعات المقترحة الخاصة باخراج اليهود من أوروبا وهكذا أصبحت وزارة الخارجية ملتزمة بتعيين الملحقين الخصوصيين الذين يتمتعون بوضع دبلوماسى بناء على توصية من المجلس .

ولكى يتفهم القارئ تماما طبيعة هذا التطور ، وأهميته بالنسبة لموضوعنا ، يجب علينا أن نتخطى ذكر الحقيقة الواضحة التى مفادها أن مجلس لاجئى الحرب كان من المفروض أن يقوم بعمله ، إلى حد كبير ، بوصفه مجرد أداة للمؤتمر اليهودى العالمى وغيره من المنظمات الصهيونية . وكان الجهاز الشيوعى أيضا أحد المديرين المشتركين ، ذلك لأن الشخص

الذى فوض مورجنتاو إليه جميع سلطات وزارة الخزانة فى المجالات المرتبطة بمجلس لاجئى الحرب كان هارى دكستر هوايت ، الذى افتضح أمره فيما بعد بوصفه عميلا سوفيتيا . وقد أصبح هوايت عضوا فى الحلقة المقربة من مورجنتاو فى ربيع عام ١٩٣٨ . وأعلن مورجنتاو بعد مرور أسبوع على هجوم بيرل هاربور ، أنه ابتداء من هذا التاريخ وما بعده ، سوف يتولى هارى . د . هوايت مساعد الوزير ، المسئولية الكاملة عن جميع الأمور التى يتعين على وزارة الخزانة أن تعالجها ولها تأثير على العلاقات الخارجية . . » وقد هيأ التعميم المطلق الذى صيغ به هذا الأمر ، وبخاصة عبارة « لها تأثير على » ، لهوايت فرصة عظيمة فى السنوات التالية ففى أوائل عام ١٩٤٣ قام مورجنتاو بتوسيع نطاق المسئوليات الممنوحة لهوايت .

« اعتبارا من هذا التاريخ ، أريد منك أن تتولى الإشراف على ، وتضطلع بمسئولية كاملة عن ، وزارة الخزانة فى جميع الشئون الاقتصادية والمالية . . . فيما يختص بعمليات الجيش والبحرية والشئون المدنية فى المناطق الأجنبية التى تقوم قواتنا المسلحة بعملياتها فيها أو يحتمل أن تعمل فيها . وسوف يشمل ذلك بالطبع إجراء اتصالات عامة مع وزارة الخارجية والجيش والبحرية وغيرها من الوزارات أو الهيئات وممثلى الحكومات الأجنبية بشأن هذه الأمور » .

وقد استغل هوايت ، الذى أصبح مساعدا لوزير الخزانة فى أوائل عام ١٩٤٥ ، هذه السلطات استغلالا كاملا ، وخاصة فيما يتعلق بسياسة الاحتلال فى المانيا . ونظرا لأن مجلس لاجئى الحرب وبوصفه جهازا تابعا للخزانة إلى حد كبير ، فقد خضعت عملياته لسيطرة هوايت . ومن الجدير بالذكر أيضا أن دى بوا المستشار العام لمجلس لاجئى الحرب كان على صلة وثيقة بالعميل الشيوعى ويليام ل . أولمان وكان أيضا شاهدا على وصية هوايت .

وكان لدى لونج أفكار مختلطة ، وصائبة كما اتضح فيما بعد ، بشأن الدلالات التى تنطوى عليها هذه التطورات :

« لن تمضى سوى أيام قليلة وأتخلى عن اختصاصاتى فيما يتعلق باللاجئين ، وأترك هذا العمل لشخص آخر . ولقد كانت المسئولية ضخمة سواء الداخلية والخارجية نظرا لأن هناك خمسة ملايين يهودى فى البلاد منهم أربعة مليون يتركزون فى مدينة نيويورك وحولها وليس لدينا سكان عرب أو مسلمون ، ولكن لدينا مصالح اقتصادية تتزايد أهميتها — أهمها

البترول – فى البلاد الإسلامية . فضلا عن أن حليفتنا انجلترا لا يكاد يوجد بها مواطنون يهود ولكن لها مصالح سياسية ضخمة فى الشرق الأدنى . وهكذا فإن سياستنا تقوم إلى حد كبير على أساس الموقف الداخلى ، فى حين تقوم سياسة انجلترا كلية على أساس الشئون الخارجية ومن الصعب التوفيق بين الاثنين . . . . وهذه أنباء طيبة بالنسبة لى . . . وهذا يضمن لى البقاء بعيدا . ولا أتصور أن بمقدورهم أن يفعلوا شيئا لم أفعله أنا » .

وقد أخطأ لونج فى حساباته بشأن النقطة الأخيرة ، إذ أن مجلس لاجئى الحرب قد قام فى نهاية الأمر بعمليات كبيرة لتهجير اليهود ، والأعمال التى أنجزها لصالح اللاجئين لها أهمية كبرى فى هذا الكتاب ، وسوف نتناولها فى فصل تال . وقد قدم المجلس أيضا المساعدات لنزلاء معسكرات الاعتقال ، عن طريق الصليب الأحمر ، وذلك فى الأسابيع الأخيرة من الحرب وشن مجلس لاجئى الحرب أيضا بوصفه أداة فى يد وايز وغيره من الصهاينة ، حملات دعائية واسعة النطاق وكان أهم انجاز دعائى هو كتيب بعنوان « معسكرات الإبادة الألمانية » : « أوشفيتز وبيركيناو » ، أصدره المكتب التنفيذى للرئيس ، بواشنطن ، فى نوفمبر عام ١٩٤٤ . وسوف يشار إلى هذا الكتيب من الآن فصاعدا باسم تقرير مجلس لاجئى الحرب .

وقد شكل تقرير مجلس لاجئى الحرب المولد « الرسمى » للغرض الخاص بعمليات الابادة عن طريق غرف الغاز فى أوشفيتز . إذ نجد فيه قدرا كبيرا من الجوانب الأساسية والتفصيلات الخاصة بخدعة أوشفيتز فيما بعد . وقد نشأت التهم التى وجهت فى نورمبرج عن تقرير مجلس لاجئى الحرب . ولا يبدو أنه قد حدث أى رد فعل قوى ، بصورة أو بأخرى ، إزاء مجلس لاجئى الحرب وقت إصداره . على أن صحفيا أمريكيا هو أوزوالد ف . شوته أرسل خطابا انتقاديا إلى ستيمسون (أحد الموقعين على التقرير) ، ولكن شوته لم يتلق ردا شافيا .

والواقع أن تقرير مجلس لاجئى الحرب قد فشل فى تغيير آراء رجال وزارة الخارجية الذين سخروا من الدعاية الخاصة بالإبادة ، منذ بداية الأمر . وفى أحاديثهم الخاصة مع دى بوا ، عبروا عن رأيهم بصراحة تامة فى تقرير مجلس لاجئى الحرب إذ قالوا : « لقد ظل هذا الكلام يرد من برن منذ عام ١٩٤٢ . . . . ولا تنس أن هذا اليهودى ينقل أخبار اليهود » . . . « وهذه مجرد حملة يشنها اليهودى مورجنتاو ومساعديه اليهود » .

وقد قيل أن تقرير مجلس لاجئى الحرب قد نقل من برن إلى واشنطن . وسوف نناقش

التقرير بدقة بعد أن نفحص جزءا أساسيا من دعاية زمن الحرب من جانبها العلمى . ولكن يتعين علينا أولا أن نشير إلى أن بعض المراقبين البارعين يسيئون تفسير دور أوشفيتز فى أسطورة الإبادة إذكتب الصحفى والمؤرخ الأمريكى البارز هارى ايلمر بارنز فى عام ١٩٦٧ يقول ان معسكرات الإبادة :

« قد صورت أولا على أنها تلك المعسكرات الموجودة فى ألمانيا مثل داخاو وبيلزن ويوخنفالد وساكسنهاوزن ودورا ، ولكن ثبت أنه لم تجر أية عمليات إبادة منظمة فى تلك المعسكرات وتحول الانتباه بعد ذلك إلى أوشفيتز وتريبلنكاو وبلزك وشيلمنو ويونوفسكا وتارنوف ورافنزبروك وماوتهاوزن وبريتسيسينا وبيركيناو ، وهذا لا يستنفذ القائمة التى يبدو أنها تتسع كلما دعت الحاجة » .

والسبب وراء سوء الفهم الذى وقع فيه بارنز بالطبع هو أن وسائل الإعلام استغلت فى نهاية الحرب ، ومن أجل الاتجار بالمشاعر ، المشاهد التى وجدت فى المعسكرات الألمانية واستخدمتها كدليل على وجود عمليات للإبادة ، ومن الصحيح أيضا ، كما أشرنا فى الفصل السابق ، أن هذه المشاهد قد استخدمت «كدليل » على الإبادة فى دعاية وسائل الإعلام . على أن تحليلنا يبين أن أوشفيتز قد اختيرت بعناية فى عام ١٩٤٤ لتشكل لب خدعة الإبادة . وسوف ندعم هذه النقطة بالأدلة التى سوف نستعرضها فيما بعد كما سنستعرضها فى فصل تال ، وقد التزمت واشنطن ، بنشرها تقرير مجلس لاجئى الحرب فى نوفمبر من عام ١٩٤٤ ، بشكل معين من أشكال الخدعة . وقد ظل هذا الشكل سائدا فى محاكمات نورمبرج ، وحتى اليوم فإن شكل الخدعة لا يختلف عن تقرير مجلس لاجئى الحرب فى أى من جوانبه الهامة .

ويعد النجاح الذى حققه مورجنتاو فى مجلس لاجئى الحرب ، حول اهتمامه إلى أمور أخرى ، وخاصة السياسات التى تنتهج فى ألمانيا المحتلة . وقد اكتشف ان المشروعات القائمة تحترم معاهدات لاهاى وجنيف التى وقعت الولايات المتحدة عليها ، والتى تحظر بعض الأمور مثل الاستيلاء على الممتلكات الشخصية الخاصة التى ليست لها أهمية عسكرية ، واحتجاز أسرى الحرب إلى ما بعد انتهاء الأعمال العسكرية بفترة طويلة ، وفرض نظام البطاقات التى تحدد حصص المواد الضرورية بلا داع . ولذلك شن حملة من أجل اتباع سياسات أكثر تشددا وهى التى أصبحت تعرف فيما بعد باسم مشروع مورجنتاو ، والتى تم انتهاج عدد كبير منها بالفعل ووضعت موضع التنفيذ . وقد ساند دافيد ماركوس قسم

الشئون المدنية بالجيش أهداف مورجنتاو هناك ، وظل يمده بالمعلومات بشأن خصومه . وأدى الكولونيل برنارد برتشتاين ، الذى كان زميلا لمورجنتاو منذ وقت طويل ، مهمة مماثلة له فى مقر SHAEF فى لندن . كما قدم باروخ أيضا مساعداته .

والغرض الذى ينبنى عليه هذا الكتاب هو أن قصة إبادة اليهود فى الحرب العالمية الثانية ما هى إلا خدعة من خدع الدعاية . ولذلك علينا أن نفحص أصل منشأ هذه الخدعة فى دعاية زمن الحرب . ولقد ناقشنا بالفعل عددا من الجوانب « الداخلية » ، ومازال يتبقى فحص الجوانب العلنية .

ويبدو أن ضخامة هذه المهمة بالإضافة إلى طبيعة الموضوع الذى يثور حوله « الجدل والخلاف » قد منعت الكثيرين من اجراء دراسة شاملة لهذه الدعاية . وكانت هناك دراسات لبعض الجوانب الخاصة . فقد فحص جون ت . فلاين فى كتابه بينما «كنتم نياما » ، الدعاية فيما يختص بالتأثيرات الشيوعية والموالية للشيوعية ، وبخاصة فيما يتعلق بآسيا . وقام جيمس ج . مارتن بدراسة حول أسلوب تناول وسائل الإعلام الأمريكية للاتحاد السوفيتى ، ومسألة السلام الذى يتم التوصل إليه عن طريق المفاوضات ، وعمليات القصف الجوى بهدف الإرهاب التى شنها الحلفاء أثناء الحرب .

ومن المستحيل أن نستعرض كل الدعاية الخاصة بالفظائع والإبادة فيما يتعلق بالمسرح الأوروبى فى الحرب العالمية الثانية . وقد نختصر من حجم البحث الضخم الذى سنقوم به وذلك بأن نقول أن اهتمامنا ينصب فقط على مسألة إبادة اليهود وعلى ما قامت به الشخصيات الهامة فقط . ولذلك سوف نجد أن فحص القصص الخاصة بابادة اليهود المزعومة والتى ظهرت فى جريدة نيويورك تايمز ابتداء من ربيع عام ١٩٤٢ حتى عام ١٩٣٤ بالإضافة إلى ملخص حملات الدعاية فى عام ١٩٤٤ ، والتى سوف نقدمها فى فصل تال ، هو كل ما نحتاج إليه لكى نحصل على تصور شاف لهذه الدعاية . ولهذا نبدأ الآن بقصص عام ١٩٤٢ ، التى ستقدم التعليق عليها أيضا . وفى حالات عديدة نجد قصة يزعم أن مصدرها أوروبا وتتضمن ادعاءات بشأن عمليات قتل جماعية ، والأمر الذى يهمنا على وجه الخصوص فى هذه الحالات هو مصدر القصة ، والمكان الذى جرت فيه عمليات القتل المزعومة ، وأسلوب القتل المزعوم المستخدم . وعلينا أن نذكر دائما أن أسطورة الإبادة التى انتشرت بعد الحرب تدعى وجود ثلاثة أنماط فقط من عملية الإبادة الجماعية :

القتل بالغاز فى ستة مواقع فى بولندا ، و « غرف الغاز » فى روسيا ، والقتل الجماعى بالرصاص فى روسيا .

٦ أبريل ١٩٤٢ ، ص٢ أنباء عن مذابح النازى لليهود :

كويبيشيف ، روسيا ٥ أبريل (ا ب) – ذكرت اليوم اللجنة اليهودية المناهضة للفاشية أن الألمان قد قتلوا ستة وثمانين ألف يهودى فى مينسك وحولها ، كما قتلوا خمسة وعشرين ألف يهودى فى أوديسا ، بالإضافة إلى « عشرات الآلاف » فى ليتوانيا ولاتفيا ، وايستونيا . وذكر التقرير أن جميع السكان اليهود فى ايستونيا وعددهم أربعة آلاف وخمسمائة نسمة قد أبيدوا تماما .

١٣ يونيه ١٩٤٢ ، ص٧ النازى يحملون اليهود مسئولية الغارات الجوية :

برلين ١٢ يونيه (استماع إلى الإذاعة الألمانية سجلته وكالة يونيتدبرس فى نيويورك) أعلن الليلة جوزيف جوبلز وزير الدعاية أن ألمانيا سوف تقوم بعملية « إبادة » جماعية لليهود وذلك انتقاما من الغارات الجوية التى شنها الحلفاء على المدن الألمانية ، والتى اعترف جوبلز بأنها سببت خسائر فادحة .

وقال دكتور جوبلز فى مقال له فى نشرة « الرايخ » ، إن اليهود سوف يتعرضون للإبادة فى جميع أنحاء أوروبا « وربما أيضا خارج أوروبا » كرد على الغارات الجوية العنيفة .

وقد وجه جوبلز ملاحظته هذه ضد الصحافة التى يسيطر عليها ، والتى اعتبرها مسئولة إلى حد كبير عن خلق جو الدعاية الذى تسبب فى شن الإرهاب . وفيما يلى نص ملاحظته التى جاءت فى نشرة « الرايخ » .

« ان اليهود يقومون بلعبة بالغة الإجرام فى هذه الحرب ، وسوف يدفعون ثمن ذلك عن طريق إبادة جنسهم فى أوروبا وربما خارجها أيضا . ولن يهتم أحد باليهود فى هذا النزاع ، نظرا لأنهم لا يمثلون المصالح البريطانية أو الأمريكية بل يمثلون فقط المصالح اليهودية » .

وهذا فعلا تهديد بالإبادة ، إذ أن المعنى الأساسى للكلمة الألمانية التى استخدمها جوبلز هو « إبادة » (أما الكلمة الإنجليزية « استئصال » والتى ترتبط بها لغويا ، فهى تمثل المعنى الثانى للكلمة وليس الأصلى) . وكان هتلر يدلى بتصريحات علنية مماثلة بين الحين والحين . ومن أمثلة هذه التصريحات : « ان هذه الحرب سوف تسفر عن تدمير اليهودية » ،

و « ان اليهودية هى التى سيتم إبادتها وليس الشعوب الآرية » .

وتعليقا على ذلك نقول ان :

(ا) التصريحات المتطرفة كانت السمة السائدة فى البلاغة والخطابة النازية .

(ب) ان من اختلقوا أسطورة الإبادة يزعمون أن عمليات الإبادة كانت تجرى فى سرية تامة ، مما يجعل من الصعب اعتبار هذه الإشارات العابرة التى جاءت فى التصريحات العلنية لزعماء النازى ، بمثابة دليل على وقوع عمليات الإبادة .

(جـ) من الضرورى أن نتفهم تماما الظروف التى أدلى فيها جوبلز بملاحظاته تلك ، أى أن هذه الملاحظات كانت تمثل رد فعل ازاء غارات الإرهاب التى قام بها الحلفاء .

(د) ان الادلاء بتصريحات متشددة فى وقت الحرب أمر مألوف ، وقد أدلى أشخاص يفترض فيهم المسئولية من كلا الجانبين بتصريحات تتسم بالتعطش للدماء أثناء الحرب .

(هـ) ينبغى دائما تفهم سياق الحديث تفهما كاملا عند تفسير المعنى المحدد للإشارة إلى « الإبادة » أو « المحو » . فضلا عن أن الكلمة الألمانية التى تعنى « اليهودية » كلمة غامضة فى معناها . وسوف نناقش كلا من هذه النقاط الخمس بالترتيب .

(ا) من المعروف تماما أن البلاغة والخطابة النازية كانت تتسم بطابع الإثارة الاستفزازى ، ويرجع تاريخ ذلك إلى وقت سابق عندما كان النازيون يشكلون حزبا صغيرا فى مدينة فيمار بألمانيا ، ويبدو أن ذلك الأسلوب كان نتيجة لسياسة مقصودة ومدروسة ، لأن هتلر شرح أسباب ذلك الأسلوب فى حديث خاص فى عام ١٩٣١ :

« ان ما يكتبه محرر مجنون فى صحيفتى الخاصة أمر لا يهمنى على الإطلاق . . . اننا لا نؤمن بأى شىء إلا بدافع من التعصب . وإذا كان هذا التعصب بسبب رعبا للبرجوازية فهذا أمر أفضل . إن التعصب وحده ، الذى يرفض التنازل ، هو وسيلتنا الوحيدة للاتصال بالجماهير » .

ويعنى ذلك ببساطة أنه اكتشف أنه يستطيع جذب الانتباه عن طريق الإدلاء بتصريحات متطرفة ، وقد تأثر جميع زعماء النازى ، ولا سيما جوبلز ، بهذا الأسلوب إلى حد ما . والحقيقة أنه بعد وصول النازيين إلى السلطة وتوليهم مسئولية حكم ألمانيا ، أصبحت بياناتهم العلنية أكثر اعتدالا فى لهجتها ولكنهم لم يتخلوا مطلقا عن الميل إلى استخدام ذلك الأسلوب ، ومن الطبيعى أن تؤدى الحرب والمشكلات المتعلقة بمحاولة التأثير على الرأى العام فى دول الحلفاء إلى إحياء هذا الميل لديهم . ومن الغريب ، فى ظل

هذه الظروف أن هتلر وجوبلز لم يدليا بتصريحات من هذا القبيل إلا نادرا .

(ب) سوف نرى فى الفصول التالية كيف أن أصحاب أسطورة الإبادة قد اضطروا إلى اتخاذ موقف يتمثل فى أن النازى بذلوا أقصى جهدهم من أجل المحافظة على سرية برنامجهم للقتل الذى يشمل القارة بأسرها ، وأنهم نجحوا بالفعل فى المحافظة على سريته إلى حد كبير . وما نعرفه عن سلوك اليهود الأوروبيين فى ذلك الوقت بالرغم من ادعاءات بعض المؤلفين والحقيقة التى لا شك فيها فى انتشار جميع أنواع الشائعات ، إنما يبين لنا أن اليهود لم يشعروا بوجود أى برنامج لإبادتهم ، فعندما كانت تصدر لهم الأوامر بالاستعداد لنقلهم ، كانوا يطيعون الأوامر ويرحلون دون أية مقاومة . وسوف نرى فى الفصل الرابع كيف أن اليهود فى تيرز نشتات كانوا يتطوعون بالرحيل إلى أوشفيتز فى أواخر أغسطس من عام ١٩٤٤ ، لأن يهود بترز نشتات لم يعلموا بوجود أى برنامج للإبادة سواء فى أوشفيتز أو فى أى مكان آخر . وفى الفصل السابع ، نرى ما تردد من مزاعم بأن النازيين كانوا غير مستعدين لإضافة أى شيء إلى الوثائق السرية إذ يقال لنا ان (صياغة المذكرات الدقيقة كانت إحدى المهارات الرئيسية لرايخ هتلر) . وحيث أن هذه هى القضية كما صورها أصحاب أسطورة الإبادة ، فليس الأمر أن تكرار مثل هذه الملاحظات موضع البحث لا يدعم دعواهم فحسب ، بل إن المشكلة تصبح متعلقة بتفسير هذا التكرار ، وتلك مشكلتهم .

(جـ) ينبغى التحقق من طبيعة الملاحظة التى أدلى بها جوبلز : أى رد الفعل لرجل دعاية محترف ازاء غارات الحلفاء التى أثارت قلق السياسة الألمانية كثيرا ابتداء من مايو عام ١٩٤٠ وما بعد ذلك . وحيث ان الحقائق المتعلقة بهذه المسألة ليست معروفة تماما ، وإن كانت حقائق ثابتة ، فإننا نعرضها هنا بإيجاز شديد جدا وذلك لكى نتجنب الاستطراد الطويل الذى لا مبرر له . والقارئ الذى يريد معالجة أكثر تفصيلا لهذا ، فليلجأ إلى مؤلفات فيل وكولبى .

حتى نشوب الحرب فى عام ١٩٣٩ ، كانت النظرية الجوية الألمانية تعتبر قاذفة القنابل شكلا من أشكال المدفعية ، فهى إذن سلاح يستخدم فى مساندة العمليات الأرضية العادية . وطبقا لهذه النظرية تمت عمليات قصف وارسو فى عام ١٩٣٩ وروتردام فى مايو من عام ١٩٤٠ ، وهى العمليات التى نالت شهرة واسعة ، بعد إذ تحولت هذه المدن بالفعل إلى مسرح للعمليات العسكرية وطبقت عليها قوانين الحصار ولم يلعب القصف

الاستراتيجى ، بمعناه المفهوم لنا ، أى دور فى علميات الاشتباك الألمانى (برغم أنه كان موضع دراسة من جانب واضعى الخطط العسكرية الألمان) .

على أن هذا لا ينطبق على ما حدث فى بريطانيا ، ذلك أنه فى الوقت الذى استخدم فيه الألمان طائراتهم القاذفة للقيام بدور المدفعية فى هولندا ، اتخذ البريطانيون « قرارا رائعا » بقصف الأهداف المدنية الألمانية ، وهو يدركون تماما أن هتلر لا ينوى مطلقا ولا يرغب فى خوض حرب من هذا النوع (والحقيقة أن هتلر لم يكن يريد محاربة بريطانيا على الإطلاق) . وقد قام الألمان بعمليات قصف محدودة لبعض الأهداف فى انجلترا فى أوائل صيف عام ١٩٤٠ ، ولكنهم لم يهاجموا سوى الأهداف العسكرية فقط ، حتى عندما كانت بعض مدنهم مثل هامبورج وبريمين تتعرض لهجوم عام . وبعد ثلاثة أشهر كاملة من قصف هذه المدن ، وجد هتلر نفسه مضطرا ، وعلى مضض شديد ، للرد بهجمات من نفس النوع ، ومن هنا نشأت خدعة « الهجوم الخاطف » التى أحيطت بدعاية كبيرة . ولم يسمح للشعب البريطانى أن يكتشف أنه بإمكان حكومته وقف الغارات الألمانية فى أى وقت تشاء عن طريق وقف غاراتها ضد ألمانيا .

وعلى الرغم من أن الغارات البريطانية ضد ألمانيا لم يكن لها أى أهمية عسكرية فى عام ١٩٤٠ ، إلا أنها وضعت الحكومة الألمانية فى موقف حرج أمام الرأى العام الألمانى ، حيث ان الشعب الألمانى كان يعتقد بالطبع أن حكومته قادرة على مواجهة الموقف ، وكان هذا هو السبب الوحيد الذى دعا الألمان إلى شن الغارات الانتقامية بوصفها الورقة الأخيرة فى أيديهم وقد قال هتلر وهو يعلن انتهاج هذه السياسة ، فى خطاب له فى قصر الرياضة يوم الرابع من سبتمبر من عام ١٩٤٠ :

« إذا قام السلاح الجوى البريطانى بإسقاط ألفين أو ثلاثة أو أربعة آلاف كيلو جرام من القنابل ، فسوف نلقى نحن مائة وخمسون ، مائة وثمانون ، مائتى ألف ، ثلاثمائة ألف أربعمائة ألف كيلو جرام وأكثر فى ليلة واحدة » .

وهذه مبالغة ضخمة فى حجم قدرات هتلر بالنسبة لقدرات البريطانيين لأنه بالرغم من تفوق طائراته القاذفة من حيث العدد على البريطانيين فى ذلك الوقت ، إلا أنها كانت مصممة لمساندة القوات البرية وليس لشن الغارات الاستراتيجية ، التى كانت القاذفات البريطانية مجهزة للقيام بها على أن الكلمات العنيفة دائما رخيصة ويعد سلاح الطيران الذى لم يكن أكثر من مصدر ازعاج لعمليات القصف التى تقوم بها الحلفاء ، أصبحت الكلمات

العنيفة (المصحوبة أحيانا بتهديدات بإظهار أسلحة سرية جديدة) هى كل ماكان يملكه هتلر وجوبلز فى عام ١٩٤٠ أو فى أى وقت لاحق فى مواجهة عمليات القصف . وفى نطاق ذلك فقط ينبغى تفهم ملاحظات جوبلز.

(د) أدلى الجانبان بملاحظات تتسم بالتعطش للدماء أثناء الحرب . ففى الولايات المتحدة عبر أشخاص متحضرون على ما يبدو عن آراء متطرفة ، كانت تقابل بردود فعل تتسم بالتروى . أشخاص يتمتعون بالاحترام وحيث ان عدد هؤلاء كان كبيرا فسوف نكتفى بالإشارة إلى كليفتون فاديمان المؤلف والناقد المعروف والذى كان محررا لباب نقد الكتب فى مجلة نيويوركر الأسبوعية فى ذلك الوقت .

وكان فاديمان الشخصية البارزة الرئيسية فى مجلس حرب الكتاب ، وهو عبارة عن وكالة حكومية شبه رسمية كانت تتطوع بالكتابة للوكالات الحكومية فيما يتعلق بالحرب . ورئيس المجلس هوركس ستاوت . وكانت النظرية التى طرحها فاديمان وستاوت على مجتمع الكتاب فى عام ١٩٤٢ هى أن الكتابة المتعلقة بالحرب ينبغى أن تسعى « لخلق شعور قوى بالكراهية لجميع الألمان وليس كراهية الزعماء النازيين فقط » . وقد أثار ذلك جدلا عنيفا واختلف الكتاب والمراقبون فى الرأى فى ذلك الجدل الذى حمى وطيه إلى حد أن أعلن فاديمان أنه لا يعرف « سوى وسيلة واحدة لجعل الألمان يفهمون وهى قتلهم ، وحتى مع ذلك فلا أعتقد أنهم سيفهمون » .

ولم تكن الكلمات تعبيرات انفعالية منفصلة ، إذ أن فاديمان رحب فى عموده الذى كان يكتبه فى مجلة نيويوركر بأية فرصة تتاح له لوضع آرائه بخصوص الألمان فى نطاق أكثر تنظيما . وفى أبريل من عام ١٩٤٢ وجد فاديمان الفكرة الصبيانية التى كان يبحث عنها ، وذلك فى كتاب « صنع الغد » من تأليف دى سال . واعتبر فاديمان أن القارئ لابد أن يتفق معه فى الرأى بأن النازيين هم أسوأ كارثة حلت بالبشرية منذ قرون ، ولذلك كتب يقول ان الحجة التى يوردها دى سال : تتلخص ببساطة فى أن « انقضاض النازى الحالى لا يعتبر مطلقا عملا شريرا من جانب مجموعة من قطاع الطرق ولكنه يشكل التعبير الأخير المكتمل لأعمق الغرائز لدى الشعب الألمانى » .

« ان هتلر يمثل تجسيدا لقوى أكبر منه . والبدعة التى يدعو لها عمرها ألفى عام » فما هى هذه البدعة ؟ انها ليست سوى تمرد على الحضارة الأوربية . ويورد لنا دى سال خمسا من هذه التمردات الألمانية تبدأ بأرمينيوس . وفى البداية يميل المرء إلى التشكك فى الاتهام

الضخم الذى يوجهه المؤلف – وربما ترجع نزعته المعادية للألمان إلى أصله الفرنسى – ولكن عندما يتابع المرء وجهة نظره يجد أنها تزداد اقناعا وتظهر أبعاد هذه الحرب بوضوح أكبر »

وقد عكس فقده للكتب الخاصة بالحرب تلك الفكرة التاريخية التى وجدها فى الهواء الذى كتبه دى سال . وقد سخر فاديمان مما ادعاه هوارد . ك . سميث من أنه « إذا استطعنا تقديم بديل حقيقى (للألمان) لعملية الإبادة فإن الأمة سوف تخضع لنا ان كانت لن تستسلم لثورة فعلية » ولذا كتب يقول : « لقد ظل العالم يسترضى الألمان منذ أن انطلقت قطعان ذئابهم البشرية من أوكارها فى الغابات فى عهد أرمينيوس . وكانت النتيجة وصول أوروبا إلى شفا الانتحار » . وتبع ذلك موافقته الصريحة على اقتراح هيمنجواى الغريب والذى يقول ان « التسوية النهائية الوحيدة » مع النازى هى تعميقهم وهو يعنى ذلك بالفعل بمعناه الجراحى . ومن الواضح أن فاديمان أيضا لم يكن يميز بين النازيين والألمان الآخرين وكان يسخر من دعوة دوروثى طومسون الملحة من أجل التمييز بينهم كما كان يسخر من إيمانها بأن « جهودنا التى سوف نبذلها بعد الحرب يجب أن توجه لبناء اتحاد لدول أوروبا تحتل فيه ألمانيا مركزا بارزا على أن تكون قيادتها ديمقراطية » وعلى الرغم من أن فاديمان لم يدع قط إلى قتل جميع الألمان أو معظمهم ، بمثل هذا الاسهاب على الأقل إلا أن ذلك كان المعنى الواضح فى جميع تصريحاته . إذن ما هى الطريقة لمعاملة قطعان الذئاب التى انطلقت من أوكارها والتى تحاول الآن استعباد باقى العالم ولا تفهم إلا إذا قتلتها ولا يجب اعطاؤها بديل حقيقيا آخر للإبادة .

ولقد كان كليفتون فاديمان مجرد مثال بارز وشبه رسمى « لمدرسة فكرية » كانت قائمة بين قادة الرأى فى الولايات المتحدة أثناء الحرب . ولقد نشر جيمس .ج . مارتن وبنيامين كولى دراسات أطول عن دعايات الحلفاء التى تقوم على كراهية جميع الألمان وقدم الأخير دراسة كاملة عن مجلس كتاب الحرب بصورة خاصة .

وكان مناخ الرأى السائد فى بريطانيا وقت الحرب قريب الشبه فى الولايات المتحدة وكان أقدم عهدا نظراً لدخول انجلترا الحرب قبل الولايات المتحدة . فقد كتبت صحيفة الديلى هيرالد البريطانية فى تعليقها على خطاب هتلر فى قصر الرياضة ببرلين الذى أعلن فيه بدء الغارات الجوية الألمانية على المدن البريطانية (الذى نقلناه من قبل) بلهجة تتسم بالشماتة . تقول ان هتلر قد بذل جهدا محموما ليطمئن شعبه الذى ازعجته الغارات والذى يعانى حالة عصبية شديدة ويظل ساهرا حتى عندما لا يكون هناك انذار بوقوع غارة

« ويستطرد نفس العدد من صحيفة الهيرالد ليقدم توصيات القس س . و . هويب راعى كنيسة سانت أوجستين فى ليستر .

« يجب أن تكون الأوامر هى « امحوهم تماما » ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف ، أدعو لتكريس علومنا من أجل اكتشاف متفجر جديد أكثر رعبا إلى حد بعيد .

« إن هؤلاء الشياطين الألمان (وهذه هى الكلمة الوحيدة التى يمكن استعمالها) يحلقون فوق مدننا ويفتحون نيران مدافعهم الرشاشة على نسائنا وأطفالنا « .

« حسنا ، كل ما آمله هو أن تزداد قوة السلاح الجوى الملكى بحيث يستطيع تدمير ألمانيا وتحطيمها تماما .

« ولعله يجب على خادم للانجيل ألا يستسلم لمثل هذه المشاعر .

ولكننى أمضى إلى أبعد من ذلك فأقول وبصراحة تامة اننى لو استطعت لمحوت ألمانيا من فوق الخريطة .

« انهم جنس شرير وقد ظلوا يمثلون لعنة فى أوروبا طوال قرون » .

ولن يستتب السلام إلا بعد إرسال هتلر وكل من يؤمنون به إلى الجحيم ، مسقط رأسهم ومثواهم الأخير» .

وذكرت صحيفة الهيرالد ان هويب « قد اثار قدرا كبيرا من الجدل فى البلاد » ، ومن ذلك يتضح ان هناك كثيرا من البريطانيين ، شان الكثير من الامريكيين ، الذين احتفظوا بهدوئهم ورباطة جأشهم رغم وجود النماذج التى تتفق مع تفكير فاديمان .

وقد ظهرت فلسفة التاريخ الغربية المتعلقة بهذا الموضوع والتى جاهر بها دى سال ، وساندها كليفتون فاديمان ، بصورة مستقلة على ما يبدو فى انجلترا . فقد كتب ريجنالد هارجريفز مقالا فى عدد يونيه عام ١٩٤١ من مجلة « ناشيونال ريفيو » التى تتمتع بالاحترام (ويجب عدم الخلط بينها وبين مجلة ناشيونال ريفيو التى تم تأسيسها فى الولايات المتحدة فى عام ١٩٥٥) واقترح فيه كهدف للحرب (يختلف تماما عن نتيجة الحرب التى لا مفر منها) افراج ثلاثة ملايين جندى نازى على الاقل من المعركة تماما بلا عودة « نظرا لان » القاء السلاح يتطلب بالضرورة قتل عدد كاف من دراويش النازية الفاسدين المتوحشين الهائجين فى ساحة القتال »

والضرورة التى توجب ذلك نشات من اعتبار ان : « المانيا قد اثبتت غير تاريخها الطويل ، انها دولة غير متحضرة على الاطلاق ولا تستحق سوى الاشمئزاز والاحتقار .

ومنذ البداية ، استحقت الشعوب التيوتونية بسبب سلوكها دور المنبوذين ان توصف بانها كلاب اوروبا المسعورة المشردة .

ويجب الا يكون هدفنا من الحرب تحقيق الانتصار العسكرى فى ميدان القتال فحسب بل يجب ان يتمثل فى اعادة الشعب الالمانى الى وضع منكمش ومحدود بحيث لا يستطيع بعد ذلك مطلقا « ان يفعل اى شىء من شانه (الاضرار بالاجيال القادمة . ان صراعنا هو مع الشعب الالمانى ، بالرغم من التاكيدات الهشة بعكس ذلك ، وهم جنس متوحش ضارى مجرد من المبادئ الخلقية تماما وغير متحضر مما يجعل الامل الوحيد امام العالم هو محوهم كقوة كبرى ، وليس امام العالم من خيار سوى الامساك بمشرط الجراح وازالة هذا الورم الخبيث من كيانه السياسى ، بصورة كاملة وبدون رحمة وإلى الابد » .

وتبدو هذه الاراء اكثر غرابة عندما يتذكر المرء انها صادرة عن امة شهيرة بتصريحاتها المخففة المعتدلة .

وليس الهدف من هذه المناقشة اثبات وجود اجماع فى الراى فى الولايات المتحدة وبريطانيا على ان الالمان وحوش بطبيعتهم ويجب قتلهم او تعقيمهم على الاقل . اذ ان الجميع متفقون على ان هذا الاجماع لم يكن موجودا (وحتى اصحاب اسطورة الابادة سوف يوافقون ، كما اعتقد ، على عدم وجود اجماع فى الراى فى المانيا على ضرورة ابادة اليهود) . وكما ندرك جميعا ، فان سياسات ابادة الجنس التى دعا اليها العديد من قادة الراى فى الولايات المتحدة وبريطانيا لم تكن ممكنة التنفيذ بالمعنى الحرفى ، اذ ان الشعبين الامريكى والبريطانى ما كانا ليسمحا مطلقا بارتكاب مثل هذه الاعمال باسمهما . ولكن المقصود هنا هو انه عندما كانت الحرب محتدمة الاوار كانت امور بالغة الغرابة تقال . وفى اغلب الاحوال (ولسوء الحظ فى اغلب الاحوال فقط) لم تترجم هذه الافكار المجنونة إلى افعال ، ولكن تم التعبير عنها بحرية رغم ذلك .

لقد صدر عن كلا الجانبين تهديدات وحشية ، وانى اعتقد ، فى ضوء ذكرياتى الباهتة عن تلك الفترة ، ان التصريحات البلاغية التى صدرت فى الولايات المتحدة (وبخاصة فيما يتعلق باليابانيين) كانت اكثر عنفا من اى شىء قيل فى المانيا اثناء الحرب . على الرغم من ان هذه المقارنة صعبة وينبغى الا تجرب وبخاصة فيما يتعلق بمدى العنف ، وذلك لاختلاف الادوار التى قام بها « الراى العام » ، واختلاف التصريحات التى ادلى بها الزعماء السياسيون فى النظامين السياسيين المعنيين .

فنى الجانب الخاص بدول المحور ، يجب ان نذكر ايضا ان ايطاليا الفاشية كان بها العديد من القوانين المعادية لليهود ، ولكنها معتدلة جدا فى تطبيقها ، ولم تصل اطلاقا إلى حد القتل . ومع ذلك اتسمت البلاغة المعادية لليهود فى الصحافة الفاشية بنفس القدر من العنف الذى اتسمت به مثيلتها فى المانيا ، واذا اعتبرنا ان ما نقلته صحيفة نيويورك تايمز (فى عددها الصادر يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٤١) كان صحيحا ، فان هذه الصحافة قد دعت إلى « ابادة جميع اليهود الايطاليين بوصفهم خطرا يتهدد الجبهة الداخلية اذ انه قد حان الوقت للتخلى عن الاجراءات الجزئية » .

(هـ) والنقطة الاخيرة هى انه يجب على المرء ان يستخدم حسن ادراكه وشعوره بروح النص لكى يفسر الاشارات إلى « الابادة » و « المحو » تفسيرا سليما فنى اثناء الحرب الاهلية الامريكية ، طالب الكثيرون لينكولن « بمحو » الجنوب وليس من قبيل عدم الدقة فى التعبير القول بان لينكولن قد فعل ذلك بالضبط ، ولكن كان من المفهوم فى ذلك الوقت كما هو مفهوم الان ايضا ان احدا لم يكن يقصد قتل جميع سكان الجنوب .

وقد نستخدم نفس هذه الملاحظة بشان التصريحات العلنية لزعماء النازى ، على ان هناك نقطة اضافية يجب ملاحظتها فى هذا الصدد . وهى انهم كانوا يستخدمون غالبا فى اشارتهم إلى اليهود كلمة المانية من معانيها الصحيحة : « اليهود » عامة ، ولكنها قد تعنى ايضا « الديانة اليهودية » او « كل ما هو يهودى » او فكرة كل ما هو يهودى » . وهكذا فان عبارة « القضاء على اليهودية » التى ذكرها هتلر اذا نقلناها من سياق الكلام وفسرناها تفسيرا حرفيا ، يمكن ان تعنى القضاء على نفوذ اليهودية وسلطاتها وهو ما كان هتلر ، رجل السياسة ، يعنيه بالضبط بهذه الملاحظة . على الرغم من انه كان يستطيع اختيار كلماته بدقة اكبر .

وبنفس الطريقة ، دفع الفريد روزنبرج فى شهادته امام المحكمة العسكرية الدولية بان عبارة « ابادة اليهود » التى استخدمها فى احدى المناسبات ، لم تكن تعنى القتل اذا تم تفسيرها فى السياق الذى استخدمها هو فيه .

وبعد اختتام هذا التفسير المطول لملاحظة « الابادة » التى استخدمها جوبلز نعود الان الى فحص القصص التى نشرت فى صحيفة نيويورك تايمز فى عامى ١٩٤٢ — ٤٣ .

١٤ يونية ، ١٩٤٢ الصفحة الاولى انباء عن مقتل ٢٥٨ يهوديا فى برلين لاتهامهم فى مؤامرة لوضع قنبلة فى معرض مناهض للشيوعين

بقلم : جورج اكسلسون

بالتليفون لصحيفة نيويورك تايمز

ستوكهولم ، السويد فى ١٣ يونيه . اعدمت قوات الامن الالمانية ٢٥٨ يهوديا يوم ٢٨ مايو فى ثكنات جروس ليختر فيلت فى الضواحى الغربية لبرلين ، وتم ترحيل عائلاتهم ، وذلك انتقاما من مؤامرة يهودية مزعومة لنسف معرض « الفردوس السوفييتى » المناهض للبولشفية والمقام فى لوشتجارتن . . .

واذا كانت هناك اية قنابل ، فمن الواضح انه تم اكتشافها قبل انفجارها . .

وكانت قوات الامن تريد نشر انباء الاعدام . . . والحقيقة . . انه تم استدعاء زعماء المستعمرة اليهود . . . .

— ٣٠ يونيه ١٩٤٢ الصفحة السابعة تقرير يقول ان النازيين قتلوا مليون يهودى لندن ، ٢٩ يونيه (ى.ب) . . . وجه هذا الاتهام اليوم متحدث باسم المؤتمر اليهودى العالمى .

وقال ان النازيين اقاموا « مجازر ضخمة لليهود » فى اوروبا الشرقية . . .

ويقول تقرير وصل إلى المؤتمر ان فرق اطلاق النار تقوم بقتل اليهود الذين تم ترحيلهم ترحيلا جماعيا إلى وسط بولندا من المانيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا وهولندا رميا بالرصاص بمعدل الف يهودى يوميا .

واكدت المعلومات التى تلقتها الحكومة البولندية فى لندن ان النازيين قد اعدموا عدة مئات الالاف من اليهود « فى بولندا » .

ولا يدعى احد اليوم انه كانت هناك « مجازر » تجرى فيها عمليات اعدام بواسطة فرق اطلاق النار . وكما قلنا من قبل ، فقد كان ذلك بداية الحملة الدعائية عن الابادة التى شنها المؤتمر اليهودى العالمى . ومن المحتمل ان تكون ملاحظات جويلز المتعلقة بالابادة هى التى اوحت باختلاق هذه القصة .

٢٢ يولية ١٩٤٢ الصفحة الاولى عقاب النازى كما يراه روزفلت .

اعلن الرئيس روزفلت مساء امس فى رسالة تليت على عشرين الف شخص فى حديقة ماديسون سكوير . . .

رسالة الرئيس

البيت الابيض – واشنطن ١٧ يوليه ١٩٤٢

عزيزى مستر وايز

ان المواطنين – يشاركون مواطنينا اليهود الشعور بالاسف بسبب وحشية النازيين ضد ضحاياهم البائسين . ان النازيين لن ينجحوا فى ابادة ضحاياهم اكثر مما سينجحون فى استعباد الجنس البشرى . ان الشعب الامريكى . . سوف يحاسب مقترفى هذه الجرائم محاسبة عسيرة فى يوم الحساب الذى لابد وان ياتى . . .

نص رسالة تشرشل

« .... انكم تذكرون انى والرئيس روزفلت قد عبرنا يوم الخامس والعشرين من اكتوبر عن مشاعر الفزع ..... ازاء مذابح النازيين وارهابهم ، كما عبرنا عن عزمنا على ان نجعل القصاص من هذه الجرائم احد الاهداف الرئيسية لهذه الحرب . . . » .

لقد كان لهذه التصريحات الغامضة التى ادلى بها الزعماء فى وقت الحرب ، والتى كانت خالية من اى اتهامات محددة ، تاثير لدى شعب يفوق تاثير اى قصص محددة يكون قد بدا من تصريحاتهم انهم يصدقون على صحتها . وسوف نرى كيف ان المزاعم المحددة التى اعلنت فى ذلك الوقت ، واستمرت عدة شهور على الاقل ، لم تكن تشبه الادعاءات التى ذكرت فى المحاكمات اللاحقة . على ان طبيعة الموقف ، كما ادركها روزفلت وتشرشل جعلت من المناسب بالنسبة لهما « مسايرة الموقف » على الاقل الى حد الادلاء بتصريحات علنية غامضة تؤيد هذه الدعاية .

٣ سبتمبر ١٩٤٢ الصفحة الخامسة ٥٠ الف يهودى يحتضرون فى قلعة النازى :

لندن ٢٠ سبتمبر (ى . ب) – صرح متحدث باسم الحكومة التشيكوسلوفاكية الليلة

بان خمسين الف يهودى من المانيا وتشيكوسلوفاكيا قد تم القائهم فى قلعة ترزين وتم وضع عدة الاف من المرضى والمتهمين بارتكاب جرائم منهم فى زنزانات تحت الارض حيث يموتون كالذباب .

وقال المتحدث « لقد ضاع كل امل فى انقاذهم » .

واضاف المتحدث يقول ان الالمان قد بداوا حملة لابادة اليهود من المحمية ، وانه لم يتبق سوى ١٥ الف يهودى فقط فى براج ، من بين ٤٠ الف يهودى وقال انه تم تطهير بيلزن ويروين من اليهود ، حيث نقل عدد كبير منهم إلى ترزين ، اكبر معسكر اعتقال فى اوروبا التى يسيطر عليها النازى .

وقال مراقب اوروبى ان الالمان يعتزمون ابادة اليهود ، لا فى اوربا فحسب ولكن فى جميع انحاء العالم . واعلن ان النازيين قد اعدموا مليونى يهودى خلال الاعوام الثلاثة الماضية . .

والحقيقة الوحيدة فى هذه القصة ان معدل وفيات اليهود كان مرتفعا إلى حد ما فى ترزين (ترزنشتات) ويرجع ذلك إلى سياسة الالمان المتمثلة فى نقل جميع يهود الرايخ ممن تزيد اعمارهم عن الخامسة والستين اليها . وهناك فئة اخرى فى ترزنشتات تضم اليهود « ذوى الامتيازات » – وهم المحاربون القدماء وبخاصة اولئك الذين يحملون اوسمة رفيعة . وكان هناك يهود آخرون ، تم ترحيل عدد كبير منهم فى نهاية الامر ، واذا كانوا قد عانوا ، فلم يحدث ذلك فى ترزنشتات . وقد زار الصليب الاحمر هذا المكان فى يونيه من عام ١٩٤٤ وقد ادى التقرير الذى اصدره واطرى فيه الظروف هناك إلى اثارة غضب المؤتمر اليهودى العالمى وسوف نتناول ترزنشتات بتفصيل اكبر فى الفصول التالية . فبرغم من انها لم تكن « اكبر معسكر اعتقال فى اوروبا التى يسيطر عليها النازى » ، الا انها تلعب دورا هاما هنا .

٥ سبتمبر ١٩٤٢ الصفحة الثالثة الولايات المتحدة تلوم فيش لترحيلها اليهود

واشنطن ٤ سبتمبر – اعلنت اللجنة اليهودية الامريكية اليوم ان وزارة الخارجية الامريكية قد قدمت « اشد الاحتجاجات الممكنة » إلى الحكومة الفرنسية عن طريق السفارة الامريكية فى فيش وذلك بشان ترحيل اليهود الجماعى من فرنسا غير المحتلة .

وجاء هذا الاحتجاج عقب الاحتجاجات التى قدمتها اربعة منظمات يهودية ، وقد ابلغوا بهذا الاجراء فى رسالة بعثها لهم سمنر ويلز ، وكيل وزارة الخارجية .

وقد قال ويلز :

« لقد تلقيت رسالتكم المؤرخة ٢٧ اغسطس ١٩٤٢ التى تتضمن خطابا . . . يتعلق بالترحيل الجماعى للاجئين اليهود من فرنسا غير المحتلة .

« اننى متفق تماما مع التصريحات التى صدرت بشان هذا الموقف المفجع ، الذى يسبب صدمة جديدة للراى العام المتحضر . ومما يؤسف له اسفا شديدا ان تتخذ هذه الاجراءات فى دولة معروفة على الدوام بتمسكها بمبادئ المساواة والحرية والتسامح .

وقد قدمت السفارة الامركية بفيش . . . اقوى الاحتجاجات الممكنة إلى اعلى السلطات فى حكومة فيش . . . »

ويقول الخطاب الذى ارسلته المنظمات الاربع إلى وزير الخارجية : باسم المنظمات التى تمثلها . . . يطلب الموقعون على الرسالة باحترام من حكومتنا ان تنقل إلى حكومة فرنسا احتجاجا شديدا ضد الاجراء الذى اتخذته مؤخرا تلك الحكومة بتسليم الاف اللاجئين إلى عملاء الحكومة النازية لترحيلهم إلى بولندا وإلى غيرها من المناطق التى يحتلها النازى فى اوروبا الشرقية .

والتقارير التى تصل الينا .... توضح ان حكومة فرنسا تسمح ... للنازيين بترحيل اللاجئين اليهود الذين وضعوا فى عدد من المعسكرات فى جنوب فرنسا . وقد بدأ هذا العمل فى الثامن من اغسطس تقريبا عندما تم اعتقال ٣٦٠٠ شخص من الرجال والنساء والاطفال ووضعوا فى القطارات وتم ترحيلهم بدون ذكر اية كلمة عن وجهتهم .

وتتفق التقارير على ان هذا العدد هو اول دفعة من عشرة آلاف لاجئ يهودى وافقت الحكومة الفرنسية على ترحيلهم إلى الاراضى الشرقية ....

ان عمليات الترحيل الجماعى لليهود من المانيا ومن الاراضى الخاضعة للاحتلال الالمانى مستمرة منذ الاستيلاء على بولندا . ووفقا لسياسة النازى المعلنة عن ابادة يهود اوروبا ، تم قتل الآلاف من هؤلاء الرجال والنساء والاطفال الابرياء فى عمليات قتل وحشية . ويجرى تجميع الباقى فى الجيتو فى اوروبا الشرقية فى ظل ظروف تعسة لا يمكن وصفها نتيجة لها عشرات الالاف منهم للمجاعة والطاعون » .

ويجب ان نلاحظ فقط فى هذه النقطة ان المنظمات اليهودية الاربعة نفسها ليست على ثقة تامة من ادعائها وقوع الابادة ، وذلك لانها تسمح لنفسها « بمخرج » وذلك بالاشارة

إلى اولئك الذين يجرى « تجميعهم فى الجيتوات » . اما ردويلز ، الذى يقول « انه متفق تماما » مع الرسالة فانه يتجنب التصديق المباشر على ادعاء الابادة .

٢٤ نوفمبر ١٩٤٢ الصفحة العاشرة حداد فى الصحافة العبرية :

القدس ، ٢٣ نوفمبر (ى.ب) – ظهرت الصحف العبرية اليوم وهى تحيط انباء القتل الجماعى لليهود فى بولندا باطار اسود . وقد اكدت هذه الانباء التى تلقتها الوكالة اليهودية ، ان « لجنة تدمير » المانية خاصة تقوم بعمليات ابادة منظمة للسكان اليهود .... وعلى الحدود السابقة بين بولندا الالمانية وبولندا الروسية ، تم القاء الالاف فى النهر الكبير حيث لقوا حتفهم غرقا .

١٣ ديسمبر ١٩٤٢ الصفحة الحادية والعشرين تقرير حربى متأخر :

اعلن الحاخام جولد شتاين ان « التقارير الموثوق بها تشير إلى ان مليونين من اليهود قد تم قتلهم بالفعل باستخدام جميع الوسائل الهمجية الشيطانية ، وتشير إلى وجود خطط لابادة جميع اليهود الذين تصل اليهم ايدى النازيين. ان قتل ثلث السكان اليهود فى المناطق الخاضعة لسيطرة هتلر ، والتهديد بقتل جميع اليهود يعتبر مذبحة لا مثيل لها » .

١٨ ديسمبر ١٩٤٢ الصفحة الأولى ١١ من دول الحلفاء تدين حرب النازى ضد اليهود :

خاص لصحيفة نيويورك تايمز

واشنطن ١٧ ديسمبر – اصدرت الدول الاعضاء فى الامم المتحدة اليوم بيانا مشتركا يدين « سياسة ألمانيا الوحشية فى ابادة اليهود عمدا » .

.... وقد صدر هذا البيان فى نفس الوقت عن طريق وزارة الخارجية هنا ، وفى لندن

نص البيان

يجرى نقل اليهود من جميع الدول المحتلة فى ظل ظروف مخيفة ووحشية إلى اوروبا الشرقية . وفى بولندا التى اصبحت اكبر مجزر للنازى ، يجرى اخلاء الجيتوات التى اقامها الغزاة الالمان بصورة منظمة من اليهود باستثناء عدد قليل جدا من العمال المهرة اللازمين

للصناعات الحربية . ولا يسمع احد شيئا مرة ثانية عن اولئك الذين نقلوا بعيدا . ويتم تشغيل ذوى القدرة الجسمانية منهم بالسخرة إلى ان يموتوا موتا بطيئا فى معسكرات العمل . ويترك الضعفاء ليموتوا من البرد او الجوع او يتم عمدا فى عمليات ابادة جماعية . ويقدر عدد ضحايا هذه العمليات الوحشية بعدة مئات من الالاف من الرجال والنساء والاطفال الابرياء .

وكان هذا بداية لارتباط وزارة الخارجية الامريكية باسطورة الابادة . ونظرا لصدورها عن مصدر رسمى ظاهريا ، فقد كانت موضع تعليق خاص فى المقال الافتتاحى لصحيفة التايمز الصادرة فى نفس اليوم : —

١٨ ديسمبر ١٩٤٢ الصفحة السادسة والعشرون : ارهاب هتلر

بالرغم من كل ما كتب عن اضطهاد النازى لليهود فان الحقائق التى جاءت فى البيان المشترك الذى صدر امس فى واشنطن ولندن وموسكو باسم الامم المتحدة سيكون لها وقع الصدمة على الشعوب المتحضرة التى تلتزم بقدر يسير من اللياقة الانسانية . اذ ان هذا البيان ليس صرخة من الضحايا انفسهم . اعتقد البعض انه من الممكن ان يصموا آذانهم عن سماعها على اساس انها قد تكون التماسا خاصا يخضع للشك ، ولكنه بيان رسمى صادر عن حكوماتهم ويقوم على اساس حقائق ثابتة رسميا .... » .

ومن الواضح انه كان المعتقد ان الادعاءات الخاصة بالفظائع الصادرة فيما يبدو عن وزارة الخارجية الامريكية اجدر بالتصديق من الادعاءات الصادرة عن جماعات مثل المؤتمر اليهودى العالمى ، وهو بلا شك المقصود بعبارة « الضحايا انفسهم » . على اننا قد راينا ان وايز كان ايضا وراء هذا البيان المشترك » وكان بيان ١٧ ديسمبر بداية لتواطؤ حكومتى الولايات المتحدة وبريطانيا فى اسطورة الابادة . ولم تعتبر الحكومة الألمانية ان هذا الحدث ينطوى على اهمية كبيرة وقد قال فون شتوم من ادارة الصحافة بوزارة الخارجية وهو يتحدث إلى الصحافة المحايدة ان الهدف من بيان الحلفاء هو تشجيع مشتريات اعياد الميلاد من المتاجر اليهودية فى نيويورك ولندن .

٢٠ ديسمبر الصفحة الثالثة والعشرين الحلفاء يصفون الاعتداءات الوحشية على اليهود .

« وصف بيان اصدره مكتب الاعلام التابع للامم المتحدة امس ما يحدث لليهود الذين يعيشون فى اوروبا الخاضعة لسيطرة الالمان وعددهم خمسة مليون يهودى ... ويتناول الجانب الاساسى من التقرير الوسائل الحديثة فى الابادة الجماعية وهى القتل بالرصاص والغازات السامة ، ويذكر التقرير ان ابادة اليهود لا تجرى فى دولة واحدة ولكنها تشمل قارة باكملها . وفى اوائل ديسمبر عام ١٩٤٢ اعلنت وزارة الخارجية الامريكية فى واشنطن بعض الارقام التى تبين ان عدد الضحايا اليهود الذين تم ترحيلهم وهلكوا منذ عام ١٩٣٩ فى اوروبا التى تسيطر عليها دول المحور قد وصل الان إلى رقم رهيب هو مليون وان خمسة ملايين اخرين يتعرضون الان لخطر الابادة .... وتختم الوثيقة بما يلى :

ان الوسائل المستخدمة فى ترحيل من ينجون من القتل واطلاق الرصاص فى الشوارع تفوق الخيال . اذ يتم قتل الاطفال والطاعنين فى السن والعاجزين عن العمل على وجه الخصوص . وليست هناك بيانات حقيقية عن مصير المرحلين ولكن تتردد انباء – لا يمكن تنفيذها – عن اعداد اماكن للاعدام فى شلمنو وبلزيك حيث يجرى قتل الذين نجوا من اطلاق الرصاص ، بصورة جماعية وذلك بوساطة الصدمات الكهربائية والغازات السامة » .

وقد ظهرت الادعاءات الخاصة باستخدام الصدمات الكهربائية فى بلسك عدة مرات فى حملة الدعاية وسوف نذكرها مرة اخرى فى الفصل الخامس وهى تشكل نوعا من انواع الابادة التى سرعان ما تم نسيانها بعد انتهاء الحرب ومع ذلك نستطيع ان نرى فى هذه المرحلة انه كان هناك ميل واضح من جانب حملة الدعاية للتشبه بالادعاءات التى اصبحت سمة ثابتة فى الاسطورة ، وهى غرف الغاز ومقتل ستة ملايين خلال الحرب . وسوف نذكر المزيد فيما بعد عن منشأ رقم الستة ملايين .

٢٨ ديسمبر ١٩٤٢ الصفحة الحادية والعشرين طلب بإنقاذ اليهود

البانى ، ٢٧ ديسمبر (ا–ب) ...

(حث) الدكتور وايز رئيس المؤتمر اليهودى الامريكى والمجلس اليهودى العالمى على صياغة برنامج للحلفاء بهدف إلى وقف مذابح النازى للمدنيين .

٨ يناير ١٩٤٣ الصفحة الثامنة   ٩٣ شخصا يختارون الانتحار قبل التعرض للعار على يد النازى

اختارت ٩٣ فتاة وشابة يهودية وهن تلميذات ومدرسات مدرسة بيت يعقوب فى وارسو ببولندا الانتحار الجماعى وذلك للتخلص من اجبارهن على ممارسة الدعارة مع الجنود الالمان ، وذلك طبقا لما جاء فى رسالة من احدى المدرسات كشف عنها امس الحاخام ستث جونج من المركز اليهودى فى مدينة نيويورك .

٧ فبراير ١٩٤٣ ، ٦ ص ١٦   فى وادى الموت مقال فى مجلة بقلم شولم اسن

.... غرف الغاز ومراكز تسميم الدم التى يجرى اقامتها فى المناطق الريفية النائية ، حيث تقوم المجارف البخارية باعداد مقابر جماعية للضحايا .

١٤ فبراير ١٩٤٣ ص ٣٧   كشف طغيان النازى

يذكر مكتب الاعلام الحربى فى نشرة مكونة من اربع وعشرين صفحة نشرت اليوم تحت عنوان « قصة مدينة » ان وارسو تخضع لنمط نازى متعمد من القتل والمرض والتجويع والاستعباد الاقتصادى والابادة الجماعية للسكان .

واعلنت ان وارسو اصبحت حقل اختبار لمشروعات النازى الخاصة بالسيطرة على العالم .... « ولا نعرف بالضبط عدد البولنديين الذين قتلهم النازيون فى وارسو » . وتتركز عمليات الاعدام الآن فى بالميرى بالقرب من وارسو حيث يجرى الاعدام الجماعى بالرصاص اما فى الفجر او اثناء الليل .

١٤ فبراير ١٩٤٣ ص ٣٧   التعجيل بعمليات الاعدام

ذكر الممثلون الاوروبيون فى المؤتمر اليهودى العالمى فى رسالة كشف عنها الحاخام ستيفن س . وايز رئيس المؤتمر اليهودى العالمى . ان عمليات اعدام اليهود جماعيا تجرى بسرعة كبيرة فى بولندا .

وفى احدى الاماكن من بولندا يجرى اعدام ستة آلاف يهودى يوميا وطبقا للتقرير المؤرخ فى ١٩ يناير فان اليهود الباقين آلان فى بولندا محتجزون فى ٥٥ جيتو بعضها فى المدن

الكبرى وبعضها فى المدن الصغرى التى تم تحويلها إلى جتيوات ، تلك هى قصة الدعاية التى دار حولها النزاع بين وزارة الخارجية والخزانة ، وكما اشرنا فيما يتعلق بالملاحظات التى ذكرت حول افتتاحية التايمز يوم ١٨ ديسمبر. فان هذه القصة لو كانت قد صدرت عن وزارة الخارجية لكانت قد حصلت على ثقة اكبر على ما يبدو. ولسوء حظ مختلقى الدعاية فى ذلك الوقت انه كان عليهم ان يكتفوا بالحاخام وايز بوصفه مصدارا بارزا.

١٦ فبراير ١٩٤٣ ص ٧ النازيون ينقلون ٣٠ الف يهودى

جنيف – سويسرا – ١٥ فبراير

صرحت مصادر من داخل بولندا بان جميع المسنين والضعفاء (من تشيستاشوا ببولندا ينقلون إلى رافا – روسكا غاليسيا لكى يتم اعدامهم على ايدى النازيين.

٢٣ فبراير ١٩٤٣ ص ٢٣ الاحتجاج على الفظائع

عقد ثلاثة الاف وخمسمائة طفل اجتماعا مهيبا للتعبير عن الحزن والاحتجاج ضد الفظائع النازية وذلك فى معبد مكة الكائن فى ١٣٣ بالشارع الغربى الخامس والخمسين . . . . وروى ستة من الاطفال اللاجئين التجارب التى عانوها على ايدى النازيين.

٢ مارس ١٩٤٣ ص ١ ، ٤ اجتماع ضخم ينادى بانقاذ اليهود المحكوم عليهم

طالبت مظاهرة ضخمة قامت فى حدائق ماديسون سكوير مساء امس الامم المتحدة بان تقوم بعمل سريع لانقاذ اكبر عدد ممكن من الملايين الخمسة من اليهود المهددين بالابادة..

..... (قال الحاخام هرتزل) ان مما يثير الذعر ان اولئك الذين ينادون بالحريات الأربعة يفعلون حتى الان اى شىء من اجل ضمان حرية الحياة لاخوانهم اليهود البالغ عددهم ستة ملايين شخص وذلك بإنقاذ اولئك الذين قد يكون فى وسعهم النجاة من تعذيب النازيين ووحشيتهم ».

(وقال وندل ويلكى) لقد قتل مليونان من البشر لمجرد انهم يهود وذلك باستخدام جميع الوسائل الشيطانية التى ابتكرها هتلر. ويواجه ملايين اليهود الاخرين الموت سريعا . . . ».

(وقال حاييم وايزمان) لقد تم ابادة مليونى يهودى بالفعل ... وعلى الدول الديمقراطية واجب واضح يجب ان تؤديه نحوهم .....

فلنتفاوض مع المانيا عن طريق دول محايدة بشان امكان الافراج عن اليهود فى الاراضى المحتلة .... ولتفتح ابواب فلسطين لجميع من يستطيعون الوصول إلى شواطئ الوطن اليهودى .

٧ مارس ١٩٤٣ ، ص ٣٠ نقل يهودى إلى سيليزا

ستوكهولم – السويد ، ٦ مارس (رويتر) – علم ان حوالى ٦٠٠ يهودى نرويجى قد وصلوا إلى سيليزا العليا فى بولندا . ونقل معظم الرجال منهم ليعملوا فى مناجم القريبة من كلتوفيتس » .

١٠ مارس ١٩٤٣ ٤٠ الف يحضرون حفلا تذكاريا لليهود

استمع اربعون الف شخص وشاهدوا . . . مساء امس حفلتين بعنوان « لن نموت ابدا » ، وهو احتفال جماهيرى مؤثر لتخليد ذكرى مليون يهودى قتلوا فى اوروبا ......

وقال المعلق « لن يتبق اى يهودى فى اوروبا عندما يحل السلام . اذ ان الملايين الاربعة الذين تركوا للقتل ، يجرى قتلهم الان ، طبقا للخطة » .

اول ابريل ١٩٤٣ ص ٢ اليهود الفرنسيون يختفون

رسالة لاسلكية لصحيفة نيويورك تايمز

لندن – ٣١ مارس – اعلن الفرع البريطانى من المؤتمر اليهودى العالمى اليوم فى لندن ان هناك نظاما « لقوافل الموت » يتم بمقتضاه جمع اليهود الفرنسيين .... ونقلهم إلى مناطق متعددة فى اوروبا الشرقية ، ولا يعرف عنهم شىء بعد ذلك ، وقال الفرع ان القوة الكاملة ، للارهاب النازى الموجه ضد اليهود تتركز فى فرنسا .

وقد استند المجلس فى تقريره على معلومات مباشرة حصل عليها من احد كبار اليهود الفرنسيين الذى تمكن من الهرب إلى دولة محايدة ، واعلن ان اخر قافلة من هذا النوع غادرت فرنسا يوم ٢٠ فبراير . وكانت تضم ٣٠٠٠ يهودى من جميع الطبقات والاعمار ،

وكل ما عرف عن وجهتها انها مكان ما فى الشرق .

واضاف المؤتمر يقول ان رجال الجستابو اغاروا فى منتصف فبراير على مقر الاتحاد العام ليهود فرنسا فى مدينة ليون واعتقلوا جميع العاملين به ونقلوهم إلى معسكر اعتقال درانسى ونقلوهم بعد ذلك ايضا إلى « مركز للابادة » فى الجانب الاخر من اوروبا » .

ويخبرنا رايتلنجر ان اقل من عشر اليهود الذين تم ترحيلهم (من فرنسا) يحملون الجنسية الفرنسية » . وطبقا للارقام التى ذكرها ، فان ذلك يعنى خمسة الاف من بين يهود فرنسا البالغ عددهم ٢٤٠,٠٠٠ ، مما يوحى بان هؤلاء الالاف الخمسة ربما تطوعوا للعمل او كانوا بالفعل من « السياسيين » او من رجال المقاومة .

١٢ ابريل ١٩٤٣ ص ٥ النازيون يمحون الجيتو فى قريتين بولنديتين

لندن ١١ ابريل (أ ب) — ذكرت وكالة البرق البولندية اليوم ان الالمان قد محوا الجيتو الموجود فى كراكاو وذلك خلال مذبحة استمرت ثلاثة ايام بدات فى الثالث عشر من مارس ، كما قضوا على الجيتو الموجود فى لودز .

ولم يعرف شيء عن مصير اليهود فى المدينة الاخيرة ، ولكن الوكالة ذكرت انه من المعتقد انهم قد قتلوا ايضا .

٢٠ ابريل ١٩٤٣ ص ١١ مقتل مليونى يهودى

لندن ، ١٩ ابريل (رويتر) — قتل مليونا يهودى منذ ان بدأ النازيون زحفهم.عبر اوروبا فى عام ١٩٣٩.وهناك خمسة ملايين آخرون يتعرضون لخطر الابادة وقد ظهرت هذه الارقام فى التقرير السادس عن الاوضاع السائدة فى الاراضى المحتلة الذى اصدرته لجنة اعلام الحلفاء .

وذكر التقرير ان القتل بالغازات السامة والرصاص من بين الاساليب المستخدمة فى ابادة اليهود .

٢٠ ابريل ١٩٤٣ ص ١١ الحث على انقاذ اليهود

حثت الوكالة اليهودية لفلسطين ، فى مذكرة قدمتها إلى مؤتمر اللاجئين ببرمودا امس ، على اتخاذ اجراءات انقاذ عاجلة لصالح اربعة ملايين يهودى يعتقد انهم مازالوا على قيد

الحياة فى البلاد التى يحتلها النازى .

ويعترف الانتداب على فلسطين بهذه الوكالة التى يرأسها حاييم وايزمان ، وبوصفها هيئة لتقديم المشورة والتعاون مع حكومة فلسطين بشان الامور التى تتعلق بانشاء الوطن القومى اليهودى .

وتقول المذكرة « انه اذا استمرت سياسة العدو دون ان يكبحها اى شىء فلن يكون من المستحيل عندما نكسب الحرب ، ان يكون معظم السكان اليهود فى اوروبا قد ابيدوا » .

٢٥ ابريل ١٩٤٣ ، ص ١٩   امل ضئيل لضحايا المحور

برقية خاصة لجريدة نيويورك تايمز

هاميلتون ، برمودا ٢٤ ابريل – من المستحيل القيام بعملية واسعة النطاق لنقل اللاجئين فى ظل ظروف الحرب ، وليس باستطاعة كل من الولايات المتحدة او بريطانيا العظمى منفردتين او مجتمعتين ، البدء فى حل مشكلة اللاجئين . وقد ظهر هذان الانطباعان الواضحان بعد مناقشة لمشكلة اللاجئين استمرت اسبوعا تقريبا اجراها الوافدان الامريكى والبريطانى هنا » .

وحيث ان جميع اليهود الذين يعيشون خارج القارة تقريبا ، وبخاصة اولئك الموجودين فى الولايات المتحدة ، كانوا يؤمنون بصحة مزاعم الابادة ، فقد فرضوا ضغوطا سياسية اسفرت عن انعقاد مؤتمر برمودا . وكان المعتقد بحق ان النازيين يريدون هجرة اليهود من اوروبا (فى ظل ظروف مناسبة) وقد ادى ذلك إلى وضع الحكومتين البريطانية والامريكية فى موقف حرج بسبب الاساس الذى قامت عليه دعايتهم فى الحرب ، الامر الذى اضطروا معه إلى استخدام المراوغة دائما . وقد وصفنا طبيعة الصراع الذى دار بين وزارتى الخارجية والخزانة بشان هذه المسالة . ولم يكن البريطانيون ينوون فى تلك المرحلة فتح ابواب فلسطين ، كما يكن لدى الامريكيين والبريطانيين فى ذلك الوقت اية نية لان يقدما ، فى وسط الحرب ، الموارد اللازمة للقيام بعمليات واسعة النطاق لاسباب صحيحة الا بالقدر الذى تؤخذ به دعايتهم مأخذ الجد . فليس هناك رجال دولة عقلاء فى الوقت الحديث يصدقون الدعاية التى يطلقونها هم بانفسهم وهذا هو المازق الذى احس به ج . بركنريدج

لونج وغيره من المسئولين فى وزارة الخارجية الامريكية انهم يواجهونه .

وهناك نقطة اخرى لابد من ذكرها قبل المضى فى استعراضنا لقضية الدعاية ، هى ان رقم الستة ملايين كان مصدره الاول على ما يبدو حملات الدعاية فى عامى ١٩٤٢ - ١٩٤٣ ومن الممكن ان يقودنا فحص المشكلة المتعلقة بمنشأ رقم الستة ملايين ، إلى ان نستنتج بسهولة ان منشأة كان فى المحكمة العسكرية الدولية حيث ذكر قرار الاتهام رقما (خدمة الموتمر اليهودى العالمى) هو ٥٧٢١٨٠٠ يهودى مفقودين كما وقع ويلهلم هويتل من مصلحة الامن اقرارا كتابيا (ب س-٢٧٨٣) يؤكد انه حصل على رقم الستة ملايين من ايخمان وطبقا لاقوال هويتل فان ايخمان قد زار مكتبه فى بودابست وهو فى حالة اكتئاب وذلك لانه كان مقتنعا بانهم خسروا الحرب وان الحلفاء سوف ينزلون به العقاب بوصفه مجرم حرب كبير . ثم اعلن فى غير وجود شهود آخرين ، ان اربعة ملايين يهودى قد قتلوا فى معسكرات الابادة وان مليونين آخرين قد ماتوا بطرق اخرى عديدة اغلبها عن طريق عمليات الاعدام التى نفذتها جماعات الاعدام فى روسيا .

وها نحن نقدم نظرية مختلفة بشان منشأ رقم الستة ملايين . اذ يبدو انه ظهر لاول مرة فى التصريح الذى ادلى به الحاخام جولد شتاين فى ١٣ ديسمبر ١٩٤٢ الذى تلته قصة ٢٠ ديسمبر التى تحمل نفس المعنى فيما عدا انها ذكرت ان هناك سبعة ملايين يتعرضون لخطر الابادة وليس ستة ملايين كما اظهر تصريح جولد شتاين . على انه يمكن تقديم الدليل بحق على انه يجب الا يستنتج المرء منشأ رقم الستة ملايين استنادا إلى هذه القصص وحدها .

على ان ظهور الادعاء الخاص « بمقتل مليونين- والاربعة (او الخمسة) ملايين المعرضين للقتل » ، فى الشئون العامة والذى نشر فى الصحف فى الثانى والعاشر من مارس عام ١٩٤٣ يجب ان يؤخذ بصورة اكثر جدية . ويمكن استخلاص مزيد من المعلومات بشان المسالة الاخيرة من اعلان ظهر ايضا يوم العاشر من مارس فى الصفحة العاشرة يذكر ان هذا العرض قد نظمته « لجنة انشاء جيش يهودى من اليهود عديمى الجنسية ويهود فلسطين » برئاسة السناتور جونسون من ولاية كولورادو . ويقدم هذا الاعلان نفس مزاعم الابادة (قتل مليونين واربعة ملايين معرضين للقتل) كما يذكر مؤيدى المنظمة ومن بينهم عدد كبير من اعضاء الكونجرس والشخصيات البارزة . وكانت نفس المنظمة قد نشرت اعلانا على صفحة كاملة يوم ١٦ فبراير (ص ١١) يذكر قتل مليونين وان اربعة ملايين آخرين سيلقون نفس المصير (ويزعم ايضا ان العرب الذين اعترضوا على هجرة اليهود

الجماعية إلى فلسطين هم عملاء النازى) وتوحى القصتان اللتان نشرتا فى ٢٠ ابريل باستخدام ذلك النوع من مزاعم الابادة الذى يذكر قتل مليونين – وتعرض اربعة (او خمسة) ملايين آخرين للقتل وذلك على نطاق واسع فى اوائل عام ١٩٤٣ وهكذا نجد رقم الستة او (السبعة) ملايين يستخدم على نطاق واسع قبل نهاية الحرب بوقت طويل وذلك بواسطة المؤسسة السياسية التى صاغت الاتهامات فى نورمبرج ولذلك اعتقد اننا يمكن ان نعتبر دعايات اواخر ٤٢ وأوائل ٤٣ هى مصدر رقم الستة ملايين . وينعكس انفصال هذا الرقم عن اى حقائق ثانية اياكانت فى الدفاع الخار الذى يسوقه رايتلينجر عن اعتقاده بان بمقدوره الادعاء فقط بان ما بين ٤,٢ إلى ٤,٦ مليون يهودى قد قتلوا . وهذا يشمل تقريبا جميع يهود اوروبا الشرقية الذين هلكوا فى اوروبا خلال الحرب العالمية الثانية حيث مات ثلثهم نتيجة العمل الشاق والمرض والجوع والاهمال . على ان الارقام التى ذكرها رايتلنجر منفصلة فى الغالب ايضا عن اى حقائق ثابتة ، على اننا سوف نناقش هذه المسالة فى فصل تال .

وليس من الغريب مطلقا ان يظهر شخص بعد الحرب ليعلن ، فى نورمبرج ، ان الرقم المذكور فى الدعاية كان صحيحا . وقد كان هوتيل هو الشخص المناسب لذلك تماما ، لانه كان واحدا من اولئك العملاء العاديين الذين يبتلى بهم جهاز المخابرات . وقد ولد هوتيل فى عام ١٩١٥ والتحق بالخدمة فى مصلحة الامن فى عام ١٩٣٨ ، وسرعان ما اشتهر بانه يخلط العمل الرسمى مع الصفقات التجارية الشخصية . وادى اشتراكه مع كونتسة بولندية صديقة له فى صفقة اراضى بولندية فى عام ١٩٤٢ . إلى قيام الجستابو بالتحقيق معه فى الانشطة التى يقوم بها وقد وصفه تقرير التحقيق بانه « غير شريف وماكر ومتملق . . . ومخادع تماما ، واختتم التقرير بان لا يصلح حتى ان يكون عضوا فى الجستابو ، ناهيك عن عضويته فى وكالة حساسة مثل مصلحة الامن . وبناء على ذلك تم تجريده من رتبته واصبح جنديا عاديا ، ولكن يبدو ان تعيين كالتنبرونر زميله النسوى الذى كان على معرفة به فى فيينا ليراس المكتب الرئيسى لامن الرايخ فى اوائل عام ١٩٤٣ قد غير مجرى حياته ، وجعله يترقى إلى رتبة ليفتنانت كولونيل فى اواخر الحرب ، وقام بدور مسئول فى ميدان المخابرات الاجنبية . فقد عمل بعد الحرب ، وحتى عام ١٩٤٩ لحساب سلاح المخابرات المضادة التابع للجيش الامريكى فى جمع العاملين السابقين فى قوات الامن لكى يقدموا المعلومات . ويقال انه تمكن من جعل هذا العمل مربحا إلى حد ما وبعد عام ١٩٤٩

انغمس فى ميدان سياسة الحرب الباردة فى فيينا محتفظا بصلاته مع النازيين الجدد ، والعملاء السوفييت ومع الجميع تقريبا . وقد كانت له صلة وثيقة على وجه الخصوص مع عميل سوفييتى هو كورت بونجر وهو شخص متجنس بالجنسية الامريكية ، وكان قد التقى به عندما كان بونجر يعمل مترجما فى المحكمة العسكرية الدولية (فضلا عن ان شخصا يدعى كورت بونجر ، لعله نفس الشخص ، كان محامى الادعاء فى القضية رقم ٤) . ونتيجة لذلك اصبح هويتل مشتبها فيه فى قضية الجاسوسية التى اتهم فيها فيرير ويونجر فى عام ١٩٥٣ ، واعتقلته السلطات الامريكية فى شهر مارس فى فيينا ولكنها اطلقت سراحه بعد بضعة اسابيع . ونشر فى منتصف الخمسينات كتابين عن تجاربه اثناء الحرب وفى عام ١٩٦١ وقع اقرار اتهام لمحاكمته ابجمان (يشبه إلى حد كبير الاقرارات التى قدمها فى المحكمة العسكرية الدولية) .

وقد كتب المؤلفون المؤيدون لنا يقولون ان هويتل كان عميلا للحلفاء اثناء الحرب . وهذا ليس صحيحا والحقيقة الثابتة الوحيدة فى هذا الادعاء هى ان هويتل كان على صلة مع الن دالاس ، من رجال مكتب الخدمات الاستراتيجية فى سويسرا ، وذلك قرب نهاية الحرب . وكان ذلك جزءاً من واجباته ، اذ كان المكتب الرئيسى لامن الرايخ يحاول التوصل إلى انهاء الاعمال العسكرية بصورة مرضية ؛ وكان هويتل واحدا من الاشخاص الذين اشتركوا فى الاتصالات السرية مع الحلفاء الغربيين . ولا شك ان عددا كبيرا من ضباط المخابرات بداوا يتصرفون ، فى الاسابيع الاخيرة من الحرب ، بدافع من مصالحهم الشخصية ، ولا شك ايضا ان هويتل كان سيسعد بتجنيده عميلا للحلفاء فى تلك المرحلة من الحرب ، وربما تطوع ايضا بتقديم بعض الخدمات إلى دالاس فى ضوء تلك التطورات . على ان هذه الاتصالات ليست دليلا على ان هويتل كان عميلا للحلفاء اكثر مما هى دليل على ان دالاس كان عميلا للمحور (بل انه يقال ان دالاس نمق محادثة بعدد من الملاحظات المعادية للسامية عندما كان يحاول كسب ثقة بعض مصادر المعلومات الالمانية) . ولو كان هويتل عميلا للحلفاء ، لكان قد تباهى بذلك فى احد الكتابين اللذين اصدرهما : (الجبهة السرية ، وسلاح هتلر الورقى) ، ولكنه لا يدعى ذلك . فضلا عن ان ايان كولفين الذى يعرف عن هذه الامور مثلما يعرف اى شخص ، هو الذى كتب مقدمة كتاب « الجبهة السرية » ولم يبد اية ملاحظات فى هذا الصدد .

٢٧ ابريل ١٩٤٣ الصفحة العاشرة وفاة المهجرين النرويجيين

ستوكهولم ، السويد ؛ ٢٦ ابريل (و . ن . أ) ذكرت التقارير الواردة من اوسلو اليوم ان معظم النساء والاطفال اليهود النرويجيين الذين تم ترحيلهم من البلاد .... قد ماتوا جوعا .

وكانت سفن نقل المهجرين التى غادرت اوسلو فى شهرى نوفمبر وفبراير تنقلهم إلى وجهتهم الاخيرة فى اقليم التعدين فى سيليزيا بالقرب من كاتوميس .

٣ مايو ١٩٤٣ ص ١٢ انتقاد عنيف لبريطانيا بسبب اليهود

استمع جمهور يبلغ عدده ١٥٠٠ شخص . . إلى بيير فان باس . . . وهو يؤكد ان فلسطين هى الحل الوحيد لمشكلة اللاجئين .

.... وقال فان باسن ان بريطانيا العظمى قد جعلت من مؤتمر اللاجئين الذى عقد فى برمودا « مظهرا كاذبا اجوف » عندما استبعدت مناقشة فلسطين ضمن الحلول الممكنة .

« ان بريطانيا تشعر ان قيام اليهود باخفاء الصبغة العصرية على فلسطين يعرض دعائم امبراطوريتها للخطر .... وهذا هو السبب الحقيقى فى ان الكثير من اليهود يواجهون الموت لان بريطانيا تريد ابقاء أبواب فلسطين مغلقة فى وجوههم » .

٢٠ مايو ١٩٤٣ ص ١٢ ايدن يربط النصر بآمال اللاجئين

برقية خاصة لجريدة نيويورك تايمز

لندن ، ١٩ مايو .... اصر ... ايدن على انه ليس من العدل اتهام الحكومة البريطانية بتجاهل الموقف تماما .

وكشف عن ان مجلس وزراء الحرب قد اقر تقرير (مؤتمر برمودا) .

لندن ١٩ مايو (رويتر) — اعرب المؤتمر اليهودى العالمى . . . عن خيبة امله الشديدة بسبب النتائج التى اسفر عنها مؤتمر برمودا .

واشارت المذكرة . . . ايضا إلى ان الطريق إلى فلسطين اصبح الآن مفتوحا ايضا .

٢٢ مايو ١٩٤٣ ص ٤ قتل الف نازى فى اخر موقع لليهود

بالراديو لصحيفة نيويورك تايمز

لندن ٢١ مايو – قتل حوالى الف المانى أو جرحوا فى المعركة التى دارت فى جيتو وارسو خلال الاسبوعين الماضيين وذلك عندما كان النازيون يقومون بتصفية الجيتو نهائيا .

.... وقد تم التقاط مزيد من الانباء حول الحملة المعادية لليهود فى بولندا ، وذلك من محطة الاذاعة البولندية السرية اليوم . وقد ذكرت المحطة ان النازيين بداوا تصفية الجيتو فى كراكاو وستانيسلاسفو . . . باطلاق الرصاص على اليهود اينما يجدونهم او بقتلهم فى غرف الغاز .

٧ يونيه ١٩٤٣ ص ١٥ عقد « اجتماع للامل »

اشترك ستة الاف طفل امس فى « اجتماع للامل »

« ان الاطفال اليهود واباءهم يتعرضون للتعذيب والقتل على يد عدو همجى » .

٩ يونيه ١٩٤٣ الصفحة الثالثة

لندن ٨ يونيه (رويتر) – ذكر اليوم فى لندن ان ما لا يقل عن ٣٥٠٠ يهودى قد تم ترحيلهم مؤخرا من سالونيك باليونان إلى بولندا . وذكر ايضا انه تم تكديس الرجال والنساء والاطفال بدون تمييز فى عربات نقل الماشية التى اغلقت بعد ذلك تماما .

١٣ يونيه ١٩٤٣ ص ٨ النازيون يقتلون اللاجئين بالغاز

بالتليفون لصحيفة نيويورك تايمز

ستوكهولم ، السويد ، ١٢ يونيه – ذكرت صحيفة جويش كرونيكل التى تصدر باللغة السويدية فى ستوكهولم ان ما يزيد على عشرة الاف يهودى قد قتلوا منذ اكتوبر الماضى فى منطقة برست – ليتوفسك .

وتقول الصحيفة ان الالاف قد قتلوا بالغاز فى حظائر محكمة الاغلاق كما قتل اخرون رميا بالرصاص فى مجموعات تضم الواحدة ستين شخصا وذلك فى الغابات المجاورة .

وعندما تحدث الدكتور روبرت لى رئيس جبهة العمل الالمانية مؤخرا فى كوينجسبرج

وبياليستوك وجرودنو ، قال : « ان اليهود هم الجنس المختار ، حسنا – ولكنه مختار للابادة فقط » .

١٥ يونيه ١٩٤٣ ص ٨ النازيون يعوقون بترحيل ٥٢ الف بلجيكي

لندن ١٤ يونيه (أ ب)– اعلنت الحكومة البلجيكية فى المنفى اليوم ان الالمان قد نقلوا جميع اليهود البلجيكيين تقريبا وعددهم ٥٢ الف شخص إلى معكسرات اعتقال فى المانيا وبولندا وروسيا المحتلة .

وينقل رايتلنجر صورة للموقف فى بلجيكا شبيهة بصورة الموقف فى فرنسا . فاليهود الذين تم ترحيلهم من بلجيكا ، « لم يكن من بينهم يهودى بلجيكى واحد فى الواقع » . ومن الجدير بالذكر ان هذا انطبق اساسا على ايطاليا والدانمرك .

٢١ يونيه ١٩٤٣ ص ٢ انتقاد عنيف لمؤتمر برمودا

اصدرت امس جماعة انباء صهيون بالاجماع قرارا بادانة « عجز » مؤتمرا برمودا ، وقرارا اخر يناشد الرئيس روزفلت ورئيس الوزراء ونستون تشرشل فتح ابواب فلسطين امام اللاجئين ، وذلك فى الاجتماع الذى عقدته فى فندق بنسلفانيا .

٢١ يونيه ١٩٤٣ ص ٣ الرومانيون يتحملون مسئولية قتل خمسة آلاف

برن سويسرا ، ٢٠ يونيه (ى ب) – قالت الصحف السويسرية الليلة ان الخمسة آلاف جثة التى ذكر رجال الدعاية فى دول المحور انها مدفونة بالقرب من اوديا ، هى جثث اليهود الرومانيين الذين قتلهم البوليس السرى الرومانى .

وكانت الصحف الرومانية قد اعلنت امر اكتشاف مقبرة جماعية يوم ٢٢ ابريل ، وادعت ان الجثث الرومانيين قتلهم الروس بعد ان احتلوا بيسارابيا وبوكوفينا فى عام ١٩٤٠ .

٢٣ يونيه ١٩٤٣ ص ٨ النازيون يطردون يهود هولندا

لندن ٢٢ يونيه ، (ى ب) ذكرت وكالة انباء انيتا اليوم ان الالمان قاموا بترحيل جميع اليهود الموجودين فى امستردام إلى بولندا ، وبذلك اكملوا عملية نقل جميع السكان اليهود فى هولندا » .

هذه القصة ليست صحيحة ، ومع ذلك فقد نقل معظم اليهود الهولنديين – وسوف نبين فى فصل تال السبب فى الاختلاف الكبير بين السياسة المتبعة فى هولندا (ولوكسمبرج) من جهة ، وفى بلجيكا وفرنسا وغيرها من الدول من جهة اخرى . وسوف يتضح لنا ان الوجهة النهائية ، وليست المباشرة ، لم تكن بولندا على ارجح الاحتمالات ، وانه تم ترحيل مائة الف يهودى هولندى من بين عددهم الاجمالى البالغ ١٤٠ الف شخص .

٢٨ يونيه ١٩٤٣ ص ٨

لندن ٢٧ يونيه (رويتر) – نقل برنامج اذاعى المانى الليلة عن نيكولاس فون كالاى رئيس وزراء المجر قوله ان ممتلكات اليهود الباقية فى المجر سوف تنتقل ملكيتها إلى ايدى « الآريين » فى نهاية العام الحالى . ويقال ان هذه الممتلكات سوف يتم توزيعها على اولئك الذين ابلو بلاء حسنا فى الحرب والعائلات كثيرة الاطفال .

٢٩ يونيه ١٩٤٣ ص ٦ النازيون يعدمون ١٥٠ يهوديا

لندن ٢٨ يونيه (وكالة انباء هولندا) – ذكر الليلة ان الالمان قد قاموا بعمليات اعدام جماعية ليهود هولندا المرحلين إلى بولندا .

.... وتم حصد ١٥٠ يهوديا فى قرية تيرك نيران المدافع الرشاشة وفى سوكى .... اطلقت نيران المدافع الرشاشة على ٣٤٠ يهوديا هولنديا ، وقتل مائة امراة وطفل بالقرب من بوتوك . .

وكان هؤلاء الضحايا من بين آلاف اليهود الذين نقلوا من هولندا إلى معسكر اعتقال تريبلينكا الشهيرة .

ان نقل اناس من معسكر للابادة وقتلهم بعد ذلك يبدو امرا غريبا ومن الواضح ان الشخص الذى الف هذه القصة لم يكن مطلعا على طبيعة الدور الذى يفترض ان تقوم به تريبلينكا فحسب ولكنه كان يعلم ايضا ضخامة الاعداد المفترض ان تصل اليها .

٢١ يوليه ١٩٤٣ ص ١٣ طلب مساعدة سريعة ليهود اوروبا

طالب المتحدثون فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الطارئ لانقاذ يهود اوروبا المنعقد فى فندق كومودور ، بالقيام بعمل عاجل لانقاذ اليهود فى البلاد التى يسيطر عليها النازى .

... واشار المندوب روجرز إلى ان حوالى ثلاثة ملايين من يهود اوروبا البالغ عددهم سبعة ملايين قد هلكوا فعلا ، واصر على ان « هذه مشكلة لا يمكن حلها عن طريق الخطابة والاحتجاجات الروتينية » .

وقال روجرز « من المؤكد » ان هناك مساحات خالية كثيرة ومناطق غير ماهولة تكفى لاسكان اربعة ملايين من البشر المعذبين وفلسطين هى المكان المنطقى . فهى اقرب والوصول اليها يتم برا وليس عبر الماء . . . .

وعبر الكونت سفورزا عن امله فى ان يتمكن اليهود والعرب من التعاون معا فى المستقبل فى بناء اتحاد فيدرالى ضخم فى الشرق الادنى تكون فلسطين عضوا فيه .

٢ اغسطس ١٩٤٣ ص ١٠ ١٦ مليون يصبحون لاجئين بسبب المحور

واشنطن – اول اغسطس اوضحت دراسة حول مشكلة اللاجئين الاوروبيين نشرها اليوم اتحاد السياسة الخارجية ان معالجة الموقف الذى سينشأ بعد نهاية الحرب ستتطلب عملا جماعيا من جانب الدول العظمى او من جانب منظمة دولية .

وجاء فى التقرير انه على اساس التقارير الواردة من حكومات المنفى وغيرها من المصادر أن مليونا من اليهود قد تم ترحيلهم فعلا او انهم هلكوا نتيجة لصور متعددة من سوء المعاملة او الابادة المتعمدة ، وذلك من بين اليهود الذين كانوا يعيشون فى عام ١٩٣٩ فى الدول الاوربية التى يحتلها المحور الآن » .

ولا يبدو ان اتحاد السياسة الخارجية كان واثقا من تاكيده لوقوع عمليات الابادة إذ أنه يعطى انطباعا بان معظم اليهود قد تم « ترحيلهم » على الرغم من ان مروجى الدعاية كانوا يتحدثون فى ذلك الوقت عن موت ثلاثة مليون يهودى .

٨ اغسطس ١٩٤٣ ص ١١ اتهام النازيين بقتل ٢ مليون

لندن ٧ اغسطس – جاء اليوم فى نشرة « معارك العمال البولنديين » ، التى تصدر هنا ، قصة عن منزل يحتفظ به الالمان تريبلينكا ببولندا لابادة اليهود . ويقال ان الالمان قد قتلوا فى هذا المكان وحده مليونى شخص .

« وعندما تمتلئ الزنزانات ، تغلق ويحكم اغلاقها ويطلق البخار فتحات ويبدأ الضحايا فى الاختناق . وفى البداية يمكن سماع الصرخات ولكنها تخفت تدريجيا وبعد

خمس عشرة دقيقة يصمت الجميع فقد انتهت عملية الاعدام .

وغالبا ما يكون حفار القبور اضعف من ان يقوى على حمل جثتين معا تنفيذا للاوامر الصادرة اليه ، ولهذا فانه يربط الاذرع او السيقان معا ويجرى نحو ساحة الدفن وهو يجر الجثتين وراءه » .

ومن الطبيعى ان تذكر قصص ما بعد الحرب ان هذه الجثث كانت تحرق ولا تدفن ، نظرا لان هذه الملايين من جثث اليهود المدفونة لم توجد قط . .

٢٧ اغسطس ١٩٤٣ ص٧ تقرير يكشف مصير ٨,٣٠٠,٠٠٠ يهودى

نشر امس المؤتمر اليهودى الامريكى والمؤتمر اليهودى العالمى دراسة تقع فى ثلاثمائة صفحة .

يذكر التقرير ان ما يزيد على ثلاثة ملايين يهودى قد أبيدوا نتيجة للتجويع المتعمد واعمال السخرة والترحيل والمذابح وعمليات القتل المنظمة فى مراكز الابادة التى يديرها الالمان فى اوروبا الشرقية وذلك منذ نشوب الحرب فى عام ١٩٣٩ ، على حين نجا ١,٨٠٠,٠٠٠ يهودى عن طريق الهجرة إلى المناطق الداخلية من الاتحاد السوفيتى ، كما نجح ١٨٠,٠٠٠ فى الهجرة إلى دول اخرى .

وتعلن الدراسة ان ١,٧٠٠,٠٠٠ يهودى قد وقعوا ضحية للمذابح المنظمة ..... وان ٧٥٠,٠٠٠ يهودى هلكوا نتيجة للتجويع وعواقبه وان ٣٥٠,٠٠٠ ماتوا اثناء ترحيلهم .

وفيما يلى جدول يبين كيفية تنفيذ عملية الابادة

اسم البلد	عدد الأشخاص
المانيا	١١٠,٠٠٠
بولندا	١,٦٠٠,٠٠٠
الاتحاد السوفييتى	٦٥٠,٠٠٠
لتيوانيا	١٠٥,٠٠٠
لاتفيا	٦٥,٠٠٠
النمسا	١٩,٥٠٠
رومانيا	٢٢٧,٠٠٠
يوغسلافيا	٣٥,٠٠٠

اسم البلد	عدد الأشخاص
اليونان	١٨,٥٠٠
بلجيكا	٣٠,٠٠٠
هولندا	٤٥,٠٠٠
فرنسا	٥٦,٠٠٠
تشيكوسلوفاكيا	٦٤,٥٠٠
دانزيج	٢٥٠
استونيا	٣,٠٠٠
النرويج	٨٠٠
الاجمالى	٣,٠٣٠,٠٥٠

٢٧ اغسطس ١٩٤٣ ص ٧ هيئة رسمية للحلفاء تكشف عن سياسة قتل نازية متعمدة .

لندن ٢٦ اغسطس (ى ب)–اتهمت اليوم لجنة اعلام دول الحلفاء المانيا وايطاليا والدول التى تدور فى فلكيها . . . بوضع برنامج للسرقة والقتل والتعذيب والمرض والوحشية الجماعية لا نظير له فى تاريخ البشرية .

فى بولندا – يؤدى الاجهاد والتعذيب والمرض وعمليات الاعدام إلى وفاة اى شخص بعد القائه فى معسكر للاعتقال بتسعة شهور فقط . والظروف قاسية بصفة خاصة فى معسكر اوشفيتز حيث يعتقد ان ٣٨,٠٠٠ شخص قد ماتوا .

وقد قتل مالا يقل عن مليون يهودى نتيجة للمذابح والتجويع والضرب حتى الموت فى بولندا خلال الاعوام الثلاثة الماضية . وفى وارسو لا تتيح حصص التموين الا نسبة ٢٣,٤٪ من السعرات الحرارية اللازمة للابقاء على حياة المرء » .

وكانت هذه احدى المرات القليلة التى اشير فيها بصورة محددة قبل عام ١٩٤٤ إلى معسكر اعتقال أوشفيتز بالرغم من أن قصص ٧ مارس و ٢٧ ابريل كانت بمثابة اشارات غامضة ، والشيء الذى يثير الاهتمام بشان هذه الاشارة إلى اوشفيتز هو انها صحيحة اساسا ، كما سيتاكد فى الفصل التالى ، على الرغم من انه ليس باستطاعة المرء التاكد من صحة الرقم ٥٨,٠٠٠ ، كما انه يجب عدم ادراج « التعذيب » ضمن اسباب ارتفاع معدل الوفيات .

والنقطة الهامة هى ان هذه القصة ترفض بصورة ضمنية مزاعم الابادة فيما بعد الحرب والتى تؤكد انه كان يجرى قتل الالاف فى اوشفيتز كل يوم تقريبا ، ابتداء من اواخر صيف عام ١٩٤٢ وحتى خريف عام ١٩٤٤ .

٨ اكتوبر ١٩٤٣ ص ٥ أنباء عن تطهير اوروبا من اليهود

ستوكهولم ، السويد ٧ اكتوبر – اعلنت الدوائر المطلعة هنا اليوم أنه قد صدر مرسوم فى برلين يأمر بطرد جميع اليهود من اوروبا قبل نهاية الحرب . وقالت المصادر ان ادولف هتلر هو الذى اصدر هذا الامر بنفسه .

والقوة التى تقف وراء الاضطهاد النازى لليهود الدانمركيين هو « ديكتاتور اليهود » المزعوم ، جندى العاصفة إيخمان (وهذه الكلمة منقولة حرفيا بدون تعديل) .... الذى ولد فى فلسطين من ابوين المانيين مهاجرين ونشأ بها ، ومعروف بكراهية السادية لليهود . وقد خطط الجميع عمليات الابادة ضد اليهود فى المانيا والاراضى المحتلة .

ويبدو ان هذه هى المرة الاولى التى يظهر فيها اسم ايخمان فى الدعاية ولعلها تمثل مصدر الاسطورة التى تقول انه نشأ فى فلسطين (لقد ولد فى سولينجين بالمانيا ، ونشأ فى لينز بالنمسا) .

٢٣ نوفمبر ١٩٤٣ ص ٤ زوجة ميكولا بتشيك رهينة لدى الالمان

نقلت وكالة البرق البولندية من لندن امس نبا يقول ان الالمان يحتفظون بزوجة ستانيسلاف ميكولا يتشيك رئيس وزراء بولندا البالغة من العمر ٤٣ عاما رهينة فى معسكر اعتقال أوشفيتز وقد يتم اعدامها قريبا .

واشفيتز أسوأ سجن المانى فى بولندا ، وقد تم فيه تعذيب آلاف الضحايا البائسين حتى الموت ....

وقد ذكر بيان بولندى صدر فى لندن أسماء الالمان المسئولين عن مذبحة اليهود البولنديين .

وهم عشرة أشخاص يرأسهم لودفيج فيشر الحاكم النازى لمنطقة وارسو ... وقد ذكر عضو بالمجلس الوطنى البولندى انه قد تم بالفعل ابادة جميع اليهود فى بولندا » .

٢٩ نوفمبر ١٩٤٣ ص ٣ مقتل ٥٠ الف يهودى فى كييف

بقلم و . هـ . لورانس

كييف ، روسيا ، ٢٢ اكتوبر (متأخر) أكدت سلطات كييف اليوم ان الالمان قد حصدوا بنيران المدافع الرشاشة ما بين خمسين الف وثمانين الف من الرجال والنساء والاطفال اليهود فى اواخر سبتمبر من عام ١٩٤١ ، وان الالمان ، بعد ذلك بعامين عندما بدا أن الجيش الاحمر على وشك استعادة كييف – باجبار اسرى الحرب الروس على حرق جميع الجثث ، وبذلك تم تدمير جميع الادلة على جرائمهم تماما .

.... وطبقا لما رأيناه ، فانه من المستحيل على هذا المراسل ان يحكم بصحة او كذب القصة التى رويت لنا » .

٦ ديسمبر ١٩٤٣ ص ١٠ الالمان يقتلون الاسرى

لندن ، ٥ ديسمبر (ى . . ب) قدم ضابط بالجيش التشيكى قضى عدة سنوات فى معسكر أسرى المانى قبل ان يهرب إلى أنجلترا ، أدلة إلى الحكومة التشيكوسلوفاكية المهاجرة ، تثبت ان اسرى الحرب الروس كانوا يعدمون ويتم حرق جثثهم فى معسكرات الاعتقال الالمانية .

.... وقد فقد الضابط أسنانه عندما تعرض لضربات وجهت إلى فمه ، وأصيبت إحدى أذنيه بالصمم نتيجة لضربة على الرأس ، وتظهر فوق جسمه ندبة تمثل صليبا معقوفا قال ان الالمان الذين لجأ إليهم ليعالجوه من مرض معدى أصيب به ، قد حفروها على جسده .

وقال انه كان يجرى اختيار اليهود بصورة عشوائية من بين المعتقلين ويقتلون رميا بالرصاص .... » .

وبهذا نستكمل بحثنا عن قصص نيويورك تايمز المتعلقة بهذا الموضوع فى الفترة التى تبدأ من ربيع ١٩٤٢ حتى عام ١٩٤٣ . وقد كان من الضرورى بالطبع ان انتقى هذه القصص ، ولكننى اعتقد اننى قد قدمت صورة كاملة عن نوعية القصص التى كانت متداولة فى دوائر من المفروض انها تتميز بالذكاء .

والامر الذى لا يمكن ادراكه هو الجو الهستيرى الذى كان سائدا فى ذلك الوقت فلابد ان القارئ المدقق بصورة غير عادية قد لاحظ ارتفاع ارقام صفحات عدد كبير من

القصص المذكورة ، وبخاصة تلك التى تروى امثلة محددة لعمليات القتل الجماعى . وفى السياسة العملية فان الصفحة الاولى فقط هى التى تهم ونادرا ما كانت مثل هذه الامور تظهر فى الصفحة الاولى . فاذا قال روزفلت شيئا ، ينشر كلامه عادة فى الصفحة الاولى ، لمجرد انه قال شيئا ، وليس لان هذا الشىء هام او خطير ولا يبدو ان الادعاءات الخاصة بابادة اليهود كان لها اية اهمية بالنسبة للراى العام اثناء الحرب ، كما يظهر من عدم اعطاء اية اهمية لهذه القصص . وبمعنى اخر انه اذا امضى المرء بعض الوقت فى فحص الصحف الصادرة فى ذلك الوقت ، لاتضح له مدى عدائها الشديد للنازيين ولكن من الصعب تماما تحديد السبب الحقيقى فى هذا العداء . وهكذا فان بحثنا ينقصه شىء من الجانب العاطفى ، على ان هذا امر لا يمكن تفاديه .

ويجب ابداء ملاحظتين أساسيتين بخصوص دعاية الابادة . وتتمثل الملاحظة الاولى . فى ان منشأ الأسطورة كان بين الصهاينة . والملاحظة الثانية أن أحدا لم يزعم أن أوشفيتز كانت معسكر ابادة الا فى وقت متأخر جدا من الحرب .

ولقد رأينا كيف أن أولى المزاعم الخاصة بالإبادة لم تكن قائمة على أساس أية بيانات للمخابرات . ولكن الصهاينة ، وبخاصة المؤتمر اليهودى العالمى هم الذين قدموا هذا الهراء إلى حكومات الحلفاء ، وبخاصة الحكومة الامريكية ، وطالبوها باقرار هذا الهراء . وكان رد فعل واشنطن فى البداية هو السخرية من هذه المزاعم ، ولكن نتيجة لضغوط سياسية متعددة ، ونتيجة لهذه الضغوط وحدها وليس لان المخابرات العسكرية قدمت اية معلومات مؤيدة لها ، فان واشنطن الرسمية تعاونت فى نهاية الامر مع مزاعم الابادة إلى حد أن اصبح كبار المسئولين يدلون بتصريحات علنية غامضة مؤيدة لها ، وأصبحت وكالات الدعاية تقدم تصريحات اكثر تحديدا وذات طبيعة غامضة . واتسمت الدعاية الاولى بسمات مازالت قائمة فى الاسطورة حتى يومنا هذا ، مثل رقم الستة ملايين وبعض السمات الاخرى التى سرعان ما طواها النسيان ، مثل مصانع الصابون ، بالرغم من ان كلتا هاتين السمتين من اختلاق الدوائر الصهيونية نفسها .

وفيما يتعلق باللغة التى نستخدمها ، يجب أن نلاحظ أن كلمة « صهيونى » ليست مستخدمة هنا بمعنى كلمة « يهودى » ، وتظهر الادلة أنه فى حين الخدعة كانت خدعة يهودية بالتأكيد ، بمعنى أن اليهود هم الذين لفقوها فانها ايضا خدعة صهيونية ، بمعنى ان الذين لفقوها يهود صهاينة ولصالح اغراض صهيونية . فالسمة الصهيونية فى الدعاية

واضحة تماما ، اذ نلاحظ ، كقاعدة عامة ، أن الاشخاص الذين كانوا يلحون من اجل اتخاذ اجراءات لنقل اليهود من اوربا (ويعد ذلك اقتراحا روتينيا ومفهوما فى ظل الظروف السائدة) قد ربطوا هذه المقترحات بمطالب باعادة توطين اليهود فى فلسطين ، مما يبين ان مروجى الدعاية الصهاينة كانوا يفكرون فيما هو أكثر من مجرد مساعدة اللاجئين وضحايا الاضطهاد .

وقد لاحظنا ايضا أن أوشفيتز لم يرد ذكرها فى دعايات الإبادة فى عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٣ بالرغم من انه لو كانت هناك عمليات ابادة فى ذلك الموقع البارز ، لعلمت بها المخابرات العسكرية وغيرها من الجهات بالتأكيد . لقد ورد ذكر أشفيتز فى الدعاية بلا شك ، ولكن الادعاءات المحددة التى تدور حول ارتفاع معدل الوفيات نتيجة لاسباب طبيعية عموما ، كانت أساسا ادعاءات صحيحة برغم تضخيم مضمونها . ولم تكن هناك مزاعم بشأن غرف الغاز أو الابادة ومن الطبيعى أن أبدى تحفظا مفاده أن هذا الرأى يقوم على أساس حقيقة هى انى لم أجد ذكرا لأوشفيتز فى دعايات الابادة فى عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٣ ، وذلك بعد دراسة دقيقة معقولة ، وقد ورد ذكر تريبلينكا وبلزك وشلمنو فى قصص الابادة التى نشرتها الصحف ، ولكن لم يرد ذكر أوشيفتز .

ويؤكد هذا الرأى ، الكتب والدوريات الصادرة فى تلك الفترة والتى فحصتها بدقة . وهناك ثلاثة مطبوعات دورية تهمنا هنا بصفة خاصة . فقد تضمن عدد مجلة « الخير العام » الصادرة فى ٤ يونيه عام ١٩٤٣ ، مقالا بقلم جاك ماريتان ، لخص فيه ما اعتقد انه السمات الرئيسية فى برنامج الابادة ، وذلك بعد اجرائه بعض التحريات فى هذا الصدد . ولم يذكر شيئا عن أوشفيتز ، بالرغم من أنه ذكر عمليات الابادة بوساطة « الغازات السامة » والصعق بالتيار الكهربى وتكديس الافراد فى مساحات مغلقة حيث يختنقون تدريجا ، والاختناق فى عربات نقل محكمة الاغلاق ، وفى هذا الصدد يشير بصفة خاصة إلى شلمنو .

واصدرت مجلة « الجمهورية الجديدة » فى ٣٠ اغسطس عددا خاصا كرس لمأساة اليهود فى اوروبا ، ولم يشر إلى اوشفيتز . ولم يذكر اعلان غطى صفحتين قدمته لجنة العمل اليهودية (نيويورك) سوى تريبلينكا وبلزك و« العربات المحكمة الاغلاق حيث يجرى قتل اليهود بالسم » .

ونشرت « سيرفاى جرافيك » فى عدد ابريل ١٩٤٣ مقالا على صفحتين بقلم ويليام

ل . شايرر . ويتناول موضوع المقال جميع أشكال الفظائع الألمانية المزعومة ، وهكذا ذكر اوشفيتز ، ولكنه لم يذكرها الا لصلتها بارتفاع معدل الوفيات المزعومة ويتمثل فى موت ٢٥٠ بولنديا يوميا نتيجة الاعدام والمعاملة غير الانسانية والجوع والأوبئة » . ويدعى شايرر وقوع عمليات ابادة لليهود فى بلزك .

وتورد قصة شايرر تقرير ٧ مارس الذى قدمته الحكومة البولندية فى لندن ، وذلك كمصدر للتصريحات المتعلقة باوشفيتز . وهذه أول اشارة إلى أوشفيتز فى الدعاية ، حسب معلوماتى . والادعاء الوحيد الذى يسبقها ، حسب علمى ، جاء فى « الكتاب الاسود لليهود البولنديين » الذى نشره ج . ابنسلاك فى عام ١٩٤٣ . وتذكر الصفحات ٥٦ ، ٥٩ منه تقارير نشرت بصحيفة « ايست لندن اوبزرفر » فى أوائل عام ١٩٤٢ تقول انه يجرى اعادة رماد اليهود الذين نقلوا إلى أوشفيتز إلى أقاربهم (وهذا يتناقض مع دعاية ما بعد الحرب) . ولكن بقدر ما يمكننى ان اقرر بانه لم يكن هناك ما يسمى بايست لندن اويزرفر . ولا يدعى الكتاب الاسود وقوع عمليات ابادة فى أوشفيتز ، ولكنه يتحدث عن الابادة بواسطة الغاز فى شلمنو (ص ١١٥ و ص ١١٧ مما يتفق مع المزاعم التى جاءت بعد ذلك) وبوساطة الصعق بالتيار الكهربى فى الحمامات فى بلزك يعقبه دفن الموتى ص ١٣١ ، (وهذا الا يتفق معها) وايضا بوساطة ترك الاشخاص فى عربات النقل لعدة ايام بالقرب من بلسك ثم احراق الجثث بعد ذلك (ص ١٣٧ – ١٣٨ ، وهذا لا يتفق) ، وعن طريق حمامات البخار فى تريبلينكا يعقبها الدفن (ص ١٤٣ ، وهذا لا يتفق) أما محرك الديزل الذى كانت تستخدم غازات العادم المنطلقة منه فى القتل طبقا للروايات التى ذكرت بعد ذلك من القصة فيستخدم ايضا فى حفر القبور طبقا لما جاء فى الكتاب الأسود) .

يتبقى مصدر واحد ينقل لنا انطباعا بأن أوشفيتز ظهرت فى دعايات الابادة فى أوائل عام ١٩٤٣ أو حتى قبل ذلك . وهذا المصدر هو كتاب «كيميائيو الشيطان » من تأليف جوشيا دى بوا الذى صادفناه من قبل بوصفه مسئولا فى وزارة الخزانة فى وقت الحرب . وفى المحكمة العسكرية الدولية بعد الحرب ، كان دى بوا المدعى الرئيسى فى محاكمة شركة المطاط الصناعى ، ويروى فى كتابه ما دار فى المحاكمة وبعض الأمور الأخرى التى يعتبرها مرتبطة بها . وطبقا لما يقوله . فانه وجد رسالة تتناول أوشفيتز على مكتبه فى نوفمبر ١٩٤٢ . وكانت الرسالة تنقل محتويات مذكرة بعنوان شهادة يأس مهارة ، زعم أن كاتبها شخص يشاطر العمال مسكنهم فى أوشفيتز وقامت الجماعات السرية بتوصيلها إلى برن » .

« لقد عملنا فى مصنع « المطاط الصناعى » الضخم . . . وكان هناك سلسلة من مواقع الحراسة تطل على كل عشرة أمتار مربعة من العمال ، وكان كل من يحاول الخروج من هذه الساحة يتعرض لإطلاق النار بدون إنذار على اعتبار أنه « يحاول الهرب » . على أن المحاولات كانت تجرى يوميا ، حتى من قبل البعض الذين كانوا يحاولون الزحف إلى ما وراء الحراس لأنهم لم يعودوا قادرين على المشى » .

وتنطبق هذه المذكرة أيضا على « صور الصليب المعقوف والابتسامة الساخرة الثابتة التى ترتسم على وجه تيرمير (وهذه لم يتصف بها تيرمير طيلة حياته) . ومصدر وتاريخ هذه الورقة المزعوم يجعل الأمر كله يبدو سخيفا ، ولكن على المرء أن يلاحظ عنصر الحقيقة الواضح فى الورقة إذ أنه فى ذلك الوقت تقريبا كان الكثيرون من العمال فى أوشفيتز فى حالة لا تسمح لهم بالعمل أو حتى المشى . وهكذا فإن هذه الرسالة لم تكن دعاية من دعايات الإبادة ، ولسنا متأكيدين من أنها كانت موجودة فى الحقيقة ، ولكن إذا وجدت ، فإن كل ما توحى به هو أن المسئولين عن الدعاية كانوا يدركون تماما فى أواخر عام ١٩٤٢ ، ما يجرى فى أوشفيتز .

وينتقل دى بوا بعد ذلك إلى نقل معلومات خاطئة إلى قرائه فيقول ان رسالتى يناير وابريل من عام ١٩٤٢ ، واللتان ناقشناهما من قبل ، تتناولان أوشفيتز ، أى أن عملية قتل الستة آلاف يوميا كانت تجرى فى أوشفيتز . وبهذا ينقل دى بوا معلومات خاطئة . ويبدو أن دوافعه من وراء ذلك تتمثل فى أنه كان يحاول ، بوصفه المدعى فى قضية مصنع شركة فاربن تضخيم أهمية أوشفيتز من جميع النواحى الممكنة ، وبذلك قرأ فى السجل شيئا لم يكن موجودا أصلا .

ولا يهمنا كثيرا أن نعلق على رأى الألمان فى قصص دعايات الحلفاء . وقد رأينا أن فون شتوم من القسم الصحفى فى وزارة الخارجية الألمانية قد سخر من مزاعم الإبادة عندما رددتها للمرة الأولى حكومات الحلفاء ، ولكنها كانت إشارة نادرة من جانب الحكومة الألمانية إلى أى تلفيق محدد فى دعاية الحلفاء . وقد قدمت صحيفة الرايخ الاسبوعية التى كانت تنشرها وزارة جويلز ، وصحيفة « فولكسكر بوخاتر » اليومية التى كان يصدرها الحزب النازى ، كثيرا من التعليقات العامة على دعاية الفظائع ولكنها لم تورد سوى إشارات قليلة إلى مزاعم دعائية محددة وكان الموقف المعتاد هو عدم التعليق على مزاعم إبادة اليهود ، وأيضا على المزاعم الدعائية المحددة الأخرى مثل تجويع وتعذيب أسرى الحرب

الأمريكيين والبريطانيين والأمور المخيفة المتعددة التى لفقتها هوليوود مثل استنزاف دماء الأطفال فى الدول المحتلة لكى تستخدم فى أغراض الدفاع .

والسبب فى هذا الصمت النسبى إزاء المزاعم الدعائية المحددة كان بلا شك هو أن الألمان رأوا أنه لا حاجة لنقد مضمون هذه المزاعم ، فلقد شاهدوا مثيلها من قبل خلال الحرب العالمية الأولى . ولهذا تناولت الصحافة الألمانية مسألة « دعاية الفظائع على مستوى أعلى وبدلا من أن تشغل نفسها بمضمون القصص ، فإنها اهتمت ببعض المسائل مثل طبيعة المصالح السياسية التى تخدمها الدعاية ونطاق وأساليب النفوذ اليهودى فى صحافة الحلفاء (مثال ذلك العدد الصادر من صحيفة الرايخ فى ٢٠ ديسمبر ١٩٤٢) .

وجاء التزام واشنطون على مستوى عالٍ بالمزاعم القائلة بأن أوشفيتز كانت معسكرا للإبادة ، فى نوفمبر ١٩٤٤ أى بعد إنهاء برنامج القتل المزعوم ، وذلك فى شكل تقرير مجلس لاجئى الحرب (وكان هذا الادعاء قد ظهر مرات عديدة فى الدعاية فى وقت سابق سنة ١٩٤٤ وسوف نستعرض هذه القصص فى فصل مقبل) وتولت جريدة نيويورك تايمز نشر التقرير فى ٢٦ نوفمبر ١٩٤٤ على الصفحة الأولى وقدمت مقتطفات منه .

ويوصف تقرير مجلس لاجئ الحرب بأنه تقريران . أحدهما كتبه « اثنان من اليهود السلوفاك الشبان » بينما أعد التقرير الثانى « ضابط بولندى برتبة ماجور » وكانوا جميعا معتقلين فى أوشفيتز من ربيع ١٩٤٢ حتى ربيع ١٩٤٤ عندما تمكنوا من الهرب (هرب اليهوديان يوم السابع من ابريل) . وهناك ملحق إضافى قصير يقال ان الذى كتبه شابان يهوديان آخران تمكنا من الهرب يوم ٢٧ مايو ١٩٤٤ واتجها إلى سلوفاكيا (التى ظلت خاضعة للسيطرة الألمانية حتى عام ١٩٤٥) وذلك لكى يقدما تقريرهما الذى يقال انه وصل إلى سويسرا يوم السادس من أغسطس ١٩٤٤ ، فكتاب التقرير جميعا مجهولون تماما . والاعتذار الذى يقدم فى ذلك بشأن هذه المسألة أنه « لن يتم الكشف عن أسمائهم فى الوقت الحاضر وذلك لضمان سلامتهم » .

وتشكل الأقسام الأولى والثانية والثالثة الجزء الأول من التقرير ويشكل القسم الرابع الجزء الثانى منه . والقسم الأول هو أكبر أقسام التقرير ويقال ان الذى كتبه يهودى سلوفاكى وصل إلى أوشيفتز يوم ١٣ ابريل عام ١٩٤٢ وكان رقم تسجيله الذى وشم على الناحية اليسرى من صدره يقترب من ٢٩,٠٠٠ . ثم أصبح فى نهاية الأمر يعمل مسجلا فى عنبر المرضى فى بيركيناو . ويتميز القسم الأول بأنه سجل تفصيلى للفترة من ابريل ١٩٤٢

إلى ابريل ١٩٤٤ ، ويتناول من وصلوا إلى أوشيفتز وأرقام التسجيل الخاصة بهم . ويذكر وصول ٥٥ مجموعة من الوافدين (أحيانا تصل أكثر من دفعة واحدة فى المجموعة) كما يذكر أرقام التسجيل (التقريبية) الخاصة بأفراد كل مجموعة . وابدأ الأرقام برقم ٢٧٤٠٠٠ وتصل إلى ١٨٩,٠٠٠ طبقا لنظام الترقيم المتتابع الذى لا يستخدم نفس الرقم مرتين . وتذكر فى كل مجموعة جنسيات الأشخاص وبعض المعلومات الأخرى (يهودى أو آرى مسجون سياسى أو غير ذلك ، أسماء الأفراد وأرقام الذين يعدمون بالغاز بدلا من تسجيل أسمائهم . . الخ) .

وبعد تقرير مجلس لاجئى الحرب (إذا كان صادقا بصورة تقريبية فى هذه الأمور فى تفسيره للأشخاص الذين يعدمون بالغاز إما أنهم لم يكونوا موجودين أصلا أو أنهم نقلوا إلى جهة أخرى) واحدا من مصدرين معروفين لقدر كبير من المعلومات (والمصدر الآخر هو مجموعة تقارير الصليب الأحمر فى الهولندى وهو موضوع الملحق حـ) .

ويقدم جميع هذه المعلومات تقريبا مؤلف القسم الأول من تقرير مجلس لاجئ الحرب ولكن بعد هربه واصل مؤلفا القسم الثالث ، التكميلى ، من التقرير تسجيل هذه المعلومات عن الفترة من ٧ ابريل إلى ٢٧ مايو وأسها بها فى التقرير .

ويقال ان القسم الثانى من التقرير وضعه يهودى سلوفاكى وصل إلى معسكر لوبلين فى حوالى الرابع من يونيو عام ١٩٤٢ ولكنه نقل إلى أوشفيتز حوالى يوم ٣٠ يونيو ١٩٤٢ وطبقا للقسم الأول من التقرير فلابد أن يكون رقم تسجيله يقرب من ٤٤,٠٠٠ والذى رسم بالوشم على ساعده الأيسر (إذا كان نظام الوشم قد تغير) ومؤلفا القسمين الأوليين من التقرير هما اليهوديان السلوفاكيان الشابان اللذان هربا معا يوم ٧ ابريل ١٩٤٤ . والقسم الثالث من التقرير هو الملحق القصير والقسم الرابع هو ما اسهم به « الميجور البولندى » ولا شك أن عدم ذكر أسماء مؤلفى التقرير يشكل نقطة ضعف ولكن الشىء الجدير بالتصديق هو مضمون تقرير مجلس لاجئ الحرب . ويظهر الفحص أن المعلومات الواردة فى التقرير والتى يحتمل أن تكون صحيحة أو شبه صحيحة هى من ذلك النوع من المعلومات التى يمكن تجميعها من بيانات المخابرات . وليس من تقارير شابين يهوديين سلوفاكيين وميجور بولندى تمكنوا من الهرب . وهذا هو ما يجب أن يتوقعه المرء تماما . إذ أن أعداء ألمانيا كان لديهم أساليب معينة لجمع المعلومات عن المعسكرات الألمانية والأحداث الجارية فى أوروبا وقد استخدموا المعلومات التى تم جمعها بهذه الوسائل

التقليدية بالإضافة إلى قدر كبير من التدخل وذلك لوضع تقرير مجلس لاجئى الحرب ، ولا يعقل تماما أنهم كانوا يجهلون كل ما يتعلق بمركز أوشفيتز الصناعى إلى الحد الذى يجعلهم مضطرين إلى أن يعتمدوا فى الحصول على المعلومات على مسجونين هاربين بطريقة خارقة ولديهم معلومات غير عادية . وسوف نتناول هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد . على أن هذه الملاحظة لا تستبعد احتمال استخدام تقارير الموظفين أو النزلاء السابقين سواء الهاربين أو غيرهم كجزء من البيانات .

ويقدم التقرير المعلومات (أو التقديرات أو التخمينات أو المزاعم التلفيقات التالية) :

١ – عدد المسجونين الموجودين فى أوشفيتز رقم ١ فى شهر ابريل ١٩٤٢ ، والجنسيات الغالبة الموجودة وأسباب الاعتقال الرئيسية . ووصف لنظام تسجيل النزلاء ونظام « النجمة » الخاص بالشارة المميزة للنزلاء . وقائمة بالمصانع المختلفة الموجودة فى المنطقة (الجزء الأول ، الصفحتين الأولى والثانية) .

٢ – خريطة دقيقة للمنطقة شبيهة بالشكل هـ فى هذا الكتاب (الجزء الأول ، الصفحة الرابعة) .

٣ – أبعاد حجم معسكر أوشفيتز رقم ١ . وأسواره وأبراج الحراسة به . ونفس الشىء بالنسبة لبيركنياو . ووصف للثكنات (الجزء الأول ، الصفحات من ٥ إلى ٧) .

٤ – فى حالة وفاة أحد المسجونين بصورة طبيعية كان يتم إعداد شهادة وفاة وإرسالها إلى الإدارة المركزية للمعسكرات فى أورانينبرج وإذا كان النزيل أعدم بالغاز فتم تسجيل اسمه فى سجل خاص ويوضع أمامه الحرفان (م . خ) ويرمزان إلى المعادلة الخاصة بالجزء الأول من الصفحة التاسعة .

٥ – كانت هناك أربعة مبان يشار إليها بأنها أفران الحرق رقم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، وكانت مستخدمة فى ربيع ١٩٤٤ فى بيركيناو وكان قد بدأ استخدام إحداها على الأقل فى فبراير ١٩٤٣ وكان كل مبنى يشمل :

(ا) غرفة فرن تضم عدة أفران .

(ب) قاعة فسيحة .

(حـ) غرفة غاز .

ويشمل كل مبنى من المبنيين الأوليين ٣٦ فرنا ويشمل كل مبنى من المبنيين الآخريين ١٨ فرنا . ويتم وضع ثلاث جثث فى الفرن الواحد فى كل مرة وتستغرق عملية إحراق

الجثث ساعة ونصفا ، وهكذا يمكن التخلص من ستة آلاف جثة يوميا وقد اعتبر ذلك أفضل من الحرق فى الخنادق فى ذلك الوقت (وهو الأسلوب الذى كان يستخدم قبل ذلك) (الجزء الأول الصفحتين الرابعة عشر والخامسة عشر) .

٦ –كان الناتج المستخدم فى توليد الغاز اللازم لغرفة الغاز هو مسحوق يسمى « سيكلون » ، كانت تنتجه شركة فى هامبورج وعند تعريضه للهواء يخرج غاز السيانيد ويستغرق قتل جميع الموجودين فى غرفة الغاز ثلاث دقائق تقريبا . وكانت العلب التى تحوى مادة السيكلون تحمل عبارة « الاستخدام ضد الحشرات الجزء الأول ، الصفحة السادسة عشر) .

٧ – حضرت بعض الشخصيات البارزة من برلين افتتاح أول محرقة فى مارس ١٩٤٣ وشمل البرنامج « إعدام ثمانية آلاف من يهود كراكاو بالغاز وإحراق جثثهم وأبدى الضيوف (الذين لم تذكر أسماؤهم) رضاءهم التام عن النتائج التى تحققت (الجزء الأول ، الصفحة السادسة عشر) .

٨ – تحليل مفصل للارقام وتصنيفات نزلاء بيركيناو فى ابريل ١٩٤٤ (الجزء الأول ، الصفحتان الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين) .

٩ – يوجد فى كل مبنى فى المعسكر رئيس للمبنى يملك سلطة « الحياة والموت » ، وحتى عام ١٩٤٤ كان خمسون فى المائة من رؤساء المبانى من اليهود ، ولكن هذا النظام توقف بناء على أمر من برلين . ويعمل تحت أمر رئيس المبنى ، مسجل المبنى الذى يقوم بجميع الأعمال الكتابية . وإذا لاحظ المسجل قتل شخص ما بطريق الخطأ ، كما يحدث غالبا ، يتم إصلاح الخطأ بقتل حامل الرقم الصحيح . ولا يسمح بإجراء أى تصحيح (الجزء الأول ، الصفحة الخامسة والعشرين) .

١٠ – فقرة تشبه تماما « شهادة يأس منهارة » المؤرخة فى نوفمبر ١٩٤٢ » لقد عملنا فى مصنع المطاط الصناعى الضخم حيث كان يجرى تجميعنا به فى الساعة الثالثة من صباح كل يوم ، ونظرا لأن مقر عملنا كان يقع خارج سلسلة ضخمة من نقط الحراسة ، فقد تم تقسيم الموقع إلى قطاعات صغيرة تبلغ مساحة القطاع الواحد ١٠ × ١٠ مترا ويحرس كل منها حارس من قوات الأمن وكل من يتخطى هذه المربعات أثناء ساعات العمل يتعرض لإطلاق النار على الفور دون إنذار بدعوى « محاولته الهرب » . . . ولم يستطع الكثيرون تحمل هذا التوتر وعلى الرغم من استحالة الهرب فقد كانت هناك محاولات تجرى كل يوم

(الجزء الأول ، الصفحة الثلاثين) .

١١ – « تقدير دقيق لعدد اليهود الذين قتلوا بالغاز فى بيركيناو فيما بين ابريل ١٩٤٢ وابريل ١٩٤٤ » ، ملخصا فى شكل جدول . وقد ظهرت هذه الارقام فى السجل الذى نشرته المحكمة العسكرية الدولية (الجزء الأول ، الصفحة الثالثة والثلاثين) .

١٢ – سادت حالة من الاضطراب الشديد نتيجة لهروب الشابين اليهوديين السلوفاكيين (يفترض أن من كتب هذه الفقرة هما كاتبا القسم الثالث الإضافى) وتم استجواب اصدقائهما ورؤسائهما بدقة . وحيث ان كلا من الهاربين كان يشغل منصب « مسجل المبنى » ، فقد نقل جميع اليهود الذين يتولون مثل هذا المنصب ليتلقوا العقاب ، وكاجراء وقائى . وهذا يتناقض بالطبع مع « مقدمة » تقرير مجلس لاجئى الحرب التى تقول ان الألمان لم يعرفوا شخصية الهاربين أو حتى رقمى تسجيلهما ، حيث أخفى المجلس هذه المعلومات ، ضمانا لسلامتهما (الجزء الأول ، الصفحة الرابعة والثلاثين) .

١٣ – ابتداء من ١٥ مايو ١٩٤٤ بدأ يهود المجر يفدون إلى بيركيناو بمعدل خمسة عشر ألف شخص يوميا . وكان يتم إعدام تسعين فى المائة منهم على الفور ، وحيث ان هذا الرقم كان يفوق سعة الأفران فقد أعيد نظام إحراق الجثث فى الخنادق . ولم تكن نسبة العشرة فى المائة الباقية تسجل اسماؤهم فى بيركيناو ، بل كانوا ينقلون إلى معسكرات فى ألمانيا مثل بوخنفالد وماوتهاوزن وجروس روزيه ، وجوزن وفلوسينبرج ، وساكسنهاوزن . . . الخ الجزء الأول ، الصفحتان السادسة والثلاثون والسابعة والثلاثون) .

١٤ – بدء تطبيق نظام جديد لأرقام تسجيل النزلاء فى منتصف مايو ١٩٤٤ وفى نفس الوقت تقريبا نشرت صحف سيليزيا أنباء عن زيادة هيملر لمعسكر كراكاو القريب ، على أن تقارير هذه الصحف قد أغفلت على ما يبدو ، ذكر أن هيملر قد زار بيركيناو أثناء رحلته وأن مرافقيه قاموا بزيارة خاصة للمحرقة رقم ١ هناك (الجزء الأول ، الصفحتان السابعة والثلاثون والثامنة والثلاثون) .

١٥ – قامت لجنة تضم أربعة من اليهود الهولنديين البارزين بزيارة أوشفيتز فى أواخر صيف ١٩٤٣ ، وذلك بغرض تفقد أحوال اليهود الهولنديين (الذين قدم لهم الألمان حينذاك ثيابا جديدة وطعاما أفضل خصيصا من أجل الزيارة) ولم تقابل اللجنة سوى قسم ضئيل من اليهود الهولنديين الذين نقلوا إلى أوشفيتز ، إلا أن أعضاءها أبلغوا أن الباقين موجودون فى معسكرات مماثلة . وخرجت اللجنة راضية عما شهدته ووقع أعضاؤها بيانا

يقول انهم وجدوا كل شيء فى حالة طيبة فى أوشفيتز ، ولكن اليهود الأربعة اعربوا بعد التوقيع على البيان ، عن رغبتهم فى مشاهدة معسكر بيركنياو وبخاصة أفران حرق الجثث التى سمعوا بعض القصص عنها . . . وانتقلت اللجنة فعلا إلى بيركنياو . . ثم إلى المحرقة رقم ١ . وهناك أطلق الرصاص عليهم من الخلف . وأرسلت برقية إلى هولندا تقول إن الرجال الأربعة تعرضوا لحادث سيارة مؤسف بعد مغادرتهم أوشفيتز (الجزء الأول ، الصفحة الثامنة والثلاثون) .

١٦ – أخليت المنطقة المحيطة بأوشفيتز إلى مسافة تمتد مائة كيلو متر فى كل اتجاه وهدمت المبانى التى لم يستول عليها المعسكر (الجزء الثانى ، الصفحة السادسة) .

١٧ – وصف لمستشفى أوشفيتز رقم ١ وإجراءاته . وقد ارتفع معدل الوفيات بدرجة كبيرة فى المستشفى فى خريف عام ١٩٤٢ مما دعا برلين إلى أن تطلب تفسيرا لذلك . وكشف التحقيق الذى أجرى عن أن طبيب المعسكر كان يحقن الضعفاء والمرضى ، وبعض المسجونين المحكوم عليهم بالإعدام ، وبعض المراهقين الايتام بحقن مميتة . وعوقب طبيب المعسكر بنقله إلى وظيفته فى مصنع المطاط الصناعى (من المرجح أن يعنى مونوفيتز) وكانت قوات الأمن لا تزال تقدم الخدمات للمعسكر الذى تديره شركة فارين) (الجزء الثانى من الصفحة الثامنة إلى الصفحة العاشرة) .

١٨ – لا تدوم حياة أى يهودى أكثر من أسبوعين وذلك نتيجة لسوء المعاملة التى يلقاها مهما كانت حالته الجثمانية (الجزء الثانى الصفحة الثانية عشرة) .

١٩ – فى صيف عام ١٩٤٢ كان يجرى قتل اليهود بالغاز فى غابة التبولا (بيركينفالد حيث تقع بيركيناو) وداخل مبان خاصة مغلقة باحكام تبدو وكأنها أدشاش للاستحمام . وحيث إن بناء أفران الحرق لم يكن قد اكتمل ، لذا كان يتم دفن الجثث فى قبور جماعية مما يسبب تعفنها ، وقد اكتمل بناء أفران الحرق الأربعة فى خريف عام ١٩٤٢ ، وتم إخراج كثير من الجثث من القبور وحرقها (وهذه قصة الميجور البولندى التى تتناقض مع رواية بين السلوفاكيين الشابين اللذين ذكرا أنه بدأ تشغيل جزء من أفران الحرق فى فبراير ١٩٤٣ ، وأن الجثث كانت تدفن فى خنادق قبل التاريخ (الجزء الثانى ، الصفحتان السادسة عشر والسابعة عشر) .

٢٠ – تفصيلات بشأن كيفية تحديد موعد إعدام شخص محكوم عليه بالإعدام فعلا (الجزء الثانى ، الصفحة السادسة عشر والسابعة عشر) توضح النقاط السابعة محتويات

تقرير مجلس لاجئ الحرب . والتقرير خليط من الحقيقة والتخمينات والتلفيق ، ومن الممكن أن يكون قد تم تجميع الجزء الحقيقى منه ، وهذا ما حدث بالفعل ، على أساس المعلومات المستمدة من مصادر مطلعة فى عام ١٩٤٤ .

وهذا التناقض بين الروايتين المتعلقتين بالإبادة إنما يزيد من صحة الادعاء بأن الروايتين هما تقريران كتبهما نزيلان هاربان ، ولكن لا يتضح أن ازدياد صحة الادعاء هو الدافع لتأليف التقرير بهذه الصورة . والرواية الأولى التى تقول إن افران الحرق الضخمة كانت مستخدمة فى بيركيناو فى اوائل ١٩٤٣ ، وأن عمليات حرق الجثث الجماعية كانت تتم فى خنادق قبل ذلك التاريخ ، هى الرواية التى قدمت بعد ذلك (وهى القصة الصحيحة فيما يتعلق بتاريخ تشغيل أفران الحرق) ولكن الرواية الثانية عن المقابر الجماعية ربما تنطوى على قدر من الحقيقة أيضا ، حيث أن وباء التيفوس كان قد انتشر فى الصيف ، فى وقت لم تتوفر فيه وسائل الحرق الكافية .

ويستخدم رايتلينجر تقرير مجلس لاجئ الحرب كمصدر له . وهذا أسلوب ليس به ما يبرره تماما ، ولكنه أيضا ليس بدون مبرر على الإطلاق . إذ يجب أن يفترض المرء أن جزءاً كبيرا من مادة التقرير صحيح . وكما سنوضح فيما بعد ، فليس هناك أى جدال فى كفاءة واضعى التقرير . على أنه يجب على المرء أن يتوخى الدقة فى هذا الصدد ولا يقبل إلا ما يدعمه حسن الإدراك أو الأدلة فى حد ذاتها . وهذا شىء معقول تماما ، لما يتسم به التقرير من طابع الدعاية والدفاع ، ومع اعتبار أن أية خدعة منظمة لابد وأن تتضمنه بالضرورة قدرا من الحقائق الثابتة .

ويستطيع المرء أن يحدد بدقة – نوعا ما – الوسائل التى كان يتم بها تدفق المعلومات إلى خارج المعسكرات . ففى الحالات التى كانت ترتبط بنشاط صناعى هام ، كان النزلاء يتصلون بالضرورة بكثير من الناس من غير نزلاء المعسكرات (موظفى الشركة وموظفى السكك الحديدية) وكانت هذه الاتصالات هى الأساس لشبكة واسعة النطاق من قنوات الاتصالات السرية . وتوفرت فى أوشفيتز بالطبع فرص ممتازة ومتعددة لهذه الاتصالات ، ونتيجة لوجود التنظيم الشيوعى توفرت قنوات فعالة جدا للاتصال بالمراكز السرية الخارجية وبخاصة فى كراكاو المجاورة . وقد تدفق سيل من المعلومات عن المعسكر ، قيل انها كانت تشمل صورا من الاوامر التى كان يتلقاها المعسكر من برلين أو أورانينبرج ، إلى خارج

أوشفيتز . واستخدمت هذه القنوات أيضا فى إرسال بعض الأشياء مثل النقود والدواء والأوراق المزورة إلى المعسكر يضاف إلى ذلك - كما سوف نتناول فى جزء آخر من الفصل التالى - أن الشيوعيين الموجودين فى جميع المعسكرات كانوا على درجة عالية من التنظيم فيما يتعلق بالاستماع إلى الإذاعات المحظورة . وإذا كان لديهم أجهزة استقبال ، فلا شك فى أنه كان لديهم أجهزة إرسال أيضا . وهناك شهادة شهود بوجود أجهزة إرسال لدى النزلاء ، ويعتقد رايتلينجر أن نزلاء أوشفيتز كان لديهم أجهزة إرسال .

ومن أجل تفهم طبيعة المعلومات وقنوات الدعاية التى كانت قائمة ، يتعين على المرء أن يوجه اهتماما خاصا لمجلس لاجئى الحرب ومكتب الخدمات الاستراتيجية . فقد كان مجلس لاجئى الحرب على صلة مستمرة بالأحداث الجارية فى المجر حتى بعد الاحتلال الألمانى فى عام ١٩٤٤ . وكان له ، على سبيل المثال عميل فى السلك الدبلوماسى السويدى هو راؤول والنبرج ، كما كانت هناك حلقات اتصال أخرى عن طريق المنظمات اليهودية . فقد كان الزعماء اليهود فى المجر على صلة دائمة مع الزعماء اليهود فى سلوفاكيا ، كما كانت زعامة اليهود السلوفاكيين على صلة باليهود الهولنديين وبخاصة الموجودين فى كراكاو .

ولعل ما يفوق ، من حيث الأهمية ، مجلس لاجئى الحرب ، وان كان دوره فى الخدعة ليس بنفس وضوح دور المجلس ، هو مكتب الخدمات الاستراتيجية ، الجهاز الذى خلفته وكالة المخابرات المركزية . وقد تم تأسيس مكتب الخدمات الاستراتيجية فى بداية الحرب العالمية الثانية بقيادة الجنرال ويليام دونوفان . وكان عبارة عن جهاز للمخابرات ذى طبيعة سياسية وما يرتبط بها من أمور (كالتخريب والدعاية وحرب العصابات) تختلف تماما عن الأشكال التقليدية للمخابرات العسكرية التى ارتبطت عمليات المكتب بها بصورة ما مثلما كانت عمليات مصلحة الأمن الألمانية ترتبط بعمليات المخابرات ، على الرغم من شكوى كبار المراقبين فى واشنطن من أن مكتب الخدمات الاستراتيجية يتمتع باعتمادات غير محدودة ليست لسلطانه حدود .

وباستثناء حالات قليلة ، لم يكن أعضاء مجلس الخدمات الاستراتيجية من العسكريين ، بل كانوا أشخاصا عاديين تم تجنيدهم ، وهكذا كان المكتب يضم اناس ذوى ميول سياسية مختلفة ، ما بين شيوعيين وملكيين لاجئين . وقد شكل الشيوعيون قوة لها وزنها فى مكتب الخدمات الاستراتيجية نظرا لحسن تنظيمهم ، وذلك بصرف النظر عن أعدادهم .

وقد ركز مكتب الخدمات الاستراتيجية كل اهتمامه على الدعاية . وكان مكتب أعلام الحرب وهو أبرز جهاز للدعاية فى الولايات المتحدة فى وقت الحرب ، جزءا من المكتب انفصل عنه فى عام ١٩٤٢ . وكان يشكل قسم الدعاية من « مكتب منسق الاعلام » (دونوفان) عندما انفصل عنه وأعدت تسمية الجزء الباقى من منظمة دونوفان باسم مكتب الخدمات الاستراتيجية . وبالرغم من هذا الانفصال ، إلا أن مكتب الخدمات الاستراتيجية ظل يعمل بنشاط فى مجال الدعاية وعندما تم تأسيس فرع الحرب النفسية الأنجلو أمريكى فى مقر قيادة أيزنهاور ، جذب إليه العاملين الأمريكيين من مكتب أعلام الحرب ومكتب الخدمات الاستراتيجية .

وهناك عملية دعائية أخرى قام بها مجلس الخدمات الاستراتيجية واستخدم فيها عددا ضخما من « الكتاب التقدميين » ، هى فرع العمليات المعنوية . وكانت مهمة فرع العمليات المعنوية تتمثل فى « الدعاية السوداء » ، أى أن فرع العمليات المعنوية تخصص فى اختلاق الدعاية وتقديمها بصورة تبدو معها وكأنها من داخل صفوف العدو ، وهكذا كان فرع العمليات المعنوية يوزع صحفا وأوامر عسكرية مزورة عن أفراد العدو ، ويدير محطات إرسال سرية تدعى أنها تذيع من داخل أراضى العدو ، كما بدأ فى نشر الشائعات فى دول المحور والدول التى تحتلها دول المحور . وكان جهاز العاملين به يتكون من « الأحرار والشيوعيين على حد سواء ، وجميعهم يكرسون أنفسهم للتفسير المثالى للنضال ضد الفاشية » .

وثمة جانب من عمليات مكتب الخدمات الاستراتيجية يتصل بموضوعنا اتصالا وثيقا بصورة خاصة وهو أن المكتب سحب تعاون الوكالة اليهودية فى فلسطين (والتى كانت تمثل فى الحقيقة الحكومة الإسرائيلية غير الرسمية فى ذلك الوقت) وقد تمكنت الوكالة اليهودية من القيام بالعديد من المهام الهامة لحساب مكتب الخدمات الاستراتيجية ، وذلك بفضل صلاتها الواسعة النطاق والوثيقة مع اليهود فى أوروبا وبخاصة فى البلقان . وهكذا كانت قنوات الاتصال مع اليهود فى المجر وسلوفاكيا وماورائها مفتوحة .

وأخيرا ، من المهم أن نذكر أن مكتب الخدمات الاستراتيجية كان له أهميته البالغة بالنسبة لهيئة الادعاء فى محاكمات المحكمة العسكرية الدولية وبخاصة فى المراحل الأولى منها .

وليست النقطة التى يجب اثباتها فى مناقشة تقرير مجلس لاجئ الحرب هى أن التقرير قد تم تلفيقه فى مجلس الخدمات الاستراتيجية أو مجلس لاجئ الحرب . فلست أعرف شخصية

مؤلفيه ولا أعتقد أن المسألة تتسم بأهمية كبيرة . والنقطة الرئيسية هى أن قوتين دولتين هما الشيوعية والصهيونية قد لعبتا دورا هاما فى المخابرات والدعاية وبرامج مساعدة اللاجئين الأمريكية . إن مجلس لاجئ الحرب الذى كان يتلقى فعليا أوامره من هارى دكستر هوايت وهنرى مورجنتاو الصغير والمؤتمر اليهودى العالمى وغيره من الصهاينة ، ومجلس الخدمات الاستراتيجية بموظفين الشيوعيين وحليفته الوكالة اليهودية ، يظهران أن الموقف كان مناسبا تماما لاختلاف كذبة دعائية بشأن إبادة اليهود تدور حول أوشفيتز ، وتضمنت كاجراء احتياطى قدرا كافيا من الحقائق بحيث توحى للشخص العادى بأن الادعاءات صحيحة .

فلم يكن ما يدور فى داخل معسكر أوشفيتز يخفى على الحلفاء وكان باستطاعة أكفأ تنظيم مخابرات فى العالم أى الحزب الشيوعى ، أن يرسل أية معلومات يرغب فى إرسالها إلى أية وجهة مهما كانت . وكان الموقف يسمح للدولية الصهيونية المنتشرة فى كل مكان بأن تكون فى وضع يسمح لها باختلاق وإرسال أية معلومات ترى أنها تلائم المناسبة . وحتى إذا كانت محتويات تقرير مجلس لاجئى الحرب صحيحة تماما ، فلم يكن هناك ضرورة لهرب النزلاء لكى تصل « الحقائق » إلى أيدى الحلفاء . ونلاحظ أنه قيل لنا إن محتويات تقرير مجلس لاجئى الحرب بأكملها جاءت نتيجة لثلاث عمليات هروب منفصلة قام بها نزلاء لديهم معلومات كاملة تثير الدهشة . ويعد هذا أمرا سخيفا إلى أبعد حد ، فى ضوء ما نعرفه عن قنوات الاتصال التى كانت موجودة .

وقد ظل اسم مؤلفى تقرير مجلس لاجئى الحرب مجهولا لفترة تخطت فترة « الوقت الراهن » وقد أصبح التقرير وثيقة اتهام فى نورمبرج تحمل رقم ٠٢٢ — ل . وتبدو المواد الوصفية المصاحبة للوثيقة ، والمؤرخة ٧ أغسطس ١٩٣٥ (تحليل الاتهام للأدلة) ، آسفة لعدم معرفتها أسماء المؤلفين ، فهى تذكر شخصا يدعى دكتور جوزيف الياس ، « وهو قس بروتستانتى من أصل يهودى نظم المقاومة اليهودية فى المجر ، ورئيس منظمة جوباتس ببروتساج وهو الذى قام باستجواب اليهودين السلوفاكيين الأولين بعد هربهما . ثم تذكر شخصا يدعى « دكتور ج . سوز — سكرتير حركة المقاومة السرية فى المجر ، وهو الذى نقل التقرير الأول (لليهوديين السلوفاكيين الأولين) إلى إيطاليا » . وكانت منظمة « جوباتس » حقيقية ، ولكن يبدو أنه لا يعرف شىء عن أنشطة الياس أو سوز فيما يتعلق بهذه الأمور . ولا يذكر شىء عن أصل تلك الأجزاء من التقرير المنسوبة للأشخاص الثلاثة الآخرين ويقال ان ر . د . ماك ليلاند ، ممثل مجلس لاجئى الحرب فى برن قد قدم التقرير إلى

واشنطن فى أوائل يوليه عام ١٩٤٤ (ويفترض أن الجزء التكميلى لم يكن مرفقا) .

وقد قدم كاجور والسن تقرير مجلس لاجئى الحرب كدليل أمام المحكمة العسكرية الدولية تحت اسم الوثيقة ٠٢٢ – ل وذلك يوم ١٤ ديسمبر ١٩٤٥ . ولم يعترض الدفاع فى المحكمة العسكرية الدولية على قبول التقرير كدليل . وقد قدم فى محاكمة شركة فاربن هذا التقرير (سجل الوثائق ٨٩) كدليل ولكن الدفاع اعترض ، ووافقت المحكمة على هذا الاعتراض على « اختصاص ومادة كل وثيقة تضمنها سجل الاتهام » . وقد ثار جدل قانونى نتيجة لذلك انتهى بموافقة المحكمة على أن تأخذ « علما قضائيا » غامضا بالوثائق .

وقد ظلت الأسماء مجهولة عدة سنوات أخرى ، إذ أن الطبعة الأولى (١٩٥٣) من كتاب « الحل الأخير » لرايتلينجر تعتبر أن المؤلفين مجهولون . ويشير الكتاب فى دراسته لبداية عمليات القتل بالغاز ، إلى « التقرير الجدير تماماً بالاعتماد عليه والذى وضعه مسجل المستشفى فى بيركيناو والذى هرب إلى المجر فى ابريل ١٩٤٤ « ص ١١٠ » . وفيما يتعلق بالمعلومات المتعلقة بيهود تريزنشتات الذين نقلوا إلى أوشفيتز ، « فاننا مدينون لطبيب يهودى سلوفاكى هرب إلى المجر فى ابريل ١٩٤٤ . ذلك الرجل الذى كان مسئولا عن سجلات مستشفى بيركيناو . . . » (ص ١٦٩ ، ١٧٠ » ويذكر رايتلينجر فى مناقشته لتقرير مجلس لاجئ الحرب أن « اهم وثيقة هى وثيقة الطبيب اليهودى السلوفاكى المجهول الاسم والذى هرب إلى المجر فى ابريل ١٩٤٤ » . (ص ٥٤٠) . وكان رايتلينجر يشير فى الحالات الثلاث إلى مؤلف القسم الأول من تقرير مجلس لاجئى الحرب وهو ، كما يقول التقرير ، اليهودى السلوفاكى الذى وصل يوم ١٣ ابريل ١٩٤٢ وسجل اسمه برقم هو ٢٩,٠٠٠ . ويشير رايتلينجر إليه بوصفه طبيبا ، ولكن التقرير لا يوضح فى الحقيقة نوعية عمله ، ويبدو أنه كان يفترض أنه « مثقف » أو « كاتب » .

والتطور الثانى كما يبدو هو نشر كتاب « فى ظلال الموت » من تأليف ج . أوشكار نيومان فى إسرائيل فى عام ١٩٥٦ . وكان نيومان أحد زعماء المجالس اليهودية المتعددة ومنظمات المقاومة فى سلوفاكيا . وهو يقول فى كتابه إن الحاخام مايكل روف بير فايتسماندل ، وهو يهودى مجرى أصلا يعيش فى جزء من المجر ضمته تشيكوسلوفاكيا إليها بعد الحرب العالمية الأولى – هو زعيم المقاومة اليهودية فى سلوفاكيا . وطبقا لقصة نيومان ، فإن الشابين اليهوديين السلوفاكيين يظهران فى الوقت المحدد فى سلوفاكيا ، كما يظهر الميجور البولندى (والحقيقة أن تقرير مجلس لاجئى الحرب يوضح لنا الجهة التى هرب إليها الميجور

البولندى) . ويعطى نيومان انطباعا بأنه قابل بالفعل هؤلاء الأشخاص : « ولكن هنا مجلس شهود عيان ذكروا الحقيقة كاملة » . ولا تذكر روايته مؤلفى القسم الثالث المكمل لتقرير مجلس لاجئى الحرب ، ولا يذكر لنا كذلك أسماء الهاربين أو أرقام التسجيل المرسومة بالوشم على جسم كل منهما . ونظرا لأنهما كانا معرضين لخطر أن يعثر عليهما رجال الجستابو الذين كانوا يبحثون عنهما ، فقد نقلا إلى منطقة جبلية نائية طلبا للراحة » . وقد نقل الحاخام فايتسماندل التقرير إلى بودابست وسويسرا وجهات أخرى وذلك بهدف تحذير اليهود الآخرين وللحصول على المساعدة .

وقد هاجر فايتسماندل إلى الولايات المتحدة بعد الحرب وأنشأ معهدا أرثوذكسيا لدراسة التلمود فى ولاية نيويورك . وتوفى فى نوفمبر من عام ١٩٥٧ . على أن مذكراته الخاصة بالحرب قد نشرت بعد وفاته ، فى عام ١٩٦٠ باللغة العبرية لسوء الحظ ، وهى لغة لا أعرفها . ويعد تقرير مجلس لاجئى الحرب الموضوع الرئيسى لكتابه . وقد افترضت أن قصته شبيهة أساسا بقصة نيومان نظرا لأن المؤلفين كانا فى نفس الوضع ولهما نفس الصلات ، على أنه من الممكن أن أكون على خطأ فى هذا الافتراض .

ويبدو أن الحادث التالى ارتبط برايتلينجر ذلك أن عدم ذكر أسماء مؤلفى تقرير مجلس لاجئى الحرب يعد سمة ملفتة للنظر ومثيرة للقلق فى الطبقة الأولى من كتابه كما أدرك هو بنفسه فى اعتقادى . ولا شك أن ذلك قد سبب له حرجا ، إذ يبدو أنه شرع فى البحث عن أسماء مؤلفى التقرير ، لأنه يذكر فى الطبعة الثانية التى نشرت فى عام ١٩٦٨ ، أن رودلف فربا مؤلف أهم جزء فى تقرير مجلس لاجئى الحرب ، أى القسم الأول يعمل بالمستشفيات فى كارديف فى عام ١٩٦٠ . وهكذا يبدو أن اتصال رايتلينجر بفربا فى عام ١٩٦٠ كان أول ظهور لمؤلف مزعوم للتقرير فى أى سجل من السجلات التاريخية . وقد ظهر فربا ، على ما يبدو ، نتيجة لتحريات رايتلينجر . فمدينة كارديف الواقعة فى جنوب ويلز لا تبعد بالصدفة سوى . ١٥٠ ميلا عن موطن رايتلينجر فى سيسكس . ولا يذكر رايتلينجر اسم أى واحد من المؤلفين الآخرين . وهو يعتبر أن الكتاب الذى كتبه بالاستنسل سلبر شتاين ، زميل راينر فى المؤتمر اليهودى العالمى فى سويسرا ، يضم « الرواية الكاملة » للتقرير .

وقد تم تحديد شخصيتى مؤلفا القسمين الأولين من تقرير مجلس لاجئى الحرب (الشابان اليهوديان السلوفاكيان الأولان) وذلك أثناء محاكمة ايخمان فى عام ١٩٦١ .

فقد أدلى شاهدان بشهادتهما بشأن التقرير الذى قدم كدليل مع تفسير يقول إن الشابين اليهوديين السلوفاكيين الأولين هما الفريد فتزلر ورودولف فربا (سابقا دروزنبرج أو روزنتال الذى كان يعيش حينذاك فى انجلترا) . وقد رفضت الوثيقة على أساس أن بعض التناقضات فى الأرقام المقدمة تتطلب مزيدا من التفسير . ولذلك قدم الادعاء فى وقت متأخر من المحاكمة اقرارا كتابيا من فربا يشرح كيف توصل فربا إلى الأرقام التفصيلية الدقيقة الخاصة بالأفواج المنقولة الى أوشفيتز ، وهى السمة الرئيسية فى تقرير مجلس لاجئى الحرب . وتعطى اقراره الكتابى انطباعا بأنه حين كان يتلقى مساعدة من أشخاص عديدين إلا أنه كان المسئول الوحيد عن وضع الأرقام ، كما أنه لا يقدم اسم زميله الذى يفترض أنه هرب معه فى ابريل ١٩٤٤ أو يذكر حتى شيئا عنه ، ولكنه يذكر شخصا يدعى فيليب مويلر كان يساعده بطريقة ما بخصوص أرقامه ، لأن مويلر « هو الشخص الباقى على قيد الحياة حتى الآن ، على ما يبدو » . وقد رفضت المحكمة الإقرار الكتابى الذى أرسله فربا على أساس أن الادعاء ليس له عذر فى عدم إحضاره إلى القدس لكى يدلى بشهادته .

وظهر فربا مرة ثانية فى المحاكمة التى أجريت حول أوشفيتز فى فرانكفورت فى عام ١٩٦٤ ، كما ظهر كتابه « لا يمكننى أن أغفر » الذى اشترك معه فى تأليفه ألان بسيتك » أيضا فى عام ١٩٦٤ ، قبل وقت قصير من ظهوره فى فرانكفورت ، كما ظهر رفيق فربا فى هروبه المفترض ، إذ قيل إن الفريد فتزلر هو الشاب اليهودى السلوفاكى الآخر . وكان فتزلر فى عام ١٩٦٤ ، موظفا مدنيا فى تشيكوسلوفاكيا يبلغ من العمر ٤٦ عاما ، وكان قد وصل إلى أوشفيتز يوم ١٣ ابريل ١٩٤٢ وسجل اسمه تحت رقم ٢٩,١٦٢ . وكان يعمل مسجل مبنى أيضا فى بيركيناو . ووصف فربا بأنه عالم كيمياء حيوية يبلغ الأربعين من عمره ويعيش فى انجلترا وكان قد وصل إلى أوشفتنز فى ٣٠ يونيه ١٩٤٢ وسجل اسمه تحت رقم ٤٤,٠٧٠ . وعمل أيضا مسجل مبنى فى بيركيناو ، وقد ذكرا أنهما هربا يوم ٧ أبريل ١٩٤٤ واتجها صوب براتيسلافا فى تشيكوسلوفاكيا حيث قدما تقريرهما إلى الزعماء اليهود وإلى مبعوث البابا أيضا . وقام الحاخام فايتسماندل بتهريب التقرير إلى بودابست .

ولهذا السبب تختلف قصة عام ١٩٦٤ عن القصة التى رويت لمؤلفى تحليل أدلة هيئة المحكمة العسكرية الدولية فى عام ١٩٤٥ . على أن أخطر تناقض واضح يكمن فى الثقة فى نقل الأرقام المتعلقة بالأفواج المنقولة إلى أوشفيتز . فقد قدم فربا نفسه فى اقراره الكتابى الذى قدم فى محكمة ايخمان فى ١٩٦١ (والذى لم يذكر فيه فتزلر) ، وأيضا فى شهادته فى

فرانكفورت بوصفه المسئول الوحيد عن الأرقام . أما تقرير مجلس لاجئى الحرب ، فعلى حين ينسب الأرقام إلى الرجلين معا فإن يقدم الأرقام فى القسم الأول من التقرير والذى يفترض أن مؤلفه هو فتزلر .

ولا يفسر لنا فربا فى كتابه الصادر عام ١٩٦٤ ، السبب الذى من أجله انتظر ستة عشر عاما قبل أن يتكلم عن فراره من أوشفيتز وتسليمه للاحصائيات التى نشرتها واشنطن فى نهاية الأمر ويتمشى كتابه تقريبا مع قصته تقرير مجلس لاجئى الحرب ، مع بعض تناقضات متباينة فى درجة أهميتها . وعلى سبيل المثال يقول فربا فى الكتاب (ص ١٢٨) إن الفتيات اللائى كن يعملن فى منظمة «كندا» كن يتمتعن بصحة جيدة جدا ، ولكن تقرير مجلس لاجئى الحرب يذكر فى الصفحة الحادية والثلاثين من الجزء الأول أن هؤلاء النساء كن يتعرضن للضرب والمعاملة الوحشية وكانت نسبة الوفيات بينهن أعلى منها بين الرجال» . ومن التناقضات الأخرى فى كتابه ادعاؤه أنه ساعد فى بناء أفران حرق الجثث (ص ١٦ ، وهو أمر غير مذكور فى تقرير مجلس لاجئى الحرب) ، ووصفه لغارة جوية شنها الحلفاء يوم ٩ أبريل ١٩٤٤ الأمر الذى لم يرد فى أى وثيقة (ويذكر فى الصفحة ٢٢٣ أنه اختبأ مع فتزلر فى كومة من الحطب لمدة ثلاثة أيام فى أوشفيتز عقب فرارهما يوم ٧ أبريل . وسوف نناقش احتمال وقع غارة جوية للحلفاء فى شهر ابريل ، فى الفصل الخامس) . ولا يرد ذكر فتزلر إلا لماما فى كتاب فربا . ولا يذكر فربا شيئا عن الميجور البولندى ، أو عن لجوئه إلى موقع جبلى لكى يستريح هناك بعد فراره . على أننى لا أوحى بأن فربا وفتزلر لم يكونا من نزلاء أوشفيتز ، فأرجح الاحتمالات أن يكون الاثنان فى الحقيقة من بين كثيرين ممن بقوا على قيد الحياة من المعسكر .

والأمر الأكثر حسما من التناقضات المتعددة فى تقرير مجلس لاجئى الحرب أو الحقيقة المعروفة ، فى تقييمنا لقصة فربا ، هو لهجة الكتاب العامة ووصفه لسلوك مختلف الأشخاص فى المعسكر وعلى الرغم من أن الكتاب يقدم مادة لا يمكن تصديقها على الاطلاق فى هذا الصدد من البداية إلى النهاية ، فإن أفضل مثال على ذلك هو الوصف الذى قدمه فربا لزيارة زعم أن هيملر قام بها يوم ١٧ يوليه ١٩٤٢ (ص ٩ — ١٥، لم يرد ذكرها فى تقرير مجلس لاجئى الحرب) . وقد اصطف المسجونون استعدادًا للتفتيش وتأهبت الأوركسترا للعزف عندما يصل هيملر . وبينما هم ينتظرون كان قائد الأوركسترا :

« يقف بلا حراك وعصا القيادة مرفوعة ، على استعداد لعزف الموسيقى تحية للضيف الرفيع المقام » .

وعندئذ وقعت الواقعة . الكارثة التى يخشاها كل من يرتكب وزرا لحظة الرعب التى لا تستحقها إلا المناسبات العظيمة الأزمة التى يبدو أنها كل لحظة صدق .

فى الصف العاشر خارج المبنى الذى نقيم فيه ، وجد رئيس المبنى أن الأزرار الموجودة فى سترة يانكل ما يترل ليست كاملة العدد .

واستغرق الأمر ثوانٍ لفهم مدى بشاعة الجريمة . وبعد ذلك وجه إليه لكمة طرحته أرضا .

واختفى عن الانظار . . فقد ضربوه وركلوه حتى لفظ أنفاسه .

وكانت الحاشية المحيطة بهيملر على بعد عشرين ياردة . وتحركت العصا وعزفت الأوركسترا لحنا من أوبرا عايدة .

وكان اللحن هو « مارش النصر » .

وجمعنا فى صفوف وصاح : « انى فوهرر الرايخ ، والآن دعونى أرى كيف ستنصرفون أمامى » .

وأخذ يسير ببطء أمام الصفوف ، سفاح صغير يقلد سفاحا كبيرا ، وهو يحملق فى كل واحد منا بدوره . فإذا وجد أن شخصا ما أظافره قذره أو حذاءه الخشبى لا يلمع كما يجب ، وجه السباب بصوت عالٍ إلى المخطئ ولكزه بعصاه الثقيلة المصنوعة من الخيزران . بل إنه قام بتفتيشنا كما يتم تفتيش أطفال الحضانة . فقد كان ينظر خلف الآذان ، ثم مضى يجوس فى أرجاء الثكنات باحثا عن أية بطانية ليست مطوية بعناية .

ويذكر فربا زيارة أخرى لهيملر (ص ١٥ — ١٩) ، ويبدو أن هذه الزيارة تتفق مع الزيارة التى قامت بها شخصيات بارزة من برلين فى مارس ١٩٤٣ بهدف مشاهدة عملية إعدام بالغاز فى يناير ١٩٤٣ ليشهد إعدام ثلاثة آلاف يهودى بولندى بالغاز . وكان من المقرر إجراء هذه العملية فى الساعة التاسعة صباحا ، ولكن هيملر لم ينته من تناول طعام افطاره إلا فى الساعة الحادية عشرة ، وهكذا اضطر الثلاثة آلاف يهودى إلى الانتظار ساعتين فى غرفة الغاز . وأخيرا شهد هيملر عملية القتل بالغاز وهو فى حالة مرح واسترخاء ، وكان يتناول الحديث مع القائد والآخرين ويلقى نظره بين الحين والحين من خلال ثقب الباب ليشاهد اليهود وهم يختنقون بالغاز .

وتسود هذه اللهجة غير المعقولة فى جميع أجزاء الكتاب ، كما تستطيع أن تتحقق من ذلك عند قراءته إذا كنت تستطيع تحمل ذلك .

ولا يذكر رايتلينجر كتاب فربا فى أى موضع من الطبعة الثانية من كتابه . فهو يكتب عن فربا بوصفه مؤلف « أهم جزء » من تقرير مجلس لاجئى الحرب ، أى القسم الأول ، بالرغم من أن البيانات المقدمة تبين أن هذا الدور كان يجب أن ينسب إلى فيسترل ويبدو أن رايتلينجر لم يهتم بحقيقة أن فربا كان فى الثامنة عشرة فقط من عمره عندما بدأ يجمع ، كما يدعى البيانات العددية وغيرها من البيانات الخاصة بالأفواج الوافدة إلى أوشفيتز ، بهدف إطلاع العالم الخارجى على هذه المعلومات .

ولم يحدث أى تغيير مزعوم ، بقدر علمى ، فى مسألة بقاء أسماء مؤلفى تقرير مجلس لاجئى الحرب الثلاثة المزعومين مجهولة فضلا عن أن أى من الياس أوسوز أو فترلر أو فربا (بوصفه فربا أو روزنبرج أو روزنتال) أو فايتسماندل ، لم يظهر كشاهد فى أى من محاكمات نورمبرج ، بالرغم مما ثار من خلاف فى بعض الأحيان حول دور الوثيقة ٠٢٢ — ل فى هذه المحاكمات .

ولعل التفصيلات وراء اختلاق تقرير مجلس لاجئى الحرب لن تتكشف تماما ، ولكن من المحتمل تماما أن من اختلقوا هذا التقرير قد ذهبوا إلى مدى بعيد فى تزييف تقرير تم تهريبه بأعجوبة إلى سلوفاكيا ثم إلى سويسرا . وإذا كان التقرير قد كتب فى سلوفاكيا ، فانه يبدو من الواضح أنه كان ولابد أن ينسب إلى الحاخام فايتسماندل الاشتراك فى تأليفه على الأقل . ومن المحتمل أيضا ، كما يدعى ، أن التقرير قد سلم للقائم بالأعمال البابوى فى سلوفاكيا ، جوزيبى بورزيو الذى نقله بدوره إلى روما . فمن الواضح أن رجال الدعاية اليهود كانوا يتصلون ببورزيو وأنه كان يقوم بنقل بعض « معلوماتهم » على الأقل إلى روما . ومن الأمور التى نقلها بورزيو إلى الفاتيكان تلك المزاعم التى ترددت فى مارس ١٩٤٢ بأن الألمان ينتزعون الشابات اليهوديات من عائلاتهن ليجعلوا منهن عاهرات للجنود الألمان على الجبهة الشرقية اختلاق تماما ، وان عملية ترحيل شاملة « لجميع يهود سلوفاكيا سوف تتم فى وقت قريب جدا » وبطريقة بالغة الوحشية (لم يحدث أى ترحيل شامل) من هذا القبيل فى سلوفاكيا كما سنلاحظ فى الفصل الخامس من هذا الكتاب) . ولا يهمنا كثيرًا أن نحدد ما إذا كان بورزيو يقدم هذه المعلومات كاجراء روتينى بحت أو لأنه كان يثق فى صحتها ، وإن كان الاحتمال الأخير هو الأرجح . فقد كان الفاتيكان يتلقى الكثير من هذه التقارير

أثناء الحرب ويصفها فى الملفات ، ولكنه لم يكن يثق فى صحتها . ويتمثل موقفه الحالى فى أنه لم يكن هو ولا الوكالات اليهودية يدرك أثناء الحرب أن عمليات الترحيل كانت جزءا من عملية إبادة جماعية عامة (أنظر أيضا الملحق هـ) .

ومن الواضح على أية حال أن تقرير مجلس لاجئى الحرب زائف . اذ أن البيانات التى تضمنها التقرير ليست من نوع المعلومات التى ينقلها الهاربون معهم ، كما أن الزعم بأن يهوديين آخرين قد هربا بعد ذلك ليكملا هذه البيانات ، لهو زعم مضحك تماما . فبدلا من تقديم مؤلفين ظاهرين للتقرير بعد الحرب مباشرة ، بهدف تدعيم هذه الأكذوبة ، يبدو أنهم قد افترضوا أن الأمر كله ليس هاما ، الى أن حدث لسبب ما (ربما كان فضول رايتلينجر) أن قدم مؤلفه بعد مرور ستة عشر عاما على الحدث . وقصة هذا الشخص ليست جديرة بالتصديق .

وهكذا ولدت أسطورة أوشفيتز .

الفصل الرابع

أوشفيتز

والآن نقوم بدراسة رواية الابادة التى وقعت بالتحديد فى « أوشفيتز » ، المقدمة لنا .

تمت المحاكمات التى أسفرت عن الأدلة التى قامت على أساسها دعاوى الإبادة ، فى ألمانيا المقهورة التى سادتها المجاعة والتى لم يكن فى وسع شعبها أن يفعل شيئا سوى تنفيذ ما تريده سلطات الاحتلال . وكانت هذه الحقائق السياسية للأوضاع السائدة آنذاك . ومن المؤكد أن « الدولية الصهيونية » هى التى نظمت ادعاءات الابادة المحددة التى رفعت ، والتى لم يصدقها كبار المسئولين العليمين ببواطن الأمور فى واشنطن . وكانت الشخصية الرئيسية فى تشكيل الجهاز القانونى لمحاكمات جرائم الحرب هو نفس المدعى الأمريكى فى قضايا المحاكمات العسكرية الدولية . وكان القضاة قد أعربوا مسبقا عن ايمانهم بأن المتهمين مذنبون بصورة جلية . وكانت نتائج هذه المحاكمة بمثابة قيد رسمى قانونى بالنسبة لما أعقب ذلك من محاكمات وكانت أهم هذه المحاكمات التى أعقبت ذلك هى تلك التى نظمها الصهيونى الشهير ماركوس ، الذى أصبح فيما بعد بطلا اسرائيليا والذى كان يرأس آنذاك « فرع جرائم الحرب » بالولايات المتحدة ، وهى وكالة مارست تعذيب الشهود فى بعض المحاكمات المعينة . اذ كان « شرف » الدول التى تجرى المحاكمات مرتبطا بافتراض الوحشية غير العادية للنازى . ومن الصعب أن نفهم كيف يمكن للمرء فى ظل هذه الظروف ألا يتوقع حدوث تلفيق ، ويوضح هذا الفصل والفصل التالى له أن الاتهامات الخاصة بأوشفيتز تتفق مع ماينبغى أن يتوقعه المرء .

ويجب أولا توجيه السؤال التالى : ماهى الصفة الأساسية أو « العلامة المميزة » لخدعة على هذا المستوى ؟ لايمكن لأى مؤلف عاقل لمثل هذه الخدعة أن يقدم رواية غير صادقة فى كل تفاصيلها أو معظمها ، بل يمكن أن تتكون الرواية من حقائق صادقة بنسبة ٩٩٪ فى حين أن ادعائها الرئيسى ليس له أى أساس من الصحة . وادراك هذا يؤدى بمؤلف الخدعة الى سلوك أكثر الطرق أمانا للوصول الى غايته أى : تحريف معانى الحقائق الصادقة .

وهذا هو الهيكل الأساسى لأسطورة الابادة فى أوشفيتز . ونوضح هنا أن كل حقيقة

فعلية فى هذه الرواية كان لها (ولا نقول ربما كان لها ، وانما نقول كان لها فعلا) مغزى روتينيًا بصورة نسبية ، ولاصلة لها بإبادة الناس . وبذلك فانه يجب على أولئك الذين يدعون وقوع الابادة أن يتقدموا بافتراض ينطوى على تفسير مزدوج للحقائق ، ولكن لابد عندئذ وبناء على ماذكر ، أن يؤيدنى القارئ غير المتحيز فى وجهة نظرى ، بأن الحاجة قد تبلورت الى وجود تفسير مزدوج وهذه هى العلامة المميزة للخدعة .

وثمة علامة مميزة أخرى غير واضحة تماما فى هذه النقطة ، وسوف تتضح من خلال التحليل . وكذلك ستبرز الحقيقة التى تتناقض وادعاءات الابادة ، وهى الحقائق التى تعتبر « خفايا » بالنسبة لأولئك الذين مازالو يؤمنون بهذه الادعاءات . وستتضح التناقضات واللامعقوليات والأكاذيب الواضحة وستقع فى النهاية الضربة القاضية ، وهى الحقيقة التى تتعارض والادعاءات ، والتى تعتبر من الضخامة بحيث لم يمكن بعد ذلك صدور أى همهات عن « الخفايا » .

لقد كان قائد أوشفيتز فى الفترة من مايو سنة ١٩٤٠ الى أواخر سنة ١٩٤٣ هو الكولونيل رودولف هوسى من قوات بوليس النازى . وكان قد وقع أثناء محاكمته أمام المحكمة العسكرية الدولية على بعض الاقرارات الكتابية لصالح الادعاء وأهم هذه الاقرارات هو الإقرار الموقع يوم ٥ أبريل سنة ١٩٤٦ ووفقا لما كان متبعا فى المحاكمات العسكرية الدولية وفى محاكمات نورمبرج ، فقداستدعاه الدفاع عن كالتنبرونر يوم ١٥ أبريل سنة ١٩٤٦ . وكان أهم مضمون فى شهادته هو تأكيده ، أثناء استجوابه ، لما جاء فى اقراره الكتابى بتاريخ ٥ أبريل ، وقد أكد هذا أيضا فى بعض مراحل الادلاء بشهادته المؤيدة للادعاء .

ويعتبر هوسى ، عامة ، أهم شهود الادعاء وبالرغم مما جاء فى تقرير مجلس لاجئى الحرب عن أصل خدعة أوشفيتز ، فان المتبحرين فى أسطورة الإبادة يعاملون إقرار هوسى تماما كما يعاملون رواية الإبادة فى أوشفيتز ، أو بمعنى أدق يعتبرونه الهيكل الذى قامت عليه الرواية . فإن جميع المدافعين عن اسطورة الإبادة بأوشفيتز يقدمون قصة تتمثل فى إقرار هوسى مع بعض اختلافات عددية فقط أضيفت إبان المحاكمات العسكرية الدولية ومحاكمات نورمبرج وفى الأدلة المماثلة ، ولا يحاول أحد من رواة أسطورة الإبادة الرئيسيين إبراز تقرير مجلس لاجئى الحرب ، ولا يبدو أن أحدا سوى رايتلينجر قد لاحظ وجود مشكلة لها قدر من الأهمية متعلقة بالتقرير .

وبذلك فإن من الملائم أن نسمح الإقرار هوسى ليكون إطاراً ينبنى عليه تحليلنا أيضا .

ونعرض الإقرار بالكامل هنا ثم نستعرض النقط الفردية مع الاهتمام بالشهادة الإضافية والتكميلية . وعندئذ سيبرز أمامنا الازدواج الحتمى كظاهرة لا يمكن انكارها . وستتضح التناقضات واللامعقوليات والاكاذيب المبالغ فيها . وسيبين التحليل شيئا من المناخ النفسى الذى ساد المحاكمات .

وسنهتم أيضا اهتماما ملائما بإبراز المصادر التى يمكن التحقق من صحتها . بما فى ذلك بعض الحالات التى يكون من الملائم فيها الإشارة إلى هيلبرج أو رايتلينجر بدلا من الإشارة إلى وثيقة أصلية من المحتمل ألا يحصل عليها القارئ بسهولة .

اقرار هوس

أقر أنا رودلف فرانز فرديناند هوس ، وقد أقسمت اليمين أولا ، وأدلى بما يلى :

١ – أبلغ من العمر السادسة والأربعين عاما وكنت عضوا فى الحزب النازى منذ سنة ١٩٢٢ ، وعضوا فى البوليس السرى للنازى منذ سنة ١٩٣٤ ، وعضوا فى قوات العاصفة منذ سنة ١٩٣٩ وكنت عضوا فى وحدة حرس البوليس السرى منذ أول ديسمبر سنة ١٩٣٤ ، وهى الوحدة المسماة بتشكيل الجمجمة البشرية .

٢ – عملت بانتظام فى مجال إدارة معسكرات الاعتقال منذ سنة ١٩٣٤ حيث خدمت فى معسكر داخاو حتى سنة ١٩٣٨ ، ثم عملت أركان حرب فى معسكر زاحسنهاوزن ابتداء من سنة ١٩٣٨ حتى أول مايو سنة ١٩٤٠ عندما عينت قائدا لأوشفيتز . وعملت قائدا لأوشفيتز حتى أول ديسمبر سنة ١٩٤٣ ، وفى تقديرى أن مليونين ونصف المليون ضحية على الأقل أعدموا أو أبيدوا هناك بواسطة الغاز والحرق ، وأن نصف مليون آخرين على الأقل ماتوا نتيجة للجوع والمرض وبذلك بلغ مجموع الضحايا ثلاثة ملايين . وهذا الرقم يشكل حوالى ٧٠ أو ٨٠٪ من جميع الأفراد الذين أرسلوا إلى أوشفيتز كمعتقلين ، أما الباقون فقد اختيروا واستخدموا فى أعمال السخرة فى الصناعات القائمة فى معسكر الاعتقال . وكان من بين الذين أعدموا أو أحرقوا حوالى عشرين ألفا من أسرى الحرب الروس (الذين قام الجستابو قبل ذلك بانتقائهم من داخل الزنزانات) والذين تم نقلهم إلى معسكر أوشفيتز فى عربات نقل تابعة للقوات المسلحة الألمانية يقودها ضباط نظاميون من القوات المسلحة . أما باقى عدد الضحايا فيتكون من حوالى مائة ألف يهودى ألمانى وعدد ضخم من المواطنين معظمهم من اليهود الهولنديين والفرنسيين والبلجيكيين والبولنديين والمجريين والتشيك واليونانيين وغيرهم . وقد أعدمنا حوالى أربعمائة ألف يهودى مجرى فى جنيف سنة ١٩٤٤ وحدها .

٣ – كان المكتب الاقتصادى والإدارى الرئيسى برئاسة Obergruppenfuehrer أوزوالد بوهل ، هو المسئول عن كل الشئون الإدارية ، مثل الإيواء والتغذية والرعاية الطبية ، فى معسكرات الاعتقال . وقبل إنشاء المكتب الرئيسى لأمن الرايخ كان مكتب بوليس الدولة السرى (الجستابو) ومكتب الرايخ للبوليس الجنائى هما المسئولين عن الاعتقالات ، وإيداع المعتقلين بمعسكرات الاعتقال وتنفيذ العقوبات وعمليات الإعدام داخل المعسكرات . وبعد تنظيم المكتب الرئيسى لأمن الرايخ ، استمر تنفيذ جميع هذه المهام كما كان متبعا من قبل ، ولكن بناء على أوامر . هيدريتسن بصفته رئيسا للمكتب الرئيسى لأمن الرايخ . وعندما كان كالتبرونر رئيسا للمكتب الرئيسى لأمن الرايخ ، كانت أوامر الاعتقال والايداع بالمعسكرات والعقوبات وأحكام الاعدام الفردية تصدر بتوقيع كالتبرونر أومبولر رئيس الجستابو ، الذى كان يعمل نائبا لكالتبرونر .

٤ – بدأ تنفيذ عمليات الاعدام الجماعى بوساطة الغاز فى أثناء صيف سنة ١٩٤١ واستمر حتى خريف سنة ١٩٤٤ . وكنت أشرف شخصيا على عمليات الإعدام حتى أول ديسمبر سنة ١٩٤٣ وأعرف من خلال استمرارى فى ممارسة مهام عملى على التفتيش على معسكرات الاعتقال والتابع للمكتب الاقتصادى والإدارى الرئيسى أن عمليات الإعدام الجماعى هذه استمرت على النحو السابق ، وكانت جميع عمليات الإعدام الجماعى عن طريق استخدام الغازات تتم بناء على أوامر وإشراف ومسئولية المكتب الرئيسى لأمن الرايخ مباشرة وكنت أتلقى جميع الأوامر الخاصة بتنفيذ عمليات الإعدام الجماعى هذه مباشرة من المكتب الرئيسى لأمن الرايخ .

٥ – توليت فى أول ديسمبر سنة ١٩٤٣ منصب رئيس المكتب (ط) فى المجموعة « د » التابعة للمكتب الاقتصادى والإدارى الرئيسى ، وكنت مسئولا فى هذا المنصب عن تنسيق كل المسائل التى تثار بين المكتب الرئيسى لأمن الرايخ ومعسكرات الاعتقال تحت إدارة المكتب الاقتصادى والإدارى الرئيسى . ولقد شغلت هذا المنصب حتى نهاية الحرب . وكثيرا ما كان بوهل بصفته رئيس المكتب الاقتصادى والإدارى الرئيسى ، يجتمع شخصيا وكالتنبرونر ، بصفته رئيس المكتب الرئيسى لأمن الرايخ وكانا يبحثان المسائل المتعلقة بمعسكرات الاعتقال عن طريق الاتصالات التحريرية والشفهية . وفى ٥ أكتوبر سنة ١٩٤٤ قدمت لكالتنبرونر فى مكتبه بالمكتب الرئيسى لأمن الرايخ ببرلين ، تقريرا مفصلا حول الأوضاع فى معتقل ماوتهاوزن . وطلب منى كالتنبرونر أن أقدم له ملخصا

شفهيا قصيرا لهذا التقرير ، وقال إنه سيؤجل اتخاذ أى قرار حتى تسنح له فرصة دراسة التقرير دراسة مفصلة . ولقد تناول هذا التقرير مسألة اختيار عدة فئات من المعتقلين المحكوم عليهم بالإعدام . . ممن يسمون بالمعتقلين المجهولين » ، للعمل بالمعسكر .

٦ - كان المقصود « بالحل النهائى » للمسألة اليهودية هو الإبادة الكاملة لجميع يهود أوروبا . وقد صدرت إلى أوامر فى يونيو سنة ١٩٤١ لإقامة تسهيلات للإبادة بأوشفيتز . وكان هناك بالفعل فى ذلك الوقت ثلاثة معسكرات إبادة أخرى وهى : بلزيك ، وتريبلنيكا ، وفولزيك وكانت هذه المعسكرات تخضع لإشراف بوليس الأمن وخدمة الأمن . وقد قمت بزيارة معسكر تريبلينكا للاطلاع على الأساليب التى يستخدمونها فى الإبادة . ولقد أبلغنى قائد المعسكر بأنه . قام بتصفية ثمانية ألف معتقل خلال نصف عام . وكان مسئولا أساسا عن تصفية جميع اليهود بالحى اليهودى بوارسو . وقد استخدم فى ذلك غاز أول أكسيد الكربون ولكننى لم أر أن أساليبه تتسم بكفاءة كافية . ولذلك فعندما أنشأت مبنى الإبادة بأوشفيتز لجأت إلى استخدام مادة السيلكون (ب) ، وهو عبارة عن بلورات حامض البروسيك ، حيث كنا نسقطها داخل غرفة الإعدام من خلال فتحة صغيرة . وكان الأمر يتطلب ما بين ثلاث دقائق وخمس عشرة دقيقة لإبادة الأشخاص الموجودين فى غرفة الاعدام وذلك حسب الظروف الجوية ، وكنا نعرف المعتقلين قد ماتوا عندما يتوقف صراخهم . وكنا ننتظر عادة حوالى نصف الساعة قبل فتح الأبواب والتخلص من الجثث . وكانت قوات الكوماندوز الخاصة التابعة لنا تقوم بعد ذلك بانتزاع الخواتم والأسنان الذهبية من الجثث .

٧ - من بين التحسينات الأخرى التى أدخلناها للتفوق على معسكر تريبلينكا ، أننا قمنا ببناء غرف الاعدام بالغاز فى معسكرنا لتتسع لألفى شخص ، فى حين أن كل غرفة من غرف الإعدام بالغاز فى المعسكر الأول ، وعددها عشر غرف ، كانت تتسع لمائتى شخص ، وكان أسلوب اختيارنا لضحايانا هو كما يلى :

كان لدينا طبيبان من الجستابو يعملان فى أوشفيتز لفحص أفواج المعتقلين الوافدين . وكان أحد الطبيبين يقوم باستعراض طابور المعتقلين ويتخد قرارات فورية أثناء مرور الطابور . وكان يتم إرسال الأصحاء القادرين على العمل إلى المعسكر . أما الباقون فكانوا يوفدون فورا إلى منشآت الإبادة . كان الأطفال الصغار يبادون فورا لأنهم لا يصلحون للعمل لصغر سنهم . وثمة تحسين آخر تفوقنا به على تريبلنكا وهو أن الضحايا هناك كانوا تقريبا يعرفون أنهم سيتعرضون للإبادة ، أما فى أوشفيتز فكنا نحاول أن نخدع الضحايا

بإيهامهم بأنهم سيخضعون لعملية تطهير من حشرة القمل . ولكنهم كثيرا ما كانوا يدركون نوايانا الحقيقية ، فكانت تقع لدينا أحيانا اضطرابات ومتاعب نتيجة لذلك . وكثيرا جدا ما كانت النساء يخفين أطفالهن تحت ملابسهن ولكننا كنا نرسل الأطفال عند العثور عليهم إلى غرف الإبادة . وكانت الأوامر الصادرة إلينا تقضى بتنفيذ هذه العمليات فى سرية ولكن الرائحة الكريهة المقززة المنبعثة من حرق الجثث كانت تنتشر بالطبع فى المنطقة كلها وكان جميع من يعيشون فى المناطق المجاورة يعرفون أن هناك عمليات إبادة تتم فى أوشفيتز .

٨ – كنا نتلقى من وقت لآخر من مكتب الجستابو المحلى نوعيات خاصة من المعتقلين وكان أطباء الجستابو يقومون بقتل مثل هؤلاء المعتقلين عن طريق حقنهم بالبنزين . وكان لدى الأطباء أوامر بتحرير شهادات وفاة طبيعية وكان يمكنهم اختلاق أى سبب يخطر على بالهم لتحرير هذه الوفيات .

٩ – كنا نجرى تجارب طبية من وقت لآخر على النساء المعتقلات ، من بينها تجارب للتعقيم وتجارب لها علاقة بالسرطان ومعظم من لقين حتفهن نتيجة لهذه التجارب كن ممن أصدر الجستابو ضدهم مسبقا أحكاما بالإعدام .

١٠ – كان رودلف ميلدنر هو رئيس الجستابو فى كاتوفيتز ، وكان بحكم منصبه رئيسا للإدارة السياسية فى أوشفيتز التى كانت مسئولة عن استخدام أساليب التعذيب عند استجواب المعتقلين ، وذلك فى الفترة من مارس سنة ١٩٤١ تقريبا حتى سبتمبر سنة ١٩٤٣ . وكان بصفته هذه يرسل بالمعتقلين إلى أوشفيتز لسجنهم أو إعدامهم ، وقد زار أوشفيتز فى عدة مناسبات وكثيرا ما كانت محكمة الجستابو التى يحاكم أمامها المتهمون فى عدة جرائم مثل جرائم هروب أسرى الحرب . . . الخ ، تنعقد داخل أسوار أوشفيتز . وكثيرا ما كان ميلدنر يحضر محاكمة مثل هؤلاء الأشخاص ، الذين كان يتم إعدامهم عادة فى أوشفيتز بعد صدور الأحكام ضدهم . وكنت أرافق ميلدنر فى تجوله فى أنحاء مبنى الإبادة بأوشفيتز وكان يبدى اهتماما كبيرا بما يشاهده حيث كان عليه أن يرسل اليهود الموجودين فى منطقته إلى أوشفيتز حيث تنفذ أحكام الإعدام فيهم .

وأقر أننى أفهم الإنجليزية التى كتبت بها التقرير السابق . وأن البيانات السابقة صادقة وإننى أعلن ما جاء به بمحض إرادتى وبدون إكراه ، ولقد وقعت على التقرير بعد أن راجعته وقد قدمت تقريراً مماثلا فى نورمبرج بألمانيا فى اليوم الخامس من شهر أبريل سنة ١٩٤٦ .

توقيع

رودلف هوس

هذا ، وثمة بعض المعلومات التى لم ترد ضمن الإقرار الكتابى وإن كان البعض قد يرى أن لها علاقة بالموضوع وهى أن هوس ، وكان قد ارتكب فى العشرينات من القرن الحالى ، عندما كان من مثيرى الشغب لأسباب وطنية ، جريمة قتل سياسية عوقب بسببها بالسجن لمدة خمس سنوات ، وأنه بدأ حياته العملية فى سنة ١٩٣٤ بمعسكرات الاعتقال فى داخاو برتبة عريف . وقد يبدو لنا أنه ترقى بسرعة غير عادية حيث إنه خلال الأسابيع الأخيرة من الحرب فى سنة ١٩٤٥ كان برتبة كولونيل وكان يتولى إجراء المفاوضات الخاصة بشئون معسكرات الاعتقال مع الصليب الأحمر وممثلى الدول المحايدة . وأرجح الاحتمالات أن انخفاض رتبته فى سنة ١٩٤٣ كان نتيجة لتوسيع الجستابو بعد عملية تطهيرروهم قائد قوات العاصفة فى يونيو سنة ١٩٣٤ ثم زيادة توسعه بعد بدء الحرب .

والآن سنقوم بتحليل النقاط الهامة فى الإقرار المشار إليه . ان خريطة بيركيناو تبدو فى الشكل رقم ٢٩ ، وهى موضوعة على أساس المعلومات التى تم تجميعها أثناء « محاكمات أوشفيتز » التى أجريت خلال الفترة من سنة ١٩٦٣ إلى ١٩٦٥ ، ولكن تقرير مجلس لاجئى الحرب يقدم لنا خريطة مماثلة أيضا .

الفترة الثانية :

كان من المفيد وضع الأمور فى نصابها السليم لو أن هوس قد أشار باقتضاب إلى طبيعة « الصناعات الموجودة بمعسكر الاعتقال » فى أوشفيتز ، وإلى مدى أهمية هذه الصناعة بالنسبة للألمان . ولا توجد فى المحاضر الكاملة للمحاكمات العسكرية الدولية سوى إشارة واحدة تحدد طبيعة الصناعة الموجودة بأوشفيتز . ولقد وردت هذه الإشارة فى شهادة المعتقلة السياسية فايال كوتوربير « حيث أشارت بشكل عابر إلى « مصنع زخيرة » (لا شك أنه مصنع كروب لفتائل المفرقعات) وإلى « مصنع ضخم للمطاط الصناعى وحيث إنها تعمل به (فانها) تعرف ما هى طبيعة انتاجه » . وربما وردت إشارات أخرى ، خاصة فى الوثائق ، ولكن إذا صح هذا فانها قد اخفيت تماما .

ولم يتمسك أحد حتى هو هوس نفسه بأن عدد الضحايا الذين أعدموا بالغاز بلغ مليونين ونصف مليون شخص ، بل قال سرا فى الفترة التى أدلى فيها بشهادته وكذلك أثناء محاكمته سنة ١٩٤٧ فى بولندا (حيث أعدم شنقا) أن عدد الضحايا هو مليون ومائة وخمسة وثلاثين ألف شخص وكان أصغر رقم ذكره من يزعمون أن الإبادة بالغاز قد

حدثت فعلا ، هو سبعمائة وخمسين ألفا . وزعم الروس أن عدد الضحايا بلغ أربعة ملايين بما فى ذلك بعض الذين قتلوا « بالحقن » ، وسوء المعاملة . . الخ » ، غير أن أعلى رقم ذكر هو سبعة ملايين ضحية .

وقد اتفقت الإشارة إلى الأربعمائة ألف يهودى مجرى مع التأكيد الغريب الذى ورد فى أسطورة اليهود المجريين . وقد ظهر هذا التأكيد قبل مدة طويلة من إقرار هوس ، لكتابى كما انه استمر قائما حتى يومنا هذا . ومن المفترض أن ايخمان فى ٥ مايو سنة ١٩٤٤ ، من خلال وساطة جول براند ، اجراء مقايضة مع الحلفاء الغربيين « على أساس مبادلة يهود المجر بعربات نقل » . ويبدو أن التركيز المستمر على مسألة يهود المجر هو نتيجة للتركيز الذى بدأ منذ سنة ١٩٦٠ على نشاط ايخمان والتفسير الوحيد الذى أستطيع تقديمه كتبرير للتركيز على هذه المسألة فى بداية الأمر هو أن المشاكل التى واجهها يهود المجر قد بدأت فى مارس سنة ١٩٤٤ مع بدء الاحتلال الألمانى للمجر والذى حدث فى نفس الفترة التى بدأ مجلس لاجئى الحرب » ، الذى أنشئ فى يناير من نفس العام ، يمارس فيها أعماله . ومن ثم فقد تركز الجزء الأكبر من اهتمام المجلس حول المجر . وسنولى مشكلة يهود المجر اهتماما خاصا فى الفصل التالى .

الفترة الرابعة :

حدد هوس صيف سنة ١٩٤١ كبداية لعمليات الإبادة بالغاز . وقد تمت ترقيته فى ديسمبر سنة ١٩٤٣ إلى منصب مفتش على معسكرات الاعتقال فى أورانينبورج ولكنه عرف « نتيجة للاستمرار فى ممارسة مهام » عمله هناك أن « عمليات الإبادة الجماعية هذه قد استمرت » . والزعم بمعرفة الأحداث فى أوشفيتز أثناء العمل فى جهاز التفتيش . يبدو أمرا معقولا ، ولكنه قال فى شهادته أنه استدعى (أى هوس) فى صيف سنة ١٩٤١ ليقدم تقريرا مباشرا لهيملر وأنه أثناء الاجتماع ، تلقى قائد معسكر الاعتقال أمرا مباشرا من القائد الأعلى للبوليس السرى النازى بالبدء فى إبادة اليهود . بشرط الالتزام « بالسرية المطلقة » ، وألا يسمح حتى لرئيسه المباشر ، جلوكس ، بالاطلاع على ما يفعله . ويمكن القول إذن أن جلوكس كان فى ذلك الوقت يشغل منصب مفتش معسكرات الاعتقال وأنه كان مرؤسا مباشرا لرئيس البوليس السرى النازى .

الفقرة السادسة :

سيتضح فى فصل تال معنى عبارة « الحل النهائى » للمسألة اليهودية ، ويقول هوس أن الأوامر صدرت إليه فى يونيو سنة ١٩٤١ لإقامة تسهيلات إبادة فى أوشفيتز » . وهو بذلك إنما يؤكد التاريخ الوارد فى الفقرة الرابعة ، ومرة أخرى أعاد تأكيد هذا التاريخ فى شهادته المدعمة للإقرار الكتابى ، ولا يبدو أى شك فى أن هوس حدد بادراك وعن عمد صيف سنة ١٩٤١ كبداية لهذه الأعمال وأنه ليس هناك أى خطأ فى المسألة . وشهد هوس أيضا أنه عندما أصدر هيملر أمره هذا كان جهاز التفتيش على معسكرات الاعتقال (جلوكس) « يخضع مباشرة » . لهيملر . ولا يمكن أن يكون هذا صحيحا إلا إذا كان هذا وقع قبل مايو سنة ١٩٤٢ ، عندما تولى أوزوالد بوهل ، رئيس المكتب الاقتصادى والإدارى الرئيسى (الفقرة الثالثة) رياسة جهاز التفتيش وبدأ جلوكس فى تقديم تقاريره إلى بوهل . الذى كان يقدم التقارير بدوره إلى هيملر . أما قبل مارس سنة ١٩٤٢ فانه يبدو أن جهاز التفتيش كان جهازا يتيما ، وربما كانت تقاريره تقدم إلى هيملر مباشرة ، وأن كانت تربطه صلة ما بكل من هيدرتيسن والمكتب الرئيسى للعمليات التابع لجوتنر. ومن الطبيعى أن هوس كان يعلم بهذه الترتيبات الإدارية حيث إن بوهل عقد فى آخر ابريل سنة ١٩٤٢ اجتماعا حضره جميع قادة المعسكرات وجميع قادة التفتيش بغرض بحث هذه الترتيبات بالتحديد .

وعلى الرغم من كل هذا فإن رايتلنجر يصر على أن هوس لابد كان يعنى صيف سنة ١٩٤٢ وليس صيف ١٩٤١ ، وذلك لأسباب ستتضح فيما بعد ولأسباب أخرى أيضا .
أولا : أن هناك زعما ضمنيا واضحا فى إقرار هوس وهو أن زيارته لمعسكر تريبلينكا تمت بعد نقل مجموعات كبيرة من يهود وارسو إلى ذلك المعسكر . وقد أكد هوس هذه النقطة بوضوح فى إقرار كتابى آخر ، مما يؤكد موعد زيارته لمعسكر تريبلينكا فى سنة ١٩٤٢ .
ثانيا : أنه وفقا لمصادر رايتلنجر ، فإنه أول فوج كبير (لألفان) من اليهود قد وصل إلى بيركيناو فى مارس سنة ١٩٤٢ ، « فى أعقاب بدء تشغيل منشآت الإبادة بالغاز الصغيرة ببيركنفالد » . وفى واقع الأمر فان مثل هذه المجادلات لا تؤدى إلا إلى زيادة البلبلة ، خاصة إذا عرفنا أيضا أن هوس تلقى أوامر الإبادة فى صيف سنة ١٩٤٢ .

تلك هى ببساطة أنواع التناقضات التى لابد أن يتوقع المرء ظهورها من بين مجموعة

أكاذيب . إلا أنه يجب ، من أجل المناقشة ، أن نسلم بأن هوس كان يعنى بالفعل فى ذلك الوقت سنة ١٩٤٢ ونتنقل إلى أمور أخرى غير أن هوس يؤكد فى جميع الحالات أنه كان يوجد فى ذلك الوقت الذى أصدر هيملر الأمر المشار إليه ، ثلاثة معسكرات اعتقال أخرى تمارس الإبادة ، وأنه زار معسكر تريبلينكا ، وأن عمليات الإبادة كانت تتم فى هذا المعسكر منذ نصف عام ، وهذا يجعل بداية ممارسة الإبادة فى غرفات الغاز فى بداية سنة ١٩٤٢ إذا أخذنا بوجهة نظر رايتلنجر .

ولابد أن نعترف بأن استخدام غاز أول أكسيد الكربون فى الإعدام ليس فعالا . ومن المعتقد أن غاز أول أكسيد الكربون الذى كان يستخدم فى بلزيك هو عادم ماكينة ديزل ، أما فى تريبلينكا فكان يتم استخدام عادم الدبابات والعربات الروسية التى وقعت فى أيدى الألمان .

ويجب على المرء أن يوافق أيضا على استخدام السيكلون (ب) كان أكثر كفاءة حيث أنه يتكون من بلورات تتحول بتعرضها للهواء إلى « حامض البروسيك » (غاز سيانيد الأيدروجين) . ولا يوجد غاز يفوقه فى تأثيره القاتل والواقع أن السيلكون كان معروفا جيدا ومستخدما على نطاق واسع كمبيد حشرى من صناعة الشركة الألمانية للمبيدات الحشرية . وكان قد تم تسويق هذه المادة على نطاق عالمى قبل الحرب كمبيد حشرى ، والمقصود بكلمة سيلكون أن هذه الانتاج له مفعول الاعصار على الحشرات . وكانت هذه المادة تستخدم إبان الحرب فى داخل القوات المسلحة الألمانية وشبكة المعسكرات ، وعلى هذا كانت تستخدم كمبيد حشرى فى أوشفيتز . وكان طلب السيكلون واستلامه يتم بواساطة المكتب المعروف فى أوشفيتز باسم مكتب القضاء على الحشرات .

لقد لاحظنا مدى تهديد التيفوس المستمر الذى تحمله حشرة القمل وكذلك عرفنا النتائج الوخيمة للانهيار الكامل لإجراءات التطهير فى بلسن . ونظراً لأن الظروف الخاصة بعمليات أوشفيتز – كاتوفيتز كانت ملائمة لانتشار القمل الذى ينقل التيفوس ، ونظرا لحقيقة انتشار الأوبئة فى أوشفيتز مما أدى إلى توقف العمل هناك بالفعل ، وبالنظر إلى ما للصناعة الموجودة فى أوشفيتز من أهمية كبرى بالنسبة للمجهود الحربى الألمانى ، فليس من المستغرب أنه تم استخدام السيكلون بكميات كبيرة هناك ، وفى المنطقة المحيطة بها ، وفى الغرض المطلوب . وهذه المادة الكيمائية المعروفة بأنها المبيد الحشرى الذى استخدم فى أوشفيتز بهذه الصفة ، هى نفس المادة التى أثار إليها تقرير مجلس لاجئى الحرب ، بل التى

أشير إليها حتى قبل ذلك بكثير ، والتى ما زال يتردد حتى يومنا هذا ، أنها مصدر الغاز الذى استخدم فى إبادة اليهود بمعسكر أوشفيتز .

ولا يليق القول بأن دور السيكلون كمبيد حشرى قد تم اخفاؤه ، فقد أشار تقرير مجلس لاجئى الحرب إلى دور السيكلون فى مقاومة الطفيليات ، وأشارت محاضر المحاكمات العسكرية الدولية بصراحة إلى الدور المزدوج الذى لعبته مادة السيكلون فى أوشفيتز ، ويجب أن نحرص هنا على الإشارة إلى أهمية المزاعم الخاصة بالسيكلون (ب) بالنسبة للأسطورة . وهناك سنكشف عندما نبدأ فى فحص مزاعم الإبادة الخاصة بأوشفيتز أنه يوجد فى نقطة رئيسية إحدى الصفات الهامة بالنسبة لأى خدعة وهى وجود واقعة تحتاج إلى تفسير مزدوج . ولم تبحث هذه النقطة أو حتى تقدر حق قدرها ، على ما يبدو ، فى كل ما كتب عن « الحل النهائى » فان هيلبرج لا يفعل شيئا سوى إلا ولاء بتأكيدات غير ذات موضوع إطلاقا تفيد بأن « القليل جدا استخدم فى التبخير» ثم يستشهد بمصادر غير مقنعة ، أما رايتلنجر فليس أفضل حالا .

وكان الاستخدام التقليدى للسيكلون يتمثل فى تطهير الغرف والثكنات يتم ذلك عن طريق احكام إغلاق كل شىء ثم حسب الكمية اللازمة من ماده السيكلون ، التى كانت تجلب فى علب خضراء ، فى داخل الغرف ، وبعد فترة كافية لقتل جميع حشرات القمل وغيرها من الحشرات يتم فتح المكان وتهويته . ويمكن استخدام هذه المادة فى تطهير الملابس عن طريق استخدام « غرف الإبادة » ، التى كانت صناعة المبيدات بألمانيا تقوم بتسويقها ، وأن كانت حمامات البخار تستخدم أيضا فى ذلك الوقت لتطهير الملابس خاصة فى المنشآت الثابتة ، وكانت « غرف الإبادة » مفضلة بالنسبة للأحوال الخاصة أو التى تتميز بدرجة عالية من التحرك . وكان الجيش الأمريكى ، الذى كان يعانى أيضا إبان الحرب من مشكلة الحشرات والقضاء عليها يستخدم وسائل مماثلة ، وابتكر « غرفة ميدانية » . ونظرا لأن الولايات المتحدة دخلت الحرب فى وقت متأخر ، فقد أتيحت لها فرصة لاستخدام المادة الكمائية المستنبطة حديثا آنذاك وهى مادة الدى . دى . تى فى المهام التى كان الألمان يستخدمون فيها السيكلون . وكان من الطبيعى أن يستخدم الأمريكيون « الدى . دى . تى » من معسكراتهم – سواء أكانت اعتقال أم غيرها . وكان الدى . دى . تى باعتباره مبيدا حشريا أكثر تقدما ، وأكثر استخداما لأسباب عديدة ، فلم يكن مثلا مهلكا للبشر بنفس درجة مادة السيكلون ، التى كانت مهلكة إلى درجة كبيرة ، والتى

كان يضاف إليها فى العبوات المخصصة للتسويق « مادة محذرة » ، وهى عبارة عن مادة مهيجة تنبعث من السيكلون قبل انطلاق غاز السيانيد منه ، ومن المعتاد الابتعاد عن التكلف والتأنق فى الانتاج المخصص للاستخدام العسكرى ، ومن ثم فإن المادة المهيجة لم تكن تضاف إلى السيكلون المستخدم فى معسكرات الاعتقال .

وقد تأكد الدور المزدوج للسيكلون فى ٢٨ يناير سنة ١٩٤٦ أثناء المحاكمات العسكرية الدولية من أقوال أحد الشهود الذين قدمهم المدعى الفرنسى دى بوست ، ثم قدم دى بوست فى ٣٠ يناير الوثيقة رقم ١٥٥٣ – ب س كدليل إثبات ، وهى تضم عددا من الفواتير المرسلة من الشركة الألمانية للمبيدات الحشرية إلى الملازم أول كورت جير شتاين بالبوليس السرى النازى ، عن كميات مختلفة من مادة السيكلون أرسلت إلى أورانينبورج والى أوشفيتز ، بالإضافة إلى تقديمه لتقرير مطول منسوب إلى جيرشتاين ، وقد تم قبول شطرى الوثيقة ضمن الأدلة بعد تردد بسبب بعض الشكليات القانونية ، إلا أن ادعاءات راسينيه ورايتلنجر تشير إلى عكس ذلك وهو أن التقرير قد رفض . وتتضمن مجلدات المحاكمات العسكرية الدولية اثنتين من هذه الفواتير كما ورد جزء من التقرير فى مجلدات نورمبرج وتشمل نماذج الفواتير الواردة فى مجلدات المحاكمات العسكرية الدولية ، فاتورة تشير إلى إرسال ١٩٥ كيلو جراما من السيكلون إلى أورانينبورج وفاتورة أخرى بإرسال كمية مماثلة إلى أوشفيتز . ومن المحتمل أن مادة السيكلون المرسلة إلى أورانينبورج كانت مخصصه لمعسكرات أخرى وأن كمية السيكلون المرسلة إلى أوشفيتز ، شاركتها فيها كل المعسكرات الصغرى فى المنطقة وربما أيضا مناجم الفحم .

وتبين قضية كورت جيرشتاين أنه لاحد لما يمكن أن يصل إليه الأذكياء من سخافات بمجرد قبولهم للكذب على أنه حقيقة وها هو ذا جيرشتاين نفسه الذى يظهر كشخصية رئيسية فى مسرحية « النائب » للمؤلف المسرحى رولف هو خوث .

وكان لقب جيرشتاين فى الجستانو هو الضابط المسئول عن التطهير فى مكتب قائد الشئون الصحية بالشرطة السرية العسكرية بصفته هذه ، كان مسئولا عن الإشراف على توزيع المواد المطهرة على جميع المعسكرات الخاضعة لإشراف الجستابو ، وأمامنا روايتان لما حدث له فى نهاية الحرب . وتذكر الرواية الأولى أنه لقى مصادفة مع المحققين الأمريكيين فى أحد الفنادق بروتفيل ، وهو فندق « الغابة السوداء » ، وأنه روى لهم أنه شغل منصبا مسئولا فى حزب النازى بينما كان يشتغل عميلا سريا لحساب الأب نيمويلر ، الذى كان

يعادى النازية أحيانا وأنه عمل فى تشغيل غرف الغاز وأنه مستعد لتقديم شهادة أمام أى محكمة . ثم قدم لهم بعد ذلك وثيقة من سبع صفحات نسخت على الآلة الكاتبة باللغة الفرنسية ، ومعها مذكرة بالإنجليزية وبعض الفواتير الخاصة بالسيكلون ، ثم اختفى . أما الرواية الأخرى فانه يجد نفسه بطريقة ما فى سجن شيرسن – ميدى بباريس – حيث كتب وثيقة بخط يده باللغة الفرنسية وأرفق بها فواتير السيكلون ثم شنق نفسه فى يوليو سنة ١٩٤٥ . وفى كلتا الروايتين لم يتم العثور عليه أبدا أو على جثته . فقد اختفى بعد أن ترك وراءه فيما يقال . « بيانا » وبعض فواتير السيكلون ، التى أصبحت تعرف بعد ذلك باسم الوثيقة رقم ١٥٥٣ – ب س ، والرواية الأولى لقصة جيرشتاين هى الورادة فى الشرح المرفق مع الوثيقة .

وحتى إذا لم تقدم لنا مثل هذه الرواية المشبوهة عن جيرشتاين فاننا كنا سنشك فى صدق « البيان » . بمجرد معرفة المضمون لأن القصة التى يرويها سخيفة لأقصى حد ، فمثلا فانه يفيد بأن جيرشتاين تولى منصبه فى الجستابو لكى يحاول تخريب عمليات الإبادة (وهو رجل تسلل إلى الجحيم لهدف واحد وهو الا ولاء بشهادته أمام العالم ومساعدة الضحايا) . ويتضمن الملحق أ ، نص البيان بما فى ذلك الجزء الذى نشرته محاكمات نورمبرج العسكرية ، وليس لهذا « البيان » أهمية كبيرة بالنسبة للتحليل ولكن لابد للقارئ أن يفحصه فى وقت ما . فهو يتصف بالجنون المطبق . وليس من المستغرب أن يعلق الذين يستطيعون أن يأخذوا هذه الرواية على محمل الجد على « غموض الخبر » و « أن يشعروا » ببعض الانزعاج وبعدم القدرة على التوصل إلى تفسير كامل لشخصية جيرشتاين » . وتبدأ مسرحية « النائب » باقتحام جيرشتاين غرفة الاستقبال فى مقر البعثة البابوية ببرلين ، وهو يروى بأنفاس مقطوعة قصة بيانه للمبعوث البابوى .

ولا يمكن أن يغتفر لهيلبيرج ورايتلنجر تماما استخدامهما مثل هذا « البيان » الواضح زيفه كمصدر وبدون أى عذر . بيد أن رايتلنجر يشير إلى أن هتلر لم يقم أبدا بزيادة لويلين كما يؤكد البيان .

ولا تعتبر الشركة الألمانية للمبيدات الحشرية هى الشركة الوحيدة المتورطة فى عملية « الإبادة » . فقد كانت شركة تشك وستابنيو تمد عملاءها بالسيكلون وذلك بالمعدات اللازمة « لغرف الإبادة » من الحجم المعتاد وهو عشرة أمتار مكعبة أو أقل من ذلك . وقد عرفنا من الفصل الثانى بوجود مثل هذه الغرفة فى داخاو ، وأنها تمثل بالطبع غرفة إعدام ،

وذلك فى المراحل الأولى من الحملة الدعائية ، وإن كانت لا توجد اليوم أى محاولة لوصفها بأى شىء أنها « حجرة تطهير » .

وقد تم إعدام تسك وفاينباخر شنقا باعتبارهما المسئولين فى الشركة اللتين قاما ببيع بعض معدات « غرفة الإبادة » لمعسكر جروس – روزن ، وذلك للدور الذى قاما به فى عملية الإبادة ، وبعد أن رفضت المحكمة العسكرية البريطانية التماسها المبنى على أنهما يكونا على علم بأن بضاعتهما ستستخدم فى غرض آخر غير التطهير ، وكذلك التماسها البديل بأنه لم يكن فى الإمكان رفض أوامر الجستابو .

الفقرة السابعة :

وفقا للإقرارات الكتابية المقدمة من هوس وانتريس فى سنة ١٩٤٧ كانت غرف الغاز التى بدأ استخدامها لأول مرة فى صيف سنة ١٩٤٢ (مما يتناقض وإقرار سنة ١٩٤٦) غرفا مؤقتة تتكون من منزلين ريفيين قديمين تم احكام إغلاق جميع المنافذ بهما ، وتأكد فى محاكمات أوشفيتز سنة ١٩٦٣ – ١٩٦٥ ، أن « المستودع » الوارد فى الشكل رقم ٢٩ كان واحدا من تلك الغرف البدائية . وسنبحث فيما يلى طبيعة « غرف الغاز التى أقيمت بعد ذلك » .

وهنا نصل إلى نقطة ملائمة لإثارة الاعتراضات بالنسبة لتسلسل المسئولية والسلطة فى العمليات . ويقول هوس إنه كان يتلقى أوامره مباشرة من هملر أثناء صيف سنة ١٩٤٢ ، وهو ما اتفقنا عليه وهذا يعنى أن هملر لم يتخط جلوكس فحسب بل تخطى أيضا بوهل ، عندما أصدر هذا الأمر مباشرة إلى قائد المعسكر ، مطالبا إياه بألا يطلع جلوكس بوجه خاص ، على ما يجرى . أى أن هملر تخطى ثلاثة مستويات إدارية أو أكثر مرؤسة له لإصدار الأمر والتأكيد على هوس ضرورة المحافظة على سرية تعتبر مستحيلة . وهو أمر غير طبيعى تماما .

وليس هذا كل شىء ، فالرواية التى يقدمها إقرار هوس وشهادته وكل المصادر الأخرى هى أن الحكومة الألمانية تركت (فيما عدا بعض التطورات اللاحقة التى سنبحثها فيما بعد) أساليب القتل ، والمواد اللازمة ، لتقدير وابداع القائد المحلى للمعسكر . ويقرر هوس تعديل منزلين ريفيين قديمين . ويكتشف هوس مصادفة عبوات السيكلون أثناء طوافه بالمعسكر فيقرر أن هذه المادة ستوفر أكثر كفاءة لحل المشكلة اليهودية من تلك الوسيلة

المستخدمة فى تريبلينكا ، حيث تم استخدام بعض الدبابات وعربات النقل الروسية المستولى عليها فى عملية الإبادة . ولا يمكن وصف كل هذا بالحماقة ، ومن الواضح أن رايتلنجر شعر بقلق ازاء « مشكلة » تحديد المسئولية عن قرار استخدام السيكلون ولكنه لا يفعل شيئا فى هذه المشكلة سوى تعقيدها بقوله أن هتلر (!) قرر فى النهاية استخدام مادة السيكلون و « الشكوك تراوده » .

ويقال لنا ان اليهود غير القادرين على العمل كان يتم إعدامهم بالغاز فور وصولهم (من ثم فانه فى معظم الأحوال لا تظهر اسماؤهم فى أى سجلات مكتوبة) إلا أنه تظهر لنا رواية تتناقض بشكل مباشر مع هذا الزعم فى تقرير مجلس لاجئى الحرب .

ووفقا لما جاء فى هذا التقرير فإن فوجا ما بين أربعة آلاف وخمسة آلاف يهودى من تيرزتشتاد ، سافروا فى مجموعات أسرية . وصل فى سبتمبر سنة ١٩٤٣ إلى بيركيناو . وقد احتفظوا بأمتعتهم وأنه تم ايواؤهم كأس فى قطاع المعسكر الذى يظهر فى الشكل رقم ٢٩ . وكانوا يتمتعون بحرية المراسلة ، وأقيمت لهم مدرسة للأطفال ، ولم يرغم الرجال على العمل فقد اعتبروا أنهم يمضون فترة حجر صحى لمدة ستة أشهر . ويقال إنهم اعدموا فى غرف بالغاز فى ٧ مارس سنة ١٩٤٤ وأن « الشبان واجهوا الموت وهم يغنون » وقد استلم أقارب هؤلاء اليهود خطابات منهم مرسلة بتاريخ ٢٣ أو ٢٥ مارس ، ولكن يقال أنهم كتبوا الخطابات فى أول مارس ولكنها أرخت بتاريخ لاحق بناء على أوامر السلطات الألمانية .

وقد تكرر هذا الإجراء ذاته مع مجموعة ثانية من الأسر اليهودية ، مكونة من خمسة آلاف شخص وصلوا فى ديسمبر سنة ١٩٤٣ قادمين من يترزنشتاد ، وكان من المقرر أن تنتهى مدة الحجر الصحى بالنسبة لهم فى يونيو سنة ١٩٤٤ . وأسندت بعض الأعمال إلى عدد من رجال الفوج . ووفقا لما يوصف بالسجلات الحية الباقية ، فإن ألفين من هؤلاء اللاجئين كانت اسماؤهم مدرجة فى قوائم العاملين فى مايو ١٩٤٤ ، بينما كان هناك ١٤٥٢ شخصا ما زالوا فى الحجر الصحى وكان ١٥٧٥ آخرين فى « انتظار الترحيل » الأمر الذى يعتقد رايتلنجر انه يعنى فى الواقع « فى انتظار نقلهم إلى غرف الغاز » وقد تكرر هذا مرة ثانية مع مجموعة من أسر يترزنشتاد ، وصلت فى مايو سنة ١٩٤٤ . وحيث إن هؤلاء الأشخاص وضعوا فى الحجر الصحى فانه من المؤكد أن الأماكن التى نزلوا فيها قد طهرت باستخدام مادة السيكلون قبل انتقالهم مباشرة وربما أيضا فى بعض الفترات أثناء اقامتهم

هناك . ويطلب منا الآن أن نصدق أن الألمان خططوا لقتلهم فيما بعد بنفس المادة الكيمائية .

وقد رددت هذه الرواية ذاتها بوجه عام أثناء المحاكمات العسكرية الدولية . وليس من الغريب أن نجد مثل هذه التفاصيل فى تقرير مجلس لاجئى الحرب . فإن ما كان يهود تيرزتشتاد يتعرضون له فى الفترة ما بين ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ كان معروفا تماما فى أوروبا . ففى أكتوبر سنة ١٩٤٣ تم ترحيل ٣٦٠ يهوديا من الدانيمارك إلى تيرزنشتاد ، « حيث يمكن التأكيد لملك الدانيمارك بأن يطمئن على سلامتهم » ، وقد أشرنا فى الفصل السابق إلى مسألة الزيارة التى قام بها مبعوث الصليب الأحمر فى يونيو سنة ١٩٤٤ ، وتستحق مسألة اهتمام الصليب الأحمر بموضوع تيرزنشتاد ، مزيدا من البحث فى الفصل التالى . وقد ورد فى تقرير لزيارة الصليب الأحمر فى سنة ١٩٤٥ للمنطقة نبأ عن نقل عدد من اليهود فى سنة ١٩٤٤ إلى أوشفيتز ، ولم يتضمن أى تفسيرات تنبئ عن وقوع شرور .

إن القول بأن يهود تيرزنشتاد كانوا قبل انتهاء فترة الحجر الصحى مباشرة فى « الانتظار الترحيل » ، إنما هو أمر منطقى تماما ، حيث إنه من المعروف أن كثيرا من هؤلاء اليهود كان يجرى ترحيلهم شرقا . ويقرر أحد المصادر المضمونة من قبل الحكومة الاسرائيلية ، وكان موجودا فى تيرزنشتاد أن الألمان كانوا ينقلون يهود تيرزنشتاد فى الفترة من سنة ١٩٤١ حتى ١٩٤٤ إلى بعض الأماكن مثل منسك فى روسيا وريجا فى لاتفيا . ولابد وأن يمر المرء بعدد من « معسكرات الابادة » فى الطريق من تيرزنشتاد إلى تلك المدن . ويفيد المصدر أيضا أن شباب يهود تيرزنشتاد ظلوا حتى أغسطس سنة ١٩٤٤ متحمسين للتطوع فى عمليات ترحيل أفواج اليهود إلى أوشفيتز . وقد زعم الحاخام ليوبايك أن أحد الأشخاص قد هرب من أوشفيتز فى أغسطس سنة ١٩٤٣ ، وشق طريقه عائدا إلى « تيرزنشتاد » ، حيث روى لبايك عن عمليات القتل بالغاز . وقد شرح بايك السبب فى أنه لم يذكر ما سمعه لأى انسان فى ذلك الوقت وهذا يفسر – كما لابد وأن يقال لنا بالتأكيد – كيف كان من الممكن أن يتحمس كل هؤلاء الناس « بجهلهم » لترحيلهم إلى أوشفيتز .

بيد أن الجزء الخاص بيهود « تيرزنشتاد » فى أسطورة أوشفيتز لا يحتاج إلى أدلة مضادة لاثبات سخافته الواضحة . فليس من المعقول أن يأوى الألمان فى بيركناو لمدة ستة أشهر ثلاثة مجموعات مختلفة من الاشخاص فى الوقت الذى يعدون لهم فيه برنامج ابادة فى بيركناو والدور المزدوج الذى تلعبه مادة السيكلون فى هذه الرواية لا يؤدى إلا إلى الانتقال

من اللا معقولية إلى الغرابة المضحكة التى لا مثيل لها .

وإذا فحصنا المصدر الباقى الآخير لما يوصف بأنها معلومات احصائية حول عمليات الترحيل إلى أوشفيتز ، فإننا نجد نفس الموقف . والمعلومات الواردة فى تقرير الصليب الأحمر الهولندى يمكن الثقة بها أكثر من تلك الواردة فى تقرير مجلس لاجئ الحرب ، وأن كانت مقتضبة إلى حد ما ومع ذلك فإن المعلومات كما يظهر فى الملحق حـ . تبين لنا أن جميع اليهود الذكور فى الواقع الذين تم ترحيلهم من هولندا إلى أوشفيتز فى يوليو وأغسطس سنة ١٩٤٢ نقلوا إلى بيركناو وأصبح لكل منهم رقم مسجل . ومن المعروف أيضا أن هؤلاء اليهود الهولنديين كتبوا رسائل إلى معارفهم فى هولندا وصفوا فيها ظروف العمل فى أوشفيتز بأنها « شاقة » وإن كانت « محتملة » والطعام بأنه «كاف » ، وظروف الايواء بأنها « طيبة » والظروف الصحية بأنها « مرضية » والمعاملة العامة « سليمة » (وقد صدرت هذه الأنباء عن المجلس اليهودى فى أمستردام وإن كان المجلس قد زعم أن كل ما يعرفه عن الموضوع هو ما ورد فى اثنتين وخمسين رسالة فقط) . وكل هذه الأمور تعتبر أسرارا غامضة فى رأى رايتلنجر اذ يقول إنه « فى فترات معينة كان يتم استقبال أفواج كاملة » .

ويقدر ما نعلم فإن تعبير « قرارات فورية » لم تستخدم مرة أخرى بعد استخدامه فى اقرار هوس . أما التعبير المعتاد فهو مختارات أو مجموعات مختارة ، وتقول الرواية أنه كان يتم « انتقاء » الأفراد الصالحين للعمل من بين الأفواج القادمة . وبالطبع ، لابد أن هذا كان امرا حقيقيا تماما . وإذا أخذنا فى الاعتبار مدى وتنوع العمليات الصناعية فى أوشفيتز ، فإن الانتقاء لم يكن لازما على أساس الصلاحية للعمل أو عدم الصلاحية فحسب وإنما أيضا بالنسبة للصلاحية مثلا للعمل المهين أم العمل الشاق . ومن العوامل الأخرى التى لابد إن كان لها تأثير فى هذا الصدد هى ما إذا كان أحد الأفواج يتكون من مسجونين أم عمال متطوعين أم يهود مرحلين إلى مواطن جديدة (كما هو الحال بالنسبة ليهود تيرزنشتاد أو ما إلى ذلك وليس هناك شك فى أنه كان يتم فحص الأفواج لفرز اصحاب المهن الهامة مثل الاطباء والمهندسين والحرفيين المهرة . . . . .الخ . ولا تقول اسطورة الابادة شيئا عن عمليات الفرز والاختيار الدقيقة هذه سوى أنها كانت تتم لاختيار اليهود غير لصالحين للعمل فقط من أجل ابادتهم . وبهذا الدليل نكون قد زعزعنا هذا الزعم بشكل خطير .

ولا تعتبر عمليات فرز الافواج الوافدة هى الطريقة الوحيدة لاختيار ضحايا غرف الغاز

كما يقال . فقد اعتقل أحد اليهود الهولنديين وهو الدكتور ايلى كوهين فى سنة ١٩٤٣ لمحاولته مغادرة هولندا بدون تصريح . وتم ترحيله هو وأسرته ، إلى أوشفيتز وأبعد عن أسرته التى لم يرها بعد ذلك أبدا وقد ألف كتابا فيما بعد بعنوان « السلوك الانسانى فى معسكر الاعتقال » بناه على اساس التجارب التى مرت باعتباره أحد العاملين بالمستشفى فى أوشفيتز رقم(١) . وحيث إن علاقة كوهين بمن كان يتم اعدامهم هى علاقة طبيب بمرضاه فإنه كان من الضرورى اختيار وصف غير عادى لكتابة ، واختيار وصف « الموضوعية » يعتبر اختيارا طبيا .

ويصف كوهين بعض العينات المختارة من المستشفى باعتبارها عينات لغرف الغاز :

« بعد أن أعلنت غرفة إدارة مستشفى المعسكر بأن طبيب المعسكر على وشك القيام بعملية اختيار تحولت المنطقة كلها إلى خلية من النشاط ، فقد كان من الضرورى أن يكون كل شيء أنيقا . . . وبينما كان الجميع يقفون فى انتباه دخل الطبيب ومعه بطانته : ممرض القسم الطبى وكاتب المجموعة . وكان اليهود المرضى مصطفين فى انتظاره – وقد تجردوا من ملابسهم استعدادا للكشف عليهم . وكان طبيب المستشفى يقدم إلى طبيب المعسكر كل مريض على حده مع البطاقة التى تحمل بياناته الشخصية بينما كان الطبيب المقيم يهمس فى إذن طبيب المستشفى بتشخيص مرض صاحب البطاقة وفى ٩٠٪ من الحالات كانت البطاقة تسلم لممرض القسم الطبى . وكان معنى هذا اعدام المريض بالغاز ، ما لم تصدر الادارة السياسية أوامر عكسية ، الأمر الذى كان يحدث مرارا بالنسبة للمتهمين فى جرائم عادية .

ولم يكن يحول إلى غرف الغاز المعتقلون من ذوى الاجسام الهزيلة فحسب وإنما كان يحول إليها فى بعض الاحيان المعتقلون الذين يبدون موفورى العافية . بل أن العاملين فى غرفة إدارة المستشفى ، الذين كانوا يتمتعون باعفاء رسمى من التعرض لهذه الاجراءات كانوا أحيانا يواجهون نفس المصير . ولذلك فإنه كان من المعتقد عامة – خاصة إذا أخذنا فى الاعتبار « الاسلوب الطبى » الذى كان طبيب المعسكر يتبعه – أنه لم يكن من المقرر قتل الاشخاص غير القادرين على العمل فحسب بل إن العامل الحاسم كان هو ضرورة إعدام عدد معين من الاشخاص بالغاز .

ومن الناحية الرسمية لم يكن أحد يعرف بالفعل ما هو الهدف النهائى ، ولا حتى العاملون فى غرفة إدارة المستشفى كانوا يعرفون إذ كان يوضع أمام أسماء الذين أعدموا بالغاز حرفى م . خ . وهما اختصار عبارة « معاملة خاصة ».

ولم يذكر كوهين أنه شاهد أى غرف غاز ، والدليل الوحيد الذى يستند إليه لدعم تفسيره لهذه المشاهد بأنها متعلقة بعملية اعدام بالغاز (حيث لم يكن مثل هذا التفسير واضحا من الحقائق المجردة) وإنما يكمن فى الادعاءات التى ترددت بعد الحرب عن عمليات الابادة فى أوشفيتز ويكمن أيضا فيما تردد من شائعات داخل المعسكر عن عمليات ابادة من مكان ما بأوشفيتز ومن المؤكد وجود مثل هذه الشائعات من الناحية العملية حيث إن مبعوثان من الصليب الأحمر الدولى أورد فى تقريره ترددت مثل هذه الشائعات فى سبتمبر سنة ١٩٤٤ بين أسرى الحرب البريطانيين الموجودين فى معسكر أوشفيتز رقم ٣ . غير أنه لا يمكن أن نستنتج الكثير من حقيقة وجود هذه الشائعات ، حيث إن انتشار الشائعات يعتبر أحد المظاهر الأولية للحرب النفسية ، وقد عرفنا كيف أن مكتب الخدمات الاستراتيجية والشيوعيين طبعا قد شاركوا فى نشر الشائعات « والدعاية السوداء » . والواقع أن المسئولين المطلعين فى حكومة الولايات المتحدة اعترفوا بأنهم سمحوا بنشر « المعلومات » . وقد وجه مينسكوف النائب العام فى قضية فارين السؤال التالى إلى شاهد الدفاع مونش :

« والآن يا سيدى الشاهد ، أليست حقيقة ، أنه اثناء وجودك فى أوشفيتز أسقطت طائرات الحلفاء منشورات فوق كاتوفيتز وأوشفيتز لتعريف المقيمين هناك بما يحدث فى بيركناو ؟ » .

ولم يكن مونش يعرف شيئا عن هذا الأمر . أما مينسكوف فقد كان ضليعا فى هذا المجال ، حيث إنه كان محاميا لامعا فى قسم العمليات الخارجية بوزارة الخزانة أثناء الحرب وربما كان على علم بشئون « مجلس لاجئ الحرب » ، وكان هذا المجلس قد اشترك مع مكتب المعلومات الحربية فى عدة عمليات للمنشورات . وكان رئيس هيئة الادعاء قضية فارين بالطبع هو دى بوا ، الذى كان يشغل منصب مستشار عام « مجلس لاجئ الحرب » والذى كتب يقول انه كان يعرف أثناء شغله لمنصبه فى سنة ١٩٤٤ . ما يجرى فى أوشفيتز ، والذى رأى أن يضمن كتابه بموافقة عامة ، هذا الجزء من الشهادة الذى يتضمن السؤال الذى وجهه مينسكوف . وهذا دليل طيب على قيام الأمريكيين بتنفيذ عملية المنشورات فوق أوشفيتز ، وإن كان الأسلوب يبدو فجأة نوعا ما . وانى اعتقد أنه اذا كانت المنشورات قد أسقطت بالفعل ، فلابد أنها أسقطت ليلا وبكميات محدودة .

والواقع أن الامر لم يكن يحتاج إلى القاء منشورات لترويج الشائعات فى المعسكر ، إذ

كان الشيوعيون . الذين يتميزون بدرجة عالية من التنظيم يقومون بنشاط كبير فى هذا المجال . وكان تنظيمهم المتفوق ، والذى كان يقوم بعمليات استماع غير مشروعة للاذاعات المختلفة بصورة منتظمة قد جعل المعتقلين الآخرين يعتمدون عليهم كلية فى معرفة « الانباء » . ولنتذكر أننا نعيش فى عالم صغير حتى فى تلك الفترة ما بين سنة ١٩٣٩ وسنة ١٩٤٥ وأنه نتيجة للسهولة التى كانت الانباء تنتقل بها إلى داخل المعسكرات ومنها إلى الخارج (وهى حقيقة لاحظناها فى الفصل السابق) وكان لابد للانباء التى يرددها الحلفاء عن هذه المعسكرات أن تتغلغل فى نهاية الأمر إلى هذه المعسكرات بطرق عديدة .

وكان مبعوث الصليب الأحمر . المشار إليه فيما سبق ، قد حاول زيادة معسكرات أوشفيتز ولكن يبدو أنه لم يصل إلى أبعد من المنطقة الإدارية فى معسكر أوشفيتز رقم (١) ومعتقل أسرى الحرب البريطانيين الذين كانت جميع الاتفاقيات القائمة تخوله حق زيارتهم أما بالنسبة للأمور الأخرى فإن الضباط الألمان يتسمون بالود والتحفظ وقد كتب المبعوث فى تقديره يقول ، بدون أى تعليق ، إن أسرى الحرب البريطانيين لم يستطيعوا أن يحصلوا من الأسرى الآخرين فى المعسكر على أى تأكيد لهذه الشائعات . ويقال إنه على الرغم من هذه الشائعات فإن أسرى الحرب البريطانيين الذين استجوبهم الروس عقب الاستيلاء على المعسكر كانوا « يجهلون كل شىء عن هذه الجرائم » .

وبالطبع فإن الاحداث التى تلت ذلك حولت هذه الشائعات إلى « معرفة » فى كثير من الحالات . ومن المؤكد أن اليهود القادمين إلى المعسكر لم تكن تراودهم أى شكوك فيما يتعلق بمسألة القتل بالغاز .

ومسألة « الاختيار » تقدم لنا حقيقة أخرى قابلة للتفسير المزدوج . فليس هناك أدنى شك فى أن الصناعات الكبرى ونواحى النشاط الأخرى كانت تتطلب إجراء عملية « اختيار » للأفراد لأغراض تقليدية ، ولكن مروجى الأسطورة يطالبوننا باضافة غرض آخر إلى نواحى النشاط هذه وهو غرض « الابادة » .

وقبل أن ننتقل من موضوع كوهين لابد لنا أن نشير إلى أنه كان يهود مرضى مصابين بالهزل ، بالاضافة إلى غير اليهود ، فى مستشفى معسكر أوشفيتز رقم (١) . وهو يخبرنا أيضا بأن :

« . . . . مستشفى المعسكر كان يضم خمسة مبان حجرية منها مبنى للجراحة وآخر للأمراض المعدية ومبنى للأمراض الباطنية وواحد للحالات المرضية البسيطة أما المبنى

« رقم ٢٨ » فى المستشفى فكان مخصصا للأشعة وحجرات الاخصائيين والتجارب الطبية وعيادات الدخول فى المستشفى وكان المرضى ينامون فوق أسرة من ثلاثة طوابق ، على مراتب من القش ويرتدون قصانا ويتغطى كل واحد منهم ببطانيتين من القطن وملاءة . وكان المرضى يستحمون مرة فى الأسبوع كما كان يتم تزويدهم بملابس داخلية وملاءة نظيفة كل أسبوعين ، ولم يكن هناك أى « قمل » وكانت البراغيث قليلة . ونادرا ما كان يشغل المضجع أكثر من شخصين ولكن كان يجب ، حتى على المرضى المصابين بالحمى الشديدة أن يغادروا فراشهم للذهاب إلى دورة المياه للاغتسال فى الصباح . فى الحمامات الباردة . ونظرا لخضوع المستشفى لإدارة الجستابو ، كان يوجد لدينا دائما أدوية ، وإن كانت بكميات غير كافية ، بما فى ذلك عقاقير السلفا ، وكانت الافواج الكبيرة من اليهود الوافدة من جميع الدول الأوربية إلى أوشفيتز قد أحضرتها معها .

وهو يضيف أن الأحوال فى مستشفيات المعسكرات الأخرى كانت أسوأ كثيرا من هذا (وقد عرف ذلك فقد من قراءاته) .

من الواضح أن مستشفى أوشفيتز رقم (١) لم تكن تتسم بالرفاهية ومع ذلك فإنها تدل على اهتمام الألمان الجاد بعلاج المرضى من المعتقلين ، بما فى ذلك اليهود . وهذه الملاحظة تعارض أيضا الزعم بأن غير القادرين على العمل كانوا يقتلون . لقد أشار كوهين إلى عمليات اختيار معينة ذات طبيعة غير معروفة تماما . من أجل أهداف مجهولة وربما كانت لهذه العمليات علاقة بترحيل الاشخاص غير القادرين على العمل إلى بيركناو ، وهو أمر منطقى جدا حيث اتضح فيما بعد أن غير القادرين على العمل من مستشفى مونوفيتز كانوا ينقلون إلى بيركناو .

وهناك افتراض بأن عبارة « معاملة خاصة » انما ترمز إلى القتل بالغاز . فعندما يقال مثلا أن اليهود الهولنديين الذين نقلوا إلى أوشفيتز قد قتلوا بالغاز ، وأن هذا القول يتفق مع ماورد فى أحد السجلات أو إحدى الوثائق الألمانية فإن الحقيقة هى أن عبارة القول يتفق مع ماورد فى أحد السجلات أو إحدى الوثائق الألمانية فإن الحقيقة هى أن عبارة معاملة خاصة « فسرت على أنها تعنى استخدام الغاز » والوثائق المشار إليها عبارة عن وثيقتين وقد نشرت صورة مطبوعة لها (ولم ينقل عن النسختين الأصليتين) فى إحدى النشرات التى أصدرتها الحكومة البولندية فى سنة ١٩٤٦ . وقيل أن الوثيقتين تحملان توقيع ملازم يدعى شفارتز من رجال البوليس السياسى السرى . وقد أوردت الوثيقتان أنه تم فى مارس سنة

١٩٤٣ اختيار نسبة ضئيلة من بين أفواج اليهود المنقولين من بريسلاو وبرلين إلى أوشفيتز ، للعمل أما الباقين فقد عوملوا « معاملة خاصة » . ويقدر ما أعلم فإن هذه الوثائق ليست من الوثائق الخاصة بمحاكمات نورمبرج . أما النسخ الأصلية لها . إن وجدت (وأنا لا أنكر وجودهما) فهى محفوظة فى السجلات البولندية .

ونتيجة لهذا التفسير الواسع الانتشار نسبيا لعبارة « معاملة خاصة » فإن كوهين يعتقد أنه قرأ حرفى « م . خ » فى الملاحظات المدونة فى التقارير الخاصة بمستشفى أوشفيتز رقم (١) ولكن الاحتمال الأكبر هو أنه أخطأ قراءة الحرفين « م . ب » اللذين يرمزان إلى عبارة : مرحل إلى بيركناو .

وتوجد ، على ما يبدو ، وثيقة أصلية صادرة من مقر رئاسة الجستابو بمنطقة سلدورف ، تحدد الطريقة التى يتم بها تنفيذ أحكام الإعدام فى بعض العمال الأجانب المذنبين ، وتستخدم هذه الوثيقة عبارة « معاملة خاصة » على أنها تعنى الاعدام . وثمة وثيقة أخرى قدمت ضمن الأدلة فى قضية ايخمان تستخدم نفس العبارة فى الإشارة إلى إعدام ثلاثة من اليهود .

وعلى هذا فإنه يبدو صحيحا أن هذه العبارة كانت تعنى فى حالات خاصة الاعدام ولكن من المؤكد بالمثل أن هذه العبارة لم يكن معناها لدى الجستابو ينطوى على أكثر من المعنى الواحد الذى تنطوى عليه عبارة « معاملة خاصة » فى الدول الناطقة بالانجليزية وثمة دليل مقنع تماما يؤكد هذا . وقد استدرج المدعى « أمين » فى المحاكمات العسكرية الدولية ، كالتنبرونر باستجوابه استجوابا دقيقا إلى الموافقة على أن هذه العبارة ربما كانت تعنى الاعدام بناء على أوامر هملر ، وبعد ذلك قدم « أمين » وهو يشعر بالانتهاج لانتصاره وثيقة تبين أن كالتنبرونر أصدر شخصيا أمرا بمعاملة بعض الأشخاص . معاملة خاصة وذلك فى محاولة منه لتوريط كالتنبرونر شخصيا فى هذه العملية . وكان « أمين » يريد منه التعليق على هذه الوثيقة بدون قراءتها وحدثت مشادة غاضبة فى هذه الصدد . ولكن تحقق فى النهاية لكالتنبرونر ما يريد وقرأ الوثيقة فأشار بسرعة إلى أن العبارة المستخدمة فى تلك الوثيقة كانت متعلقة ببعض العاملين فى « فيتزرشتوب » وفالزيرتراوم » ، وان هاتين المؤسستين إنما هما فندقان عصريان كان يحتجز فيهما المعتقلون من الشخصيات البارزة ، وأن استخدام هذه العبارة هنا كانت تعنى السماح لهذه الشخصيات بحرية المراسلة وتلقى الطرود ، وزجاجة من الشمبانيا يوميا . . إلخ .

ويقدم بولياكوف بعض الوثائق التى تبين أن عبارة « معاملة خاصة » لها معنى آخر أيضا لدى الجستابو غير المعانى السابقة الذكر . وتتناول هذه الوثائق الاجراءات التى يجب اتخاذها فى حالات الحمل نتيجة لعلاقات غير شرعية بالنسبة للعمال البولنديين المدنيين وأسرى الحرب . وتقضى هذه الاجراءات باجراء فحص عنصرى للاختيار بين الاجهاض أو منح الطفل الجنسية الألمانية (عن طريق تبنى أسرة ألمانية له) . وكانت عبارة « معاملة خاصة » تشير هنا إلى أحد هذين الحلين . وبالإضافة إلى هذا ، فقد تضمنت الأدلة المقدمة فى قضية ايخمان بعض الوثائق الخاصة بطريقة معاملة واحد وتسعين طفلا من ليديس فى بوهيمنا – مورافيا . وكان هؤلاء الأطفال قد فقدوا ذويهم نتيجة للعمليات الانتقامية التى نفذت فى ليديس بعد اغتيال هيدريتش . وتم اختيار عدد معين من هؤلاء الأطفال لمنحهم الجنسية الألمانية أما الباقين فقد أرسلوا إلى مركز لودز للمشردين والذى يخضع لادارة المكتب الرئيسى للاجناس والاستيطان وكان قائد المركز ، كرومى ، يعتبر هؤلاء الأطفال حالة خاصة فى المركز يجب معاملتهم معاملة خاصة طالما ظلوا بالمركز ، وكانت هذه العبارة ذاتها أو عبارة أخرى مرادفة لها تستخدم فى وزارة الخارجية فيما يتعلق بفئات خاصة من أسرى الحرب مثل القساوسة .

وعبارة « معاملة خاصة » ليس لها مفهوم واحد خاص ومحدد إلا بالنسبة لشخص لا يألف اللغة الألمانية . غير أنه بالنسبة للشخص الألمانى فإن هذه العبارة لها استخدامات متباينة تماما كمثيلتها باللغة الانجليزية .

وقد علق هيملر على هذه العبارة تعليقا غير واضح عندما فحص « تقرير كورهر » . – وهى الوثائق التى تحمل أرقاما مسلسلة ابتداء من ٥١٩٣ حتى ٠٥١٩٨ وكان كورهر المسئول الرئيسى عن الاحصائيات فى الجستابو وعلى هذا الأساس قام فى أواخر عام ١٩٤٢ وأوائل عام ١٩٤٣ باعداد تقرير لهيملر عن الوضع الخاص باليهود الأوربيين . وقد ذكر فى مارس سنة ١٩٤٣ أنه تم اخضاع ١,٨٧٣,٥٩٤ يهوديا من جنسيات مختلفة لبرنامج « اجلاء » – وأورد جملة اعتراضية تقول « بما فى ذلك تيرزنشتاد ، وبما فى ذلك المعاملة الخاصة وأورد التقرير أيضا أعداد اليهود الموجودين فى الأحياء اليهودية بتيرزنشتاد ولودز وفى الحكومة وعدد معسكرات الاعتقال وعدد اليهود الموجودين فى المدن الألمانية ، وذلك بسبب وضع خاص منح لهم لأسباب اقتصادية . وذكر التقرير أيضا أن ٢٧,٣٤٧ يهوديا قد ماتوا فى الفترة من سنة ١٩٣٣ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٢ فى معسكرات الاعتقال .

وبعد أن فحص هيملر التقرير أبلغ كورهر ، بوساطة برانت بأن تعتبر معاملة خاصة ماكان يجب أن يستخدم فى هذا التقرير ، وأنه كان يجب بدلا من ذلك استخدام عبارة « النقل إلى الشرق » . غير أن الوثيقة تستخدمه ، كما رأينا بالأسلوب المشار إليه . ولا تذكر الوثيقة أية اشارة إلى الطريقة التى يجب أن يفسر بها هذا التعبير هنا . ولكن ، حيث إنه ورد فى موضع متعلق بتيرز نشتاد ، فإنه من المناسب تماما تفسيرها بشكل ايجابى بأنها تشير إلى نوع ما من المعاملة التفصيلية .

هذا وقد كتب هيملر بعد ذلك بوقت قصير فى وثيقة قبل أنه وقعها بالحروف الأولى من اسمه ، أنه يعتبر « التقرير بمثابة مادة عامة لأهداف مستقبلة وخاصة لأغراض التمويه » . ولا تشير الوثيقة إلى ما هو المراد تمويهه ، غير أن ايخمان أقر ابان محاكمته ، بأنه فى اعقاب كارثة ستالينجراد (يناير سنة ١٩٤٣) قامت الحكومة الألمانية بزيادة سرعة عمليات الترحيل « لاغراض التمويه » أى لكى تطمئن الشعب الألمانى بأن كل شىء هناك على ما يرام . وقد أوضح هيملر بالتحديد أنه يجب ألا يعلن تقرير كورهر « فى هذه الظروف » ، ولكن هذا لا يتعارض وتفسير كلمة تمويه بنفس المعنى الذى فسرها به أيخمان (لم يكن اقرار أيخمان متعلقا بتقرير كورهر) .

وهناك وثائق أخرى وهى الوثيقة رقم ٠٠٣ — ل ، وهى رسالة من الجنرال كاتزمان تتعلق باعادة توطين ، ٤٣٤,٣٢٩ يهوديا من جنوب بولندا وتذكر الرسالة أنهم عوملوا معاملة خاصة ، وكذلك الوثيقة رقم ٢٤٦ وهى عبارة عن رسالة من آرثر جرانيرر إلى هيملر بتاريخ أول مايو سنة ١٩٤٢ ، يطلب الاذن بالمعاملة الخاصة ، وقد تم هنا تحديد المعنى « بالحبس » ، لحوالى مائة ألف يهودى فى فورتجاو (وهى جزء من الأراضى البولندية التى ضمت لألمانيا) وقد أصدرت محكمة بولندية حكما بالاعدام على جرايزر فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٤٦ ، بالرغم من تدخل البابا لصالحه ، ويوجد أيضا خطاب من لوهى سنتناوله فى الفصل السادس .

وخلاصة الموقف بالنسبة للوثائق التى تتحدث عن المعاملة الخاصة فإنه يمكننا القول ، أنه على حين يستطيع المرء أن يثير تساؤلات حول صحة الوثائق المعينة ، فإن هذا لا يعنى ، حتى لو افترضنا أن كل تلك الوثائق صحيحة ، أنه يجب تفسير تلك الوثائق الخاصة بأوشفيتز على أنها تقصد « الابادة » وليس بالأمر الغريب تماما أن عبارة « معاملة خاصة » كان لها أكثر من معنى فى جهة حكومية واحدة فكلمة « انهاء » مثلا يمكن أن تعنى فى

تقديرى ، داخل وكالة المخابرات المركزية ، الاعدام أو الاغتيال فى حالات معينة . غير أنه من الواضح أن هذا التعبير قد يعنى أيضا فصل أحد الكتبة لتغيبه عن العمل .

إن النقطة التى وردت فى الفقرة السابقة من الاقرار الكتابى الذى قدمه هوس والخاصة بمحاولة « خداع الضحايا بايهامهم بأنهم سيتعرضون لعملية تطهير من القمل » تعتبر بطبيعة الحال نقطة منطقية حيث إنه كان على كل من يدخل معسكرا ألمانيا أن يمر بعملية تطهير من القمل تماما كما جاء فى اقرار هوس وفى شهادته – وتنطوى هذه العملية على خلع الملابس ثم الحلاقة والاستحمام . ومرة أخرى تقدم لنا حقيقة قابلة للتفسير مزدوج .

أما الموضوع الأخير فى الفقرة السابعة فهو مسألة الحرق وهو موضوع كبير ، فوفقا لاقرار هوس وكل التقارير الأخرى ، كانت عمليات الحرق فى بيركناو تتم فى الخنادق أو المقابر الواسعة وذلك قبل توفر التسهيلات الحديثة للحرق هناك . وقد أثيرت مزاعم بأن أفران الحرق الجديدة أقيمت بغرض ابادة اليهود غير أننا كشفنا فى الفصل السابق عن وجود هدف عادى لاستخدامها . ولنستعرض فيما يلى تاريخ هذه المسألة .

لقد جاءت المراحل الأولى للتخطيط لهذه الأفران ولاصدار الأوامر ببنائها ، فى أوائل عام ١٩٤٢ ، وهذه الحقيقة فى ذاتها تجعل من الصعب على الأقل ، أن تعتقد أنه لها علاقة بأى برنامج للابادة أمر هيملر بتنفيذه فى صيف سنة ١٩٤٢ . ويرجع تاريخ مشروع تشييد أربعة مبان تضم أفرانا لحرق الجثث إلى ٢٨ يناير سنة ١٩٤٢ وفى ٢٧ فبراير سنة ١٩٤٢ قام رئيسى ادارة الانشاء بالمكتب الاقتصادى والإدارى الرئيسى وهو الكولونيل الدكتور مهندس هانز كاملر (الذى رقى فيما بعد إلى رتبة ليفتنانت جنرال) وهو المهندس الذى أشرف أيضا على تصميم قواعد الصواريخ ف ، الألمانية ومصانع الطائرات تحت الأرض – بزيارة أوشفيتز وعقد مؤتمرا تقرر خلاله اقامة خمسة أفران لحرق الجثث بدلا من فرنين (كما كان مقررا من قبل) ويضم كل واحد منها ثلاثة أفران أو ثلاثة ابواب . ومن ثم فإن هذه المسألة لم تترك لابداع هوس ، بيد أن أسطورة الابادة تؤكد أن الفضل فى استخدام مادة السيكلون يرجع إلى هوس . وقد كلفت شركة تويف آندسونز ، ٣ أغسطس سنة ١٩٤٢ بتوريد الافران الخمسة عشر التى سيتم تركيبها فى أحد المبانى . وكانت هذه الأفران من النوع العادى الذى تقوم ببيعه شركة تويف (والتى كانت لازالت تمارس نشاطها فى فيسبادن حتى سنة ١٩٦٢) . ويقال إن الشكل رقم ٢٦ يصور أحد أفران احراق الجثث فى أوشفيتز . وكان كل فرن مصمما ليسع جثة واحدة . كما هو الحال بالنسبة

للأفران العادية لحرق الجثث ولا يوجد هناك أى دليل على إقامة أفران ذات سعة غير عادية ، كأن تتسع لأكثر من جثة واحدة . وقد زودت شركة تويف معسكرات أخرى ، لم تثر بشأنها أى مزاعم عن الابادة مثل معسكر بوخنفالد .

وتبين مشروعات المبانى الاربعة التى تضم الافران التى تحمل أرقام ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، (أما الفرن رقم (١) فيبدو أنه الفرن الخامد الموجود بمعسكر أوشفيتز رقم (١) وكان يضم أربعة أفران) إن كل واحد من هذه المبانى يضم قاعدة أو حجرة واسعة . وبالنسبة للفرنين رقم ٢ ، ورقم ٣ ، فإنهما يقعان تحت مستوى سطح الأرض ويعرفان باسم قبو الجثث ، وكانت أبعاد كل منهما هى : الارتفاع ٢,٤ مترا والمساحة ٢١٠ مترا مربعا ، والارتفاع ٢,٣ مترا والمساحة ٤٠٠ متر مربع على التوالى . أما القاعات الخاصة بالمبانى التى تضم الفرنين رقم ٤ ، ٥ فقد كانت فى مستوى سطح الارض وتسمى (حجرات الحمام) وكان ارتفاع كل منها ٢,٣ متر ومساحتها ٥٨٠ مترا مربعا ، ووفقا للمعلومات التى كشفت أثناء محاكمات أوشفيتز من سنة ١٩٦٣ إلى سنة ١٩٦٥ فإن موقع هذه المبانى الاربعة كما هو مبين فى الشكل رقم ٢٩ .

ولم تستعن ادارة الانشاءات فى أوشفيتز عند اقامة الافران بشركة تويف فحسب بل استعانت أيضا بمصنع المعدات الألمانية التابع للجستابو والذى كان يساعد فى عمليات انشائية متفرقه وكانت أول أفران يتم تركيبها هى أفران المجموعة رقم ٢ ، وتضم كما لاحظنا ، ١٥ فرنا أى خمس وحدات تكون واحده منها من ثلاث أفران . وقد استغرقت عملية التشييد مدة طويلة بالرغم من أنها كانت تنفذ بأقصى سرعة كما يتضح من الوثائق وتقدم لنا مجلدات محاكمات نورمبرج العسكرية ، الترجمة التالية – باللغة الانجليزية – للوثيقة رقم ٤٤٧٣ ، وإذا اعتقد القارئ أنه يجد فى هذه الوثيقة شيئا يتعارض مع افتراضى فإن عليه أن يحتفظ برأيه لنفسه :

٢٩ يناير ١٩٤٣

إلى مدير الادارة ج ، العميد الدكتور مهندس كاملر

الموضوع : مجمع الأفران رقم ٢ ، حالة البناء .

لقد تم بناء مجمع الأفران رقم ٢ فيما عدا بعض الأعمال الانشائية البسيطة – وذلك باستخدام جميع القوى المتاحة على الرغم من صعوبات لا يمكن وصفها ورغم البرد

القارس ، بتنظيم نوبات عمل مستمرة على مدار الأربع وعشرين ساعة . وقد بدأ اشتعال الأفران فى وجود كبير المهندسين بروفير ، ممثل مقاولى شركة تويف أندسونز ، وهى تعمل بشكل مرضى جدا . ونتيجة للصقيع لم تتمكن حتى الآن من رفع الألواح الخشبية عن سقف القبو الذى يستخدم فى حفظ الجثث . غير أن هذا ليس مهما حيث يمكن استخدام غرفة الغاز فى هذا الغرض .

ولم تتمكن شركة تويف آندرسونز من بدء تسليم الانشاءات فى وقت يسمح بالتهوية تلبية لطلب الادارة المركزية للمبانى وذلك نتيجة للقيود المفروضة على استخدام عربات السكة الحديد . وبمجرد وصول التجهيزات الخاصة ستبدأ عملية التركيب فورا وبذلك فانه من المنتظر أن تتم التجهيزات الكاملة وتصبح صالحة للاستخدام فى ٢٠ فبراير سنة ١٩٤٣ .

ونحن نرفق طى تقرير مهندس الاختبار (غير مرفق بالوثيقة) بشركة تويف آندسون .

مدير الادارة المركزية للإنشاءات ،

قائد الجستابو وبوليس اوشفيتز

وتفسيرى لهذاه الرسالة أنها تعنى ، أنه بالرغم من أن العمل فى مجمع الأفران رقم ٢ لم يكن قد انتهى بعد ، فإنه كان من الممكن استخدامه فى يناير سنة ١٩٤٣ فى أغراض حرق الجثث ، بالرغم من استحالة استخدام قبو الجثث .

وقد بعثت مؤسسة تويف فى ١٢ فبراير سنة ١٩٤٣ برسالة إلى أوشفيتز تؤكد تسلمها طلب اقامة خمس وحدات تضم كل منها ثلاثة أفران لمجمع أفران الحرق رقم ٣ . وأن عملية التشيد ستنتهى فى ١٠ ابريل . ولم أعثر على أية وثائق تشير إلى تشييد أى أفران فى مجمعات أفران الحرق رقم ٤ ، ورقم ٥ ، ما لم نفسر الرسالة الصادرة فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٤٢ من ملازم ثانى بقوات الجستابو فى أوشفيتز – والتى تشير إلى عرض من مؤسسة تويف بتركيب وحدتين تضم كل منهما ثلاثة أفران بالقرب من كل من « الحمامين المستخدمين فى الأغراض الخاصة » – على أنها تعنى هذا . بيد أنه كان هناك بعض أعمال التجارة التى تمت فى مجمعى حرق الجثث رقم ٤ ورقم ٥ .

ويؤدى بنا هذا إلى مشكلة عدد الافران الموجودة فى بيركناو ، وهى مشكلة حيث يقال إن الألمان قاموا بتدمير المبانى المخصصة لحرق الجثث قبل تخليهم عن أوشفيتز . ومن الواضح أنه يجب علينا أن نفترض أنه كان هناك ثلاثين فرنا على الأقل ، أى خمسة عشر

فرنا فى كل من مجمع الحرق رقم ٢ ورقم ٣ فى وقت ما من عام ١٩٤٣ . والأدلة الموجودة لدينا عن تركيب وأفران فى المبانى رقم ٤ ورقم ٥ تعتبر مرضية . وهى تتكون أساسا من ظهور اسم رئيس عمال ، معين لهذه المبانى فيما يوصف بقوائم العمل فى بيركناو فى ١١ مايو سنة ١٩٤٤ (وهى نفس الوثيقة التى تظهر فيها أسماء يهود تيرزنشتاد) بالاضافة إلى شهادات بعض الشهود وزعم بعض الروس والبولنديون أن كل مجمع من هذين المجمعين كان يضم ثمانية أفران ، وأن المجمعين الأخرين يضم كل منهما خمسة عشر فرنا : أى ستة واربعون فرنا أما تقرير مجلس لاجئى الحرب فقد حدد أنه كان هناك ستة وثلاثون فرنا فى كل من المبنين رقم ٢ ورقم ٣ ، وثمانية عشر فرنا فى كل من ٤ و ٥ : أى مائة وثمانية أفران .

ويزعم ريتلينجر أنه كان هناك ستون فرنا على افتراض أن كل مبنى كان يضم خمسة عشر فرنا . ويستند فى هذا إلى الكتابات المنسوبة إلى شخص اسمه ميكلوس نايسزلى والتى لا يجب أن نستند إليها فى أى شىء ناهيك عن الاستناد إليها فى ذكر عدد الافران . ويزعم أن تقرير نايسزلى هو سجل لتجربة شخصية تعرض لها طبيب يهودى مجرى تم ترحيله فى مايو سنة ١٩٤٤ إلى أوشفيتز . وقد ظهر هذا التقرير باللغة الفرنسية فى سنة ١٩٥١ منشورا فى أعداد مارس وابريل من مجلة الازمنة الحديثة ومعه مقدمة بقلم المترجم ت . كريمر . وقد أكد راسينيه أنه بذل جهودا مضنية فيما بعد للاتصال بنايسزلى ليتأكد مما إذا كان شخصية حقيقية أم لا ، ولكن الشخصية الحقيقية الوحيدة التى بدا أنها موجودة فعلا فهى المترجم كريمر . وقد ظهرت ترجمة انجليزية لريتشارد سيفر . ومعها مقدمة بقلم برنو بيتلهايم فى سنة ١٩٦٠ بنيويورك بعنوان « أوشفيتز » . ومن الواضح أن نايزلى كان قد توفر فى ذلك الوقت حيث إن حقوق الطبع كانت باسم « ن . مارجريتا نايسزلى » . وكما هو معتاد بالنسبة للمؤلفين الراحلين الذين كانوا يحملون درجة الدكتوراه ، فقد نشرت صفحة العنوان لرسالة الدكتوراه التى حصل عليها « نيكولاوس نايسزلى » سنة ١٩٣٠ من جامعه بريسلاو ، وذلك فى الطبعة الصادرة فى سنة ١٩٦٠ بنيويورك . وأعيد طبع الكتاب باللغتين الفرنسية والألمانية سنة ١٩٦١ .

ويرى راسينيه أنه من الصعب تماما التوفيق بين الارقام الواردة فى النسخ المختلفة ، ولكنه من الأصعب جدا وجود اتساق داخل الطبعة الواحدة فى الطبعة الصادرة سنة ١٩٦٠ نقرأ فى (صفحة ٥٥) أن الستين فرنا كان يمكنها أن تصهر « عدة الآف » من الجثث فى اليوم ويذكر المؤلف بعد ذلك (ص ٨٧) أنه « عندما كانت الحفرتان تشتعلان

فى وقت واحد ، فإن انتاجها كان يتراوح بين خمسة وستة الآف جثة يوميا ، أى أكثر قليلا من انتاج مجمعات الحرف ، ثم يذكر الكتاب بعد ذلك فى (ص ٩٢) أن مجمعى رقم ٢ ورقم ٣ ، كان يمكنهما وحدهما التخلص من عشرة الآف وخمسمائة جثة على الاقل يوميا . وهو ما ينطوى على خلط تام .

وبالاضافة إلى هذا فإن الكتابات المنسوبة إلى نايسزلى ترتكب ما يعد فى نظرى عملا يؤدى إلى سحب الثقة من الشاهد . اذ أنها تزعم أن رجال الجستابو . كانوا يضربون المعتقلين الأصحاء بلا مبرر وبانتظام (صفحات رقم ٢٥ و٢٧ ، ٤٤ ، ٥٧) ، ومن المعروف أن هذا لم يحدث ، وبصرف النظر عن احتمالات أن يثير مثل هذا الضرب اعتراضات انسانية فان الأسرى كانوا مورد دخل للجستابو . وكثيرا ما تقدم رجال الجستابو شكاوى ضد الأشكال المختلفة لسوء المعاملة المزعومة من جانب شركة فارين للمطاط الصناعى ومن جهة أخرى لم يكن الجستابو يشجعون قيام صداقات بين الحراس والمسجونين ، وذلك لدواعى الأمن . وكانت الأوامى الصادرة إلى الحراس تنص على « الابتعاد » عن الأسرى ، وألا يتكلموا معهم ما لم يكن هذا ضروريا للغاية وكانت هذه التعليمات صعبة التنفيذ ، بطبيعة الحال وقد أدت الانتهاكات المتكررة لهذه التعليمات إلى قيام بوهل بتوجيه مذكرات إلى قادة المعسكرات يأمرهم فيها بتكرار توجيه التعليمات إلى الحراس .

وعلى الرغم من ذكر مؤلفى كتب أخرى لقدر معين من التصرفات الوحشية من جانب حرس الجستابو ، فان كوهين لا يورد شيئا عن تعرضه لمثل هذه التجربة فى أوشفيتز بل يقول إن « الاحتفال باستقباله « عند نقله » مر بدون عنف . ومع ذلك فإنه أشار إلى منضدة خشبية خاصة تستخدم فى ضرب الاسرى على الارداف . وكان هذا أسلوبا رسميا منظما لمعاقبة الاسرى الذين يرتكبون أنواعا مختلفة من الجرائم فى المعسكرات وقد فسر تعبير الضرب « المركز » على أنه يعنى الضرب على الارداف العارية .

وعندما يتكلم أحد الشهود من أوشفيتز عن الضرب بلا سبب وبانتظام فإنه يجب على المرء أن يرفض تصديقه عموما ، حتى لوكان الحقيقة بالنسبة لبعض الأمور .

ويمكن القول إنه على أساس الأدلة المتوفرة لدينا فإن أفضل افتراض أنه كان هناك ثلاثون فرنا فى بيركناو فى ربيع سنة ١٩٤٣ وأن عددها وصل إلى ستة واربعين فرنا بعد عام من ذلك التاريخ . وقبل الانتقال من موضوع عدد الافران فإنه يجب علينا الاشارة إلى

وجود عدة التباسات فى الوثائق الخاصة بأفران حرق الجثث . وأوضحها يرجع إلى حقيقة أن تقرير مجلس لاجئ الحرب لا يبدو أنه المصدر الوحيد الذى يحسب خطأ وحدات احراق الجثث فى بيركناو من رقم اللى ٤ بدلا من رقم ٢ إلى ٥ فان الألمان أنفسهم كانوا يفعلون ذلك أحيانا ، أوهذا ما يبدو لنا مثلا من الوثيقة رقم ٤٤٦٦ .

ولا يتحدد معدل الابادة فى برنامج من النوع المذكور على أساس معدل اعدام الناس بالغاز ثم تهوية الغاز ، وإنما يتحدد بناء على معدل حرق الجثث . ويمكن أن نتوصل بالحسابات إلى أرقام مثيرة عند تقدير كفاءة وصلت لحرق . فى ذلك الوقت كانت ساعة واحدة من الزمان تعتبر تقديرا متفائلا للوقت الذى يتطلبه حرق الجثة ، وكون الجثة هزيلة لا يؤثر كثيرا فى عامل الزمن . وإذا سمحنا بساعة فى اليوم لعمليات التنظيف وغيرها من الأمور المتفرقة فإنه يمكن القول أن الفرن الواحد ربما يستطيع أحراق ثلاث وعشرين جثة فى اليوم وبذلك فإنه يمكن لثلاثين فرنا أن تحرق سمائة وتسعين جثة كما أن ستة وأربعين فرنا تستطيع أن تحرق ألف وثمانية وخمسين جثة يوميا وهذا العدد من الأفران يستطيع استيعاب عمليات ابادة بمعدل يتراوح بين مائتين وأربعين ألف جثة وثلثمائة وستين ألف جثة سنويا ولكن يجب على المرء بالطبع أن يأخذ فى اعتباره أنه إذا كان من المفروض أن عمليات الابادة توقفت فى خريف سنة ١٩٤٤ فإن أوشفيتز لم يكن من الممكن أن يوجد بها ستة وأربعون فرنا لمدة تزيد عن سنة من بدء عمليات الابادة .

بيد أن المنطق الذى يؤدى بنا إلى التوصل لمثل تلك الأرقام يعتبر منطقا سخيفا ، فإن الأمور لا تتم بهذه الصورة . إذا أن الأفراد خاصة المعتقلين فى معسكرات الاعتقال ، الذين كانوا يتولون مهمة الاشراف على أفران الحرق ، لا يعملون بمثل هذه الكفاءة ، كما أنه لا يمكن لمثل هذه المعدات أن تعمل بهذا الأسلوب المستمر ، وإذا سمحنا لهذه العمليات بالتباطؤ لتصل إلى المعدلات الواقعية ، وأخذنا فى الاعتبار الوقت الضائع فى أغراض الصيانة المنتظمة والطارئة وكذلك الحدود الهندسية المعتادة للطاقة القصوى فإننا سنجد أن الأرقام التى ستتوصل إليها تتفق عموما مع حالات الأوبئة المتوقعة . ومن المحتمل أيضا أنه كان هناك كما يؤكد تقرير (مجلس لاجئ الحرب) تراكمات من الجثث المدفونة التى يجب التخلص منها .

ومن الواضح إذا افترضنا أنه كانت هناك سياسة لحرق جثث المعتقلين الموتى ، أن مشروعا كبيرا مثل أوشفيتز لابد وأن تتوافر فيه ، بالطبع ، تسهيلات متطورة نسبيا لحرق

الجثث ، وبذلك فإننا سنجد أمامنا حقيقة أخرى قابلة لتفسير مزدوج إذا ما قبلنا أسطورة الابادة ، فنجدأن المطلوب منا أن نضيف إلى التفسير العادى لوجود هذه الأفران وهو تفسير لا شك فى صحته تفسيرا آخر يقول على أساس الابادة وعلينا أيضا أن نقبل صحته . وسوف نبحث فيما يلى أدلة محدودة تؤكد أن عدد الأفران يتفق تماما مع معدل الوفيات الطبيعية .

ولا تعتبر هذه النقطة هى الحقيقة الأخيرة القابلة للتفسير المزدوج فى موضوع حرق الجثث . فإن هوس يقول لنا إن « جميع المقيمين فى المناطق المجاورة كانوا يعرفون أن ثمة عمليات ابادة تجرى » وذلك على أساس الرائحة الكريهة التى تدعو للشعور بالغثيان والناجمة عن استمرار احراق الجثث . وإذا كان لى أن أختار مجرد نقطتين فى أسطورة الابادة لعرضها ليكونا دليلا مباشرا على أن المسألة كلها ليست إلا خدعة فإن اختيارى لن يقع إلا على هذه النقطة بالذات وأيضا النقطة الخاصة بالدور المزعوم لمادة السيكلون .

فعملية الهدرجة والصناعات الكيماوية الأخرى القائمة فى أوشفيتز ، مشهورة بخلق الروائح الكريهة . ويمكنك زيارة المنطقة الشمالية من طريق نيوجيرسى الرئيسى ، بالقرب من معامل التكرير التابعة لستاندر أويل ، أو أى معامل تكرير بترول أخرى لتعرف (أو تشم) هذه الرائحة والفرق الهام الوحيد فى الرائحة الكريهة بأوشفيتز ، هو أن الفحم الذى كان يستخدمه الألمان يعتبر مصدراً « اقذر » من البترول الخام . وإذا قيل لنا أن رائحة صهر ثلاثين إلى ست وأربعين جثة فى أفران الحرق الحديثة يمكن أن بنافس — ناهيك عن أن يفوق — الروائح الكريهة الناتجة عن العمليات الصناعية ، فإننا سنعرف أن هذا القول ليس حقيقة تقبل التفسير المزدوج وإنما هو كذب سافر أيضا والواقع أنه نتيجة لضجة الاعتراضات الزائفة التى أثارها مختلف المتعصبين فى القرن التاسع عشر وفى أوائل القرن العشرين ثم تطوير عملية حرق الجثث لتصبح عملية « نظيفة » . وعلى ذلك فإنه لا يمكن تصديق هوس .

ولقد كشف التحليل عما تتسم به الخدعة الكبرى من صفة غير مشكوك فيها من قبل ، ولكنها تكاد تكون حتمية وهى : الحقيقة المفرطة . فان مؤلف هذه الخدعة ، اتباعا لمبدأ ضرورة تضمن هذه الرواية حقائق تكاد تكون صحيحة تماما فى معظمها ، وقع بسهولة فى خطأ تضمنها أكبر قدر ممكن من الحقائق ، ومن ثم ارتكب الخطأ الفادح الذى أشرنا إليه وهو الافراط فى الحقيقة وكان يمكن للرواية أن تكون أفضل بكثير بدون تلك الحقيقة

بالذات . وبالطبع فإن مرور الزمن هو المسئول وحده عن أنها أصبحت خطأ فادحاً . ولكن كان لابراز تلك الحقيقة فى ذلك الوقت تأثير فعال جدا نتيجة للجو العاطفى الهستيرى السائد آنذاك والذى يستحيل استرجاعه . وقد كتب . « دى بوا » فى سنة ١٩٥٢ يقول :

« لقد قال شنايدر من منصة الشهود أنه لم يسبق له أن سمع اطلاقا بأى عمليات ابادة ، وان كان يذكر أنه سار فى أحد الأيام فى الطريق الرئيسى ، ومر « بفرن خامد لحرق الجثث » . وكان هذا الفرن الخامد يحرق آنذاك الجثث بمعدل ألف جثة فى اليوم ! وكان اللهب يرتفع إلى مسافة خمسة عشر مترا فى الجو ، وكانت الرائحة الكريهة تمتد فى المنطقة إلى مسافة أربعين ميلا نحو الشمال إلى أن تنضم إلى الرائحة الكريهة المنبعثة من أفران الحرق فى وارسو ، وكانت الابخره تؤذى أنف أى انسان على بعد نصف ميل ، وقد مر شنايدر — وهو عالم ذو أنف حساسة جدا على مسافة مائة ياردة من المكان .

وقد يبدو أنه من المستحيل أن يقوم دى بوا بالكتابة بهذه الطريقة قرب نهاية كتاب يقدم أفضل وصف للصناعة الكيماوية فى أوشفيتز ، ولكن هذا هو ما حدث . وهو شىء يمكن تبريره بالقول بأنه خطأ عادى فى الحكم على الأمور ، ويمكن تبريره فقط بأنه وقع تحت تأثير الهيستريا .

وقد يبدو أن شخصا ما فى المحاكمة كان سيقوم بالاعتراض على هذه النقطة التى أقرها هوس . وقد حدث اعتراض فعلا ولكنه كان اعتراضا غامضا . فبالقرب من نهاية شهادة هوس حدث الحوار التالى وكان كوفمان يقوم بالدفاع عن كالتنبرونر) :

رئيس المحكمة : إن الجملة الأخيرة فى الفقرة السابقة تشير إلى الرائحة الكريهة التى تدعو للغثيان . فما هو سؤالك فى هذه النقطة ؟

د . كوفمان : ما إذا كان السكان يستطيعون الاستنتاج من هذه الأمور أنه يجرى عمليات ابادة لليهود ؟

الرئيس : إن هذا سؤال صريح أكثر مما ينبغى أليس كذلك ؟ فلا يمكن لهم أن يعرفوا من هم الذين تجرى ابادتهم .

د . كوفمان : هذا يكفينى . ليس لدى أسئلة أخرى .

ومن المحتمل أنه كانت هناك صعوبات لغوية فى ذلك الوقت الذى يدور فيه الحوار ، وأن الأمر ينطوى على سوء تفاهم ، وأن كوفمان كان يقصد فى السؤال فى حقيقة الأمر (اشخاص) بدلا من « يهود » . وعلى أية حال فإن هذه الواقعة تشير إلى الجو غير المنطق

اطلاقا الذى لابد وأنه قد ساد المحاكمات العسكرية الدولية ، فإن هوس لم يضبط متلبسا بالادلاء بكذبه مكشوفة خرقاء . وليس من السهل علينا أن نلمس الروح التى كانت تسود تلك المحاكمات ولا يسعنا وصفها الا بأنها كانت نوعا من الهستيريا . وكان سبير موجودا وكان بوسعه أن يكشف هذه الكذبة بسهولة . فهل كان نائما حقيقه مستسلما لعدم جدوى المعارضة ؟ أم هل كانوا هو أو محاميه يحرص فقط على تجنب أى تورط فى مسألة الابادة ؟ إنه وحده الذى يمكنه أن يخبرنا بذلك ، فاننا لا نعرف شيئا ، أن الأمر المؤكد الوحيد هو أن الروح التى كانت تسود المحاكمات كانت من النوع الذى لا يمكن معه ظهور حقيقة بسيطة مثل حقيقة مصدر الرائحة الكريهة ، التى تكشف بمهارة أن الشاهد يكذب ، وتكشف عن طبيعة الأسس الحقيقة لهذه الادعاءات .

وكانت هذه الرائحة الكريهة هى الأساس الذى بنى عليه كثير من الشهود شهادتهم بمعرفتهم بعمليات الابادة ولم يكن استغلالها فى نقطة معينة من قضية المطاط الصناعى . التى سنبحثها فى فصل تال أمرا مسليا نوعا ما فحسب ولكنه كان يكشف ويوضح نقطة هامة يجب أن نضعها نصب أعيننا عندما نقرأ سجلات هذه القضية . وسنبحث هذا فيما بعد .

وقد بحث كريستوفر سن فى الكتيب الذى أصدره مشكلة الأساس الواقعى ، إن وجد ، للإشارات إلى انتشار رائحة كريهة فى أوشفيتز . وكان الشيء الوحيد الذى استطاع أن يتذكره فى هذا الشأن هو وجود مؤسسة حداده فى أوشفيتز رقم (١) وأن حوافر الخيول كانت تصدر رائحة نتنه عند احتراقها أثناء تركيب الحدوات لها ، وكان يمكن الإحساس بهذه الرائحة الكريهة المنتشرة على النطاق المزعوم المرتبط بعمليات الابادة .

وقد اتصلت بكريستوفرسن حول هذه النقطة ، مستفسرا عن احتمال أن يكون قد نسى الرائحة الكريهة الناجمة عن الصناعة ، محاولا التنقيب فى ذاكرته عن أى رائحة يمكن تشبيهها برائحة اللحم المحترق ولم يتذكر كريستوفرسن أى رائحة مصدرها الصناعة . واتصلت أيضا بشتايجليش الذى لم يتذكر سوى الهواء الطلق النقى بالقرب من أوشفيتز .

بيد أن ذكريات كريستوفرسن وشتايجليس تتفق مع النظرية التى تقول بأن الرائحة الكريهة الواردة فى الخدعة ليست الا الرائحة الكريهة الصادرة من مصنع شركة فارين لانتاج المطاط الصناعى وإذا رجعنا إلى الشكل رقم (٥) وهو خريطة لمنطقة أوشفيتز ، فان كريستوفرسن كان يقيم فى رايسكو أثناء السنة التى عاشها فى أوشفيتز ، وكانت له علاقة

عمل بين وقت وآخر بأوشفيتز رقم (١) وبيركناو . أما شتايجليش فكان يقيم فى بلده أوسيك التى تقع على بعد ستة أميال جنوب أوسفياكيم ، وقد ذكر أنه زار معتقل ك . ز بأوشفيتز (ومن المحتمل أنه يقصد أوشفيتز رقم (١) ثلاث أو أربع مرات . ونحن لا نعرف موقع مصانع فارين بالضبط ولكننا نعلم أن المعسكر المعروف باسم « مونوفيتز » كان يقع إما داخل مدينة مونوفيتز أو بالقرب منها مباشرة ، وأن المعسكر أقيم هناك ليكون قريبا من مصانع فارين . وإذا أخذنا فى الاعتبار مواقع الخطوط الحديدية والانهار والطرق الموجوده بالمنطقة فمن المحتمل أن هذه المصانع تقع إلى شرق أو غرب مدينة مونوفيتز مباشرة . وإذا كان الاحتمال الأول صحيحا فهذا يعنى أنها كانت تقع على مسافة أربعة أو خمسة أميال من أوشفيتز رقم (١) ومن ثم فإن الموجودين بذلك المعسكر وفى بيركناو ورايسكو وأوسيك ماكان يمكنهم إطلاقا أن يشموا الروائح المنبعثة من الصناعات الكيماوية (التى كانت متواضعة جدا من حيث الحجم بالمقارنة بالمصانع الامريكية الضخمة) . أما إذا كانت مصانع فاربن تقع إلى غرب المدينة مباشرة فمن الممكن فى هذه الحالة للمقيمين بأوشفيتز رقم (١) شم رائحة من وقت لآخر عندما كانت تسود ظروف جوية متميزة ، غير أن هذا لا يمكن وصفه « بانتشار » رائحة كريهة . ومن ثم فإن أى بحث دقيق لهذه النقطة يبين لنا أنه لم يكن من الممكن لكريستوفرسن أو شتايجليش أن يقاسيا من الرائحة الكريهة المنبعثة من الصناعة بالدرجة التى تمكنهما من تذكرها بعد ثلاثين عاما . بالإضافة إلى هذا فان القضية التى كانت هذه الرائحة الكريهة المنتشرة هى القول السائد فى شهادة الشهود هى قضية شركة فاربن التى كان معظم شهود الدفاع بها لهم علاقة بأوشفيتز وكان كل شهود الادعاء تقريبا من الاشخاص الذين كانوا إما يقيمون بالقرب من مصانع فاربن أو يعملون بها . وبذلك فإنهم عانوا بالفعل من رائحة نتنة وكانت شهادتهم صحيحة فى هذا الصدد ، ولم يخطئوا إلا من حيث تفسيرهم للسبب فى تلك الرائحة .

والموضوع الأخير فى الفقرة السابعة هو موضوع غرف الغاز ، التى يفترض انها أدمجت فى مبانى أفران الحرق ، وذلك باستثناء الأكواخ المحكمة الاغلاق التى تحدث عنها هوس ويتوصل رايتلنجر وهيلبرج إلى هذا الزعم بطرق مختلفة فإن رايتلنجر يفسر لنا الوثيقة رقم ٤٤٧٣ ، التى سبق أن أشرنا إلى ترجمة لها كما وردت فى مجلد محاكمات نورمبرج العسكرية ، على أنها تعتبر دليلا على وجود غرفة قتل بالغاز داخل مبنى الحرق رقم ٢ . وهذا التفسير إنما هو نتيجة لخطأ فى الترجمة .

فكثيرا ما يشار إلى أفران الحرق فى أوشفيتز على أنها « أفران غاز » غير أن هذا وصفا له دلالته اذ أن جميع الافران الحديثة التى تستخدم فى هذا الغرض ، باستثناء الأفران الكهربائية لحرق الجثث ، والتى انتشر استخدامها لفترة قصيرة ابان الثلاثينات ، كانت تعتبر افران غاز حيث يتم ادخال خليط من الوقود والهواء مما يمكن اعتباره غازا ، إلى هذه الافران لاشعال النار والتحكم فى عملية الاحراق واتمامها ، وقد يكون الوقود المستخدم غازا ، سواء أكان من الغاز المستخدم فى المدن أم أى نوع من أنواع الغاز السائل . ومثل هذا النوع من أفران الحريق يعرف باسم أفران تعمل بالغاز على أساس أن الوقود المستخدم فيها هو غاز . وهناك أنواع أخرى يستخدم فيها البترول أو فحم الكوك كوقود . ولكنها جميعا تعتبر أفران غاز حيث إنه يتم فى الحالات الثلاث ادخال خليط من الوقود والهواء إلى الفرن تحت ضغط معين .

والكلمة الألمانية المعتادة المستخدمة فى المفهوم المشار إليه هى (غرفة الغاز) ، ولكن الكلمة التى وردت فى الوثيقة رقم ٤٤٧٣ والتى ترجمت إلى « غرفة الغاز » والتى يسمىّ ريتلينجر ترجمتها أيضا على أنها تعنى « قبو القتل بالغاز » وجدير بالذكر هنا أن كلمة Vergastung لها معنيان : والمعنى الاساسى لها (وهو المعنى الوحيد لها بمفهوم علمى) هو التحويل إلى غاز أو الكربنة أو التبخر أى تحويل شىء ما إلى غاز وليس تخصيص الغاز لشىء ما .

وثمة أيضا معنى ثانوى لكلمة Vergasung ، يرجع إلى استخدامه فى المجال العسكرى فى الحرب العالمية الأولى وهو : مهاجمة العدو بالغاز وليس من الواضح ما هو السبب الذى أدى إلى استخدام هذه الكلمة بهذا المفهوم ، وربما كان ذلك لأن الغازات المستخدمة فى تلك الحرب كانت فى واقع الأمر على هيئة أتربة يتم توليدها عن طريق تفجير إحدى المواد الكيماوية فى الجو .

وبذلك فإن ترجمة كلمة Vergasungs Keller إلى « قبو القتل بالغاز » لا يعتبر خطأ تماما ، بل إنها مجرد ترجمة بالغة فى التسرع وجريئة « ففرن الغاز يحتاج إلى نوع من عمليات التحويل إلى الغاز أو الكربنة . وبالنسبة لأفران أوتنج وروجرز التى تعمل بالغاز فانه : « يتم تغذية الشعلات الموجودة فى أعلى الفرن وفى قاعدته بمزيج من الهواء والغاز المضغوط ويتم تنظيم هذا الخليط باستخدام المراوح المثبتة فى مبنى منفصل ويوفر التحكم فى كل من الهواء والغاز على حدة تنظيما أفضل لحرارة الفرن » .

وهذا المبنى ليس إلا بمثابة جهاز كربنة كبير . وافران الحرق التى توقد بالبترول تشبه فى تصميمها بدرجة كبيرة الأفران التى توقد بالغاز حتى أن هذه الأخيرة يمكن تحويلها بسهولة لاستخدام البترول .

ويبدو أن أفران بيركناو كانت توقد بفحم الكوك ، وفى هذا النوع من الافران فإن الأمر يحتاج إلى مرحلة اضافية يتم فيها معالجة الوقود نظرا لحالته الصلبة أساسا . والاسلوبان الأكثر من غيرهما شيوعا لانتاج غازات وقود من الفحم أو الكوك هما أولا : عن طريق تمرير هواء داخل طبقة من فحم الكوك المشتعل لانتاج « غاز كوك للفرن » وثانيا : عن طريق أفران تمرير البخار من خلال الكوك لانتاج الغاز مائى وكانت أفران الكوك الأولى تستخدم ما يشبه « غاز كوك الأفران » . وعملية توليد مثل هذه الغازات تسمى بالألمانية Vergasung ، كما هو الحال أيضا بالنسبة لعملية خلطها بالهواء . وكانت افران الحرق التى توقد بالفحم ، والتى شاهدها و . هـ . لورانس معكسر لوبلين بعد استيلاء الروس عليه ، مزودة بمعدات بما فى ذلك مراوح ، تشبه إلى حد بعيد تلك التى وصفناها فى الفترة المقتبسة التى سبق أن أوردناها . وجدير بالذكر أن لورنس وصف ما كان فى واقع الأمر حمام بخار بأنه « حجرة غاز » .

وعلى أية حال فمن الواضح أن غرف الحرق فى أوشفيتز كانت تحتاج إلى أجهزة التحويل إلى الغاز من أجل ادخال خليط من الغاز والهواء إلى الأفران أنه يجب تنقيح ترجمة رقم ٤٤٧٣ ، لتصبح مثلا « قبو توليد الغاز » ولقد أكدت هذا التفسير كلمة Vergasungs Keller مع مصادر مختصة من الناحية الفنية فى المانيا . والسبب فى تركيب مثل هذه المعدات فى غرف خاصة منفصلة أو حتى فى مبان منفصلة يرجع فى غالب الأمر إلى الصوت المزعج الذى تصدره المراوح ويرجع بالنسبة للأفراد إلى الحرارة العالية التى تصدر عن حرق الفحم .

وينطبق المعنى الأساسى لكلمة Vergasung بالضرورة على الوثيقة رقم ٤٤٧٣ فهذه الوثيقة مكتوبة بمفهوم علمى ، فهى عبارة عن رسالة من مدير ادارة الانشاءات فى أوشفيتز إلى رئيس المجموعة الهندسية فى الجستابو ، وهى تشير إلى عملية ، التحويل إلى الحالة الغازية وهى قاعدة عامة فى جميع أفران الحرق . والخطاب مصاغ بأسلوب يبدو من الغريب معه أن توجد جثث فى قبو توليد الغاز حيث إن الجثث تحفظ عادة فى القبو المستخدم كمستودع للجثث وهى الترجمة السليمة .

والواقع أن الوثيقة رقم ٤٤٧٣ ، مثلها فى ذلك مثل الكثير جدا من وثائق الادعاء تميل إلى نفى مزاعم الادعاء إذا ما فهمت فهما سليما . ونجد أنه يوجد فى المحرقة رقم (٢) قبوان على الأقل ، واحد لحفظ الجثث وآخر لتوليد الغاز ، وأن أيا منهما لم يكن « حجرة غاز » .

والوثيقة رقم ٤٤٧٣ تضمها الآن مجلدات محاكمات نورمبرج العسكرية ضمن مجموعة مختارة من أدلة الادعاء الخاصة بالقضية رقم ٤ (محاكمة ادارة معسكر الاعتقال) . ويجب على المرء هنا أن يفترض أن الادعاء قد أحسن الاختيار .

ويتناول هيلبرج المسألة بأسلوب مختلف وإن كان أقل عمقا بمرمر الكرام بشكل يصعب تعليله على الوثيقة رقم ٤٤٧٣ بدون تناول المشكلة التى تثيرها ، بل إنه يقتبس من الوثيقة بدون أن يقتبس من الجملة التى ترد فيها كلمات « غرفة توليد الغاز » . ويكتفى باعلان أن قبو حفظ الجثث فى المحرقتين رقم ٢ ورقم ٣ وان « الحمامات » فى المحرقتين رقم ٤ ورقم ٥ ، كانت فى واقع الأمر بمثابة « غرف للقتل بالغاز » ولم يقدم أى اثباتات على هذا ، فالوثائق التى ذكرها هيلبيرج فى هذا الصدد لا تتحدث عن « غرف غاز » و « الدليل » الوحيد الذى يبرز تفسير هاتين الكلمتين على هذا الأساس يرد فى الاقرارات وفى الشهادة التى أدلى بها (فى ٢٧ و ٢٨ يونيو سنة ١٩٤٧) وولفجانج جروش ، وهو مهندس وضابط برتبة ميجور فى قوات الجستابو وذلك بوصفه شاهدا لا متهما وذلك فى القضية رقم ٤ ، والذى وصف فيها هذه الأماكن بأنها « غرف غاز » ، على أساس أن وجود مادة السيكلون فى أشفيتز يعتبر مبررا واضحا لمثل هذا الوصف ، بيد أن جروش يعتبر شاهدا متقلبا جدا حيث زعم فى الاقرارات الخطية التى قدمها بتاريخ ٢٠ فبراير و ٥ مارس سنة ١٩٤٧ أنه كان يعلم بوجود غرف الغاز ، ثم تراجع فى ٢٧ يونيو سنة ١٩٤٧ وهو اليوم السابق للادلاء بشهادته وابان استجوابه ، عن كل هذه التصريحات وأنكر أى معرفة بوجود غرف غاز ، ولا تتضمن مجلدات محاكمات نورمبرج أى جزء من شهادة جروش ، كما أن هيلبرج لم يقتبس شيئا من شهادة ذلك الشاهد أو من أقراراته المكتوبة .

وليس ثمة سبب إلى قبول المزاعم الخاصة « بقبو الجثث والحمامات ، بل إن كل الأسباب تدعو إلى رفضها . أما بالنسبة لقبو الجثث فقد رأينا أنه ليس هناك شىء غريب فى وجود منشآت لحفظ الجثث فى أوشفيتز بل إن الوثيقة رقم ٤٤٧٣ تبين أن قبو الجثث بالمحرقة رقم ٢ كان مخصصا لاستخدامه لمستودع لحفظ الجثث أما الحمامات فقد رأينا أن

وجود « دش » مخصص لنزلاء المعتقل الوافدين كان اجراء معتادا فى جميع المعسكرات الألمانية ، ومن ثم فانه كان لابد من وجود أدشاش فى بيركناو . وهنا يتضح لنا من الرسم أن حمامات المحرقتين رقم ٤ و رقم ٥ تقع بالقرب من « مبانى الترشيح » وكذلك بالقرب من « كندا » ، وهى مبنى تحفظ فيه ملابس الوافدين على المعسكر . وليس هناك شك فى أن « حمام البخار » كان مخصصا لتطهير الملابس . سواء أقبل حفظها أم بعد انتزاعها مؤقتا من المعتقلين ولو كان حمام البخار مخصصا للمعتقلين الوافدين لاحتاج المعتقلون بعد ذلك إلى دش بارد على اية حال . اذ يقوم هؤلاء الاشخاص بخلع ملابسهم بالقرب من « كندا » ثم يغتسلون تحت الدش . فهل يوجد تفسيرا أبسط من هذا ؟

ولا يمكن لأى اعتبارات منطقية أن تخرج غرف الغاز هذه إلى الوجود . والزعم بأن الحمامات التى يقال انها موجودة فى نفس المبانى التى يقال إن افران المحرقات فيها هى فى حقيقتها غرف غاز ، ليس لها أساس من الصحة ، وهذا ينطبق ايضا على الزعم الخاص بحمامات فى دخاو والتى كانت موجودة فى مبنى الحرق فى ذلك المعسكر .

وبهذه المناسبة فإن هناك قدرا من الشك فيما اذا كانت قاعات الاغتسال تحت الدش موجودة بالفعل فى نفس مبانى المحرقتين رقم ٤ ورقم ٥ التى تضم أفران الحرق ، حيث إن خريطة المعسكر الواردة فى تقرير « مجلس لاجئ الحرب » تبين أن الحمامات كانت مبنى مشتعل . بيد أن هذه النقطة ليست بذات أهمية .

وبهذا ينتهى تحليل جميع النقط التى أثارتها الفقرة السابقة من إقرار هوس .

الفقرة الأخيرة :

هذه النقطة ذات أهمية ثانوية . فإنه يبدو غريبا أن يكون اقرار هوس مكتوبا باللغة الانجليزية وليس لدينا أى دليل يشير إلى أن هوس كان ملما باللغة الانجليزية ، ولكنه ربما كان يعرف شيئا عنها ، شأنه فى ذلك شأن كثير من الألمان .

غير أن أى ألمانى حصيف ، وهو يوقع وثيقة تنطوى على مثل هذه الأهمية ، بمحض اختياره وبدون قهر ، ما كان ليكتفى بمجرد معرفة عادية بلغة أجنبية فإما أنه كان يعتبر نفسه خبيرا فى الإنجليزية أو كان سيصر على الحصول على ترجمة ألمانية ليوقعها (وكان من المحتم

أن يلبى مثل هذا الطلب) . ومن الواضح أن هوس لم يكن فى حالة تمكنه من الإصرار على أى شيء .

وليس هناك شك فى أن هوس كان يأمل أن يفتدى حياته فى مقابل تعاونه مع الادعاء فى المحاكمات العسكرية الدولية ، والأرجح أن عرضا محددا قدم فى هذا الصدد . غير أن المكافأة الوحيدة التى حصل عليها هوس ثمنا لخدماته هى ترحيله إلى بولندا بعد شهر تقريبا من ادلائه بشهادته فى المحاكمات العسكرية الدولية . وفى بولندا أدى واجبه نحو معتقليه وكتب سيرته الشخصية ، والتى قال فيها أنه انما كان ينفذ الأوامر فيما يتعلق بعمليات الابادة . وكانت مكافأته فى هذه المرة قاضية ، اذ تمت محاكمته « وأعدم فى ابريل سنة ١٩٤٧ . وقد نشرت « السيرة الشخصية » لهوس مترجمة إلى البولندية فى سنة ١٩٥١ وبالانجليزية والالمانية فى سنة ١٩٥٩ .

دور بيركناو :

كانت بيركناو تؤدى المهام الطبيعية لأى معسكر اعتقال ألمانى ، فقد كانت تأوى المعتقلين بهدف أساسى وجوهرى وهو استغلالهم فى العمل . وعلى هذا فإننا عندما نشير إلى الدور الذى كان يلعبه معسكر بيركناو فإننا إنما نشير بذلك إلى النظرية التى تقول بأن بيركناو كانت تقوم بمهمة محددة وخاصة جدا ذات علاقة قوية بالأمور التى نبحثها .

والنظرية ، التى أعتقد أنها لا تقبل جدلا هى ببساطة أن بيركناو وكانت مخصصة لايواء كل من كانوا ضمن فئة غير العاملين ولكنهم كانوا فى الوقت نفسه ، ولسبب أو آخر ، ضمن مسئولية ادارة البوليس السرى (الجستابو) فى أشفيتز . وعلى هذا فإن بيركناو كانت مخصصة لاستقبال المصابين بأمراض مستديمة أو شبه مستديمة ، والمحتضرين ، والموتى ، والذين لم يبلغوا سن الرشد والمسنين ، والذين لم تسند إليهم مؤقتا أى أعمال والذين كانت أوشفيتز بالنسبة لهم معسكرا مؤقتا قبل انتقالهم إلى جهة أخرى . ومن الممكن أنها كانت تستقبل أيضا نفس الفئات من معسكرات أخرى (بما فى ذلك أولئك المرسلين من المعسكرات الصغير المتعددة فى منطقة كاتوفيتز) أو من بين أفواج المرحلين الوافدين وهذه النظرية تقوم على أساس الاعتبارات التالية :

أولا : من الواضح أن معسكر بيركناو كان ، كما لاحظنا ، بمثابة المعسكر « الأساسى » لايواء المعتقلين. وكانت أوشفيتز رقم (١) هى المعسكر « الرئيسى » من الناحية

الادارية ، ولكنه كان فى الوقت نفسه مكونا من ثكنات عسكرية موسعة ، فى حين أن معسكر بيركناو صمم منذ البداية ليكون معتقلا أوسع كثيرا وخصص لمتطلبات عمليات الجستابو فى المنطقة .

ثانيا : أشرنا من قبل إلى أنه كان يتم ارسال الذين يخرجون من مستشفى مونوفيتز وغير الصالحين للعمل إلى بيركناو .

ثالثا : كان هناك معسكرات عائلية فى بيركناو (معسكر « الفحم » ومعسكر يهود تيرزتشتاد الواضحين فى الصورة رقم ٢٩) . وقد رأينا كيف أن هؤلاء الاشخاص كانوا يوصفون بأنهم « فى انتظار الترحيل » اثناء اقامتهم التى كانت تحدد من قبل لفترة محدودة ، وبذلك فإن التفسير الواضح لهذه المعسكرات العائلية هو أنها معسكرات انتقالية مماثلة لتلك الموجودة فى بيلسن وفى فيستربورك . أما الجهة التى كانت تنقل هذه الأسر إليها فاننا سنشير إليها ونبحثها فى فصل تال .

رابعا : لم تقم أى منشآت شاسعة بشكل غير عادى لحرق الجثث الموتى الا فى بيركناو .

خامسا : كان من الطبيعى جدا ألا تعمل نسبة كبيرة جدا من المعتقلين فى بيركناو ووفقا لملاحظات رايتلنجر فانه خلال عامين ابتداء من صيف سنة ١٩٤٢ حتى صيف سنة ١٩٤٤ لم يتم تشغيل سوى شريحة صغيرة جدا من السكان المرضى والجوعى فى بيركناو ودلت الاحصائيات على أنه فى ٥ ابريل سنة ١٩٤٤ كان خمسة عشر ألف من المعتقلين فى بيركناو البالغ عددهم ستة وثلاثين ألفا يعتبرون غير قادرين على العمل ، فى حين أن ثلاثة آلاف فقط من الواحد والثلاثين ألف معتقل فى منطقة أوشفيتز كانوا يعتبرون من تلك الفئة . وبعد ذلك بشهر واحد اعتبر ثلثا الثمانية عشر ألف معتقل فى معسكر الرجال ببيركناو ضمن فئة غير القادرين على الحركة « وغير القادرين على العمل » وغير المعينين فى عمل والحقوا بالمبانى المخصصة للمرضى وللحجر الصحى .

وهكذا فإن . . من المستحيل علينا ، طبعا ، أن نقبل الافتراض الذى كثيرا ما كان يتردد ، ويفيد بأن ارسال المرضى وغير الصالحين للعمل إلى بيركناو يعنى اعدامهم . وقد قيل هذا بوجه خاص فيما يتعلق بالمرضى الذين ينقلون من مونوفيتز إلى بيركناو ، وأكد هذا الاعتقاد أن ملابس هؤلاء المعتقلين كانت تعاد إلى مونوفيتز وكانت عملية اعادة الملابس تتم بالطبع ، نتيجة لانتقالهم من ميزانية مصانع فارين لميزانية البوليس السرى .

سادسا : وأخيرا ، كان معدل الوفيات فى بيركناو مرتفعا بشكل غير عادى ، وأن كانت هناك بعض الصعوبات فى تقدير الاعداد الا فى أوقات معينة . وكان أول حدث هام فى هذا الصدد هو وباء التيفوس الذى انتشر فى صيف سنة ١٩٤٢ والذى أدى إلى اغلاق مصنع المطاط الصناعى لمدة شهرين ، ابتداء من أول أغسطس من ذلك العام ، والدليل الرئيسى على هذا هو تقرير مجلس لاجىء الحرب ، ولكن كانت هناك أيضا أدلة أخرى تؤكد هذا .

أولها : من المؤكد أن وباء التيفوس قد انتشر فى أوشفيتز .

ثانيها : تبين البيانات التى قدمها الصليب الاحمر الهولندى (الملحق ج) أن متوسط معدل الوفيات فى معسكر الرجال بيركناو فى الفترة من ١٦ يوليو إلى ١٩ أغسطس سنة ١٩٤٢ بلغ حوالى ١٨٦ شخصا فى اليوم ، مع تغير المعدلات إلى الارتفاع بشكل ملحوظ فى نهاية الفترة عنها فى بدايتها .

ثالثها : يوجد فى امسترادام مجلد واحد من سجل الوفيات فى بيركناو (وقد نوقش أيضا فى تقرير الصليب الأحمر الهولندى) . ويتضمن هذا المجلد شهادات الوفيات التى صدرت خلال خمسة أيام تمتد من ٢٨ من سبتمبر إلى ١٢ من أكتوبر سنة ١٩٤٢ . وبلغ عدد الوفيات ألف وخمسمائة فرد ، وكانت أسباب الوفاة المسجلة فى الشهادات تتفق والحالات الخاصة بوباء التيفوس ، وان بدا أن رايتلنجر يرى أن الأسباب المسجلة مثل « ضعف عضلات القلب » وغير ذلك انما هى تشخيصات مختلفة ووهمية من صنع الأطباء المعتقلين ، الذين كانوا يحاولون انقاذ مرضاهم من ادراج أسمائهم فى « قائمة الترحيل » أو من حقنهم بحامض الكربوليك والواقع أن الاسباب الواردة فى شهادات الوفاة ، كانت تتفق تماما ومرض التيفوس ، وبالرجوع إلى الموسوعة البريطانية الطبعة الحادية عشر) فاننا نجد ما يلى تحت عنوان « حمى التيفوس » :

« غير أن حمى التيفوس قد تكون مميته فى أى مرحلة من مراحل تطورها وفى المرحلة الأولى من النقاهة أما نتيجة لتوقف عمل القلب بصورة مفاجئة – وهى حالة محتملة بصورة خاصة – أو من بعض الأعراض التى تصيب الجهاز العصبى ، مثل الالتهاب السحائى أو الغيبوبة العميقة أو نتيجة لبعض المضاعفات الأخرى مثل النزلات الشعبية . وبالإضافة إلى هذا فإنه احيانا تقع الوفاة قبل ذروة الازمة نتيجة للاجهاد التام ، خاصة فى حالة أولئك الذين يشعرون باجهاد جسمانى أو عصبى نتيجة للعمل المضنى ، أو سوء التغذية وقلة

النوم أو ادمان المسكرات .

ونظرا لسياسة ارسال المرضى إلى بيركناو فإنه يبدو أن ضحايا وباء التيفوس كانوا يسجلون ضمن الوفيات فى بيركناو ، بصرف النظر عن الجهة التى كانوا يعملون بها . ويزعم تقرير مجلس لاجئ الحرب أن جملة الوفيات أثناء الشهرين أو الثلاثة التى انتشر فيها الوباء فى أوشفيتز بلغت ما يتراوح خمسة عشر ألف وعشرين ألف حالة وفاة . وبالرغم من عدم امكان الثقة فى قلة النوم أو ادمان المسكرات .

ونظرا لسياسة ارسال المرضى إلى بيركناو فإنه يبدو أن ضحايا وباء التيفوس كانوا يسجلون ضمن الوفيات فى بيركناو ، بصرف النظر عن الجهة التى كانوا يعملون بها . ويزعم تقرير مجلس لاجئ الحرب أن جملة الوفيات أثناء الشهرين أو الثلاثة التى انتشر فيها الوباء فى أوشفيتز بلغت ما يتراوح خمسة عشر ألف وعشرين ألف حالة وفاة . وبالرغم من عدم امكان الثقة فى هذا المصدر ، فإن هذا القول يتفق على الأقل من حيث الحجم مع المعلومات الأخرى المتوفرة لدينا عن أوشفيتز فى هذا الصدد (وإن كان من المحتمل أن هناك بعض المبالغة على الأقل وكما سنرى فيما يلى ، فإن صيف سنة ١٩٤٢ كان أسوأ صيف يمر على أوشفيتز إلى حد بعيد .

وجدير بالذكر أن حقنة حامض الكربوليك التى ذكرها رايتلنجر ترد فى أماكن كثيرة من الوثائق مما يجعلها تبدو حقيقية ، وكان يتم احيانا قتل نزلاء معسكرات الاعتقال المصابين بأمراض قاتلة بوساطة حقنهم فى القلب بحامض الكربوليك .

وبالطبع فإن حقيقة المعدل العالى للوفيات فى أوشفيتز أثناء صيف عام ١٩٤٢ ، ليس له الاعلاقة غير مباشرة ، على أحسن الافتراضات ، بأى عمليات « الابادة » ، حيث كانت جميع حالات الوفيات مسجلة نتيجة لاسباب عادية ، ولا يمكن ربطها بعمليات ابادة تتم فى سرية متعمدة كما أن هذه المعدلات ليست لها علاقة باليهود ، بصفتهم هذه ، رغم أن بعض الضحايا كانوا من اليهود .

ويقدر رايتلنجر أن معدل الوفيات المرتفع فى أوشفيتز كان يتراوح ما بين مائة وستين ومائة تسعة وسبعين حالة يوميا — وهو المعدل المعتاد . غير أن المعلومات التى يقدمها لنا تنطبق أساسا على صيف سنة ١٩٤٢ ، الذى كان يتميز بالكوارث بصفة خاصة . ويجب أن نلاحظ أنه فيما يتعلق بمعدلات الوفيات العالية هذه فإن رايتلينجر وهيلبيرج ، وهما من أكبر مروجى أسطورة الابادة ، يبالغان كثيرا فى الاحداث التى وقعت فى أوشفيتز ، وان

كانا يفرقان بين معدلات الوفيات المرتفعة وبين عمليات الابادة . ولذلك فإنه من الملفت للنظر بل يكاد يكون من غير المعقول ، أنهما لم يضعا فى اعتبارهما احتمال أن أفراد الحرق كانت موجودة نتيجة لهذه المعدلات العالية فى الوفيات . بل على العكس من ذلك فإن كليهما يتناول مسألة هذه الأفران وكأنها اقيمت أساسا لخدمة برنامج الابادة .

وكان من الطبيعى أن تصبح مثل هذه المعدلات العالية فى الوفيات داخل هذه المؤسسات التى كان من المفترض أنها توفر الايدى العاملة والتى كانت هناك حاجة ماسة إليها ، أمر لا يحتمل ، ولذلك فإنه فى نهاية سنة ١٩٤٢ بدأت حملة من أجل تخفيض معدل الوفيات فى معسكرات الاعتقال ، وأصدر هيملر فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٢ أوامره بضرورة « تخفيض معدلات الوفيات بأى ثمن » . وأصدر جلوكس فى ٢٠ يناير سنة ١٩٤٣ أوامره فى خطاب دورى ، إلى جميع قادة معسكرات الاعتقال ، باستخدام « كل وسيلة ممكنة لتخفيض معدل الوفيات » . وفى ١٥ مارس سنة ١٩٤٣ كتب بوهل إلى هيملر يقول :

« إن الحالة الصحية . . للمسجونين المرسلين إلى المعتقلات من قبل وزارة العدل تنذر بكارثة . ويجب أن يوضع فى الاعتبار أن معدل الوفيات فى جميع المعسكرات يتراوح ما بين ٢٥ ، ٣٠ ٪ على الأقل . وقد بلغ عدد المسجونين حتى الآن ١٠١٩١ سجينا وضع منهم ٧٥٨٣ سجينا فى معسكر ماوتهاوزن – جوسن وبلغت جملة الوفيات ٣٨٥٣ حالة من بينها ٣٣٠٦ ماتوا فى ماوتهاوزن – جوسن . ومن المحتمل أن يكون السبب فى ذلك أن كثيرا من هؤلاء المسجونين . . الذين أمضوا سنوات طويلة فى السجون يعانون من الضعف الجسمانى نتيجة لنقلهم إلى بيئة مختلفة . . كما أرسل إلى المعسكرات أيضا عدد كبير من المصابين بمرض السل .

وطلب بوهل فى ١٠ ابريل من هيملر الموافقة على مسودة خطاب مرسل إلى وزير العدل ويشير الخطاب ، الذى تمت الموافقة عليه ، إلى أن ٥٩٣٥ مسجونا من المسجونين المنقولين إلى معسكرات الانتقال والبالغ عددهم ١٢٦٥٨ مسجونا قد ماتوا حتى أول ابريل واشتكى بوهل فى خطابه من أن هذه .

« المعدلات العالية للوفيات بهذه الصورة المذهلة ترجع إلى حقيقة أن السجون التى قامت بتحويلهم إلى المعسكرات انما حرصت على تحويل المسجونين الذين وصلوا إلى أسوأ حالة صحية ممكنة (وأنه) بالرغم من كل الجهود الطبية الممكنة لا يمكن تخفيض معدل

الوفيات . . ولا أحب أن أجعل من معسكرات الاعتقال مركزا للحجر الصحى ؟

والأمر الذى يعرض أمامنا هنا انما هو تنافس الادارات المختلفة أو على الاقل تضارب مصالح . ولا شك أن سجون المانيا كان لديها المجالات الاقتصادية والانتاجية الخاصة بها ، ولم تكن تحجم عن التخلى عن المسجونين الأصحاء فحسب بل أنها كانت تواقه أيضا إلى التخلى عن المسجونين المرضى .

ولا نعرف ما إذا كان بوهل قد نجح أو لم ينجح فى الحصول على مزيد من التعاون جانب جهاز السجون . بيد أنه فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٣ تمكن من تقديم تقرير عما استطاع أن يحرزه من تقدم مرجعه أساسا الاجراءات الصحية والغذائية والادارية ، وقد قدم الجدولين التاليين إلى رئيس الجستابو ووعد بأن تكون النتائج التى تم تحقيقها فى هذا المجال ذات طبيعة مستديمة ، مع وضع حلول موسم البرد فى الاعتبار .

حالات الوفيات فى معسكرات الاعتقال
من يوليو سنة ١٩٤٢ إلى يونيو سنة ١٩٤٣

الشهر	عدد المعتقلين	الوفيات	النسبة المئوية
يولية	٩٨٠٠٠	٨٣٢٩	٨,٥٠
أغسطس	١١٥٠٠٠	١٢٢١٧	١٠,٦٢
سبتمبر	١١٠٠٠٠	١١٢٠٦	١٠,١٩
أكتوبر	٨٥٠٠٠	٨٨٥٦	١٠,٣٢
نوفبر	٨٣٥٠٠	٨٠٩٥	٩,٦٩
ديسمبر	٨٨٠٠٠	٨٨٠٠	١٠,٠٠
يناير	١٢٣٠٠٠	٩٨٣٩	٨,٠٠
فبراير	١٤٣١٠٠	١١٦٥٠	٨,١٤
مارس	١٥٤٢٠٠	١٢١١٢	٧,٨٥
ابريل	١٧١٠٠٠	٨٣٥٨	٤,٧١
مايو	٢٠٣٠٠٠	٥٧٠٠٠	٢,٨٠
يونيه	١٩٩,٥٠٠٠	٥٦٥٠	٢,٨٣

حالات الوفيات خلال شهر أغسطس سنة ١٩٤٣

اسم المعسكر	عدد المعتقلين	الوفيات	نسبة شهر أغسطس	نسبة يوليو	نسبة التغير
داخاو	١٧٣٠٠	٤٠	٠,٢٣	٠,٣٢	٠,٠٩
زكسينهاوزن	٢٦٥٠٠	١٩٤	٠,٧٣	٠,٧٨	٠,٠٥
بوخنفالد	١٧٦٠٠	١٨٨	٠,٦٧	١,٢٢	٠,٥٥
ماوتهاوزن جوسن	٢١١٠٠	٢٩٠	١,٣٧	١,٦١	٠,٢٤
فلوسينبرج	٤٨٠٠	١٥٥	٣,٢٣	٣,٢٧	٠,٠٤
نوينجام	٩٨٠٠	١٥٠	١,٥٣	٢,١٤	٠,٦١
أوشفيتز (رجال)	٤٨٠٠٠	١٤٤٢	٣,٠٠	٢,٩٦	٠,٠٤
أوشفيتز (نساء)	٢٦٠٠٠	٩٣٨	٣,٦١	٥,١٥	١,٥٤
جروسروزن	٥٠٠٠	٧٦	١,٥٢	٢,٦٩	١,١٧
ناتزفايلر	٢٢٠٠	٤١	١,٨٧	١,٦٣	٠,٢٤
بيرجن بيلزن	٣٣٠٠	٤	٠,١٢	٠,٣٩	٠,٢٧
شتهوتهوف (رجال)	٣٨٠٠	١٣١	٣,٤٥	٥,٦٩	٢,٢٤
شتوتهوف (نساء	٥٠٠	١	٠,٢٠	٠,٠٠	٠,٢٠
لوبلين (رجال)	١١٥٠٠	٨٨٢	٧,٦٧	٤,٦٢	٣,٠٥
لوبلين (نساء)	٣٩٠٠	١٧٢	٤,٤١	٢,٠١	٢,٤٠
رافيسبروك (رجال)	٣١٠٠	٢٦	٠,٨٤	٠,٧٦	٠,٠٨
رافيسبروك (نساء)	١٤١٠٠	٣٨	٠,٢٧	٠,٢٤	٠,٠٣
ريجا	٣٠٠٠	١	٠,٠٣	٠,٣٣	٠,٣٠
هيرتوجنبوش					
المجموع	٢٢٤٠٠٠	٤٦٩٩			

متوسط النسبة الكلية لشهر أغسطس سنة ١٩٤٣ ٢,٠٩ ٪

متوسط النسبة الكلية لشهر يوليو سنة ١٩٤٣ ٢,٢٣ ٪

الانخفاض ١٤,٠ ٪

وبذلك فانه حتى بعد مرور نصف عام على الحملة الخاصة بتخفيض معدل الوفيات فى

المعسكرات ، فإن متوسط الوفيات أو أوشفيتز ظل ثمانين حالة وفاة يوميا . وحيث أن معظم « غير القادرين على العمل » كانوا موجودين ، كما رأينا ، فى بيركناو ، فإنه من المؤكد أن معظم هذه الوفيات تمت هناك .

ويبدو أيضا أن معسكرات أوشفيتز قد تلقت مجموعات سيئة من المعتقلين من المعسكرات الأخرى .

ويقدم لنا تقرير الصليب الأحمر الهولندى أيضا (المجلد الثانى) بعض البيانات عن معدلات الوفاة بأشفيتز فى الفترة من سنة ١٩٤٢ إلى سنة ١٩٤٣ . ويذكر التقرير أنه فى الفترة من ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٤٢ إلى ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٣ كان معدل الوفيات فى الأسبوع يصل إلى حوالى ٣٦٠ وفاة فى المتوسط ، وفى الفترة من ٢٦ فبراير إلى أول يوليو سنة ١٩٤٣ كان المعدل فى الأسبوع هو ١٨٠ وفاة . ويتردد أيضا أن مجموعة كاملة من اليهود الهولنديين وعددهم ١٢٤ يهوديا دخلوا بيركناو فى يوليو وأغسطس سنة ١٩٤٢ لقوا جميعا حتفهم فى الفترة بين ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٤٢ وأول يوليو سنة ١٩٤٣ . بيد أن الأرقام الخاصة باجمالى الوفيات تبدو منخفضة نوعا ما ويصعب التوفيق بينها وبين المعلومات السابق ذكرها ، ولذلك فربما كان هناك خطأ ما أو سوء فهم فى هذه المسألة .

ومن الواضح تماما أن هذه الوفيات ، مهما كانت مؤسفة ومهما كانت طبيعة وموقع المسئولية عنها لم يكن لها أى علاقة بالابادة أو باليهود باعتبارهم يهودا . ومن وجهة نظر الإدارة العليا للجستابو ، كانت هذه الوفيات أمرا « مفجعا » وبذلت الجهود للسيطرة عليها . وليس بمستغرب اذن أن توجد فى أوشفيتز نتيجة لهذا المعدل المرتفع من الوفيات ، ونتيجة لتوقع ارتفاع معدل الوفيات إلى المئات يوميا ، تسهيلات لحرق الجثث وحفظها .

ولم يتحسن معدل الوفيات فى أوشفيتز ابان الحرب الا بدرجة طفيفة فقط . وفى سنة ١٩٤٤ ، عندما زاد عدد المعتقلين فى ذلك المعسكر إلى مائة الف معتقل أو أكثر (وربما كان هذا نتيجة لفقد الأراضى فى الشرق مما أدى إلى اخلاء معسكرات العمل) ، كان معدل الوفيات يتراوح بين ٣٥٠ إلى ٥٠٠ حالة وفاة أسبوعيا فى بيركناو (وهو المعسكر الذى كان يتحمل كما رأينا الجزء الأعظم من معدل الوفيات فى أوشفيتز) .

وأنه لمن الحقائق المؤسفة أن « المعسكرات » التى تقام أثناء الحرب ، حتى فى العصور الحديثة تعتبر « مصائد موت » بالنسبة لكثيرين ممن يرسلون إليها . وتعتبر الأسباب الأساسية لهذه الحالات متشابهة وهى الزج بأعداد كبيرة من الاشخاص بشكل عشوائى إلى

معسكرات مقامة على عجل ، وعدم كفاية الاجراءات الصحية اللازمة ، وغموض الوضع فيما يتعلق بالغذاء والمدادات الاخرى . ومن ثم فإنه خلال الحرب الأهلية الأمريكية بلغت معدلات الوفيات فى معسكرات أسرى الحرب فى الشمال مثل روك أيلند وكامب دوجلاس ، من ٢ ٪ — ٤ ٪ شهريا بل أن معدلات الوفيات فى المعسكرات التى كانت موجودة فى الجنوب مثل معسكر فلورنس ، فاقت هذه الأرقام بكثير ، حيث كانت تؤدى حالات الاسهال والاصابات بالاسقربوط إلى حدوث ما يتراوح بين عشرين وخمسين حالة وفاة يوميا من بين اثنى عشر ألف أسير . وكانت الأحوال فى معتقل اندرسون قيل أسوأ من هذا ، فقد توفى ثلاثة عشر ألف أسير من بين خمسين ألف أسير من القوات الاتحادية المحتجزين فى هذا المعتقل . وخلال حرب البوير من سنة ١٨٩٩ حتى سنة ١٩٠٢ فى جنوب أفريقيا تم اعتقال مائة وعشرين ألف من البوير البيض غير المحاربين وخمسة وسبعين ألف من الافريقيين السود فى المعتقلات البريطانية . وكان معدل الوفيات بين البوير لمدة عام تقريبا ، يتراوح بين ١٢٠ و ٣٤٠ فى الألف سنويا (أى ١,٢ ٪ إلى ٣,٤ ٪ شهريا) بيما بلغ معدل الوفيات بين أطفال البوير ، نتيجة لانتشار وباء الحصبة أساسا ٦٠٠ فى الألف سنويا (أى ٧,٣٥ ٪ شهريا) . وقد توفى فى هذه المعتقلات ما يقرب من عشرين ألف أمرأة وطفلا من البوير . وقد قام الألمان خلال الحرب العالمية الأولى بالجمع بين أسرى الحرب الروس وأسرى الحرب من الجنسيات الأخرى فى معسكرات واحدة مما أدى إلى انتشار وباء التيفوس فى هذه المعسكرات ، الأمر الذى يشبه كثيرا الأحوال التى كانت تسود معسكرات الاعتقال ابان الحرب العالمية الثانية . ولقد عرفنا كيف أن الروس كانوا يستغلون كعمال فى معسكرات الاعتقال ، خاصة فى أوشفيتز ، ولذلك فانه ليس هناك شك فى أنهم كانوا أحد المصادر الرئيسية فى انتشار وباء التيفوس . وحيث أنهم كانوا لا يعتبرون ضمن المعتقلين المنتظمين فى المعسكر فليس من الواضح ما إذا كانوا يدرجون ضمن أرقام الوفيات فى المعسكرات التى استعراضناها فيما سبق أم لا . غير أنه من المؤكد أنهم أدرجوا ضمن المعدلات الشاملة للوفيات فى المعسكرات وأنه كان يتم التخلص من جثثهم فى نفس أفران الحرق ، غير أن اعداد هذه الجثث ليست معروفة لدينا .

والأمر السخيف الذى يميز كل هذا ، والذى يلفت نظر دارس الموضوع ، يظهر لنا فى المجلد الخامس من محاكمات نورمبرج الذى يلخص لنا القضية رقم ٤ ، المرفوعة من « الولايات المتحدة الأمريكية ضد بوهل . » فى الجزء ب ، تحت عنوان نظام معسكرات

الاعتقال » ، نجد وثائق تبين أن المعسكرات كانت تعانى من معدلات وفاة عالية بشكل مذهل . ولقد لخصنا هذه الوثائق فيما سبق . ثم نجد فى الجزء هـ ، تحت عنوان « برنامج الابادة » ، وثائق تبين أن الألمان كانوا يقومون بتشييد المبانى الخاصة بأفران الحرق فى نفس هذه الفترة التى ارتفعت فيها معدلات الوفيات . ويبدو أنه كان هناك اعتقاد بأن أحد لن يقرأ فعلا أحد هذه المجلدات ، أو لعل الذين جمعوها لم يقرأوها .

وإذا أخذنا فى الاعتبار المعدلات المختلفة للوفيات ، فإننا سنجد أن عدد الأفران فى أوشفيتز كانت مساوية تماما لتلك الأفراد التى كانت موجودة فى المعسكرات الأخرى التى لم يكن يوجد فيها عمليات ابادة . ففى سنة ١٩٤٢ تم تشييد محارق فى داخاو وفى زاكسنهاوزن ، وكانت كل محرقة تضم أربعة أفران . وكان يوجد بداخاو قبل سنة ١٩٤٢ محرقة تضم فرنيين ، وظلت المحرقة تستخدم بعد الحرب سنة ١٩٤٢ . وأرجح الاحتمالات أن نفس الوضع كان قائما فيما يتعلق بمحرقة أخرى كانت موجودة من قبل فى زكسنهاوزن . وفى بوخنفالد ، كانت تسهيلات حرق الجثث القائمة قبل الحرب هى تلك الموجودة فى مدينتى فاريمارويينا المجاورتين وبعد اشتعال الحرب اقيمت محارق فى المعسكر وبحلول نهاية سنة ١٩٤١ كان يوجد فى بوخنفالد محرقة تضم ستة أفران . ويبدو أن محرقة فايمار ظلت تستخدم حتى نهاية الحرب ومن المحتمل أيضا أن أفران الحرق بالمعسكرات سواء أكان ذلك فى أوشفيتز أم فى دخاو أم أى مكان آخر ، كانت تستخدم فى التخلص من جثث بعض الاشخاص الذين لم يكونوا ضمن قوائم نزلاء المعسكرات (كاسرى الحرب الروس مثلا) .

هذا اذن هو رأينا فى ظاهرة « الوفيات » فى معسكرات الاعتقال النازية ، وهو رأى لا يتفق مع وجهات نظر كريستوفرسن وشتايجليش ، اللذين لم يلاحظا ارتفاع معدلات الوفيات واللذين لم يقتنعا بوجود تسهيلات حرق موسعة فى أوشفيتز ، وتقوم وجهة نظرنا على أساس وثائق الادعاء والمواد المماثلة المتعلقة بهذه المسألة ، أما وجهات نظرهما فهى مبنية على أساس مشاهداتهما فى أوشفيتز سنة ١٩٤٤ . وقد يبدو أن ملاحظاتهما أكثر مدعاة للثقة من المادة المدعمة بالوثائق ، ولكنى أعتقد أن الدراسة الدقيقة للمسألة ، تحل هذه النقطة لصالح نظريتنا ، فى حين أنها لا تنفى صدق ملاحظاتهما .

صحيح أن هناك احتمالا لحدوث تزوير فى الوثائق ، بل هو فى الواقع أكثر من مجرد احتمال . وسيتضح لنا فيما بعد أنه كان هناك قدر كبير من التزوير فى وثائق نورمبرج . بيد أنه لايبدو أن الوثائق المتعلقة بمسألة الوفيات فى المعسكرات وبتشييد المحرقات قد تناولها

التريبف ، لسبب بسيط وهو أنه لم يرد بها أى ذكر لعمليات ابادة ، ويمكن للقارئ التحقق من هذا بالاطلاع على « مختارات » من الوثائق فى المجلد الخامس من محاكمات نورمبرج العسكرية . وهذه الوثائق تشير إلى الارتفاع الكبير فى معدلات الوفيات ، فى فترات معينة ، بمؤسسات العقوبة (معسكرات الاعتقال) ، التى كانت دولة صغيرة نسبيا — تجارب من أجل البقاء ضد كل الاحتمالات — تحاول استغلالها فى توفير العمالة . ومن المعقول تماما أن يكون ارتفاع معدلات الوفيات احدى العواقب .

وبينما لم تذكر الوثائق ، التى استعرضناها ، شيئا عن الابادة فانها تعتبر مع ذلك غير مرضية نوعا من حيث أنها لا تعطى المرء صورة كاملة عن أسباب ارتفاع معدلات الوفيات ولا تحدد بوضوح نوعية الضحايا ومسألة المسجونين غير الأصحاء الذين كانت تبعث بهم وزارة العدل لا تعتبر تبريرا كافيا . ولذلك فإنه يجب الاستنتاج والتخمين للتوصل إلى الصورة الكاملة ، وذلك سنقدم انطباعاتنا فيما يلى .

كانت معسكرات الاعتقال الألمانية فى الثلاثينيات تؤدى مهاما تأديبية ومهاما متعلقة بالامن فقط ولا تؤدى أى وظائف اقتصادية . وبعد بدء الحرب مع الروس مرت المعسكرات بعمليات توسع سريعة كما بدأت فى الاضطلاع بأدوار اقتصادية وبذلك فانه خلال سنة ١٩٤٢ كانت ثلاثة أمور تحدث فى المعسكرات : (أ) أن التوسع السريع صحبته فوضى عامة ، ظهور مشاكل غير متوقعة ومصاعب تنظيمية ، وهى أمور شائعة الحدوث عندما يتم تنفيذ أى مشروع جديد كبير ، هذا ينطبق بصفة خاصة على أوشفيتز الذى كان معسكرا جديدا فى خضم عملية توسع سريع ليصبح أوسع المعسكرات على الاطلاق ، (ب) اسفرت الانتصارات الألمانية المستمرة والتوغل داخل روسيا عن حشود ضخمة من أسرى الحرب الروس ، الذين تم استيعاب بعضهم فى المعسكرات ، (جـ) ساهمت وزارة العدل فى تقديم مسجونين غير أصحاء . ومن المحتمل أنه كانت هناك مشاكل أخرى ولكن هذه العوامل الثلاثة وحدها تبدو لى كافية لتفسير ارتفاع معدل الوفيات فى أواخر سنة ١٩٤٢ وأوائل عام ١٩٤٣ .

وفى أواخر سنة ١٩٤٣ كانت معدلات الوفيات لا تزال مرتفعة ، وان كان قد بدأ السيطرة نسبيا بالمقارنة بالعام السابق ، وظلت السيطرة عليها مستمرة حتى بدا الانهيار فى نهاية الحرب . وتدل تصريحات قائد معسكر بيركناو (الملحق د) على أى الوفيات كانت تحدث خلال عام ١٩٤٤ أساسا بين المجرمين العاديين الذين تم نقلهم من السجون . ولم

أجد أية وثائق ، شبيهة بالتى استعرضناها ، تشير إلى ارتفاع معدلات الوفيات فى أواخر سنة ١٩٤٣ أو أى فترة تالية أخرى .

لقد أصبحنا الان فى موقف نستطيع معه دراسة ملاحظات كريستوفرسن وشتايجليش التى لا تتضمن وجود مبانى لحرق الجثث أو معدل وفيات مرتفعا فى أوشفيتز . وتؤكد وجهات نظرهما اعتبارات بسيطة جدا . أولا أنه من الطبيعى أن الوفيات ليست أمورا يهم ادارة معسكر أوشفيتز الاعلان عنها ، ومن الطبيعى أن تكون مسألة الوفيات وما يتصل بها من عمليات حرق الجثث من الأمور التى تحاط بالسرية بالقدر الذى تسمح به الظروف . ولذلك فقد اشتكى جلوكس فى منتصف سنة ١٩٤٣ إلى قادة معسكرات الاعتقال ، من أن المبانى التى تضم أفران حرق الجثث كانت تقام فى أحوال كثيرة جدا فى مواقع بارزة حيث يمكن لكل الناس » أن « يتغرسوا فيها » . واستجابة لشكوى جلوكسى قام هوس بغرس حزام من الأشجار حول المحرقتين رقم ٢ ورقم ٣ . وبالإضافة إلى هذا ، كان من المتبع أن يتم نقل الجثث إلى مبانى الحرق فى المساء فقط . وعلى هذا فإنه من الطبيعى ومن المنطقى أن يكون لدى كريستوفرسن وشتايجلين ، اللذين لم يكونا على صلة وثيقة ببيركناو ، علم بارتفاع معدل الوفيات أو بوجود أفران كبيرة لحرق الجثث .

والدور الذى يلعبه معسكر بيركناو فى الخدعة ، انما هو دور بسيط جدا . فقد كان معسكر أوشفيتز ، مثل اى عملية صناعية كبرى ، منظما بأسلوب يعتقد أنه من أكثر الأساليب كفاءة . وكان العاطلون يقيمون فى بيركناو . ومن ثم فإن المعسكرات الانتقالية ، والتى سنبحثها فى فصول تالية ، كانت موجودة فى بيركناو . وهذا يفسر لنا وجود معسكرات العجزة واليهود هناك . وكان المرضى والذين تدهورت حالتهم الصحية والمحتضرون وربما الموتى أيضا ، يرسلون جميعا إلى بيركناو ، وكان من الطبيعى أن يؤدى حشد المرضى هناك إلى أن يصبح معسكر بيركناو بمثابة « معسكر للموت » مزود بتجهيزات حفظ الجثث وأفران الحرق . والواقع أن نصف مجموع الوفيات خلال الفترة من ١٩٤٢ إلى ١٩٤٤ فى جميع معسكرات الاعتقال الألمانية حدثت فى بيركناو . وعلى حين تبدو المسألة كلها سخيفة إذا ما تعمقنا فى دراستها ، كما فعلنا فى هذه الفصول ، فإنه من الواضح أن مختلقى هذه الدعاية ، كانوا منطقيين جدا عندما وقع اختيارهم على بيركناو ليزعموا أنها معسكر للابادة . فإن معدل الوفيات فى معسكرات الاعتقال كان مرتفعا جدا ، وبلغ ذروته تقريبا فى أشفيتز الذى كان أكثر المعتقلات الألمانية ، وكانت الوفيات فى أوشفيتز تتركز فى بيركناو .

الخلاصة :

لقد وعدنا في مقدمة هذا الفصل أن نبين أن أسطورة الابادة فى أوشفيتز تحمل العلامة المميزة للخدعة الكبرى : أى الحاجة إلى وجود تفسيرين للحقائق . وهو ما ينطبق على أى نقطة من النقط التى لها مغزاها :

١ – كانت مادة السيكلون تستخدم فى التطهير وزعم أنها كانت تستخدم فى عمليات الابادة .

٢ – كانت عمليات فرز الأسرى ضرورية بالنسبة لطبيعة العمل فى أوشفيتز وهذا أتاح الفرصة لاثبات الزعم أنها كانت ضرورية أيضا كما قيل لعمليات الابادة .

٣ – أن وصف معسكر بيركناو بمعسكر الموت « قد لا يكون وصفا غير دقيق (وان كان مضللا نوعا ما (، خاصة فى فترات معينة (وبالذات فى الفترة التى كانت لجنة باروخ موجودة فيها وفى أعقاب ذلك مباشرة) وقد كان أيضا وفقا للمزاعم « معسكرا للابادة » .

٤ – كانت اجراءات خلع الملابس والاستحمام بالدش متبعة من أجل التطهير من القمل ، واستغلت فى الادعاءات الخاصة بالابادة أيضا .

٥ – كانت أفران حرق الجثث التقليدية موجودة لسد حاجة المعسكر بالنسبة للوفيات وساعدت على تحقيق الادعاءات لدور بيركناو كمعسكر ابادة .

٦ – كانت بعض أقبية الجثث تستخدم كمخازن لحفظ الجثث فى حين أن الادعاءات تقول بأن أقبية أخرى كانت تستخدم « كغرف غاز » . وكان هذان النوعان من أقبية الجثث موجودين بالقرب من بيركناو .

٧ – كانت بعض قاعات الاستحمام تستخدم كحمامات بينما تقول المزاعم أن القاعات الباقية كانت فى واقع الأمر « غرف غاز » . وكان هذان النوعان من قاعات الاستحمام موجودين بجوار بيركناو .

٨ – لم تكن الرائحة الكريهة التى يعانى منها الناس فى المنطقة راجعة إلى عملية الهدرجة وغيرها من العمليات الكيماوية فى أوشفيتز ، فحسب وإنما كانت نتيجة لعمليات الحرق ، كما تقول المزاعم .

والواقع أنه بالنظر إلى النقط التى أبرزناها فى التحليل فإنه كرم منا أن نقول أنه يمكن تفسير تلك الحقائق الثمانية تفسيرا مزدوجا والتفسير المقترح للابادة ليس الا كذبا سافرا أما

بالنسبة للنقطة الأخيرة الخاصة بالرائحة الكريهة ، فإنها تعتبر « الحقيقة المفرطة » ، وماكان لمؤلفى الخدعة أن يستخدموا هذه الحقيقة فى روايتهم .

ولقد استعرضنا الحقائق التى تتناقض والادعاءات ، والمسائل المتضاربة وغير المعقولة : فإن هيملر يصدر أوامره إلى هوس مباشرة ولكنه يترك لهوس تحديد الوسيلة للتنفيذ . ومن المؤكد أن المقابلة بينهما تمت فى صيف سنة ١٩٤١ ، ومن جهة أخرى فإنه لابد وانها تمت فى صيف سنة ١٩٤٢ ، وبذلك فإن هوس قد بدأ فى تنفيذ الأمر بشكل مرتجل وذلك بعد نصف عام من وضع الخطط الخاصة بالمبانى الأربعة التى تضم أفران الحرق . ثم يتضح أن هذه المبانى لم تترك لمهارة هوس . أو شيئا من هذا القبيل . والأسر اليهودية بأطفالها تقيم لمدة أشهر فى بيركناو ، بعد أن تم تطهير ثكناتهم قبل استخدامهم لها وذلك بواسطة نفس المادة الكيماوية التى من المفترض أن يقتلوا بها عند دخولهم ، ولكنهم فى الوقت نفسه سيقتلون بها فيما بعد . أو شىء من هذا القبيل .

ولم ينته التحليل الخاص بأوشفيتز . وبالرغم من أنه قد يبدو أن « الضربة القاضية » الموعودة قد تم توجيهها ، فان المادة الخاصة بهذا الفصل ليست هى ماكنا نقصده عندما استخدمنا هذا التعبير مقدمته . ولقد تركز تحليلنا حتى الآن على الاحداث التى وقعت فى أوشفيتز ولم يتضمن أى دراسة حول مصير أى جماعة ذات جنسية محددة بين يهود أوشفيتز . ولكى نتوخى الدقة يجب أن نفعل هذا ، ولا يمكننا أن نفكر فى حالة لنبرزها أفضل من الحالة التى اختارها الذين يرددون الاسطورة ذاتهم : أى حالة يهود المجر ، الذين سنبحث فى الفصل التالى مصيرهم ، مع الاهتمام بوجه خاص بالادعاءات المتعلقة بأوشفيتز .

الفصل الخامس

اليهود المجريون

لما كان الألمان وحلفاؤهم قد منحوا الصليب الأحمر ، سواء أكانت لجنته الدولية أم الجمعيات القومية المختلفة التابعة له ، قدرا لا يستهان به من حرية العمل فى ذلك الجزء من أوروبا تسيطر عليه قوات المحور ، فقد تمكنت اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، من وضع تقارير كثيرة جدا حول أوضاع يهود أوروبا . ومن الطبيعى أن يكون لتقارير مثل هذه المنظمة « ذات الوضع المحايدة » أهمية كبرى بالنسبة للمشكلة التى نبحثها .

ونحن نقول هنا « ذات الوضع المحايد » بدلا من « المحايدة » ، حيث أنه لا يوجد شىء يسمى حيادا سياسيا حقيقيا ، فكل منظمة – مهما كانت – تتعرض لضغوط سياسية والمهم هنا هو مدى الضغط .

وثمة نشرتان صادرتان عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر لها أهميتها بالنسبة لنا : الأولى صدرت فى جنيف سنة ١٩٤٧ تحت عنوان ، « وثائق عن نشاط اللجنة الدولية للصليب الأحمر لمصلحة المعتقلين المدنيين فى معسكرات الاعتقال بألمانيا (فيما بين عام ١٩٣٩ وعام ١٩٤٥) وهى عبارة عن مجموعة من الوثائق التى أعيد طبعها ، وتتكون هذه الوثائق من المراسلات بين اللجنة وبين الحكومات وجمعيات الصليب الأحمر المحلية المختلفة ، وكذلك تقارير مندوبى اللجنة الدولية إلى اللجنة ذاتها ويقدم الصليب الأحمر التعليقات اللازمة لتفسير هذه الوثائق . وهذه النشرة عظيمة القيمة وقد استشهدنا بماورد بها مرارا فى هذا الكتاب . وهناك نشرة أخرى صدرت فى سنة ١٩٤٧ أيضا اسمها Inter Arma Caritas ولكنها لا تعدو أن تكون نشرة خاصة بالعلاقات العامة أساسا .

أما النشرة الهامة الثانية فهى « تقرير اللجنة الدولية للصليب الأحمر حول نشاطها فى الحرب العالمية الثانية » ، التى صدرت سنة ١٩٤٨ فى ثلاثة مجلدات . وكانت هذه النشرة فى صورة تقرير تاريخى ، ولا نستشهد ماورد فى هذه الوثائق الا فى حالات خاصة . ويتضمن هذا الفصل بأكمله بعض المقتطفات من المجلد الأول ، أو على الأصح

الصفحات من ٦٤١ إلى ٦٥٧ وأعتقد أن بعض الضغط السياسى واضح فى هذه المقتطفات الا أنه لن يكون من الضرورى أن يشاركنى القارئ فى آرائى فيما يتعلق بالظواهر المحددة لهذه الضغوط والواضحة فى المقتطفات ، لكى يسلم بما توصلت إليه من نتيجة هامة غير أن بعض التساؤلات الواضحة والملحة ستلوح عند قراءتها لأول مرة وكل ما يمكن قوله هنا هو ضرورة مراعاة نقطتين :

أولا : ان هذا التقرير نشر سنة ١٩٤٨ ، فى وقت لم يكن من الممكن أن يعجز واضعوه عن أن يطلعوا تماما على مزاعم الحلفاء التى أعلنت بأكملها فى محاكمات جرائم الحرب وفى الصحافة حول مصير يهود أوروبا ، وخاصة بالنظر إلى ما يتميز به الموضوع من طبيعة حساسة من الناحية السياسية . ونحن لا نتوقع هنا ظهور ملاحظات غير مدروسة .

ثانيا : أننا لا نرجع إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر بصفتها سلطة عامة . أى أننا نهتم فقط بالتقارير التى تقع فى نطاق اختصاص اللجنة . فقد كان للجنة الدولية للصليب الأحمر مندوبون فى الدول الأوروبية المختلفة ، وكانوا يهتمون اهتماما شديدا بالشئون اليهودية . والأمر الذى نريد معرفته هو ما الذى حدث لهؤلاء اليهود وذلك من خلال ملاحظات اللجنة . وفى الواقع أننا نركز على يهود سلوفاكيا (شرق تشيكوسلوفاكيا) ويهود كرواتيا (شمال يوجوسلافيا) ويهود المجر . بل ان اهتمامنا فى واقع الأمر يعتبر أضيق نطاقا ، فنحن مهتمون أساسا بالمجر ولكن المنطقتين الأخريين ملاحقتان للمجر ، ووفقا للاسلوب الألمانى فى إدارة الأمور ، لم يكن ثمة ما يدعو لوجود خلافات كبرى فى السياسة اليهودية .

وقد يبدو من الناحية العددية أنه كان من الاجدر اختيار بولندا لتكون الدولة الرئيسية التى يجرى عليها البحث . بيد أن المجر هى الدولة التى سنركز عليها حيث أن مختلقى الاسطورة اختاروا التركيز عليها ، وليس على بولندا ، لتقديم الأدلة على صدق مزاعمهم . ولم يقدموا أى دليل على ابادة يهود بولندا ، باستثناء ماورد على لسان الشهود والمزاعم الخاصة بمعسكرات الابادة عموما والتى وصفتها تحليلاتنا ومن المصادفات السعيدة أنه يمكننا الرجوع إلى تقارير اللجنة الدولية للصليب الأحمر لنتعرف منها على ما حدث بالنسبة ليهود المجر ، ولا يمكن هذا بالنسبة ليهود بولندا، والسبب فى هذا هو أن الألمان لم يسمحوا للجنة بأن تتدخل فى الشئون اليهودية فى الدول التى كانوا يعتبرونها خاضعة لسيادتهم . بيد أن حلفاء المانيا من الدول المستقلة كانوا يسمحون للجنة الدولية للصليب الأحمر ببحث شئون اليهود . وبهذا تتضح لنا الأهمية الرئيسية للمجر فى بحثنا لهذه الأسطورة .

وثمة ناحية أخرى تجعل لهذه المقتطفات أعظم أهمية بالنسبة لدراستنا ، غير أنه يمكن إبراز هذه النقطة بفاعلية أكبر فى فصل تال .

ونحن نعيد هنا نشر المقتطفات بالكامل لانها مكتوبة بشكل يصعب معه الاستشهاد بها فى نقاط معينة بدون المجازفة باحتمال تعرضنا للاتهام بتحريف المعنى . وهذا سيتضح بجلاء أكبر بعد قراءتها .

سادسا : نوعيات خاصة من المدنيين

(ا) اليهود

أصبح اليهود ، فى ظل الاشتراكية الوطنية ، منبوذين بالفعل ومكتوبا عليهم من خلال تشريعات عنصرية متشددة أن يتعرضوا للاستبداد والاضطهاد والابادة المنتظمة . ولم يتوفر لهم أى نوع من أنواع الحماية وحيث إنهم لم يكونوا ضمن أسرى الحرب ولا ضمن المعتقلين المدنيين فقد كانوا يشكلون فئة خاصة ، لاتستفيد بأى معاهدة من المعاهدات ولا تخضع لاشراف اللجنة الدولية للصليب الأحمر التى كانت تتولاه لصالح الأسرى والمعتقلين . وكانوا فى معظم الحالات يحملون جنسية الدولة التى كانت تخضعهم لسلطتها والتى لم تكن تسمح بأى تدخل لصالحهم . . وكان هؤلاء المواطنون التعساء يشاركون المبعدين السياسيين نفس المصير ، وكانوا يحرمون من الحقوق المدنية ، ويعاملون معاملة أقل تفضلاً من رعايا العدو ، الذين كانوا يتمتعون على الأقل بحماية قانون — فكانوا يحتشدون فى معسكرات الاعتقال والأحياء الخاصة بهم ، ويجندون فى أعمال السخرة ، ويتعرضون لأعمال وحشية بالغة ، ويرسلون إلى معسكرات الموت ، دون أن يسمح لأى إنسان بأن يتدخل فى تلك الأمور التى كانت ألمانيا وحلفاؤها تعتبرها من صميم اختصاص سياستها الداخلية .

بيد أنه يجب أن نتذكر أن الاجراءات التى كانت تتخذ ضد اليهود فى إيطاليا كانت أقل عنفا وأن وضعهم فى الدول التى تخضع للنفوذ الألمانى المباشر ، كان يعتبر عادة أقل منه فى المانيا ذاتها .

ولم تستطع اللجنة أن تفصل نفسها عن هؤلاء الضحايا ، الذين كانت تتلقى من أجلهم أكثر النداءات الحاحا ، الا أن وسائل التصرف لصالحهم كانت محدودة للغاية حيث إنه

نتيجة لعدم وجود أى أساس قانونى ، كان نشاط اللجنة فى هذا الصدد يعتمد إلى حد بعيد على النوايا الحسنة للدول المتحاربة .

وفى الواقع أن اللجنة طلبت ، عن طريق وساطة الصليب الأحمر الألمانى ، معلومات عن المرحلين المدنيين « بدون تمييز للجنس أو الدين » ، وقوبل هذا الطلب بالرفض القاطع بالأسلوب التالى : « تمتنع السلطات المسئولة عن تقديم أى معلومات عن المرحلين من غير الجنس الآرى » . وبذلك فإن الاستفسارات ، من حيث المبدأ ، حول اليهود لم تكن تسفر عن شىء كما أن الاستمرار فى الاحتجاج كان سيقابل بالاستياء من جانب السلطات المسئولة وربما كان سيؤدى إلى نتائج ضارة بالنسبة لليهود أنفسهم وربما بالنسبة لمجال نشاطة اللجنة بأسره وبالتالى ، فبينما تجنبت اللجنة الاحتجاج غير المجدى ، فإنها بذلتا قصارى جهدها لمساعدة اليهود بالوسائل العملية ، وأصدرت التعليمات إلى مبعوثيها فى الخارج بهذا المعنى . وأثبتت النتائج التى تحققت ، سلامة هذه السياسة .

ألمانيا : لقد واجهت اللجنة فى نشاطها من أجل اليهود صعوبات تكاد تكون مستحيلة ، حتى عندما كانت القوات المسلحة الألمانية منتصرة غير أنه فى نهاية سنة ١٩٤٣ سمحت السلطات الألمانية للجنة بارسال طرود معونة للمعتقلين فى معسكرات الاعتقال ، ممن قد يكون لديها اسماؤهم وعناوينهم ، وكان كثير منهم من اليهود . واستطاعت اللجنة أن تجمع بضع عشرات من الاسماء ، واستطاعت بهذه الوسائل الهزيلة أن تبدأ نظام الاعانة الفردية ثم الجماعية للمعتقلين السياسيين ، والذى سنشرحه فى مكان آخر من هذا التقرير . فقد كان كل ايصال يعاد إلى اللجنة يحمل عدة اسماء ، وكان يتم اضافتها إلى قائمة الاسماء الموجودة لدى اللجنة وبذلك فإن هذه الايصالات كانت فى أحوال كثيرة تقدم أنباء عن أشخاص مفقودين . وبنهاية الحرب كان لدى اللجنة فهرس أسماء المعتقلين السياسيين الذى اعدته اللجنة من اليهود وغيرهم ، يضم ما يزيد عن مائة وخمسة آلاف اسم .

وابان السنة الاخيرة من الحرب استطاع مبعوثوا للجنة أن يزوروا المعسكر الموجود فى تيرزينشتات (تيرزين) والذى كان مخصصا لليهود وحدهم وتحكمه ظروف خاصة . فقد علمت اللجنة من المعلومات التى جمعتها أن هذا المعسكر قد أقيم كتجربة وضعها بعض زعماء الرايخ الذين كانوا فيما يبدو أقل عداء لليهود من المسئولين عن تنفيذ السياسة العنصرية للحكومة الألمانية . وكان هؤلاء الرجال يريدون تمكين اليهود من إقامة حياة مشتركة فى مدينة تخضع لادارتهم وتتمتع باستقلال ذاتى يكاد يكون كاملا . وقد حصل

مبعوثوا للجنة الدولية فى عدة مناسبات ، على تصريح بزيارة تيرزينشتات ، ولكن نتيجة للصعوبات التى كانت السلطات المحلية تثيرها فان أول زيارة للمعسكر تمت فى يونيو سنة ١٩٤٤ . وقد أبلغ كبير اليهود المسئول عنهم بحكم سنة مندوب اللجنة وفى حضور ممثل للسلطات الألمانية ، أن خمسة وثلاثين ألف يهودى يقيمون فى المدينة وأن ظروف المعيشة تعتبر محتملة ونظرا لأن عددا من رؤساء المنظمات اليهودية المختلفة أعرب عن شكه فيما يتعلق بمدى دقة هذا التصريح ، فإن اللجنة طلبت من الحكومة الألمانية أن تسمح لمندوبيها بزيارة المدينة مرة ثانية . وتمكن مبعوثان بعد مفاوضات مضنية ، وتأجيلات كثيرة من جانب الألمان ، من زيارة المعسكر فى ٥ أبريل سنة ١٩٤٥ . وقد أكدا الانطباعات المرضية التى خلفتها الزيارة الأولى ، ولكنهما أكدا أن قوة المعسكر لا تزيد الآن عن عشرين ألف معتقل ، منهم ألف ومائة مجرى وأحد عشر وخمسين سلوفاكيا وثمانمائة هولندى ومائتين وتسعين دانمراكيا وثمانمائة ألمانى وثمانمائة تشيكى وسبعمائة شخص بلا جنسية معينة . ولذلك فقد اهتما بمعرفة ما إذا كانت المدينة تستخدم كمعسكر انتقال واستفسرا عن الموعد الذى تمت فيه آخر عملية ترحيل نحو الشرق . وصرح مدير بوليس الأمن بالمعتقل بأن آخر افواج تم ترحيلها إلى أوشفيتز يرجع تاريخها إلى ستة أشهر مضت وأنها ضمت عشرة آلاف يهودى ليعملوا فى إدارة المعسكر وتوسيعه . وأكد المسئول الكبير للمبعوثين أنه لن يتم ترحيل يهود آخرين من تيرزنشتات فى المستقبل .

وفى حين كانت المعسكرات الأخرى المخصصة لليهود وحدهم مغلقة فى وجه عمليات التفتيش لأغراض إنسانية حتى النهاية ، فإن نشاط اللجنة كان فعالا على الأقل فى عدد من معسكرات الاعتقال التى كانت تضم أقلية يهودية . وقد قامت اللجنة خلال الأشهر الأخيرة من الحرب وفى ظل ظروف ملحة ، بمهمة على أعظم جانب من الأهمية بقيام مندوبيها بزيارة المعتقلين وتقديم المساعدة لهم وتزويدهم بالطعام ، ومنع اجلائهم فى اللحظة الأخيرة أو تنفيذ عمليات اعدام عاجلة ، بل انهم كانوا يتولون المسئولية خلال الساعات أو الأيام الحرجة ، التى كانت تمر بين انسحاب القوات الألمانية ووصول قوات الحلفاء من الغرب أو الشرق .

وثمة مزيد من التفاصيل عن هذه الانشطة المختلفة فى الفصول الخاصة بالمعتقلين السياسيين فى هذا المجلد الثالث بالإضافة إلى ما ورد فى النشرة الخاصة الصادرة تحت عنوان « وثائق حول نشاط اللجنة الدولية للصليب الأحمر لصالح المعتقلين المدنيين فى معسكرات

الاعتقال بألمانيا من سنة ١٩٣٥ : سنة ١٩٤٥ » .

أما الدور الذى لعبته اللجنة فى الدول التى كانت حكوماتها تخضع للنفوذ الألمانى بدرجات مختلفة وحيث فرضت قوانين خاصة باليهود شبية بتلك الموجودة فى التشريعات الألمانية – فانه لم يكن معروفا بنفس القدر .

وقد استطاعت اللجنة عن طريق مبعوثيها خاصة فى بودابست وبوخارست وبراتسلافا وزغرب وبلجراد ، أن تستغل على أحسن وجه نفوذها الأدبى والاتجاه الودى الذى كان يبديه بعض المسئولين غير الألمان ، والذين كانوا يتمتعون بقدر ما من حرية العمل ، والذين لم يكونوا يميلون إلى تنفيذ السياسة العنصرية بلا رحمة كما كانت تفعل الحكومة الألمانية . وتمكنت اللجنة بصفتها وسيطا محايدا من تحويل وتوزيع مساعدات زادت قيمتها على عشرين مليون فرنك سويسرى ، قامت بجمعها المنظمات الخيرية اليهودية فى جميع أنحاء العالم ، ونخص بالذكر « لجنة التوزيع المشترك الأمريكية » فى نيويورك ولولا جهود اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، لضاعت هباء تلك الجهود المنظمة التى بذلتها طائفة بأسرها ، حيث إنه لم يكون مسموحا لأى منظمة يهودية بالعمل فى الدول التى تخضع الألمانى : ويمكن العثور على تقرير مفصل عن هذا المشروع الهام للاعانة فى المجلد الثالث .

ولم تقتصر جهود اللجنة على النشاط المشار إليه فيما سبق . فبمرور الوقت ، أصبحت اللجنة بمثابة « سلطة حماية » لليهود ، عن طريق تدخلها لدى الحكومات لمصلحة هذه الحكومات ، وممارستها فى بعض الحالات لحق الحماية الحقيق ، وذلك عن طريق الحصول على حصانة للمستشفيات ودور العبادة ومنظمات الاعانة وجعلها غير خاضعة لقوانين الدولة ، بل أيضا عن طريق القيام بالتحكيم فى تسوية الخلافات . وكان هذا هو الدور الذى قامت به اللجنة خاصة فى المجر ورومانيا ، طوال ما يزيد عن عام خلال المرحلة الأخيرة من الحرب وذلك فى عامى ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ . أما فى الدول التى كانت جهود اللجنة فيها أقل شأنا ، فإنها كانت مع ذلك ذات فائدة كبرى بالنسبة لليهود . ويمكن وصف هذه الجهود بايجاز قبل العودة إلى تناول نشاط اللجنة فى المجر ورومانيا .

فرنسا : حصلت اللجنة فى نوفمبر سنة ١٩٤٠ من السلطات على تصريح لأحد أعضائها بزيارة المعسكرات فى الجنوب حيث كان يوجد عدد من اليهود ضمن المعتقلين المدنيين . وكان المعسكر الموجود بمدينة جور بصفة خاصة ، يضم ستة آلاف يهود من مقاطعة بارفاريا وقد اسفرت الزيارة عن تكوين فكرة واضحة عن الأوضاع داخل المعسكر والحاجة الماسة

لأعمال الاغاثة ، وقد اتخذت اجراءات مناسبة فى هذا الصدد لصالح المعتقلين .

وبالنسبة لليهود البولنديين الذين حصلوا أثناء وجودهم فى فرنسا على تأشيرات دخول إلى الولايات المتحدة ، فقد اعتبرتهم سلطات الاحتلال الألمانية مواطنين أمريكيين ، كما وافقت تلك السلطات على الاعتراف بصحة ثلاثة آلاف جواز سفر أصدرتها قنصليات دول أمريكا الجنوبية لليهود . وكان هؤلاء اليهود محتجزين فى المعسكرات المخصصة للأمريكيين بفيتل Vittel وعندما بدأت فى سنة ١٩٤٢ المفاوضات بين ألمانيا ودول أمريكا الجنوبية حول تبادل المعتقلين ، تبين أن معظم المعتقلين فى « فيتل » كانوا جوازات سفر صورية ، وبالتالى فإنهم أصبحوا معرضين للترحيل . وتدخلت اللجنة الدولية للصليب الأحمر لصالحهم عن طريق بعثتها فى برلين ونجحت فى التوصل إلى ترتيبات لبقائهم فى « فيتل » ، وعدم ترحيل إلا عدد قليل منهم .

اليونان : عقب الاحتلال الألمانى لليونان مباشرة دعيت اللجنة لمعالجة حالة خمسة وخمسين ألف يهودى فى سالونيك ، ممن أصبحوا ضحايا للقوانين العنصرية . وفى يوليو سنة ١٩٤٢ ، تم تسجيل جميع الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشر والخامسة والأربعين وقيد معظمهم فى فرق عمل . وقد زودتهم اللجنة بامدادات طبية وصحية . وفى مايو سنة ١٩٤٣ نقل هؤلاء العمال إلى ألمانيا ، وأصرت بعثة اللجنة فى ألمانيا على حق منحهم طرودا غذائية . وأدى إلى هذا إثارة متاعب مع السلطات الألمانية ، دفعها الغضب إلى المطالبة بتغيير أحد أعضاء البعثة .

سلوفاكيا : أرغم عدة الاف يهودى على مغادرة البلاد والانخراط فيما كان يسمى « بخدمة العمل » ، ولكن يبدو أن هذا أدى فى الواقع باعداد كبيرة منهم إلى معسكرات الابادة وفى الوقت نفسه حصلت نسبة كبيرة من الاقلية اليهودية على تصريح بالبقاء فى البلاد ، بل إنه كان ينظر إلى سلوفاكيا فى فترات معينة على أنها بمثابة مأوى لليهود ، خاصة بالنسبة للقادمين منهم من بولندا ، ويبدو أن الذين بقوا فى سلوفاكيا ظلوا فى أمان نسبى حتى نهاية أغسطس سنة ١٩٤٤ ، عندما قامت ثورة ضد القوات الألمانية فعلى الرغم من أن قانون ١٥ مايو سنة ١٩٤٢ قد أدى فعلا إلى اعتقال عدة الاف من اليهود ، فانهم كانوا محتجزين فى معسكرات تمتاز بأن الأحوال الغذائية والسكنية بها محتملة ، كما كان المعتقلون هناك يحصلون على أجر يكاد يتساوى مع الأجور فى سوق العمل الحر . وتمكنت الطائفة اليهودية فى سنة ١٩٤٤ من وقف التهجير الاجبارى إلى الأراضى التى تخضع للاحتلال

الألمانى بصورة تكاد تكون كاملة .

وعندما وقع التمرد هرب اليهود المعتقلون من المعسكرات ، وعاد بعضهم إلى ديارهم ولجأ الآخرون إلى الجبال . وقد طبقت اجراءات القمع التى أعقبت هذا التمرد على المعتقلين اليهود كلهم . وصدرت تعليمات السلطات العسكرية الألمانية إلى الحكومة السلوفاكية باجراء عمليات اعتقال واسعة النطاق بهدف ترحيل اليهود إلى ألمانيا . وقد صدر هذا الأمر بتاريخ ١٦ نوفمبر سنة ١٩٤٤ ، ونص على تجميع كل اليهود فى معسكر « سيريد » ، وأنه تحقيقا لهذا الهدف فإنه يجب مسبقا تجمع اليهود المقيمين فى العاصمة ، فى ٢٠ نوفمبر بمبنى البلدية فى براتيسلافا . واتجه مندوب اللجنة الدولية ، فى اليوم نفسه ، إلى مبنى البلدية ولاحظ أن حوالى خمسين يهوديا فقط قد استجابوا للتعليمات . أما الباقون فقد اختبأوا كما توقعت السلطات السلوفاكية ، وذلك إما عن طريق الفرار إلى الريف ، أو الاختباء فى المخابئ الموجودة بالمدينة . وقد كتب رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر رسالة إلى رئيس الحكومة السلوفاكية أعرب فيها عن قلقه لهذا الموضع وطالبه بانهاء عمليات الترحيل . وقد تلقى المونسينور يتسو هذه الرسالة فى ٢ يناير سنة ١٩٤٥ ، ورد فى ١٠ يناير ردا مسهبا وقد أعاد إلى الاذهان أن اليهود قد استثنوا حتى تلك اللحظة من اجراءات القمع ، بيد أنه أضاف أن الحكومة اضطرت ، نظرا لحركة التمرد ، إلى الرضوخ للضغوط التى تعرضت لها . واختتم رسالته بقوله : وفى الختام ، فإنه أمر واقع أننا حاولنا جاهدين عند حل المسألة اليهودية ، أن نلتزم تماما بالمبادئ الإنسانية إلى أقصى حدود ما نملك من سلطة ، وكان تقديم مساعدات رسمية للهاربين فى المخابئ أمرا مستحيلا ، غير أن بعثة اللجنة فى براتيسلافا ، نجحت بمساعدة الصليب الأحمر السلوفاكى ، ونجحت الأقاليم بمساعدة الكنيسة الكاثوليكية ، فى تزويدهم بالأموال ، التى كانت تسلم لممثليهم مما ساعدهم على تحمل أعباء الحياة خلال الاشهر الأخيرة من الحرب .

ولم يستطع ممثل اللجنة الحصول على تصريح بزيارة معسكر سيريد . بيد أنه حصل على إذن بدخول معسكر مارينكا حيث كان يعتقل يهود من جنسيات أجنبية .

كرواتيا : كانت بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر فى الفترة من مايو سنة ١٩٤٣ إلى نهاية سنة ١٩٤٥ تقدم مساعدات إلى الطائفة اليهودية فى زغرب ، التى كان يقدم لها نيابة عن لجنة التوزيع المشترك بنيويورك ، حوالى عشرين ألف فرنك سويسرى شهريا فى المتوسط كما وفرت للطاقة كميات ضخمة من الأغذية والملابس والأدوية .

وفى أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، قامت السلطات الألمانية ، على غرار الاجراءات التى اتخذت فى البلاد المجاورة ، باعتقال يهود زغرب ، واستولت على مخزونهم من الأغذية . وقدمت البعثة فورا شكوى إلى حكومة كروايتاو ، ونجحت فى اعادة الاغذية اليهم .

المجر : كما حدث فى سلوفاكيا ، فقد تم استثناء اليهود نسبيا طالما احتفظت الحكومة المحلية بقدر من حرية التصرف . ولكن عندما استأنفت ألمانيا ممارسة الضغوط ، وذلك ابتداء من مارس سنة ١٩٤٤ إلى نهاية الحرب أصبح وضع اليهود حرجا . وأدى استبدال حكومة هورتى فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ بحكومة أخرى خاضعة لألمانيا ، إلى اثارة أزمة عنيفة مما أسفر عن تنفيذ عمليات اعدام ووقوع عمليات سلب ، وترحيل ، وأعمال سخرة ، وأحكام بالسجن – كان هذا هو المصير الذى واجهه السكان اليهود ، الذين عانوا بقسوة وخسروا كثيرا من القتلى خاصة فى الأقاليم . وعند هذا الحد اتخذت اللجنة الاجراءات من اجل رفع المعاناة عنهم ، وذلك بنشاط وشعور بالمسئولية . وفى الوقت ذاته ، قامت المفوضية السويدية فى بودابست بمساعدة من بعض أعضاء الصليب الأحمر السويدى ، بشجاعة ونجاح فائقين بتوصيل المساعدات التى حث عليها ملك السويد .

وظل اليهود الذين ساعدهم حظهم فى الحصول على تأشيرات سفر إلى فلسطين ، يتمتعون بالحرية حتى مارس سنة ١٩٤٤ فى مغادرة المجر . وقام هتلر فى ١٨ مارس سنة ١٩٤٤ باستدعاء الأميرال هورتى الوصى على العرش إلى مقر قيادته . وأعرب له عن غضبه لأن « ما يقرب من مليون يهودى يعيشون فى المجر فى حرية تامة وبدون أية قيود » وبدأت القوات الألمانية فى احتلال المجر حتى قبل عودة الوصى على العرش إلى بوداست ، وذلك لمنعها من التخلى عن تحالفها مع المانيا . وفرضت قوات الاحتلال على رئيس دولة المجر حكومة جديدة أكثر خضوعا للسلطة الألمانية من الحكومة السابقة . وتم على الفور ايقاف هجرة اليهود وبدأت عمليات الاضطهاد .

وكانت هذه مسألة خطيرة جدا من وجهة نظر اللجنة الدولية للصليب الأحمر . فقام رئيس اللجنة بتوجيه نداء إلى الوصى على العرش الأميرال هورتى ، فى ٥ يونيو سنة ١٩٤٤ قال فيه ان الأمور التى نمت إلى علمنا ، تبدو لنا متناقضة تماما مع تقاليد الشهامة التى يتصف بها الشعب المجرى العظيم حتى إنه يصعب علينا أن نصدق ولو جانبا ضئيلا من الأنباء التى تبلغنا . وإنى أتقدم إلى سموكم باسم اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالتماس بأن تصدروا تعليمات تمكنا من الرد على هذه الشائعات والاتهامات .

ورد الوصى على العرش فى ١٢ أغسطس برسالة قال فيها : « إنه ، لسوء الحظ ، ليس فى وسعى أن أمنع التصرفات اللاإنسانية التى لا يشجبها أحد أكثر من شعبى الذى تتسم أفكاره ومشاعره بالشهامة . ولقد أصدرت تعلياتى إلى حكومة المجر لتولى تسوية المسألة اليهودية فى بوادبست . وإنى آمل فى ألا يسفر هذا التصريح عن مضاعفات خطيرة » .

وعلى ضوء هذا الرد سمحت السلطات المجرية . لمبعوث اللجنة ببوادبست ، بوضع شعارات على المعسكرات ومبانى المعتقلات المخصصة لليهود ، تضفى عليها حماية الصليب الأحمر وإذا كان استخدام هذه الشعارات (التى تكاد لا تتفق والبنود الدقيقة لاتفاقية جنيف) لم ينتشر ، فإن ذلك يرجع إلى حقيقة أن مجلس الشيوخ اليهودى فى بوادبست رأى أن هذا الإجراء سيفقد بلاشك فاعليته إذا ما طبق بصورة عامة .

وبالإضافة الى هذا فإن حكومة المجر ، أبدت استعدادا للموافقة على استئناف الهجرة اليهودية . واتصلت اللجنة بالحكومة البريطانية وبحكومات الولايات المتحدة بصفة ملحة ، وحصلت خلال شهر أغسطس على بيان مشترك صادر عن الحكومتين ، يعلن عن رغبتهما فى تقديم العون بكل وسيلة ممكنة من أجل تسهيل هجرة اليهود من المجر .

وتحقيقا لهذا الغرض ، طلب من اللجنة نقل الرسالة التالية من حكومات الولايات المتحدة إلى بوادبست : « لقد أخطرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر حكومات الولايات المتحدة ، باستعداد حكومة المجر بأن تسمح بهجرة فئات معينة من اللاجئين من المجر . . وان حكومة الولايات المتحدة إذ تضع نصب عينيها الاعتبارات الإنسانية المتعلقة بيهود المجر ، تكرر مرة أخرى ، تأكيداتها بأنها ستضع الترتيبات اللازمة لرعاية جميع اليهود الذين يسمح لهم فى الظروف الحالية بمغادرة المجر والذين يصلون إلى أراضى الولايات المتحدة أو دول محايدة ، وأنها ستوفر لهم مأوى مؤقتا حيث يمكنهم أن يعيشوا فى أمان . ولقد أخطرت حكومات الدول المحايدة بهذه التأكيدات وطلب منها السماح ليهود المجر بدخول أراضيها فى حالة وصولهم إلى حدودها » .

وأعلنت السلطات المجرية فى ٨ أكتوبر ، تمشيا مع التعهد المقدم إلى اللجنة ، وقف عمليات الترحيل نهائيا ، كما أعلنت حل معسكر كيشتوركسا ، الذى يحتجز فيه المثقفون والأطباء والمهندسون اليهود والإفراج عن المعتقلين .

ولكن سرعان ما مات الأمل الذى أثاره هذا التصريح ، فقد بدأت بعد أيام قلائل موجة كاملة من المحن الكبرى التى واجهها يهود المجر . إذ قرر الأميرال هورتى ، نظرا

للنكسات التى أصابت الجيش الألمانى ان يقطع علاقة بلاده بألمانيا . وطلب فى ١٥ أكتوبر من دول الحلفاء الموافقة على هدنة مع المجر . وكان لهذا الإعلان تأثير ضخم بين اليهود ، الذين تحمسوا فى مظاهرات ضد الدولة المحتلة . وعلى الرغم من أن الجيش الألمانى كان ينسحب من الجبهتين الشرقية والغربية فى أوروبا ، إلا أن أقدامه كانت ما زالت راسخة فى المجر . وفشلت خطة الوصى على العرش وتم اعتقاله . واستولى المجريون الذين يؤيدون المانيا على السلطة ، وبدأوا فى عمليات القمع التى كانت تزداد حدة مع اقتراب ميدان القتال ، وفرض الحصار على بودابست . وقد ترددت مزاعم بأن النيران كانت تطلق من منازل اليهود ضد القوات الألمانية ، ومهما يكن من أمر ، فإن اجراءات القمع تركزت ضد اليهود . فتقرر فورا ابعادهم عن بودابست ومصادرة ممتلكاتهم . وتم ارسال ستة آلاف يهودى من القادرين على العمل إلى ألمانيا ، سيرا على الأقدام ، فى مجموعات تضم كل منها ألفا ، وذلك عن طريق فيينا . وبالإضافة إلى هذا تم تجنيد الأصحاء من الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة عشر والستين عاما والنساء بين الرابعة عشر والأربعين عاما ، للعمل بالسخرة فى بناء التحصينات بالمجر . اما باقى السكان اليهود ، والذين يضمون العجزة والمرضى ، فقد احتجزوا فى أربعة أو خمسة أحياء من بودابست . ولم ينج من اليهود من عمليات الإجلاء ، إلا أولئك الذين يملكون جوازات سفر عليها تأشيرات إلى فلسطين . أو السويد أو سويسرا أو البرتغال أو إسبانيا .

وقد أصبحت هذه الإجراءات ، فى بداية الأمر ، أعمال وحشية وسرقات . الأمر الذى أدى إلى احتجاج مبعوث اللجنة ضدها . وأصدرت وزارة الداخلية استجابة لهذا ، مرسوما يحظر اعمال السلب ابتداء من ٢٠ أكتوبر . وفى الوقت نفسه ، كانت البعثة ملجأ لأعضاء مجلس الشيوخ اليهود فى بودابست ، ولما كان من الواضح أن موقفهم قد أصبح مهددا ، فقد جدد مبعوث الصليب الأحمر نداءاته الموجهة للسلطات الألمانية وكذلك إلى الحكومة المجرية وفى ٢٩ أكتوبر أعلنت الإذاعة المجرية أن مبانى اللجنة الدولية للصليب الأحمر تعتبر أرضا غير خاضعة للتشريعات الوطنية مثل البعثات الدبلوماسية .

وبعد أن دعم المبعوث موقفه بهذه الطريقة كرس جهوده بكل ثقة لمواصلة أعمال الغوث التى كان قد اضطلع بها بكل شجاعة لصالح اليهود . وقد كتب يقول : « إنه من الصعب أن يتصور المرء مدى الصعوبة التى واجهتها من أجل الصمود فى وجه عصابة فى يدها السلطة ، وفى وقت كانت تسود فيه الفوضى ويسود القتل والعدوان لإرغامها على

إبداء قدر من ضبط النفس وعلى المحافظة على الاحترام الجديد بشعار الصليب الأحمر . . » .

وكان مصير الأطفال الذين تم ترحيل ذويهم إلى معسكرات العمل ، مفجعا بصورة خاصة . وقد نجح المبعوث فى توفير حوالى ٢٠ منزلا لإيواء هؤلاء الأطفال الذين كانت تصحبهم أمهاتهم فى بعض الحالات . وكانت هيئة العاملين فى هذا الملجأ تتكون من ممرضات ومن بعض اليهود الذين كان عملهم فى هذه المنازل يكفل لهم الحصول على شهادة حماية شبيهة بتلك التى يمنحها المبعوث لزملائه الذين يعملون معه .

وأقام ممثلو اللجنة مطاعم للمحتاجين ، وكان كل من هذه المطاعم يقدم حوالى مائة وجبة غذائية ساخنة فى اليوم . وأقيمت مراكز للاستقبال والإيواء وكذلك مستشفيات تضم أقساما للأطفال وللولادة ، وكذلك مركز للإسعاف مفتوح للجمهور » بدون تمييز من حيث العنصر أو العقيدة وبالإضافة إلى هذا فقد أصدر مبعوث الصليب الأحمر ثلاثين ألف شهادة حماية كانت السلطات تحترمها بالرغم من أن هذه الحماية لا تقدم على أساس قانونى وكان حاملو هذه الشهادات يعفون من أعمال السخرة .

وفى شهر نوفمبر تدفق مائة ألف يهودى من الأقاليم على بودابست وقررت الحكومة احتجازهم فى حى يهودى ، ومعهم اليهود الذين ظلوا فى بودابست ، وخاصة الأطفال المقيمين فى منازل الصليب الأحمر . وقد كتب المبعوث يقول : « لقد اعتبرت أن مهمتى الرئيسية تتركز فى محاولة أن تكون الحياة فى هذا الحى محتملة بقدر الإمكان على الأقل . وقد واجهت صعوبات جمة من أجل الحصول من النازيين المجريين ، عن طريق المساومات اليومية ، على تنازلات وتوفير الظروف التى تضمن إلى حد ما بقاء أولئك الذين يعيشون فى الحى اليهودى على قيد الحياة . وكنت أجرى مقابلات مستمرة مع مجلس الشيوخ اليهودى من جهة ومع إدارة المدنية من جهة أخرى من أجل ضمان توفير أقل قدر ممكن من الأغذية للحى اليهودى ، فى وقت توقفت فيه حركة المرور تماما ، نتيجة للوابل المستمر من القنابل التى كانت تسقط على المدينة ، وازدادت فيه صعوبة الحصول على المؤن باضطراد » . وقد تمكن المبعوث من الحصول على الموافقة على أن يكون نصيب اليهودى من الغذاء فى اليوم الواحد ما يساوى ٩٢٠ سعرا حراريا أى ثلثى القدر المخصص للسجين المجرى . وأمكن فيما بعد زيادة هذا الرقم زيادة طفيفة وذلك بفضل تقديم إمدادات الغوث .

وعلى الرغم من الجهود التى بذلها المبعوث ، فإن الأطفال الذين نقلوا إلى الحى اليهودى

كانوا يوزعون على أساس ستين طفلا فى الغرفة الواحدة مما أدى إلى استحالة تنظيفها أو تطهيرها . وقد نجح فى إقناع السلطات بالتفتيش على الأطفال بواسطة لجنة تملك سلطة اتخاذ بعض القرارات فى وضعهم ، وأدى هذا الفحص إلى السماح بإعادة خمسمائة طفل من الثمانمائة طفل الذين تم فحصهم ، إلى المنازل التى نقلوا منها ، كما أدى إلى إحالة تلمائة طفل إلى المستشفى وبقى الأطفال الآخرون فى الحى اليهودى ، حيث كان الأقارب والأصدقاء يقومون برعايتهم . بالإضافة إلى هذا فقد أوفدت بعثة الصليب الأحمر خمسة أشخاص إلى الحى اليهودى ، بموافقة الحكومة بتعليمات بوضع تقارير مفصلة ومنظمة عما يحتاجه كل طفل من غذاء أوكساء . وفى النهاية ، وبناء على مبادرة رئيس البعثة ، تم اختيار ألف طفل يتيم « بدون تمييز من حيث العنصر أو العقيدة » ووضعوا فى دير بانوثالما ، وهو دير للرهبان البنيديكتينين وضعه أسقف جيور تحت تصرف المبعوث . وقد احترمت القوات الألمانية والمجرية المنسحبة وكذلك الجيش السوفييتى ، هذا الملجأ الذى كان يخضع لحماية الصليب الأحمر .

وكان إخلاص وكرم أسقف جيور ، بمثابة مساعدة فعالة فى سبيل أعمال الغوث التى اضطلع بها مبعوث الصليب الأحمر وكانت مهمته تتلخص فى تحسين مستوى التغذية وظروف الإيواء وكذلك قوافل اليهود المرحلين إلى معسكرات العمل فى ألمانيا والذين كانوا يجبرون على قطع ما يتراوح بين خمسة وعشرين إلى ثلاثين كيلو مترا يوميا سيرا على الأقدام . ونظم الأسقف مركزا للغوث فى الطريق ، وكان يقوم بتمويله بينما كان يديره ممثلو اللجنة الدولية للصليب الأحمر . وكان المركز يوفر الحماية من سوء الأحوال الجوية لمدة ساعات قليلة على الأقل ، لآلاف من اليهود فى أثناء خروجهم الجماعى الرهيب . وكانت مجموعات النقل « التابعة لبعثة الصليب الأحمر تقوم بتقديم الطعام لهم وتدفع أجرا للفلاحين من أجل حمل الضعفاء فى عرباتهم بنقل عدد يتراوح بين خمسة وعشر وعشرين شخصا فى العربة الواحدة ، كما كانت ترعى المرضى وتوزع عليهم الأدوية .

وظهر فى ١٢ نوفمبر ، تهديد جديد خيم على المستشفيات التى تخضع لحماية شعار الصليب الأحمر ، حيث قام البوليس بتفتيشها ومعه أمر بطرد اليهود . وقام مبعوثا الصليب الأحمر ، استنادا إلى السلطة المخولة له ، بالاحتجاج لدى الحكومة ونتيجة لهذا صدرت التعليمات للبوليس بوقف عمليات الطرد من المستشفيات .

ولابد أن يتجلى مدى المصاعب والمخاطر التى كان يواجهها ممثلو اللجنة فى كل ركن من

هذه المدينة التى كانت تتعرض لوابل عنيف من القنابل . وكان يساندهم فى عملهم الشجاع ، الإخلاص الذى لا يكل فى سبيل أداء الواجب من جانب أعضاء مجلس الشيوخ اليهودى ، وكذلك النشاط الوافر الذى كان يقوم به ممثلو سويسرا والسويد .

وما أن تحررت بوادبست حتى قام مبعوث الصليب الأحمر والمنظمات اليهودية المحلية بتوفير مخزون من الأطعمة والإمدادات الطبية اللازمة ، وذلك باستخدام الأموال التى قدمتها اللجنة المشتركة فى نيويورك . وأصدرت السلطات العسكرية الروسية أوامرها إلى الأجانب بمغادرة مدينة بوادبست وعندما حان وقت سفر المبعوث أشاد به أحد الوزراء معلنا أنه (أى المبعوث) نجح فى تلك الفترة التاريخية العصيبة ، فى أن يجعل من تلك العاصمة « محمية لجنيف » .

رومانيا : لعب مبعوث الصليب الأحمر هنا دورا هام نظرا لتوافر فرص شراء المو اد الغذائية فى هذه البلاد . فقد كان من الممكن إرسال المساعدات والإعانات المالية على شكل سلع من بوخارست إلى بولندا والدول المجاورة . وقد توصلت اللجنة إلى اتفاق حول الإغاثة فى رومانيا ذاتها ؛ مع الصليب الأحمر المحلى الذى قدم له مبعوثنا الاموال من أجل شراء السلع . ويجب أن نؤكد هنا أن يهود رومانيا الأثرياء ساهموا بقدر كبير فى مساعدة المحتاجين من إخوتهم فى الدين . وقد أصبح عمل اللجنة أكثر سهولة منذ سنة ١٩٤٣ بعد أن استطاع مبعوث اللجنة ان يكسب ثقة الحكومة الرومانية .

وكان اليهود قد تعرضوا خلال تلك الفترة من سبتمبر سنة ١٩٤٠ التى استولى فيها « الحرس الحديدى » ، بمساعدة الجستابو والبوليس السرى الألمانى ، على السلطة للاضطهاد والترحيل إلى معسكرات الموت . ولكن بعد ذلك ، وفى بعد ذلك ، وفى ظل الحكم الدكتاتورى للمارشال أنطوينسكو ، كانت حياتهم أخف قسوة . فقد أبدى مستر ميهاى أنطونيسكو ، نائب رئيس المجلس ، الذى أسندت إليه مهمة تسوية المسألة اليهودية ، تفهما خاصا . وكتب إلى مبعوث الصليب الأحمر فى بوخارست يقول « إن الحكومات الرومانية ترفض أى حل مادى يتناقض مع التقاليد المتحضرة ويتعارض مع الروح المسيحية التى تسيطر على ضمير الشعب الرومانى » .

وفى ديسمبر سنة ١٩٤٣ عقد مستر ميهاى انطونيسكو اجتماعا مع هذا المبعوث مما يساعد كثيرا على تسهيل النشاط الذى تقوم به اللجنة بصالح اليهود ، وقد تناول هذا الاجتماع أساسا قضية اليهود المرحلين فيما وراء الدنيستر إلى أوكرانيا ، من مواطنى بيسارابيا وبكوفينا .

وكانت هذه الأقاليم قد أعيدت إلى رومانيا بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم عادت فخضعت للنفوذ السوفييتى للمعاهدة السوفيتية الألمانية التى عقدت فى بداية الحرب العالمية الثانية. وعادت رومانيا بعد التعديل الذى تم سنة ١٩٤١ ، وأصبحت بمقتضاه حليفا ألمانيا ضد الاتحاد السوفييتى ، فاستعادت الإقليمين. وتم ترحيل اليهود الذين اعتبرهم الرومانيون مذنبين لأنهم رحبوا بسهولة أكثر من اللازم بعودة تبعيتهم لروسيا. ويبدو أن خطة الحكومة الرومانية ، التى وضعتها بالاتفاق مع ألمانيا ، كانت تقوم على أساس توطين هؤلاء اليهود فى أراضى بمنطقة بحر أزوف. غير أنه لم يكن من الممكن تنفيذ هذه الخطة إلا إذا أصيب الاتحاد السوفيتى بالهزيمة. فقررت الحكومة الرومانية ، قرب نهاية سنة ١٩٤٣ وعلى ضوء الانتصارات الروسية ، إعادة الذين بقوا على قيد الحياة من عملية التهجير المؤسفة هذه إلى وطنهم ، وكان عددهم قد انخفض من مائتى إلى ثمانية وسبعين ألف نسمة.

وانتهز مستر ميهاى أنطونيسكو فرصة المبادرات التى يقوم بها مبعوث اللجنة فى بوخارست ، ليعهد إليه بمهمة بحث وسائل تنفيذ عملية إعادة هؤلاء المهاجرين إلى الوطن ، وطلب منه التجول فى ترانزنيستريا لتوزيع الملابس والمعونة على هؤلاء البؤساء. وبالإضافة إلى هذا فقد نجح المبعوث فى الحصول على تأكيدات بإعفاء يهود تشيرنوفيتس ، وهم الأشخاص الوحيدون الذين يجبرون على ارتداء شعار النجمة الصفراء ، من ارتداء هذا الشعار لأنه يعرضهم لوحشية القوات الألمانية أثناء مرورها بالبلاد. وأخيرا ، تم الاتفاق على توفير مشتريات الصليب الأحمر بالتسعيرة الرسمية.

وعندما اجتمع المبعوث مرة أخرى بنائب رئيس المجلس ، عند عودته ، لفت نظره بوجه خاص إلى مأساة الأطفال الذين فقدوا آباءهم وتم التخلى عنهم فى ترانزنيستريا. ووعد مستر ميهاى أنطونيسكو بالسماح بسفر مائة وخمسين طفلا كل أسبوع إلى فلسطين أو أى مكان آخر ، وذلك إذا استطاعت اللجنة الدولية للصليب الأحمر أن تتولى ترتيب أمر سفرهم وبعد ثلاثة أشهر عرضت الحكومة الرومانية على اللجنة باخرتى ركاب جديدتين ، وهما ترانسلفانيا وبيسارابيا ، وكانتا فى ذلك الوقت محتجزتين فى المياه واقترحت أن تشتريها اللجنة مع احتفاظ رومانيا بحقها فى إعادة شرائها وذلك لاستخدامها لنقل المهاجرين تحت العلم السويسرى. وكان يمكن فى واقع الأمر اعتبار سويسرا ، بصفتها الدولة التى ترعى المصالح البريطانية ، الدولة التى ترعى اليهود المسافرين إلى فلسطين حيث ان هؤلاء اليهود كان يتم استيعابهم عند وصولهم ضمن الرعايا البريطانيين.

وحتى ذلك الوقت لم يكن علاج المعاناة اليهودية عن طريق الهجرة أكثر من مجرد مسكن ضعيف . إذ كانت بلغاريا قد أغلقت حدودها أمام المهاجرين المسافرين بجواز سفر جماعى ، وكان اليهود الذين تقل أعمارهم عن الثمانية عشر عاما أو الذين تزيد أعمارهم عن الخامسة والأربعين عاما ممن يحملون تصريحات فردية هم الذين يسمح لهم وحدهم بدخول تركيا . كان يمكن لعمليات النقل عن طريق البحر من موانى رومانيا أن توفر أفضل وسيلة للهجرة . ولكن باستثناء المصاعب التى كان يواجهها اليهود فى مغادرة البلاد ، كان لابد من أن يؤخذ فى الاعتبار المشاكل السياسية التى تواجهها السلطات البريطانية نتيجة لتدفق اليهود على البلاد التى تخضع للانتداب البريطانى ، والتى كان أغلبية سكانها المحليين يعتبرونهم دخلاء . وكانت أول سفينة تغادر كونستانزا فى طريقها إلى فلسطين ، واسمها ستروما ، وذلك فى بداية سنة ١٩٤٢ وبدون أى تدخل من اللجنة قد تعطلت فى إسطنبول نتيجة لبعض الأعطال فى آلاتها ، واضطرت فى النهاية للعودة مرة أخرى إلى رومانيا ، حيث كان من المستحيل عليها الحصول على التصريحات اللازمة لمواصلة رحلتها . وقد تحطمت السفينة فى طريق عودتها وغرق سبعمائة وخمسون من المهاجرين الذين تقلهم . وكانت هذه الرحلة الرائدة ، التى انتهت بمثل هذه الكارثة ، درسا فى ضرورة التعقل .

وطُلب من اللجنة وضع سفن المهاجرين تحت رعاية حماية شعار الصليب الأحمر ، وكان يمكن للجنة الموافقة على هذا ، بناء على تفسير متحرر لنصوص اتفاقية لاهاى العاشرة التى عقدت سنة ١٩٠٧ ، والتى تنظم استخدام سفن المستشفيات بينما تعتبر أيضا أن سفن الشحن التى تخضع لقيادتها والتى تحمل إمدادات الغوث لأسرى الحرب والمعتقلين المدنيين خاضعة لحماية شعار الصليب الأحمر . غير أنها كانت تود تنفيذ هذا بعد الاتفاق مع جميع الدول المعنية . وذلك فإن اللجنة جعلت موافقتها مرهونة بالشروط التالية : أن تقوم المنظمات التى تشرف على القتل باستئجار سفن محايدة يرافقها ممثل اللجنة ، وأن يقتصر استخدامها على نقل المهاجرين . وألا تبحر السفن قبل حصولها من الدول المتحاربة المعينة على تصريح بالأمان فى رحلتها ، بالإضافة إلى موافقتها على خط سير السفينة .

بيد أنه من سوء الحظ أن هذه الشروط لم تحقق أبدا . غير أن رومانيا منحت تصريحا للسفينة بيلاسيتا للقيام برحلات يومية لنقل الأطفال اليهود من كونستانزا أو مانجليا إلى أسطنبول . وقد أبحرت تحت حماية الصليب الأحمر الرومانى ، بعد أن أخطرت اللجنة جميع الأطراف المتحاربة بهذه الرحلات .

وقد واجه مبعوث اللجنة فى بوخارست اختيارا خطيرا عندما ظهرت مسألة إبحار اليهود إلى فلسطين على ظهر سفينتين بلغاريتين ، وهما مليكا وماريتزا ، كانت المنظمات الصهيونية قد استأجرتهما . وكانت هناك أسباب تدعو للخوف من أن تتعرضا لنفس مصير الباخرة ستروما . وبالإضافة إلى هذا فإن رؤساء المنظمات اليهودية لم يوافقوا على الأسماء المدرجة فى قائمة المهاجرين ، ولجأت السلطات الرومانية إلى اللجنة الدولية للتحكيم فى هذه المسألة ، واقتصر المبعوث على القيام بفحص تصريحات الهجرة وبذلك ساعد على إبحار السفينتين . اللتين وصلتا سالمتين إلى إسطنبول بعد أيام قليلة . وأخيرا وافقت اللجنة فى أغسطس سنة ١٩٤٤ على حمل السفن التى تقل المهاجرين لشعار الصليب الأحمر ، حتى لو لم تتوفر بعض الشروط المقررة .

واستغل ملك رومانيا فى ٢٣ أغسطس تقهقر القوات الألمانية لينهى الحكم الدكتاتورى للمارشال أنطونيسكو وبدء مفاوضات الهدنة مع الحلفاء . وألغيت منذ تلك اللحظة القوانين العنصرية فى رومانيا .

إلا أن اللجنة واصلت عملها فى إغاثة اليهود حتى انتهاء الحرب وأوضحت بعثة اللجنة الدولية ببوخارست فى تقريرها الصادر فى ديسمبر سنة ١٩٤٤ أنها استطاعت بفضل مساعدات اللجنة المشتركة بنيويورك والأموال التى كانت تجمعها اللجنة مساعدة مائة وثلاثة وثمانين ألف يهودى رومانى يتألفون من سبعة عشر ألف يهودى مرحلين أعيدوا من ترانزنيستاريا إلى موطنهم ، وثلاثين ألف شخص مع أسرهم (البالغ عددهم تسعين ألف شخص) حرروا من معسكرات العمل بالسخرة ، وعشرين ألف شخص تم إجلاؤهم من المدن الصغيرة والقرى ، وعشرين ألف شخص بلا مأوى نتيجة للغارات الجوية ، وعشرين ألف عامل وموظف مفصولين من أعمالهم وستة آلاف مجرى كانوا قد نجحوا فى الهروب من عمليات الترحيل وعثر عليهم فى شمال ترانسلفانيا .

وقد أشاد رئيس الاتحاد الأمريكى لليهود الرومانيين بهذه الإنجازات الإنسانية . وكتب فى مارس سنة ١٩٤٥ إلى مبعوث اللجنة فى واشنطن ما يلى :

« إن العمل الذى أداه الصليب الأحمر الدولى فى سبيل مساعدة السكان اليهود فى رومانيا ، واليهود الذين تم ترحيلهم إلى ترانزنيستاريا ، قد قوبل بكل ما يستحقه من تقدير لا من جانب الدكتور صافران ، الحاخام الأكبر فى رومانيا ، أو من جانب الطائفة اليهودية برومانيا فحسب بل قوبل أيضا بالتقدير من جانب الآلاف من أعضاء اتحادنا الذين استفاد

أقرباؤهم من هذه المساعدة . لقد قدمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالفعل خدمات لشعبنا فى رومانيا لا تقدر بثمن » .

وكان مستر جوزيف س . هايمان ، نائب رئيس لجنة التوزيع المشترك الأمريكية بنيويورك قد أعرب علانية عن امتنان اللجنة البالغ للصليب الأحمر الدولى وقد جاء فى مقال نشر بتاريخ ١٦ فبراير سنة ١٩٤٥ بصحيفة « نيوز » تحت عنوان « لجنة التوزيع المشترك تعتمد على تعاون الصليب الأحمر الدولى » قوله : « إن آلاف اليهود فى الأراضى المحررة حديثا وفى معسكرات الاعتقال الألمانية مدينون بحياتهم للحماية والمساعدة التى منحها لهم الصليب الأحمر الدولى ، إننا نعلم أنه يمكننا الاعتماد على الصليب الأحمر الدولى فى العمل نيابة عنا لمساعدة اليهود الذين يتعرضون للمعاناة فى تلك الأماكن من العالم التى لا يمكن للجنة التوزيع المشترك ، وهى الوكالة الأمريكية الرئيسية المسئولة عن إنقاذ وإغاثة اليهود الذين يعيشون فى محنة فيما وراء البحار ، أن تعمل فيها بطريق مباشر » .

ويتضمن المجلد الرابع من التقرير ، خاصة الصفحات من ٧٣ — ٨٤ ، ومن ٣٣٥ — ٣٤٠ ، ومن ٤٧٩ — ٤٨١ ، ومن ٥٠٥ — ٥٢٩ ، مادة إضافية يمكن الاستشهاد بها إذا احتاج الأمر .

ويجب أن نتذكر أن هدفنا هنا هو تكوين صورة دقيقة نسبيا لما حدث ليهود سلوفاكيا وكرواتيا والمجر ، وأن هناك بعض المسائل الواردة فى هذه المقتطفات التى تحتاج على الأقل إلى بعض التعليق .

فهناك إشارات إلى « الإبادة » تكفى لترك انطباع لدى القارئ غير المتظم بأن الصليب الأحمر قد قبل مزاعم الإبادة . غير أنه بالتعمق فى المسألة فإننا نجد أن مثل هذا الاستنتاج غير ضرورى تماما وأنه حتى لو حدث فإنه لا يكون مناسبا تماما فالتقرير يذكرنا أن« اليهود كانوا يخضعون لقوانين عنصرية صارمة تعرضهم لعمليات إبادة منتظمة » ولكن لم تكن هناك ، كما هو معروف تماما ، أية تشريعات بهذا المعنى هذا إذا كان المقصود « الإبادة » القتل الجماعى . ويذكر التقرير أيضا « أنهم كانوا يرسلون إلى معسكرات الموت » ، مما ينطبق بحق على أولئك المسخرين للعمل والمرسلين إلى معسركات الاعتقال إبان أسوأ فترتين مرت بهما المعسكرات وهما (سنة ١٩٤٢ وسنة ١٩٤٥) ويقول التقرير أيضا « يبدو » أن « عدة آلاف » من يهود سلوفاكيا أرسلوا « إلى معسكرات الإبادة » . ويمكن لأى أحد أن يخمن ما هو المقصود بمعسكرات الموت « التى كان يرسل إليها بعض يهود رومانيا فى سنة

١٩٤٠ ، ومهما كان المقصود بها ، فإنها لم تكن إجراء ألمانيا .

ونقرأ فى المجلد الثالث (ص ٤٧٩) أنه « عندما امتدت العمليات العسكرية إلى الأراضى المجرية (فى أوائل أكتوبر سنة ١٩٤٤) بذل مبعوث اللجنة الدولية للصليب الأحمر فى بوخارست أقصى الجهود من أجل منع إبادة يهود المجر » . وبعد هذا نقرأ (ص ٥١٣ - ٥١٤) أنه أثناء الحرب كان يتم ترحيل اليهود المهددين بالإبادة عامة ، عن طريق استخدام أكثر الأساليب الإنسانية وكانوا يحتجزون فى المعتقلات التى يتعرضون فيها لأعمال السخرة أو للاعدام « . وأن الألمان « كانوا يهدفون بصراحة تقريبا إلى إبادتهم » .

ونستطيع أن نجد سبيلين محتملين لورود مثل هذه الملاحظات الغامضة أو التى تتسم بالعمومية أو لوجودهما معا . والسبب الأول هو أن هذه الملاحظات وردت لأن واضعى التقرير أو معظمهم ، كانوا يؤمنون بالمزاعم من أن الألمان المجريين سمحوا للجنة الدولية للصليب الأحمر أو معظمهم ، كانوا يؤمنون بالمزاعم التى ترددت إبان الحرب أو بعدها عن الإبادة (ومن الواضح أنهم لم يشاهدوا بأعينهم أى عمليات إبادة لليهود) وذلك استنادا إلى التقارير الصحفية وقضايا جرائم الحرب والحقائق المتعلقة بعمليات الترحيل ، وحقيقة عداء النازى لليهود ، وحقيقة أن الألمان كانوا يريدون إخراج اليهود من أوروبا ، أما السبب المحتمل الثانى فهو أن هذه الملاحظات وردت لأسباب تجمع بين السياسة والعلاقات العامة . فمثلا ، بالرغم من أن الألمان المجريين سمحوا للجنة الدولية للصليب الأحمر بالعمل فى المجر ، وأن الروس طردوها ، فإن التقرير مع هذا يرى أنه من المناسب القول بأن بودابست « تحررت » باستيلاء روسيا عليها .

ومن الواضح أن القارئ المدقق سيرغب فى قبول التفسير الأول لورود مثل هذه الملاحظات ولو على الأقل من أجل المناقشة ويجب ألا يكون لنا اعتراض على هذا ، حيث إنه لا يؤثر كثيرا على التحليل نظرا لأن كل ما يزيد معرفته من التقرير هو ما الذى حدث ليهود سلوفاكيا وكرواتيا والمجر . والواقع أن ورود هذه الملاحظات عن الإبادة فى التقرير ، فى الوقت الذى أحبطت فيه اتهامات الإبادة المفصلة بأوسع قدر ممكن من الدعاية ، إنما يخدم قضيتنا حيث إنه مهما كان تفسير هذه الملاحظات ، فإن احتمالات إبادة معظم أو كثير من يهود سلوفاكيا وكرواتيا والمجر تعتبر بكل تأكيد جزءا من المادة الأساسية للتقرير . وبذلك فإن عدم وجود ادعاءات حول مسألة الإبادة يجب ألا يفسر بأى حال على أنه يعنى أن احتمال الإبادة ليس جزءا من المادة التى يتناولها التقرير ، وإنما على أنه يعنى أن اللجنة

الدولية للصليب الأحمر لم تلاحظ أى وقائع تتفق ومزاعم الإبادة .

ومع مراعاة هذه الاعتبارات فماذا يقول التقرير إذن عما حدث ليهود سلوفاكيا وكرواتيا والمجر؟ لقد اختلفت فى مدى النفوذ الألمانى قبل سنة ١٩٤٤ وقد تم ترحيل عدد من يهود سلوفاكيا إلى الشرق ولكن التقرير لم يذكر شيئا هنا عن مسألة الإبادة ، ومن الواضح أنه يقبل أنهم إنما تم ترحيلهم فقط . وبحلول عام ١٩٤٤ كان النفوذ الألمانى فى الدول الثلاثة يكاد يكون متماثلا ولم يقع شىء له أهميته حتى خريف سنة ١٩٤٤ ، عندما اعتقل الألمان ، أو حاولوا أن يعتقلوا ، كثيرا من اليهود لدواعى أمن سليمة جدا ، وقاموا بترحيل عدد من يهود المجر للعمل فى ألمانيا .

وبالنسبة لموضوع يهود المجر ، فإن أحداثا كثيرة كانت تجرى فيما بين مارس وأكتوبر ١٩٤٤ ، ولكن مهما كانت هذه الأحداث ، فإن الأحداث التى بدأت فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، وبعد اعتقال هورتى ، كانت أعنفها والجزء المقتبس من التقرير يؤكد هذه النقطة بوضوح فى موضوعين وبالإضافة إلى هذا فإن تحديد خريف سنة ١٩٤٤ بأنه الفترة العصيبة يتفق تماما مع المزاعم المتطابقة بالنسبة لدولتى سلوفاكيا وكرواتيا المتجاورتين .

ويقول التقرير أنه بعد ١٥ أكتوبر « بدأ يهود المجر يواجهون محنتهم الكبرى » نتيجة للضغوط الألمانية التى تجددت مرة أخرى ابتداء من مارس سنة ١٩٤٤ » والتى أدت فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ إلى إثارة أزمة عنيفة ، وإصدار أحكام بالإعدام ووقوع أحداث سلب ونهب وعمليات ترحيل وفرض اعمال السخرة وإصدار أحكام بالسجن وقد عانى اليهود بقسوة وفقدوا عددا كبير من القتلى خاصة فى الأقاليم .

ونكرر مرة أخرى هنا أن عددا كبيرا من الأحداث وقع قبل أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، بما فى ذلك عمليات الترحيل ، بيد أن التقرير يؤكد بوضوح تام أن الأحداث التى بدأت فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ كانت هى الأحداث الهامة بالنسبة ليهود المجر . وتشير تعبيرات « الإعدام » و « السرقات » على الأرجح إلى تصرفات خاصة أقدم عليها المجريون ربما بتشجيع ضمنى من الحكومة العميلة الجديدة أو على الأقل بعدم اكتراثها . ويتوخى التقرير الدقة الكاملة فيما يتعلق بعمليات الترحيل وأعمال السخرة التى فرضت فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ . فقد أجبر اليهود على العمل فى الاستحكامات بالمجر وقرر الألمان إرسال ستين ألف يهودى إلى ألمانيا للعمل هناك (وكان العدد الذى تم ترحيله بالفعل نتيجة لهذا الإجراء يتراوح بين خمسة وثلاثين ألفا وخمسة وأربعين ألفا) وحيث إنه لم يكن من المتيسر نقلهم

بطريق السكك الحديدية فقد كان على اليهود أن يسيروا على الأقدام ، حتى فينا على الأقل غير أن الصليب الأحمر كان ينظم المساعدات على طول الطريق .

ومن المستحيل ألا يكون فى مقدور اللجنة الدولية للصليب الأحمر فى المجر أن تدرى باجراءات مناهضة لليهود وقعت فى فترة سابقة من سنة ١٩٤٤ ، تماثل فى عنفها الأحداث التى بدأت فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ . فإن مجلس الشيوخ اليهودى ببودابست كان - قبل كل شىء يتخذ مقر بعثة الصليب الأحمر مقرا له ، وليس هناك شك فى أنه كان على علم كامل بشئون يهود المجر . وبالإضافة إلى هذا ، فإنه كان يجب للادعاءات التى تلت ذلك بشأن الإبادة « أن تعيد إلى ذهن » المبعوث الأحداث الأكثر خطورة التى وقعت فى وقت سابق من ذلك العام ، هذا إذا كانت قد وقعت بالفعل كما سيتضح لنا فيما بعد .

ويجب علينا قبل الانتقال إلى المزاعم المحددة الخاصة بإبادة يهود المجر أن نتطرق باختصار إلى بعض النقاط التى وردت فى الجزء المقتبس من التقرير بشأن تيرزينشتات .

لقد أشرنا فى عدة مناسبات فيما سبق من فصول إلى موضوع تيرزينشتات ببوهيميا - مورافيا (غربى تشيكوسلوفاكيا) وتتفق إشارتنا تلك مع ماودر فى الاقتباس . والشىء الملفت للنظر فى تقرير الصليب الأحمر ما ورد فيه من أن « هذا المعسكر بدأ كتجربة قام بها بعض زعماء فى الرايخ الذين كانوا على ما يبدو أقل عداء لليهود من أولئك المسئولين عن تنفيذ السياسة العنصرية التى تنتهجها الحكومة الألمانية . فقد كان هؤلاء الزعماء يرغبون منح اليهود وسيلة تمكنهم من إقامة حياة جماعية فى مدينة تخضع لإدارتهم الخاصة وتتمتع بحكم ذاتى يكاد يكون كاملا » .

وكان مكتب أيخمان فى المكتب الرئيسى لأمن الرايخ فى فرق الأمن هو المسئول عن السياسة اليهودية ، وكان كارل أدولف أيخمان « الاخصائى فى جميع المسائل اليهودية » هو الذى صحب بنفسه رئيس بوليس الأمن فى بوهيميا - مورافيا - الكولونيل أروين فاينمان - فى الجولة التى قام بها وفد الصليب الأحمر فى أنحاء يترزينشتاد فى ٦ أبريل سنة ١٩٤٥ . وقد شرح أيخمان لأعضاء الوفد أثناء الاجتماع الذى عقد فى المساء « أن يترزينشتاد تجربة من خلق قائد عام قوات أمن الرايخ هيملر » وشرح الفلسفة من وراء التجربة ، والتى نقلها الينا بدقة الجزء المقتطف من التقرير المشار إليه . وأضاف أيخمان أنه « لا يوافق شخصيا على هذه الأساليب ولكنه بوصفه جنديا مخلصا فإنه يصدع بطبيعة لأوامر زعيم الرايخ » .

ولذلك فإنه من الواضح تماما أن تجربة يترزينشتاد إنما كانت عملية خاصة بقوات

الأمن وضعها « بعض زعماء الرايخ المشار إليهم . وبالإضافة إلى هذا فإنه من المعروف أن هيدريتش رئيس المكتب الرئيسى لأمن الرايخ هو الذى اتخذ القرار بشأن يترزينشتاد بعد وقت قصير من توليه منصبه الإضافى كنائب لحاكم بوهيميا – مورافيا فى سبتمبر سنة ١٩٤١ .

ولم يكن ما شاهده وفد الصليب الأحمر فى يترزينشتاد ، جزءا من السياسة المعتادة لقوات الأمن ، ومن الأمور التى تنطوى على بعض الأهمية هنا أن التقرير يخبرنا بدون تعليق أن المندوب استفسر عن « عمليات الترحيل إلى الشرق » وأن اللجنة الدولية للصليب الأحمر لا تقدم أى تكهنات فيما يتعلق بأى تفسيرات مشئومة لمسألة « الترحيلات إلى أوشفيتز » ، وذلك بالرغم من الاتهامات الشائعة والتى انتشرت على نطاق عالمى .

وينبغى على المرء ، فى تقييمه لتقرير الصليب الأحمر تقييما دقيقا أن يلتزم جانب الحذر من ناحيتين . أولا ، أنه يجب على المرء أن يحتفظ لنفسه ببعض الآراء حول إحدى سمات التقرير وهى سمة خدمة الذات . والنواحى النمطية التى يمكن لمنشورات أى منظمة خيرية أن تخدم بها ذاتها هى المبالغة فى تقدير كفاءة الاجراءات المتخذة ، وفى الحالات التى يكون من الواضح فيها أنه لم تتخذ أية اجراءات فعالة . تقوم بإلقاء اللوم بالنسبة للقصور فى الفاعلية ، على تقتير المساهمين المحتملين (وكثيرا ما تكون هناك أسباب قوية لمثل هذه المزاعم) . ولذلك يجب علينا ألا نشعر بإحباط إذا ما اتضح أن الأطفال اليهود المجرمين أو أن اليهود الذين ساروا على الأقدام حتى فيينا ، والذين قام الصليب الأحمر بمساعدتهم ، قد عانوا فى واقع الأمر أكثر قليلا مما قد يتضح من التقرير (وبالطبع فإننى لا أزعم أن هذا هو ما حدث بالفعل) .

أما التحفظ الثانى فهو يتعلق بالإنحياز السياسى المحتوم الناجم عن ضغوط سياسية خارجية ، ويبدو هذا عمليا من الإشارة فى التقرير إلى « تحرير » بودابست على أيدى الروس . إذ كانت الأوضاع السائدة فى سنة ١٩٤٨ توحى بوضوح بأن أى تحيز سياسى قد يظهر فى التقرير إنما هو تحيز مناهض لألمانيا . ونحن نلاحظ أن هذا موجود فى التقرير ، ولكن من حسن الحظ أنه إذا قرأ المرء التقرير وفى ذهنه تساؤلات محددة بوضوح ، حول المسائل التى تدخل فعلا فى نطاق ، اختصاص اللجنة الدولية للصليب الأحمر ومبعوثيها ، فإنه سيجد أن مثل هذا التحيز ليس له وجود فعلى .

ومع هذا فإنه يجب علينا أن نؤكد مرة أخرى أن حجتى لا تعتمد بأى شكل على تفسير

التقرير بأنه يعنى غير ما يقول ، أو أنه لا يعنى ما يقوله ، فيما يتعلق بالنقاط التى اخترتها وأنا لا أقدم أى نظير لادعاءات الإبادة ، التى تصر على أن عبارات مثل قبو الجثث وقاعات الاستحمام ، والمعاملة الخاصة ، و « الاستعداد للانتقال » ، لها معان تتفق والمزاعم الدعائية فى فترة الحرب . ولا أخالف أى شخص يصر على تفسير التقرير على أنه يعلن بأسلوب عام جدا إن الألمان كانوا يحاولون إبادة اليهود ، حيث أن كل ما نريد معرفته هو ما استطاع أن يشاهده مبعوثو اللجنة الدولية للصليب الأحمر من مواقعهم فى سلوفاكيا وكرواتيا والمجر .

عرفنا بشكل عام ما حدث فى المجر وعلينا الآن أن نفحص ادعاءات الإبادة . ونبدأ باستعراض الدعاية المتصلة بالموضوع خلال سنة ١٩٤٤ ، ثم الاتهامات التى ترددت بعد الحرب والتى تشكل أسطورة إبادة يهود المجر وثمة أوجه خلاف خطيرة وأوجه شبه هامة بين دعاية سنة ١٩٤٤ والادعاءات اللاحقة . ونلجأ مرة أخرى فى استعراضنا للناحية الأولى إلى استخدام صحيفة نيويورك تايمز كمصدر .

وقد استمرت فى سنة ١٩٤٤ الدعاية العامة عن الفظائع والإبادات : ٤ فبراير سنة ١٩٤٤ ، ص ٦ .

« روى شاب يهودى بولندى استطاع أن ينجو من القتل الجماعى فى بولندا . . أن اليهود أجبروا فى بلزيك . . على الوقوف عرايا على منصة معدنية تعمل كمصدر هيدروليكى هبطت بهم إلى قران ضخم ملئ بالماء وأعدموا بالكهرباء عن طريق تمرير تيار كهربائى فى الماء » .

وقد تردد هذا الادعاء أيضا فى لندن فى نوفمبر سنة ١٩٤٢ ، ولقد صادفنا هذه الرواية أيضا فى الفصل الثالث فى النبأ الذى نشر فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٢ بالنيويورك تايمز . غير أن التركيز فى الدعاية التى ترددت فى ربيع وصيف سنة ١٩٤٤ كان على يهود المجر . فعقب الاحتلال الألمانى مباشرة أعلن ما يلى :

٢١ مارس سنة ١٩٤٤ ، ص ٤ :

« كان مصير ثمانمائة ألف يهودى فى المجر مثار اهتمام الدوائر اليهودية فى استكهولم ؟ وعلى الفور ورط روزفلت نفسه بالقاء خطاب أعده له مجلس لاجئى الحرب :

٢٥ مارس سنة ١٩٤٤ ، ص ٤ :

« وفى الوقت نفسه فإن النازيين واليابانيين مستمرون بلا كلل فى ارتكاب أعمال التعذيب والقتل المنتظم ضد المدنيين – رجالا ونساء وأطفالا – فى معظم أوربا وأجزاء من آسيا . ففى المناطق التى احتلها المعتدون ، يتعرض المدنيون الأبرياء من البولنديين والتشيك والنرويجيين والهولنديين والدانيمركيين والفرنسيين واليونانيين والروس والصليبيين والفلبينيين وكثيرون غيرهم – للموت جوعا أو بردا أو يقتلون مع سبق الإصرار فى حملة وحشية .

« وتعتبر مذابح وارسو ليديس وخاركوف ونانكين – والقتل والتعذيب الوحشى الذى ارتكبه اليابانيون ، لا ضد المدنيين فحسب وإنما ضد جنودنا وطيارينا الأمريكيين البواسل – أمثلة مذهلة على ما يحدث يوما بعد يوم وعاما بعد عام ، أينما يفرض النازيون واليابانيون سيطرتهم العسكرية – حيث يواصلوا بحرية تنفيذ أهدافهم البربرية .

« وتستمر عملية القتل الجماعى المنتظم ليهود أوربا بلا كلل فى كل لحظة فى واحدة من أفظع الجرائم التى ارتكبت فى التاريخ – وهى الجريمة التى بدأها النازيون فى زمن السلم وضاعفوها مئات المرات فى زمن الحرب . وكنتيجة للأحداث التى وقعت خلال الأيام القليلة الأخيرة ، فإن مئات الألوف من اليهود ، الذين كانوا يجدون فى المجر والبلقان ، مأوى لهم من الموت بالرغم من تعرضهم للاضطهاد . أصبحوا معرضين لخطر الإبادة نتيجة لانقضاض مزيد من قوات هتلر على هذه البلاد . وستكون مأساة كبرى لو أن هؤلاء الأبرياء ، الذين بقوا على قيد الحياة بالفعل بعد عشر سنوات من ضراوة هتلر ، تعرضوا للهلاك عشية النصر على الوحشية التى يجسدها ما تعرضوا له من اضطهاد .

« . . . . إن كل من يشترك عامدا فى ترحيل اليهود لمواجهة الموت فى بولندا أو النرويجيين والفرنسيين لمواجهة الموت فى المانيا ، يعتبر شريكا أيضا فى الجريمة مع الجلاد ، وكل من شارك فى الجريمة لابد أن يشارك فى العقاب .

« . . . وفى الوقت نفسه ، وإلى أن يتحقق النصر الذى أصبح الآن أكيدا ، فإن الولايات المتحدة ستثابر فى بذل الجهود من أجل انقاذ ضحايا الوحشية النازية واليابانية وستستخدم هذه الحكومة ، بقدر ما تسمح ضروريات العمليات العسكرية كل الوسائل المتيسرة لها لمساعدة جميع الضحايا الذين يستهدفهم الجلاد النازى واليابانى – وذلك بصرف النظر عن الجنس أو الدين أو اللون ، وإننا نناشد كل الشعوب الحرة فى أوربا وآسيا

أن تفتح حدودها مؤقتا امام جميع ضحايا الاضطهاد . وسنقوم من جانبنا بتوفير المأوى لهم ، وسنوفر لهم وسائل الحياة حتى يتم طرد الطغاة من أوطانهم ويمكنهم العودة إليها .

ولتتكاتف باسم العدالة والإنسانية جميع الشعوب المحبة للسلام فى سبيل هذه المهمة العادلة » .

أول أبريل ١٩٤٤ ص ٥

المجر تعلن قوانين مناهضة لليهود

. . على أساس قوانين نورمبرج النازية . . . والتى حددت طبيعتها بصورة أوضح فيما يلى :

١٦ أبريل سنة ١٩٤٤ ، ص ١٧

. . . . تسجيل وإغلاق جميع الممتلكات اليهودية . . . .

٢٨ أبريل سنة ١٩٤٤ ، ص ٥ :

. . . . . ذكرت الأنباء الأخيرة الواردة من المجر أنه تم ترحيل ثلاثمائة ألف يهودى من المناطق الشرقية والشمالية الشرقية للبلاد إلى ما يطلق عليها اسم معسكرات التجميع .

١٠ مايو سنة ١٩٤٤ ، ص ٥ بقلم جوزيف . م . ليفى :

. . . وإنها لحقيقة واقعة أن المجر تستعد الآن لإبادة اليهود المجريين بأكثر الأساليب وحشية . . إن حكومة . . . شتوجاى . . . . على وشك أن تبدأ فى إبادة حوالى مليون شخص . . . لقد أصدرت حكومة بودابست مرسوما بإنشاء « حمامات خاصة » لليهود فى أنحاء مختلفة من المجر . وهذه الحمامات فى حقيقة الأمر غرف غاز ضخمة مخصصة للقتل الجماعى ، شبيهة بتلك التى أقيمت فى بولندا سنة ١٩٤١ .

١٨ مايو سنة ١٩٤٤ ، ص ٥ بقلم جوزيف م . ليفى :

نقل ثمانين ألف يهودى من مقاطعات الكربات . . . إلى معسكرات الموت فى بولندا .

٩ يونيو سنة ١٩٤٤ ، ص ٥ :

تم اعتقال ثلاثمائة ألف يهودى مجرى فى المعسكرات والأحياء اليهودية (داخل المجر)

١٨ يونيو سنة ١٩٤٤ ، ص ٢٤ :

. . . . . إن التصريحات الأخيرة التى أدلى بها رئيس وزراء المجر دوم شتوجاى بأنه يتم إبادة اليهود « لتوفير مجال لعودة المجريين الأمريكيين إلى وطنهم الأصلى بعد الحرب » .

٢٠ يونيو سنة ١٩٤٤ ، ص ٥ :

نقل سبعة آلاف يهودى تشيكى من المعتقلين فى . . تيرسين . . إلى غرف الغاز الموجودة بالمعسكرات الألمانية الشهيرة فى بيركناو وأوسوايكيم حمل شاب بولندى كان قد اعتقل فى كلا المعسكرين إلى لندن تأكيدات بإعدام آلاف لا يمكن حصرها .

٢٥ يونيو سنة ١٩٤٤ ، ص ٥ :

تفيد رسالة (من المقاومة السرية البولندية) أن عمليات قتل جماعى جديدة ترتكب فى معسكر أوسوايكيم . وتتم هذه العمليات باستخدام الغاز بالترتيب التالى اليهود ، وأسرى الحرب ، مهما كانت جنسيتهم ، والمرضى العاجزين عن العمل وقد تم بالفعل نقل مائة ألف يهودى إلى أوسوايكيم لإعدامهم . . . .

٢٧ يونيو سنة ١٩٤٤ ، ص ٦ :

وجه هول نداء إلى المجر لوقف معاملتها السيئة لليهود (وحذر من أن) جميع الضباط والجنود الألمان . . الذين . . اشتركوا فى . . الفظائع ، والمذابح وعمليات الإعدام الجماعى سينالهم العقاب .

٢ يوليو سنة ١٩٤٤ ، ص ١٢ :

ذكرت المصادر المجرية فى تركيا أنه يتم جمع الثلاثمائة وخمسين ألف يهودى . . لترحيلهم إلى معسكرات الموت فى بولندا . وقد تم نقل أربعمائة ألف يهودى حتى ١٧ يونيو

الماضى إلى بولندا ، ومن المتوقع أن يتم تنفيذ الإعدام فى الثلاثمائة وخمسين ألف يهودى الباقين قبل ٢٤ يوليو .

وفى ٣ يوليو (ص ٣) نشر التقرير الذى وضعته لجنتا غوث من سويسرا والذى أصبح معروفا فيما بعد بتقرير مجلس لاجئى الحرب ، وأوضح أنه منذ ٦ أبريل تم نقل أربعمائة ألف يهودى مجرى إلى أوشفيتز وبيركيناو . وتفيد الأنباء بأن المحارق تضم خمسين فرنا يتسع كل واحد منها لما يتراوح بين ثمان وعشر جثث فى المرة الواحدة . وترددت هذه الرواية مرة أخرى فى ٦ يوليو (ص ٦) ، وأكد ايدن هذه الاتهامات وتم اخطار :

المجلس اليهودى العالمى منذ أكثر من أسبوعين بأن مائة ألف يهودى تم ترحيلهم مؤخرا من المجر إلى بولندا قد قتلوا بالغاز فى معسكر الموت الألمانية الشهيرة بأوسوايكيم وأنه فى الفترة ما بين ١٥ مايو و ٢٧ مايو كانت تمر بمحطة يلازوف بالقرب من كراوكاو ، اثنتان وستون عربة سكة حديد محملة بأطفال يهود . . . وست عربات محملة بيهود بالغين يوميا وأنه قد بدأت أيضا عمليات الترحيل الجماعى من بترزاينشتاد بتشيكوسلوفاكيا ، حيث كان اليهود يعيشون حتى الآن دون أن يمسهم أذى .

١٣ يوليو سنة ١٩٤٤ ، ص ٣ :

يصل فى نهاية هذا الأسبوع إلى معسكرات أوشفيتز وبيركناو ، ألف وخمسمائة رجل وامرأة وطفل من اليهود ، ومن المحتمل أن يكون لديهم علم مسبق بمصيرهم .

ومرة أخرى ندد هول فى ١٥ يوليو (ص ٣) ، بعمليات قتل يهود المجر المزعومة ثم ورد عن « المقاومة المجرية » ما يلى :

٤ أغسطس سنة ١٩٤٤ ، ص ٥ :

أعلن أحد رجالنا الذين ينقلون الرسائل أن يهود المجر لا زالوا يرسلون إلى أوشفيتز بمعدل حمولة ١٢ قطارا كل ٢٤ ساعة . وأن الألمان . . . فى استعجالهم يقومون بقتل الأطفال الصغار بالهروات . وقال إن كثيرا من الجثث تحرق فى نيران مكشوفة حيث إن أفران الحريق أصبحت محملة أكثر من طاقتها .

وفى ١١ أغسطس (ص ٤) تحدث التقرير عن رسالة من هورتى إلى ملك السويد تعلن وقف عمليات ترحيل اليهود والسماح لهم بمغادرة المجر .

من الواضح أن هذه الدعاية تتضمن تناقضات أكثر من أن تتساوى مع الاتهامات التالية . بيد أن الاتهامات تتفق إلى حد ما والدعاية . وتفيد الرواية التى تقصها الدعاية بأنه فيما بين منتصف مايو وأوائل يوليو سنة ١٩٤٤ ، قام الألمان بترحيل ما يقرب من أربعمائة ألف يهودى مجرى من المناطق التى تقع خارج العاصمة بودابست ، بواساطة السكة الحديد وأن الاغلبية العظمى منهم لقوا حتفهم فى بيركناو ، حيث إن الغرض الرئيسى من الترحيل كان هو القتل . وهذه العملية قضت أساسا على يهود المجر ، باستثناء بودابست ، حيث ترك اليهود بدون المساس بهم تقريبا . ولم يكن معسكر بيركناو ذاته معد لمثل هذا العدد الضخم من القتل ولذلك فقد تم التخلص من الكثير من الجثث عن طريق حرقها فى حفر ، ولقد اعدم كثير منهم رميا بالرصاص بدلا من القتل بالغاز . وهذه هى القصة التى روجتها الدعاية بالرغم من كل محاولات رايتلنجر ، التى ليس لها أساس من الصحة ، لتخفيض الرقم إلى مائتى ألف قتيل ، ولا يسمح الدليل – المقدم لنا – على إبادة عدد كبير من اليهود المجريين (الذين سنستعرضه فيما بعد) فيما لو قبلناه إطلاقا ، بمثل هذا التعديل الواسع فى الرقم المقدم لنا وهو أربعمائة ألف .

ومن الواضح أنه كان من المستحيل حدوث مثل هذا الأمر ، وإحاطته بكل هذه الدعاية التى انتشرت على النطاق العالمى إبان الحرب وأثناء المحاكمات اللاحقة ، بدون أن يدرى وفد اللجنة الدولية للصليب الأحمر شيئا عنه . ومع ذلك فإننا نتكلم هنا عن كل يهود المجر تقريبا فيما عدا يهود بودابست ولم يكن من الممكن أن ينسى الذين ساهموا فى وضع الجزء الخاص بالمجر فى التقرير الذى بحثناه ، بكل بساطة مثل هذه الأحداث الضخمة الرهيبة ، ويذكر الجزء الذى اقتبسناه من التقرير ، بصورة حاسمة أن الأحداث السلبية الرئيسية التى أثرت على اليهود المجريين وقعت ابتداء من أكتوبر سنة ١٩٤٤ بعد اعتقال هورتى . وبالإضافة إلى ذلك فإن التقرير يتضمن تلك الملاحظات العامة عن الإبادة التى أشرنا إليها من قبل ، ولذلك فإن أى إبادة ليهود المجر ، لو كانت حقيقة واقعة ، كانت ستذكر بلا ريب فى التقرير . وبذلك فإنه يتضح لنا أنه لا يوجد أى أساس من الصحة للزعم القائل بإبادة يهود المجر .

وهنا نجد أنه من المناسب أن نقدم بعض الملاحظات عن السكان اليهود بالمجر فى أوائل سنة ١٩٤٤ . فقد ورد فى سجلات النازى رقما يقرب من ٧٠٠ أو ٥٧٠ ألف يهودى وورد فى كتاب روبين لعام ١٩٤٠ أن عدد السكان اليهود بالمجر ارتفع من ٤٤٠ ألف نسمة إلى

٤٨٠ ألفا فى خريف سنة ١٩٣٨ نتيجة لضم أجزاء من سلوفاكيا . وفى ربيع سنة ١٩٣٩ تم ضم منطقة كربات أوكرانيا وبذلك وصل عدد اليهود فى المجر فى يونيو سنة ١٩٣٩ إلى ٥٩٠ ألف نسمة ومن المعروف أن عددا كبيرا من اليهود غير المجريين ، وأكثرهم من البولنديين ، قد لجأوا إلى المجر بعد عام ١٩٣٩ ، وبذلك فإنه من السهل أن يكون الرقم الذى ورد فى كتاب روبين عند تعداد اليهود فيما قبل الحرب – وهو ٥٩٠ ألفا – قد ارتفع إلى ٧٠٠ ألف أو ٧٥٠ ألفا كما ذكر النازيون . وكان الرقم الذى ذكره روبين لسكان اليهود ببودابست فى سنة ١٩٣٠ هو ٢٠٠ ألف يهودى . ولا يمكن أن يكون هذا الرقم قد زاد نتيجة للضم وكان يمكن أن يكون قد زاد فى فترة الثلاثينيات إلى حد ما نتيجة للجوء يهود ألمانيا والنمسا ويهود بولندا بنسبة أكبر وغيرهم من الجنسيات الأخرى بعد سنة ١٩٣٩ ، ولذلك فإنه يبدو من المنطقى هنا أن نفترض أن عدد اليهود ببودابست وصل فى ربيع سنة ١٩٤٤ إلى ٣٠٠ ألف يهودى وبهذا يكون لدينا فكرة طيبة عن تعداد يهود المجر وبودابست فى عام ١٩٤٤ . ومن الواضح أن ابعاد ٤٠٠ ألف أو أكثر من اليهود ، غير المقيمين بالعاصمة بودابست فى ربيع سنة ١٩٤٤ ، كان سيستتبعه ابعاد جميع اليهود تقريبا من غير يهود بودابست . ومن المستحيل ألا يكون هذا الأمر قد لفت نظر بعثة الصليب الأحمر بل إنه من الصعب أيضا أن نعرف من أين جاء المائة ألف يهودى « الذين » « تدفقوا على بودابست من الأقاليم » فى نوفمبر من ذلك العام » .

وثمة حجج أخرى تنقض ادعاءات الإبادة . فأولا : تؤكد لنا الادعاءات أن ترتيبات خاصة اتخذت فى مؤتمر عقد بفيينا فى أوائل مايو من أجل توفير أربعة قطارات لتنفيذ عمليات الترحيل هذه ، وأنه تم بالفعل توفير هذه القطارات فى مواعيدها . أى أن الألمان تمكنوا ، خلال الأسابيع القليلة الحاسمة السابقة على غزو الحلفاء لأوربا (٦ يونيو) وبعد ذلك التاريخ وفى وقت كان يتميز بعجز كبير فى السكك الحديدية ، بأن الجبهتين الشرقية والغربية مهددتان بالانهيار – توفير عدد إضافى من رحلات القطارات ، مما كان سيشكل ، فى أحسن الأحوال عبئا على موارد أى شبكة للسكة الحديد وهذا أمر لا يمكن أن يصدقه عقل . وجدير بالذكر أن رحلة القطار من بودابست إلى أوشفيتز أصعب كثيرا مما قد توحى به الخرائط ، وذلك نتيجة للمرتفعات فى شرق تشيكوسلوفاكيا .

وثمة رد آخر على الاتهامات المتعلقة بالسؤال الذى كثيرا ما يتردد ، وهو لماذا لم يحاول الحلفاء قصف غرف الغاز بالقنابل ، والتى كان العالم كله « يعرف » بوجودها ، فى ذلك

الوقت الذى ارتكبت فيه عمليات القتل المزعومة ضد اليهود ؟ ومن الممكن توسيع نطاق هذا السؤال كثيرا .

لقد صدرت الأوامر يوم ٨ يونيو سنة ١٩٤٤ إلى القوة الجوية الأمريكية الخامسة عشر والمرابطة فى جنوب إيطاليا ، بتركيز غاراتها على الأهداف « البترولية » وقدمت للقوة الجوية قائمة أهداف « بترولية » محددة فى شرق وجنوب شرق أوربا . وكان الهدف الرئيسى وهو الهدف الذى نال الجزء الأكبر من الاهتمام ، وهو منطقة بلويستى فى رومانيا . بيد أن أوشفيتز كانت أيضا أحد الأهداف الواردة فى القائمة ، ومن المحتمل أنها قصفت بالقنابل فى أغسطس ، ومن المؤكد أنها قصفت فى أواخر سبتمبر فقد ألقى عليها ٢٣٥ طنا من القنابل .

ويجدر هنا أن نذكر أنه كان من المعتاد أن يستعين الحلفاء فى غاراتهم الجوية إبان الحرب العالمية الثانية ، بالمعلومات المصورة . وكان الهدف من ذلك هو تقدير الخسائر التى حققتها الغارات والهدف الثانى هو التخطيط للغارات الجوية أى تحديد ما إذا كان الهدف يستحق شن هجوم ضده أم لا وكذلك تحديد مدى وطبيعة الدفاعات الموجودة فى منطقة الهدف . ومن المؤكد أن المخابرات قامت بتصوير أوشفيتز . والمنطقة المحيطة بها ، بدقة نسبية ، وذلك بعد وقت قصير من الأمر الذى صدر فى ٨ يونيو . وعلى ذلك كان لابد أن يكون فى مقدور الأمريكيين أن يحصلوا فعلا على صور تبين هذه الأعداد الضخمة من اليهود المجريين وهم ينقلون إلى أوشفيتز ويعدمون رميا بالرصاص أو يحرقون فى العراء . بل إنهم ، كانوا سيضطرون إلى وضع ترتيبات خاصة ليقدموا لنا ، سواء أكان ذلك فى الوقت الذى ارتكبت فيه عمليات القتل المزعومة ، أم أثناء المحاكمات التى جرت بعد ذلك أدلة مصورة تثبت هذه الادعاءات . وبالطبع كان من الأفضل اختيار الفترة الأولى لتقديم هذه الاثباتات حتى تكون مقنعة تماما ، حيث إن الروس سيطروا على منطقة أوشفيتز بعد يناير سنة ١٩٤٥ .

وتتردد مزاعم بأن الصورة الواردة فى الشكل رقم ٧ التقطت لأوشفيتز فى أغسطس سنة ١٩٤٤ ، ولكننا ناقشناها من قبل فى موضعها السليم . وعلى أية حال فإن عدد الجثث الواضحة فى الصورة تتفق بشكل عام مع المعدل العادى للوفيات فى أوشفيتز خاصة خلال عام ١٩٤٢ .

وبالرغم من كل الاهتمام الذى كان يلقاه يهود المجر وأوشفيتز فى ذلك الوقت وبالرغم

من الوعد الذى قطعه روزفلتا فى ٢٥ مارس ، فإن الأمريكيين لم يحركوا اصبعا واحدا من أجل التدخل فى عمليات الترحيل المزعومة ، عن طريق القاء القنابل على « غرف الغاز » . ولم يفشلوا فى انتهاز الفرصة لتزويدنا بأدلة مصورة تؤكد ادعاءاتهم ، فحسب بل إنه يبدو أيضا أنهم لا يملكون الدليل على ذلك بالرغم من التقاطهم للصور.

وكل هذه الاعتبارات ابتداء من تقرير الصليب الأحمر ، إلى الاستحالة العملية لإبادة يهود المجر فى ربيع وصيف سنة ١٩٤٤ ، وعدم وجود أى نتائج ملائمة لسيطرة الحلفاء على الجو – تفرض علينا استنتاجا واحدا وهو : أنه لم يحدث بالفعل ليهود المجر أى شىء يشبه أو يقترب من الإبادة.

وسنستعرض قريبا الدلائل على مزاعم الإبادة ، غير أنه يجب علينا أولا أن نبدى ملاحظة تتصل بمسألة موعد الغارة الجوية الأولى على أوشفيتز. ولقد ذكرنا فى الفصل الثالث أن زعم رودلف فربا أن غارة جوية وقعت على أوشفيتز فى ٩ أبريل سنة ١٩٤٤ ، يزعزع الثقة به . ولقد أشرنا فيما سبق إلى أنه من المحتمل أن أول غارة جوية وقعت فى أغسطس وإلى أنه من المؤكد أن أوشفيتز « تعرضت لإلقاء القنابل عليها فى أواخر سبتمبر » . ونحن نبنى وجهة نظرنا هذه على قراءتنا للمؤلف شبه الرسمى ذى القيمة المعترف بها الذى وضعه كرافن وكيت ، وقسم الوثائق التارخية للسلاح الجوى الأمريكى ، وعنوانه قوات الجيش الجوية فى الحرب العالمية الثانية ، والذى يذكر أن القوة الجوية الخامسة عشرة قامت فى أواخر أغسطس « بالإغارة على معامل تكرير البترول فى بولندا وتشيكوسلوفاكيا » وأنها أغارت فى أواخر سبتمبر على أوسوايكيم وغيرها من الأهداف البترولية وأضاف « أن كل هذه المناطق تعرضت للإغارة عليها من قبل » .

وبذلك فإنه من المستبعد تماما وقوع أية غارة فى أول أبريل . فإن أوشفيتز لم تكن لها أى أهمية استراتيجية إلا من حيث كونها هدفا بتروليا . ويقدم لنا كرافن وغيره ، ملخصا ممتازا لحملة السلاح الجوى . ولقد وقعت غارة جوية ضخمة على بلويستى فى سنة ١٩٤٣ ، غير أن الحملة المنتظمة التى تستهدف معامل البترول لم تبدأ إلا فى ربيع سنة ١٩٤٤ ، وذلك نتيجة للخلافات بين قادة الحلفاء حول أولويات الأهداف وحتى سنة ١٩٤٤ لم تزد نسبة القنابل التى القاها الحلفاء على الأهداف البترولية عن ١,١٪ من مجموع القنابل وفى ١٧ مارس سنة ١٩٤٤ صدرت التعليمات إلى القوة الجوية الخامسة عشر بتوجيه الهجمات ضد بلويستى فى أول فرصة تسنح لها ولكن على أن تنفذ هذه التعليمات « سرا

بمقتضى التعليمات العامة التى تقضى بقصف أهداف المواصلات التى تدعم القوات الألمانية التى تواجه الروس » وقد وقعت أولى هذه الغارات فى ٥ أبريل كما وقعت غارات جوية فى ١٥ ، ٢٤ أبريل ، وقد تركزت هذه الغارات الثلاث أساسا على مراكز السكك الحديدية بالقرب من بلويستى ، على أمل أن تؤدى هذه الغارات إلى الحاق « أضرار » عارضة بمعامل تكرير البترول . ولم تبدأ الغارات الجوية ضد مراكز البترول والتى شنتها الطائرات المرابطة فى انجلترا إلا فى ١٩ أبريل ، غير أن هذه الغارات أيضا تمت تحت غطاء هدف آخر غير البترول . وقد شنت القوة الجوية الخامسة عشرة عدة غارات جوية أخرى ضد بلويستى قبل الأمر الصادر فى ٨ يونيو . الذى بدأت بعده الحملة الرسمية الشاملة ضد مراكز البترول » .

ولما كان هو الموقف القائم آنذاك ، فإنه من الصعب علينا أن نصدق وقوع غارة جوية على أوشفيتز فى أبريل . وليست المسألة هى أنه لم يرد فى المرجع الذى استعانت به أى ذكر لمثل هذه الغارة ، فان كرافن وغيره ، ولم يشيروا إلى جميع الغارات التى وقعت . ولكن النقطة الهامة هى أنه كان يصعب فى أول ابريل ، تقديم مبرر داخل قيادة الحلفاء لشن مثل هذه الغارات ، حتى لو كانت تلك الغارات موجهة ضد أهداف منتقاة مثل بلويستى . ومن المستبعد كثيرا أن تشن غارة جوية فى أبريل ضد هدف بترولى مثل أوشفيتز ضئيل من حيث الأهمية بالنسبة لهدف آخر لا يبعد كثيرا عنه وهو مصانع البترول الصناعى فى بلتشهامر بل إن بلتشهامر ذاتها يرد ذكرها كهدف للغارات إلا بعد أبريل بفترة طويلة .

وجدير بالذكر أن السلاحين الجويين الأمريكى والبريطانى هما وحدهما اللذين كانت لهما علاقة بمسألة الغارات الجوية المحتملة على أوشفيتز فى الفترة بين أبريل وسبتمبر سنة ١٩٤٤ . إذ أن الروس لم يشتركوا فى مثل هذه العمليات الجوية ضد الأهداف الصناعية الاستراتيجية .

وتؤكد ذكريات اثنين من الألمان ممن كانوا فى أوشفيتز فى سنة ١٩٤٤ ، الاستنتاجات التى توصلنا إليها من خلال قراءتنا فى الأوراق شبه الرسمية للسلاح الجوى الأمريكى ، فقد كتب تيزكريستوفرسن ، مؤلف كتب أكذوبة أوشفيتز (والذى أشرنا إليه فى الفصل الأول) ، يقول إن الغارة وقعت فى خريف سنة ١٩٤٤ . ويبدو أن كريستوفرسن غير مدرك اطلاقا أية أهمية لمسألة تاريخ أو غارة جوية على أوشفيتز .

أما الشخص الثانى فهو دكتور فيلهلم شتيجليش ، وهو قاضى هامبورج الذى نشرت

شهادته فى الصحيفة الألمانية « ناسيون يوروما » (التى أشرنا إليها أيضا فى الفصل الأول) ، ولم يذكر شيئا فى شهادته المنشورة عن أية غارات جوية ، بيد أنه كتب يقول انه كان عضوا فى وحدة مضادة للطائرات كانت ترابط بالقرب من أوشفيتز . فى الفترة من منتصف يوليو حتى منتصف سبتمبر سنة ١٩٤٤ . وقد أجاب شيجليش على سؤال تتسم صياغته بالحياد وجهه إليه مؤلف هذا الكتاب ، بدون أية إشارة إلى طبيعة المسألة التى تتناولها بقوله :

« لسوء الحظ ، لا يمكننى أن أقول لك شيئا فى الواقع أكثر من أنه لم تقع أية غارات جوية فى الفترة التى كنت مرابطا فيها قرب أوشفيتز . ولا أعرف ما إذا كانت قد حدثت غارات جوية قبل أو بعد تلك الفترة . وقد كنت فى أوشفيتز فى الفترة ما بين منتصف يوليو حتى أوائل أو منتصف سبتمبر سنة ١٩٤٤ .

وأعتقد أنه من المؤكد أن أوشفيتز لم تتعرض لأية غارات جوية فى أى وقت قبل نقل وحدتى إلى هناك (تأكيدات شتيجليش) . وعلى أية حال فأنا لم أشاهد أى دمار يدل على هذا . وكذلك لم يبلغ إلى علمى أى شىء من هذا القبيل .

ولسوء الحظ أنه ليس لدى شىء آخر أدلى به حول هذا الموضوع » . إن الذين يريدون أسطورة الإبادة يؤكدون أيضا جوهر تحليلنا لمسألة الغارات الجوية الأولى على أوشفيتز . فريتلينجر لا يأخذ بصراحة موقفا فيما يتعلق بتاريخ أول غارة ولكنه يعلق (فى ص ٣٨٣) على « تخلف الحلفاء عن الإغارة على الممرات بين المجر وأوشفيتز فى الفترة بين مايو ويوليو سنة ١٩٤٤ » . أما هيلبرج (ص ٦٣٢) فقد ابتعد تماما عن الهدف فى تحديده لموعد الغارة الأولى بأنها وقعت فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٤٤ ، ويوافق ليفين (ص ٧٠١) على هذا الموعد أيضا . أما فريدمان (ص ٧٨) فيقترب نسبيا من تحديد التاريخ الذى يتفق مع تحليلنا حيث يذكر أن غارة وقعت فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩٤٤ .

والخلاصة أن جميع الأدلة تؤكد الاستنتاج بأنه لم تقع أية غارة جوية على أوشفيتز فى أبريل سنة ١٩٤٤ . وبذلك فإن ادعاء رودولف فربا بوقوع غارة فى أبريل ، بينما كان يختلس النظر من وراء كومة خشب ، يعتبر ، بالإضافة إلى الملاحظات الأخرى الواردة فى الفصل الثالث ، عاملا هاما فى القضاء على الثقة به .

ونعود إلى موضوعنا الأساسى فنستعرض الآن الدليل على إبادة يهود المجر المعروض أمامنا ، وهو دليل مستمد من الوثائق أساسا .

وسوف نتغاضى أساس عن الإقرار الكتابي الذى قدمه كاستنر فى المحكمة العسكرية الدولية ، فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩٤٥ . وكاستنر ، يهودى مجرى كان على صلة بأيخمان ومعاونيه فى بودابست سنة ١٩٤٤ . ويذكر كاستنر فى إقراره أنه تم ترحيل ٤٧٥ ألف يهودى مجرى حتى ٢٧ يونيو سنة ١٩٤٤ . كما يقدم عرضا تاريخيا « عاما لبرنامج الإبادة بالكامل ، ويقال إنه بنى هذا العرض التاريخى على أساس ما عرف كاستنر من الكولونيل كورت بيجر والكابتن ديتر فايز لكينى من قوات أمن الدولة . ومن المحتمل تماما أنه كان يتمتع بثقة هذين الرجلين ، بيد أنه فى عام ١٩٥٤ ، عندما كان عضوا بارزا فى حزب ماباى الإسرائيلى برياسة بن جوريون ، اتهمه يهودى مجرى آخر بالتواطؤ مع بيخر ، أحد رؤساء أيخمان فى عمليات قوات أمن الدولة بالمجر ، وقد أثارت دعاوى القذف الناجمة عن هذا الاتهام ، والتى أسفرت عن حدود أحكام ضد كاستنر ، أزمة سياسية كبرى فى إسرائيل أمكن تجنب عواقبها الوخيمة باغتيال كاستنر فى عام ١٩٥٧ . فكان كاستنر بذلك ضحية أخرى للخدعة .

وقد قدم أيضا فايز لكفينى ، مرءوس أيخمان فى المجر ، إقرارا كتابيا فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٥ أكده فى شهادته التى أدلى بها فى ٣ يناير سنة ١٩٤٥ أمام المحكمة العسكرية الدولية . وهذا الإقرار مكتوب هو الآخر بالإنجليزية وورد به مثلا التعبير الإنجليزى الغامض (بالنسبة لشخص ألمانى) « رؤوس » للتعبير عن الأشخاص المبعدين . وتقول شهادة فايز لكينى أنه كانت هناك أوامر مكتوبة ، أصدرها هيملر فى أوائل عام ١٩٤٢ ، بإبادة اليهود وكانت الأوامر موجهة إلى « المفتش على معسكرات الاعتقال » ، ضمن آخرين ، والذى ما كان يجب ، بحسب شهادة هوس بعد ذلك ، أن يعرف شيئا عن البرنامج ، وفقا لأوامر هيملر .

والأدلة الهامة ، عبارة عن مجموعة من الوثائق ، الموثوق بها ، التى تخص وزارة الخارجية الألمانية . فقد تم فى مارس سنة ١٩٤٤ إيفاد أحد موظفى الخارجية الألمانية ، ويدعى الدكتور فينر تمایر ، إلى المجر ، للعمل وزيرا مفوضا للحكومة الألمانية ، لاستكمال أنشطة يقوم بها السفير الخاص ريتر . وقد تبادل فينرتمایر رسائل كثيرة مع وزارة الخارجية فى برلين ، عن طريق البرقيات . وتعتبر الوثيقة ن ج — ٢٢٦٣ ، الواردة فى الشكل رقم ٣٠ ، نموذجا لهذه البرقيات التى قيل إنها أخذت من ملفات وزارة الخارجية . ومن الطبيعى أنها لا تحمل توقيع فينرتمایر وتتألف التصديقات الموجودة عليها من أختام وزارة الخارجية

المستخدمة فى ذلك الوقت وتفيد الملاحظة المدونة بخط اليد على الجانب الأيسر من الوثيقة بإدراجها فى ملف المجر وقد وقعها فون تادن بالأحرف الأولى من اسمه بتاريخ ٧/٤ وتقول الوثيقة .

أولا : تم نقل اليهود من المنطقة الثالثة بنقل ٥٠٨٠٥ يهوديا وفقا للخطة مجموع الذين تم نقلهم من المناطق الأولى حتى الثالثة ، ٣٤٠١٦٢ شخصا .

ثانيا : بلغ عدد المعتقلين والمنقولين من المنطقة الرابعة ٤١٤٩٩ وفقا للخطة بلغ العدد الكلى ٣٨١٦٦١ . ولقد تم إرسال تقارير منفصلة عن استمرار العمليات إلى فوشل بالبرقيات رقم ٢٧٩ فى ٢٧ يونيو ، ورقم ٢٨٧ فى ٢٩ يونيو ، ورقم ٢٨٩ ، فى ٣٠ يونيو . وقد بدأت الاعتقالات فى المنطقة الخامسة وهى المنطقة التى تشملها العمليات حتى الآن والتى تقع غرب الدانوب باستثناء بودابست ، وذلك فى ٢٩ يونيو . وفى الوقت نفسه بدأ تنفيذ عمليات على نطاق أضيق فى ضواحى بودابست كاجراءات تمهيدية ويتم الآن كذلك نقل أعداد صغيرة من السياسيين والمفكرين وخاصة ذوى المهارات منهم كما يتم نقل اليهود الذين لديهم كثير من الأطفال » .

ان مجموعة الوثائق المماثلة لهذه الوثيقة هى التى تكون الادلة على ترحيل أكثر من أربعمائة ألف يهودى مجرى فيما بين ١٥ مايو وأوائل يوليو سنة ١٩٤٤ . وفى تقديرى أن الوثائق المعنية تتلخص كما يلى . ويشار فى كل وثيقة على وحدة إلى طبيعة التصديق الخاص بها . ومن الطبيعى أن كل الوثائق التى تتناول الإجراءات المناهضة لليهود بما فى ذلك عمليات الترحيل ابان الفترة المعينة غير واردة هنا ، اذ لا نقوم الا تلك الوثائق التى قد يقال انها توحى بتفسير يتفق وادعاءات الابادة .

ن ج — ٢٠٥٩ صورة منسوجة على الآلة الكاتبة لبرقية من فيزنماير الى وزارة الخارجية بتاريخ ٨ مايو سنة ١٩٤٤ . وتفيد بأن عددا معينا من اليهود الذين كان سيتم ترحيلهم سيستغلون بدلا من ذلك فى العمل بالمشروعات العسكرية فى المجر . ويجب توجيه الطلب الخاص بتوفير المائة ألف يهودى مجرى القادرين على العمل ، الذين طلبتهم منظمة تود (التابعة لوزارة سبير) ، الى جلوكس بالمكتب الاقتصادى والادارى الرئيسى ، والمسئول عن ترحيل يهود المجر . والتوقيع بالحروف الاولى من اسم تادن .

ن ج – ٢٠٦٠ من جزئين . والجزء الثانى عبارة عن صورة منسوخة بالالة الكاتبة لبرقية من فيزنماير الى رينتروب عن طريق ريتر ، بتاريخ ٢١ أبريل سنة ١٩٤٤ . وتفيد بأنه تم احتجاز ١٠٠٠٣٨ يهوديا مجريا فى المعسكرات بناء على « العمليات الخاصة » . والتصديق على هذه البرقية هو ختم « سرى للغاية » . وتوقيع تادن بالحروف الاولى من اسمه وتدل المادة التفسيرية الملحقة بالوثيقة على وجود توقيع جايجر بالحروف الأولى من اسمه ، غير أن هذا لا يتأكد لدينا عند فحص باقى المادة (وتتوفر هنا الترجمة الانجليزية فقط) .

ن ج – ٢٠٦١ صورة منسوخة بالالة الكاتبة لبرقية من فيزنماير إلى وزارة الخارجية ، بتاريخ ٢٠ مايو سنة ١٩٤٤ . تفيد باعتقال أشخاص مشتركين فى المقاومة السرية ضد النازى والعثور على « مادة اخبارية عن الظروف المزعومة الخاصة بمعسكرات الاعتقال الألمانية . وعلى الأخص أحداث معسكر أوشفيتز ووصف تفصيلى لها » . والتصديق هنا هو خاتم وزارة الخارجية وتوقيع تادن بالحروف الاولى .

ن ج – ٢١٩٠ : الجزء الاول من هذه الوثيقة عبارة عن مذكرة ايضاحية للجزء الثانى . وهى ممهورة بتوقيع تادن وفيسبرج كما دفعها فاجنر بالحروف الأولى من اسمه وتحمل خاتم « سرى للغاية » والجزء الثانى عبارة عن تقرير مقدم من تادن إلى وزارة الخارجية عن الاجراءات التى تتخذ ضد اليهود فى المجر مؤرخ ٢٦ مايو سنة ١٩٤٤ . ويفيد بأن الحكومة المجرية وافقت على ترحيل جميع يهود المجر إلى المناطق الشرقية وذلك باستثناء ثمانين ألف يهودى يستبقون للعمل فى المشروعات العسكرية . ويقدر عدد يهود المجر بما يتراوح بين ٩٠٠ ألف ومليون نسمة وقد اعتقل معظم اليهود الموجودين خارج بودابست أحياء معزولة . واعتبارا من ٢٤ مايو بدأ ترحيل مائة وستة عشر ألف يهودى الى الحكومة المركزية وذلك فى شحنات يومية تضم كل منها أربعة عشر ألفا . وقدمت تأكيدات للمجلس اليهودى فى بودابست (وهو نفس مجلس الشيوخ اليهودى المشار اليه فى تقرير الصليب الأحمر) بأن هذه الاجراءات موجهة فقط ضد اليهود الذين لم يندمجوا فى المجتمع ، وأن الباقين سيلقون معاملة مختلفة . بيد أن قوات أمن الدولة تتوقع مواجهة بالنسبة للاعتقالات وعمليات الترحيل فى المستقبل ويتم تحديد الخطط الخاصة باجراءات المستقبل . وتبحث المشاكل الناجمة عن الخلاف بين الألمان والمجريين حول تعريف اليهودى . وتفيد التقديرات

أن حوالى ثلث اليهود المجريين الذين تم ترحيلهم الى أوشفيتز كانوا قادرين على العمل ، وانه تم توزيعهم فور وصولهم الى هناك على ساوكل ومنظمة تود . . . . الخ .

وتحمل الوثيقة خاتم « سرى للغاية » وممهورة بتوقيع تادن . والجزء الثالث منها عبارة عن مذكرة تفسيرية للجزء الرابع ووقعها فاجنر وتادن بالحروف الأولى . وتحمل تأشيرات بخط اليد موجهة الى أيخمان . أما الجزء الرابع فهو ملخص لتقرير تادن بدون توقيعات .

ن ج – ٢٢٣٠ : نسخة من خطاب من صفحتين بتاريخ ٢٤ ابريل سنة ١٩٤٤ موجه من تادن الى أيخمان ويبلغه فيه مضمون المذكرة رقم ٢٢٣٣ (والتى سنبحثها فيما بعد وكلا الصفحتين عليهما توقيع تادن بالاحرف الاولى . ويوجد فى أسفل الأولى ختم التاريخ وملاحظات بخط اليد . ملحوظة : عندما رجعت مرة ثانية الى الوثيقة ٢٢٣٠ وجدت انها وثيقة مختلفة تماما ، لذلك ربما كان يوجد هنا خطأ ما .

ن ج – ٢٢٣٣ من جزئين . الجزء الأول عبارة عن نسخة من برقية موجهة من فيزنماير الى ريبتر ، بتاريخ ٢٣ ابريل سنة ١٩٤٤ . وتتحدث عن عملية اعتقال اليهود من أهالى الكربات داخل أحياء معزولة ، وقد تم بالفعل اعتقال مائة وخمسين ألف يهودى وتشير التقديرات الى أن ثلاثمائة ألف يهودى سيتأثرون بهذه العملية عند اتمامها .

ويبدأ بعد ذلك اعتقال اليهود فى المناطق الأخرى . وتبدأ فى ١٥ مايو عملية « شحن ثلاث آلاف يهودى يوميا الى أوشفيتز وحتى لا تتعطل عملية نقلهم ، فان عملية نقل الخمسين الف يهودى الذين طالب فيزنماير بأن يعملوا فى الرايخ سوف تتوقف مؤقتا ولايعتبر نقلهم سيرا على الاقدام أمرا ممكنا ذلك لدواعى الأمن والتغذية وتوفير النعال . والتصديق على هذا الجزء من الوثيقة يظهر فى صورة ختم وزارة الخارجية (مادة محظورة التداول) أما الجزء الثانى من الوثيقة فعبارة عن نسخة بالكربون لرسالة من تادن الى أيخمان مؤرخة فى ٢٤ ابريل ، وتكرر مضمون البرقية ، ووقعها تادن بالحروف الأولى .

ن ج ٢٢٣٥ : نسخة بالكربون لبرقية من فاجنر الى فيزنماير بتاريخ ٢١ مايو سنة ١٩٤٤ . وهى تفيد أن تادن سيقوم بزيادة بودابست فى وقت قريب لبحث مسألة التصرف فى ممتلكات اليهود الألمان والمجريين ، فى اطار الحل الأوربى الشامل للمسألة اليهودية . وقد

وقع عليها فاجنر بالحروف الاولى ، ويبدو على الوثيقة وكأن هناك توقيعا بحرفى ف . م ، ولكن لايبدو أن المقصود بهما أنهما يمثلان الحروف الأولى لاسم فيزنماير.

ن ج – ٢٢٣٦ : وهى مذكرة مكتوبة بالالة الكاتبة بتاريخ ٦ يوليو سنة ١٩٤٤ وموجهة من فاجنر الى شتينجراخت ويعلن فاجنر فى المذكرة أن سياسة الرايخ هى منع اليهود من الهجرة . وأنه يجب رفض طلب مجلس لاجئ الحرب ، المقدم عن طريق سويسرا ، بالسماح بهجرة يهود المجر الى فلسطين ، حيث إن هذا سيثير عداء العرب . وأنه بنهاية الشهر سيكون قد فات الأوان على أية حال بالنسبة للتدخل السويسرى الأمريكى ، حيث إن الاجراءات المضادة لليهود فى المجر ستكون قد تمت فى ذلك الوقت . وهذه الوثيقة تحمل خاتم السرية وموقعة باسم فاجنر وتحمل توقيع تادن بالحروف الأولى وربما توقيع هنكى أيضا .

ن ج – ٢٢٣٧ : صورة منسوخة بالالة الكاتبة لبرقية بتاريخ ١٠ يونيو ، مرسلة من فيزنماير الى وزارة الخارجية ، وتفيد بأن الاجراءات الخاصة باعتقال اليهود فى المناطق التى تقع شمال بودابست بدأت ، وأن عملية ترحيل اليهود ستبدأ فى ١١ يونيو . والتصديق عليها عبارة عن خاتم وزارة الخارجية وتوقيع تادن بالحروف الأولى .

ن ج – ٢٢٣٨ : مذكرة على الآلة الكاتبة من فاجنر يقترح فيها التلكؤ فى المفاوضات مع سويسرا والسويد حول هجرة يهود المجر حتى يتم نهائيا حل مسألة معاملة اليهود الباقين فى المجر . والمذكرة مؤرخة ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٤ وبتوقيع فاجنر والأحرف الاولى لتادن وحرف أولى غير واضحة لأخرين .

ن ج – ٢٢٦٢ صورة منسوخة بالالة الكاتبة لبرقية بتاريخ ١٤ مايو ، مرسلة من فيزنماير الى ريتر ، تتضمن تقريرا حول اخلاء ٣١٠ ألف يهودى من مناطق كرابات وترانسلفانيا الى المانيا ابتداء من منتصف مايو بواقع ٤ شحنات يوميا كل منها تضم ٣ آلاف يهودى . وسيتم وضع الترتيبات . لتوفير القطارات اللازمة فى مؤتمر يعقد فى ٤ مايو بفيينا . والتصديق عبارة عن خاتم وزارة الخارجية وتوقيع تادن بالحروف الاولى .

ن ج — ٢٢٦٣ : صورة منسوخة بالآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ٣٠ يونيو ، موجهة من فيزنماير الى وزارة الخارجية ، وتفيد بأنه تم حتى هذا التاريخ ترحيل ٣٨١٦٦١ يهوديا مجريا . وأنه تم البدء فى عمليات الاعتقال غرب الدانوب ، باستثناء بودابست ، وفى ضواحى هذه المدينة وتحمل الصورة خاتم وزارة الخارجية وتوقيع تادن بالحروف الاولى .

ن ج — ٢٤٢٤ : وتتألف من جزئين ، الأول منها عبارة عن رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة بتاريخ ٢٧ مايو ، موجهة من مدير الصحافة بوزارة الخارجية ، شميدت ، الى شيتجراخت وزير الدولة بوزارة الخارجية ، وتقترح شن حملة دعائية (حول « اكتشاف متفجرات فى الاندية والمعابد اليهودية » وماالى ذلك) تسبق اتخاذ اجراءات ضد يهود بودابست . والرسالة ممهورة بتوقيع فاجنر بالحروف الأولى أما الجزء الثانى فعبارة عن صورة بالالة الكاتبة لبرقية بتاريخ أول يونيو ، موجهة من تادن الى بودابست ، لتبليغ هذه الاقتراحات ووقع عليها فاجنر وتادن بالحروف الأولى .

ن ج — ٢٩٨٠ : وتتألف من ثلاثة أجزاء : الجزء الأول منها عبارة عن نسخة مكتوبة بالآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ٢١ مايو من فاجنر الى بودابست تعلن عن زيارة تادن القريبة لبودابست لاجراء مباحثات حول المسألة اليهودية والرسالة مختومة وتحمل توقيع فاجنر بالحروف الأولى أما الجزء الثانى فيتكون من صورة بالكربون بدون توقيع لرسالة من تادن الى فاجنر ، وتشكل مذكرة تفسيرية لتقرير تادن عن نشاطه فى بودابست وتحمل خاتم « سرى للغاية » والجزء الثالث عبارة عن تقرير مكتوب على الالة الكاتبة فى ٥ صفحات بتاريخ ٢٥ مايو ، ويفيد بأن المسئول الخاص عن المسألة اليهودية فى السفارة الألمانية ببودابست ، نون آداموفيك « ليست لديه أدنى فكرة عن النوايا الحقيقية أوعن التطبيق العملى للاجراءات المناهضة لليهود » . ويذكر تادن أيضا عن زيارة قام بها لمكتب أيخمان ، حيث علم أن ١١٦ ألف يهودى قد تم ترحيلهم الى الرايخ وأن ترحيل ٢٠٠ ألف يهودى آخرين أصبح وشيكا ، وأن عملية اعتقال حوالى ٢٥٠ ألف يهودى من الاقاليم الواقعة شمال وشمال غرب بودابست ستبدأ فى ٧ يونيو ويتضمن التقرير خططا أخرى فهو يقدر أن لن يبقى فى المجر سوى ٨٠ ألف يهودى تقريبا من القادرين على العمل . وأن العملية كلها ستتم فى نهاية يوليو والتقرير وارد فى خمس صفحات كاملة ولايوجد عليه تصديق الا ختم سرى للغاية على الصفحة الاولى .

ن .ج – ٥٥١٠ : صورة على الآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ٨ مايو من فيزنماير الى وزارة الخارجية تعلن أن الكونت بيتلن والدكتور شيلنج ، لا يوافقان على الإجراءات الخاصة باليهود ، وأن فيزنماير سيطلب فصلها بالتالى . « لقد أعلن الكونت بتيلن ، أنه لايريد أن يصبح شريكا فى عمليات القتل الجماعى ويفضل أن يقدم استقالته » . ويتكون التصديق من ختم « سرى للغاية » وملاحظة بخط اليد بوضع البرقية فى ملف المجر » .

ن ج – ٥٥٣٢ صورة على الآلة الكاتبة لبرقية من فيزنماير الى وزير الخارجية رينتروب ، بتاريخ ٩ يوليو ، وتتضمن تقريرا حول اعتزام جاروس ، وزير داخلية المجر ، على الزج بيهود بودابست فى معتقلات خارج المدينة ثم « نقلهم تدريجيا فى مجموعات تتكون من ٣٠ الى ٤٠ ألف يهودى الى الرايخ » . والبرقية لا تحمل أى تصديقات .

ن .ج – ٥٥٣٣ : صورة منقولة بالآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ١٤ يونيو من فيزنماير الى وزارة الخارجية ، تؤكد أن أعدادا كبيرة من يهود المجر أخذت تتسلل الى سلوفاكيا « منذ أن انقضضنا عليهم » بعد ١٩ مارس . وعليها ختم « المجر » ومكتوب بخط اليد فى أسفلها « وزير الدولة » .

ن ج – ٥٥٦٥ : نسخة أصلية على الالة الكاتبة لبرقية بتاريخ ٢ مايو مرسلة من تادن الى السفارة الألمانية فى برسبورج ، وتعلن أنه سيتم عقد مؤتمر فى ٤ و ٥ مايو بفيينا بهدف تنظيم عملية النقل بالسكك الحديدية لأعداد كبيرة من يهود المجر للعمل فى المناطق الشرقية » . وعليها ختم » « سرى » وتوقيع تادن بالحروف الأولى .

ن ج – ٥٥٦٧ : صورة على الآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ١٧ يونيو موجهة من فيزنماير الى وزارة الخارجية وتفيد بأن العدد الكامل ليهود المجر المرحلين الى الرايخ هو ٣٢٦٠٠٩ يهوديا وهى مختومة ووقع عليها تادن بالحروف الأولى (وتفيد الملاحظات التفسيرية عن الوثيقة بأنها موقعة بالحروف الأولى لفاجنر ورايشل ، غير أن الوثائق التى فحصتها لاتدل على هذا) .

ن ج – ٥٥٦٨ : صورة لبرقية على الآلة الكاتبة بتاريخ ٨ يونيو مرسلة من فيزنماير الى وزارة الخارجية وقد ورد بها : « ان المبادئ الأساسية التى يجب الالتزام بها عند تنفيد الاجراءات الخاصة باليهود فى المجر هى مراعاة سرية تواريخ الترحيل والمناطق التى سيتم تطهيرها الواحدة تلو الأخرى لتجنب اثاره قلق العناصر اليهودية وقيامهم بمحاولاتهم للهجرة . ويجب أن ينطبق هذا بوجه خاص على مدينة بودابست ذاتها والتى ستكون المنطقة الأخيرة وحيث ينتظر مواجهة متاعب فى هذا الصدد . والبرقية تحمل ختما وملاحظات تادن المدونة بالقلم الأزرق .

ن ج – ٥٥٦٩ : مكونة من عدة أجزاء ، والجزء الأول والاساسى عبارة عن صورة على الآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ١٤ يونيو ومرسلة من لودين فى برسبورج (سلوفاكيا) الى وزارة الخارجية وتفيد بأن بعض الحراس قد اقتحموا القطارات التى تنقل اليهود من المجر عبر سلوفاكيا ، وسلبوا نقود اليهود وحليهم ، وقتلوا بعضهم بالرصاص . ثم استخدموا ماسلبوه فى احتساء الخمر بمطعم قريب حتى ثملوا . وهذا الجزء مختوم . أما الأجزاء الأربعة التالية فهى عبارة عن مذكرات تبحث فى الحادث وعليها عدة أختام والحروف الأولى من أسماء فاجنر وتادن وميرباخ .

ن ج – ٥٥٧٠ : نسخ بالالة الكاتبة لخمس برقيات ، الأولى بتاريخ ١٤ أكتوبر ونتناول الخطة التى وضعت لترحيل ٥٠ ألف يهودى سيرا على الأقدام من المجر للعمل فى الرايخ . وتضيف ملاحظة سرية تقول ان « ايخمان ينوى . . . طلب ٥٠ ألف يهودى آخرين من أجل تحقيق الهدف النهائى وهو تظهير المجال المجرى . . » وهى مختومة وعليها ملاحظات بخط اليد . والاجزاء الاربعة الاخرى تبحث الخطط الخاصة بيهود المجر والخاصة أيضا باليهود المرحلين من أجل العمل . وتظهر على هذه الأجزاء أختام كما تظهر توقيعات فأجنر وتادن بالأحرف الأولى .

ن ج – ٥٥٧١ برقيات مكتوبة على الآلة الكاتبة بتاريخ ٢٥ ، ٢٨ يونيو متبادلة بين فيزنماير والتنبرج بوزارة الخارجية . وتفيد انه بالنظر إلى « تصفية المشكلة اليهودية » فى المجر فانه يجب على الحكومة المجرية أن تدفع للرايخ ثمن المواد الغذائية وتحمل البرقيات اختاما .

ن ج – ٥٥٧٣ : تقرير على الآلة الكاتبة بتاريخ ٢٧ أكتوبر أرسله فاجنر الى رينتروب ويفيد بأنه قد تم ترحيل ٤٣٧٤٠٢ يهوديا من بين التسعمائة ألف يهودى الذين كانوا يقيمون فى المجر وذلك « للعمل فى الشرق » . ويتبع ذلك مناقشة حول السماح بهجرة يهود المجر ، ويحمل التقرير ختما وتوقيع ميرباخ بالحروف الأولى .

ن ج – ٥٥٧٦ نسخة على الآلة لبرقية بتاريخ ٣٠ يونيو من فيزنماير الى وزارة الخارجية وتفيد بأن هورتى اعترض على الاجراءات ضد يهود بودابست ، ولكنه وافق على تأجيل الاجراءات ، وبذلك بدأت عملية « جمع اليهود فى آخر منطقة اقليمية رقم ٥ (وهى المنطقة الواقعة غرب الدانوب ، باستثناء بودابست ، والتى لم تشملها الاجراءات حتى تلك اللحظة) . وفى الوقت نفسه ستبدأ عملية التجميع فى الضواحى النائية لبودابست حتى يمكن تسهيل الحملة فى العاصمة » . والنسخة مختومة .

ن ج : ٥٥٩٤ برقية من جهة مجهولة ببودابست الى وزارة الخارجية ، بتاريخ ١٨ ابريل جاء بها أن سكان المجر يطالبون بإيجاد حل جذرى سريع لمسألة اليهود حيث إن الخوف من انتقام اليهود يفوق الخوف من وحشية الروس » . وتحمل البرقية ملاحظات بخط اليد بإيداعها فى الملف .

ن ج – ٥٥٩٥ : نسخة على الآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ٢٨ أبريل مرسلة من فيزنماير الى وزارة الخارجية تفيد بأن : « العمليات الخاصة » فى المجر قد أسفرت عن اعتقال ١٩٤ ألف يهودى والبرقية مختومة وتحمل تأشيرات بخط اليد .

ن ج – ٥٥٩٦ : نسخة بالآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ٥ مايو من فيزنماير الى وزارة الخارجية حول اعتقال ١٩٦٧٠٠ يهودى تنفيذا للخطط الخاصة . وتحمل أختاما وتأشيرات بخط اليد .

ن ج – ٥٦٠٠ : نسخة بالآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ٦ مايو من فيزنماير الى وزارة الخارجية وتفيد بأنه يجرى اعتقال اليهود وأنهم يعتقدون أنهم « ذاهبون الى المعسكرات مؤقتا فقط » وتحمل ختما .

ن ج – ٥٦٠٢ : نسخة مكتوبة بالآلة الكاتبة بتاريخ ٢٤ مايو من فيزنماير الى وزارة الخارجية وتفيد بأنه تم ترحيل ١١٠٥٥٦ يهوديا مجريا الى الرايخ . وتحمل ختما وتأشيرات بخط اليد .

ن ج – ٥٦٠٣ : نسخة مكتوبة بالآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ١٩ مايو من فيزنماير الى وزارة الخارجية عن ترحيل ٥١٠٠٠ يهودى مجرى . مختومة وتحمل تأشيرات بخط اليد وموقعة بحروف أولى غير مقروءة .

ن ج – ٥٦٠٤ : نسخة بالآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ٢٠ مايو من فيزنماير الى وزارة الخارجية عن ترحيل ٦٢٦٤٤ يهوديا مجريا . مختومة وعليها تأشيرات بخط اليد .

ن ج – ٥٦٠٥ : نسخة مكتوبة بالآلة الكاتبة بتاريخ ١٦ مايو من فيزنماير الى وزارة الخارجية وتذكر أن ترحيل الثلاثمائة ألف يهودى المحتجزين فى منطقة كربات ، وفى ترانسلفانيا قد بدأ فى ١٤ مايو ، فى أربعة قطارات خاصة يحمل كل منها ثلاثة آلاف يهودى يوميا . والنسخة مختومة وعليها تأشيرات بخط اليد .

ن ج – ٥٦٠٨ : نسخة مكتوبة بالآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ٢٥ مايو من فيزنماير الى وزارة الخارجية وتتعلق بترحيل ١٣٨,٨٧٠ يهوديا مجريا الى الرايخ والنسخة مختومة وعليها تأشيرات بخط اليد .

ن ج – ٥٦١٣ صورة منسوخة على الآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ٢٠ يوليو من فيزنماير الى وزارة الخارجية وتفيد بأن النازيين المجريين دفعوا الفرانسيسكان الى تحديد موعد لاقامة قداس شكر ، احتفالا بترحيل اليهود ، ولكن الاسقف اعترض على هذا وأنه من الضرورى التوصل الى حل وسط والصورة مختومة وعليها تأشيرات بخط اليد .

ن ج – ٥٦١٥ صورة منسوخة على الآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ١١ يوليو من فيزنماير الى وزارة الخارجية عن ترحيل ٤٠٧,٤٠٢ يهوديا مجريا والصورة مختومة وعليها ملاحظات بخط اليد .

ن ج – ٥٦١٦ : صورة منسوخة بالآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ٨ يوليو من فيزنماير الى وزارة الخارجية عن ترحيل ٤٢٢,٩١١ يهوديا مجريا إلى الرايخ ، مختومة .

ن ج – ٥٦١٧ : صورة منسوخة بالآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ١٧ يونيو من فيزنماير الى وزارة الخارجية عن ترحيل ٣٤٠,١٤٢ يهوديا مجريا إلى الرايخ ، مختومة وعليها تأشيرات بخط اليد .

ن ج – ٥٦١٨ : صورة منسوخة بالآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ١٧ يونيو من فيزنماير إلى وزارة الخارجية ، عن ترحيل ٣٢٦ ألف يهودى مجرى إلى الرايخ ، مختومة وعليها ملاحظات بخط اليد .

ن ج – ٥٦١٩ : صورة منسوخة بالآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ١٣ يونيو من فيزنماير الى وزارة الخارجية عن ترحيل ٢٨٩,٣٥٧ يهوديا من منطقتى الكربات وترانسلفانيا ، وتحدد الخطط المقبلة للترحيل ، والصورة مختومة وعليها ملاحظات بخط اليد .

ن ج – ٥٦٢٠ : صورة منسوخة بالآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ٨ يونيو من فيزنماير الى وزارة الخارجية لم تكن الوثيقة موجودة باستثناء التفسير الملحق بها بالمجموعة التى نفحصها ولكنها شبيهة فيما يبدو بالوثائق التى تسبقها مباشرة والتى تليها مباشرة .

ن ج – ٥٦٢١ صورة منسوخة على الآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ٢ يونيو من فيزنماير إلى وزارة الخارجية حول ترحيل ٢٤٧٨٥٦ يهوديا مجريا إلى الرايخ والصورة مختومة وعليها ملاحظات بخط اليد .

ن ج – ٥٦٢٢ صورة منسوخة على الآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ أول يونيو من فيزنماير الى وزارة الخارجية حول ترحيل ٢٣٦٤١٤ يهوديا مجريا الى الرايخ والصورة مختومة .

ن ج – ٥٦٢٣ صورة منسوخة على الآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ أول يونيو من فيزنماير الى وزارة الخارجية حول ترحيل ٢١٧٢٣٦ يهوديا مجريا الى الرايخ والصورة مختومة وعليها ملاحظات بخط اليد .

ن ج – ٥٦٢٤ : مذكرة مكتوبة على الآلة الكاتبة بتاريخ ٣١ مايو من فيزنماير الى وزارة الخارجية حول ترحيل ٢٠٤٣١٢ يهوديا مجريا إلى الرايخ والصورة مختومة وعليها ملاحظات بخط اليد .

ن ج – ٥٦٣٧ : مذكرة مكتوبة على الآلة الكاتبة بتاريخ ٢١ مايو سنة ١٩٤٣ من فاجنر الى شتينجراخت ويقدم فيها فاجنر تقريرا عن زيارة قام بها سفير المجر . وبحث خلالها المشاكل المتعلقة بحل المسألة اليهودية فى المجر . ويؤكد التقرير ضرورة تنفيذ عمليات الترحيل على مراحل وأنه يجب السماح للذين تم ترحيلهم بكسب قوتهم ، ولو لفترة قصيرة على الأقل ، حتى لا تثير الترحيلات مخاوف الباقين والتقرير مختوم ويحمل توقيع فاجنر .

ن ج – ٥٦٨٤ : صورة منسوخة على الآلة الكاتبة لبرقية بتاريخ ٦ يوليو من فيزنماير الى ريبنتروب وهى عبارة عن تقرير يقع فى ست صفحات عن مؤتمر عقد مع هورتى الذى ذكر أنه يتلقى سيلا من البرقيات يوميا من جميع الجهات فى الخارج والداخل ، كالفاتيكان وملك السويد ومن سويسرا ومن الصليب الأحمر وغيرهم ، بشأن يهود المجر . ودافع عن الاحتفاظ بالاطباء اليهود وشركات العمال اليهود الذين يؤدون أعمالا تتعلق بالحرب . وذكر فيزنماير أنه قال لهورتى ان حل المسألة اليهودية . . . يتم بوساطة المجر (ولكنه) ماكان (يمكن) اتمامه بدون مساعدة من قوات الأمن الألمانية والتوقيع بالحروف الأولى من اسم شتنجراخت .

ومن الملائم هنا أن نعلق باقتضاب على الظروف التى كان يتم فيها تحليل هذه الوثائق ، وذلك قبل الانتقال الى تفسير هذه الأدلة . ومالم يذهب المرء الى واشنطن ليفحص الوثائق الأصلية ، فإنه قد يجد أن ما يعثر عليه عادة عند فحص وثيقة ما يتكون من أجزاء كثيرة قد تصل إلى أربعة أجزاء ، فأولا ربما كانت هناك نسخة مصورة للوثيقة الاصلية . ويحدث هذا عادة فى حالات قليلة فقط أما الأجزاء الثلاثة الاخرى فيكاد يتيسر الحصول عليها

دائما وتتكون من صورة للوثيقة الاصلية . منسوخة على الآلة الكاتبة بالألمانية . وبذلك فانه بدلا من أى مادة مكتوبة بخط اليد توجد مادة منسوخة على الآلة الكاتبة مع اشارة الى أن النسخة الاصلية مكتوبة بخط اليد . وتوجد ثانيا الترجمة الانجليزية للوثيقة المكتوبة باللغة الالمانية . وثالثا ، يرفق بكل هذا المادة التفسيرية ، أى « تحليل مضمون الوثيقة » . وقد اكتشفنا أثناء دراستنا للوثائق بعض التناقضات الطفيفة بين الأجزاء الأربعة . وبالاضافة إلى هذا فقد اختفى عدد ضئيل جدا من الوثائق من المجموعة التى فحصناها .

ويمكن أن يقال استنادا الى أسس قوية أنه ماكان يجب أن نضمن القائمة عددا معينا من هذه الوثائق ، حيث إنها تقبل تفسيرات عديدة غير نقل أغلبية يهود المجر الى الرايخ . فالوثيقة رقم ٢٤٢٤ من هذا النوع ، ولقد رأينا كيف أن الإجراءات المقترح اتخاذها فى بودابست نفذت فى نهاية الامر فى أكتوبر . وكذلك تقبل الوثيقة ٥٥٣٣ والوثيقة ٥٦٨٤ تفسيرات عديدة ، وفيما يتعلق بالاخيرة فانه ليس هناك شك فى أن بعض يهود المجر نقلوا الى الرايخ بالتحديد من أجل العمل ، ويمكن تفسير الوثيقة على أنها تعنى هذا بالفعل .

ومع ذلك ، فمن الواضح أنه يجب على أن أعلن هنا أن هذه الوثائق تتضمن قدرا كبيرا من التزييف ، فقد كتبت بعد الحرب . ومن المؤكد أن الاحداث التى تشير اليها الوثائق والخاصة بنقل ٤٠٠ ألف يهودى مجرى الى الرايخ (أو بولندا) فى الفترة بين مايو ويوليو سنة ١٩٤٤ ، لم تقع على الاطلاق ، وذلك لأسباب سبق أن ذكرناها بيد أن هناك أسسا معينة تدعو هنا إلى الشعور بالانزعاج حيث إنه لايبدو أن التزييف قد إمتد الى الاجزاء المتعلقة بأسطورة الابادة فى أوشفيتز والتى بحثناها حتى هذه النقطة . والتزييف مسألة تنطوى على المخاطرة . ولذلك ، فانه بالرغم من أن التزييف يبدو مؤكدا فلابد لنا من بعض الادلة المستقلة التى تؤيد تهمة التزييف .

وينطوى التزييف على قدر أقل من المخاطر لو أنه لم يتضمن تزويرا فعليا للتوقيعات واذا أمكن الحصول على تعاون الاشخاص الذين وقعوا أو وضعوا الحروف الأولى لأسمائهم على الوثائق المزورة فإن المخاطرة تكون قد زالت أو تضاءلت . ولذلك يجب علينا أن نلقى عن كثب نظرة دقيقة على من صدقوا على الوثائق . واذا استثنينا الوثيقة ٥٦٨٤ ، نجد أن لدينا تصديقات تتكون من الحروف الأولى أو توقيعات أو منهما معا ، أو الحروف الأولى والتوقيعات المزعومة) لكل من جايجر زفيسبرج ، وهنك ، ورايشل ، وميرباخ ، وفاجنر ، وتادن ، مع كون الاغلبية العظمى من التصديقات باسم الآخرين ويربط هؤلاء

الاشخاص السبعة خاصية هامة مشتركة وهى أن أحدا منهم لم يكن من المهتمين فى القضية رقم ١١ أو فى أى قضية أخرى على مايبدو ويمكن القول فى حالة الخمس شخصيات الأولى أن هذا أمر معقول ، سواء لانخفاض مرتبتهم الوظيفية أو لتورطهم السطحى فى الجرائم المزعومة . وعلى هذا فإن الشخصيات الخمسة الأولى لم يكن لها سوى دور ضئيل فى القضية رقم ١١ ، وقد ظهر ميرباخ كشاهد نفى فى القضية وقدم هنك اقرارات لصالح الدفاع .

غير أنه بالنسبة لفاجنر وتادن ، فان عدم اقامة دعوى عليهما يعد أمرا غامضا للغاية اذا لم يدرك المرء أن نجاح عملية تزوير وثائق المجر المثبتة للجريمة كان يتطلب أساسا تعاونهما . ولهذا يجب علينا أن نفحص دوريهما فى وزارة الخارجية والتجارب التى مرا بها بعد الحرب .

كان ايبارهارد فون تادن موظفا فى « المكتب الداخلى الثانى » بوزارة الخارجية وكانت مسئولية هذه المجموعة هى القيام بدور الاتصال مع قوات أمن الدولة ومن ثم يمكن القول بأن تادن كان يعتبر « خبير الشئون اليهودية » بوزارة الخارجية . وكانت المراسلات بينه وبين أيخمان بشأن تنفيذ السياسات اليهودية ، مهما كانت هذه السياسات ، جزء طبيعيا من مهام منصبه ، وعلى هذا فان الوثيقتين ٢٢٣٣ ، ٢٩٨٠ تعتبران صحيحتان تماما على الاقل فى هذا الصدد . أما هورست فاجنر ، فقد كان عضو مجموعة المساعدين الشخصيين لريبنتروب ، وزير الخارجية ، وكان ، بصفته رئيسا للمكتب الداخلى الثانى ، رئيسا لتادن ، وكان هو أيضا متورطا ، كما تبين الوثائق بحق ، فى السياسة اليهودية التى كانت الحكومة الألمانية تنتهجها . وقد اتهمت المحاكم العسكرية المختلفة وزارة الخارجية بالتورط فى ابادة اليهود ، وقد أدانت المحكمة العسكرية الدولية ، روبتروب بهذه التهمة . وكان المتهمون الرئيسيون فى القضية رقم ١١ ، بعض المسئولين فى وزارة الخارجية ، ومعظمهم من الدبلوماسيين العاديين ، وكانت تهمة الابادة من بين التهم الموجهة ضدهم بطبيعة الحال . وحيث أن تادن وفاجنر ، كانا من المسئولين السابقين ، ونظرا للاعتبارات الواردة فى الوثائق التى استعرضناها ، فانه لابد وأنه كان يبد عند بدء نظر القضية رقم ١١ أنهما يواجهان متاعب خطيرة . وبالإضافة الى ذلك لم يكن من الممكن اعتبار علاقتهما بالقضية رقم ١١ ، وهى قضية الوزارات ، قضية شارع ولهلم ، علاقة بالغة الغموض . فمثلا عندما نشرت النيويورك تايمز نبأ بدء نظر القضية رقم ١١ اختارت ابراز أسماء ثمانية « متهمين أو شهود » بارزين . وكان تادن أحد الاسماء الواردة فى تلك القائمة .

وعلى هذا ، فانه مما لا يمكن تبريره ، استنادا الى أسباب عادية ، الا يقدما الى المحاكمة باعتبارهم متهمين ، وانما حضرا المحاكمة باعتبارهما شهود اثبات . واستمرت الاحداث الغريبة لعدة سنوات . فبالنسبة لتادن ، حاولت المحاكم الالمانية تصحيح هذا الخطأ الفادح باقامة دعوى ضده . اذ أقامت محكمة المانية فى لورنسبرج فى ديسمبر سنة ١٩٥٠ دعوى ضده ، بعد أن أفرج عنه من المعتقل الامريكى فى سنة ١٩٤٩ ، ولكنه لجأ الى كولونيا فى القطاع البريطانى ، ورفض طلب تسليمه . ثم وجهت اليه محكمة أخرى بكولونيا فى مايو سنة ١٩٥٢ الاتهام ، ولكن المحاكمة لم تتم ابدا وبعد ذلك وقع تادن اقرارا كتابيا لصالح الادعاء فى محاكمة أيخمان سنة ١٩٦١ . وفى أوائل سنة ١٩٦٤ أعتقل مرة أخرى ثم أفرج عنه بعد أن تمكن من دفع كفالة مقدارها خمسمائة ألف دولار ولكنه أصيب بعد ذلك فى نوفبر سنة ١٩٦٤ فى حادث سيارة ومات متأثرا بجراحه .

وبالمثل : اعتقلت السلطات الالمانية هورست فاجنر فى سنة ١٩٤٩ ولكنه تمكن من الفرار الى اسبانيا ثم الى ايطاليا . وبدأت اجراءات تسليمه الى السلطات الألمانية فى سنة ١٩٥٣ ، ولكنها توقفت . وبعد أعوام قليلة عاد إلى المانيا لتقديم طلب للحصول على معاش ، وتم اعتقاله فى ايخن . وبالرغم من أنه كان قد هرب من البلاد من قبل لتجنب تقديمه للمحاكمة . فقد أفرج عنه فى أبريل سنة ١٩٦٠ بكفالة قدرها عشرين الف دولار ، وبعد ذلك فقد من كنت أرجع اليهم بشأنه ، كل حيلة به . ولم يقدم أبدا الى المحاكمة . ولم يرد فى الكتاب البنى الذى اصدرته ألمانية الشرقية فى سنة ١٩٦٥ عن الشخصيات النازية السابقة وضباط قوات أمن الدولة والقوات المسلحة المقيمين فى المانيا الغربية أية معلومات عنه بعد الحرب ، ولذلك فربما يكون قد توفى فى ذلك الوقت .

وبذلك ننتهى من الادلة الوثائقية التى تدعم الادعاءات الخاصة بابادة يهود المجر . وقد انضم فاجنر وتادن ، مثلما انضم هوس وغيره إلى جوقة المنشدين فى نورمبرج ، ولكن من الواضح انهما فعلا ذلك بذكاء كبير ، حيث أنهما حصلا نتيجة لذلك على حصانة فعالة ضد تقديمها للمحاكمة . وفى هذا الصدد ، فان أى دراسة تفصيلية يقوم بها أى خبير ، ستكون مفيدة جدا على ارجح الاحتمالات ولابد من أن يتناول التحليل مسألة اللغة المستخدمة فمثلا ، عبارة « الى ألمانيا » الواردة فى الوثيقة ٢٢٦٢ تبدو ، غريبة جدا على السمع تماما كما تبدو عبارة « الى امريكا » لو أنها وردت فى أى وثيقة رسمية خاصة بوزارة الخارجية الامريكية بيد لست الحكم المناسب فى هذه المسألة . وعلى أية حال ، فان فاجنر

وتادن كانا يملكان بعض الأوراق الرابحة التى لم يكن أحد غيرها يملكها لمجرد علمهما بوجود وثائق مزورة .

أما هوس مثلا ، فكان يعتمد فقط على امتنان الحلفاء له .

ولم أقم بفحص كل الوثائق فى قائمة ن ج (التى تضم مايربو على ٥ آلاف وثيقة) ولذلك فإنه لايمكننى أن أرفض احتمال ، أو امكان وجود عدد قليل آخر من الوثائق . فقد تظهر أيضا وثيقة أو وثيقتان وعليها بعض « الشخبطة » التى قد يقال عنها انها توقيعات بالحروف الأولى ، والتى لن استطيع الرد عليها فورا . بيد أن دراستنا للوثائق كانت دقيقة نسبيا من حيث هدفنا من الدراسة . وقد امتدت إلى أبعد من تلك الوثائق التى أشار اليها هيلبرج ورايتلينجر بكثير ، بل ان الدراسة تؤكد ، بدرجة ترضينى رضاء مضاعفا ، بأن هذه الادلة تعتمد أساسا على تعاون فون تادن وفاجنر فى أعقاب الحرب مع الادعاء .

وجدير بالذكر أن فاجنر وتادن لم يكونا الالمانيين الوحيدين اللذين تورطا فى مسألة يهود المجر واعفيا بصورة غامضة من المحاكمة . فقد قدم الجنرال أوتو فنكلمان أحد قادة قوات الامن والذى شغل منصب القائد الأعلى لقوات الأمن والبوليس بالمجر والذى تولى قيادة كل عمليات الأمن فى المجر أيضا كشاهد اثبات فى القضية الحادية عشر . وكذلك عمل الكولونيل كيرت بخر ، ممثل القيادة العليا لقوات الأمن (أى ممثل هيملر) فى المجر فى خدمة الادعاء فى المحاكمات العسكرية الدولية . . والواقع أنه لم يقدم للمحاكمة فى نور مبرح ، أو فى أى مكان آخر ، أى من الشخصيات الرئيسية التى كانت متورطة من غير أدنى شك فى الاجراءات الالمانية مهما كانت تلك الأجراءات - الخاصة بيهود المجر (وذلك باستثناء أيخمان) . فقد كان أيخمان مختفيا فى الوقت الذى عقدت فيه محاكمات نور مبرح . وقد أدلوا جميعا بشهادتهم لاثبات التهمة على الذين كان تورطهم فى المسألة سطحيا جدا .

ويجب على المرء ألا تصيبه الدهشة اذا اكتشف أدنأ المؤامرات وراء هذه المحاكمات فلقد رأينا أنه لم تحترم أى حدود أخلاقية فى الاساليب التى كانت تستخدم أحيانا فى الحصول على « أدلة » ولذلك فانه يجب علينا أن نلقى نظرة أعمق على شخصية الرجل الذى تولى القضية رقم ١١ . ولنتذكر أنه لم تكن هناك اجراءات حقيقية تتضمن قيام هيئة المحلفين برفع الدعوى وأن الادعاء كان هو الذى يقرر فى كل حالة - ويمكن التأكد من هذا من كتاب دى بوا - من الذى يقدم للمحاكمة ، وماهى التهمة التى توجه اليه .

أما قضية شارع ويلهلم فلم تتفق فى الحقيقة مع القضايا الاخرى التى نظرت أمام محكمة

نورمبرج العسكرية ، فان جميع هذه القضايا الاخيرة كانت تتضمن شخصيات لاغراض خاصة غير أن قضية الوزارات أو شارع ويلهلم كانت شبيهة الى حد ما ، « بمحاكمة عسكرية دولية مصغرة ، أى أن عددا من الشخصيات المتباينة من العاملين فى وزارات الحكومة الالمانية المختلفة قدموا للمحاكمة ، وكان نطاق الوزارات الاقتصادية » و « قسم الوزارات السياسية » ، وكان لكل قسم هيئة ادعاء مختلفة .

والقسم الهام ، من وجهة نظرنا ، والذى يعتبر فى الواقع أهم قضية سياسية تنظر أمام محكمة نورمبرج العسكرية ، هو قسم الوزارات السياسية فى القضية رقم ١١ ، والذى كان يمثل الادعاء الرئيسى فيه هورروبرت . و . كيمبز ، والذى يتميز بتاريخ حافل . ويجدر بنا أن نقدم هنا ملخصا موجزا للنقاط « البارزة » فى حياته العملية .

ولد كيمبنر ، وهو يهودى ، فى سنة ١٨٩٩ بألمانيا ، ودرس القانون والتحق بالعمل فى وزارة الداخلية فى بروسيا خلال العشرينات من القرن الحالى وكان من عام ١٩٢٨ وحتى عام ١٩٣٣ أحد كبار المستشارين ببوليس أمن الدولة ببروسيا (التابع لوزارة الداخلية) وتخصص فى التحقيقات الخاصة بحزب النازى الناشئ ، وشن فى نطاق عمله الرسمى ، حملة متعصبة ضد النازى ، وبذل جهدا كبيرا من أجل تجريم الحزب قانونيا ولكن جهوده باءت بالفشل .

وعندما استولى النازيون على الحكم فى المانيا سنة ١٩٣٣ ، فصل من منصبه ولكنه استطاع ، بالرغم من كونه يهوديا أن يواصل العمل فى مجال القانون لفترة قصيرة وذلك كمستشار فى القانون الدولى وفى مشاكل الهجرة اليهودية ، وعمل أيضا على مايبدو ، كمستشار قانونى لمنظمة سائقى التاكسى الالمان وليس من الواضح ماإذا كان قد أمضى أى فترة فى معسكر اعتقال أو أى نوع من أنواع المعسكرات الاخرى ، أم لا . وعلى أى حال ، فقد انتقل فى سنة ١٩٣٥ الى ايطاليا ، ليعمل فى وظيفة ادارية وبالتدريس (علومادية) فى مدرسة صغيرة بفلورنسا ، واغلقت حكومة موسولينى المدرسة فى سنة ١٩٣٨ ، ولذلك انتقلت المدرسة ومعها كيمبنر الى نيس بفرنسا . غير أنه لم يبق بالمدرسة لمدة طويلة ، فقد هاجر فى سنة ١٩٣٩ الى الولايات المتحدة . وكانت والدته تعمل فى مجال الابحاث فى جامعة بنسلفانيا ، وقد ساعده هذا فى الحصول ، على مايبدو ، على منصب مساعد ابحاث بتلك الجامعة .

واستأنف على الفور حملاته المتعصبة ضد النازية . وكان قد تمكن بطريقة مامن

تهريب بعض الوثائق الخاصة ببوليس بروسا – وهى وثائق كان قد ساهم فى وضعها الى خارج ألمانيا وأصبحت هذه الوثائق فيما بعد أساسا لكتاب أصدره فى سنة ١٩٤٣ على نفقته الخاصة وقد حاول أن يبين فى هذا الكتاب ، الذى طبع على الاستنسيل ، استنادا الى تجارب كيمبنر الى الابد . ولم يحقق الكتاب انتشارا واسعا ولكنه ساعده ، بالاضافة الى بعض الكتب والمقالات الاخرى التى كتبها ، على توطيد مركزه باعتباره خبيرا فى محاربة النازيين ، وكان قد نجح أيضا فى تهريب بعض التسجيلات الصوتية لبعض الاجتماعات النازية ، وكان البوليس البروسى هو الذى أعد هذه التسجيلات اثناء فترة عمل كيمبنربه . وقد أهدى هذه التسجيلات لجامعة بنسلفانيا وقام ايضا بكتابة قدر كبير من الرسائل التى تهاجم النازية نشرها فى الصحف ، وعندما أشرفت الحرب على الانتهاء كتب يقول أنه يجب محاكمة زعماء النازى فى الولايات المتحدة امام المحاكم الامريكية العادية وكان قد حصل ابان تلك الفترة على الجنسية الأمريكية .

وقد عمل أثناء الحرب فى كل من وزارة العدل الامريكية ومكتب الخدمات الاستراتيجية وقد اسندت اليه أثناء عمله فى هذه الوكالة الاخيرة مهمة وضع قوائم بأسماء الألمان المناهضين للنازية ممن يمكن اسناد مناصب اليهم فى حكومة الأحتلال المقبلة فى ألمانيا . وكان كيمبنر واحدا من مجموعة كبيرة من اليهود الألمان الذين يعملون فى مكتب الخدمات الاستراتيجية (التى كان من بينها مثلا هربرت ماركيوس) .

وعندما وضعت الحرب أوزارها انتقل كيمبنر الى وزارة الحربية وعاد إلى المانيا برفقة الجيش الأمريكى ، ونقل الى مكتب الادعاء العام العسكرى وقد تولى ، فى الفترة التى سبقت افتتاح المحاكمات العسكرية الدولية ، منصبا هاما نسبيا وهو منصب ضابط الاتصال بين الادعاء ومستشار الدفاع ، وقام فيما بعد بالاشراف على القسم الخاص الذى كان بعد مذكرات الادعاء الامريكية ضد كل واحد من المتهمين على حدة . وكان أثناء نظر القضية فيما يبدو عضوا عاديا فى هيئة الادعاء ، وتخصص فى توجيه الادعاء ضد فريك ، وزير الداخلية فى حكومة النازى . ولم يلفت الانظار بشكل خاص ، وان كان قد كتب فى أعقاب المحاكمة مقالا بصحيفة النيويورك تايمز حول العمل العظيم الذى أنجزته المحاكمة فى مجال تربية الألمان ، ولم يكن تنفيذ احكام الاعدام فى القادة العسكريين والسياسيين الألمان قد تم بعد ، ولذلك فقد تكهن ، برضاء تام ، بأن زعماء النازى المحكوم عليهم بالاعدام سيدفنون فى مقابر بلا شواهد ، « لتجنب حجج العناصر التى لازالت تتعصب للنازية

اليها » . ومن واقع الامر ، فان الاجراء النهائى اتسم بدرجة أكبر من الهستيرية ، حيث تم تصوير جثة جورنج وغيره من زعماء النازى (حتى يمكن التشفى فيها بعد ذلك بوقت قصير على صفحات الجرائد وفى النشرات الاخبارية) وأخفيت داخل ملابس عسكرية أمريكية ونقلت سرا إلى داخاو حيث تم حرقها هناك وألقى الرماد فى مياه نهر قريب .

وفى الوقت الذى يضطلع بمسئوليات فى القضية رقم ١١ فى سنة ١٩٤٧ ، تردد اسم كيمبنر كثيرا فى الانباء فى موضوع يتصل بالموضوع الذى نتناوله ، صلة بالغة الأهمية فابان عامى ١٩٤٣ و ١٩٤٤ ، عقدت فى بلاد « الصحافة الحرة » ، بعض « محاكمات التحريض على العصيان » الامريكيين اعتبرت آراؤهم فى السياسة الحربية للحكومة الامريكية غير مقبولة وكان المدعى عن الحكومة الأمريكية هو أوجون روج ، من ولاية أوهايو ، وكان أهله وأصدقاؤه يتوقعون له ، فى شبابه أن ينخرط فى سلك رجال الدين . ولكنه أصبح بدلا من ذلك محاميا ، ويقال أنه كان متفوقا اثناء دراسته بكلية الحقوق فى جامعة هارفارد . وقد اختاره الجنرال بيدل المدعى العام ليتولى الادعاء فى قضية « التحريض على العصيان » وذلك بدلا من وليام ب مالونى الذى أثارت أساليبه فى الحقيقة الاحتجاج من جانب عدد كبير من الاعضاء البارزين بالكونجرس . وكانت الدعوى القضائية ، التى شملت ثلاثين متهما ، مناقضة تماما لمبادئ الدستور الامريكى ، وقد سقطت الدعوى ، لحسن الحظ ، عندما توفى القاضى الذى ينظر هذه القضية وذلك فى نوفمبر سنة ١٩٤٤ ، وأعلن عدم سلامة الدعوى نتيجة للاخطاء الاجرائية . وبينما كانت الحكومة تستعد لاستئناف القضية ، فقضت المحكمة العليا حكم ادانة فى قضية تحريض اخرى واجتاحت وزارة العدل موجة كبيرة من الشك ازاء جدوى الاستمرار فى هذه المهزلة ونرجو من القارئ أن يتحمل معنا هذا الاستطراد الطويل حوله مسألة « التحريض » ، خلال استطرادنا الراهن فى موضوع كيمبنر ، حيث أن النقطة التى نريد ابرازها لها أهمية كبرى بالنسبة لموضوعنا .

وفقد روج الاهتمام بقضية التحريض على العصيان ولكنه لم يفقد الاهتمام بالموضوع العام المتعلق بالتهديد « الفاشستى » الداخلى فى الولايات المتحدة وفى ربيع سنة ١٩٦٤ رحل الى ألمانيا فى مهمة استغرقت أحد عشر أسبوعا لجمع المعلومات ، وجمع بعض المعلومات المزعومة لخصها فى تقرير قدمه الى وزارة العدل فى وقت لاحق من نفس العام . ويبدو أن صبره نفذ عندما لم يجد رد فعل فوريا من جانب وزارة العدل ، ولم يستطع

الالتزام بضبط النفس . ولذلك لجأ الى التجول لالقاء الخطب التى كشف فيها عن بعض « المعلومات » التى تمكن من الحصول عليها عن طريق استجواب الألمان .

وأعلن بأسلوب عام ، فى خطاب ألقاه بجمعية « بناى برت » بنيويورك فى أكتوبر سنة ١٩٤٦ ، أن العناصر الفاشية مازالت ترفع فى حرية « فى انحاء العالم وفى هذه البلاد . . . وأصبح فى امكان الناشيست الآن أن يتحفظ بمهارة أكبر ، حيث يمكنهم ان يتقدموا عن أنفسهم ببساطة بقولهم « واننى مناهض للشيوعية » وبعد أيام قليلة كان أكثر وضوحا فى تحديد من الذى يقصده بهذا الكلام فأعلن على خطاب ألقاه بكلية سوارتمور أن جون ل . لويس ، رئيس اتحاد عمال المناجم ، والراحل وليام ر . ديفيز ، أحد مديرى شركة للبترول ، قد تآمرا مع جورنج وريبنتروب للعمل من أجل هزيمة روزفلت فى انتخابات سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٤٠ وسنة ١٩٤٤ . وقال انه وفقا « للادلة » التى حصل عليها فى ألمانيا ، فان العناصر النازية ترى أن هناك شخصيات أمريكية بارزة أخرى « يمكن تنظيمها ضد اشتراك الولايات المتحدة فى الحرب وأن من بين هذه الشخصيات ، وفقا لقوله السناتور بيرتون ل . هلويلر ، ونائب الرئيس السابق جون ن . جارنر ، والرئيس السابق هربرت هوفر ، والزعيم الديمقراطى جيمس أ . فارلى . وكان روج قد قدم ايضا بعض المعلومات التى فى حوزته الى المعلق درو بيرسون ، الذى نشرها فى ذلك الوقت تقريبا بالعامود الذى يكتبه . ونتيجة لهذا الانتهاك الصارخ لقواعد ومبادئ العمل فى وزارة العدل ، وأيضا لأنه نال من بعض الشخصيات السياسية الهامة جدا ، قام المدعى العام كلارك بفصل روج فورا من وزارة العدل . ودافع روج عن تصرفاته بقوله ، انه انما لم يفعل شيئا سوى إجراء دراسة للفاشية الدولية ، وأن الاشخاص الذين تناولهم البحث كانوا جزءا من حركة دولية لتدمير الديمقراطية ، هنا وفى الخارج » . ومرة أخرى كان واضحا فى تحديد قصده ، فذكر أن من بين الذين يشكلون التهديد الفاشستى شخصيتين هما مستر دوجلاس ماكولم ستيوارت ومستر جورج ت . ايجلستون ، الذى كان فى ذلك الوقت من ضمن العاملين بمجلة ريدرزدايجست . وقال روج أنه حصل فى المانيا على معلومات عنهما من دبلوماسيين ألمان سابقين كانت لهم صوت رسمية بالولايات المتحدة قبل حادث بيرل هاربر . وقد وصفت صحيفة البرافدا مسألة فصل روج بأنها « فضيحة » .

وكان ايجلستون وستيوارت قد نشر ابان الفترة التى سبقت بيرل هاربر مجلة « سكريبنارز كومنتاتور التى كرست للدعوة الى ابقاء الولايات المتحدة بعيدا عن الحرب العالمية الثانية .

وايبان سنة ١٩٤١ ، تلقى ستيورات مبلغا كبيرا من المال قدره ثمانية وثلاثين ألف دولار ، ولم يستطيع أن يوضح مصدر هذا المبلغ وقد ذكر لهيئة المحلفين فى قضية التحريض على العصيان فى الفترة من سنة ١٩٤٣ الى سنة ١٩٤٤ ، أنه وجد هذا المبلغ بمنزله . وحيث أن مثل هذه الرواية تبدو مثيرة للسخرية حتى من وجهة نظر أى مراقب غير متحيز فقد قام الادعاء والقاضى بمهاجمته للادلاء بمثل هذه الشهادة ، وأدى رفضه تغيير شهادته الى الحكم عليه بالسجن لمدة ٩٠ يوما ، بتهمة عدم احترام هيئة المحكمة (وقد افرج عنه بعد ٧٥ يوما .

ولقد أشرنا الى أنه فى سنة ١٩٤٦ تأكدت وزارة العدل ، بما فى ذلك روج نفسه ، بأن أى تهمة تحريض على العصيان لايمكن أن تنجح أمام المحكمة وبذلك حفظت القضية التى بدأت فى سنة ١٩٤٣ نهائيا . بيد أن مسألة شهادة ستيوارت ظلت باقية ، وبدا انها أساسى طيب لاتهامه بالحنث باليمين . ولذلك فقد تم فى مارس سنة ١٩٤٧ ، تقدم ستيوارت للمحاكمة بتهمة شهادة الزور أثناء ادلائه بشهادته أمام هيئة كبار المحلفين ابان الحرب .

ورغم الادعاء أن ستيوارت قد تلقى خمسة عشر ألف دولار ، من ضمن الثمانية والثلاثين الف دولار من الحكومة الألمانية ، وقدم شاهدين يؤيدان رأيه وشهد البارون هربرت فون سترمبل ، السكرتير الأول السابق بالسفارة الألمانية بواشنطن ، بأنه أعطى سيتوارت مبلغ خمسة عشر ألف دولار فى خريف سنة ١٩٤١ بفندق بنسلفانيا بنيويورك . وقال انه حصل على هذا المبلغ من الدكتور هانز تومس ، القائم بالاعمال بالسفارة وشهد تومسن بعد ذلك مؤيدا له رواية فون سترمبل . والواقع أن هاتين الشهادتين كانتا مباشرة لمهمة جمع المعلومات التى قام بها روج فى سنة ١٩٤٦ بألمانيا .

وقدم الدفاع عن ستيوارت أدلة تثبت حصول ستيوارت على مبالغ كبيرة من النقود من مصادر أمريكية خلال سنة ١٩٤١ . وذكر الدفاع أن بعض الأمريكيين الاثرياء كانوا يريدون مساندة الدعوة لعدم دخول الحرب ، والتى كانت قد بدأت تتعثر فى ذلك الحين ، على أن تكون هذه المساندة مجهولة ، ولذلك كانوا يقومون بارسال الأموال الى ستيوارت بدون ذكر أسمائهم . وسواء أكان هذا الزعم هو الحقيقة أم أن ستيوارت قد كذب بالفعل أمام هيئة كبار المحلفين أثناء الحرب نتيجة لشعوره بأنه ملزم بعدم الكشف عن الشخصيات الامريكية التى ساندته فانه أمر لايكاد يمت بصلة لموضوع بحثنا ، ولكن الامر الذى له

علاقة أكبر هو قيام الدفاع باستجواب شاهدى الادعاء الألمانيين استجوابا دقيقا ، ويمكن الدفاع من التشكيك فى قضية الادعاء باثباته أن هذه الشهادة تمت تحت ضغط . فقد قال البارون فون سترمبل أن عميلين بريطانيين اعتقلاه فى هامبورج أثناء وجوده هناك وعندما سألها عن اذن الاعتقال ، ابتسما وهما يخرجان مسدسيهما ، قائلين « ان ذلك هو الاذن الذى يحملاه . وأضاف أنه أمضى بعد ذلك أربعة أسابيع فى مركز استجواب أمريكى ، ثم أمضى سبعة أشهر فى معسكر اعتقال ، حيث تعرض مرة أخرى لاستجواب مستمر . وذكر أن حالته الصحية لم تكن بمثل هذه الدرجة من السوء التى وصلت اليها خلال تلك الفترة . وقال ان روبرت م . و . كمبنر هو الذى قام باستجوابه ولكنه لايريد أن يتحدث عن هذه الفترة . واضطر القاضى « لوز » الى أن يطلب من فون سترمبل أن يجيب على أسئلة الدفاع عن هذه المرحلة من التجربة التى تعرض لها . واعترف فى النهاية بأن كيمبنر قال له انه « اذا قام باخفاء أى معاملات للسفارة « فانه سيقدم لمحاكمة عسكرية ويحكم عليه بالاعدام ، ثم روى القصة كلها : قال ان الاسئلة المستمرة المركزة التى كان المحققون يوجهونها اليه جعلته يشعر بأنه « منوم مغناطيسيا » . وكان جون روج واحدا من الذين قاموا باستجواب سترمبل فى ألمانيا . وقال انه اثناء استجواب روج له نزعت منه ربطة عنقه ورباطة حذائه ، وأنه كان محبوسا حبسا منفردا ، وكان يجرى استجوابه طوال اليوم دون أن يقدم له أى طعام ، وأنه كان « معرضا للاكراه بالتهديد طوال الوقت » . واعترف بأنه وقع بيانا ، ولكنه فعل ذلك خوفا من أن يمضى فترة أخرى فى الحبس الانفرادى وقد ادلى بشهادته هذه التى قضت على قضية الادعاء ، بالرغم من حقيقة أن الولايات المتحدة كانت تدفع له سبعين دولارا أسبوعيا ، بالإضافة الى تحملها نفقات اقامته بالفندق ، فى مقابل ادلائه بشهادته ضد ستيوارت . وكان معرضا أيضا لاحتمال الانتقام منه عن طريق اتهامه بارتكاب احدى جرائم الحرب « وأعيد استجواب تومسن بالمثل : فاعترف بأن فون سترمبل قد ابلغه بتعرضه للتهديد بالقتل ، وقال ان روج « دربه » على استعادة التفاصيل . وقررت هيئة المحلفين أثناء استراحة الغذاء تبرئة ستيوارت . وهذه هى القضية التى ارتبط بها اسم كيمبنر فى الصحف ، حتى قبل بدء النظر فى القضية رقم ١١ .

ومن ثم فاننا نلتقى أثناء بحثنا لقضية التحريض على العصيان شارع ويلهلم ، من حيث دخول كمبنر الصورة بصفته محققا مع مسئولين ألمان سابقين فى وزارة الخارجية وبصفته مرشحا لتولى الادعاء ضدهما . وتصبح الصلة بالقضية رقم ١١ أقوى عندما نعرف أن وارن

ماجى الذى تولى الدفاع عن ستيوارت فى تلك القضية التى رفعت ضده سنة ١٩٤٧ ، سيصبح فيما بعد ذلك بفترة قصيرة مستشارا للدفاع عن البارون فون فايزساكر ، المتهم الأول فى القضية رقم ١١ . وبذلك تظهر لنا حقيقة غير عادية تتمثل فى ان طرفى القضية رقم ١١ ، كانا قد اصطدما من قبل فى وقت واحد تقريبا أثناء نظر قضية امام القضاء العادى الامريكى ، وأن الدفاع فى تلك القضية نجح فى دحض الشهادة التى نتجت عن استجواب الألمانيين المعتقلين ، وذلك على اساس أن هذه الشهادة انتزعت تحت ضغط . وهذا تاكيد غير عادى وهام لنوع النشاط الذى اتضح من خلال الادلة التى استعرضناها ، والذى لابد وأنه قد دار خلف كواليس محاكمات نورمبرج العسكرية — أى استخدام أسلوب الترغيب والترهيب بطرق مختلفة ، بما فى ذلك التعذيب فى بعض الحالات (ولكن ليس فى جميع الحالات التى يمكن فيها وصف الادلة ، بأنها انتزعت تحت الاكراه) . ولم يتوقف نجاح ماجى فى هذا الصدد ، عند قضية ستيوارت . فقد وقع اختيار مكبنر على شخص اخر ليستغله كشاهد اثبات بدلا من تقديمه للمحاكمة ، وهذا الشخص هو فريدريك جاوس ، الذى كان مشهورا بأنه « روح ريبنتروب الشريرة » ، وقد اختير ليقوم بدور شاهد الاثبات الرئيسى ضد فون فابزساكر . وقد استطاع ماجى ، استنادا الى أنه امريكى يمكنه الاطلاع على الوثائق البعيدة المنال بالنسبة للمحامين الالمان ، أن يثبت فى المحكمة أن كمبنر هدد جاوس بتسليمه الى الروس اذا لم يتعاون مع الادعاء وهو تهديد متكرر وفعال اتخذ صورا متنوعة . فقد كان هيفليجر ، وهو احد المتهمين فى القضية رقم ١١ ، مواطنا سويسريا ، ولكن ، وفقا لشهادته فى المحكمة فان المحقق زاخس الذى كان يتولى استجوابه قال له انه سيتم تسليمه الى الروس لو انه تمسك بجنسيته السويسرية ، وحثه زاخس قائلا انه لابد له من « ملاحظة أنه ليست هناك علاقات دبلوماسية بين روسيا وسويسرا . والامر الاكثر اتصالا بهذا الموضوع أن فون تادن اعترف اثناء استجوابه بوساطة الدكتور شميدت ليتمتر محامى الدفاع ، بأن كمبنر قد افهمه فيما يتعلق بعملية اعدام نفذتها السلطات الألمانية فى فرنسا .

« ان أمامى خيارين . اما ان اعترف او ان يتم تسليمى الى السلطات الفرنسية واحاكم امام محكمة فرنسية حيث يكون من المؤكد ان يصدر حكم بالاعدام ضدى . ومنحت مهلة أربع وعشرين ساعة لكى اتخذ قرارى » .

وقد كتب صحفى سويسرى فى ذلك الوقت يقول ان كبنر وزملاءه يحاولون اساءة تفسير

النازية لتبدو وكأنها « من خلق الطبقات الالمانية العليا » حتى يدمروا البنيان الاجتماعى الالمانى السابق للنازية .

أما روج ، فان تاريخ حياته العملية طويلة ومشوق ، بيد ان تلخيصه بدقة سيبعدنا كثيرا عن هدفنا . وانصافا له لابد من ان نقول انه يجب علينا ان نجعل سلوكه فى قضايا التحريض على العصيان يؤدى بنا الى افتراض انه كان ضد الحريات المدنية حيث انه عند بدء اتخاذ الخطوات الاولى فى اعقاب الحرب لوضع برنامج امن داخلى ضد الشيوعية ، بدا روج يهاجم باعلى صوته الحملة ضد الحريات ، واصبح فى السنوات التالية ، رئيسا للجنة نيويورك لحملة انتخاب هنرى والاس لرئاسة الجمهورية ، وهو أمر منطقى تماما ، اذ ان روج كان يتميز بكل ما هو فريد من نوعه فى طريقة تعامل تلك الحركة مع الاتحاد السوفيتى . فقد سافر روج ، الذى وصفته صحيفة « نيشن » اليسارية فى سنة ١٩٥٠ بانه « المستقل الوحيد فى كثير من المجالس واللجان والوفود التى تخضع للنفوذ الشيوعى » ، إلى موسكو فى مارس من ذلك العام لحضور « مجلس السلام العالمى » . وقد شرح للسوفيت ان الحرب الباردة هى نتيجة لخطا كلا الجانبين ، ووقف فى اجتماع رسمى بالكرملين واستشهد باقوال توماس جفيرسون ، وهى التصرفات التى تقابل بالرضى من جانب مضيفيه السوفيت . واضافت صحيفة نيشن قائلة :

« من السهل علينا أن نصف جون روج بأنه شخص غير عملى يتدخل فى شئون الغير ، وانه ليبرالى مشوش الفكر وابعد ما يكون عن الواقع لدرجة انه يعتقد ان جميع شرور العالم انما هى نتيجة لسوء فهم مؤسف . . . ولقد أوضح السبب الذى يجعل حكام روسيا ينظرون بعين الشك حتى إلى اتباعهم الذين كانت لهم علاقات بالغرب ؟ » .

« ولقد ارتبط روج ايضا بقضية القتل التى اشتهرت باسم « ترنتون سيكس » واستغرقت من سنة ١٩٤٨ حتى ١٩٥٣ ، وذلك بصفته محاميا عن « مؤتمر الحقوق المدنية » . وفى ديسمبر سنة ١٩٤٩ منعه القاضى من حضور المحاكمة فى نيوجيرس بسبب :

« انتهاكه لمبادئ الاخلاقية للمحامين وذلك بتنديده علانية بطريقة سير المحاكمة وبتعميده ابداء عدم الاحترام » لهيبة المحكمة ، و« بتعمده تشويه الحقائق » . (واتهم القاضى » مؤتمر الحقوق المدنية » بجمع اموال من الجمهور تزيد على القدر اللازم للقضية » .

وصدر بعد سبعة اشهر حكم من احدى المحاكم الامريكية بان مسالة منع روج من

حضور المحاكمة يعتبر حكما خاطئا ولكن المحكمة لم تحكم بتعويضه وتكفى هذه المناقشة القصيرة لحياة روج فيما يتعلق باغراضنا .

ولنعد إلى موضوع كمبنر عندما شكلت حكومة بون الجديدة فى سنة ١٩٤٩ حذر كمبنر من وجود نزعة نازية أولية بها . بيد ان وجهة نظره هذه لم تمنعه من العمل بعد ذلك التاريخ بعامين ، كممثل لاسرائيل فى المفاوضات التى أجريت مع حكومة بون لتعويض اليهود الذين نالهم ضرر على يد الحكومة النازية . ولكنه قام فى الشهر التالى بمهاجمة الولايات المتحدة لقيامها بارجاء تنفيذ وتخفيف الاحكام الصادرة ضد « مجرمى الحرب » .

وظهر كمبنر بعد ذلك فى تحقيقات مجلس النواب الامريكى سنة ١٩٢٥ فى مذبحة غابة كاتين وهى الاعمال الوحشية التى ارتكبها الروس الضوء التى القت الضوء ، من خلال تناول المحكمة العسكرية الدولية لها ، على سخف استحقاق تلك المحكمة للاحترام .

فقد اعلن الالمان فى ١٣ ابريل سنة ١٩٤٣ ، أنهم اكتشفوا فى غابة كاتين بالقرب من مدينة سمولنسك فى روسيا (فى منتصف الطريق بين مينسك وموسكو) . مقابر جماعية للضباط البولنديين الذين كان الروس قد اسروهم سنة ١٩٣٩ . وبعد اربعة ايام اعلن وزير الدفاع فى الحكومة البولندية بالمنفى (فى لندن) انه يطلب من الصليب الاحمر الدولى التحقيق فى هذه المسألة . وايد الالمان طلب التحقيق المقترح غير ان الروس عارضوه ، ووصفوا البولنديين الموجودين فى لندن « بالبولنديين المتوطئين مع هتلر » ، وقطعوا فى ٢٦ ابريل علاقاتهم الدبلوماسية مع تلك الحكومة بسبب هذه المسالة .

ونتيجة للمعارضة الروسية ، رفض الصليب الاحمر التورط فى المسالة بيد ان الحكومة الالمانية اتاحت الفرصة لزيارة القبور الجماعية فى كاتين ، وذلك بالنسبة لفئات مختلفة من البولنديين ومجموعة من المراسلين الصحفيين الاجانب ، ومجموعة من الصحفيين الالمان ، ومجموعات صغيرة من اسرى الحرب البريطانيين والامريكيين ، وفريق فنى من الصليب الاحمر البولندى ، والاهم من ذلك ، بالنسبة للجنة دولية من خبراء الطب الشرعى (وهم اخصائيون فى تقديم الاراء الطبية فى الدعاوى القانونية) . وانهت اللجنة زيارتها بتقديم تقرير اكد ان هؤلاء الضباط البولنديين قد قتلوا بواسطة الروس قبل نشوب الحرب بين روسيا والمانيا فى يونيو سنة ١٩٤١ .

وكان جهاز الدعاية الالمانى عند بداية اكتشاف هذه المقابر ، وقبل حصر عدد الجثث الموجودة بها — ولو انهم كانوا يعرفون العدد التقريبى للضباط البولنديين الذين كان من

الممكن اعتبارهم من ضمن الضحايا – قد ذكر ان عدد الجثث يتراوح ما بين عشرة الاف واثنتى عشرة الف جثة ، وكانت هذه الارقام هى التى احيطت باكبر قدر من الدعاية ابان الحرب . وعلى هذا فان قرار الاتهام الذى اعدته المحكمة الدولية العسكرية ، اتهم الالمان بقتل احد عشر الف ضابط بولندى فى كاتين ، رغم انه كان قد تاكد فى اواخر سنة ١٩٤٣ ان عدد الجثث التى اكتشفت لا يزيد على ٤٢٥٣ الف جثة . وكانت الحكومة الالمانية قد نشرت هذه الحقيقة ، ولكن لما كان هذا الرقم يتعارض ومزاعمهم السابقة فانهم بطبيعة الحال يحيطوا الرقم الحقيقى بدعاية كبيرة .

ويصور ما حدث فى المحكمة الدولية العسكرية بصدد هذا الاتهام مدى سخف ادعاء تلك المحكمة اى شىء من قبيل الاختصاص القانونى . وكان من الطبيعى ان تثير شهادة لجنة الاطباء الشرعيين الاهتمام ، ولذلك فان الروس قدموا البروفيسور ماركوف ، وهو مواطن بلغارى ، كان ممن وقعوا على تقرير اللجنة . ولما كانت بلغاريا قد اصبحت انذاك خاضعة للنفوذ السوفييتى ، فقد عدل عن رايه السابق وشهد لصالح الموقف الروسى اى شهد بأن الالمان اكرهوه على الموافقة على تقرير اللجنة .

وطلب الدفاع عن جورنج من ناحية اخرى ، وشهادة البروفيسور نافيل ، رئيس اللجنة . وهنا يتكشف لنا عدم فاعلية المحكمة فى التوصل إلى الحقيقة ، حتى ولو كانت ترغب فى هذا . فقد كان نافيل مواطنا سويسريا يقيم فى جنيف ، ولم يكن من الممكن اجباره على الادلاء بشهادته ، وفى الواقع فقد رفض التقدم للشهادة والدافع هنا واضح تماما . وقد طلب مستشار الدفاع عن الفيلد مارشال كيتل ان يرد نافيل (الذى كان ايضا ممثلا للصليب الاحمر الدولى) على بعض الاسئلة التى ستقدم اليه كتابة (وهى متعلقة بموضوع مختلف) ، ولكن يبدو ان هذا الاستجواب لم يتحقق ابدا . وبذلك فان المحكمة العسكرية الدولية كانت متحيزة بطبيعتها ضد ظهور اكثر انواع الشهود مدعاة للثقة : اى احد مواطنى دولة كانت محايدة ابان الحرب ومستقلة بعدها (كل ما اقوله هو انه لم يكن فى امكان المحكمة العسكرية الدولية ان تجبر مثل هؤلاء الاشخاص على الشهادة ، وقد راينا كيف ان بيكهارت ، رئيس الصليب الاحمر ، قد اجاب بمحض إرادته ، على الاسئلة المكتوبة التى قدمت له فى سويسرا ، من قبل الدفاع عن كالتنبرونر) . وانتهى الدفاع إلى استدعاء ثلاثة جنود المان للشهادة (وكان مسموحا لكل جانب بالاستعانة بثلاثة شهور فى هذه المسالة) .

وكانت الطريقة التى تصرفت بها المحكمة فى نهاية الامر ازاء مسالة غابة كاتين تعتبر بصرف النظر عن الوقائع الحقيقية الخاصة بالفظائع : فقد اسقطت المسالة بهدوء ولم تظهر فى الاحكام . ولم تحكم المحكمة بما اذا كان الالمان مذنبين او غير مذنبين بارتكاب هذه الاعمال الوحشية الروسية باختصار لقد تهربت المحكمة العسكرية الدولية من المسالة كلها .

وقد حقق مجلس النواب الامريكى فى سنة ١٩٥٢ فى مذبحة غابة كاتين وكان من الطبيعى ان يحقق المجلس فيما حدث فى المحكمة العسكرية الدولية فى هذا الصدد وعقدت « اللجنة المختارة » المؤلفة بهذا الغرض ، جلسات استماع فى ابريل من ذلك العام بفرانكفورت بالمانيا . واستمعت اللجنة إلى ممثلى الدفاع والادعاء فى المحكمة العسكرية الدولية ، وذلك ضمن شهود اخرين وكان من المنطق ان تستدعى اللجنة الدكتور اوتو شتامر ليتكلم نيابة عن الجانب الالمانى حيث ، انه كان مستشار الدفاع للمتهم الاول جورنج ، الذى كان بدوره المتهم الذى اثار هذه المسالة فى المحكمة العسكرية الدولية اما عن الشخص الذى اختارته اللجنة ليتكلم نيابة عن الادعاء الامريكى ، فمن المستغرب انها اختارت روبيرت م . و . كمبنر . وبالبحث وجد انه ليس فى محاضر تلك القضية شىء يشير إلى سبب واحد يحتم اختيار كمبنر للقيام بهذا الدور . واقامة كمبنر فى المانيا فى ذلك الوقت ، واية من الطبيعى ان ترى اللجنة انه من الملائم الاستماع إلى شهادته فى جلسات الاستماع بفرانكفورت ، لا يفسر شيئا . والشخص الاخر الوحيد من بين اعضاء هيئة الادعاء التى رات اللجنة ان ان تستمع اليه فى تلك الجلسات هو القاضى جاكسون ، بيد ان حضوره امام اللجنة فى نوفمبر بواشنطن ، كان مسالة مظهرية ولم يضف شيئا الى القضية .

ووفقا لما ورد فى محضر جلسة الاستماع العلنية التى عقدت فى فرانكفورت فان كمبنر شرح للجنة ان مذبحة كاتين كانت ، وفقا للتفاهم بين هيئة الادعاء ، « مسالة روسية واضحة وعلى ذلك فقد عالجها الروس منذ البداية » . ومع ذلك فانه بعد الاستماع إلى الشهود ، سار الاعتقاد – وفقا لاقوال كمبنر – بان جورنج كما احرز نصرا بالنسبة لهذه النقطة ولذلك فان عدم الاشارة إلى مذبحة كاتين فى الاحكام الصادرة قد اثار الشكوك حول نزاهة محاكمات نورمبرج ، وكان واضحا من الاسئلة التى وجهها اعضاء اللجنة انهم كانوا يشعرون بهذا . فقد سئل كمبنر حول احتمال مساهمة هيئة الادعاء الامريكى فى النشاط الذى كان يدور وراء الكواليس بشان مسالة كاتين ، فانكر حدوث هذا . وقد انكر

ايضا ، فى رده على الاسئلة الموجهة اليه ، وجود اى تآمر او محاولة تواطؤ بين اى احد من الجانب الامريكى وغيره من الجانب الروسى » .

وقد ذكرت صحيفة النيويورك تايمز ان لهجة جلسات الاستماع فى فرانكفورت كانت توحى بان المبادئ التى تحكم اجراءات المحاكمة فى نورمبرج كانت موضع الشك . وذكرت الشيكاجو تريبيون ان كمبنر اعترف ، فى جلسة سرية عقدت فى الليلة السابقة على جلسة الاستماع العلنية بفرانكفورت ، بان هيئة الادعاء الامريكية فى المحكمة العسكرية الدولية كانت تملك الادلة التى تثبت ان الروس ارتكبوا جرائم كاتين .

وتوصلت المختارة للتحقيق فى قضية مذبحة كاتين إلى ان حكومة الولايات المتحدة قامت باخفاء الحقيقة فى تلك القضية سواء اكان ذلك اثناء الحرب ام فى اعقابها مباشرة . وتوصلت بصفة خاصة إلى ان تقرير وضعه لليفتنانت كولونيل جون هـ . فان فليت ، وهو احد من اسرى الحرب الذين شاهدوا تلك القبور الجماعية قد « اختفى بعد هذا اما من ملفات الجيش او ملفات وزارة الخارجية واكتشفت اللجنة ايضا ان لجنة المواصلات الاتحادية اكرهت محطات الاذاعة على منع توجيه اى انتقاد للروس .

ولم يجد كمبنر خلال السنوات التالية لعام ١٩٥٢ ما يفعله بالنسبة للنازيين ولكنه استأنف نشاطه عندما اثيرت قضية ايخمان وعمل « مستشارا » للحكومة الاسرائيلية لتجميع أدلة الاثبات اللازمة للقضية . ومنذ تلك اللحظة أخذ يبذل نشاطا كبيرا فقد كتب مقالا لمعهد دراسات « يادفاشيم » . وهو معهد اقيم لتخليد ذكرى الكارثة — حول اساليب التحقيق مع النازيين فى المحاكمات ونشر كتابا بالألمانية ، يصيغ فيه الأساطير الدعائية القديمة فى قالب حديث وأعرب فى سنة ١٩٧١ عن تأييده للحكم بادانة الليفتنانت كالى ، وفى ديسمبر سنة ١٩٧٢ صدق على « الأدلة » التى جمعها لاديسلاس فارجو لتأكيد الكذبة التى روجها فاراجو وتقول بأن « مارتن بورمان موجود فى الأرجنتين » . ومن الواضح أنه كان يشعر بحنين إلى الايام الخوالى فاعلن أنه « يجب على الولايات المتحدة وحلفائها اعادة النظر فى قضية بورمان فى اطار المحكمة العسكرية الدولية . وكان بورمان قد حوكم غيابيا أمام تلك المحكمة وصدر ضده حكم بالإعدام . وكانت اخر مرة شوهد فيها بورمان على قيد الحياة ، وحتى لحظة وضع هذا الكتاب أثناء وجوده تحت الكوبرى القائم فى شارع الانفاليد ببرلين .

ويمكن استخلاص ثلاث نتائج رئيسية من هذا الملخص القصير لحياة كمبنر العملية

(والذى استقيناه من المادة المتوفرة فى السجلات العامة) . فيمكن أولا ، وصفه بدقة بأنه متعصب فى عدائه للنازية منذ عشرينات القرن الحالى ، عندما لم يكن النازيون على وجه التأكيد أكثر اجراما من أى مجموعات أخرى على المسرح السياسى الألمانى الذى كانت تسوده الفوضى والعنف فقد كان للشيوعيين والاشتراكيين الديمقراطيين جيوش خاصة) . ومن الواضح أن ال للنازية كان هو الموهبة التى استنفذت كل طاقات كمبنر. ثانيا ، أنه كان شخصية هامة جدا فى المحاكمات التى اجرتها الولايات المتحدة فى نورمبرج . فقد رأينا كيف أنه كان يضطلع بمسئوليات هامة وخطيرة متعلقة بالمحاكمات العسكرية الدولية ، وأنه عومل فيما بعد على أساس أنه مرجع له مكانة خاصة بالنسبة لما دار بتلك المحاكمات . وفى نهاية المحاكمات العسكرية الدولية وصفته الصحافة بأنه « خبير جاكسون فى الشئون الالمانية » وأنه « رئيس التحقيقات والابحاث . . فى خدمة جاكسون » . وقد تولى الادعاء فى أهم قضية نظرتها المحكمة العسكرية بنورمبرج ، وهى الجزء السياسى من قضية شارع ويلهلم ، ويمكن القول بأنه كان أهم شخصية فى الهيئة القانونية بنورمبرج ، وان كان الأمر يتطلب اجراء مزيد من الابحاث لتوضيح علاقات القوى الحقيقية التى كانت موجودة بين هيئة المحكمة ، ان أمكن هذا . وقد رأس جيمس ماكهانى القسم الذى أعد القضايا رقم ١ ، ٤ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٢ . وقد تناول تايلور بالدراسة الشخصيات الهامة الأخرى فى محاكمات نورمبرج العسكرية وقد وصفت الموسوعة اليهودية كمبنر بأنه « كان المدعى الرئيسى فى محاكمات نومبرج العسكرية » .

والنتيجة الثالثة التى يمكن استخلاصها هى أنه توجد اسس ممتازة – استنادا إلى السجلات العامة للاعتقاد بأن كمبنر قد اساء استغلال ما كان يملكه من سلطة فى المحاكمات العسكرية ، وأنه قدم « أدلة » عن طريق استخدام وسائل غير سليمة ، تتضمن التهديد وأشكالا مختلفة من الاكراه . وقضية ستيوارت تؤكد لنا هذه النتيجة بدون أدنى شك .

هذا اذن هو الرجل الذى كان يملك سلطة الحكم بالحياة أو الموت على ابيرهارد فون تادن وهورست فاجنر .

وبذلك ينتهى استطرادنا حول موضوع كمبنر . ونصل إلى تلك النقطة فى تحليلنا لمسألة المجر ، التى تتضح فيها تماما المخالفات التى ارتكبت فى الحصول على الادلة الخاصة بالقضية رقم ١١ . ولذلك كان من الضرورى هنا أن نبحث موضوعين : من كان يضطلع بالمسئولية فى رقم ١١ ، وما مدى سلامة الاجراءات التى تم الالتزام بها اثناء المحاكمات فى

نورمبرج . وقد ظهر أن الحقيقة فيما يتعلق بالموضوع الثانى قد تأكدت بصورة حاسمة إلى حد ما أثناء بحثنا الأول ، إذ تكشف دراستنا لحياة كمبنر العملية عن كل ما نحتاج معرفته لتقييم امكانية الثقة بالادلة التى قدمت فى محاكمات نورمبرج .

ومن الواضح أنه لابد لأى شخص يريد تأكيد صحة الوثائق الخاصة بالمجر والتى تشير إلى الابادة ، أن يقدم لنا قصة محرفة لا يمكننا البدء فى تصور تركيبها .

وهناك شخصية أخرى ضالعة فى الوثائق وهو فيزنماير الذى كان متهما فى قضية شارع ولهلم والذى وجهت اليه اسئلة حول بعض هذه الوثائق . وكان الموقف العام والذى اتخذه فى شهادته منطقيا بالنسبة لاهدافه التى تتمثل فى الفوز بحكم يبرئ ساحته أو بحكم مخفف . فقد كان مسئولا عن تقديم تقارير حول كل أحداث المجر ومن ثم فان تقاريره كانت تشير الى الاجراءات الخاصة باليهود . بيد ان هذه الاجراءات لم تكن لها من الأهمية من وجهة نظره أنذاك مالها من الأهمية التى نحيطها بها الآن . وقد قال فى شهادته انه كثيرا ما كان يكلف بعشرين مهمة فى اليوم الواحد وانه كان يكلف خلال شهر واحد بمهام تناقض بعضها البعض . وقال انه كان من الطبيعى أن يقوم مساعدوه باعداد تقاريره ، التى كان يلقى عليها نظرة سريعة ثم يوقعها . وعندما عرضت عليه وثائق تتضمن تقريره حول نقل فوجين من اليهود اللائقين للعمل ، كل فوج يضم ألفى يهودى نقلوا فى ابريل سنة ١٩٤٤ الى اوشفيتز ، وسئل عما اذا كان ذلك صحيحا ، أجاب أنه لايذكرها بالتحديد ، ولكنه أمر « محتمل تماما » غير أنه لايعرف اطلاقا ماهى « أوشفيتز » . وعندما عرضت عليه الوثيقة ن ج – ٥٥٦٧ ، التى تتضمن تقريرا له بأنه تم فى ١٧ يونيو ترحيل ٣٢٦٠٠٩ يهوديا من المجر علق عليها أيضا بقوله « ممكن جدا » وبمعنى آخر ، فانه لم يكن راغبا فى توريط نفسه ، باى حال ، فى مثل هذه المسائل عن طريق اتخاذ موقف قوى اما بالموافقة على الحقائق المزعومة . أو برفضها . فلو أنه قال انه يذكر بوضوح وبالتفصيل عمليات الترحيل الجماعى لليهود ، وبالاعداد المزعومة فى ربيع وصيف سنة ١٩٤٤ ، فانه سيكون بذلك قد ورط نفسه فى عمليات الابادة ، المزعومة ومن جهة اخرى لو انه نفى تنفيذ مثل هذه الاجراءات الخاصة بالترحيل الجماعى ، فانه سيكون قد اعترف بذلك بتورطه قد تحدى ، بمثل هذه الشهادة الادعاء والمحكمة بشكل لايمكنهما تجاهله ، وهذا هو المنطق وراء شهادته . فقد قال انه كان مسئولا عن نقل اليهود إلى خارج بودابست نظرا لخطر قيام ثورة لاقتراب الروس . وعندما تعرض للضغط عليه فى هذا الصدد ، شرح قصده بقوله :

« لقد كان السؤال الهام فى الواقع ، هو هل ستصمد الجبهة أم لا ؟ فاذا قامت ثورة فى بودابست فان الجبهة كلها سترنح . . . واذا كنت قد اشتركت فعلا فى مثل هذه الحادثات ، وهو الأمر الذى لا أنكر احتماله ، فانى أكون قد اشتركت فيها فقط من وجهة نظر عسكرية فما الذى يمكننى القيام به للابقاء على صمود الجبهة الشرقية لأطول وقت ممكن ؟ هذه هى وجهة النظر الوحيدة .

وصدر الحكم بالسجن لمدة عشرين سنة ضد فيزنماير الا أنه افرج عنه فى اوائل سنة ١٩٥٢ .

ويبدو أنه من المناسب هنا أن نلفت النظر إلى حقيقة هامة ، يبدو أن كثيرا من الكتاب الذين تناولوا هذا الموضوع قد تغاضوا عنها بصورة فعالة ، وهى أنه كانت هناك حرب شعواء مشتعلة ابان الحرب العالمية الثانية . وكان الالمان يركزون تفكيرهم فى الوسائل التى تمكنهم من كسب الحرب وليس فى ابادة اليهود . والزعم الذى ورد فى الوثيقة ن ج — ٢٢٣٣ بأن برنامج الابادة قد منح الاولوية فى شغل الخطوط الحديدية على الانتاج الحربى ، انما هو زعم سخيف تماما .

وفيما يتعلق بما حدث بفعل فى المجر ، فلنلاحظ أن « تقرير » الصليب الأحمر يقول ان السياسة الالمانية الاساسية فى سنة ١٩٤٤ كانت ترمى الى اعتقال يهود شرق أوروبا ، على أساس أنهم يشكلون خطرا على الامن نتيجة لاقتراب خطوط القتال والآن — فان الوثائق التى تفيد اعتقال ورحيل أعداد ضخمة من يهود المجر ، قد تكون صحيحة فقط بالنسبة لمسألة الاعتقال ، فقد كانت هذه السياسة المتبعة فى الدول المجاورة . الا أنه يبدو من غير المحتمل أنه تم اعتقال مايقرب من ٤٠٠ ألف يهودى أو أى رقم قريب منه فهذه عملية ضخمة جدا .

ويبدو أنه من الممكن تكوين صورة دقيقة نسبيا لما حدث فى المجر عن طريق تكلة قصة الصليب الاحمر بواسطة فحص الوثائق بدقة واستبعاد تلك التى يتضح أنها مزورة . ومن حسن الحظ أن لدينا هذين المجلدين اللذين يضمان مجموعة من صور الوثائق « المنتقاة » من بين الوثائق الاصلية بعنوان تدمير اليهود فى المجر » ، من اعداد راندولف ل . براهام ، وهذان المجلدان يوفران للقارئ ذى الدخل العادى بديلا ملائما للمجلدات العادية ، وبفحص الوثائق الواردة بهما ، واستبعاد تلك التى تتعلق بعمليات ترحيل ٤٠٠ ألف يهودى مجرى على أساس أنها مزورة ، سنجد أمامنا رواية معقولة ومقبولة فنجد أنه : فى

١٤ ابريل سنة ١٩٤٤ قد وافقت المجر على ترحيل ٥٠ ألف يهودى قادر على العمل إلى ألمانيا للعمل هناك . وفى ١٩ ابريل يطلب فيزنماير عربات نقل بالسكة الحديد يواجه تدبيرها أعظم الصعاب . لترحيل ١٠ آلاف يهودى من القادرين على العمل من المجر . وأخبرا وفى ٢٧ ابريل يضع فيزنماير تقريرا عن قرب ترحيل ٤ آلاف يهودى قادر على العمل الى أوشفيتز . ويضع ريتر ايضا تقريرا فى ٢٧ ابريل حول تأخير ترحيل الخمسين الف يهودى بسبب النقص فى القطارات . وفى وقت لاحق من نفس العام ، وبالتحديد فى ١١ يوليو ، يكتب فيزنماير تقديرا حول صعوبة تنفيذ السياسة الخاصة باليهود فى المجر بسبب انتهاج سياسة أكثر تساهلا فى رومانيا وسلوفاكيا وفى ٢٥ أغسطس فيزنماير فى تقريره أوامر هليمر بوقف عمليات ترحيل اليهود من المجر وفى ١٨ أكتوبر يشير فيزنماير إلى التقرير إلى الاجراءات اليهودية الجديدة فى المجر وهذه الوثائق تقدم لنا رواية يمكن تصديقها تتفق وتقرير الصليب الأحمر . ويمكن للمرء أن يقول أيضا بأن مختلق الخدعة حاولوا مرة أخرى فيما يتعلق بالمجر ، تقديم تفسير مزدوج لحقيقة سليمة تماما . فقد أجريت بالفعل عمليات ترحيل اليهود المجر ، فى ربيع سنة ١٩٤٤ ، وأرسلوا ، ضمن أماكن اخرى ، الى أوشفيتز . غير أن عمليات الترحيل التى تمت لفرض العمل وحدة ، كانت محدودة بشكل خطير نتيتمزيق شبكة الخطوط الحديدية فى أوروبا ، ولايبدو أنها نفذت للجدول الزمنى التقريبى الذى كان موضوعا فى الأصل .

ومن الملائم هنا أن نشير باقتضاب الى مسألة جويل براند ، والخاصة باقتراح مبادلة يهود المجر بعربات وامدادات أخرى .

لقد كانت السياسة الالمانية قبل الحرب ، والتى استمرت الى حد ما فى الفترة الأولى من الحرب ، تهدف الى تشجيع هجرة اليهود بكل الوسائل غير أنه عندما تطورت الحرب لتصبح صراعا واسع النطاق ، تغيرت تلك السياسة وأصبحت هجرة اليهود الذين يقيمون فى الدول التى تدخل فى مجال نفوذ المانيا ، مسألة صعبة . وكان السبب الرئيسى فى هذا بالطبع ، هو أن هؤلاء اليهود يمثلون طاقة بشرية يمكن وسوف تستخدم ضدهم وكانت هناك أسباب اخرى اقل أهمية ، وفى مقدمتها محاولة الالمان الوقيعة بين بريطانيا والعرب عن طريق تأييد الجانب العربى فى مسألة هجرة اليهود الى فلسطين . ولذلك فقد كان الموقف الالمانى الثابت فى النصف الاخير من الحرب يقوم على أنه يمكن البدء فى هجرة اليهود لكن على أساس التبادل ، أى تبادل اليهود والالمان المحتجزين فى الخارج ، وخاصة اذا كان

اليهود المهاجرون لن يسافروا الى فلسطين . ولقد عرفنا من دراستنا أن معسكر بيلسن كان يستخدم كمعسكر لايواء اليهود الذين سيتم تبادلهم .

وبالنسبة لما كانت تنطوى عليه مسألة براند فانها كانت تقوم على هذا النوع من التفكير الالمانى ، من جانب الالمان مع بديل فى المقابل . فقد كان الالمان مستعدون للسماح بهجرة اليهود فى مقابل حصولهم على عربات وامدادات أخرى . وعلى هذا فانه لا يوجد شئ غير مقبول فى مسألة براند بشرط أن يفهم المرء أن الامر لم يكن ينطوى على مخاطر بأرواح يهود المجر .

وبالرغم من أن صفقة براند لم تتم ، الا أن السلطات الالمانية والمجرية سمحت بسيل ضعيف من الهجرة اليهودية من المجر الى السويد وسويسرا والولايات المتحدة ، على سبيل المثال . وقد تسلل عدد أكبر نوعا بطرق غير مشروعة فى سنة ١٩٤٤ الى رومانيا وسلوفاكيا (وذلك فى عكس اتجاه حركة الهجرة السابقة والتى اتجهت الى المجر) . وتقدم لنا الوثائق رقم ٧٥ و٧٦ و٧٧ و٨٧ التى قدمها الدفاع عن ستينجراخت صورة للموقف .

ويتضح من استعراضنا للدعاية التى ترددت سنة ١٩٤٤ والتى تناولناها فى هذا الفصل أن الدعاية صورت لنا أوشفيتز (المشار اليها باسم أوسوايكيم على أنها معسكر للابادة وذلك فى الفترة التى أعقبت بدء الحملة الهجومية الشاملة ضد قوات المحور ، وهى الفترة التى لم يكن احد خلالها يكترث بمثل هذه الروايات . وفى الوقت لاحق من صيف سنة ١٩٤٤ انتقلت هذه الدعاية لتركز على معسكر لوبلين الذى استولى عليه الروس فى أواخر يوليو . وتم ترويج السخافات الدعائية المتوقعة حول أفران حرق الجثث التى اكتشفت هناك (وعددها ٥ افران) ، وكذلك حول مادة السيكلون وبعض العظام (من المعتقد أنها آدمية) ، الخ واستمرت الدعاية تعتبر معسكر لوبلين كمعسكر الابادة الرئيسى حتى خريف سنة ١٩٤٤ .

وبهذا نختتم تحليلنا للاتهامات التى ترددت حول أوشفيتز . ومن المستحيل أن يصدقها عقل ، فهى ادعاءات مثيرة فى لامعقوليتها لدرجة أنه من الصعب تخليصها اذ يقال لنا أن النازيين كانوا يرتكبون عمليات ابادة جماعية ضد اليهود **بالمركز الصناعى** بأوشفيتز مستخدمين فى ذلك المبيد الحشرى زيكلون ب الواسع الانتشار . وان الثلاثين أو الستة وأربعين فرنا فى أوشفيتز والتى كانت تستخدم فى التخلص من جثث الاعداد الضخمة من الوفيات التى كانت تحدث لأسباب طبيعية ، كانت تستغل ايضا فى العمل على جعل جثث

اليهود الذين تمت ابادتهم تتلاشى دون أن تترك أى أثر وراءها . ولما كانت أوشفيتز مركزا للابادة كان من الطبيعى أن تكون المكان الذى يتم شحن يهود المجر إليه لابادتهم . وأن عمليات شحن اليهود المجندين للعمل فى الانتاج الحربى والذى كانت هناك حاجة ماسة اليه قد تأجلت حتى يمكن نقل يهود المجر الى أوشفيتز لابادتهم . وثبت أن الستة وأربعين فرنا الموجودة فى أوشفيتز لم تكن كافية للتخلص من اليهود الوافدين بمعدل عشرة الاف فرد يوميا ، ولذلك كانت الجثث تحرق فى حفر فى الخلاء ..وعملية ابادة يهود المجر هذه لم تجذب انتباه وفد الصليب الاحمر الدولى فى بودابست ، الذى كان يهتم اهتماما بالغا بالشئون اليهودية . والدلائل على كل هذا تتكون من وثائق تقدمها لنا حكومة الولايات المتحدة ، ويؤكد صحتها توقيعات فاجنر وفون تادن ، خبراء السياسة اليهودية ، عليها وهذه الوثائق ذاتها تدينهما . ومع ذلك فان حكومة الولايات المتحدة لم تقم دعوى ضد فاجنر وفون تادن فى قضية شارع ويلهم التى كان يتولى توجيه الاتهام فيها كمبز المعروف بعدائه المستمر طوال حياته للنازية ، والتى أثبت محام أمريكى أن الادلة المقدمة فيها جمعت باكراه ، تماما كما فعل فى قضية بواشنطن نظرت أمام المحاكم الامريكية العادية وكان كمبز على صلة بها أيضا .

وقد فشلت حكومة الولايات المتحدة . بالرغم من كل تصريحاتها فى سنة ١٩٤٤ ، فى التدخل بأى طريقة فى أحداث أوشفيتز المزعومة كما فشلت فى التقاط أى صور لها .

فهل يمكن لأحد أن يصدق مثل هذه الرواية ؟

الفصل السادس

إلى آخره . . . . . إلى آخره

لما كانت دعاوى الابادة قد تركزت حول أوشفيتز لدرجة كبيرة فان هناك مايبرر أن ينتهى هذا الكتاب هنا تماما ، وذلك أنه لما كان جوهر أسطورة الابادة زائفا فليس هناك من سبب تحدو القارئ الى تصديق أى جزء آخر منها حتى ولو لاح أن الدليل مقبول نسبيا للوهلة الأولى . فلقد أوفد المئات من ذوى الاختصاص المدربين الى أوروبا واستخدموا هناك لجمع الادلة على الابادة ومايتصل بها من جرائم ، وسبق لنا أن رأينا نوع القصص التى ساقوها فيما يتعلق بأوشفيتز وهى تلفيق مختلق قوامه الحلف كذبا والتزوير وتشويه الحقيقة وتحريف الوثائق ، فليس هناك من سبب لأن نتوقع وضعا أفضل للجوانب الاقل ذيوعا من أسطورة الابادة اذن ، ومع ذلك فانه ينبغى فحص بقية القصة لاستكمال الموضوع من ناحية أخرى ولأن هذا التمحيص يمكن انجازه بسرعة الى حد ما من ناحية ولأن هناك جانبا ربما كانت فيه احدى سمات الاسطورة صحيحة جزئيا . ومن المناسب كذلك أن نستعرض هنا بعض المسائل المتنافرة التى قد تبدو فى رأى بعض القراء كدليل يؤيد دعاوى الابادة .

ان الدليل على عمليات الابادة فى بيلزيك وشيلنمو ، ولوبلين وبيبور وتريبلينكا يكاد يكون معدوما فهناك اقرار هوس الكتابى والشهادة التى أدلى بها و « بيان جيرشتاين » وهناك مسودة خطاب كتبه الدكتور فيتزل ، وهو نازى آخر أعفى من اقامة الدعوى ضده وهو يتكلم فى الخطاب عن أنه « لم يكن هناك اعتراضات على القضاء على أولئك اليهود العاجزين عن العمل بوساطة علاج براك . (وثيقة رقم ٣٦٥) . ومسودة الخطاب مكتوبة على الالة الكاتبة ويبدو أنها تحمل توقيع فيتزل بالاحرف الاولى . وكان يعمل رئيسا للمكتب السياسى للاجناس بالحزب النازى ، ولكنه نقل فى سنة ١٩٤١ الى وزارة شئون الشرق التى كان روزنبيرج مسئولا عنها حيث خدم كخبير للشئون اليهودية . ولايوجد دليل على أن الخطاب قد أرسل الى من هو موجه اليه وهو هنريخ لوهسى مفوض الدولة لشئون الشرق ، (الخريطة شكل ١) . وثمة وثيقة مشابهة تحمل توقيع فيتزل منسوخا بالآلة الكاتبة

برقم (ن ج — ٢٣٢٥) . ولم يستدع فيتزل للمثول كشاهد فى أى محاكمة من محاكمات نورمبرج ، ولم يهدد باقامة الدعوى عليه حتى سنة ١٩٦١ حينما اعتقلته السلطات الألمانية فى هانوفر ، ولكن يبدو أن قضيته اختفت على الفور من السجلات العامة ، ولم يسمع عنه شئ آخر فيما عدا القول بأنه قد وجه اليه اتهام آخر الأمر فى سنة ١٩٦٦ . واذا كان الأمر كذلك فانه من الغريب الايشتمل الكتابُ الذى أصدرت المانيا الشرقية ، « الكتاب البنى » لسنة ١٩٦٥ على اسمه . وعلى أية حال فانه لم تقع أبدا أية محاكمة وستتاح لنا فرصة التعليق على نشاط لوهسى فيما بعد .

أما فيكتور براك الذى ورد ذكره فى خطاب فيتزل فكان موظفا رسميا فى مستشارية الدولة ارتبط ببرنامج النازى للقتل المتسم بالرحمة والادعاء الراهن هو أن غرف الغاز فى بولندة ، وباستثناء تلك الغرف التى يزعمون أنها استخدمت فى أوشفيتز ، قد تطورت نتيجة « لبرنامج القتل المتسم بالرحمة الذى يزعمون أنه استخدم غرف الغاز . وعلى الرغم من شهادة براك فإنه من الصعب أن نصدق أن القتل بدافع الرحمة . كان يمارس فى المستشفيات الالمانية بأسلوب ازهاق روح عشرين أو ثلاثين شخصا دفعة واحدة بغاز أول أوكسيد الكربون . وبطبيعة الحال فان أوشفيتز يجب استبعادها من هذا « التطور » فى برنامج القتل بدافع الرحمة استنادا الى شهادة هوس من بين أسباب أخرى لهذا الاستبعاد . وأما رايتلنجر وهيلبيرج ، فلا يبدو أن هناك مايثير قلقهما للخلط والاضطراب الناشئ على هذا الوجه فى بناء الاسطورة .

ولقد ظهر برنامج القتل بدافع الشفقة من خلال مرسوم أصدره هتلر فى اليوم الأول من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩ يبيح القتل الرحيم للمرضى الذين لايرجى شفاؤهم ، ثم اتسع نطاق البرنامج فيما بعد ليشمل المجانين الذين ساءت حالتهم الا أن البرنامج قوبل بعداء شديد من جانب الشعب الالمانى خاصة بعد ان أخذت شائعات ، مجهولة المصدر ، فى الانتشار على الفور . وزعمت تلك الشائعات وقوع عمليات القتل الجماعى بالغاز للمرضى والطاعنين فى السن . وفى السادس من نوفمبر سنة ١٩٤٠ كتب الكاردينال فاولهابر بميونخ الى وزارة العدل مبديا اعترضات الكنيسة الكاثوليكية وموضحا أنه .

« قد ثار قلق كبير بين شعبنا اليوم بسبب الحديث فى كل مكان عن الموت الجماعى للمصابين بأمراض عقلية ولسوء الحظ فان أكثر الشائعات سخفا تدور حول عدد الموتى ووسيلة الموت الخ . . . . » .

ولم يلبث برنامج القتل بدافع الرحمة أن ظهر فى الدعاية فنى شهر ديسمبر سنة ١٩٤١ اذاعت محطة الاذاعة البريطانية خطابا ألقاه المؤلف توماس مان وحث فيه الشعب الالمانى على الخروج على النازيين ومعددا جرائم النازى بقوله :

« فى المستشفيات الالمانية يقتل المصابين بجراح بالغة وكبار السن وذوى الاجسام العليلة بالغاز السام ، ولقد ذكر طبيب ألمانى أنه فى مؤسسة واحدة قتل مابين ألفين الى ثلاثة آلاف من هؤلاء » .

ويبدو أن هذه أول مرة تظهر فيها غرف الغاز فى الدعاية ، ولكن هذا الزعم ، بقدر ما نستطيع أن نتبين ، لم يكن مرتبطا بدعاية الابادة التى بدأت بعد ذلك بنصف سنة ، وهى الدعاية التى لم يذكر خلالها على ما يبدو ، أى شئ عن برنامج القتل بدافع الرحمة وانما ظهر الارتباط بين برنامج القتل الرحيم وعمليات الابادة بعد ذلك بكثير.

ان الادعاء فى المحكمة العسكرية الدولية لم يحاول أن يربط بين القتل بدافع الرحمة وعمليات الابادة وكان على شاهد نفى ان يفعل ذلك . وفى الأيام الاخيرة للمحكمة العسكرية الدولية ظهر كونراد مورجن كشاهد نفى عن قوات الامن وسبق أن رأينا أن مورجن هو الذى كشف بوخنفالد وهكذا فقد اعتبر مورجن رجلا طيبا من قوات الامن على عكس المتعطشين لسفك الدماء من زملائه ورفاقه الاوغاد (ولا يزال يعتبر فتى طيباً ، وأن لم يكن مثل جيرشتاين) الذى كان قد حقق الان تجميلاً فى ابتهالات الابادة . وقد قدم مورجين بوصفه شاهد نفى عن قوات الأمن فى ظل ظروف بائسة ظاهرة رواية لها منطقها الحتمى ، وفى الحقيقة فان منطق شهادة مورجن له أهمية فى تحليلنا الذى يتعدى النقطة التى يقوم بمناقشتها الآن .

فلقد شهد مورجن بأنه اثناء تفتيشه على المعسكرات بحكم واجبات عمله بوصفه مسئولا فى قوات الامن فانه ، صادف على غير توقع منه ، برامج للابادة فى اوشفيتز ولوبلين ، ولكن تورط قوات الأمن لم يكن له وجود أوكان فى أدنى الحدود فنى لوبلين كان يضطلع بعمليات الابادة ويرث وهو من رجال الشرطة الجنائية العادية ، بمساعدة فصائل العمل اليهود (الذين وعدوا بأمة يكون لهم نصيب فى الغنيمة) . وكان ويرث يشرف على ثلاثة معسكرات اضافية للابادة فى بولندة ، وذلك حسب شهادة مورجن . وعلى الرغم من أن الشرطة الجنائية ، المعروفة بالكريبو كانت من الناحية الادارية خاضعة

لاشراف المكتب الرئيسى لامن الرايخ الا أن مورجن حرص على أن يوضح أن المفوض الجنائى ويرث لم يكن من أفراد قوات أمن الدولة ولقد ادعى مورجن ان ويرث قد ألحق بمستشارية الفوهرر وأنه تورط فى برنامج القتل الرحيم (الذى ربما كان صحيحا) وأنه تلقى الأوامر فيما بعد بأن يمد نشاطاته فى الابادة الى اليهود . وعلى الرغم من أن النقطة الوحيدة الصحيحة فى شهادة مورجن كانت محاولته العقيمة اعفاء قوات أمن الدولة من تبعة وعمليات الابادة فان رايتلنجر وهيلبيرج يعتبران دليلا ويتجنبان بحث الحقيقة المتمثلة فى أن مورجن ، فى محاولته التماس العذر لقوات أمن الدولة قد شهد أيضا بأن معسكر الابادة فى أوشفيتز كان هو معسكر مونوفيتز . وهو واحد من مجموعة المعسكرات التى كانت تديرها فارين لانتاج المطاط الصناعى . ولم يذهب مورجن الى حد الزعم بأن فارين كان لها برنامج ابادة خاص بالشركة ، ولكنه أعلن أن التورط الوحيد لقوات الأمن كان عبارة عن قليل من المجندين من دول البلطيق وأوكرانيا ممن استخدموا كحراس وبأن « النظام الفنى » (برمته كان كله تقريباً فى أيدى المعتقلين) .

ومن الواضح أن وظيفة مورجن قد نفخت الروح فى الادعاء من جديد حيث لم يخطر على باله أن يربط بين أعمال الابادة وبين القتل بدافع الرحمة ، وكان الوقت قد فات لكى تثار هذه النقطة أمام المحكمة العسكرية الدولية ولهذا فقد أثيرت فى القضية رقم ١ أمام محكمة نورمبرج العسكرية ، (ومن الناحية الفعلية فان برنامج القتل بدافع الشفقة يرتبط ارتباط غير وثيق بأعمال الابادة فى « بيان جيرشتاين » ، والذى نورده هنا فى الملحق أ — ومع أن بيان جيرشتاين قدم كدليل أمام المحكمة العسكرية الدولية قبل شهادة مورجن بزمن طويل الا أنه مامن أحد قد أعار نصه أى التفات) . وفى رأينا أن هذا الربط بين عمليات الابادة والقتل بدافع الشفقة انما هو مجرد مثال آخر على « الحقيقة المفرطة » التى تتمثل فى أن مختلقى القصة كانوا من الحرص على أن يمشوا قصصهم بشىء من الحقيقة الملموسة حتى أنه لم يخطر لهم أنه من المستحسن أن نستغنى خداعة بارعة عن بعض الحقائق الملموسة .

ويبدو أن هذا يشمل الادلة على القتل بالغاز فى معسكرات بولندة فيما عدا أوشفيتز .

ونلاحظ مرة أخرى أن منطق شهادة مورجن باعتباره استراتيجية الدفاع فى قاعة المحكمة له بعض الاهمية بالنسبة لدراستنا ، فمن الواضح أنه فى موقفه الذى اتخذه فى المحكمة كان يرى أن المحكمة لها موقف ثابت بالنسبة لمسألة وجود عمليات الابادة وهكذا فان شهادة

مورجن كانت تدعو المحكمة الى اعتناق نظرية أن شخصا أخر غير قوات الامن هو المذنب فى هذه العمليات .

وقبل أن ننتقل الى بحث نشاط قوات العاصفة فى روسيا فانه من الملائم أن نستعرض البيانات المختلفة التى أدلى بها مختلف رجال النازى أو التى زعم أنهم أدلوا بها ، وغالبتها بعد الحرب ، وهى البيانات التى تدعو صراحة أوضمنا الى القيام بعمليات الابادة .

وثمة فئة هامة من هذه البيانات تتكون مما أدلى به الشهود والمدعى عليهم الالمان فى محاكمات جرائم الحرب . وعند تقييم مثل هذه البيانات فان على المرء أن يضع فى ذهنه الحقيقة المجردة وهى أن الدول التى أجرت تلك المحاكمات كانت ملتزمة بأسطورة ابادة اليهود – كحقيقة سياسية ثابتة – وبخاصة فيما يتعلق بأوشفيتز اذ أن زعماء تلك الدول كانوا قد أدلوا بالاتهامات المتصلة بهذا الموضوع قبل أن يكون بين أيديهم – بزمن طويل – شىء مما يسمونه اليوم « بالدليل » وهكذا فان المحاكم كانت ملتزمة بداهة باسطورة الابادة ، كما أن التوصل الى نتائج بأن الابادات لم تحدث لم يكن – ببساطة – ممكنا داخل ساحة الامكانيات السياسية فى تلك المحاكمات بأى معنى علمى . وهذه حقيقة لا يمكن انكارها .

ومن ناحية أخرى فان المحاكم لم تكن ملزمة بداهية بمسألة المسئولية الشخصية للافراد وذلك باستثناء بضع حالات قليلة تعد على أصابع اليد . فبالنسبة للافراد لم تكن المحاكم واقعة تحت ضغط كبير من الناحية السياسية ففى معظم الحالات كان الحكم بعدم وجود مسئولية شخصية يدخل فى مجال الممكنات السياسية (ولانقول الاحتمالات السياسية) . وكان قضايا الدفاع نظمت بالنسبة الى هذه الملاحظات السليمة بصورة لايمكن انكارها ، وحتى بالنسبة لقضايا الافراد التى كانت ميئوساً منها فانه لم يكن أمام المحامين من خيار سوى السير فى الدعوى على افتراض أن حكما فى صالحهم هو فى حيز الامكان . وفى دراسة هذه المحاكمات من وجهة النظر هذه ، فانه من المفيد كثيرا أن ندرسها بحسب تاريخها . فأول محاكمة لها صلة بهذا الموضوع لم تكن محاكمة المحكمة العسكرية الدولية بل كانت محاكمة بلسن التى اجرتها محكمة عسكرية بريطانية . . للالمان الذين كانوا ضمن هيئة المسئولين عن معسكر بلسن حينما تم الاستيلاء عليه . وكان القائد المسئول الكابتن جوزيف كرامر من رجال الجستابو الذى قالوا عنه أنه (وحش بلسن هو المتهم الرئيسى بطبيعة الحال . وأهمية محاكمة بلسن تنبع ، على أى حال ، من أن كرامر سبق له أن كان (خلال سنة ١٩٤٤) قائد معسكر بيركيناو . وقد جرت محاكمة كرامر فى خريف ١٩٤٥ ، وانتهت فى نوفمبر فى

الوقت الذى أخذت تبدأ فيه محاكمة المحكمة العسكرية الدولية . وقد شنق كرامر فى ديسمبر ١٩٤٥ .

ولحسن الحظ أن لدينا أول بيان مطول أدلى به كرامر (فى رده على الاستجواب البريطانى . وأهمية هذا البيان تكمن فى الحقيقة الواقعة وهى أنه أدلى قبل ظهور أى ادراك عام بين الالمان بأن محاكم الحلفاء كانت جادة تماما ، مسألة الابادات وكونها حقيقة وقعت (وربما يكون كرامر قد أدلى بهذا البيان خلال شهر من وقوع بلسن فى أيدى البريطانيين ، ولكن هذا غير مقطوع به) . ولايعلق منطق قاعة المحكمة دورا كبيرا فى البيان الاول الذى أدلى به كرامر ، ولذلك فاننا نورده بأكمله فى الملحق د . ورواية كرامر تتفق اتفاقا كاملا مع ماعرضناه هنا ، بمعنى أنه كانت توجد افران لاحراق جثث الموتى فى كل معسكرات الاعتقال ، وبعض هذه المعتقلات كان معدل الوفيات فيها مرتفعا وبخاصة معسكر أوشفيتز الذى كان يستلزم وجود تسهيلات ضخمة لاحراق جثث الموتى خاصة وأنه كان معسكرا ضخما كذلك . وبيان كرامر صريح تماما فيما يتعلق بالاوضاع التعسة للمعسكرات ، وهو يعطى وصفا دقيقا للمعسكرات مثلما يحتمل أن تتوصل اليه من وصف لها . وأما بالنسبة الى أعمال التعذيب فانه يؤكد فى حزم :

« لقد سمعت عن المزاعم التى يذكرها المسجونون السابقون فى أوشفيتز والتى يشيرون فيها إلى وجود غرفة للغاز هناك وعن القتل الجماعى والجلد بالسياط وعن قسوة الحراس العاملين هناك ، وبأن هذا كله قد وقع اما فى حضورى واما بعلمى معرفتى . وكل ما أستطيع قوله عن كل هذا هو أنه غير صحيح من أوله الى أخره » .

ولقد تراجع كرامر فيما بعد عن هذا الموقف الحازم وأدلى ببيان آخر نقدم نسخة منه أيضا الملحق ، وقد شهد فيه بوجود غرفة للغاز فى اوشفيتز مضيفا الى ذلك أنه لامسئولية عليه فى هذا الصدد وبأن عمليات الابادة كانت خاضعة للاشراف المباشر للادارة المركزية للمعسكرات بمعسكر أوشفيتز رقم ١ . وفى محاكمته أورد سببين للتعارض بين بيانيه .

« السبب الاول هو أننى – فى البيان الأول – أبلغت أن المسجونين زعموا أن غرف الغاز هذه كانت تحت قيادتى ، والسبب الثانى ، الرئيسى ، هو أن بوهل الذى تكلم معى حصل على وعد منى بأن التزم الصمت وألا أخبر أى انسان مطلقا عن وجود الغاز ، فعندما أدليت ببيانى الاول كانت أحس بأننى لا أزال ملتزما بالوعد الذى قطعته على نفسى . وعندما أدليت ببيانى الثانى داخل السجن فى سبيل لم يكن أولئك الاشخاص الذين

أحسست بارتباطي معهم بكلمة الشرف – وهما أدولف هتلر وهيملر ، على قيد الحياة وفكرت حينئذ أنني لم أعد ملزماً بكلمة الشرف .

والشيء المنافى للعقل فى هذا التفسير هو أن كرامر كان فى المراحل الاولى لاستجوابه يحاول الاحتفاظ بسرية أشياء كان المحققون يكررون سردها على مسامعة إلى مالا نهاية وهى أشياء كانت تشغل صحافة الحلفاء فى ذلك الوقت ولم يمنعه ذلك ، هو ومحاميه من عرضها على المحكمة . ولقد كان منطق دفاع كرامر يماثل فى أساسه شهادة مورجن ، لأن كرامر كان فى موقف يحاول فيه تقديم رواية تعفيه من التورط فى القتل الجماعى فى بيركيناو . والحقيقة أن بيركيناو لم تكن معسكرا للابادة ولكن هذه الحقيقة لم تجد فرصة لقبولها من جانب المحكمة لأن قبول هذه الحقيقة كان استحالة سياسة . فلو أنه بنى موقفه على الاستناد لهذه الحقيقة لكان ذلك موقفا بطوليا من جانبه ولكنه فى الوقت نفسه موقف انتحارى لان معناه الا يجد وسيلة للدفاع على الاطلاق فيما يتعلق بدوره فى معسكر بيركيناو وحتى لو أنه أحس أحساسا شخصيا بالبطولة فانه كانت هناك حجج قوية تقف ضد مثل هذه البطولة ، فأسرته كانت فى ذلك الوقت فى وضع يائس شأنها فى ذلك شأن كل الاسر الالمانية وكانت فى حاجة اليه ، فلو أنه اصر على ارتداء ثوب البطولة بالرغم من ذلك ، لما كان محاميه قد تعاون معه لأنه لا يوجد محام يختار عن وعى استراتيجية انتحارية إذا كانت هناك استراتيجية أخرى تحمل فى طياتها شيئا من احتمالات النجاح . وعلى ذلك فان دفاع كرامر قد بنى على أنه ليس متورطا شخصيا فى أعمال الابادة فى بيركيناو وأن هوس والمكتب المركزى لأمن الرايخ هما اللذان فعلا ذلك . ولنتذكر أن هذه الاجراءات كان ينظمها محامون يسعون الى التوصل الى احكام فى صالحهم ولم يكن ينظمها مؤرخون ينشدون حقيقة الاحداث .

واتفق أن زعموا أن كرامر ، بوصفه قائد الناتز فيلر قتل فى معسكره بالغاز ثمانون فردا لأغراض التجارب الطبية . ومن المفروض أن هؤلاء الاشخاص كانوا قد اختيروا فى أوشفيتز وفقا لمعيار غير معروف ثم نقلوا الى ناتزفيلر ليقتلوا فيها حيث أن جثثهم كانت مطلوبة « طازجة » فى مدينة ستراسبورج القريبة ولقد أكد كرامر هذه الرواية فى بيانه الثانى ولكن بما أنه قد نفاها (ضمنيا ولكن فى غير لبس) فى بيانه الاول فاننى أميل الى الاعتقاد بأنها رواية غير صحيحة ، ومع ذلك فانه من الممكن تماما أن يكون بعض الناس قد نفذ فيهم حكم الاعدام فى ناتزفيلر عندما كان شخص آخر قائدا لها وأن الجثث استخدمت حينذاك فى معهد التشريح فى ستراسبورج (الذى كان لديه بالتأكيد جثثا لاغراض

البحث) . وعلى أية حال فان هذا الموضوع لاصلة له ببرنامج للابادة .

وأما محاكمة المحكمة العسكرية الدولية فدراستها أكثر تعقيدا الى حد ما بسبب العدد الكبير من المدعى عليهم ولكل واحد منهم امكانياته الخاصة بالنسبة لتبرئة نفسه من أية جرائم حقيقية أو وهمية . كما أن سجل المحاكمة غير كاف فى الحقيقة لدراسة سلوك المتهمين فى المحكمة العسكرية الدولية ، ولكن السجل الذى احتفظ به الدكتور ج . م . جيلبرت الطبيب النفسانى لسجن نورمبرج والذى نشره بعنوان يوميات نورمبرج يكفل سجل المحاكمة لدرجة تفى بأغراضنا فكتاب جيلبرت يقص علينا مواقف وردود فعل المتهمين أمام المحكمة العسكرية الدولية لاعند المحاكمة فحسب ولكن فى سجن نورمبرج أيضا . ولايستطيع الانسان أن يثق ثقة مطلقة فى صحة رواية جيلبرت التى تتكون مادتها فى معظمها من ملخصات للاحاديث التى كان تبادلها المتهمون فى السجن سواء فيما بين بعضهم أو بينهم وبين جيلبرت . ولكن جيلبرت لم يكن يدون أى مذكرات فى الحال وكان يعتمد فى كتابته لما يدونه يوميا على الذاكرة ، ولقد قام بفحص أصول كتابه فحصا دقيقا موظف سابق بمكتب اعلام الحرب والمدعيون جاكسون وتايلور . ومع افتراض حسن النية الى أقصى درجة ونزعة عدم التميز فان جيلبرت لم يكن يستطيع الاحاطة بكل شىء فى دقة كاملة . فكتابه دقيق بوجه عام ، ولكن على المرء أن يتحفظ بالنسبة الى دقته التفصيلية .

ولقد اعتقل المتهمون أمام المحكمة العسكرية الدولية عقب استسلام المانيا بوقت قصير فى مايو سنة ١٩٤٥ ، وسجنوا سجنا انفراديا ، واستجوبوا وشنت حملة دعائية عنهم طوال ستة أشهر سابقة على افتتاح محاكمات محكمة العسكرية الدولية فى شهر نوفمبر عندما التقوا ببعضهم البعض لأول مرة منذ الاستسلام (وفى بعض الحالات كان اللقاء بين البعض لاول مرة فى حياتهم) . ولابد لنا من أن نبدى أربعة تحفظات هامة بنوع خاص أولها . وهو لا يثير الدهشة أنهم جميعا ، وباستثناء كالتبنرونر قد نهجوا منهجا دفاعيا واحدا فى جوهره فيما يتعلق بفظائع معسكرات الاعتقال وابادة اليهود ، وبغض النظر عن مدى ماكان يعتقده كل واحد منهم فعلا فى مثل هذه المزاعم . فان الخطأ كله هو خطأ هتلر وجستابوهملر ، وأما كالتبنرونر فانه عندما مثل أمام المحكمة متهما بدلا من هملر الذى كان قد مات كان مريضا عندما بدأت المحاكمة . ولم ينضم الى المتهمين الاخرين الا بعد مضى عدة أسابيع على البدء فى المحاكمة ، ولما ظهر أمام المحكمة أعرض عنه بقية المتهمين ولم يتبادل الا كلمات قليلة جدا مع الآخرين طوال الاشهر العشرة التالية .

وأما عن التحفظ الثانى فليس متوقعا على هذا النحو ، وان كان مثيرا للدهشة بعض الشئ . فهؤلاء المسئولون الألمان الكبار ، باستثناء كالتنبرونر وربما واحد أو اثنين اخرين لم يكونوا يفهمون الظروف المفجعة فى المعسكرات التى صاحبت انهيار ألمانيا والتى كانت السبب فى المشاهد التى استغلتها دعاية الحلفاء « كدليل » على أعمال الابادة وقد يبدو هذا الكلام للوهلة الاولى ادعاء غريبا ، ولكن الرجوع الى كتاب جيلبرت يظهر أن هذا القول صحيح بصورة لاشك فيها (الشئ الوحيد الاخر الممكن هو أن البعض كان يتظاهر فقط بسوء فهم الموقف فادارة المعسكرات انتقلت بعيدا عن سلطة كل المتهمين تقريبا وتعرضوا للدعاية المعتادة منذ استسلام ألمانيا ، لدرجة أنهم قبلوا ، أو تظاهروا بأنهم يقبلون ، الادعاء بأنه كان هناك قتل جماعى المسئول عنه هما هتلر وهيملر ، وكانوا يبنون رأيهم على وجه التحديد على المناظر التى اكتشفت فى المعسكرات الالمانية عند نهاية الحرب والتى من الواضح أنهم أساءوا فهمها أو تظاهروا باساءة الفهم . ويوضح هذا الرأى جيدا مارواه جيلبرت عن حوار دار بينه وبين جورنج على النحو التالى :

وواصل جورنج حديثه قائلا « افلام الفظائع هذه إن أى انسان يمكنه أن يصنع فيلما من أفلام الفظائع اذا هم اخرجوا الجثث من القبور ثم أظهروا جرارا وهو يدفع هذه الجثث الى القبور مرة أخرى .

فأجبته بقولى « انك لا تستطيع التنصل من الموضوع بهذه السهولة فاننا وجدنا فعلا معسكرات الاعتقال عندكم وقد تناثرت فى أنحائها الجثث والقبور الجماعية – ولقد رأيت ذلك بنفسى فى داخاو وفى هادامار .

« آوه ، ولكنها ليست مكدسة بالالاف هكذا – »

« لا تخبرنى عما لم أشاهده اننى رأيت جثثا من الممكن أن تملأ عربة » .

« أوه ، ذلك القطار الوحيد »

ومكدسة كالحطب فى أفران حرق الموتى – والأسرى البائسين الذين يموتون جوعا والذين أبلغونى كيف أن المجزرة ظلت مستمرة سنوات – ولم تكن داخاو أسوأ المعتقلات حالا بكثير . انك لاتستطيع ان تبدى عدم المبالاة ازاء ستة ملايين جريمة قتل » .

فقال جورنج فى جزع وقد لاح عليه النوم لأنه بدأ هذا الجدل « حسنا أننى أشك فى أنها كانت ستة ملايين – ولكن يكفى ، كما قلت دائما لو أن ٥ ٪ فقط من هذا الرقم كان صحيحا ثم ران صمت كئيب .

وليس هذا الامثالا واحدا ، ومن الواضح من كتاب جيلبرت أنه عندما عرض موضوع فظائع معسكرات الاعتقال كان المتهمون يفكرون فى المناظر التى وجدت فى المعسكرات الالمانية عند نهاية الحرب . ولعله من غير الممكن تحديد المتهمين الذين أساءوا فهم الموقف حقيقة (كما فعل جورنج) والمتهمين الذى تظاهروا فقط بأنهم أساءوا الفهم واضعين فى الاعتبار أنه إذا لم يكن الانسان متورطا فى معسكرات الاعتقال بحال من الأحوال فإنه من الاسلم له بكثير أن تتقبل الادعاءات الحلفاء بدلا من أن يورط نفسه تلقائيا بتنفيذ مزاعم الحلفاء .

وأما تحفظنا الثالث فيتعلق بتقدير لابد من أن يكون قد تبادر إلى اذهان المتهمين أثناء المحاكمة ، فإنه قد لاح لهم أنه من المرجح ، أو على الأقل من الممكن تماما ، الا يكون الحلفاء جادين كل الجد فى تنفيذ أحكام بالاعدام والسجن لمدة طويلة . فإن المحاكمة كانت بدعة بكل تأكيد ، وكان المتهمون يدركون تماما أن ثمة عداء كبير حيال محاكمات جرائم الحرب بين صفوف الرأى العام فى الدول المتحالفة وبخاصة فى الولايات المتحدة وفى انجلترا . فلابد وأن يكون الكثيرون من المتهمين قد قدروا أن هدفهم المباشر ينبغى أن يتمثل فى قول أو فعل أى شيء يبدو ضروريا للبقاء على قيد الحياة بعد موجة الهستيريا العابرة التى أعقبت الحرب وأن يرجئوا تصحيح التاريخ إلى مستقبل ليس بالبعيد حينما يصبح من الممكن بحث الحقائق بحثا غير هستيرى .

والتحفظ الرابع هو أن إبادة اليهود لم تكن سوى اتهام واحد من بين الاتهامات الكثيرة فى نورمبرج . وإذا نحن استعدنا الاحداث الماضية فإن هذا الاتهام قد يبدو أنه التهمة الرئيسية ، ولكن الاتهام الرئيسى فى أذهان كل انسان تقريبا كان يتصل بالمسئولية عن « التخطيط أو الاعداد أو المبادرة أو شن حرب عدوانية » — أو ما سمى « بالجرائم ضد السلام » .

وإذا ما وضعنا التحفظات الأربعة السابقة فى أذهاننا فإننا نستطيع أن نتبين أن سلوك المتهمين أثناء المحاكمة كان لا يخرج عما يمكن أن يتوقعه المرء من مثل هذه المجموعة المتباينة من النازيين المخلصين ، ورجال الصناعة والضباط البروسيين المحافظين والسياسيين العاديين . ففى السر ، أى ، فى السجن عندما لم تكن المحكمة منعقدة كان المسجونون يتحفظون فى ابداء تعليقاتهم مثلما كانوا فى العلن وكان هناك الكثير من الاتهامات المضادة المتبادلة ، وإلقاء المسئولية على الغير والغيبة والنميمة . ولقد تصرف فرانك « "Frank" » بحماقة فى هذا الصدد ، الا أن هذا المسلك كان عاما على الارجح . فالنازيون لم يكونوا أسرة كبيرة

يسودها الوئام . وفيما يتعلق باستراتيجية الدفاع فى المحاكمة فإنه يكفى أن نناقش هذه المسألة فى حالة كل من سبير ، وجورنج وكالتنبرونر .

ولقد كانت استراتيجية محاكمة سبير بسيطة كما كانت ناجحة نسبياً حيث أنه لم يشنق . فإنه مع تسليمه بوجود برنامج الابادة ، الا أنه نفى علمه به خلال الحرب . ولا يزال مسموحا له حتى الان بأن يهذى بهذا الهراء . لأن سبير ومعاونيه كان لهم فى حقيقة الأمر ضلع كبير فى هذا الموضوع . وعلى سبيل المثال ترحيل اليهود المجريين القادرين على العمل فى ربيع سنة ١٩٤٤ للعمل فى بوخنفالد بمصانع الطائرات المشيدة تحت الأرض . ولو أن أى أولوية للنقل بالسكك الحديدية قد منحت لليهود المجريين الذين سيبارون فى مواجهة اليهود المجريين القادرين على العمل لكانوا قد عرفوا بها . لو أن مثل هذا الاجراء قد حدث . ولو كان سبير قد أدلى بشهادة صادقة لأعلن أنه كان فى مركز يتيح له أن يعلم بوجود برنامج للابادة من النوع المدعى به لوكان هذا البرنامج موجودا بالفعل ولكن هذا البرنامج لم يوجد ابدا بقدر ما يعلم . لكن سبير لوكان قد توخى الحقيقة فى ادلائه بشهادته لكان قد لحق برفاقة فوق المقصلة .

ويسوق سبير فى كتبه « دليلا » واحدا مضحكا صادفه أثناء الحرب ويقول عنه الان أنه كان ينبغى أن يفسره على أنه يوحى بوجود برنامج للابادة ويتمثل فى أن صديقه كارل هارنكى الذى عينه هتلر خليفة لهيملر كرئيس للجستابو فى الأيام الأخيرة للحرب فى صيف سنة ١٩٤٤ اقترح على سبير « الا يقبل دعوة أبدا للتفتيش على معسكر للاعتقال فى سيليزيا العليا . وينقل سبير كذلك ملاحظة شخصية أدلى بها جورنج قبيل المحاكمة أما المحكمة العسكرية الدولية مباشرة عن الذين كتب لهم البقاء « من اليهود المجريين وهى : « واذن فلا يزال بعض منهم هناك ؟ كنت اعتقد أننا تخلصنا منهم جميعا ، ولكن هناك من أخطأ مرة ثانية » . ومثل هذه الكذبة التى تدعو إلى السخرية مفهومة فى ظل الظروف التى كانت قائمة لأن جورنج لم يسلم أبدا بحقيقة أى برنامج للابادة واصر على القول بأنه لم يعلم الا ببرنامج لهجرة وجلاء اليهود من المجال الالمانى فى أوروبا .

ان التقديم الذى كتبه بوجين دافيدسون لكتاب سبير يذكر الحقيقة (التى لاحظناها هنا فى الفصل الرابع) على أن كثيرا من اليهود الذين أرسلوا إلى بيركناو « على مرأى من غرف الغاز » لم يتنبهوا إلى أى برنامج للابادة وأنهم كتبوا خطابات مبهجة لمن خلفوهم وراءهم من الهولنديين . فالملاحظات عن الابادة اليهودية لم تكن موجودة فى النسخة الاصلية الخطية

لكتاب سبير ولكنها أضيفت نتيجة لالحاح الناشر.

لقد افترض جورنج طوال المحاكمة – على عكس المتهمين الاخرين – أنه سوف يحكم عليه بالاعدام فشهادته تبدو أقرب ما يكون إلى الحقيقة كما عرفها وعلى الرغم من أنه لم يسلم قط بوجود برنامج لابادة اليهود ، فقد رأينا أنه أساء فهم ما حدث فى المعسكرات الالمانية عند نهاية الحرب وافترض أن هيملر قد اشترك حقيقة فى القتل الجماعى فى هذا الصدد ، الا أنه لم يسلم أبدا بأى عدد من القتلى يقرب من ستة ملايين.

وثمة ملاحظة عرضية ينبغى ذكرها فيما يتعلق بجورنج وهى أنه لم يكن مد منا تعاطى المخدرات كما تؤكد الاسطورة (وكما زعم سبير فى احاديث خاصة فى عدة مناسبات أثناء انعقاد المحكمة العسكرية الدولية . ولقد حاول دوجلاس كيلى الطبيب النفسانى لسجن نورمبرج أن يصحح التاريخ فى هذا الصدد . لقد كان جورنج رجلا عسكريا وكان طيارا ممتازا فى الحرب العالمية الأولى . وكان آخر قائد « للسيرك الطائر » الذى كان يقوده فون ريشتهوفن المعروف (بالبارون الأحمر) ، وبعد أن رفض أن يسلم وحدته للحلفاء فى نهاية الحرب عاد إلى المانيا ووجد نفسه بطلا بلا حرفة . ولما انضم إلى الحزب النازى فى نهاية المطاف كان من الطبيعى ، وهو الحائز على وسام الاستحقاق ، وهو أرفع وسام عسكرى فى ألمانيا ، أن يصبح سريعا من زعماء الحزب الصغير. ولذلك أصبح أحد قادة التمرد العسكرى سنة ١٩٢٣ الذى جرح فى فخده الأيمن فتلوث الجرح مما استدعى علاجه وقتا طويلا فى المستشفى وكانوا يخضونه فى أثناء ذلك بكميات كبيرة من المؤرخين فأصبح مدمنا بعض الشيء لكنه عالج هذا الادمان بعد خروجه من المستشفى بوقت قصير فى سنة ١٩٢٤ . وبعد ذلك بوقت طويل فى سنة ١٩٣٧ أصيب جورنج بالام الاسنان فبدأ فى تناول أقراص الباراكودين ، وهو دواء مشتق من مورورفين مخفف جدا . ومن الشائع وصفه لحالته تلك واستمر يتعاطى هذه الاقراص طوال فترة الحرب ، ولم يكن ادمانه (أو على الاصح عادة تعاطيه) لاقراص الباراكودين خطير حيث أمكن وقف استعماله لها على يدى دكتور كيلى قبل المثول أمام المحكمة العسكرية الدولية باستخدام وسيلة بسيطة تنطوى على التقليل من الكمية المستعملة يوما بعد يوم.

ولنعد الان إلى المتهمين أمام المحكمة العسكرية الدولية حيث يبدو لنا موقف كالتنبرونر اليوم أنه كان موقف ميئوسا منه إلى حدما ، وربما يكون محاميه قد أحسن هذا الاحساس ، ولكنه على أية حال كان عليه أن يبدى نوعا من الدفاع وقد استند فى دفاعه فى المسائل التى

تعينا إلى نقطتين أساسيتين :

النقطة الأولى : هى أنه كان رئيسا للمكتب الرئيسى لأمن الرايخ المكلف بالأمن ، وليس رئيسا للمكتب الاقتصادى والادارى الرئيسى الذى كان يتولى إدارة معسكرات الاعتقال . وهكذا ادعى أنه لم يكن له شأن تقريبا بمعسكرات الاعتقال . والحالة الوحيدة المعلومة عن اتصاله بالادارة الداخلية للمعسكرات تمثلت فى اصداره أمرا فى شهر مارس ١٩٤٥ يسمح للصليب الأحمر بالوجود فى المعسكرات (ولا نعرف كيف انتحل سلطة اصدار هذا الأمر) . ولقد تكلم كثيرا عن هذا الأمر فى دفاعه وبدلا من أن يصحح الوقائع بالنسبة للظروف التعسة التى كانت عليها المعسكرات عند نهاية الحرب فإنه راح يضخم من قيمة تصرفه بالنسبة للصليب الأحمر ليجعل هذا التصرف يبدو كما لو كان تصرفا مضادا لمعسكرات الاعتقال فى حد ذاتها والتى قال عنها ، بطبيعة الحال ، انه استنكرها على الدوام على أية حال .

وأما النقطة الثانية : فى دفاع كالتنبرونر ، والتى يمكن أن يوافقه عليها كل انسان ، فهى أن سلفه هايدريتش ، وليس هو ، هو الذى وضع تفاصيل السياسة اليهودية أيا كانت تلك السياسة . وأنه تولى رئاسة المكتب الرئيسى لأمن الرايخ فى سنة ١٩٤٣ مع تعليمات من هملر بإنشاء هيئة مخابرات تابعة لمصلحة الأمن ، وهى حقيقة أخذ يحرفها حين زعم أنه فى ظل لنظام الجديد الذى لم يكن هملر ليسمح فيه لأحد بأن تزداد سلطته حتى يبلغ المنزلة التى بلغها هايدريتش كان عليه أن يقصر اهتمامه على المخابرات وحدها والا يكون له أى اشراف على وظائف الشرطة والأمن التى يضطلع بها المكتب الرئيسى لأمن الرايخ وخاصة الجستابو الذى كان يرسل المسجونين السياسيين إلى المعسكرات ويدير أيضا من خلال مكتب ايخمان عمليات ترحيل اليهود . وإذن فإنه وفقا لرواية كالتنبرونر لا يوجد ـيه يمكن اعتباره مسئولا من خالها عن أعمال ابادة اليهود ، وهى الاعمال التى سلم بأنها وقعت ، كاتهام الحلفاء تماما (فيما خلا أنها بدأت وفقا لاقوال كالتنبرونر فى ١٩٤٠) . وفى حقيقة الأمر ، وطبقا لأقواله ، فإنه حتى صيف ١٩٤٣ لم يكن قد علم ببرنامج الابادة الذى كان يضطلع به ايخمان وهو من رجال ادارته . وقد علم بذلك من الصحافة الاجنبية ومن اذاعة الاعداء . واستطاع أن يحمل هملر على الاعتراف بوجود هذا البرنامج فى وقت مبكر من سنة ١٩٤٤ ثم احتج لدى هتلر أولا ثم لدى هملر . وقد أوقف برنامج الابادة فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٤ « وبذلك بسبب تدخل هو أساسا » . ومع أن الأسلوب الذى زعم كالتنبرونر

أنه علم بوساطته بأعمال الابادة غير معقول ، الا أنه يتفق مع السرية البالغة التى يقال دائما انهم حافظوا عليها فيما يتصل ببرنامج الابادة .

أن رواية كالتنبرونر هراء مطلق ، الا أن تلك الحقيقة ينبغى ألا تخفى عنا الطابع الخطير لهذه الشهادة باعتبارها استراتيجية الدفاع . لأنه لو فرض أن كالتنبرونر كان قد شهد بأنه لم يكن يوجد برنامج للابادة ، فإن أى تساهل تظهره المحكمة فى حكمها يكون معادلا لتسليمها بكذب مزاعم الابادة أو احتمال كذب هذه المزاعم وتلك استحالة سياسية . ولكنه بادعائه بأنه وإن كان برنامج الابادة قد وجد الا أن كالتنبرونر لا يتحمل أية مسئولية فى ذلك ، بل انه قد عارضه . وكان الدفاع يسعى من وراء ذلك إلى أن يجعل من الممكن سياسيا للمحكمة أن تكون رفيقة فى حكمها بعض الشىء ، أو أنه كان يبذل على الاقل جهدا جادا فى هذا الاتجاه . ويظهر من التأمل السريع أن تلك الاستراتيجية كانت هى الوحيدة الممكنة لدفاع كالتنبرونر بالنسبة لتهمة الابادة . ومن الواضح أن المحاكمة كانت ستنتهى باصدار بعض احكام الاعدام ، وبعض أحكام البراءة والتصرف فى بعضها الأخر وهذا شىء ضرورى لكى تبدو المحاكمة حقيقية . وعلى ذلك فإننا بالتحليل ، نجد أن منطق المحامى فى الدفاع عن كالتنبرونر كان منطقا سليما تماما . فعدم اتفاق رواية بعينها مع العقل لم يكن أمرا بالغ الأهمية من وجهة النظر هذه ، فالكيفية التى عولجت بها الوقائع فيما يتعلق بهذه المسائل كانت متفقة مع العقل على أى حال هى الأخرى . فقضية سبير توضح أن رواية غير مقبولة عقلا لم يكن أمامها فرصة القبول من جانب المحكمة العسكرية الدولية فحسب وإنما أيضا من جانب الرأى العام بعد ذلك بوقت طويل حينما تتاح للناس الفرصة المناسبة لرؤية الأمور بوضوح .

أن الشخص العادى ، بل والناقد الخبير أيضا ، يمكن أن يفشل بسهولة فى تفهم مغزى أمور مثل شهادة كالتنبرونر ، لأنه يفشل بمثل هذه السهولة فى أن يدرك وجهة نظر المدعى عليهم الذين لم تكن لهم مصلحة تاريخية فى هذه المحاكمات مثلنا . فرقابهم كانت عرضة للخطر وكانوا يعتبرون المحاكمات ، ولهم الحق ، مظهرا هستيريا . وكانت محاولتهم انقاذ رقابهم معناها ابتكار استراتيجية للمحاكمة لتلائم الظروف السائدة وما من استراتيجية مثلى للمحاكمة تسعى إلى زحزحة المحكمة عن مسائل لا يمكنها أن تتزحزح عنها . ويحدث هذا أيضا فى الاجراءات القانونية العادية . فمتى تقرر أمر ما ، فهو قد تقرر وعلى المحامين أن ينظموا قضاياهم وفقا لذلك .

ومما يرثى له أن يلجأ النازيون أو غيرهم إلى الكذب لدعم مصالحهم الشخصية ولقد شاهدت اساتذة جامعيين يلجأون إلى مثل هذا الكذب لمجرد أن يحصلوا على زيادة طفيفة فى مرتباتهم عن أشهر الصيف ، وهذا أمر يرثى له أيضا .

وفى محاكمة كرامر وفى المحكمة العسكرية الدولية كانت المحاكم ملزمة بداهة من الناحية الفعلية بتقرير أن المانيا النازية كان لديها برنامج لابادة اليهود . وفى محاكمات المحكمة العسكرية بنورمبرج اللاحقة كانت المحاكم ملزمة بداهة كأمر رسمى ، بسبب الإكراه القانونى الذى سبق أن لاحظناه بأن تشتمل البيانات التى يتضمنها حكم محكمة نورمبرج العسكرية على دلائل على صحة الوقائع المذكورة . وكان حكم المحكمة العسكرية الدولية قد ذكر أن ملايين قد أبيدو فى معسكرات الاعتقال الالمانية ، وبخاصة فى أوشفيتز التى خصصت لهذا الغرض الرئيسى ، وقبيل أن أربعمائة ألف يهودى مجرى على وجه التحديد ، قد قتلوا هناك . وعليه فإن المتهمين والشهود فى محكمة نورمبرج العسكرية واجهوا موقفا مشابها لذلك الموقف الذى واجهه المتهمون والشهود من قبل فيما عدا أن الأمركان قد وضع فى الصيغة الرسمية فمن المعروف أنه كان على رجال الادعاء أن يعيدوا لفت انتباه القضاء إلى هذا الاكراه القانونى كلما لاحت هناك بادرة من بوادر تجاهله .

وسوف نضع موضع الاهتمام بنوع خاص قضيتين اثنتين . فالمدعى عليه بوهل لم ينكر ، بطبيعة الحال ، برنامج الابادة ، ولكنه بإنكاره تورطه شخصيا على اعمال الابادة استفاد من حقيقة أن اتهامات الحلفاء كانت وجهة بطبيعة الحال إلى أساليب الجستابو وقوات الأمن التى لم تكن ضمن اختصاص بوهل بوصفه رئيسا للمكتب الاقتصادى والادارى الرئيسى بل ان الاقرار الكتابى الذى وقعه هوس ، وكذلك شهادته أمام المحكمة تؤيد أنه صراحة فى هذا الوضع . وبالرغم من كل شىء فمن الذى سمع عن المكتب الاقتصادى والادارى الرئيسى ؟ ومع ذلك ، فقد أعدم بوهل شنقا .

وتنطوى شهادة موينخ ، وهو طبيب فى أوشفيتز على قدر من الأهمية ، وقد ظهر كشاهد نفى فى محاكمة شركة فاربن للمطاط الصناعى بعد أن كانت احدى المحاكم البولندية قد برأته . وهو الشاهد الذى سأله محامى الادعاء مينسكوف عن المنشورات التى أسقطتها طائرات الحلفاء فوق أوشفيتز وقد شهد موينخ بأنه فى الوقت الذى علم فيه بوجود أعمال الابادة أثناء وجوده فى أوشفيتز أنه قد شاهد القتل بالغاز ، فإن الناس خارج منطقة أوشفيتز ، أى فى المانيا لم يكونوا على علم بها . وبأن الموضوع كان مرتبا » بصورة بارعة حتى

ان الشخص الذى كان يزور مصنعا فى أوشفيتز مرتين أو ثلاث مرات فى السنة لمدة يوم أو يومين ما كان يتسنى له أن يعلم بأمر الابادة . وحسب هذا الكلام فإن كل المتهمين تقريبا كانوا من تلك الفئة التى لم يكن بوسعها أن تعرف بوجود برنامج للابادة ، ولكنه لم يتوقف عند هذا الحد بل زعم كذلك أنه بينما كان كل رجال الأمن والمسجونين على علم بأعمال الابادة فإنهم لم يكونوا يتحدثون عنها مع المدنيين خوفا من العقاب . وعلى سبيل المثال فإن فاوست المهندس بمصنع فارين الذى عرفه موينخ جيدا كما عرف أوشفيتز . لم يكن يعلم بأمر أعمال الابادة ، وأبدى موينخ ملاحظته عدة مرات أيضا بأن كل ما كان بوسع الإنسان أن يدركه عن أعمال الابادة ، هو رائحة احراق جثث الموتى التى كانت تفوح فى كل مكان . ولم يكلف أحد من خبراء الهندسة الكيميائية فى تلك المحاكمة نفسه عناء الإشارة إلى أن الصناعات الكيماوية فى المنطقة كانت هى الأخرى تخلق شيئا من الرائحة . وثمة ناحية شاذة فى شهادة موينخ هى تحديده لمكان أفران حرق جثث الموتى وغرف الغاز بأنها تقع على مسافة كيلو مترا واحدا أو كيلو مترا ونصف إلى الجنوب الغربى من معسكر بيركيناو ومحجوبة فى غابة صغيرة .

فشهادة موينخ ليست الا تصوير آخر للطريقة التى كانت تصاغ بها قضايا الدفاع . فالاستراتيجية ما كانت لتقوم على مناقضة الأمور التى كانت المحاكم قد استقر قرارها عليها وإنما تقوم على سرد روايات تعفى المتهمين من المسئولية الشخصية . وهكذا فإن الدفاع كان يركز على أن برنامج الابادة كانت له ملامح من شأنها أن تعفى المتهمين المعينين من المسئولية ، ولكن من الواضح أن الزعم بأن ملامح البرنامج كانت قائمة كان معناه بالضرورة أن البرنامج ذاته كان موجودا .

والمحاكمة التالية التى تستحق البحث هى محاكمة إيخمان ويجدر بنا أن نذكر بأن أدولف ايخمان اختطف بطريقة غير مشروعة من بوينس إيريس بوساطة العملاء الاسرائيليين فى شهر مايو سنة ١٩٦٠ حيث نقلوه إلى إسرائيل ليكون ضحية « محاكمة » لم يسبق لها مثيل من حيث عدم مشروعيتها حيث أن الدولة التى أجرت المحاكمة لم تكن حتى قائمة وقت وقوع الجرائم المدعى بها ، وقد بدأت الاجراءات غير المشروعة فى قاعة المحكمة بالقدس فى ١١ من ابريل سنة ١٩٦١ ، ونطقت المحكمة اليهودية بحكم الاعدام عليه فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٦١ ، ونفذت فيه جريمة القتل فى ٣١ من مايو سنة ١٩٦٢ .

ولكى نفهم استراتيجية دفاع ايخمان ينبغى علينا أن ننظر إلى موقفه قبل المحاكمة كما يراه

محاميه . أن هذا الموقف هو أساسا موقف سياسي ينطوى على تصميم إسرائيلي بتقديم محاكمة مسرحية . وكانت إسرائيل باعتقالها ايخمان قد اعتدت على سيادة الارجنتين وكان الأمل الوحيد فى التوصل إلى حكم مناسب من وجهة نظر أحد المحامين (كحكم بالسجن يخفف فيما بعد) يعتمد على قيام رأى عام عالمي يشجع اسرائيل على أن تخفف من غلوائها بلا قوام على بادرة من بوادر الشهادة وسماحة التفكير ، وكانت امكانية التوصل إلى مثل هذه النتيجة تتوقف على التقدم بدفاع يكون قبوله – فى جوهرة – من جانب محكمة القدس داخل إطار الممكنات السياسية . وهكذا ، فكما حدث بالنسبة للمدعى عليهم فى محاكمات نورمبرج فإن نفى وجود برنامج للابادة لم يكن موضوع بحث باعتباره استراتيجية دفاعية ، وبناء على ذلك ، وكما حدث فى نورمبرج أيضا ، كان الدفاع الممكن الوحيد أمام ايخمان هو أن ينفى المسئولية الشخصية .

ولقد سلم ايخمان بوجود برنامج للابادة ، وقبل كلا الجانبين الطبعة الأولى من كتاب رايتلنجر على اعتبار أنه يصور على وجه التقريب ما حدث . وهكذا فإن دفاع ايخمان قد بنى فى أساسه على أنه انما نظم عمليات ترحيل اليهود وليس أكثر من ذلك ، امتثالا لأوامر لم يكن بالاستطاعة عصيانها . ولقد نجح دفاعه نجاحا جزئيا فى إحدى جوانبه لأن الصورة (الدقيقة) التى رسمها لنفسه بأنه مجرد (ترس فى ماكينة) لاقت تقريبا تقبلا عاما من جانب أولئك الذين درسوا وكتبوا عن محاكمته (ومثال ذلك كتاب حنا أريندت) .

لكن إيخمان نفخ نفسه ، عملا ، إلى درجة أكبر قليلا من وضع « الترس » لأنه سمة ثانوية من شهادته هى الادعاء بأنه فعل كل ما يمكن لشخص يشغل منصبا صغيرا مثله أن يفعل لكى يخرب برنامج الابادة ، وكان من الواضح أن تفسيره لكثير من الوثائق التى استخدمت فى المحاكمة كان متكلفا فى هذا الاتجاه ، ومن الامثلة التى توضح ذلك بصورة طيبة تعليقاته على وثيقتين بالذات . والوثيقة الأولى منها عبارة عن شكوى لقائد معسكر توطين المهجرين فى لودز مؤرخة ٢٤ من سبتمبر سنة ١٩٤١ ويشكو فيها من شدة الازدحام فى المعسكر نظرا للافواج الضخمة من اليهود التى كانت تتدفق على المعسكر ويقول فيها – (وهم الان يواجهوننى بالأمر الواقع ، كما هو حادث ، وهو على أن استوعب عشرين ألف يهودى فى الفيتو فى أقصر مدة ممكنة ، وأكثر من ذلك على أن استوعب خمسة آلاف غجرى » والخطاب موجه إلى رئيسه المحلى والوثيقة الثانية هى خطاب من ذلك الرئيس المحلى بتاريخ ٩ من أكتوبر سنة ١٩٤١ يحول فيه الشكوى إلى برلين مضيف إليها أن ايخمان

قد تصرف « مثل تاجر الخيول » بإرساله اليهود المرحلين إلى لودز لأن هذا الترحيل ، وعلى عكس ما يقول إيخمان ، لم يكن قد تمت الموافقة عليه ومؤدى شهادة ايخمان فى القدس بالنسبة لما تبين الوثيقتين هو أن هاتين الشكويين ما يبررهما لأنه فى الواقع قد نقل اليهود إلى لودز دون تفويض ، وادعى أن هدفه أو الباعث له على ذلك يكمن فى حقيقة أنه كان يوجد مكانان اثنان لا ثالث لهما كان بوسعه أن ينقل اليهود إليهما ، هما الشرق (حيث كان من المفروض أن ينقلهم إليه على حسب روايته) أو لودز بيد أنه ، كما يقول كانت هناك عمليات ابادة تجرى فى الشرق فى ذلك الوقت ، فى حين لم يكن هناك شيء من ذلك فى لودز ، ولما كان يعارض معارضة شديدة لأعمال الابادة ويعمل كل ما يمكن أن تسمح به وظيفته الصغيرة للحيلولة دون تنفيذ هذه العمليات فإنه قام بشحن اليهود إلى لودز على الرغم من عدم كفاية الاستعدادات هناك .

وهذه السمة من سمات استراتيجية دفاع ايخمان توضحها أيضا شهادته بالنسبة للمقترحات التى قدمت سنة ١٩٤٤ بمبادلة « شاحنات مقابل يهود المجر » . فقد حاول بطبيعة الحال أن يظهر الجهود من الجانب الألمانى لابرام الصفقة بأنه يعزى إلى قوة مبادرة بدرجة كبيرة بدفعه إلى ذلك – مرة أخرى ، رغبته فى انقاذ اليهود .

وجدير بالذكر أن الاتجاه الرئيسى للاستجواب الدقيق لايخمان لم يعالج بطريقة مباشرة الاحداث التى وقعت أثناء الحرب وإنما كان جل اهتمام الادعاء هو تقييد أيخمان ، فى المحكمة ، بما قد يكون ذكره للمحققين الاسرائيليين فى خلال السنة التى امضاها بالسجن قبل المحاكمة ، وعما عسى أن يكون قد قاله فى سنة ١٩٥٧ لرجل يدعى ساسن فى الارجنتين – وحسبما جاء فى شهادة ايخمان فإنه تقابل مع ساسن هذا ، وهو من رجال الأمن السابقين فى يونيس ايريس سنة ١٩٥٥ . وفى تلك الفترة كان ايخمان رجلا منسيا إلى حد كبير إلا بالنسبة لقليل من الناس . ولقد أدت العلاقة بين الرجلين آخر الأمر إلى مشروع لكتابة كتاب عن اضطهاد اليهود اثناء الحرب . وهذا الكتاب الذى كان من المقرر أن يقوم ساسن بانجازه والدعاية له ، كان سيبنى على أساس جلسات مسجلة على أشرطة توجه فيها الأسئلة ويتولى ايخمان الرد عليها . إلا أن هذا الشكل الأصلى للجلسات لم يمكن الاستمرار فيه . حسب شهادة ايخمان .

« فعندما وجهت هذه الاسئلة إلى ، كان على أن أجب من وقت لاخر بأننى لا أتذكر وانى لا أعلم ولكن من الواضح أن هذه لم تكن هى الطريقة السليمة لوضع كتاب وتم

الاتفاق بعد ذلك على أنه ليس مهما فى الحقيقة ما أتذكره وأن الشيء الهام هو وصف الحوادث كما وقعت ، ثم تكلمنا عن الخروج على الأشكال التقليدية فى التأليف ، وعن الترخيص للصحفيين والمؤلفين ، الذى كان سيخول لنا حق وصف الأحداث – وحتى لو لم أتذكر بعض التفاصيل فإن الجوهر الذى يتبقى يكون وصفا للاحداث كما وقعت وهذا هو فى الحقيقة ما تم تسجيله فى اخر الأمر .

« ولقد طلب منى ساسن أن أذكر شيئا عن كل نقطة حتى يمكننا جمع القدر الضرورى .

. . ثم اتفق أيضا على أن ساسن هو الذى سيقوم بصياغة كل شيء بعد ذلك فى صورة كتاب وعلى أننا سنكون شركاء فى تأليف الكتاب » . .

ولقد ظهرت المادة التى أعدها ساسن بعد ذلك فى خريف سنة ١٩٦٠ بمجلة لايف ، ولهذا فإنه من الواضح أن جلسات ساسن مع ايخمان كان الهدف منها أساسا هو انتاج كتاب قابل للتسويق ومتميز عن الكتاب التاريخى . ومن الواضح أن ايخمان عمل على الحصول على حصة فى الأرباح غير أن شهادته لا تلقى أى ضوء على التوقعات المالية التى حققها ايخمان وساسن .

ثم نقل ساسن بعضا من المادة المسجلة على الاشرطة إلى مادة منسوخة على الآلة الكاتبة . وأضاف ايخمان تعليقات وتعديلات فى هوامش بعض الصفحات بخط يدى . كما ألف ٨٣ صفحة كاملة من التعليقات المكتوبة بخط اليد . وبعد ظهور مقالات مجلة لايف حصل الادعاء على المادة من ساسن ، أى على نسخة بالتصوير الفرتوغرافى لوثيقة من ٣٠٠ صفحة منسوخة على الالة الكاتبة وعليها تعليقات على الهامش بخط يد ايخمان على مايبدو ، يدعى أنها نسخة من اثنين وستين جلسة من الجلسات التى بلغت فى مجموعها سبع وستون جلسة « مسجلة على الشرائط كما حصل الادعاء على نسخة بالتصوير الفوتوغرافى لما قيل عنه أنه الوثيقة المكونة من ثلاث وثمانين صفحة بخط يد ايخمان . ومن الواضح أنه لم يمكن الحصول على الوثائق الاصلية ، مما يثير امكانية التلاعب والاعداد وبخاصة بالنسبة للوثيقة المؤلفة من ٣٠٠ صفحة . وفيما يتعلق بالاشرطة الأصلية فإن المدعى عقب قائلا :

« اننا لا نعلم شيئا عن الاشرطة ذاتها ، وأنا لا أعلم ما إذا كان الاشخاص الذين شاركوا فى هذه المحادثة قد احتفظوا بالشريط أو ما إذا كان الشريط قد مسح وأعيد استخدامه لتسجيلات أخرى .

ولقد تحدى الدفاع دقة الوثائق . وادعى أن معظم التعديلات الموجودة على الهوامش لم تكن تتضمنها الوثيقة بل انه ذهب إلى حد الادعاء بأنه إذا أمكن احضار ساسن نفسه إلى المحكمة للشهادة لا مكن إثبات أنه :

« قد غير وبدل وحرف ما قاله المتهم بما يتفق وأهدافه الشخصية وأنه اراد اخراج كتاب للدعاية ، وهذا يمكن اثباته وكيف أن الكلمات قد حرفت » .

غير أن الادعاء أكد للمحكمة أنه إذا ما حضر ساسن إلى اسرائيل فإنه سيقدم للمحاكمة بسبب عضويته فى قوات الأمن النازية .

ولقد قررت المحكمة قبول الصور الفوتوغرافية للثلاثة والثمانين صفحة المكتوبة بخط يد ايخمان ، ولكن الادعاء الذى تبين له اثناء بقية المحاكمة أنه لا يوجد من الناحية الفعلية فى الثلاث والثمانين صفحة ما يمكن أن يستخدمه اتجه إلى مسعى اخر فى وقت متأخر جدا من المحاكمة ، واستطاع التوصل اخر الامر إلى أن تقبل المحكمة «كدليل» تلك المقتطفات المأخوذة عن الوثيقة المكتوبة بالآلة الكاتبة والتى تحمل تعديلات بخط اليد . وكانت مجلة لايف التى يبدو أنها تسلمت المادة ذاتها من ساسن تعتبرها فى مجموعها وثيقة أصلية بلا جدال .

وننهى هذه المناقشة القصيرة لمحاكمة ايخمان بذكر ما قاله ايخمان ردا على الزعم الذى أحيط بدعاية على نطاق واسع من أنه أعلن عند نهاية الحرب انه سوف « يقفز فى سرور إلى القبر» لمعرفته بأن خمسة أو ستة ملايين يهودى قد قتلوا . فقد شهد ايخمان بأنه ابدى مثل هذه الملاحظة القاسية فى الحقيقة لهيئة موظفيه عن نهاية الحرب ولكن خمسة الملايين القتلى ليسوا « يهودا » ولكنهم « أعداء للرايخ » ، أى من جنود الاعداء وبالأخص من الروس . فاستراتجية دفاعه العامه وان لم تستلزم تفنيد الحقيقة العامه لبرنامج الابادة إلا أنه أصر على القول بأنه ليس فى وضع يسمح له بأن يعرف حتى العدد التقريبى لليهود الذين قتلوا وأن كل ما هو منسوب إليه من ملاحظات فى هذا الصدد كالاقرار الكتابى الذى وقعه هوتل) انما نسب إليه كذبا .

وأما المحاكمات التى أجريت بألمانيا الغربية فى الستينات فلا تكاد تستحق الذكر ، ثم إنها أكثر صعوبة بعض الشىء فى دراستها بسبب عدم شهرة المتهمين الذين تناولتهم المحاكمات . وأكثر هذه المحاكمات شهرة هى « محاكمة أوشفيتز» بطبيعة الحال ، التى

استمرت من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٥ . وربما كان من الممكن ذكر كلمات قليلة .

لقد أجريت مجموعة محاكمات جرائم الحرب ، ومن ابرزها محاكمة أوشفيتز ، لأسباب سياسية فى أعقاب الدعاية الهستيرية التى أحاطت . باعتقال ايخمان . وكان ريتشارد باير خليفة هوس واخرَ قائد لأوشفيتز من أوائل الضحايا ، وكان قد اعتقل فى العشرين من ديسمبر ١٩٦٠ بالقرب من هامبورج حيث كان يعمل فى حمل الأخشاب ، فسجن واستجوب فى السجن فأصر على القول بأن غرف الغاز فى أوشفيتز ما هى الا اسطورة خرافية . ولسوء الحظ أنه لم يظل على قيد الحياة حتى يتخذ ذلك الموقف فى المحكمة لأنه مات فى السجن فى ١٧ يونيه ١٩٦٣ وقد بلغ الحادية والخمسين من عمره لاختلال الدورة الدموية على ما يبدو ، وإن كانت زوجته قد اعتبرت وفاته يشوبها الغموض .

وحينما افتتحت المحاكمة آخر الأمر بفرانكفورت فى شهر ديسمبر سنة ١٩٦٣ كان روبرت مولكا وهو ضابط سابق برتبة كابتن فى قوات الأمن النازية هو المتهم الأول . وكان لفترة قصيرة كمعادن لهوس فى أوشفيتز وحوكم بواسطة محكمة ألمانية وصدر الحكم عليه فى أعقاب الحرب مباشرة بسبب دورة فى أوشفيتز ، وثمة عدد قليل تماما من المتهمين الآخرين وعددهم واحد وعشرين متهما فى محاكمة أوشفيتز كانوا يمثلون أمام المحكمة للمرة الثانية لمحاكمتهم عن التهم ذاتها بصفة اساسيه .

ولم تتجاهل المحكمة المسائل القانونية بطبيعةى الحال تجاهلا تاما . وتحملت العناء لكى توضح أن حكومة بون تعتبر نفسها خليفة الرايخ الثالث وعلى ذلك فهى مختصة بمحاكمة الاشخاص الذين انتهكوا القوانين التى كانت سارية المفعول بألمانيا أثناء الحرب وبطبيعة الحال فإن قتل اليهود كان غير مشروع فى المانيا النازية ، وعلى ذلك فإن أغلبية المتهمين قد وجهت التهم بهذا الصدد . وفيما يتعلق بمدى اتفاق مثل هذه المحاكمة مع العقل فليس أفضل من أن تستشهد برأى محكمة فرانكفورت نفسها :

على أن الحكم بالذنب قد جابه المحكمة بمشكلات شائكة بصورة غير عادية .

فباستثناء عدد قليل من الوثائق التى ليست لها قيمة تذكر فانه لم يتيسر للمحكمة سوى شهادات الشهود على وجه التقريب لتفسير افعال المتهمين ، وانها لتجربة فى علم الإجرام ألا تكون شهادة الشهود من بين أفضل الادلة . بل أن الوضع يكون أسوأ إذا كانت شهادة الشاهد تنصب على حادثة شوهدت منذ عشرين سنة أو أكثر فى ظل ظروف من الحزن والالم الذى لا يوصف . وحتى الشاهد المثالى الذى لا يريد الا أن يقول الحقيقة ويبذل

مجهودا فائقا ليقدح زناد ذاكرته يكون عرضه لوجود ثغرات كثيرة فى ذاكرته بعد مرور عشرين عاما ، فهو يخاطر بأن ينسب للاخرين أشياء مارسها هو شخصيا فى واقع الأمر وبأن ينسب إلى نفسه شخصيا أشياء رواها له آخرون فى هذه الظروف الرهيبة وبهذه الطريقة فإنه يخاطر بالخلط بين أوقات وأماكن التجارب التى مر بها .

ومن المؤكد أنه كان مطلبا غير معقول بالنسبة للشهود أن تستجوبهم اليوم فى شأن كل تفاصيل تجاربهم .

فنحن نطلب منهم أكثر مما فى طاقتهم إذا كنا لا نزال نرغب ، اليوم وبعد مرور عشرين سنة ، فى أن تعرف منهم وبالتفصيل متى ، وأين ، وكيف ، ومن فعل كذا . وعلى هذا الأساس فإن الشهود كانوا يعربون عن دهشتهم مرارا لأننا كنا نطلب منهم أن يفسروا لنا من جديد وبدقة احداث الماضى . ومن الواضح أنه كان من واجب الدفاع أن يسأل عن تلك التفاصيل . وليس من العدل أن نلصق بالدفاع تهمة أنه كان يرغب فى أن يظهر الشهود بمظهر مضحك ، بل على العكس علينا أن نتذكر حجم التفاصيل الكثيرة التى تجمع فى محاكمة جريمة قتل فى أيامنا هذه – وكيف أن التفاصيل بالغة الدقة للاحداث الحقيقية لحظة القتل توضع إلى جانب بعضها البعض الاخر . ويكون فى متناول المحكمة لكى تجرى مداولاتها فى المقام الأول الجثة ونتيجة تشريح الجثة وآراء الخبراء المختصين عن أسباب الوفاة وتحديد اليوم الذى وقعت فيه الجريمة وكيفية حدوث الوفاة ويكون فى متناولها أيضا سلاح القتل والبصمات للتعرف على الجانى ، وهناك آثار الاقدام التى خلفها وراءه عندما داخل منزل القتيل وتفاصيل أخرى كثيرة مما يقيم الدليل القاطع لدى المحكمة على أن هذا الشخص قد قيل بوساطة شخص محدد ارتكب الجريمة . وكل هذا لم يكن موجودا فى هذه المحاكمة ، فلا يوجد لدينا دليل قاطع على جرائم قتل بذاتها ، ولا يوجد لدينا غير شهادة الشهود ، ومع ذلك فأحيانا لم تكن تلك الشهادات محددة ودقيقة بالصورة المطلوبة فى محاكمة قتل فإذا كان الشهود قد سئلوا ، لذلك ، فى أى سنة أو فى أى شهر حدث فعل معين فلإن ذلك كان لازما تماما لتقرير الحقيقة . وهذه التواريخ كانت تقدم إلى المحكمة أحيانا الدليل الوحيد بهدف تقرير ما إذا كانت الحادثة التى يرويها الشاهد قد حدثت فى الواقع كما رواها أو أنه قد ارتكب خطأ وخلط بين الضحايا وطبيعى أن المحكمة كانت منتبهة إلا أن ذلك يشكل عبئا غير عادى على عاتق الشهود بالنظر إلى حالة المعسكرات حيث لانتائج على الحائط ولا ساعات ولا حتى وسائل بدائية لحفظ التسجيلات كانت

موجودة ، لكى تطلب منهم أن يقصوا كل التفاصيل التى مروا بها فى ذلك الوقت . ومع ذلك ، فقد كان على المحكمة أن تكون قادرة طبقا لما يتطلبه قانون العقوبات أن تقرر ما إذا كان مدعى عليه بذاته قد ارتكب حقيقة جريمة حقيقية ومتى واين ارتكبت هذه الجريمة .

ولقد كانت هذه محاكمة جنائية عادية أيا ما كان الاساس . ولم يكن بوسع المحكمة الا أن تقضى بالحكم وفقا للقوانين التى أقسمت على طاعتها ، وهذه القوانين تتطلب الحكم الدقيق بأن متهما ما مذنب من الناحيتين الموضوعية والشخصية . وتكبيد الشهود تلك المشقة البالغة يظهر إلى أى مدى تبلغ الصعوبة فى التحقيق من الأحداث واعادة تصويرها بعد عشرين سنة . ولقد سمعنا شهودا بدأ للمحكمة فى بادئ الأمر أنهم من الموثوق بهم حتى أننا أصدرنا أوامر بالاعتقال بناء على ما أدلو به ، ولكن ما لبث أن تكشف لنا الأمر من خلال البحث المضنى ساعات طوال أن ما أدلوا به لم يكن سليما على الإطلاق ولا يتفق اتفاقا مطلقا والحقيقة الموضوعية . ولهذا الغرض فإنه كان لزما التحقق من أوقات معينة وأن نعاود بحث الوثائق لنرى ما إذا كان المتهم الذى اتهمه الشاهد كان فى معسكر أوشفيتز أصلا فى الوقت الذى يدور حوله البحث وما إذا كان فى امكانه أن يرتكب الجريمة هناك أو أن الشاهد ربما يكون قد اسقط الجريمة على شخص ليس هو الشخص الحقيقى .

وبالنظر إلى نقطة الضعف المتمثلة فى شهادة الشهود – وأنا أتكلم فقط عن الشهود الذين أقسموا اليمين القانونية والذين كانت المحكمة على ثقة من أنهم يبغون وجه الحقيقة الشخصية والموضوعية ، فإن المحكمة كانت مضطرة لأن تفحص شهادات الشاهد . فمنذ أسابيع قليلة قرأنا فى الصحف أن أحد العاملين بمعسكر اعتقال بوخن فالد كان قد أدين بتهمة قتل أحد نزلاء السجن الذى اتضح اليوم أنه حى يرزق ولم يقتل بكل تأكيد . فمثل هذه الأمثلة يجب أن تجعلنا نفكر ، لأن هذه الحالات التى يقع فيها القضاء العدالة ليس من شأنها دعم احترام القانون . واستنادا إلى هذه الأسباب فإن المحكمة قد تجنبت ما يمكن أن يوحى ولو من بعيد جدا ، بأنه حكم متعجل وبحثت كشهادة كل شاهد على حدة بكل عناية وبمنتهى الحرص وبالتالى فإنها عاجزة عن التوصل إلى أحكام بالادانة بخصوص قائمة كاملة من الاتهامات بما أنه لم يمكنها التوصل إلى أسباب سليمة تبنى عليها مثل هذه الاحكام . كما أن امكانيات التحقيق من بيانات الشهود كانت محدودة للغاية فقد محيت كل آثار الأفعال المشكلة للجرائم ، واحرقت الوثائق التى كان من الممكن أن تزود المحكمة بمعونة صادقة .

وعلى الرغم من أن هذه الاعترافات من جانب محكمة فرانكفورت ينبغى أن تكون حاسمة فى تكوين رأى الإنسان عن مثل هذه المحاكمات ، الا أننا يجب أن نضيف أن المحكمة صورت حقائق الموقف تصويرا أقل مما ينبغى فالغالبية العظمى من الشهود كانوا مواطنين من دول الكتلة السوفييتية بكل ما تنطوى عليه مثل هذه الحقيقة بالنسبة لشهاداتهم . ولقد شكلت المحكمة من أن « شهادة هذا الشاهد لم تكن بالقدر المطلوب من الدقة والتحديد ولكن على المرء أن يلاحظ أنه جرت محاولة أكيدة لتنظيم ذكريات الشهود على نحو ملائم ، لأن لجنة أوشفيتز الدولية كانت قد اقامت مقرها فى فرانكفورت ومن هناك أصدرت « منشورات إعلامية » عن الأمور المريعة التى حدثت فى أوشفيتز ، وأتيح للشهود الحصول على هذه المنشورات وقراءتها قبل الادلاء بشهاداتهم ، وكان ثمة نشرة أخرى تتداول وهى نشرة لجنة المعسكرات . وكان أشخاص آخرون مثل عمدة فرانكفورت يتقدمون بمقترحات إلى الشهود على درجات متفاوتة من الصراحة والخبث .

وامتدت المهزلة كذلك إلى المسائل بحثتها المحكمة على قوى المحاكمة الطويلة وإلى الاحكام التى صدرت . ومثال ذلك أن مولكا الذى تبين للمحكمة أنه مذنب من حيث إنه الرجل الثانى فى ادارة معسكر الإبادة الكبير ، وبأنه أمر باستخدام مادة السيكلون ب فى مناسبة واحدة على الأقل ، وبأنه كان مكلفا بالاشراف على مجموعة السيارات التى كانت تنقل المحكوم عليهم ، وبأنه عالج بعض الأمور الكتابية المتعلقة بعمليات النقل ، وبأنه اشترك فى إنشاء أفران حرق الجثث ، حكم عليه بالاشغال الشاقة لمدة ١٤ سنة ولكنه أطلق سراحه بعد مرور أقل من أربعة أشهر على أساس أن صحته معتلة . وكذلك فإن المدعى عليه الكابتن فرانز هوفمان الضابط السابق بقوات الأمن النازية والذى كان مكلفا بالإشراف على أوشفيتز رقم ١ حكم عليه بالسجن مدى الحياة ، لا لشىء سوى أنه ، وعلى الرغم من أنه وجد مذنبا فيما يتصل باعمال الابادة ، قد حوكم بتهمة أنه قذف أحد المسجونين بزجاجة فمات بعد ذلك بسبب الجرح الذى أحدثته برأسه . ومن الواضح أن هذه الحادثة كان لها أثر على المحكمة أكبر من القتل الجماعى ، وهو ما لا يثير الدهشة حيث كان من الممكن الاعتراف بوضوح بحادثة الزجاجة باعتبارها من الأمور التى تقع عادة فى مؤسسات تنفيذ العقوبة وعلى الرغم من صدور حكم على هوفمان بالسجن المؤبد الا أنه أخلى سبيله بعد ذلك بفترة قصيرة بسبب اعتقاله مددا سابقة .

وإذا أردنا أن نحدد سوابق لمحاكمات جرائم الحرب فإننا لا نجد أوجه مقارنة مرضية

الا فى محاكمات السحرة والعرافين بأوربا فى عصورها الماضية ، ويمكن أهم وجه للشبه فى أن المتهمين فى محاكمات السحر كثيرا ما كانوا يجدون أنه من الملائم بالنسبة لهم فى الظروف التى يواجهونها أن يوافقوا على الاتهامات الموجهة اليوم إلى حد ما . وفى الحقيقة فانه فى حالات كثيرة كان الاعتراف الجزئى يمثل الاستراتيجية الوحيدة الممكنة للمحاكمة . فلم يكن بوسع الإنسان أن ينكر وجود أنواع السبت فى حد ذاته على ما قرر الناس فى أخيلتهم أنها لابد وأن تكون قد وجدت . وحينما كانت الاحكام تنفذ فى المحكوم عليهم كان المرء يشاهد :

« فوق منصة كان تقف الساحرات المحكوم عليهم ، وهن عصابة ضئيلة ، وعلى المنصة الأخرى يقف حشد المكلفين بارجاء تنفيذ الحكم ، وأما البطلة التائبة النادمة التى كان اعترافها يتلى على مسمع من الجميع فلم تكن تتوقف عند شىء مهما كان شاذا وغير محتمل . فى أيام السبت كن يلتهمن لحم الأطفال المفروم وكان اللون الثانى من الطعام هو الموتى من السحرة بعد اخراجهم من القبور ويرقص التافهون ويشكون فى غزل قسوة خليلاتهم . ويستعينون عليهم بالشيطان لكى يؤنبهن ويراقب هذا الأخير منزل الساحرات بأدب جم ، منيرا الطريق بذراع متوهجة لطفل لم يعمد ، الخ الخ » .

لقد كان الموقف يتمثل فى أنه ينبغى على المرء ارضاء نزوات وعواطف القضاة والناس ، وكانت هناك طرق لتحقيق ذلك بأن يدعى المرء أنه ساحر عراف ، وأنه بهذا مطلع على نشاط السحرة الاخرين ، عليهم بوسائل كشف أعمالهم الخ .

فوجه الشبه بين محاكمات جرائم الحرب ومحاكمات السحر والعرافة يكاد يكون تاما ، فهذه المحاكمات وتلك تشمل عددا كبيرا من الضحايا المحتملين وإمكانيات الاتهامات المضادة المتبادلة لا نهاية لها . وأهم شىء هو أن المحاكمة فى كلا الحالين تحدث فى جو من الاصطناع والهستيريا . والشخص الذى لا يكذب القائلين بأن دولة عصرية كانت تبيد جماعات كبيرة من البشر فى مركز للصناعة الكيماوية ، مستخدمة مبيدا حشريا فى ذلك وأن الرائحة النتنة المنتشرة فى ذلك المكان ترجع إلى ما صاحب عملية الابادة من احراق لجثث الموتى . إنما يشبه تماما فى القرن العشرين ذلك الشخص الذى كان يصدق ، فى القرون السابقة ، أولئك الذين كانوا يزعمون أن المصائب والنكبات سببها أناس يتحدثون مع

أشخاص تافهين ولهم علاقات بالشيطان ، الخ .

وثمة علاقة هامة أخرى بين محاكمات السحرة ومحاكمات جرائم الحرب هى أن تعذيب الشهود والمتهمين كان له دوره فى كلا الحالين . فالشهادة الملفقة فى محاكمات السحرة تفسر عادة بلغة التعذيب (على الرغم من مرجعنا السابق استخدامه يشير إلى ان الهستيريا الجماعية توجد هى الاخرى باعثا فعالا تماما) . ونحن نعلم أن بعض الناس قد عذبوا بصدد محاكمات جرائم الحرب ، ولذلك ينبغى علينا أن نبحث إلى أى حد كان التعذيب مسئولا عن الشهادة ، وبخاصة شهادة المتهمين ، تأييدا لأعمال الابادة .

إن الدليل المتاح لنا يدل على أن التعذيب كان يستخدم مرارا فى محاكمات جرائم الحرب . وقد لاحظنا فى اسهاب فى الفصل الأول ، أعمال التعذيب التى لحقت بالمتهمين الالمان فى محاكمات داخاو . وقد حدثت مناظر مشابهة كثيرا ، تمت رعاية البريطانيين ، بالنسبة إلى محاكمة بلسن ، وقد تعرض جوزيف كرامر وغيره من المتهمين للتعذيب إلى حد جعلهم يتوسلون إلى معذبيهم أن يقتلوهم ومن ناحية أخرى يبدو أن المتهمين فى محاكمات المحكمة العسكرية الدولية كانوا شخصيات بارزة جدا فحيث لا يليق تعذيبهم وذلك فيما عدا جوليوس شترايخر ، بل إنه يقال إنه قد اجبر على أنه يأكل البراز . (ولقد شكا شترايخر إلى المحكمة العسكرية الدولية من اعتداء الجنود الزنوج عليه بالضرب بعد اعتقاله ، وبناء على تدخل المدعى جاكسون حذفت هذه الشهادة من مضبطة الجلسة والا اضطرت المحكمة إلى اجراء تحقيق فى الموضوع . وكان شترايخر هو صاحب ورئيس تحرير مجلة « دير ستورمر وهى مجلة سيئة السمعة شبه اباحية لم تكن تهاجم اليهود والماسونيين ورجال الدين فحسب بل انها كانت تهاجم كبار رجال النازى فى بعض المناسبات ولقد ادعى شترايخر مرة فى دير ستورمر أن ابنة جورنج ليست من صلبه ولكنها وليدة التلقيح الصناعى . وكانت المجلة تعتبر كريهة فى رأى كل الزعماء السياسيين تقريبا فى ألمانيا ولكن شترايخر كان يتمتع بحماية هتلر من قبيل الامتنان له على أنه سلم نورمبرج للحزب النازى . وفى سنة ١٩٤٠ عمل جورنج على وقف نشاط شترايخر بصورة غير كاملة ، وإن لم تتوقف المجلة وحرم شترايخر من مركزه فى الحزب بوصفه نائبا عن نورمبرج . ولم يشغل شترايخر منصبا حكوميا قط قبل الحرب أو فى اثنائها ولذا فإن ضمه إلى الصف الأول من المتهمين أمام المحكمة العسكرية الدولية أمر يدعو إلى السخرية .

ومع أنه لم يحدث تعريض عام أو جماعى بتعذيب الشهود والمتهمين فى محاكمات محكمة

نورمبرج العسكرية إلا أننا نؤمن بأن الحقيقة التى سبق أن أشرنا إليها فى الفصل السابق ، وهى أن الادعاء فى نورمبرج لم يكن يتردد فى تعذيب الشهود حتى بالنسبة لإجراء قانونى أمريكى عادى ، إنما هو سند قوى لما نفترضه من أن التعذيب كان يستخدم بطريقة شائعة نوعا ما فى نورمبرج أو إذا شئنا مزيدا من الدقة كان التعذيب يستخدم مع الشهود والمتهمين الذين يلعبون أدوارا فى محاكمات نورمبرج .

ونحن نميل إلى الاعتقاد بأن أدورلف ايخمان لم يعذب على أيدى الإسرائيليين الذين اختطفوه ، وعلى الأقل فإنهم لم يعذبوه بقصد إكراهه على الإدلاء بشهادة معينة فى المحاكمة ، وهذا الرأى مبنى على حقيقة مجردة وهى أنه لم يشك أثناء إدلائه بشهادته فى المحاكمة من أن تعرض للتعذيب على هذا النحو على الرغم من أنه قد شكا فعلا فى بداية شهادته فى المحاكمة من أنه لقى معاملة جافة خشنة خلال الأيام القليلة التى أعقبت اعتقاله مباشرة وخاصة عندما أرغمه مختطفوه على التوقيع على بيان بأنه قد حضر إلى إسرائيل باختياره ، وهو البيان الذى كان الادعاء من الوقاحة بحيث قدمه كدليل فى المحاكمة . وعلى أية حال فإن السرية البالغة التى أحاطت بسجن إيخمان فى إسرائيل تسمح بإمكانية أن يكون قد عذب بمعنى من المعانى ولكنه كانت لديه أسباب تكتيكية أو غير تكتيكية تحول بينه واتهامهم بتعذيبه فى شهادته .

ومن المهم أن نلاحظ ، فى بحثنا لمشكلة التعذيب ، أن فعالية التعذيب فى إيجاد شهادة ذات مضمون مرغوب أمر مشكوك فيه ، ولا يمكن أن نعتقد أن سلطات الادعاء فى نورمبرج قد انتابها أى شعور بالندم من الناحية الأدبية لاستعمالها التعذيب ، ولكن الأرجح أنهم أبدوا الملاحظة الواضحة نوعا ما وهو أنه مهما عذبت شخصا فلا يمكن أن تكون متأكدا تماما مما سوف يدلى به من فوق منصة الشهود ويستثنى من هذا ما حدث فى « محاكمات موسكو » فى الثلاثينات وغيرها من المحاكمات التى يجريها الشيوعيون ، ولكن المتهمين فى مثل هذه الحالات يتعرضون دائما « لغسيل المخ » لدرجة أنهم ينهارون انهيارا تاما أمام المحكمة أثناء محاكمتهم ويندون بأنفسهم باعتبارهم أحقر المخلوقات على وجه الأرض . لكن أحدا لم يحس بمثل هذا الموقف من جانب المتهمين فى نورمبرج الذين كانوا دائما يحاولون إثبات براءتهم الشخصية ، بالرغم من ادلائهم بشهادات فيها الكثير من عدم الصدق وتنطوى على أضرار بالحكم النازى على وجه العموم .

ويجب علينا ، خلال بحثنا لمشكلة التعذيب أن نتوخى الحرص فيما يتعلق بنوعية الأسئلة

التى يمكن أن يوجهها المرء وماهية الاستنتاجات التى يمكن أن يستخلصها من الأجوبة . ومن الواضح أن هناك السؤال عما إذا كان إنسان ما قد عذب أو أنه لم يعذب ، ثم هناك السواء عما إذا كان قد شهد بأن عمليات الإبادة حقيقة من الحقائق أم أنه لم يشهد بذلك . فإذا افترضنا ان الرد على السؤالين بالإيجاب فإنه يكون استنتاجا غير متفق المقدمات أن نستنتج أن التعذيب هو سبب الشهادة بحقيقة عمليات الإبادة . ومما يدل على صدق هذا الذى نقوله أن كرامر . على الرغم من التعذيب التزم وقرر الحقيقة فى بيانه الأول ، ومن الواضح أنه لم يغير روايته إلا بعد أن أوضح له محاميه الملابسات المنطقية لإصراره على رواية ليس فى إمكان المحكمة أن تقبلها . ثم إنه إذا كان شاهد ما قد تعرض للتعذيب فقد نستنتج من ذلك ان السلطات المسئولة ليست أهلا للثقة .

ثم إن المرء يجب ألا يتسرع فى الافتراضات المتعلقة بالبواعث التى يحتمل أن تكون وراء أقدم حراس السجن فى نورمبرج على استخدام التعذيب ، فليس من الضرورى أن تكون هذه الدوافع إرغام ضحية التعذيب على الإدلاء بشهادة محددة . وقد تكون نتيجة لتفكير وتدبر . وربما يكون التعذيب قد استخدم بقصد الإحساس بالمتعة فحسب ، حيث إن اليهود المكلفين بالمتهمين كانوا يكرهون ضحاياهم من الألمان وربما يكون التعذيب قد استخدم على أساس الملاحظة العابرة وحدها بأنه وإن لم يكن من المؤكد أن يكون مفيدا ، فإنه أيضا لا يمكن أن يضر بالأمور طالما ظلت اجراءات المحاكمة سرية بدرجة ملائمة .

وثمة واقع ثالث محتمل أكثر ذكاء وهو أن التعذيب ، وإن كان قليل الفائدة فى الوصول إلى شهادة محددة إلا أنه يمكن أن يكون مفيدا بمعنى أقل تحديدا وأكثر عمومية . لأنه إذا هددنى المحقق يستجوبنى بأنه سيتخذ اجراءات ضد أسرتى إذا لم أتعاون معه فإننى قد اتشكك فى تهديده لى على أساس أننى لا أرى دليلا على أنه يملك السلطة الضرورية ، أو القسوة اللازمة أو كليهما . ولكنها . ولكنه إذا سجننى لمدة سنة أو أكثر ، وعذبنى كلما أراد ، فإننى أصدق آخر الأمر بأنه ذو سلطة وقاسى القلب معا . وهكذا فإننا نرى أن التعذيب ، وإن كان غير كاف فى حد ذاته فى الحقيقة لكى ينتج عنه ذلك النوع من الشهادة الذى قدم فى نورمبرج إلا أنه من الممكن تماما أن يكون قد استخدم لترويض الشهود والمتهمين مما يساعد فى عملية الإكراه والتخويف فى نقاط أخرى .

وثمة قليل من العناصر المعقدة التى يجدر بنا أن نذكرها أيضا وأولها أن التعذيب الجسمانى غير محدد تحديدا كاملا . فمن الممكن أن يدعى المرء أن السجن لمدة طويلة وفى

ظروف غير صحية ، أو حتى مجرد ظروف غير مريحة ، مع الاستجواب يوميا بشكل من أشكال التعذيب وثمة عنصر آخر هو أن هناك أساليب تعذيب ، جنسية أساسا أو تتصل بالجنس مما لا سبيل إلى معرفته لأن الضحايا لن يذكروا عنها شيئا . وأخيرا فإنه يجب أن نلاحظ أنه من أحدمنا ، على وجه التقريب ، وليس مؤلف هذا الكتاب بكل تأكيد ، قد عانى أبدا من التعذيب على أيدى أناس محترفين عقدوا العزم على بلوغ هدف محدد ، وعلى ذلك فإننا قد نتشكك ، بكل صراحة فى أننا لا نعلم ببساطة ما الذى نتحدث عنه حينما نناقش إمكانيات التعذيب .

فالنتيجة الأساسية التى نستخلصها بصدد مشكلة التعذيب هى أنها تنطوى على شىء يصعب وزنه بدقة . فنحن نعتقد بأنه من المحتمل أن يكون التعذيب قد استخدم لجعل الضحايا أسلس قيادا بوجه عام لكى تسير شهادتهم فى اتجاهات يمكن التكهن بأن دوافعها اعتبارات أخرى غير التعذيب ، ولقد حللنا شهادة الشهود والمتهمين فى الصفحات السابقة من هذا الفصل على هذا الأساس ، فأثار التعذيب والخوف من التعذيب ، لا تفسر فى حد ذاتها الشهادة التى تؤيد وجود عمليات الإبادة . وعلى ذلك ، فإننا نميل إلى أن نختلف مع كثير مما كتب فى هذا المجال والذى يبدو أنه يقيم وزنا أكثر مما ينبغى لفعالية التعذيب وحده فى نورمبرج وإن كنا نسلم بأن تحليلنا لهذا الموضوع الصعب ليس حاسما . وتراودنا شكوك مماثلة فى أن الكتاب الذين كتبوا عن محاكمات السحرة قد قفزوا أيضا إلى نتائج غير سليمة على أساس حقيقتين لا تقبلان الجدل . أولاهما ، أن الضحايا فى محاكمات السحرة كانوا يتعرضون للتعذيب والحقيقة الثانية هو أن كثيرا من أولئك الناس شهدوا بعد ذلك بوقوع أشياء مستحيلة ، والأمر الأول ليس سببا فى الحقيقة للأمر الثانى ولكنه يمكن أن يكون عاملا مساعدا عندما تضاف آثاره إلى الدوافع الأكثر وزنا والتى تحدوهم إلى الإدلاء بأنواع معينة من الشهادة الزائفة .

ولسوف نعود فى الوقت المناسب إلى بعض البيانات التى القيت فى المحاكمات حيث يجب أن نذكر ملاحظات قليلة ، قيل إنه جرت على لسان كبار النازيين . ففى ١٧ من أبريل ١٩٤٣ قابل هتلر الادميرال هورتى فى قلعة كليشهايم وانتقد هتلر سياسة هورتى تجاه اليهود والتى تتسم باللين وشرح له ، فيما يقال ، أن الأمور مختلفة فى بولندا :

« هناك إذا لم يكن اليهود يرغبون فى العمل كانوا يعدمون رميا بالرصاص ، وإذا لم يكن فى استطاعتهم أن يعملوا كان يتحتم أن يعاملوا

معاملة بكتيريا السل التى يمكن أن يتعرض لعدواها الجسم السليم ، وليس فى هذا شىء من القسوة إذا تذكرنا أن الكائنات الحية البريئة كالأرانب البرية والغزال ، يتعين قتلها إذا ما أصيب بمرض معد تجنبا لأضرارها » .

والدليل على أن هتلر قال هذا الكلام هو المحضر الرسمى المزعوم للاجتماع وشهادة الدكتور بول أوتو شميدت مترجم هتلر المؤيدة لهذا الكلام فى المحكمة العسكرية الدولية ، وهو الذى كان يحضر عادة مثل هذه المؤتمرات ويعد محاضرها الرسمية . فقد شهد شميدت بأنه حضر الاجتماع وبأن محضر الاجتماع محضر أصيل وأنه هو الذى أعده . إلا أنه اعترف فى الكتاب الذى أصدره بعد ذلك بأنه لم يحضر الاجتماع لأن هوردتى أصر على أن يغادر غرفة الاجتماع .

ويوجد كذلك بيان فى وصية هتلر السياسية :

« ولقد أوضحت كذلك تمام الإيضاح أنه إذا كانت شعوب أوروبا سوف ينظر إليها مرة أخرى باعتبارها مجرد أداة فى لعبة المؤامرة الدولية للنقود والتمويل ، فإنهم — اليهود — هم الجنس الذى يعتبر الطرف الحقيقى المذنب فى هذا الصراع القاتل ، سيكونون مسئولين عن ذلك .

وإننى لم أدع مجالا للشك لدى أى إنسان فى هذه المرة فى أن الملايين من البالغين لن يلقوا حتفهم فحسب ، وفى أن مئات الآلاف من النساء والأطفال لن يحرقوا ويموتوا بإلقاء القنابل عليهم فى المدن فحسب وإنما سيكون على المجرمين الحقيقيين أن يدفعوا أيضا جريمتهم ولو بوسائل أكثر إنسانية من الحرب .

وكثيرا ما يفسر هذا البيان بأنه اعتراف بأعمال الإبادة غير أن معناه غامض على الأقل . ومع ذلك فإن دفع الثمن الذى تحدث عنه كان « بوسائل أكثر إنسانية من الحرب » . فاليهود الذين كانوا تحت سلطان هتلر فقدوا ممتلكاتهم ومراكزهم فى أوروبا ، وهذه الحقيقة تمثل التفسير السليم . ففقدان الممتلكات والمراكز ربما بدا وسيلة غير كافية — لدرجة تثير الشفقة — لدفع الثمن من الأحداث التى اتهم بها اليهود ، ولكن من المعلوم جيدا أن كل رجال السياسة يميلون — قبل أن ينزلوا عن مسرح الحياة العامة إلى المبالغة فى مغزى أفعالهم .

ومن الممكن أيضا أن يكون قد تم التلاعب فى نص الوصية ، حيث إن اكتشافها على

أيدى السلطات البريطانية والأمريكية لم يعلن عنه إلا فى ٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٤٥ وبما أن الصفحة الأخيرة وحدها هى التى تحمل التوقيع عليها . ولم يكن إحداث تغيير لا يمكن اكتشافه فى النص ليستلزم سوى الآلة الكاتبة وأدوات الكتابة التى كان يستخدمها سكرتير هتلر .

وهناك خطاب زعم أن هيملر ألقاه فى بوزن فى شهر أكتوبر ١٩٤٣ . وفيما يلى ترجمة للجزء المتصل بالموضوع حسبما ورد فى مجلدات محكمة نورمبرج العسكرية مع النص الألمانى الأصلى فى بعض الحالات :

« وأريد أن أتحدث إليكم أيضا بمنتهى الصراحة فى موضوع خطير للغاية يجب أن يذكر بصراحة تماما فيما بيننا ، ومع ذلك فلن نتحدث عنه علانية قط . فكما أننا لم نتردد فى أداء الواجب الذى فرض علينا فى ٣٠ يونيه سنة ١٩٣٤ وتوقف الرفاق الذين ارتدوا أمام الحائط لنطلق عليهم النار ، ولم نتكلم أبدا عن هذا الموضوع ولن نتكلم عنه . . .

وأنا أعنى جلاء اليهود وإبادة الجنس اليهودى ، فهذا من الأشياء التى من السهل أن نتكلم عنها . إن أحد أعضاء الحزب يقول « إن الجنس اليهودى تستأصل شأفته الآن ، وهذا واضح جدا ، فهذا موضوع فى برنامجنا – القضاء على اليهود ونحن نفعل ذلك . فالإبادة هى ما نفعله الآن » . ثم يأتى ٨٠ مليون ألمانى شريف وكل واحد منهم له صديق يهودى لطيف يقول عنه أنه ممتاز وإن كان الآخرون أشرارا ، وما من أحد ممن يتكلمون بهذه الطريقة قد لاحظهم أو سبر أغوارهم . إن معظمكم يجب أن يعلم ما الذى يعنيه رقاد مائة جثة جنبا إلى جنب ، أو خمسمائة أو ألف – فلو أننا كنا قد فعلنا ذلك وبقينا فى الوقت نفسه – بغض النظر عن الاستثناءات التى ترجع إلى الضعف الإنسانى – على دماثة أخلاقنا ورقة حاشيتنا وهذا ما جعلنا نتشدد أن هذه صفحة مجد وفخار فى تاريخنا لم تكتب من قبل ولن تكتب بعد ذلك لأننا نعلم مدى الصعوبة التى كان لابد وأن نواجهها لكى نحقق لأنفسنا ذلك . وإذا كان لايزال يوجد حتى اليوم مع الغارات الجوية وأعباء الحرب وما تفرضه علينا من الحرمان يهود فى كل مدينة كمخربين سريين ، ومثيرين للفتن والمتاعب . لقد كان من المحتمل أن نكون قد وصلنا الآن إلى مرحلة ١٩١٦ – ١٩١٧ . حينما كان اليهود لايزالون فى جسم الأمة الألمانية .

ولقد استولينا على ماكان لديهم من ثروة ، ولقد أصدرت أمرا صارما نفذه بوهل رئيس قوات الأمن النازية ، وهو أن هذه الثروة يجب ، كأمر طبيعى أن تسلم إلى الرايخ

بلا تحفظ . إننا لم نأخذ شيئا منها لأنفسنا . . ولقد كان لدينا الحق الأدبى وكان واجبنا حيال شعبنا أن نقضى على أولئك القوم الذين كانوا يريدون القضاء علينا ، ولكن ليس لنا الحق فى الثراء بأشياء مثل فراء أو ساعة أو مارك أو سيجارة أو أى شىء آخر . ولأننا قضينا على جرثومة فإننا لا نريد فى النهاية أن تصيبنا عدوى تلك الجرثومة وتموت بسببها وحيثما تشكلت فإننا سوف نعالجها بالكى .

إن الدليل على أن هيملر قد أدلى بهذه الملاحظات فعلا ضعيف جدا ، والنص المدعى بأنه خطبة بوزن هو جزء من الوثيقة رقم ١٩١٩ب .س . ويشمل ثلاثة وستين صفحة من مجلدات المحكمة العسكرية الدولية والجزء المقتبس يظهر فى صفحة ونصف صفحة تقع فى منتصف هذه الصفحات تقريبا وتردد تحت عنوان « جلاء اليهود » أما النسخة الخطية للخطبة ، وهى لا تحمل توقيعا أو تصديقا آخر فيقال (فى المادة الوصفية المرافقة لوثيقة المحاكمة (إنها وجدت فى ملفات روزنبيرج وقدمت كدليل فى المحاكمة العسكرية الدولية كجزء من الوثيقة رقم ١٩١٩ – ب . س . ولكن لم يذكر أثناء إجراءات المحكمة العسكرية الدولية أين وجدت الوثيقة فرضا ولم يسأل أحد روزنبيرج عنها . ومن ناحية أخرى ، استجواب روزنبيرج عن الوثيقة رقم ٣٤٢٨ – ب . س . وهى وثيقة أخرى قيل إنها وجدت فى ملفاته (وهو ما نناقشه بعد قليل فى إيجاز) فأنكر إمكانية أن تكون جزءا من ملفاته . وترددت أيضا مزاعم فى أثناء عرض القضية رقم ١١ بأنه قد أعيد فحص ملفات روزنبيرج بدقة ووجدت ٤٤ اسطوانة تضم تسجيلا صوتيا لخطبة هيملر ببوزنان فى ٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٣ » والمفروض أن هذه الاسطوانات تمثل الوثيقة رقم ٥٩٠٩ واستخدمت كدليل أثناء سماع شهادة المتهم جدتلوب بيرجر ، وهو جنرال فى فرق العاصفة كما أنه الرئيس السابق للقسم الإدارى لفرق العاصفة وكان يشغل وظيفة الاتصال الشخصى لهيملر بوزارة شئون المناطق الشرقية المحتلة التى كان يشرف عليها روزنبيرج ، كما تولى رئاسة شئون اسرى الحرب قبل نهاية الحرب . وكان بيرجر أثناء استجوابه مباشرة قد شهد بأنه لم يعلم شيئا عن أى برنامج للإبادة ، وشهد كذلك بأن هيملر قد ألقى حقيقة خطابا مطولا للغاية ببوزن فى سنة ١٩٤٣ فى جمع من كبار قادة قـــوات العاصفة وكان هو ، أى بيرجر ، من بينهم . غير إنه أنكر أن تكون الوثيقة رقم ١٩١٩ – ب . س . النسخة الخطية الدقيقة للخطاب حيث أنه يتذكر أن جزءا من الخطاب كان يتعلق ببعض قادة قوات العاصفة من بلجيكيين وهولنديين ممن حضروا الاجتماع ، وأن :

« هذا ليس موجودا فى النسخة الخطية . وبوسعى أن أقول وأنا على يقين مما أقول أنه لم يتكلم عن إبادة اليهود ، لأن السبب فى هذا الاجتماع كان تحقيق المساواة بين قوات العاصفة والشرطة وتسوية الأزمات الناشبة بينهما .

وفى أثناء عملية الاستجواب ادار المدعى بيترسن تسجيلا فوتوغرافيا لشخص ما يتكلم الأسطر الأولى للخطبة المزعومة ، ولكن بيرجر أنكر فى البداية أن الصوت هو صوت هيملر ثم قال بعد أن أعيد تشغيل التسجيل لهذه الأسطر الأولى ذاتها أنه ربما كان الصوت هو صوت هنريخ هملر وقدمت التسجيلات حينئذ كدليل وأذيعت إلى جانب ذلك فى المحكمة مقتطفات أخرى من بينها العبارة التى تتناول جلاء اليهود والتى سبق أن ذكرناها ، ولم توجه أسئلة أخرى لبيرجر على أية حال حول صحة الصوت وسمحت له المحكمة بالانصراف بعد إدارة الاسطوانات الفوتوغرافية مباشرة ولم تقبل المحكمة هذه التسجيلات كدليل إلا بعد شىء من التردد :

فقد صرح القاضى باورز الذى كان يرأس جلسة المحكمة بقوله : « حسنا ، أظن أن لدينا أدلة كافية هنا إلا إذا ثبت العكس ، على أن الصوت هو صوت هملر مما يبرر استلام الوثيقة كدليل ، على أنه لايوجد دليل على أن الخطاب ألقى فى بوزنان أو فى أى مكان آخر بالذات وستتسلم الاسطوانات باعتبارها مؤشرا يدل على الموقف العام لهيملر » .

إن الدليل « الظاهرى » الوحيد الذى يثبت صحة الصوت فى نقطة واحدة فقط من الخطاب بقدر ما يمكن أن أرى هو ما صرح به بيرجر عند هذه النقطة من أن الصوت « ربما كان صوت هنريخ هملر » .

وفى رأينا أن الادعاء لم يقدم شيئا من الأدلة على أن الصوت صوت هيملر أو حتى أن خطاب بوزن الذى يتفق الجميع على أنه انصب على موضوعات حساسة قد سجل على اسطوانات وهكذا فإن هذه التسجيلات الفوتوغرافية لم يحاول فى صحتها أحد ولم يثبت صحتها وربما لم يعد قائما هناك تسجيل ما يفهم منه أنه ملاحظات هيملر عن « جلاء اليهود » ، فمثل هذا التسجيل ، حسبما أعلم ، لم يظهر أثناء طوفان الدعاية التى صاحبت قضية ايخمان . ويعلق رايتلنجر بأن تسجيلا جزئيا بالجراماقون « لخطاب بوزن لا يزال موجودا ولكنه يذكر ما هو الجزء الذى لا يزال موجودا . ولم أتتبع الموضوع أبعد من ذلك لأننى لن أكون أهلا لتقييم مثل هذه التسجيلات لو أنها ظهرت إلى حيز الوجود .

وينبغي ملاحظة أن هذه التسجيلات التى يزعمون أنها اكتشفت بعد انقضاء فترة طويلة فى أوراق رجل ميت قد استخدمت كدليل فى « محاكمة » سيرك كمبنر ، وهى المحاكمة التى سبق أن أظهر التحليل زيفها على نحو قاطع استنادا إلى أسباب مستقلة . ثم إنه ليبدو امرا غريبا حقا أن يكون هيملر قد سمح بتسجيل خطاب يحتوى على مادة « لن يتكلم عنها أبدا . . . علانية » ، وأنه على الرغم من سيطرته على الجستابو رأى هذه التسجيلات تقع فى يد روزنبيرج منافسه السياسى . فاستنادا إلى هذه الاعتبارات ، وكذلك استنادا إلى حقيقة أخرى وهى أنه من الصعب أن نصدق أن يضيع هيملر مثل هذا العدد الكبير من كبار قادة العاصفة فى لقاء النص الذى تفترضه الوثيقة ١٩١٩ – ب . س . أنه ألقاه عليهم (وهو عبارة عن مناقشة عامة جدا للحرب) ، فإن الإنسان يمكنه ان يكون على ثقة من أننا إزاء عملية تزوير أخرى هنا . وعلى أية حال فإن أجزاء من الخطاب المزعوم ربما كانت صحيحة ، وربما كانت اجزاء أخرى قد ألقيت أثناء خطاب بوزن أو فى مناسبات أخرى .

صحيح أن بوهل شهد فى القضية رقم ٤ بأن كان حاضرا أثناء القاء خطاب بوزن (وربما كان هذا صحيحا) ، وبأن هيملر قد ألقى فعلا الملاحظات المتعلقة بإبادة اليهود . ولكن وجهة نظر بوهل الحقيقية تدعو إلى السخرية فقد لاحظنا أن استراتيجية الأساسية فى المحاكمة قامت على محاولة استغلال أن اتهامات الإبادة قد ألقيت ، على وجه التحديد على عاتق الجستابو والمكتب الرئيسى لامن الرايخ فسارع إلى التشبث بأشياء مثل الشهادة الخطية لهوس على اعتبار انها تعفيه من المسئولية عن أعمال الإبادة . فدفاعه قام على نفس المنطق الأساسى الذى قامت عليه ومن ثم فإن شهادة بوهل فيما يتعلق بخطاب بوزن وردت فى سياق ما أعلنه من أن ذلك الخطاب كان أول ما بلغ علمه بأعمال الإبادة وبمعنى آخر فإن أعمال الإبادة ، على حد زعمه ، كانت بعيدة جدا عن مسئولياته الرسمية حتى إن الأمر استلزم تصريحا من جانب هيملر لكى يعلم بها . ومن الطبيعى أنه شهد أكثر من ذلك بأنه أصبح لدى هيملر بعد ذلك بوقت قصير ولكن قيل له « إن هذا ليس من شأنك » . وهكذا فإن شهادة بوهل انما عبرت عن استراتيجية دفاعه ووضع التفسيرات التى تخدم موقفه لما كان يعلن فى المحكمة باعتباره حقيقة واقعة .

وثمة نقطة أقل خطرا ينبغى ذكرها قبل أن نترك موضوع خطاب بوزن . فمن الممكن أن يحاول أحد بأن النص ربما كان صحيحا فى هذه النقطة ولكن هيملر كان يقصد بتعبير الإبادة « مجرد » استئصال شأفتهم ، أو صورة ما من صور الطرد والتخلص الأقل عنفا من

القتل . والأساس الرئيسى لمثل هذه الحجة هو أن تعبير الإبادة فى الواقع إنما يتعادل صراحة مع تعبير إجلاء اليهود وتعبير طردهم . أما الجثث المشار إليها فيمكن بسهولة تفسيرها بأنها جثث ألمانية نتيجة لغارات الحلفاء وهو ما كان النازيون يزعمون دائما أن اليهود سيكونون فى نهاية الأمر مسئولين عنها . ومن ناحية أخرى يمكن أن يلاحظ انه لو كان الملاحظات صحيحة لاعتبرها هيملر إذن حقا وواجبا ويبدو أن التشابه مع التطهير الدموى الذى وقع سنة ١٩٣٤ فى مستهل الملاحظات يبرر فهم كلمة الإبادة بمعناها الأساسى . هكذا فنى حين أن من الممكن تقديم مثل هذه الحجة فإنها لن تكون حجة بالغة القوى .

والنقطة الأخيرة أنه إذا طلب منا أن نصدق أن النص حقيقى فإنه يطلب منا بذلك ، أن نصدق كمبنر فى الواقع .

وفى النهاية فإن هناك عددا من الملاحظات فى يوميات جوبلز ، ولكن اليوميات « وحسبما يذكر الناشر فى ملاحظته » نسخت بالآلة الكاتبة على ورق أنيق مصقول ثم انتقلت بين أيد عديدة قبل أن تصل إلى حوزة المستر فرانك ماسون ، وعلى ذلك فإن أصالة المخطوط كله موضع شك كبير حتى ولو أمكن إقامة الدليل على صحة جانب كبير من المادة بطريقة ما . وذلك لأن تحريف النصوص بالآلة الكاتبة أمر سهل . وحتى الطبعة الأصلية من الكتاب تحمل بيانا من الحكومة الأمريكية بأنها « لا تضمن صحة المخطوط ولا تنكرها » .

إن ولفريد فون أوفن الذى كان موظفا رسميا فى وزارة جوبلز ، وصار ، بعد الحرب رئيسا لتحرير صحيفة لابلاتا اليمينية التى تصدر باللغة الألمانية فى بوينس ايريس قد تقدم فى حماس غريب ليؤيد القول بصحة يوميات جوبلز . ومع ذلك فإن تعليقاته لم يكن لها سوى أثر عكسى لأنه يذكر لنا أن .

(ا) اليوميات أملاها جوبلز من مذكرات بخط اليد (كان يتم اتلافها عقب ذلك) على مستشار الدولة أوتى الذى كان يقوم بنسخها على الآلة الكاتبة مستعملا آلة كاتبة خاثة ذات حروف يبلغ ارتفاعها سنتيمترا واحدا تقريبا وكانت تستخدم فى كتابة النصوص التى كان يستخدمها جوبلز فى خطبه !

(ب) كان أوفن يراقب أوتى مرارا بناء على أوامر جوبلز ، وهو يقوم بإحراق هذه الصفحات « بنفس العناية والدقة المعهودتين فيه على الدوام » قرب نهاية الحرب بعد طبع صورة مصغرة لها » بالميكروفيلم . والقصد من هذه المعلومات الأخيرة هى كما يقال إن جوبلز

قد فسرها لأوفن بتاريخ ١٩٤٥/٤/١٨ ، وهو تاريخ دخوله فى يوميات هذا الأخير التى نشرت فى بوينس ايريس سنة ١٩٤٩/١٩٤٨ . أن جوبلز « قد عنى طوال شهور بأن يظل ، وسره العظيم ، نتيجة وجماع أكثر من عشرين سنة من العمل السياسى ، مصونا ومحفوظا للأجيال القادمة ، والا يسقط فى أيد غير آمنة » .

وتلقى قصة أوفن الغريبة على الأقل بعض الضوء على الإشارة التى ذكرها لويس ب . لوكنر فى تقدمته لليوميات ، عن آلة كاتبة غير عادية . فلو أن رواية أوفن كانت صادقة ، فإنه يكون من الممكن فى هذه الحالة أن يكون أشخاص غير معروفين حصلوا على الآلة الكاتبة الخاصة هذه أو على صورة طبق الأصل منها وعلى مجموعة من نسخ الميكروفيلم ولفقوا ونشروا نصا محرفا . وعلى أية حال فإنه من المستحيل تقريبا تصديق رواية أوفن عن طريقة تسجيل يوميات جوبلز .

ويتبقى بعد ذلك من أسطورة الإبادة القول بأن فرق الجحيم أبادت اليهود الروس بالغاز الخانق وإطلاق الرصاص عليهم بالجملة . فهذا هو الجزء الوحيد من الأسطورة الذى يحمل فى طياته شيئا من الحقيقة .

فنى الوقت الذى حدث فيه الغزو الألمانى لروسيا فى يونيه سنة ١٩٤١ كان هناك أمر من الفورهر يعلن ، توقعا منه لسياسة سوفييتية مطابقة ، أن الحرب مع روسيا لا يمكن خوضها على أساس « قواعد الحرب » التقليدية ، وأنه من الضرورى اتخاذ اجراءات لمواجهة نشاط قوات الأنصار غير النظامية . وقد حول هيملر سلطة « العمل بصورة مستقلة وعلى مسئوليته الشخصية » . وعرف الجميع أن هذا معناه قتل الأنصار والأشخاص المتعاونين معهم . وعهد بهذه المهمة القذرة إلى أربعة من فرق الهجوم التابعة لمصلحة الأمن وكانت مجموع قواتها تبلغ ٣٠٠٠ رجل (بمعنى أن تتكون كل جماعة من ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ رجل) . وحدث أن السلطات العليمة ببواطن الأمور أقرت ضرورة القيام باجراءات ضد عمليات الأنصار فى الجبهة الروسية حيث لا يرعى العدو « المبادئ » .

وسبق لنا أن لاحظنا فى عدة مناسبات أن اليهود شكلوا فى الحقيقة خطر على أمن المؤخرة الألمانية فى الحرب . وتقارير الصليب الأحمر توضح هذه الحقيقة تماما . فكانت مهمة فرق الهجوم هى أن تتعامل مع مثل هذه الأخطار بكل الوسائل الضرورية ، ولهذا فلسنا فى حاجة إلى مزيد من الكلام لكى نحدس أن فرق الهجوم لابد وأن تكون قد أطلقت النار على كثير من اليهود وإن كنا لا نعلم ما إذا كانت كلمة « كثير » معناها « ٥٠٠٠

أو ٢٥٠٠٠ أو ١٠٠٠٠٠ شخص – ومن الطبيعى أن كثيرين من غير اليهود قد قتلوا كذلك .

غير أن المزاعم تذهب إلى أبعد من ذلك وتؤكد وجود دور مزدوج لفرق الهجوم ، حيث لم يتهموا بالسيطرة على مشكلة الأنصار فحسب وإنما اتهموا أيضا بإبادة كل اليهود و (الغجر) إلا إن العقل وحده يجب أن يرفض هذه الفكرة العامة التى تقول أن فرق الهجوم التى يبلغ قوام قواتها ٣٠٠٠ رجل كانت تمضى وقتها ، وكأمر يتعلق بالسياسة العامة ، وتبذل جهدها فى تعقيب أهداف لا صلة لها بالاعتبارات الحربية . فنحن هنا مرة أخرى إزاء حقيقة تقبل التفسير المزدوج .

والقصة هى أنه لم تكن هناك اوامر مكتوبة بإبادة اليهود ، ولكن قادة فرق الهجوم كانوا يتلقون أوامرهم شفويا وفى أوقات مختلفة . فأولندورف كان يقود المجموعة « د » فى جنوبى روسيا وتلقى أوامره شفاهة من شتريكنباخ فى شهر يونية سنة ١٩٤١ . وأما راش قائد المجموعة ج – والتى كانت تمارس نشاطها إلى الشمال مباشرة من جماعة أولندورف فلم يتلق شيئا من الأوامر حتى شهر أغسطس . وأما الجماعتان أ – ب . فكانتا تعملان حول دول بحر البلطيق وإلى الجنوب الشرقى من دول البلطيق هذه على التعاقب وكان يقودهما شتالكر ونيبى على التعاقبه .

إن الدليل الرئيسى على أعمال الإبادة إنما هو قدر هائل الأدلة المدعمة بالوثائق ، لا يمكن إلا أن يكون مثيرا للضحك . فهناك الوثيقة المشهورة رقم ٥٠١ – ب . س . التى كانت فى حوزة الروس فى « محاكمة » مسرحية أجروها فى ديسمبر ١٩٤٣ . ويقال إن جزءا من الوثيقة موجه من الملازم ثانى بيكر أحد ضباط قوات العاصفة إلى رووف فى برلين . ويبدو أن هذه الوثيقة هى الوحيدة التى وقعها بيكر الذى يقال إنه كان قد مات وقت أن كانت المحكمة العسكرية الدولية تجرى محاكمتها :

« لقد انتهت المجموعتان د ، جـ من إصلاح العربات وبينما يمكن تشغيل العربات فى المجموعة الأولى إذا لم يكن الجو بالغ السوء ، فإن العربات فى المجموعة الثانية (ساورر تتوقف كلية فى الجو الممطر . . . وقد أمرت بتمويه العربات فى المجموعة د على شكل بيوت متحركة . . . ويقوم السائق بالضغط على دواسة البنزين إلى أقصى حد ممكن ، وبهذا يموت الأشخاص الذين يتعين إعدامهم اختناقاً وليس نتيجة لتخديرهم كما كان مدبراً .

ونص الوثيقة على هذا النحو تفوح منه رائحة التزييف ، بقدر ما يمكن أن يتوقع المرء أن يكون عليه نص مثل هذه الوثيقة . فهم قد زعموا أن ملازما ثانيا مغمورا كتبها وانها وقعت بالمصادفة فى أيدى الروس سنة ١٩٤٣ . ويذكر لنا الكسندر سولز نتشتاين فى روايته أرخبيل الجولاج حالة جوب أشنبرنر وهو رجل من بافاريا أغراه الروس بالتوقيع على بيانا مماثل بأنه عمل فى زمن الحرب فى عربات الغاز ، ولكن أشنبرنر استطاع أن يبرهن فيما بعد على أنه خلال هذا الوقت الذى كان مفروضا أن يعمل فيه فى عربات الغاز ، كان من الناحية الفعلية يدرس فى ميونيخ لكى يصبح لحاما كهربائيا .

إن الدليل الذى يستشهدون به على الدوام هو مجموعة من الوثائق يفهم من ظاهرها أنها يومية ، وغير ذلك من التقارير المرسلة من فوق الهجوم إلى هيملر وهايدريتشرعن الفترة من يونيو ١٩٤١ حتى مايو ١٩٤٢ . وأرقام الوثائق هى ١٨٠ – ل . ويقال انها تقرير من شتالكر وجد ضمن ملفات هيملر والوثيقة رقم ٢٢٧٣ ب س (التى يقال إنها تقرير آخر من شتالكر عن العمليات حتى ٣١ من يناير ١٩٤٢ ، « وقع فى أيدى الروس فى ريجا ، ولقد قتل شتالكر فى مارس ١٩٤٢) والوثيقة ١١٩ اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وغير ذلك كثير ، يفوق الحصر ، وغالبيتها تحمل أرقاما تدور حول رقم ٣٠٠٠ . وإلى جانب ما تحمله من معلومات عن نشاط القوات العسكرية فى محاربة الأنصار ، فإن هذه التقارير تتحدث عن عمليات معينة تتعلق بالقتل الجماعى لليهود مع ذكر أعداد للضحايا تبلغ الآلاف عادة . ويشار فى معظم الحالات إلى أن نسخا تبلغ المئات أحيانا ، قد وزعت ، فهى تنسخ والتوقيعات نادرا ، ما تظهر ، وإذا ظهرت فإنها تظهر على الصفحات التى لا جريمة فيها . فالوثيقة رقم ٣١٥٩ على سبيل المثال تحمل توقيع ر . ر . ستراوتش ولكن التوقيع لا يظهر إلا على خطاب تفسيرى مرفق يبين مواقع مختلف وحدات فرق الهجوم والوثيقة رقم ١١٢٨ ، وهى مماثلة لسابقتها ، ويقال إنها تقرير من هيملر إلى هتلر يتحدث فيه ، من بين أشياء أخرى ، عن إعدام ٣٦٣٢١١ يهوديا فى روسيا من أغسطس إلى نوفمبر سنة ١٩٤٢ يهوديا فى روسيا من أغسطس إلى نوفمبر سنة ١٩٤٢ . وهذا الادعاء فى جدول كتب بالآلة الكاتبة فى صفحة ٤ فى حين ان الحروف الأولى التى يقال إنها لاسم هيملر تظهر على الصفحة الأولى وهى صفحة لا تمت أصلا بصلة لهذا الموضوع .

فغيما يتعلق بهذه الأمور يجب أن يعلم القارئ أنه عند فحص النسخ المطبوعة من هذه

الوثائق التى تشتمل عليها مجلدات المحكمة العسكرية الدولية ومحكمة نورمبرج العسكرية يجب ألا يفترض وجود توقيع بخط اليد ما لم ينص بالتحديد على أن التوقيع هو بخط اليد ، وعبارة « توقيع » لا تعنى عادة سوى التوقيع المنسوخ بالآلة الكاتبة . والوثيقة ١٨٠ – ل على سبيل المثال نقلت باللغة الألمانية فى مجلدات المحكمة العسكرية الدولية وأعيد نسخ مقتطفات منها باللغة الإنجليزية فى مجلدات محكمة نورمبرج العسكرية . وفى كلتا الحالتين أشاروا إلى وجود توقيعات ولكن الوثيقة الحقيقية لم تكن تحمل سوى عبارة (توقيع دكتور شتالكر) ومكتوبة بالآلة الكاتبة فى موضعين .

أن هناك وثيقتين يقال إنهما تخصان هنريك لوهسى مفوض الدولة لبلاد الشرق ، والذى وجه له فيتزل خطابه أيضا عن « دواء براك » ، وإحدى هاتين الوثيقتين تتكلم عن المعاملة الخاصة التى أشرنا إليها فى الفصل الرابع ولم يستدع لوهسى للإدلاء بشهادته فى نورمبرج ، شأنه فى ذلك شأن فيتزل ، ولكنه على خلافه حوكم على أى حال أمام محكمة ألمانية وحكم عليه بالسجن عشر سنوات فى سنة ١٩٤٨ وإن كان قد أفرج عنه فى ١٩٥١ استنادا إلى سوء حالته الصحية ومنح معاشا لم يلبث أن سحب منه بسبب احتجاج الجمهور . وأما عن الوثيقتين المنسوبتين إليه فإن رايتلنجر يلاحظ انهما « أنقذتاه من المحاكمة أمام محاكم الحلفاء العسكرية وربما من المشنقة أيضا » لأنه فى الوقت الذى تتحدثان فيه عن الفظائع الوحشية فإنهما صيغتا على نحو يجعل كاتبهما يبدو فى موقف المعارض لهذه الجرائم . فالوثيقة التى تتعلق بالمعاملة الخاصة عبارة عن خطاب من لوهسى – إلى روزنبيرج مؤرخ ١٨ يونيه ١٩٤٣ . أما الوثيقة الفعلية ، وهى رقم ١٣٥ – ر فيبدو أنهم يزعمون أنها نسخة بالكربون وبدون توقيع من المراسلات التى عثر عليها فى أوراق قوات العاصفة . والفقرة التى تعنينا منها جاء فيها :

« إن معاملة اليهود معاملة خاصة امرا لا يحتاج إلى مزيد من النقاش . وأما أن تجرى الأمور على النحو ما هو مذكور فى تقرير الوكيل العام المؤرخ أول يونيه ١٩٤٣ فيبدو أنه أمرا لا يكاد يمكن تصديقه . فما هو وجه المقارنة بين كاتين وبين ذلك . . . ؟ »

ومرفق بالوثيقة ثلاثة تقارير بدون توقيع يفترض أنها سلمت من ويلهام كيوب الوكيل العام لروسيا البيضاء) .

وأما عن وثيقة لوهسى الثانية فهى رقم ٣٣٦٣ – ب . س وهى واحدة من وثائق عدة

تحمل الطابع الشاذ الكبير المشتمل فى كونها قد عولجت بوساطة المعهد العلمى للغة اليديش بنيويورك قبل تقديمها كوثيقة من وثائق محاكمة نورمبرج . ويوجد حوالى سبعين وثيقة من هذا القبيل يقال إنه عثر عليها فى وزارة روزنبيرج الرقيب زايكو فريدمان من رجال الفرقة الثانية والثمانين الأمريكية وذلك فى شهر سبتمبر ١٩٤٥ . على أن فريد مان هذا كان عضوا بهيئة تدريس المعهد المذكور (معهد يفو) سواء أقبل خدمته بالجيش أو بعدها (والواقع أن معهد يفو قام بنشاط كبير فى تقديم وثائق يفترض أنه قد عثر عليها فى وزارة روزنبيرك لدرجة يمكن معها تماما أن توفر معلومات تنير السبيل أمام البحث ومصادر نص الخطاب الذى يفترض أن هيملر قد ألقاه فى بوزن والجزء الأول من الوثيقة مكتوب على أوراق الوزارة وهو عبارة عن خطاب موجه إلى لوهسى مؤرخ ٣١ أكتوبر ١٩٤١ وعليه توقيع بالآلة الكاتبة من الدكتور ليبرنت وتصديق غير مقروء بخط يد شخص آخر وقد جاء فيه :

« لقد شكت الإدارة العامة لأمن الدولة من أن وكيل الأمن العام لبلاد والشرق المحتلة قد منع عمليات إعدام اليهود فى ليباو ، فأرجو تقديم تقرير عن هذا الموضوع برجوع البريد .

والجزء الثانى من الوثيقة هو الرد وهو مكتوب بخط اليد على الجانب الآخر للجزء الأول من الوثيقة ، والمفروض أنه مكتوب بخط يد ترامبيداخ ووقع عليه لوهسى بالحرف الأول من إسمه حيث كتب حرف « ل » بارتفاع بوصة ونصف وقد جاء فيه :

« لقد منعت تنفيذ أحكام الإعدام الوحشية لليهود فى ليباو لأنه لم يكن هناك ما يبرر الطريقة التى كانت تنفذ بها .

وبودى أن أحاط علما عما إذا كان استفساركم المؤرخ فى ٣١ أكتوبر يعتبر توجيها بالقضاء على كل اليهود فى الشرق ؟ وهل يجب أن يحدث ذلك بغض النظر عن السن والجنس والمصالح الاقتصادية (لو قلت الدفاع الوطنى ، على سبيل المثال من حيث الاخصائيين فى صناعة الأسلحة) ؟ حقا إن تطهير الشرق من اليهود هو مهمة ضرورية ، غير أن حل هذا الموضوع يجب أن يتفق مع متطلبات الإنتاج الحربى .

وحتى الآن فإننى لم أتمكن من العثور على مثل هذا التوجيه سواء فى التعليمات الخاصة بالمسألة اليهودية فى « الحقيبة البنية للوثائق أو فى المراسيم الأخرى » .

ومن الواضح أن لوهسى لم يكن لديه أى سبب معقول للتشكيك فى صحة هاتين

الوثيقتين حيث إنهما تبرئان ساحقة بصورة مؤكدة رغم أنهما تفترضان وقوع عمليات الإبادة .

وثمة وثيقة أخرى من معهد بيفوت تحمل رقم ٣٤٢٨ – ب . س . والمفروض أنها خطاب من كيبوب إلى لوهسى ينبئه فيه بوصول شحنات من اليهود الألمان والبولنديين وغيرهم إلى منطقة منسك والقضاء على بعضهم . ويبدو واضحا من الملخص المنسوخ الذى تم فحصه ما إذا كان من المفروض أن تحمل الوثيقة توقيعا بخط اليد أم لا .

ولقد اغتيل ويلهلم كيوب فى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٣ .

وهناك وثائق أخرى خاصة بهذا الموضوع تحمل الأرقام من ٣٦٦٠ – ب . س إلى ٣٦٦٩ – ب س (فيما عدا رقم ٣٦٦٣ – ب س) وتنسب إلى أشخاص مختلفين مثل كيوب وجيويك وفى كل حالة فإن المادة الوصفية المرافقة للوثيقة تحدد أن مكان الأصل غير معروف وأن الصورة الفوتوغرافية فقط هى الموجودة . ولا توجد توقيعات بخط اليد وذلك باستثناء حالتين فقط .

وحتى رايتلينجر يبدو مندهشا لوجود هذه التقارير وغيرها من الوثائق حيث يذكر الملاحظة التالية :

« ليس من السهل أن نعرف لماذا ترك القتلة وراءهم مثل هذا السيل الوافر من الأدلة ، وذلك لأن تقارير نويلوتسن وهو المسئول فى الجستابو عن طبع التقارير ، يبدو أن الهدف فيها كان أساسا أن تسترعى نظر كل من هيملر وهايدريتش على الرغم من اتساع قائمة توزيعها . وهكذا فإنه إلى جانب التلاعب الكثير فى قوائم الوفيات اليومية لكى يبدو المجموع مؤثرا فإنه يوجد بالأحرى محاولات للهواة فى عمل المخابرات السياسية . »

« إن عبارة محاولات الهواة » هى التى تقنع المرء بالتزوير هنا ، حيث إن محتويات هذه التقارير تدعو إلى الغرابة فيما نختاره من أمور . ولنضرب أمثلة على ذلك من بعض المقتطفات المختارة لنشرها بالمجلد الرابع لمحاكمات نورمبرج العسكرية :

« ان تاكتيكات وضع الإرهاب فى مواجهة الإرهاب نجحت نجاحا عجيبا . فقد جاء الفلاحون سيرا على الأقدام أو على ظهور الخيل من مسافات تبلغ عشرين كيلو مترا أو أكثر إلى مقر القيادة الفرعية لفرقة الهجوم (ا) ليبلغوا عن الأنصار خوفا من الانتقام ، وكانت أخبارهم دقيقة فى معظم الحالات . . . »

وفى هذا الصدد يمكن ذكر حالة واحدة تثبت صحة مبدأ « الإرهاب يواجه بالإرهاب » . فنى قرية باختوفا تأكد لنا استنادا إلى تقرير تقدم به الفلاح يميليانوف ، وبعد مزيد من البحث والتحرى ، أن أنابروكر فيبفا قد قدمت طعاما للأنصار فى بيتها فأحرق البيت فى الثامن من أغسطس ١٩٤١ حوالى الساعة التاسعة مساء واعتقل سكانه فما كان من الأنصار ألا أن أشعلوا النار فى منزل المخبر يميليانوف بعد منتصف الليل بقليل . وثبت للفصيلة التى أرسلت إلى باختوفا فى اليوم التالى أن الفلاحة أوشبيوفا هى التى أبلغت الأنصار بأن يميليانوف هو الذى تقدم بالتقرير الذى أدى إلى قيامنا بعمليتنا .

ولقد أطلق الرصاص على أوسيبوفا وأحرق بيتها . وكذلك أطلقت النيران على شابين فى السادسة عشرة من العمر من أهالى القرية لأنهما طبقا لاعترافها شخصيا ، قدما معلومات وقاما بحمل رسائل للأنصار .

وقام عدد من اليهود الذين لم يفتشهم الحراس اللتوانيون بدقة كافية بإشهار المسدسات والمدى واندفعوا يهاجموا القوة البوليسية التى جرح منها سبعة أفرادهم يرددون هتافات مثل « يحيا ستالين ويسقط هتلر » ولقد قضى على مقاومتهم فى الحال ، وبعد إطلاق النار على ١٥٠ منهم فى نفس المكان تم نقل اليهود الباقين إلى مكان الإعدام بدون وقوع حادث آخر .

وفى خلال العملية الكبرى ضد اليهود تم إطلاق النار على ٣٤١٢ يهوديا فى منسك وعلى ٣٠٢ فى فيليكا وعلى ٢٠٠٧ فى برانوفيشى .

ولقد رحب السكان بهذه العمليات لما وجدوا أثناء تفتيش المساكن أن اليهود كان لا يزالون لديهم مخزون كبير من الطعام تحت تصرفهم بينما كان عندهم من المواد التموينية ضئيلا للغاية .

ولكن اليهود يظهرون من جديد مرارا وتكرارا وبخاصة فى مجال السوق السوداء . فنى مقصف منسك الذى يقدم للسكان الطعام وتديره إدارة المدينة ارتكب اثنان من اليهود اختلاسات ورشاوى على نطاق واسع ، وباعا ما حصلا عليه من الطعام بهذه الطريقة فى السوق السوداء » .

وليس صعبا أن ندرك السبب الذى من أجله توجد هذه الوثائق . فبدونها ما كان يمكن أن يوجد دليل يستشهد به مختلقو هذه القرية على صدق دعاواهم غير شهادة الشهود . وسبق أن رأينا انه بالنسبة لاوشفيتز كان هناك فيض من الحقائق المادية التى أمكن استغلالها

وتشويه معناها : فهناك شحنات من اليهود إلى أوشفيتز ، ولم يعد الكثيرون منهم إلى ديارهم الأصلية وشحنات كبيرة من مصادر غاز سيانيد الهيدروجين وتسهيلات واسعة محكمة لإحراق جثث الموتى ، وهناك مجموعات تم اختيارها ، وهناك الرائحة الكريهة . ولكن الموقف بالنسبة إلى فرق الهجوم كان مختلفا ، لقد كان هناك حقيقة واحدة هي ازهاق الأرواح . وهذه الحقيقة وحدها لا تبدو دليلا مؤثرا ومقنعا ، وهذا الاعتبار كان الدافع ولا شك إلى اصطناع هذه الوثائق بهذه الصورة الواسعة النطاق على النقيض من خدعة أوشفيتز التى لا يكاد يكون تزوير الوثائق بالنسبة لها بارزا على هذا النحو وحيث كانت أعمال التزوير تتم بمزيد من العناية والحرص . وبالنسبة لأوشفيتز فإننا نتعامل مع كذبة اختلقتها واشنطن ، وأما بالنسبة لفرق الهجوم فإننا نتعامل مع كذبة من صنع موسكو واليد التى صنعتها ، تبعا لذلك ، يد أكثر غلظة .

ومما يستحق الذكر أن الدعاية السوفيتية لم تنطو على اتهامات القتل « بسيارات الغاز » الا عند منتصف الحرب . اما مذابح اليهود فقد ادعوها بطبيعة الحال فى وقت مبكر من تطور الدعاية ومقابلة جريدة نيويورك تايمس فى السادس من ابريل سنة ١٩٤٢ والتى ذكرناها فى دراستنا للفصل الثالث هى مثال على ذلك . ولم يدعوا ان المذابح وقعت عن طريق سيارات الغاز ولقد كان كتاب « لن نغفر » انتاجا دعائيا سوفيتيا معاصرا (دار النشر باللغات الأجنبية ، موسكو ، ١٩٤٢) . والكتاب يبدأ بتلخيص للجرائم التى يفترض ان الالمان اقترفوها من غزوهم لروسيا وهذا التلخيص بقلم مولوتوف وبتاريخ ٢٧ ابريل سنة ١٩٤٢ . وبقية الكتاب يعرض الاتهامات مع التعليقات والصور ومع تزييفات ظاهرة فى هذه المجموعة . ولما كان الالمان متهمين فعلا بارتكاب كل جريمة يمكن تصورها فإنه من الطبيعى أن يتهموا بارتكاب المذابح المنظمة والقتل الوحشى بالجملة لليهود ، ولكن سيارات الغاز لاتظهر من بين الاتهامات . وبقدر ما نستطيع أن نتبين فإن أولى المزاعم عن الابادة بسيارات الغاز فى الأراضى الروسية متميزة عن مزاعم القتل بغاز السيارات فى شيلمنو ببولندا) ظهرت فى شهر يولية ١٩٤٣ اثناء محاكمة سوفيتية لأحد عشر روسيا اتهموا بالتعاون مع الألمان فى كراستودار . وهو ما يوحى بأن الدعاوى الروسية باستخدام غاز السيارات فى أعمال الابادة هى من وحى الدعاية التى كانت قد بدأت حوالى أواخر سنة ١٩٤٢ عن استعمال غرف الغاز . وعلى أى حال فإن الظهور المتأخر لاتهامات استعمال غاز السيارات كما هو الحال فى دعاية أوشفيتز انما هو دليل آخر على أن الاتهامات هى اكاذيب

مختلفة ، ويوجد كذلك قدر معين من الشهادة يجب علينا ذكره ، ودعونا نلاحظ مرة ثانية ما الذى اتضح هنا من زاويا كثيرة مختلفة وان ادى بنا ذلك الى السخرية من نقطة غاية فى البساطة ، فتقدم شاهد ما بالشهادة فى المحكمة على صحة «كذا فى ظل ظروف تكون فيها المحكمة ملتزمة سلفا بصحة» كذا ، انما هو دليل تاريخى على لاشيء على الاطلاق .

والشهادة التى تكرر الإشارة إليها أكثر من غيرها هى شهادة أولندورف ، وهو ضابط برتبة لفتنانت جنرال بقوات العاصفة كما أنه عالم اقتصادى . وثارت بعض الخلافات بينه وبين هيملر فوجد نفسه تبعا لذلك وقد عهد اليه بقيادة المجموعة «د» لمدة عام من صيف ١٩٤١ الى صيف ١٩٤٢ فى جنوب روسيا . ولقد كان اولندورف اكثر اولئك الذين تورطوا فى هذا الموضوع ثقافة .

ولقد ظهر اولندورف كشاهد للادعاء فى المحكمة العسكرية الدولية حينما كان أناس غيره تجرى محاكمتهم وشهد بما يتفق ودعاوى الابادة ، وشهد بأنه تلقى اوامر شفوية بان يضيف ابادة اليهود إلى نشاطاته ، وبأن غاز السيارات كان يستخدم فى قتل النساء والاطفال ، وبأن الوثيقة ٥٠١ – ب س وثيقة أصلية (وهى خطاب بيكر) وبأن قوات الدفاع الوطنى كانت متورطة فى هذه الأمور وهكذا فان هذا الاتهام المتعلق بفرق الهجوم كان جزءا من حكم المحكمة العسكرية الدولية الذى قرر أن أولندورف أباد اليهود بوساطة المجموعة «د» ، وكما رأينا ، فان هذه البيانات فى القضاء تشكل برهانا على الحقائق المقررة عندما قدم أولندورف الى المحاكمة على خلاف توقعاته بدون شك بوصفه المدعى عليه الرئيسى فى القضية رقم ٩ ، وأنه بالنظر الى القيود القانونية المتصلة بالموضوع هنا فإنه لم يكن هناك ماهو أسوأ من موقف اولندورف عند محاكمته .

ولقد كانت شهادة اولندورف فى محكمة نورمبرج العسكرية . وقد ووجه بشهادته أمام المحكمة العسكرية الدولية التى كان الإدعاء يقظا لمجابهته بها ، ولكنه حاول التملص بأية طريقة وكانت النتيجة رواية ليس فيها أى شيء من التماسك . فسحب ما سبق أن صرح به من أنه كانت هناك اوامر معينة بالقيام بأعمال ابادة ، ولكن نتيجة للتحقيق الدقيق معه قال إنه كان يقتل كل اليهود والغجر بأى طريقة ولكن هذا القتل كان مجرد عملية مناهضة للانصار ولم يكن جزءا من برنامج للقضاء على كل اليهود والغجر لاسباب دينية أو عنصرية ، وقال ان العدد الكلى للأشخاص الذين أعدمتهم المجموعة «د» من كل الفئات اثناء السنة التى قضاها فى روسيا هو اربعين ألف وليس تسعين ألفا كما سبق أن شهد

بذلك أمام المحكمة العسكرية الدولية الامر الذى حاول الادعاء فى محكمة نورمبرج ان يقيده به ، ويبدو أى من الرقين بطبيعة الحال معقود الى حد ما وبخاصة الرقم الأول اذا كانت عمليات الاعدام ذات صلة بالاجراءات المناهضة للأنصار فحسب ، ولكنهما لا يتفقان مع العقل على الاطلاق اذا كان من المفروض ان يقوم المرء باعدام كل اليهود والغجر بما فى ذلك النساء والاطفال فى الوقت نفسه .

وهكذا فان شهادة اولندورف متناقضة بصورة تدعو الى اليأس مثلما كان من المؤكد ان تكون فى الظروف اليائسة التى وجد نفسه فيها ، على أن المرء يجب أن يلاحظ ان اولندورف لم يشهد بحقيقة أية عمليات اعدام لم تكن محكمته ملتزمة رسميا ، بداهة بقبولها كأمر حقيقى كيفما كان ، أما الجزء الوحيد من شهادة اولندورف الذى ربما كانت له قيمته فهو هجومه على تقارير فرق الهجوم ووصفها بأنها محرفة . وشهادة اولندورف تتعارض مع الشهادة التى أدلى بها هاينش وهو ضابط برتبة لفتينانت كولونيل فى قوات العاصفة كان يقود فصيلة خاصة فى المجموعة ج لمدة سبعة أسابيع تقريبا ، ولم يكن هاينش قد سبق له أن ادلى بشهادة عند محاكمة الاخرين كما أن رتبته الادنى جعلت الضغوط القانونية البديهية على القضية رقم ٩ ذات أثر أقل بالنسبة لحالته مما أتاح له من الحرية مالم يتح لاولندورف ولقد شهد بأنه مامن أحد على الاطلاق قد ذكر اليهود أبدا وهو يصدر اليه الاوامر فيما يتعلق بالنشاط الذى تقوم به فرق الهجرم فى عمليات الاعدام وبأن فصيلته الخاصة لم تكن تتبنى فى الواقع سياسة لقتل اليهود لكونهم يهودا . وشهد بأن فصيلته الخاصة قد أعدمت حوالى ستين شخصا أثناء فترة خدمته . وكل هذه المزاعم تتناقض كلية مع مايوصف بأنه تقارير فرق الهجوم كما أوضحت المحكمة تفصيليا فى الحكم الذى أصدرته واستخلصت أنه فيما يتعلق بها ينسن :

« ان الانسان لايستطيع الا أن يطرح جانبا ما أعلنه المتهم من أن سلفه الذى اعترف باعدام الآلاف من اليهود تنفيذا لاوامر الفوهورر الذى كان على هاينسن أن يستمر فى برنامجه ، لم يذكر له شيئا عن البرنامج باعتباره أمرا غريبا لايمكن تصديقه . وعندما أعلن هاينسن فى جرأة ان أول مرة سمع فيها أى شىء عن أمر الفوهرر كانت عندما وصل إلى نورمبرج بعد ذلك بست سنوات فانه يكون قد دخل فى متاهة من الشك تتحدى الوصف » .

ولقد صدر الحكم بالاعدام على كل من أولندورف وهاينسن ، ولقد صدر الحكم فى اولندورف سنة ١٩٥١ وخفف الحكم على هاينسن الى السجن ١٥ سنة ومن المعتقد انه قد

أطلق سراحه فى وقت من الأوقات خلال الخمسينات .

ولقد كان الدفاع الأساسى لكل المتهمين فى القضية رقم ٩ ، وكما هو الحال فى كل القضايا الأخرى تقريبا ، وهو بطبيعة الحال ، أن أى شىء قاموا به لم يكن الا طاعة للاوامر كان عصيانها لايمكن ان يتم الا فى ظل ظروف ينجم عنها اعدام الشخص الذى يعصى هذه الأوامر . وفى رأيى أن هذا دفاع سليم تماما وربما كان هذا الاعتبار هو الذى لعب دورا فى أية اغراءات قدمت للألمان ليقوموا بدور شهود الاثبات فى محاكمة المحكمة العسكرية الدولية ، فلم يكن معنى اطاعة الاوامر ان المتهم مذنب أو على الاقل لم يكن منطقيا مذنبا اذا كان قد فعل ما فعله طاعة للاوامر . وفى الحقيقة أن هذا هو ما كان يأخذ به القانون العسكرى الالمانى الذى كان الشهود الالمان يعرفونه ، فعصيان أمر حتى ولو كان غير مشروع كل يعد جريمة خطيرة تستوجب العقاب . ولاشك أن هوسى واولندورف قد استنتجا منطقيا ان شهادتهما فى المحكمة الدولية العسكرية لم تجرمهما الا من حيث اداء اليمين الكاذبة وهى جريمة كانا يعلمان ان محاكم الحلفاء لن تتهمهما بارتكابها أبدا . على أن المحاولات التى بذلها اولندورف لنيل الحظوة لدى المدعين الأمريكيين لم تنته فى المحكمة العسكرية الدولية لانه استخدم كذلك وبعد محاكمته هو شخصيا وصدور الحكم عليه بالاعدام ، كشاهد اثبات ضد جنرالات الجيش الالمانى فى القضية رقم ١٢ .

ومن الواضح ان الشعور الشخصى بالذنب لايكون له محل اذا كانت الافعال التى يتطلبها او يفترضها من يوجهون الإتهام من شأنها أن تؤدى بوضوح الى موت الشخص المتهم . وأنا أشك فى أن كل من وجه الاتهام الى فرق الهجوم كان سيطيع الأوامر بالاشتراك فى شن الغارات الجوية على هامبورج ودرسدن وهيروشيما ونجازاكى (دون ان يكون لأى مدينة منها دوافع عسكرية معقولة .)

على انى لا اريد ان اخلق انطباعا بأننى أنكر ان فرق الهجوم اعدمت المدنيين بما فيهم النساء والاطفال فيما له صلة بنشاطها فى روسيا ، وكل تجربة الحرب ضد الانصار وسواء قام بهذه الحرب البريطانيون او الفرنسيون او الامريكيون تفترض وقوع مثل هذه الأمور ، وذلك بصرف النظر تماما عن الأدلة الفاسدة (وذلك وصف معتدل) التى قدمت فى محاكمات نورمبرج . ففى الحرب الفيتنامية ارتكب الامريكيون الكثير من عمليات القتل بقنابل النابالم ثم اثاروا جلبة كبيرة لامبرر لها عندما ضبط ضابط صغير مغمور يرتكب جرائم القتل بالرصاص .

كما انى لا احاول أن أخلق انطباعا بأن كل انسان شديد القسوة والوحشية فعلا ، ولكن المناقشة الدقيقة للمشكلة التى نحن بصددها سوف تجرنا الى مجالات بعيدة ولذلك فلن نقدم على هذه المناقشة ، وإنما سنكتفى بتحديد النقاط الاساسية بشكل موجز.

ان الحقيقة محزنة فان حرب الانصار أو الحرب غير النظامية أو حرب العصابات ، وكذا الاجراءات التى تتخذ لقمع مثل هذه العمليات ليست اقذر الاعمال الموجودة فحسب ولكنها أصبحت سمة مألوفة لتاريخ القرن العشرين . وهى عمل قذر حتى عندما يكون الطرفان على درجة عالية من التحضر ومتماثلين من حيث الثقافة وخير مثال على ذلك الحملة البريطانية ضد الثورة الايرلندية فى الفترة من ١٩١٦ الى ١٩٢١ حيث كان كلا الطرفين يتصرف بوحشية ظاهرة .

فاذا اضفنا الى حقيقة حرب العصابات ، أن احد الطرفين على الاقل ينحدر من شعب بدائى ، غير متحضر أو شبه متحضر ، فان الانسان يكون حينئذ ازاء موقف يصعب تماما على الرجل العادى المتحضر ان يتفهمه اذا لم تكن لديه تجربة مباشرة به . ومن السهل علينا تماما ونحن نجلس فى دفء غرف المعيشة فى بيوتنا أن نثير سخطا أدبيا على عمليات تنطوى على قتل «المدنيين الظاهرين بما فيهم النساء والأطفال» ، فالانسان العادى فى غربى أوروبا أو فى امريكا يعيش فى بيئة ثقافية تعتبر بعض المستويات المعينة من عمل الخير والعطف والشرف من الأمور البديهية المسلم بها ، ومن الصعب ان يفهم أن بعض الافتراضات الأساسية عن الشعوب الأخرى تظل ثابتة فى بيئة مثل حرب العصابات فى آسيا أو روسيا حيث إن مافيها من الشرور يفوق الخيال ولنضرب مثالا واحدا فقط مستمدا من التجربة فى فيتنام : ما الذى يمكنك ان تفعله ياعزيزى القارئ اذا ما حدث ان رأيت طفلا يقترب منك فى عناد ، على الرغم من اشارات التحذير له بأن يظل بعيدا طالبا شيئا من الطعام او الحلوى ومن المعلوم أن هناك احتمالا قويا بأن يكون حاملا لقنبلة يدوية ؟

بطبيعة الحال فان هناك امورا وحشية كثيرة لاداعى لها تحدث فى مثل هذه الظروف ولكن على انسان ان يحاول ان يفهم الموقف .

ان ما انكره فيما يتعلق بفرق الهجوم هو أن يستطيع المرء الثقة فى القصة التى تحكيها ادلة المحاكمات والتى ترتكز أساسا – مع وجود خلافات بسيطة فى بعض النقاط – على التأكيد بأن فرق الهجوم التى كانت كل قواتها المخصصة للعمليات المناهضة للانصار تبلغ ٣٠٠٠ رجل لكل الاجزاء المحتلة من روسيا قد قامت بصورة منظمة وكحقيقة واقعة تتعلق بأمور

السياسة بمتابعة مجموعة ثانية من الاهداف التي لا تمت بصلة للاعتبارات العسكرية وكانت هذه الأهداف (وهي أعمال الابادة) تتطلب وسائل اكبر لتحقيقها .

وبوسعنا ان ننكر كل هذا بوصفه عملا دعائيا ، وخاصة بالنظر الى التزوير الظاهر والحلف باليمين كذبا اللذين استخدما فيما يتعلق باختلاف هذا الزعم الباطل وماحدث حقيقة لايمكن الوصول اليه ، على اكثر الاحتمالات الا على اساس تقريبي بسبب ضعف الأدلة التي يمكن الوثوق بها . ولسوء الحظ ، يبدو ان الاحداث في روسيا لن تعرف ابدا على وجه الدقة ، وأن هذه الأساطير ستظل غامضة الى حد ما .

الفصل السابع

الحل النهائى

لقد بينا أن أعمال الابادة انما هى خدعة دعائية ، وبمعنى آخر فاننا قد بينا ماهو الشىء الذى لم يحدث لليهود ، ولكى نستكمل دراستنا ينبغى علينا أن نتبين ما الذى وقع فى حقيقة الأمر لليهود .

ومشكلة ما قد حدث ليهود أوروبا هى فى الحقيقة مسألة بسيطة إذاكان الانسان يريد اجابة عامة فحسب ، ولكنها تكون مشكلة صعبة جدا ، بل وربما كانت مستحيلة حقا اذا ما أراد الانسان الدقة المبنية على الاحصائيات . فلكى نجيب على السؤال اجابة عامة فان كل ما علينا أن نفعله هو أن نرجع الى الوثائق الالمانية المتعلقة بهذا الموضوع ، اذ من الواضح أن ماكان يقوله الزعماء الالمان لبعضهم البعض عن سياستهم هو المرجع الأول الذى يجب على الانسان أن يرجع اليه .

من اليسير تماما اكتشاف الطبيعة العامة للسياسة الالمانية ازاء اليهود فهى موضحة كلها فى المجلد رقم ١٣ من مجلدات محكمة نورمبرج العسكرية . فلقد قدم الادعاء الامريكى فى قضية شارع ميلهام الوثيقة رقم ٢٥٨٦ ن ج التى تتكون من عدة أجزاء كل منها يمثل وثيقة هامة فى تطور السياسة الالمانية تجاه اليهود . وأحد هذه الاجزاء وهو الجزء رقم جيه – ٢٥٨٦ – ن ج هو فى الحقيقة ملخص للاجزاء الاخرى ، وهو بهذا الوصف يعتبر ملخصا ملائما لهذه السياسة يمكن الرجوع اليه وليس أفضل من أن يرجع الإنسان الى النص ، وينقل عنه . وهو مذكرة بقلم مارتن (الذى كان يعمل قبل هورست فاجنر) بتاريخ ٢١ أغسطس ١٩٤٢ .

١ – ان المبدأ الذى قامت عليه السياسة الالمانية تجاه اليهود بعد الاستيلاء على السلطة هو تشجيع الهجرة اليهودية بكل السبل ومن أجل هذا الغرض فان الفيلد مارشال جورنج ، بحكم الصلاحيات المطلقة المخولة له بالنسبة لمشروع السنوات الأربع ، قام بانشاء مكتب مركزى للرايخ للهجرة فى سنة ١٩٣٩ يضطلع بادارة اللفتنانت جنرال هايدرينش قائد

قوات العاصفة وبوصفه رئيسا لشرطة الامن وممثلث وزارة الخارجية فى لجنة المكتب المركزى للرايخ ، ووافق وزير خارجية الرايخ على مسودة خطاب بهذا المعنى الى رئيس شرطة الامن ورقم هذا الخطاب ٨٣ – ٢٤ ب فى فبراير سنة ١٩٣٩ .

٢ – ان الحرب الحالية تتيح لالمانيا الفرصة وتفرض عليها كذلك واجل حل المشكلة اليهودية فى أوروبا وبالنظر الى سير الحرب فى صالحنا ضد فرنسا فان (الشعبة الثالثة) اقترحت فى شهر يولية سنة ١٩٤٠ حلا لهذه المسألة – وهو نقل كل اليهود من أوروبا ومطالبة فرنسا بأن تخصص جزيرة مدغشقر لاستقبال اليهود وقد وافق وزير خارجية الرايخ موافقة أساسية على البدء فى العمل التمهيدى لترحيل اليهود من أوروبا وعلى أن يتم ذلك بالتعاون الوثيق لمكاتب العاصفة المتابعة للفوهرر (قارن الشعبة الثالثة ٢٠٠/٤٠) .

ولقد قبل المكتب الرئيسى لامن الرايخ مشروع مدغشقر بحماس وكان من رأى وزارة الخارجية أنه الوكالة الوحيدة التى يمكن لها من الناحية الفنية ومن واقع خبرتها تنفيذ اجلاء اليهود على نطاق واسع وضمان الاشراف على الاشخاص الذين يتم اجلاؤهم وقامت الوكالة المختصة بالمكتب الرئيسى لامن الرايخ بوضع مشروع مفصل لاجلاء اليهود الى مدغشقر وتوطينهم هناك . ووافق اللفتنانت جنرال هايدريتش القائد الاعلى لقوات حماية أمن الرايخ على هذا المشروع ورفعه مباشرة الى وزير خارجية الرايخ فى أغسطس سنة ١٩٤٠ ، الا أن مشروع مدغشقر أهمل فى حقيقة الامر نتيجة للتطور السياسى .

ولقد أبلغنى السفير بتز حقيقة اعتزام الفوهرر اجلاء كل اليهود من أوروبا فى وقت مبكر يرجع الى شهر أغسطس سنة ١٩٤٠ بعد لقاء له مع الفوهرر (قارن الشعبة الثالثة ٢٢٩٨) .

ومن ثم فان التوجيهات الاساسية لوزير خارجية الرايخ بتشجيع اجلاء اليهود بالتعاون الوثيق للغاية مع وكالات القيادة العليا لقوات حماية أمن الرايخ لا زالت سارية المفعول ولذلك متضطلع الشعبة الثالثة بملاحظتها .

٣ – ولقد جلبت ادارة الاقاليم المحتلة معها مشكلة معاملة اليهود الذين يعيشون فى تلك الاقاليم . وكان أول ما حدث أن القائد العسكرى فى فرنسا رأى نفسه مضطرا لان يكون أول من يصدر مرسوما فى السابع والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٤٠ عن معاملة اليهود فى فرنسا المحتلة ، وقد صدر المرسوم بموافقة السفارة الالمانية فى باريس أما التعليمات المتصلة

بهذا الموضوع فقد أصدرها وزير خارجية الرايخ مباشرة إلى السفير آبتز فى شكل تقرير شفوى .

ولقد صدرت مراسيم مماثلة بعد ذلك على غرار مرسوم باريس فى هولندا وبلجيكا ولما كانت هذه المراسيم تشمل رسميا كل اليهود بغض النظر عن جنسياتهم ، شأنها فى ذلك شأن القوانين الالمانية الخاصة باليهود فقد تقدمت الدول الاجنبية باحتجاجات كما قدمت مذكرات احتجاج من جانب سفارة الولايات المتحدة الامريكية وغيرها وذلك على الرغم من أن القائد العسكرى فى فرنسا كان قد أمر عن طريق أمر داخلى بالا تطبق الاجراءات الخاصة باليهود على رعايا الدول المحايدة .

ولقد قرر وزير خارجية الرايخ بالنسبة للاحتجاجات الامريكية أنه لا يرى أن اصدار تعليمات عسكرية لاستثناء اليهود الامريكيين أمرا صائبا وأنه سيكون من الخطأ رفض اعتراضات الدول الصديقة مثل إسبانيا والمجر واظهار الضعف من جهة أخرى ازاء الامريكيين . ويرى وزير خارجية الرايخ أنه من الضرورى اصدار تعليمات الى قادة الميدان بجعل هذه التعليمات سارية بأثر رجعى .

ووفقا لهذا التوجيه طبقت الاجراءات اليهودية بصورة عامة .

٤ — وفى الخطاب الذى وجهه اللفتنانت جنرال هايدريتش القائد الاعلى لقوات حماية الرايخ الى وزير خارجية الرايخ بتاريخ ٢٤ يولية سنة ١٩٤٠ أبلغه بأن مشكلة اليهود فى المناطق الواقعة تحت السيطرة الالمانية والذين يبلغ عددهم قرابة ثلاثة ملايين وربع مليون يهودى لم يعد من الممكن حلها عن طريق الهجرة وأنه من الضرورى ايجاد حل نهائى واعترافا بذلك فان مارشال الرايخ جورنج فوض اللفتنانت جنرال هايدريتش فى ٣١ يوليو ١٩٤١ سلطة اتخاذ الاستعدادات الضرورية لايجاد حل شامل للمشكلة اليهودية فى الأراضى الواقعة تحت النفوذ الالمانى بأوروبا بالاشتراك مع سلطات الرقابة الألمانية المختصة) قارن الشعبة الثالثة رقم ٧٠٩ سرى) . وعلى أساس هذه التعليمات نظم هايدريتش مؤتمر الوكالات الالمانية المختصة عقد بتاريخ ٢٠ من يناير سنة ١٩٤٢ وحضره وزراء الدولة من كل الوزارات الاخرى حضرته أنا ممثلا لوزارة الخارجية . وفى المؤتمر شرح هايدريتش ان اختيار مارشال جورنج له تم بتعليمات من الفوهرر وأن الفوهرر قد أقر اجلاء اليهود الى الشرق بدلا من الهجرة وأن ذلك هو الحل الذى رآه الفوهرر وقد أحيط وزير الدولة فايزيكر علما بالمؤتمر ولم يبلغ به وزير خارجية الرايخ مؤقتا لان هايدرتش وافق على عقد

مؤتمر جديد فى المستقبل القريب تناقش فيه تفصيلات أكثر عن الحل الشامل ، الا أن هذا المؤتمر لم يعقد أبدا بسبب تعيين اللفتنانت جنرال هايدريتش حاكما لبوهيميا ومورافيا ونظرا لموته بعد ذلك .

وفى المؤتمر الذى عقد بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٤٢ طالبت بضرورة موافقة وزارة الخارجية أولا على كل المسائل الخاصة بالدول خارج ألمانيا ، وهو مطلب وافق عليه هايدريتش ورضخ له بالاخلاص فى الحقيقة اذ أن المكتب التابع للمكتب الرئيسى لأمن الرايخ الذى كان يضطلع بمعالجة المسائل اليهودية نفذ منذ البداية كل الاجراءات فى تعاون لم تشبه شائبة مع وزارة الخارجية . وفى الحقيقة ، فان المكتب الرئيسى لامن الرايخ عالج هذا الموضوع بحرص زائد تقريبا .

٥ — وعلى أساس تعليمات الفوهرر المذكورة بالفقرة الرابعة بدئ فى اجلاء اليهود من ألمانيا . وقد تم أثير بالحاح طلب بأن يتم فى الوقت نفسه اجلاء اليهود من رعايا الدول التى اتخذت اجراءات يهودية هى الاخرى . وعلى ذلك فان المكتب الرئيسى لامن الرايخ استفسر من وزارة الخارجية ، ومن باب المجاملة قامت المفوضيات الالمانية فى براتسلافا (سلوفاكيا) وزغرب (فى كرواتيا) وبوخارست (رومانيا) بالاستفسار من حكوماتها عما اذا كانت تريد استدعاء اليهود التابعين لها من ألمانيا فى الوقت المناسب أم أنها توافق على ترحيلهم الى الجيتوات فى الشرق ولقد وافق وزير الدولة ومساعد وزير الدولة المسئول عن القسم السياسى ومدير ادارة السياسة الاقتصادية ومدير الادارة القانونية على اصدار هذا التوجيه قبل ارساله .

وقد ردت المفوضية الالمانية فى بوخارست بأن الحكومة الرومانية تفوض حكومة الرايخ فى ترحيل رعاياها اليهود مع اليهود الالمان الى الجيتو فى الشرق اذ لا يعنيها أن يعود اليهود الرومانيون الى رومانيا .

ولقد أبلغنا مفوضيتنا فى زغرب بأن حكومة كرواتيا تعرب عن امتنانها للبادرة الودية من جانب الحكومة الالمانية ولكنها سوف تقدر ترحيل اليهود من مواطنيها الى الشرق .

وأفادت مفوضية براتسلافا بأن الحكومة السلوفاكية موافقة من حيث الجوهر على ترحيل اليهود الى الجيتو فى الشرق على الاتتعرض مطالب سلوفاكيا فيما يتعلق بممتلكات أولئك اليهود للخطر .

ولقد رفعت التقارير السلكية أيضا ، وكالمعتاد الى مكتب وزير خارجية الرايخ ، وعلى

أساس تقارير الوزراء ، فانى أبلغت المكتب الرئيسى لأمن الرايخ بفحوى الخطاب السرى للشعبة الثالثة رقم ٦٦١ من أنه بالامكان ترحيل يهود رومانيا وكراونيا وسلوفاكيا كذلك ، وعلى أن تجمد ممتلكاتهم ولقد اشترك فى التوقيع على الوثيقة مدير القسم السياسى ، والفرع الرابع من القسم السياسى ، والفرع التاسع من القسم القانونى والفرع الرابع من قسم السياسة الاقتصادية . وعلى ذلك ، فقد شرع فى ترحيل اليهود من الاقاليم المحتلة .

٦ - لم يكن عدد اليهود الذين رحلوا بهذه الطريقة كافيا لتغطية احتياجات العمل هناك ومن ثم فان المكتب الرئيسى لأمن الرايخ اتصل بوزارة الخارجية بناء على تعليمات من القيادة العليا لحماية أمن الدولة لكى تطلب من حكومة سلوفاكيا تجهيز عشرين ألف من شباب يهود سلوفاكيا الاقوياء لترحيلهم الى الشرق .

وزودت القضية الالمانية فى براتسلافا بالتعليمات الصحيحة فى هذا الصدد بالخطاب رقم ٨٧٤ (الشعبة الثالثة) وقد وقع على هذه التعليمات وزير الدولة ووكيل الوزارة المسئول عن القسم السياسى ، والفرع الرابع عن القسم السياسى .

وردت المفوضية الالمانية فى براتسلافيا على خطاب الادارة الالمانية الثالثة رقم ١٠٠٢ بأن الحكومة السلوفاكية أيدت الاقتراح بحماس ، وأن العمل التمهيدى يمكن الشروع فيه .

ومتابعة لهذا التعاون من جانب الحكومة السلوفاكية اقترح القائد الاعلى لقوات حماية أمن الدولة ترحيل بقية اليهود السلوفاكيين كذلك الى الشرق وبذلك تخلو سلوفاكيا من اليهود ، وزودت المفوضية بالتوجيه الصحيح ، ووقع وزير الدولة .

ملحق

الشركة رقم ٢٥ صفحة من الوثيقة ٢٢ حسبما
استخرجت من المجلد رقم ٤٢ من سجلات
المحكمة العسكرية الدولية

الوثيقة رقم ٠٢٢ - ل

مستخرج من تقرير لمجلس لاجئ الحرب ، واشنطن ، نوفمبر سنة ١٩٤٤ ، عن معسكرات الابادة الالمانية - فى أوشفيتزوبركيناو - يقدم تقديرا لعدد اليهود الذين أعدموا فى غرف الغاز ببيركيناوبين شهرى ابريل سنة ١٩٤٢ وابريل سنة ١٩٤٤ (معرض الولايات المتحدة الامريكية - ٢٩٤) .

ملاحظة ايضاحية :

نسخة مطبوعة بالاوفست والنسخة الاصلية فى محفوظات وزارة الخارجية الامريكية والتقرير يشمل روايتين عن هرب نزلاء معسكرات الاعتقال - منهم شابان يهوديان سلوفاكيان وضابط بولندى برتبة ماجور.

المكتب التنفيذى للرئيس

مجلس لاجئ الحرب واشنطن

معسكرات الابادة الالمانية

اوشفيتز وبيركيناو

(صفحة ٣٣)

تقدير دقيق لعدد اليهود الذين أعدموا فى غرف الغاز فى بيركيناو بين شهرى ابريل سنة ١٩٤٠ وابريل سنة ١٩٤٤ .

(وفقا للجنسيات)

بولندة (منقولون بسيارات النقل)	تقريبا	٣٠٠٠٠٠
بولنده (منقولون بالقطار)	«	٦٠٠٠٠٠
هولنده	«	١٠٠٠٠٠
اليونان	«	٤٥٠٠٠
فرنسا	«	١٥٠٠٠٠
بلجيكا	«	٥٠٠٠٠
المانيا	«	٦٠٠٠٠
يوغوسلافيا وايطاليا والنرويج	«	٥٠٠٠٠
ليتوانيا	«	٥٠٠٠٠
بوهيميا ومورافيا والنمسا	«	٣٠٠٠٠
سلوفاكيا	«	٣٠٠٠٠
المعسكرات المختلفة لليهود والاجانب فى بولندة	«	٣٠٠٠٠٠
	تقريبا	١,٧٦٥,٠٠٠

على مسودة التوجيه ، وبعد ارسالها أرسلت صورة منه الى مكتب وزير خارجية الرايخ والى وكيل الوزارة المشرف على القسم السياسى .

ولما كانت الاسقفية السلوفاكية قد أثارت الاعتراضات لدى الحكومة السلوفاكية على ترحيل اليهود ، فان التوجيه يحمل نصا صريحا بأنه يجب الا تكون هناك صعوبات داخلية بحال من الاحوال بسبب ترحيل اليهود فى سلوفاكيا . وقد أفادت المفوضة فى تقرير برقى لها بأن الحكومة السلوفاكية قد أعلنت ، بدون أى ضغط ألمانى ، موافقتها على ترحيل كل اليهود ، وأن رئيس الدولة وافق شخصيا على ترحيلهم ولقد رفع التقرير البرقى الى مكتب وزير خارجية الرايخ . فضلا عن ذلك فان الحكومة السلوفاكية وافقت على أنها ستدفع -كمساهمة منها- مبلغ خمسمائة مارك المانى مقابل النفقات التى يتكبدها اجلاء كل شخص يهودى .

وتم خلال ذلك الوقت ترحيل ٥٢٠٠٠ يهودى من سلوفاكيا . ومع أن ٣٥,٠٠٠ يهودى حصلوا ، من خلال نفوذ الكنيسة وفساد المسئولين على اعتراف خاص بينوتهم الشرعية ، الا أن رئيس الوزراء طوكا كان يريد الاستمرار فى ترحيل اليهود ولذلك طلب تأييده من خلال الضغط الديبلوماسى . فخول السفير الالمانى ان يقدم هذه المساعدة الديبلوماسية بمعنى أن له أن يصرح للدكتور يتسو رئيس الدولة بأن استثناء ٣٥,٠٠٠ يهودى كان له وقع المفاجأة فى المانية خاصة وأن تعاون سلوفاكيا فى المشكلة اليهودية حتى الان كان موضع كبير هنا . وقد شارك فى التوقيع على هذا التوجيه وكيل الوزارة المشرف على القسم السياسى ووزير الدولة .

٧ - وبالمثل فان حكومة كرواتيا موافقة بصفة أساسية على نقل اليهود من كرواتيا ، وهى تعتبر أن ترحيل ما بين أربعة الى خمسة آلاف يهودى من المنطقة الثانية التى يحتلها الايطاليون (متمركزين حول دوبروفنيك وموستار) أمر هام بنوع خاص حيث أنهم يشكلون عبئا سياسيا ، وأن التخلص منهم سوف يخدم سياسة المتهدئة العامة . وبطبيعة الحال فان ترحيلهم لايمكن ان يحدث الا بمساعدة المانيا حيث من المتوقع أن تثار الصعوبات من الجانب الايطالى ، ولقد كانت هناك أمثلة عملية على مقاومة رئيس هيئة الاركان الايطالى فى موستار للاجراءات التى اتخذتها كرواتيا حيث صرح بأنه لايستطيع أن يوافق على ترحيلهم لانه سبق أن تعهد بأن يعامل كل من يعيشون فى مسوستار على قدم المساواة .

ولما كانت مكالمة تليفونية من زغرب قد افادت أن الحكومة الكرواتية قد منحت موافقتها الكتابية على الاجراء المقترح فان الوزير كاشي يرى أنه من الصواب البدء فى عملية الترحيل وأن يشمل ذلك البلاد كلها فى حقيقة الامر ، ولاشك فى أن ذلك كان ينطوى على مخاطرة بمواجهة الصواب أثناء تنفيذ العملية وذلك فيما يتعلق بالمنطقة التى يحتلها الايطاليون .

وقد عرض فون فايزيكر وزير الدولة تقريرا بهذا الشأن على وزير خارجية الرايخ لأنه كان يرى وجوب الاستفسار أولا من السفارة الالمانية فى روما الا أنه لم يتلق ردا .

وقد نشأت مشكلة اليهود الايطاليين بنفس هذه الطريقة فيما يتصل باجلاء اليهود فى فرنسا .

فيشير السفير ابتر الى أنه كانت هناك مصلحة سياسية عاجلة فيما يتعلق بالاستعداد لترحيل اليهود من الأراضى الفرنسية المحتلة للبدء أولا باليهود الاجانب فى اجراءات الجلاء حيث كانوا يعتبرون أشخاص غرباء ولذلك كانوا مكروهين بالفعل بصورة خاصة وكان تركهم واعطاؤهم بذلك شبه امتياز أمرا سوف يسبب شعورا سيئا وخاصة أنه يوجد من بينهم أشخاص مسئولون عن اثارة الارهاب اليهودى وأعمال التخريب . وكان مما يؤسف له حقا أنه بدا تماما أن دول المحور لاتنتج سياسة موحدة فى هذه النقطة .

فاذا لميكن اجلاء اليهود الاجانب ممكنا فى الحال فانه يجب أن يطلب من الحكومة الايطالية مؤقتا أن تعيد اليها اليهود الايطاليين من فرنسا .

وعلى الجانب الايطالى يبدو أن المصالح الاقتصادية تلعب دورا حاسما ، على أن حماية هذه المصالح ممكن تماما ولذلك ينبغى فى هذه النقطة عدم اثارة أية عقبة أمام الحل المقترح .

وحول مسألة اليهود الايطاليين فى فرنسا عرض مضمون مؤتمر ٢٤ يوليو على وزير خارجية الرايخ .

٨ - وفى مناسبة حفل استقبال اقامة وزير خارجيه الرايخ يوم ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤١ تطرق وزير خارجية بلغاريا بوبوف الى الحديث عن مشكلة تطبيق نفس المعاملة على اليهود المنتمين لجنسيات اوروبية وأشار الى الصعاب التى يواجهها البلغاريون فى تطبيق قوانينهم اليهودية على اليهود الاجانب . وكان رد وزير خارجية الرايخ أن هذه المسألة التى أثارها المستر بوبوف لاتخلو فى رأيه من الاهمية وأنه يستطيع أن يقول له من الان شيئا واحدا وهو

أنه عند نهاية هذه الحرب سيكون على كل اليهود أن يغادروا أوروبا ، وأن هذا قرار من الفوهرر لارجعية فيه كما أنه السبيل الوحيد لحل هذه المشكلة بما أن الحل العالمى الشامل هو وحدة الذى يمكن الاخذ به أما الاجراءات الفردية فلن تساعد كثيرا على الوصول الى حل كما يجب على الإنسان الا يقيم وزنا أكثر مما ينبغى للاحتجاجات الصادرة باسم اليهود الذين ينتمون الى جنسيات اجنبية . وعلى أية حال فاننا لن نسمح لانفسنا بأن ننخدع أكثر من ذلك بمثل هذه الاحتياجات من الجانب الامريكى وأنه – أى وزير خارجية الرايخ – سيكلف وزارة الخارجية ببحث المشكلة التى أثارها المستر بونوف .

ولقد عهد الى وزير خارجية الرايخ بالقيام بالبحث الذى وعد به .

ويجب أن اشير الى مذكرتى المؤرخة ٤ ديسمبر سنة ١٩٤١ عن مشاوراتى الاساسية والتى أرسلها مع الملفات الاصلية ، فهذه المذكرة عن مباحثاتى احتجزها وزير الدولة لأنه كان من رأيه البدء باجراء بحث قانونى أيضا فقد كان من رأيهم أن ميثاق التجارة والملاحة الالمانى البلغارى لايتفق مع التنظيمات الالمانية البلغارية التى اقترحتها ، ولهذا أخطرت المفوضية الالمانية فى صوفيا بتاريخ ١٩ يونية ، وبالاشارة الى اقتراح وزير الخارجية البلغارى بوبوف فى حفل استقباله ، بأن تتصل بالحكومة البلغارية لتعرف ما اذا كانت مستعدة لاتفاق فى المشكلة اليهودية على عدم سريان الحقوق الناجمة عن ميثاق التجارة والملاحة لمصلحة اليهود على أساس التعهد بالمعاملة بالمثل فاذا كان السؤال الذى يطرحه الجانب البلغارى هو ماذا كانت المانيا مستعدة لترحيل اليهود من بلغاريا الى الشرق أم لافان الاجابة على السؤال يجب أن تكون بالايجاب ولكن فيما يتعلق بموعد الترحيل فان الرد يجب أن يكون مراوغا . وقد اشترك فى التوقيع على هذا القرار وزير الدولة ووكيل الوزارة ومدير القسم السياسى ومدير قسم السياسة الاقتصادية والفرع الرابع فى القسم السياسى والفرع الرابع من قسم السياسة الاقتصادية كما وقع عليه ريبنتروب . ولقد تبادلت المفوضية المذكرات مع الحكومة البلغارية وبعثت بتقرير تقول فيه ان الحكومة البلغارية مستعدة بصفة أساسية لان توقع اتفاقية معنا بالنسبة لمشكلة اجلاء اليهود ، وذلك يكون قد توفر الاساس لكى تشمل الاجراءات اليهودية اليهود البلغاريين .

٩ – لم يكن قد تم الاتصال بعد بالحكومة المجرية فيما يتعلق بترحيل اليهود لأن التشريع المجرى حتى ذلك الوقت لايبشر بتحقيق نجاح كاف .

١٠ – وطبقا لموافقة الحكومة الرومانية فان اجلاء اليهود الرومانيين عن المانيا والأراضى

المحتلة كان قد بدأ واذ ذاك تدخلت القنصليات الرومانية المختلفة والوزير الرومانى فى برلين حيث لم تكن لديهم تعليمات من حكومتهم ولهذا فقد طلب من السفير فون كيلينجر توضيح الموقف . ويبدو أن الفوضة قد استخدمت المستشار اليهودى الملحق بها ريختر فى هذا الغرض ، وريختر هذا شخص أكدت له الحكومة الرومانية موافقتها السابقة بأن تشمل الاجراءات الالمانية اليهود الرومانيين كما أنه الشخص الذى ابلغه ميهاوى أنطوانيسكو نائب رئيس الوزراء يطلب المارشال بأن تتولى الوكالات الالمانية كذلك عملية الترحيل من رومانيا ذاتها وأن يتم ذلك حالا بنقل اليهود من مناطق آراد وتيميصوارا وطوردا .

ولمن يريد مزيدا من التفاصيل فإننى أرجو الرجوع الى مذكرة المباحثات التى أجريتها والمؤرخة ١٧ أغسطس (راجع الشعبة الالمانية الثالثة برقم ٦٤٩) .

١١ – قامت المفوضيات الألمانية فى زغرب وبوخارست وبرايتسلافا بناء على طلب من الحكومات المختصة ، بتعيين مستشارين بها للشئون اليهودية وقد قدم المكتب الرئيسى لأمن الرايخ هؤلاء المستشارين بناء على طلب وزارة الخارجية وكان الحاقهم بالمفوضيات لفترة محددة تنتهى طالما أمكن اعتبار المشكلة اليهودية فى البلد المختص منتهية بالمفهوم الألمانى .

وكانت المشكلة تعتبر منتهية أصلا بمجرد أن تصدر الدولة المختصة قوانين يهودية مماثلة للقوانين الألمانية .

وتبعا لذلك قام المكتب الرئيسى لأمن الرايخ باستدعاء ريختر فى السنة الماضية من رومانيا .

وبناء على طلب عاجل من المفوضية فى بوخارست الحق بيختر من جديد بالمفوضية بالرغم من اعتراض المكتب الرئيسى لأمن الرايخ . وأعلنت النية الصريحة فى الاحتفاظ به هناك حتى ينتهى الحل الفعلى فى رومانيا . (الإدارة الألمانية الثالثة ، الخطاب السرى ١٧٠٣ والخطاب السرى ١٨٩٣) .

وحيث أن كل المفاوضات مع الحكومة الرومانية كانت تتم عن طريق وزارة الخارجية فإن تقرير رختر الملازم أول بقوات حماية أمن الرايخ الذى كان يرفعه القائد الأعلى لقوات أمن الرايخ ، يجب اعتباره تقرير عمل داخلى مقدم من المكتب الرئيسى لأمن الرايخ ، ليس إلا . أما الاجراء غير العادى المتمثل فى الحصول على تأكيد بعقد مؤتمر نهائى بخط يد نائب رئيس الوزراء فقد لقى معارضة حادة على الفور من خلال التعليمات الصادرة بتاريخ السابع عشر من هذا الشهر ، إذ يجب أن يتم معالجة المسألة رسميا بصورة فورية . وقد

عرضت ملفات الموضوع هناك تحت رقم ٦٥٩ سرى .

ان عمليات الترحيل المزمعة هى خطوة أخرى على طريق الحل الشامل وهى ذات أهمية بالغة بالنسبة لدول أخرى (المجر) . وسوف يتم ترحيل اليهود أكثر من ذلك فيما بعد إلى الاقاليم الشرقية المحتلة طالما تسمح الظروف الفنية بذلك .

لذلك التمس الموافقة على استمرار المفاوضات والاجراءات وفقا لهذه الشروط وتبعا للترتيب الذى تم التوصل إليه .

توقيع
لوثر

إن المادة التى تبدأ بعبارة « فإذا كان السؤال الذى يطرحه الجانب البلغارى » والتى تنتهى بعبارة « وقد عرضت الملفات الموضوع هناك تحت رقم ٦٥٩ سرى مشطوبة فى المجلد ١٣ من مجلدات محكمة نورمبرج العسكرية . وفى الفصل الرابع يبدو أن تاريخ ٢٤ يونية سنة ١٩٤٠ المبين على الوثيقة ١٢ / ١٣٦ هو تاريخ خاطئ من السياق ويجب أن يكون التاريخ ١٩٤١ .

هذه الوثيقة ليست وحيدة وهى ليست ملخصا لعدد معين من الوثائق التى توضح بصورة لا لبس فيها السياسات اليهودية للحكومة الالمانية فحسب وإنما تدخل كل الوثائق التى تتصل بالسياسة اليهودية ، فيما خلا تلك التى وضعناها بأنها محض تزوير فى نطاق المشروع التى تتحدث عنه ، ولقد كانت عبارة « الحل النهائى » تعنى طرد كل اليهود من كل مجال النفوذ الألمانى فى أوروبا ، وبعد غزو روسيا صار معناها المحدد هو إعادة توطين أولئك اليهود فى الشرق ، وكل الوثائق الألمانية على كل المستويات (من بين تلك الوثائق التى بقيت) تعبر عن هذا فى غير مالبس ولا غموض ، وهى حقيقة يسلم بها حتى أولئك الذين يروجون أسطورة الابادة والذين أضطروا إلى أن يعلنوا أن هذا لابد وأن يكون اصطلاحا كوديا للابادة .

والواقع أنه فى المناقشات السابقة على هذا الفصل قد أتيحت لنا عدة مناسبات للاشارة إلى هذا البرنامج للتوطين فى الشرق وكان أهم تعبير عنه ما ورد فى مقتطفات من تقارير الصليب الأحمر التى تقدم ، على الرغم من الملاحظات الغامضة عن « الابادة » صورة تتفق اتفاقا وثيقا بعض الشىء مع الرواية التى نجدها فى الوثيقة ن ج — ٢٥٨٦ جيه . فى

ترزينشتات تساءل الصليب الاحمر عما إذا كان المكان يستخدم كمعسكر انتقالى وسأل عن آخر مرة تمت فيها عمليات ترحيل إلى الشرق . وفى سلوفاكيا خضع اليهود « للهجرة الاجبارية إلى الاقاليم الواقعة تحت السيطرة الألمانية » . وقد أعيد توطين عدد كبير من يهود رومانيا فى الشرق إلا أن الأمور لم تسر على ما يرام وعاد الكثيرون منهم على الرغم من أن الفرصة كانت تتيح القضاء عليهم لو كانت السياسة المطبقة تدعو إلى ذلك . فعلى الرغم من العبارات الغامضة الكثيرة عن « الابادة » التى لاحظناها فى الفصل الخامس فإن الاثر الذى لا يمكن انكاره لتقرير الصليب الأحمر هو أنه يؤكد أن الالمان كانوا يفعلون ما تذكره وثائقهم أنهم يفعلونه .

والشىء الذى تصفه الوثيقة ن ج – ٢٥٨٦ جيه هو البرنامج كما كان قائما ابتداء من أوائل سنة ١٩٣٩ والواقع ، أنه بسبب الضغوط التى وجهت ضد اليهود ما بين عامى ١٩٣٣ ، ١٩٣٩ فإن الغالبية العظمى من اليهود الألمانى والنمساويين كانت قد هاجرت قبل نشوب الحرب ، ولم يهتم الالمان كثيرا بالجهة التى هاجر إليها اليهود . وقد بدأ أن فلسطين تمثل احتمالا طيبا لهجرتهم استنادا إلى وعد بلفور البريطانى الصادر فى سنة ١٩١٧ ، ولكن المفاوضات مع البريطانيين حول هذه النقطة لم تحقق نجاحا طيبا لأن البريطانيين كانوا يريدون الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع العرب الذين كانوا يشكلون فى ذلك الوقت الغالبية العظمى من سكان فلسطين . وعلى أية حال فقد كانت هناك هجرة يهودية ثابتة بعض الشىء من أوروبا إلى فلسطين ولكنها أصبحت هجرة شحيحة فى النهاية نتيجة للسياسة التى أعلنها الكتاب الأبيض البريطانى فى شهر مايو سنة ١٩٣٩ .

ومع أن مشروع مدغشقر يبدو مشروعا خياليا اليوم إلا أن الالمان كانوا ينظرون إليه نظرة جدية على الرغم من أنه لم يسفر عن شىء ابدا . ولقد أتاحت الحرب التى بدأت مع روسيا فى يونيه سنة ١٩٤١ امكانيات جديدة واضحة للتوطين ، ونتج عن هذا أن وجه جورنج خطابه الشهير إلى هايدريتش بتاريخ ٣١ يوليه سنة ١٩٤١ .

« وتكملة للمهمة التى عهد بها اليكم بموجب المرسوم المؤرخ ٢٤ يناير سنة ١٩٣٩ أى حل المسألة اليهودية بالهجرة والجلاء بطريقة ملائمة للغاية بالنسبة للظروف السائدة فى ذلك الوقت ، فإننى أفوضكم بموجب هذا القرار فى الاضطلاع بكل الاستعدادات فيما يتعلق بوجهات النظر التنظيمية والواقعية والمالية لايجاد حل شامل للمسألة اليهودية فى تلك الأراضى الواقعة تحت النفوذ الألمانى فى أوروبا .

وإذا كان الأمر يمس اختصاص مؤسسات مركزية أخرى فإن على تلك المؤسسات أن تشارك فى الجهد المبذول ، وأعهد إليكم أيضا بأن ترفعوا إلى فى أسرع وقت ممكن مشروعا تمهيديا بين الاجراءات التى اتخذت فعلا لتنفيذ الحل النهائى المزمع للمسألة اليهودية سواء أكانت تلك الاجراءات تنظيمية أم واقعية أم مالية » .

وأنه لمن المعتاد الاستشهاد بهذا الخطاب مع خذف الاشارة إلى كلمتى « الهجرة والجلاء » . . إذ كان مشروع الهجرة اليهودية المقترحة للاقاليم الشرقية الذى يشمل اليهود الالمان وحدهم ولكن يشمل أيضا اليهود فى الأراضى الأوروبية الواقعة تحت النفوذ الألمانى ، مشروعا واسعا نسبيا لذلك دعا هايدريتش إلى عقد مؤتمر خاص ، واضعا فى اعتباره ما أشار إليه جورنج من « اختصاص المؤسسات المركزية الأخرى » ، هو مؤتمر « وانسى » الذى عقد أخيرا فى العشرين من يناير سنة ١٩٤٢ . وحضر المؤتمر ممثلون للعديد من فروع الحكومة الألمانية وتتسم محاضر الاجتماع بأنها مستفيضة ، ونوجز فيما يلى لب المشروع .

« وبالنظر إلى أخطار هجرة تتم فى زمن الحرب والنظر إلى الامكانيات فى الشرق فإن القائد الأعلى لقوات حماية أمن الدولة ورئيس الشرطة الألمانية قد منع تهجير اليهود .

وقد حل محل برنامج الهجرة لأن اجلاء اليهود إلى الشرق باعتباره امكانية لحل آخر ، وفقا للتفويض السابق منحه من الفوهرر .

وتعتبر هذه الاعمال بطبيعة الحال بديلا مؤقتا ليس الا ، ومع ذلك فإن حل المشكلة اليهودية يعتبر هنا أمرا ذا أهمية كبرى .

فبموجب التعليمات الصحيحة فإن اليهود ينبغى أن ينقلوا الآن ، ومن خلال الحل النهائى ، إلى الشرق بأسلوب مناسب لاستخدامهم كعمال . وينقل اليهود القادرين على العمل إلى هذه المناطق ويستخدمون فى بناء الطرق فى جماعات كبيرة مع الفصل بين الجنسين منهم ، ومما لاشك فيه أن هذا العمل الشاق سوف يجعل جزءا كبيرا منهم يتنحى عن العمل من خلال عملية تصفية طبيعية .

وأما الباقون الذين يمكنهم فى النهاية البقاء على قيد الحياة بعد كل هذا — حيث يتوفر لهم بلاشك أقوى مقاومة فيجب أن يعاملوا وفقا لدرجة تحملهم لأن هؤلاء الناس الذين يمثلون نخبة طبيعية ، يجب اعتبارهم نواة لجماعة يهودية جديدة إذا ما سمح باطلاق سراحهم . (ولترجع إلى تجارب التاريخ) .

ويجرى تمشيط أوروبا من الشرق إلى الغرب فى برنامج التنفيذ العملى للحل النهائى . ويتعين البدء أولا بمنطقة الرايخ ، بما فى ذلك محمية بوهيميا ومورافيا وذلك لاعتبارات تتعلق بمشكلة الاسكان والضرورات أخرى اجتماعية وسياسية .

ويتم نقل اليهود الذين تقرر اجلاؤهم أولا جماعة بعد جماعة إلى ما يسمى بالجيتو المؤقت لكى يتم نقلهم منه بعد ذلك إلى مناطق أبعد إلى الشرق .

ويشرح هايدريش قائد قوات حماية أمن الرايخ شرطا هاما لتنفيذ عملية الاجلاء كلها ، وهو تحديد نوعية الاشخاص الذين تشملهم العملية تحديدا دقيا . فالهدف عدم اجلاء اليهود الذين تتجاوز أعمارهم الخامسة والستين ، وإنما نقلهم إلى جيتو للمسنين– ويجرى النظر فى تخصيص معسكر يتريزنشتات لهذا الغرض وإلى جانب تلك الفئات من المسنين الذين قد يبلغ عددهم ٢٨٠,٠٠٠ فى الرايخ القديم والنمسا بتاريخ ٣١ / ١٠ / ١٩٤١ والذين كان ٣٠ ٪ من بينهم تزيد أعمارهم على الخامسة والستين سوف ينقل إلى جينوات المسنين أيضا اليهود الذين اصيبو فى الحرب بجراح خطيرة واليهود الذين حصلوا على أوسمة فى الحرب كالصليب الحديدى ، والطبقة الأولى) . وبهذا الحل المناسب فإن الاحتمالات الكثيرة للاستثناءات سيتم القضاء عليها بضربة واحدة .

وفيما يتعلق بالاثر الذى يتركه اجلاء اليهود على الحياة الاقتصادية صرح وزير الدولة نيومان بأنه لا يمكن اجلاء اليهود الذين ستخدمون الصناعات ذات الأهمية للحرب فى الوقت الحاضر طالما أنه لا يمكن تدبير من يحل محلهم .

وقد أوضح هايد ريتش أنه وفقا للتعليمات التى وافق عليها لتنفيذ عمليات الاجلاء الحالية ، لن يتم اجلاء هؤلاء اليهود .

ويصرح وزير الدولة الدكتور بوهلر بأن الحكومة العامة سوف ترحب ببدء الحل النهائى لهذه المشكلة لأنه فى هذه المرة لن تلعب مشكلة النقل دورا غير دورا ولن تعوق اعتبارات الارتباطات العمالية سير هذا الاجراء . . ثم أن اغلبية المليونين ونصف مليون يهودى تقريبا الذين نتحدث عنهم هنا كانت غير صالحة للعمل . . وقد كان له طلب وحيد وهو أن تحل المشكلة اليهودية فى هذا الاقليم بأسرع ما يمكن » .

ونجد هنا دليلا لا لبس فيه مستمدا من الوثائق على أنه لم يكن هناك برنامج للابادة . . فالسياسة الألمانية كانت تقضى باجلاء اليهود إلى الشرق . ولم يستلزم هذا الحصول على وثائق ألمانية لكشف هذه الحقيقة لأنها كانت معلومة جيدا خلال الحرب ونشرت أخبارها

فى أثناء المراحل الأولى لبرنامج اعادة التوطين وعلق عليها مرات لاحصر لها فى صحف الحلفاء . بل انه فى حالة يهود فيينا الذين رحلوا إلى بولندة فى مستهل سنة ١٩٤١ ذكرت صحيفة نيويورك تايمز أنهم وجدوا بيوتهم الجديدة مريحة أكثر بكثير مما توقعوه أو تجاسروا حتى على أن يحلموا به » ، ولكن أنباء برنامج اعادة التوطين لم تكن تصفه فيما بعد بمثل هذه الروح الطيبة ، غير أن الصحافة نشرت على الأقل ما كان يجرى على وجه التقريب .

ومن المصادفة أن « روث » يرى أن مؤتمر وانسى فى حد ذاته خرافة دعائية والسبب الاساسى لما يقوله هو اعتقاده ، الذى يقدم له دليلا قويا أن هايدريتش كان فى براغ فى العشرين من يناير سنة ١٩٤٢ . وعلى أية حال فإن التاريخ الذى يقال أن المؤتمر عقد فيه . والوثيقة التى يقال أنها محاضر جلسات المؤتمر يتفقان مع أى شىء آخر معلوم عن السياسة الألمانية حتى أننا نعتقد بأن « روث » اخطأ التقدير السليم فى هذه النقطة .

والمظهر الواقعى الوحيد لبرنامج الاجلاء إلى الشرق الذى ينسجم على وجه العموم مع دعاوى الابادة هو أن الكثيرين من اليهود الذين نقلوا إلى المسعكرات فى بولنده لم يعودوا إلى ديارهم السابقة على الأقل . ويبدو أن هذا هو السبب فى أن أناسا كثيرين ممن يتوفر لديهم معلومات مباشرة عن بعض الحالات الفردية تقبلوا دعاوى الإبادة . ولكن الموقف بسيط فى جوهره ، فمن الواضح أن هذه المعسكرات كانت تستخدم كمعسكرات انتقال لبرنامج الاجلاء إلى الشرق .

وسبق أن لاحظنا أن بيركيناو (Birkenon) كان يوجد بها مجمع خاص يستخدم كمعسكر انتقال بالنسبة ليهود تيرزنشتات ، وأن اليهود الهولنديين أيضا كانوا يمرون بأوشفيتز كما أن معسكر الاعتقال فى لوبلين كان يلعب هذا الدور العرضى أحيانا ومن الواضح أن تريبلينكا التى كانت معسكر للعمل (ولكن لا يبدو أن المكتب الاقتصادى والادارى الرئيسى كان يضطلع بادارتها) كانت تستخدم أيضا كمعسكر انتقال وخاصة بالنسبة ليهود وارسو . وكما هو الشأن بالنسبة إلى أوشفيتز فإن رايتلنجر يجد أنه من الصعب التوفيق بين الوقائع التى يسوقها مروجو أسطورة الابادة فيما يتعلق بالقتل بالغاز فى تريبلينكا . أما سوبيبور فكانت توصف صراحة بأنها معسكر انتقال .

ومما قد يدهش له القارئ أن الوثائق التى استعرضناها والتى تشكل دليلا قويا جدا على أنه لم يكن هناك برنامج للابادة ، لا يغفل أمرها مروجو أسطورة الابادة فى هدوء ولكنهم يلقون بها فى وجوهنا فى جرأة باعتبارها دليلا على أن برنامجا للابادة كان موجودا بالفعل .

وليست هذه هى الفكرة الضمنية التى تنقلها لنا مجموعة الوثائق فى المجلد رقم ١٣ لمحكمة نورمبرج العسكرية فحسب ، بل أن رايتلنجر وهيلبيرج جادان تماما فى اعتبارهما أن هذه الوثائق تتصل ببرنامج للابادة . وهكذا يدعون أن تعبير « الجلاء إلى الشرق » انما هو تعبير رمزى يقصد به الابادة .

ولان احدى السمات الثابتة لا سطورة الابادة هى القول أن من بين مهام فرق الهجوم فى روسيا ابادة اليهود فإن دعاة الاسطورة يتمسكون بوجهة نظر تقول ان سياسة الابادة قد استقر الرأى عليها فى صيف سنة ١٩٤١ ، وهكذا فإنه على الرغم من أن خطاب جورنج المؤرخ ٣١ يولية ١٩٤١ إلى هايدريتش يقرر على وجه التحديد أن « الحل النهائى » هو برنامج للهجرة والجلاء ، وعلى الرغم من أنه يشير اشارة محددة إلى البرنامج الذى كان موجودا منذ سنة ١٩٣٩ وهو البرنامج الذى يسلم كل من رايتلنجر وهيلبيرج بأنه كان برنامجا للهجرة فإن المؤلفين يتخذان موقفا لا يحيدان عنه وهو أن هذا البرنامج كان فى حقيقة الأمر أمر بالابادة . . والظاهر أنهما لا يتحرجان من الحقيقة التى لاحظاها بأنفسهما وهى أن عمليات ترحيل يهود الرايخ إلى روسيا ودول البلطيق كانت قد بدأت فى خريف سنة ١٩٤١ .

وامعانا فى تمسكهما برأيهما الاساسى فإنهما يفسران مؤتمر « وانسى » الذى عقد فى شهر يناير سنة ١٩٤٢ بأنه مناقشة مستترة للابادة على الرغم من أن برنامج الجلاء الذى تتحدث عنه محاضر جلسات المؤتمر كان فى الحقيقة يسير قدما ويؤكد كلا الكاتبين على الاشارة إلى « الباقين الذين يكونون قادرين فى آخر الأمر على البقاء على قيد الحياة بعد كل هذا » وأن هذه البقايا يتعين أن » تعامل وفقا لذلك . فهذه الفقرة يمكن أن تعنى أى عدد من الأشياء ، ومن المصادفة أن الرواية الموجودة فى محاضرات جلسات مؤتمر « وانسى » المطبوعة فى المجلد ١٣ لمحكمة نورمبرج العسكرية أوردت عبارة « إذا ما سمح باطلاق سراحهم ، التى حذفها المؤلفان وهو ما يفترض معه أن الكاتبين ربما يكونان قد فسرا الفقرة باعتبارها توصية بأن « من يتبقوا » يجب أن يطلق سراحهم » . وفى تعقيب رايتلنجر على محاضر جلسات مؤتمر وانسى فإنه يلاحظ أن هايدريتش كان من الفطنة بحيث لم يذكر الباقى » وأن الصياغة الحذرة للمحاضر كانت واحدة من أكبر فنون رايخ هتلر . وأما هيلبيرج فإنه يفسر عدم وضوح معنى بعض اجزاء الفقرات (من وجهة نظره) بملاحظة يقول فيها » أننا نعلم من أسلوب تقارير فرق الهجوم أنه كان يقصد القتل » . وهذا الكلام

يعادل الادعاء الشاذ بأن رايخ هتلر كان « حذرا » فيما يتعلق بالاسلوب المستخدم فى محاضر الجلسات السرية ولكنه لم يكن حذرا فيما يتعلق بالاسلوب المستخدم فى تقارير فرق الهجوم التى توزع على نطاق واسع . وعلى أية حال فإن هذه الفقرات فيما يقال أنها محاضر جلسات مؤتمر وانسى هى الفقرات الوحيدة فى الوثائق التى تصف السياسة الالمانية تجاه اليهود والتى يمكن تفسيرها تفسيرا خبيثا على الرغم من أنه من الممكن تفسيرها تفسيرات كثيرة .

والتفسيرات المتكلفة تكلفا بالغا لهذه الوثائق انما هى عوامل تضاف إلى عدة عوامل أخرى مذكورة فى الفصل الرابع تجبر رايتلنجر على أن يعلن أن هوس لابد وأن يكون قد قصد فى الحقيقة صيف سنة ١٩٤٢ باعتباره تاريخ تسلمه لأوامر الابادة من هملر . فكل من رايتلنجر وهيلبيرج يفترض أن عمليات الترحيل إلى الشرق كانت بقصد قتل اليهود هناك ، بوسيلة أو بأخرى ، وأن غرف الغاز فى بولندة قد انشئت فى منتصف عام ١٩٤٢ كتغيير فى وسيلة القتل ، وقد رأينا أن هذه النظرية لا تنسجم مع التواريخ المرتبطة بتخطيط أفران حرق جثث الموتى فى أوشفيتز والقيام بالعمل التمهيدى فيها وهى الافران التى من المفروض أنها صممت لأعمال الابادة . وهكذا فان الزعم بأن الوثائق يجب أن تفسر على أنها تعنى شيئا اخر غير ما تعبر عنه إنما يؤدى بالمرء إلى الوقوع فى تناقضات وصعوبات شائكة ، ولكن النتيجة لابد وأن تكون كذلك إذا ما طبقت مثل هذه الأساليب على تفسير الايصالات وعلامات الطريق والعمليات الحسابية إلخ . .

وليس هناك جدوى من المضى أكثر من ذلك فى مناقشة تلك الجهود الرامية إلى جعل هذه الوثائق تعنى شيئا آخر غير ما تعبر عنه . فالسياسة الالمانية أى « الحل النهائى » كان معناها توطين اليهود فى الأراضى المحتلة فى الشرق وهذا ما تعبر عنه وثائقهم والبرنامج المذكور فى هذه الوثائق تؤكد المصادر المحايدة بل وحتى المصادر المعادية إلى حد كبير ويجدر بنا ، على سبيل التأكيد الاضافى أن نذكر تلك الفقرات التى ذكرها جرايزل فى كتابه التاريخ . حيث يقول فى احدى الفقرات أن الالمان كانوا يفعلون ما تذكره وثائقهم أنهم يفعلونه .

« ولقد اتبعوا ذلك بعمليات ترحيل شاملة ، بعد أن خصصوا عددا من الأماكن فى شرق أوروبا كانوا يحتجزون فيها اليهود من البلاد الأخرى تمشيا مع السياسة النازية المعلنة وهى « تحرير » كل أوروبا من النفوذ اليهودى » .

على أن جرايزل يناقض هذا البيان فى الفقرة التالية حين يقول ان الالمان كانوا يرتكبون

ماذكرت دعاية الحلفاء أنهم ارتكبوه : أى الابادة وغرف الغاز الخ . . ولا يبذل جرايزل أية محاولة لحل هذا التناقض .

وقد يتساءل الإنسان متعجبا عن السبب الذى من أجله لجأ مؤلفا الخدعة إلى مواجهتنا بوثائق تصب ، فى عبارات عامة جدا ماكانت عليه السياسة الألمانية . فقد كان هذان المخادعان يواجهان .

(أ) حقيقة أن الالمان قد أبلغوا الأوربيين فى وقت عمليات الترحيل أن اليهود سيعاد توطينهم .

(ب) حقيقة أن برنامج اعادة التوطين قد نقلت اخباره صحف الحلفاء .

(جـ) حقيقة أنه فيما يتعلق بالوثائق كان من الضرورى الاختيار بين ثلاثة احتمالات : الأول ، عدم تقديم وثائق على مستوى عال تعالج السياسة اليهودية ، والاحتمال الثانى ، تقديم وثائق على درجة عالية من التزوير تعالج هذه السياسة ، والاحتمال الثالث تقديم وثائق على مستوى عال ومنتقاة تعالج هذه السياسة . وكان من الواضح ازاء هذه الظروف أن الاحتمال الثالث هو المفضل فمن الواضح أنه كان من الافضل تقديم وثيقة حقيقية بتوقيع جورنج تتناول « الحل النهائى » للمسألة اليهودية » بدلا من تقديم وثيقة مزورة أو عدم تقديم وثيقة على الاطلاق . ومع أن الحل النهائى محدد بأنه « الهجرة والجلاء » الا أنهم اعتبروا أنه لا سبيل إلى تجنب حقيقة أن النازيين وصفوا برنامجهم بمثل هذه العبارات ، وهكذا فإن الذين يقولون بأسطورة الابادة انما يدعون اليوم بأن كل هذا لم يكن سوى اصطلاحات رمزية .

ويجب ألا يغفل المرء العمل الهام الذى قام به « ر . ل . كويهل ذلك الطائر الغريب المؤرخ الأكاديمى المحترف الذى يكتب حول ، مجال يسيطر عليه سيطرة تامة غير المؤرخين والفائدة الرئيسية لعمل كويهل هى وضع بولندة فى الموضع السليم فى المنظور السليم بالنسبة لهذا الموضوع .

فخلال سنوات الحرب أخذت المانيا على عاتقها أن تغير تركب السكان القريبين من حدودها الشرقية ، وكانت الاداه الرئيسية لهذا البرنامج متمثلة فى المكتب الرئيسى للاجناس والتوطين التابع لقوات حماية أمن الرايخ وكانت السياسة الاساسية تقوم على ترحيل عناصر منتقاة من المان الرايخ والجاليات الالمانية الاصل بأوربا الشرقية إلى الأراضى المستولى عليها المجاورة الالمانية . فكان اليهود والبولنديون يطردون من هذه المناطق وينقلون

إلى أماكن مختلفة ، وفى بعض الحالات إلى المزارع التى رحلت عنها العناصر الالمانية الاصل ، إلى أحياء الجيتو فى الشرق وكذلك إلى قرى معينة خاصة فى بولندة .

ويؤيد كويهل صراحة حقيقة برنامج الابادة ولكن ما يذكره عن هذا البرنامج يتميز بقرابته البالغة :

لقد كانت الرواية الأصلية تصر على أن اليهود كانوا سينقلون إلى أماكن بعيدة فى الشرق فى الأراضى السوفيتية المستولى عليها ، وذلك لابعادهم بصورة أكثر فعالية عن مجال الحياة الألمانية وقد تضمن هذا البيان ، كغيره من البيانات الألمانية اثارا ضئيلة من الحقيقة :

١ - أرسلت قطارات محملة باليهود من الرايخ إلى أماكن بعيدة فى الشرق قدر الأمكان للقضاء عليها على ايدى أناس غير المانيين مثل الاوكرانيين أو أهل البلطيق .

٢ - أما البولنديون فإن الخطط الأولى التى وصفها روزنبرج بوصفه وزيرا للشرق ، كانت تقضى بالبحث فى اعادة توطينهم فى منطقة (سمو لنسك) السوفييتية وبذلك تطلق يد الحكومة العامة فى توطين الألمان » .

ولا يقدم كويهل أى دليل على عمليات القتل التى ارتكبتها شعوب أوكرانيا أو البلطيق ، والمصادر التى يستشهد بها فى هذه النقطة لا تذكر مثل هذه المزاعم وعندما يشير إلى معسكرات الابادة فإنه يقول :

« فى خريف وشتاء عام ١٩٤١ ، ١٩٤٢ نقل باقى السكان اليهود فى الاقاليم التى ضمت إلى الرايخ ، وعددهم مائتان وأربعون ألف يهودى ، إلى معسكرات الابادة التى انشئت حديثا فى كولو وبلزيك ، وما جدانك ، وسوبيبور .

والقائمة تستثنى أوشفيتز التى لا ترد فى كتاب كويهل إلا فى ملاحظة أوردها عن بعض الالمان الذين ارسلوا إليها عقابا لهم فيما يتصل بمعركة راينهارات التى سنشرحها فيما بعد) ، وكذلك فيما يتصل بالاتى :

« صرح الدكتور كلوكوفسكى بأنه مع حلول شهر يوليو ١٩٤٣ كان قد تم اخلاء ٢٩٧ قرية من بين قرى مقاطعة زاموسك البالغ مجموعها ٦٩١ قرية ، اخلاء كليا أو جزئيا . وقد قدر أن ١١٠ ألف بولندى ويهودى قد رحلوا عن المنطقة ما بين ذكور واناث فى سن العمل للقيام بأعمال السخرة فى مصنع توليد الهيدروجين فى أوشفيتز والباقون نقلوا إلى الـ ٣٩٤ قرية الاخرى من قرى زاموسك » وللمرء أن يستخلص من ذلك

ما يتوصل إليه من نتائج . وفى رأيى أن كتاب كويهل مفيد للقارئ الذى يرغب فى التعرف على وجهة نظر مفصلة لسياسات السكان النازية ، وبخاصة فى علاقاتها بالقومية الالمانية والفكر العنصرى النازى والسياسة الحزبية الداخلية للنازى .

لقد تم ترحيل كثير من اليهود الأوربيين إلى الشرق وينبغى علينا الان أن نلقى نظرة أقرب على برنامج الترحيل هذا ، إذ هناك عدة اسئلة واضحة تتناول التعريف بالمرحلين وعددهم والاماكن التى رحلوا إليها وطبيعة الحياة فى الاماكن التى نقلوا إليها ومصيرهم . وليس فى الامكان الا تقديم اجابات جزئية أو مؤقتة إلى حدما .

ويجب علينا أولا أن نبحث عدد وجنسيات اليهود الذين تناولهم برنامج اعادة التوطين وهنا تصادفنا المشكلات التى ناقشناها فى الفصل الأول لأن احصاء اليهود يمكن أن يكون امرا صعبا ، غير أننا لا ننشد الدقة الاحصائية هنا ولكننا نسعى إلى معرفة الارقام التقريبية التى يمكن ، بالاستناد إلى البيانات التى يمكن التثبت من صحتها استخدامها فى اظهار أن اليهود الذين راحلوا كان يمكن بسهولة أن يبقوا على قيد الحياة فى نهاية الأمر . وعلى ذلك ، فيكفى أن نتقبل بعض الأرقام التى يقدمها كل من رايتلنجر وهيلبيرج لأغراض المناقشة وذلك على الرغم من أنه من الممكن الاختلاف معها (كما أنه من الممكن الاختلاف مع الدراسة التى أعدها راسينيه) . وهذه الارقام هى عبارة عن تقديرات لاعداد القتلى ، والمفهوم أننا هنا نفترض أن هؤلاء الناس إنما اعيد توطينهم فى الشرق لا أكثر ولا أقل . وفى حالة رايتلنجر فاننا نستخدم أعلى تقدير له :

الدولة	رايتلنجر	هيلبيرج
المانيا	١٨٠,٠٠٠	١٦٠,٠٠٠
النمسا	٦٠,٠٠٠	٥٣,٠٠٠
تشيكوسلوفاكيا	٢٥١,٠٠٠	٢٧١,٠٠٠
الدانمرك	٠٠٠٠٠٠	١,٠٠٠
فرانسا	٦٥,٠٠٠	٧٠,٠٠٠
بلجيكا	٢٨,٠٠٠	٥٠,٠٠٠
لوكسمبورج	٣,٠٠٠	٢,٠٠٠

الدولة	رايتلنجر	هيلبيرج
النرويج	٧٠٠,	١,٠٠٠
هولنده	١٠٢,٧٠٠	١٢٠,٠٠٠
ايطاليا	٨,٠٠٠	١٧,٠٠٠
يوغوسلافيا	٥٨,٠٠٠	٦٣,٠٠٠
اليونان	٦٠,٠٠٠	٦٢,٠٠٠
الجملة	٨١٦,٤٠٠	٨٧٠,٠٠٠

وهذه الأرقام مبينة إلى حدما على الوثائق الالمانية ، وبخاصة تقرير كورهر والوثائق من أرقام ٥١٩٣ حتى ٥١٩٨ ، وتوجد مصادر محايدة إلى حدما مثل الصليب الاحمر الهولندى فيما يتعلق بالارقام الواردة عن هولندة ، كما تدخل فى هذه الارقام بعض التقديرات السكانية . وعلى أية حال فانى أعتقد أن الارقام الاجمالية المبينة هنا على الأقل سليمة .

ونحن لا ندخل المجر فى القائمة السابقة حيث ان من يقول عنهم من رايتلنجر وهيلبيرج أنهم قد ابيدوا انما هو اختلاق محض . بل انهم لم يرحلوا حتى إلى الشرق ، وإنما نقل قرابة مائة ألف إلى ألمانيا للعمل فيها قرب نهاية الحرب ، ولابد أن يكون قد هلك عدد محدود تماما من هؤلاء فى الظروف الصاخبة التى اتسمت بها الأشهر الأخيرة من الحرب ولكن من المستحيل بصفة جوهرية التوصل إلى حقيقة الرقم .

والمفروض أن رومانيا قد فقدت هى الأخرى ما بين ٢٠٠,٠٠٠ إلى ٣٧٠,٠٠٠ يهودى عن طريق الابادة ، ولكن مثل هذه الأرقام ، كما يلاحظ رايتلنجر « مبينة على التخمين » وذلك بسبب « نقص المعلومات الموثوق بها » . ومن المسلم به أن المجموعات الكبرى التى يزعمون أنها ابيدت من اليهود هى من نفس الفئة ، ويزعمون أن عددها يتراوح بين ٢,٣٥٠,٠٠٠ – ٣,٣٠٠,٠٠٠ يهودى من بولنده ومابين ٤٠٠,٠٠٠ ، ٧٠٠,٠٠٠ يهودى من اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية ، وهذه الأرقام هى مجرد تقديرات ديموجرافية ولكن لا تدعمها أى معلومات أخرى على الاطلاق عدا بيانات الحكومات الشيوعية فيما بعد الحرب .

وسوف نبحث هذه الأرقام فيما بعد ، ولكننا نذكر فقط فى هذه النقطة بأن اليهود الذين رحلوا من فرنسا وبلجيكا لم يكونوا يهودا فرنسيين أو بلجيكيين بينما كان اليهود الذين رحلوا من هولندة كلهم تقريبا يهودا هولنديين (ويبدو أن السبب فى ذلك كان مجرد اعتبار قانونى ، ذلك ان كلا من فرنسا وبلجيكا كانتا قد استسلمتا للالمان رسميا وتم الاتفاق على شروط رسمية للهدنة . أما فى هولندة فإن الملك فر إلى انجلترا وعلى ذلك كان الالمان يعتبرون هولندة دولة غير مستقلة . فكانت الحقوق الألمانية فى هولندة تبعا لذلك أوسع نطاقا ، وبطبيعة الحال فإن نية الالمان كانت تتجه إلى طرد كل اليهود فى نهاية الأمر من أوروبا ولكن كان من الطبيعى أن يبدأوا بمن لا تثور حولهم الا ابسط الصعاب القانونية .

والمقتطفات التى سبق أن بحثناها من تقرير الصليب الأحمر فى الفصل الخامس تتناقض بكل تأكيد مع دعاوى الابادة فى حالة يهود رومانيا . ومن المعقول الافتراض بأن غالبية اليهود الذين كانوا موجودين فى الأراضى الواقعة تحت السيطرة السوفيتية والتى احتلها الالمان بعد الثانى والعشرين من يونية سنة ١٩٤١ قد فروا إلى الداخل قبل وصول الالمان وهذا هو ما يعتقده رايتلنجر كذلك . وعلى اية حال فليس ثمة دليل على أن الألمان قد فعلوا شيئا ازاء اليهود الذين بقوا أكثر من انتهاج ذلك الموقف العدائى الذى يتسم باليقظة والذى كانت تفرضه تهديدات الانصار التى ناقشناها فى الفصل السابق ، وكان اليهود البولنديون يشكلون غالبية اليهود ويمثلون أكبر الصعاب بالنسبة لأى تحليل تفصيلى للموضوع وذلك بسبب وضعهم وظروفهم ولا نستطيع إلا أن نقدم صورة عامة لما حل بهم .

وأول ما نلاحظه هو أنه وان كان من الملائم هنا أن نفرق ما بين اليهود الروس واليهود البولنديين فإن الفارق الحقيقى ضئيل للغاية إذا أمكن القول بأن هناك ثمة فارق بينهما فقد كانت كلتا الطائفتين قبل الحرب العالمية الأولى من رعايا الامبراطورية الروسية .

وأول الاحداث التى لها صلة بهذا الموضوع والمتعلقة باليهود البولنديين انما ترجع إلى اجراءات روسية ، لا إلى اجراءات المانية فعندما اقتسمت المانيا وروسيا بولندة فى سنة ١٩٣٩ وقع النصف الشرقى ، ومن ثم نسبة كبيرة من اليهود البولنديين تحت الحكم السوفيتى ، وكان اليهود موضعا لبرنامج روسى لإعادة توطينهم وصف خطوطه العريضة كورزن فى مقالة له نشرتها الحكومة الإسرائيلية . ومقالة كورزن تنطوى على شىء من الأهمية بالنسبة لما نعالجه من مسائل فى هذا الفصل .

وما حدث بايجاز ، هو أن مئات من الالاف من هؤلاء اليهود تشتتوا فى سائر انحاء

الاتحاد السوفيتى فى برنامج للجلاء بدأ فى شهر يونية سنة ١٩٤٠ . وفى بادئ الأمر ارسل الكثيرون إلى معسكرات العمل ولكن ، بعد سبتمبر سنة ١٩٤١ ، بذل جهد جدى « لتحويل اللاجئين إلى مواطنين سوفيت ومنعهم من مغادرة الاتحاد السوفيتى » . وقد امتد التشتيت حتى آسيا الوسطى والشرق الاقصى ، ومن الصعب التوصل إلى شىء من التفاصيل ويطالب كورزن بمزيد من الاهتمام ببحث الموضوع ولقد صار كثيرون منهم مواطنين سوفيت بينما رحل البعض عائدا إلى بولندة بعد الحرب ثم هاجروا فى حالات كثيرة إلى إسرائيل ، ويلاحظ كورزن أن اليهود الذين بقوا فى بولندة كزعماء لنظام الحكم الشيوعى الجديد تعرضوا للضغط « لكى يغيروا اسماءهم إلى اسماء تبدو بولندية صرفة ، ولكن يبقوا أصلهم اليهودى فى طى الكتمان » . بينما وصل البعض الاخر من أولئك اليهود فى نهاية الأمر إلى أماكن مثل فارس والهند عن طريق شنغهاى ، ولقد ظلت لجنة التوزيع المشتركة بنيويورك على اتصال باللاجئين فى الاتحاد السوفييتى فى اثناء الحرب وساعدتهم فى تحركاتهم بعدها .

ومن المعروف كذلك أن عددا كبيرا من اليهود ، يقدره أحد المصادر بثلاثمائة ألف يهودى ، فر من غربى بولندة إلى شرقيها فى سنة ١٩٣٩ حينما قام النازيون بغزو غرب بولندة . وهكذا فإن نسبة كبيرة من يهود بولندة ، ربما بلغت الثلث ، كانت قد ابتعدت عن ايدى الالمان قبل نشوب الحرب بين روسيا والمانيا فى يونية سنة ١٩٤١ .

وعلى الرغم من وجود برنامج المانى محدود لاعادة التوطين قبل ذلك وبخاصة بالنسبة ليهود فيينا ، الا أن برنامج النازى لاعادة التوطين بدأ فى حماس فى خريف سنة ١٩٤١ . وإذا استبعدنا اليهود البولنديين من اعتبارنا وأدخلنا اليهود الرومانيين فى اعتبارنا المباشر لرأينا ان الالمان قد رحلوا مليون يهودى على أكثر تقدير إلى مستعمرات أوجيتوات فى الشرق المحتل . ومن الاماكن التى ذكرت يمكننا أن نتوصل إلى فكرة لا بأس بها عن أماكن وجود تلك المستعمرات وهى : ريجا ، ومنسك ، وأوكراينا ، وبحر الخزر (آزوف) شمالى البحر الأسود) ، وهذه الأماكن تكون خطا متصلا ومعقولا على الخريطة .

ومع أن لدينا فكرة حسنة عن أماكن وجود هذه المستعمرات الا أننا لا نعرف عنها ، أكثر من أنها كانت موجودة ، فلقد اتلف احتلال الحلفاء ، وهو شىء متوقع بطبيعة الحال ، السجلات والوثائق الالمانية الوثيقة الصلة بهذا الموضوع حتى أنه لم يبق منها غير شفرات تعالج برنامج اعادة التوطين بصورة أكثر تحديدا من مذكرة لوثر (ن ج -

٢٥٨٦ جيه) مثلا . والواقع أن دفاع ستينجراخت بذل جهدا صادقا لتقديم مثل هذه الوثائق فى نورمبرج ولكن اقصى ما استطاع أن يقوم به بالنسبة للمعسكرات الشرقية أنه قدم وثيقتين كدليل . الأولى ، ستينجراخت ٦٤ وهى خطاب من ايخمان مؤرخ ٥ يونيه سنة ١٩٤٣ وموجه إلى وزارة الخارجية لكى ينال اهتمام تادن ويتعلق بالمعسكرات اليهودية فى الشرق وبعض المقالات التى ظهرت عنها فى عدد من المجلات الأوروبية . ويبدو أن « الشائعات الخيالية » التى ترددت فى سلوفاكيا عن هذه المعسكرات كانت تلقى تصديقا من جانب بعض الناس هناك وقد علق ايخمان أنه بالإضافة إلى الاستشهاد بالمقالات التى وردت بتلك المجلات بأنه :

« لمواجهة الشائعات الخيالية المنتشرة فى سلوفاكيا عن مصير اليهود الذين تم اجلاؤهم ، يجب لفت الأنظار إلى اتصالات هؤلاء اليهود البريدية مع سلوفاكيا . . والتى بلغت على سبيل المثال أكثر من ألف خطاب وبطاقة بريدية عن شهرى فبراير ومارس هذه السنة . وفيما يتعلق بالمعلومات التى يبدو أن رئيس الوزراء الدكتور طوكا يرغب فى معرفتها عن الاحوال فى معسكرات اليهودية فإن هذا المكتب لن يثير أى اعتراضات ضد أى فحص محتمل لهذه المراسلات قبل تسليمها إلى المرسل إليهم .

وأما وثيقة ستينجراخت الثانية ، وهى ستينجراخت ٦٥ (وهى تحمل رقم ١٦٢٤) ايضا فهى أكثر تأثيرا بعض الشيء من حيث أنها تقدم صورة لوضع اليهود فى الشرق المحتل ، وهى عبارة عن أمر صادر بتاريخ ٢٠ اغسطس ١٩٤٣ ، من رئيس المكتب الرئيس للاجناس والتوطين الجنرال هيلدبرانت ويتعلق بصلات الصداقة بين الالمان واليهود فى الشرق المحتل والاساليب المسموح بها فى استخدامهم ، وقد جاء فيه :

« لقد أوضحت لى عدة مصادر أن سلوك المكاتب الالمانية فى أقاليم الشرق المحتلة تجاه اليهود قد تطور على نحو يثير المخاوف والشكوك فى الاشهر الماضية اذ يجرى بنوع خاص استخدام اليهود فى أعمال وخدمات يجب ، بالنظر إلى اعتبارات المحافظة على سريتها ، الا يعهد بها الا إلى اشخاص موثوق بهم ثقة مطلقة حتى يبدون فى نظر الأهالى كممثلين موثوق بهم للمكاتب الالمانية ، ولسوء الحظ فإنه ، بالإضافة إلى ذلك توجد فيما يقولون ، حالات تقدم فيها صداقة شخصية بين رجال الرايخ ونساء يهوديات بصورة تتجاوز الحدود التى يجب مراعاتها بكل دقة لأسباب أيديولوجية وعنصرية . ويقال إن الأمر يثير قلق اليهود من أهل البلاد كما يثير قلق اليهود واليهوديات الذين رحلوا من الرايخ القديم إلى الاراضى

الشرقية المحتلة . ولقد ادت هذه العلاقات الغرامية إلى حقيقة أن اليهود يستغلون ما يتمتعون به من مراكز موثوق بها فيما يبدو فى مقابل أن يمدهم السكان الأصليون بحصص مميزة من المؤن ويقال أنه فى الاونة الاخيرة عندما ظهرت فى الشرق مخاوف من تقهقر المانى فإن بعض السكان الوطنيين حاول أن ينال الحظوة لدى أولئك اليهود الذين يعملون فى المكاتب الالمانية لكى يضمنوا لأنفسهم معاملة أفضل على أيدى البلاشفة ، إلا أن الذين كانوا يعتزون بأنفسهم من أولئك السكان كانوا ينظرون إلى هذه الأمور بامتعاض بالغ لأنهم كانوا يرون فيها تناقضا بين مبادئ الاشتراكية الوطنية والموقف الفعلى للألمان .

ويسبب استخدام اليهود فى الأعمال بطريقة غير سليمة فإن مكانة الرايخ الألمانى العظيم ومركز ممثليه يتعرضان للضرر كما يتعرض للضرر ضرورة اتخاذ اجراءات أمن فعالة فى الاقاليم الشرقية المحتلة ، إذ يمكن أن تنشأ اخطاء جسيمة بنوع خاص من حقيقة أن اليهود يستغلون الأعمال المسندة إليهم فى التجسس والدعاية لمصلحة اعدائنا .

لذلك فإننى أرجو أن تصدر التعليمات التالية للمكاتب التابعة لنا فى الاقاليم الشرقية المحتلة .

١ – يمكن استخدام اليهود ومن فى مثل وضعهم فى العمل اليدوى فقط . ومن المحظور استخدامهم فى الاعمال المكتبية (مسك الدفاتر والكتابة على الالة الكاتبة وأعمال الفهرسة والتسجيل) . ويجب مراعاة الاهتمام بكل دقة بالا يسند إليهم عمل يمكن أن يستخلصوا منه شيئا من النتائج فى موضوعات يجب أن تظل سرية .

٢ – يحظر استخدام اليهود فى الخدمة العامة أو الشخصية أو فى تنفيذ الأوامر أو فى التفاوض لعقد صفقات تجارية أو فى شراء سلع .

٣ – يحظر كذلك اقامة علاقات خاصة مع اليهود أو اليهوديات ومن يماثلونهم كما يحظى اقامة أى علاقات تتعدى الضرورة الرسمية .

» وربما كان المقصود من عبارة « » الاشخاص الذين يماثلونهم « الغجر اساسا . ونحن نفترض أن محامى سيتنجراخت أجرى عملية بحث دقيقة للوثائق التى قدر لها البقاء فى نورمبرج . وكان الأمر الذى أصدره هيلد برانت إلى المكتب الرئيسى للاجناس والتوطين مجرد تكرار حرفى لأمر أصدره كالتنبرونر فى ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٣ لكل المكاتب الالمانية فى المناطق الشرقية المحتلة (الوثيقة رقم ١٢٤٧) . ولعل عدم استخدام ستينجراخت للوثيقة رقم ١٢٤٧ كان مرجعه إلى أنها تكاد تكون مطابقة تماما للوثيقة رقم ١٦٢٤ .

ومثل هذه الوثائق ليست الا بقايا ضئيلة ، مثيرة للاسى ، للسجلات المكتوبة الواسعة التى لابد وأنها كانت موجودة والتى كان تتعلق بالمستوطنات اليهودية فى الشرق . ولعله سمح للوثيقة الأولى بالبقاء لأنها تتكلم عن « الشائعات الوهمية » التى يتناقلها الناس فى سلوفاكيا .

وربما افلتت الوثيقتان الاخريان لا لشيء سوى أن مضمونهما لم يكن على درجة كافية فى الوضوح .

ولقد ساهمت جانيت وولف وهى يهودية ألمانية كانت زعيمة للحزب الاشتراكى الديمقراطى الالمانى بمقال فى كتاب من اعداد « بويهم » بعنون « لقد بقينا على قيد الحياة » عن تجاربها بعد ترحيلها إلى ريجا فى لاتفيا . والحكاية التى ذكرتها عن الضرب الذى لا مبرر له على أيدى رجال العاصفة والعربدة الجنسية والافراط فى احتساء الخمور لا يمكن تصديقها ، ومع ذلك فإن روايتها تستحق التأمل لأنها توضح أنه كانت هناك شبكة واسعة من المستوطنات والجيتوات والمعسكرات المخصصة لليهود فى ضواحى ايجا . ولم تكن هذه المستوطنات تأوى يهود لاتفيا فحسب وإنما كانت تأوى أيضا اعدادا كبيرة من اليهود المرحلين من ألمانيا وغيرها من الدول الأوربية الأخرى . وسبق أن لاحظنا بطبيعة الحال ، فى الفصل الرابع ما قاله أحد المصادر فى تيريزنيشتات من أن النازيين كانوا يقومون بترحيل اليهود إلى ريجا وغيرها من الاماكن طوال الحرب .

ويستطيع المرء أن يرى بصورة عامة ما حدث ليهود بولندا (ولاتفيا وليتوانيا) وذلك بالرجوع إلى ما كتب عن « ابادة اليهود » بأقلام « الناجين فى المدن الصغرى والكبرى كان اليهود داخل بولندا يسكنون فى الجيتوات التى كانت موجودة طوال الحرب . وكان يوجد فى بولندة بصفة خاصة جيتوات ضخمة فى لودز ووارسو وبياليستوك ولوفو وجرودنو ، وفى لتوانيا كان يوجد جيتوات فى فيلنا وكوفنو ولا تفيا كان الجيتو يوجد فى ايجا كما سبق أن لاحظنا . وعلى الرغم من أدب « الذين بقوا على قيد الحياة من عمليات الابادة يقدم هذيانا لا ينتهى عن عمليات الابادة (وهو دائما من نوع لا يتفق والاسطورة ، ومثال ذلك غرف الغاز فى كراكاو فى ديسمبر سنة ١٩٣٩) ، الا أنه يتيح كذلك قدرا كافيا من المعلومات للانسان كى يتعرف من خلاله على طبيعة مجرى الامور تقريبا . ففى كل جيتو كان يوجد مجلس يهودى يسمى المجلس الاستشارى اليهودى وكان بمثابة الحكومة الداخلية للجيتو . وكانت شرطة الجيتو من اليهود وكانت مسئولة أمام المجلس الاستشارى اليهودى ، وكان المجلس الاستشارى ينصح عادة التعاون مع الالمان لأنه ، فى ظل تلك الظروف التى

كانت قائمة لم يكن يرى ان هناك سبيلا آخر معقولا . وكان الالمان يتقدمون دائما بطلبات تفصيلية للعمال من الجيتو فكان المجلس الاستشارى اليهودى يضع عندئذ القوائم المفصلة للاشخاص المجندين للعمل ، كما كانت توجد فى الجيتوات الكبيرة منظمات للمقاومة مسلحة تسليحا جيدا عادة ، وكان اعضاء تلك المنظمات ينظرون إلى المجلس الاستشارى اليهودى باعتباره مكونا من عملاء الالمان .

ويخصص كتاب دافيد وفيتش عدة فصول لوصف الاحوال فى احياء الجيتو فى بولندا . فعلى الرغم من أن السياسة المبدئية للالمان عقب احتلالهم لبولندا مباشرة قامت على حظر المدارس اليهودية ، إلا أنهم سرعان ما تخلوا عن هذه السياسة واخذ الاطفال اليهود يتلقون تعليما نظاميا فى جوهرها أما فى مدارس خاصة وأما فى مدارس تخضع لسلطة المجالس الاستشارية اليهودية وساعدت أوجه النشاط الثقافى للكبار ، من أدب ومسرح وموسيقى ، على التخفيف من السمات التعسة الاخرى للحياة فى الجيتو . وكانت وكالة الانعاش الاجتماعى اليهودية التى حلها الالمان فى منتصف سنة ١٩٤٢ ثم اعيد تأسيسها بعد ذلك بوقت قصير تجلب المواد الغذائية والملابس والدواء من الادارة المدنية الالمانية ، وكذلك فإنها ظلت ، ومن خلال الصليب الأحمر الالمانى ، على صلة بالهيئات الاجنبية التى كانت تمدها بالمال والمؤن . وقبل دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب فإن معظم الموارد المالية الخارجية التى من هذا القبيل كانت ترد من لجنة التوزيع المشتركة فى نيويورك . إلا أنه بعد ديسمبر سنة ١٩٤١ لم يعد ذلك ممكنا من الناحية القانونية . وعلى الرغم من الحماية التى كانت تتمتع بها وكالة الانعاش الاجتماعى اليهودية فإنها كانت تقوم احيانا بتغطية نشاطات سياسية غير مشروعة حيث كانت شتى الهيئات السياسية من اشتراكية وشيوعية وصهيونية وأجوداتية [١] ترتبط بمنظمات المقاومة التى كان نشاطها يمتد من أعمال التخريب إلى الدعاية وأحيانا إلى المقاومة المسلحة . ولقد بدأت الدعاية عن عمليات الابادة بالنشرات السرية قبل أن يبدأها المؤتمر اليهودى العالمى بوقت قصير (انظر الملحق هـ) ولكن السكان اليهود لم يصدقوها لأنهم لم يشهدوا ما يؤيدها ، فالخطابات التى كانوا يتسلمونها من اليهود الذين رحلوا إلى الشرق كانت تبعث الطمأنينة فى قلوب الأهل والاصدقاء . وفيما يلى ما كتبته دافيد وفتش فى الفصل التمهيدى عن المشكلات التى تواجه البحث التاريخى عن الابادة الشاملة لليهود :

---

(١) كلمة عبرية معناها وحدة . والمعنى هنا المنظمات اليهودية الداعية إلى وحدة الطائفة اليهودية . (المراجع).

« كانت احدى العقبات عدم كفاية الوثائق اليهودية على الرغم من حجمها الهائل . . وربما أمكن تفسير عدم وجود موضوعات هامة فى السجلات بحالة الرعب والرقابة ، ومع كل فإنه مع عدم وجود دليل يؤيد أو يدحض فإن المؤرخ لا يستطيع أبدا أن يعرف على وجه اليقين ما إذا كان عدم وجود دليل يرجع إلى قرار قانونى بعدم معالجة مثل تلك المسائل أو ما إذا كان ذلك راجعا إلى مجرد سياسة حصيفة تقضى بعدم ذكر مثل هذه الأمور . إن الارهاب كان عظيما لدرجة أن المذكرات الشخصية ، المكتوبة باللغة اليدية أو العبرية كانت تكتب بحذر مع اللجوء إلى الكتاب المقدس والتلمود كوسيلة للتعبير الذى لا يفهمه إلا الخاصة وكنوع من التكتم والتحفظ الذى فرضوه على أنفسهم .

وكما يتضح من كل الدراسات عن سياسات السكان الالمانية فى بولندا ، مثل دراسات دافيد فيتش وكوبهل ، كانت هناك تنقلات دائبة لليهود بما يتفق والسياسة الألمانية العامة الرامية إلى تجميعهم بعيدا فى الشرق بقدر المستطاع . ويذكر تقرير كورهر بتاريخ مارس ١٩٤٣ ان ١,٤٤٩,٦٩٢ يهوديا قد « نقلوا من المقاطعات الشرقية شرق المناطق الروسية المحتلة ، ويذكر التقرير أيضا أن ٩٠ ٪ على وجه التحديد من هؤلاء اليهود قد مروا بمعسكرات فى المنطقة الخاضعة للحكومة العامة ، وأن الباقى قد مر بالمعسكرات فى وارثيجاو (وربما كان يعنى أساسا لودز) وأن الجيتو الضخم فى مدينة وارسو قد تمت تصفيته فى ربيع ١٩٤٣ ونقل معظم اليهود إلى أماكن أبعد فى الشرق مع اتخاذ تريبلينكا كمعسكر انتقالى لعملية اعادة التوطين . على أن هذه العملية لم تتم إلا بعد مقاومة يهودية ضارية وبعد معركة ذاعت أنباؤها فى العالم بينما كانت دائرة ، ومع ذلك فإن اعادة التوطين لم تكن كاملة لأنه كان يوجد دائما بعض اليهود على الأقل فى موقع الجيتو ، وكما سبق أن لاحظنا فإن الجيتوات الأكبر كانت موجودة إلى حد ما طوال الحرب .

وعندما كان يعلن عن اعادة التوطين على أحد الجيتوات كان واجب المجلس الاستشارى اليهودى بالجيتو أن يضع قوائم بأسماء أولئك الذين سيعاد توطينهم وباستثناء حالات نادرة فقط كان اليهود الذين سيعاد توطينهم يرحلون فى هدوء حيث كان من المعروف جيدا أن « اعادة التوطين » أمر لا مندوحة عنه .

ويبدو أن الأوبئة كانت شائعة فى الجيتوات وكان الالمان يعزون ذلك إلى « عدم وجود النظام » بين اليهود وكانوا يتخذون ما يمكنهم من اجراءات وقائية وكما كتبت صحيفة نيويورك تايمز فى مناسبة واحدة على الأقل فإن كثيرا من سيارات الاسعاف كانت ترسل إلى

وارسو لتطهير الجيتو» .

ومع أن الحركة العامة لهؤلاء اليهود تجاه الشرق حقيقة ثابتة فإن المعلومات التى يمكن الاستناد إليها لمعرفة حقيقة الاعداد التى نقلت على وجه الدقة والاماكن التى نقلت إليها غير موجودة . على أن النقطة الهامة الجديرة بالملاحظة هى أنه يكاد يكون مؤكدا أن العدد الأكبر من اليهود البولنديين قد أخرجوا تماما من كل بولندا قبل الحرب وذلك فيما خلا الجزء الواقع فى أقصى الشرق من البلاد لأن أراضى بولندا بعد الحرب تتكون مما كان فيما مضى الجزء الشرقى من المانيا ومن الجزئين الغربى والاوسط من بولندا (إذا استولت روسيا على الجزء الشرقى من البلاد) . وهذا معناه أن معظم اليهود كانوا قد رحلوا فى واقع الأمر عما يشار إليه اليوم بأنه بولندا . وفيما يتعلق بالجيتوات الكبيرة سالفة الذكر فإنه تجدر ملاحظة أن لوفر وجروندو ، وفيلنا ، وكوفنو ، وربما قد ادمجت كلها فى الاتحاد السوفييتى بعد الحرب وأن بياليستوك تقع الان فى أقصى الجانب الشرقى لبولندا . فلو أنه كان يوجد حوالى ثلاثة ملايين يهودى فى بولندا قبل الحرب ، وإذا أدخلنا فى حسابنا الاعداد التى فرت إلى الاتحاد السوفييتى فى سنة ١٩٣٩ ، وأولئك الذين رحلهم الروس فى سنة ١٩٤٠ ، وأولئك الذين تسللوا إلى بلاد مثل سلوفاكيا أو المجر وأولئك الذين من الممكن أن يكونوا قد هلكوا بسبب الأوبئة ، لرأينا أنه كان يوجد على أكثر تقدير مليونان من اليهود البولنديين فى جيتوات متفرقة فى الأراضى التى يسيطر عليها الالمان ، وأن الغالبية العظمى من هؤلاء الناس أرسلوا إلى أرض تعد أرضا سوفيتية بعد الحرب .

وهكذا نرى ، من خلال اطار عام يكفى لاغراضنا ، الطبيعية الفعلية لما يسمى « بالحل النهائى للمشكلة اليهودية » . وليس من الضرورى هنا أن نستغرق فى مزيد من التفاصيل فى حين أن الاحتمالات النهائية لتوفير مزيد من التفاصيل مشكوك فيها على أية حال . وكون هذا « الحل » لم يكن فى الحقيقة « نهائيا » بأن معنى من المعانى وأن اليهود كانوا سيعودون مع حدوث تغير فى المناخ السياسى أمر غير بالغ الشذوذ . فحكومات القرن العشرين تطلق على مشروعاتها على نحو لا يتغير مسميات جزئية غير واقعية مثل : فيالق السلام ، والتحالف من أجل التقدم ، بداية المنبع ، حرب لانهاء الحروب الخ .

ويبقى أن نبحث فيما وقع لكل هؤلاء الناس . وهنا أيضا فإننا نجد أنفسنا فى موقف تقل فيه المعلومات عما يأمل الانسان فى وجوده بكثير ، وعلى أية حال فلدينا من المعلومات ما يكفى لمعرفة ما وقع بدرجة تلائم أغراضنا . وفيما يلى الاحتمالات المعقولة .

١ – قام الالمان بتصفية الكثيرين فى أثناء تقهقرهم حيث إن هؤلاء الناس كان من الممكن اعتبارهم قوة بشرية تستخدم ضد الالمان. ومن الضرورى اعتبار هذا الاحتمال معقولا حيث لاحظنا أن الالمان قد بحثوا حقيقة هذا الجانب من الموضوع جديا بما يكفى لجعل هجرة اليهود من أوروبا أمرا صعبا.

ومع ذلك فهناك أمران يدحضان بقوة امكانية اقدام الالمان على عملية تصفية على نطاق واسع فى أثناء تقهقرهم. الأول هو أن اقدر العمال على العمل، والذين كانوا فى سن التجنيد كذلك، كانوا قد اختيروا للعمل بالفعل وكان الالمان يستخدمونهم بوسائل شتى. الأمر الثانى وهو فى غاية الأهمية والبساطة معا، فلو أن الالمان كانوا قد قاموا بتصفية اليهود على نطاق واسع لكان الحلفاء قد اتهموهم بذلك. ولوجد الحلفاء مادة لاتهامات حقيقية بالابادة بدلا من الهراء غير المعقول عن غرف الغاز.

ومع أن الادلة تشير إلى أن السلطات الألمانية لم تقدم على تصفية اليهود على نطاق واسع فى اثناء تقهقرها، فإن العقل والاحساس بالظروف التى كانت قائمة لابد وأن يدعونا إلى أن نفترض وقوع مذابح عديدة لليهود على أيدى أفراد وجماعات صغيرة يتصرفون من تلقاء أنفسهم فما لاشك فيه أن بعض الجنود الالمان أو المجريين أو الرومانيين، وبعض المدنيين فى أوروبا الشرقية، وقد زاد سير الحرب المليئة بالكوارث حدة مشاعرهم المعادية للسامية، أخذوا يشنون هجمات على اليهود فى أثناء تقهقر الالمان. فمن المعروف أنه عندما حاول أهالى أوروبا الشرقية أن يبدأوا المذابح المنظمة فى وقت مبكر من الحرب قامت السلطات الألمانية بكبح جماحهم. ولكن من المحتمل فى ظروف فوضى التقهقر أن الألمان كانوا أقل اهتماماً بكثير عن ذى قبل بالمذابح المنظمة ضد اليهود.

٢ – والاحتمال الثانى أن يكون الروس قد قضوا على كثير منهم ونحن لا نعدد هذا الا لأن روسيا على درجة عالية من الغموض وتصرفاتها فى مجال السكان تبدو على الدوام تصرفات تحكمية. ومع كل فانه لا يوجد ثمة دليل على وقوع عمليات للقضاء على اليهود على أيدى الروس ويجب أن يتشكك الانسان فى هذا الاحتمال.

٣ – أن يكون كثيرون قد لقوا حتفهم بسبب الاحوال فى المعسكرات واحياء اليهود، وهذا احتمال جدى للغاية. فقد سبق أن رأينا أن الاحوال الصحية يمكن أن تكون مزعزعة لأبعد حد وأن الموقف يمكن أن يكون بالغ الحساسية وبالنسبة لأى نوع من الفوضى أو نقص الضروريات. ثم أننا قد لاحظنا أن الاحوال فى احياء اليهود كانت ملائمة لانتشار

الاوبئة سواء أكان ذلك راجعا لخطأ الالمان أم أن اليهود كانوا هم المسئولين (كما يدعى الالمان) ، وكان الحال على هذه الصورة حتى فى وقت مبكر من قيام الحرب عندما كان الالمان يسيطرون على الموقف العام فى النواحى الاخرى . ولذلك فهناك احتمال كبير أن يكون كثير من اليهود قد هلكوا فى ظروف الفوضى والاوبئة التى صاحبت تقهقر الالمان . ويعتقد لورزن أيضا أن كثيرا من الذين نفوا إلى روسيا سنة ١٩٤٠ قد ماتوا فى المعسكرات الروسية التى ارسلوا إليها ، ومن الممكن كذلك أن يكون كثير من يهود الجيتو قد هلكوا بسبب أساليب السوفييت فى ادارة إحياء اليهود وذلك بعد أن سقطت فى أيدى الروس .

٤ – أن يكون عدد كبير من اليهود قد تفرقوا فى سائر انحاء الاتحاد السوفييتى واندمجوا فى الحياة السوفييتية هنا وهناك وهذه امكانية قوية الاحتمال للغاية لأنه من المؤكد تماما أن الاتحاد السوفييتى كان يشجع على استيعاب اليهود فى اثناء الحرب وفى اعقابها مباشرة . وعلى سبيل المثال ، لاحظنا أنه مارس تلك السياسة ازاء المرحلين فى سنة ١٩٤٠ ، وثمة مثال آخر هو ما حدث بالنسبة لاقليم كربات أوكرانيا الذى كان – قبل الحرب اقليما من أقاليم تشيكوسلوفاكيا وضمه الاتحاد السوفييتى إليه بعد الحرب . ذلك أن عشرة الاف يهودى ، كانوا من السكان السابقين باقليم كربات أوكرانيا ، وكانوا يعاملون معاملة اللاجئين فى تشيكوسلوفاكيا فى ربيع سنة ١٩٤٦ فأصرت روسيا على اعادة أولئك اليهود إلى الاتحاد السوفييتى ، وعلى الرغم من أن مثل هذه الخطوة كانت تتعارض والاتفاقيات القائمة عن اللاجئين الا أن الضغط السوفييتى على الرئيس بينيش كان من القوة بحيث اضطر إلى الرضوخ لهذا المطلب .

كما يجب أن يلاحظ الانسان ايضا قيام ولاية بيروبيد جان اليهودية المستقلة استقلالا ذاتيا خاصة داخل الاتحاد السوفييتى والتى تقع فى الشرق الاقصى السوفييتى على نهر آمور على حدود منشوريا . وكان السوفييت قد أسسوا بيروبيدجان كولاية يهودية فى سنة ١٩٢٨ . وعقب نشوب الحرب مباشرة أنشئ فى نيويورك صندوق انيشتاين للجنة الأمريكية لبيروبيدجان ، وكان هدفه هو « مساعدة اللاجئين على استعمار بيروبيد جان . وكذلك كانت هناك عمليات أخرى فى نيويورك لمساعدة اليهود على التوطن فى بيروبيد جان عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة .

وكان يوجد ايضا منظمات يهودية ، مثل لجنة التوزيع المشتركة تساعد اليهود فى انحاء اخرى من الاتحاد السوفييتى ، كما قامت فى نيويورك كذلك لجنة مساعدة منسك والمدن

المجاورة ، كما قامت برامج الأمم المتحدة لاعادة توطين اللاجئين فى روسيا البيضاء واوكرانيا وهو ماسوف تعقب عليه فيما بعد . وقد لقيت هذه الجهود المبذولة لمساعدة اللاجئين اليهود فى الاتحاد السوفييتى التأييد العلنى للشخصيات اليهودية المرموقة ، فقد أعرب البرت أينشتاين عن تقديره للحكومة السوفيتية لمساعدتها « مئات الالاف من الشعب اليهودى » بمنحهم وطنا فى الاتحاد السوفييتى .

وفى الوقت الذى شجع الاتحاد السوفييتى فيه استيعاب اليهود فإنه عقد اتفاقية محددة مع حكومة بولندا الشيوعية لاعادة أولئك الذين كانوا مواطنين بولنديين فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣٩ إلى بولندا وقد شملت الاتفاقية التى عقدت فى يولية سنة ١٩٤٥ ، على وجه التحديد المقيمين فى الاراضى التى ضمها الاتحاد السوفييتى وأولئك الذين رحلوا إلى داخل الاتحاد السوفييتى فى سنة ١٩٤٠ ونصت الاتفاقية على أن يختار هؤلاء الناس إما أن يكونوا مواطنين سوفييت أو مواطنين بولنديين . وفيما يتعلق باليهود فقد تقرر أخيرا أن الموعد النهائى للاختيار هو ٣٠ يونية ١٩٤٦ .

وكما سبق أن لاحظنا فى الفصل الأول ، فإن رايتلنجر يسلم بأن عدد السكان اليهود فى الاتحاد السوفييتى فيما بعد الحرب يمكن تماما أن يكون قد زاد عما كان عليه قبل الحرب وذلك بسبب اضافة اليهود البولنديين ويهود دول البلطيق وغيرهم) . ويرى أن تقدير جريدة الجويش اوبزيرفر لعدد اليهود البولنديين الذين اختاروا البقاء فى الاتحاد السوفييتى بخمسمائة ألف يهودى انما هو تقدير « متحفظ جدا » ويسلم بوجود شكوك ضخمة لاسبيل إلى التغلب عليها . وهكذا فإنه على الرغم من أن الروس كانوا يرغبون فى ترك اليهود البولنديين يغادرون البلاد قبل التاريخ النهائى وهو ٣٠ يونيه سنة ١٩٤٦ فإنهم شجعوا مع ذلك على استيعابهم فى الاتحاد السوفييتى وهذا يمكن أن ينطبق على العدد الهائل من اليهود الذين اعاد الالمان توطينهم فى الشرق ، على أنه من الحماقة أن نحاول استنباط أى شىء من الاحصائيات السكانية المزعومة التى يقدمها الروس أو المنظمات اليهودية .

٥ – أن يكون كثير من اليهود الذين أخرجوا من ديارهم قد عادوا الى مواطنهم الاصلية أو على الاقل الى ديارهم الاصلية فى أوروبا . وسبق أن رأينا ان الروس كانوا يرغبون فى أن يسمحوا لليهود البولنديين بمغادرة الاتحاد السوفييتى ، ويجب أن نفترض أن سياسة مماثلة قد انتهجت حيال يهود من جنسيات أخرى . ومن الممكن ان يكون الاتحاد السوفييتى قد استوعب كل اليهود الذين رحلهم الالمان من المانيا والاراضى الواطئة وغيرها الى الشرق .

وقد يبدو للوهلة الاولى أن المسلك المنطقى الواضح بعد الحرب بالنسبة لأى يهودى كان قد أخرج من وطنه هى أن يعود الى موطنه الاصلى . غير أن الحال لم يكن كذلك لأسباب مختلفة . فمن ذلك أنه ربما لم يكن هناك ما يعود اليه فى غالبية الاحيان ، والسبب الرئيسى لذلك هو البرنامج الالمانى الذى أطلق عليه « اجراء راينهارت » الذى كان يحرم بموجبه اليهود الذين يرحلون الى الشرق من كل ممتلكاتهم تقريبا . ومن اثاثهم ومواشيهم وممتلكاتهم التجارية ومجوهراتهم والملابس التى لايستطيعون حملها فى متاعهم كما كان يصادر مامعهم من العملة عدا مبلغ ٢٥ دولار للواحد بأى عملة عادية ، وذلك خلال عملية إعادة التوطين (ولابد وأن الممتلكات التجارية قد أعيد توطينها معهم) فلقد كانت المعسكرات فى لوبلين وأوشفيتز نقاطا رئيسية لتجميع وانطلاق ممثل هذه الممتلكات حيثما كانت تصادر من الناحية الفعلية . وهكذا فان كثيرا من اليهود ، وبعد أن فقدوا المال والاهل فى ديارهم الاصلية لم يكن لديهم أسباب قوية تحدوهم للعودة اليها ، اذ كان البرنامج الألمانى فى الواقع برنامج استئصال لشأفة هؤلاء جميعا .

وثمة مظهر آخر للموقف هو أنه فى أخريات سنة ١٩٤٥ والسنة التالية ١٩٤٦ ازداد الحديث عن المذابح المنظمة ضد السياسة وزعموا أنها حدثت مرارا وتكرارا فى بولندا وغيرها من دول أوروبا الشرقية ، فلو أن تلك الانباء كانت صادقة لكانت تلك المذابح حافزا قويا لليهود على مغادرة البلاد ، أما اذا كانت تلك الانباء مجرد دعاية صهيونية ذات أساس واه فى الحقيقة ، ان كان هناك أى أساس ، فان للمرء فى هذا الحالة ان يستنبط أن الصهيونيين كانوا يقومون بعمليات تستهدف اخراج اليهود من أوروبا الشرقية . وعلى ذلك فسواء أصبحت أنباء المذابح المنظمة أم انها كانت كاذبة ، فأنها توحى بوجود حركة تستهدف خروج اليهود من أوروبا الشرقية .

وفى اجتماع يالتا سنة ١٩٤٥ اتفق تشرشل وروزفلت وستالين على أنه « سيكون من المستحيل على اللاجئين اليهود أن يعودوا الى بولندا ويندمجوا من جديد فى حياتها العادية » . فانه وان كان من المؤكد أن كثيرا من اليهود قد عادوا الى ديارهم الا أنه كانت هناك حقائق راسخة ، كما كان يوجد على مايبدو قدرا كبيرا من الدعاية يمنعهم من أن يفعلوا ذلك ، فاذا صح ذلك واذا صح ايضا أن عددا كبيرا من اليهود البولنديين غادر الأراضى السوفيتية فلابد إذن أن يكون كثيرون منهم قد مروا ببولندة قاصدين أماكن أخرى وهذا هو الوضع حيث كانت القيادة السياسية الصهيونية قد حددت اماكن أخرى يحطون عندها الرحال .

٦ - ان كثير من اليهود لم يستقروا آخر الأمر فى الاتحاد السوفييتى أو فى الدول التى ينتمون الى جنسياتها ولكنهم استقروا فى مكان اخر ، وبالدرجة الاولى فى الولايات المتحدة وفلسطين . وكلنا يعرف ذلك حق المعرفة ولكن هناك قدرا من الغموض يحيط بالاعداد الحقيقية للمهاجرين ، وبنوع خاص بالنسبة لمن هاجروا الى الولايات المتحدة ، فحتى شهر نوفمبر سنة ١٩٤٣ كانت ادارة الهجرة والجنسية الامريكية يعترف بوجود فئة « عبرية » بين الاجناس والناس » ولكن فى ذلك الشهور أوقف الاخذ بهذا النظام . ولم تعد الادارة تحتفظ بسجلات رسمية عن الهجرة اليهودية منذ ذلك الحين .

وثمة مشكلة أخرى فى تفسير تفصيلات التحركات اليهودية قرب نهاية الحرب وتلك المشكلة هى أننا نصطدم مباشرة بمجلس لاجئى الحرب وادارة الاغاثة واعادة التأهيل التابعة للامم المتحدة ىى محاولتنا بحث هذا الموضع وجدير بالذكر . أن مجلس لاجئى الحرب كان قد لنشئ فى مستهل سنة ١٩٤٤ كشركة مشتركة بين وزارة الخارجية الأمريكية ووزارة الخزانة ووزارة الحربية فيما يبدو ولكنه كان فى الحقيقة خاضعا لسيطرة وزير الخزانة مورجنتاو ومنح المجلس سلطة استثنائية لتعيين ملحقين خصوصيين لهم وضع دبلوماسى ومن السمات غير الطبيعية للغاية التى تميز بها هذا المجلس هو أنه كان يعمل بتعاون وثيق مع منظمات خاصة ، وكان تعاونه مع لجنة التوزيع المشتركة والمؤتمر اليهودى العالمى وعدد آخر من المنظمات اليهودية والصهيونية واسعا كما كان على صلة كذلك ببعض المنظمات غير اليهودية وبخاصة لجنة خدمة أصدقاء أمريكا . وكان مجلس لاجئى الحرب والوزارات الامريكية الثلاث المرتبطة به « مفوضة على وجه الخصوص فى قبول الخدمات او التبرعات من الافراد أو الهيئات » ولذلك فنحن هنا ازاء كيان غامض يقوم بالدعاية وأعمال الاغاثة ويملك حقوق العمل الحكومى اذا لاح له أن الوضع الرسمى ملائما ، ويملك حقوق العمل كمنظمة خاصة عندما يكون الوضع الخاص مفيدا .

ولقد ظل مجلس اغاثة لاجئى الحرب يمارس أعمال الاغاثة ابتداء من منتصف سنة ١٩٤٤ تقريبا حتى منتصف عام ١٩٤٥ فى الوقت الذى كانت فيه العمليات ذات الطابع الدولى ، كلها تقريبا ، من اختصاص ادارة الاغاثة واعادة التأهيل التابعة للامم المتحدة ، وكانت هذه المنظمة قد انشئت فى نوفمبر سنة ١٩٤٣ وظلت تزاول نشاطها حتى شهر مارس سنة ١٩٤٩ ، وكان أول مدير لها عينه روزفلت هو هربرت لهمان حاكما سابقا لولاية نيويورك ومن كبار رجال البرنامج الجديد بالحزب الديمقراطى ويقال ان روزفلت برر اختياره له

بقوله « انه سيكون درسا رائعا فى التسامح والاخوة الانسانية ان يرأس هذا العمل شخص يهودى ومن رأيى أن هربرت سيكون ممتازاً وخلف ليمان فى مستهل سنة ١٩٤٦ فيوريللو لاجوارديا وهو عمدة سابق لمدينة نيويورك . وعلى الرغم من أن والد جوارديا لم يكن يهوديا وكان من الطبيعى أن يجد من المفيد له أن يخطب ود اصوات الايطاليين الضخم العدد فى نيويورك الا أن لاجوارديا يعتبر بحق سياسيا يهوديا – صهيونيا وهو يعامل على هذا الاساس من جانب الموسوعة اليهودية وعلى ذلك فبوسعنا أن نكون على ثقة من أن المجموعة ذات المصالح المشتركة التى تعمل هنا تماثل اساسا تلك التى كانت تعمل مع مجلس لاجئى الحرب . ويواجهنا ايضا كيان غامض ، لأنه فى هذه المرة منظمة دولية مزعومة وعلى سبيل المثال فانه لما طالب الكونجرس فى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٥ بأن يسمح للمكتب العام للمحاسبة بفحص عمليات ادارة الاغاثة واعادة التأهيل التابعة للامم المتحدة (وكان يقال إن الولايات المتحدة تدفع حوالى ثلثى نفقات الادارة ولكن ربما كان ماتدفعه أعلى من ذلك بعض الشىء) . رد ليهمان بأن هذا ليس من شأنه الكونجرس .

وكانت عمليات إدارة الاغاثة واسعة الانتشار واتجهت معظم مساعداتها إلى أوروبا الشرقية ، ولم تكن المعونة التى ترسل الى بولندا يزيد عليها غير المعونة التى ترسل الى الصين ، كما كانت ترسل معونات الى روسيا البيضاء والى أوكرانيا .

وبحلول منتصف سنة ١٩٤٤ كان مجلس لاجئى الحرب وادارة الاغاثة التابعة للامم المتحدة يديران شبكة ضخمة من مخيمات اللاجئين فى شمال افريقيا وايطاليا وفلسطين . وهذه المخيمات كانت كلها تقريبا خاصة باليهود وحدهم . وابتداء من سنة ١٩٤٤ نشطت عمليات واسعة لإجلاء اليهود من أوروبا إلى هذه المخيمات فكان الكثيرون يتم إجلاؤهم من دول البلقان عن طريق استامبول كما كان هناك طريق عبر البحر الاسود مارا باستامبول . وكان موضوع دخول الولايات المتحدة أو دول أمريكا الجنوبية قد بحث أثناء الحرب وتمت الموافقة على دخول كثير من هؤلاء الناس الى هذه الدول . وفى هذا النطاق تم إنشاء مخيم اوسويجو بولاية نيويورك بجوار الحدود الكندية مباشرة . وبالاضافة الى ذلك فان كثيرين من الذين لم يوضعوا أصلا فى واحد من المخيمات فى فلسطين قد تمكنوا من الوصول الى تلك الغاية بأى طريقة من الطرق .

وبعد انهيار المانيا اضطلعت ادارة الاغاثة التابعة للامم المتحدة بادارة مخيمات المشردين والموجودة اساساً فى مناطق الاحتلال البريطانية والأمريكية فى ألمانيا والنمسا وبطبيعة الحال

كان هناك اشخاص كثيرون من غير اليهود فى هذه المخيمات ولكن اليهود كانوا يتمتعون بوضع ممتاز وفى كثير من الحالات كان يتم ايواؤهم فى منازل وفنادق صودرت من أجلهم ولقد كانت عمليات ادارة الاغاثة التابعة للأمم المتحدة فى ألمانيا عبارة عن احدى فضائح عهد الاحتلال . فقد اشتهر أمر الغارات التى كانت تقع على بيوت الالمان بقصد « انقاذ » الأطفال فقد كانت سياسة النازى فى أوروبا الشرقية عندما كان اليتامى يقعون فى أيديهم أن يجروا لهم فحصا عنصريا لكى يختاروا الاطفال الاريين لكى تتبناهم الاسر الالمانية وكان يتم تنشئتهم كما ينشأ الاطفال الالمان سواء بسواء وأصبح هؤلاء الاطفال ضحايا ابرياء لارهاب ادارة الاغاثة التابعة للامم المتحدة ولسنا نعرف ما الذى حل بهم .

ولقد كان سلوك الاشخاص المشردين فى مخيمات ادارة الاغاثة التابعة للامم المتحدة يتسم بجهالة مطبقة . ونقتطف فيما يلى بعضا مما كتبه أبرز مؤرخى الحكومة العسكرية الأمريكية فى ألمانيا حيث يقول .

انهم لم يكونوا يستهلكون كميات كبيرة من الطعام فحسب وإنما كانت تبدو عليهم آثار العصاب النفسى الذى يجب أن نتوقعه من أناس تعرضوا للبلايا والمحن التى عانى منها كثير من المشردين . وماأكثر ما كانوا يدعون أنهم لا يلقون من السلطات المتحالفة ما يستحقون من الرعاية والاهتمام . وكانوا دائما يعترضون على المخيمات التى يعيشون فيها قائلين ان اسكانهم فى المخيمات يعيب وضعهم . وكان بعضهم يطالب باخلاء أحسن المنازل الالمانية من قاطنيها ووضعها تحت تصرف المشردين وبخاصة اليهود منهم . وكانوا يرفضون فى بعض الحالات أن يساهموا فى المحافظة على صلاحية مساكنهم للسكنى بصورة معقولة وكانت وجهة نظرهم أنهم غير مسئولين عن بذل أى جهد ليساعدوا به أنفسهم . وفى خلال تلك الحقبة كانت الرعاية الفعلية للمشردين تضطلع بها لعدة أشهر ادارة الاغاثة التابعة للامم المتحدة ولكن المسئولية النهائية ظلت على عاتق الحكومة العسكرية التى كان عليها أن تهتم باتهامات الصحافة لها بأن المعاملة التى يلقاها المشردين غير كافية .

وبالاضافة الى ذلك ، استمر هؤلاء المشردين فى حربهم الخفية ضد السكان الالمان وذلك على الرغم من عودهم والجهود التى كانت تبذلها ادارة الاغاثة التابعة للامم المتحدة ويبذلها رجال الجيش الأمريكى . ولم تتوقف أبدا الغارات على الريف لسلب المؤن والطعام . وكان بعض المشردين يتحين كل فرصة للدخول فى شجار مع الالمان . وازاء قيام المشردين بنهب وسرقة الممتلكات الالمانية ، وفقد الارواح الالمانية ، وانتهاك اعراض النساء

الالمانيات فى كل يوم تقريبا فان الشعور بالغضب اخذ فى الانتشار بين الجماهير وخاصة انهم كانوا عاجزين عن حماية أنفسهم فى مواجهة الاسلحة النارية التى تمكن المشردين من الحصول عليها .

وفى احدى الحوادث المشهورة جدا قام المشردون اليهود والبولنديون ، وبمساعدة بعض رجال الجيش الأمريكى بارغام أهل المدينة على اخراج جثث مدفونة حديثا ، وأجبروهم ، بالضرب والركل بالاقدام ، على أن ينزعوا عنها اللحم المتعفن وأن ينظفوا العظام .

وعلى أن الذى يعيننا هو الدور السياسى الذى كانت تلعبه مخيمات هؤلاء المشردين والحقيقة المجردة هى أن مخيمات المشردين اليهود وغيرها من الاحياء السكنية كانت تستخدم كمعسكرات انتقال وتدريب عسكرى لغزو فلسطين .

ولقد سنحت الفرصة أمام العالم ليعرف هذه الحقيقة فى شهر يناير سنة ١٩٤٦ . فكما يحدث أحياناً فى «المنظمات الدولية» فإن الرئيس الاسمى لعمليات إدارة الإغاثة التابعة للأمم المتحدة فى ألمانيا ، وهو الجنرال سير فريدرك اى مورجان Jeneral Sir Frederick E. Morgan البريطانى الجنسية كان سيد نفسه ولم يكن عميلاً للصهيونية ، ومع أنه كان يشرف على جزء من عمليات إدارة الاغاثة التابعة للأمم المتحدة فى ألمانيا إلا أنه كان على علم بمعظم الأحداث التى تجرى هناك وجعل منها قضية علنية ، فقد عقد مؤتمر صحفياً فى فرانكفورت واتهم فيه جماعة يهودية منظمة بأنها ترعى هجرة جماعة لليهود من بولندا إلى المنطقة الأمريكية فى ألمانيا وسخر من «كل ما يقال عن المذابح المنظمة داخل بولندا وأوضح أن اليهود الذين يصلون إلى برلين تحملهم القطارات كانوا فى حالة جيدة من حيث التغذية والملبس وكانوا يحملون قدراً من المال ولم يكن يبدو عليهم بكل تأكيد أنهم أناس مضطهدون . وانى اعتقد أن لديهم خطة ، وخطة إيجابية لمغادرة أوروبا . وأضاف مورجان أن ما يحملونه من نقود هو لدرجة كبيرة من ماركات الاحتلال التى طبعها الروس . وقد يتذكر القارئ أن من بين الأعمال المثيرة للغاية التى قام بها العميل السوفييتى هارى ديكستر هوايت الذى صادفناه فى الفصل الثالث بوصفه رئيساً للعمليات الدولية للخزانة الأمريكية انه نقل للروس قوالب عملة الاحتلال الأمريكية .

ولقد استنكر حاييم وايزمان بيان مورجان ووصفه بأنه بيان صريح فى معاداته للسامية ، فى حين أعلن الحاخام وايز أن البيان تفوح منه رائحة النازية فى أسوأ درجاتها وأنه يذكر

المرء ببروتوكالات حكماء صهيون المزيفة . وأعلنت رئاسة إدارة الغوث فى الولايات المتحدة أن مورجان قد فصل من عمله ولكن مورجان أنكر ذلك . وحينئذ سارع الحاخام وايز وهنرى مونسكى رئيس منظمة بناى بريث وشخصيات يهودية بارزة أخرى الى التشاور مع لهمان وأكدوا للحاكم لهمان بأنه ليس من الحكمة فى ظل الظروف القائمة تصعيد الحملة ضد مورجان » واذ يبدو أن لديه دليلا كافيا يؤيد بيانه .

وقامت لجنة انجلو أمريكية باجراء تحقيق فى المشكلة اليهودية فى وقت لاحق من سنة ١٩٤٦ وقررت اللجنة أن مورجان لم يقدر الموقف حق قدره وأن « الوجوه كانت تتغير من يوم إلى يوم فى مخيمات المشردين اليهود وأن الافراد الجدد كانوا يردون باسم الافراد القدامى بالنسبة إلى الادوار الاسمية حيث إن المنظمة اليهودية كانت تنقل اليهود على الدوام أقرب وأقرب الى فلسطين » . وكان اليهود ومعظمهم بولنديون يتدفقون على ألمانيا الغربية قادمين من الشرق مارين بالمخيمات التى تديرها ادارة الاغاثة التابعة للامم المتحدة . وفى هذه المخيمات تلقى كثير منهم تدريبا عسكريا على غزو فلسطين على أيدى صف ضباط من الجيش البريطانى والأمريكى يرتدون زيهم العسكرى . وعلى الرغم من أن واقع الحال هو أنه مامن أحد تقريبا كان يريد فعلا الرحيل الى فلسطين ولكنهم يريدون التوجه الى الولايات المتحدة الا ان كل وسائل فرض الهجرة الى فلسطين قد استخدمت . ولقد أوجز الجنرال مورجان خلاصة تجربته مع ادارة الغوث التابعة للامم المتحدة قائلا فى مذكراته (السلام والحرب ، ١٩٦١) : « أن خدمة مثل هذه المؤسسة عمل يفوق الوصف » .

وبعد ذلك بسنوات اعترف الكتاب الصهاينة باتهامات مورجان فى قصص كلها تمجيد لخروج اليهود المنظم من أوروبا .

وفى شهر أغسطس سنة ١٩٤٦ فصل لاجوارديا مورجان لاتهامه ادارة الاغاثة التابعة للامم المتحدة بأنها تستخدم « كمظلة تحمى عملاء المخابرات الروس والعناصر الاجرامية التى تشتغل بتوزيع المخدرات بالجملة وبالتهريب » . وقد حل محل مورجان ، ما يركوهين وهو من رجال مكتب ادارة الاغاثة فى واشنطن واتخذ هذا الاجراء فى وقت ثار فيه قدر كبير من النزاع العلنى بين ادارة الغوث والسلطات العسكرية فى ألمانيا ، وكان لاجوارديا قد حضر الى المانيا فى ذلك الوقت لمعالجة مشكلات مختلفة من بينها مورجان . وفى المؤتمر الصحفى الذى عقده عقب اصداره قراره بفصل مورجان مباشرة ، حدثت مشادة غامضة بينه وبين مراسل صحيفة شيكاغو تريبون هال فاوست الذى سبق أن صادفناه فى الفصل الاول لأن

فاوست سأله عن قيمة التبرعات التى ساهمت بها دول أخرى غير الولايات المتحدة فى ادارة الاغاثة التابعة للأمم المتحدة ، ولكن لاجوارديا لم يشأ أن يجيب على أية أسئلة لفاوست على أساس « أن صحيفة القذرة الحقيرة لن تنشر الاجابة بأى حال من الاحوال ، ولما كرر فاوست طلب الحصول على المعلومات صاح فيه لاجوارديا « اخرس » .

ولم يكن مورجان أول ضابط كبير للحلفاء يصطدم بالصهاينة ، ففى صيف سنة ١٩٤٥ أكد تقرير هاريسون الى البيت الأبيض أن اليهود فى المنطقة الامريكية بألمانيا يعاملون نفس المعاملة السيئة التى كانوا يلقونها تحت حكم النازى تقريبا ، وعلى الرغم من أن كثيرا من اليهود فى المخيمات كانوا يسخرون علانية من هذه المزاعم ، فان الجنرال أيزنهاور القائد الاعلى للحلفاء زار الجنرال جورج باتون (الاين) قائد الجيش الأمريكى الثالث والحاكم العسكرى لبافاريا »

« ووبخه وأثار دهشته الشديدة بقوله انه كان يعنى ما يقول حينما قال إنه يجب طرد الالمان من بيوتهم اذا لزم الأمر لتوفير الراحة لضحاياهم » . وبعد ذلك بوقت قصير أعفى ايزنهاور باتون من مناصبه بسبب ما نسب الى باتون من أنه صرح علانية بأن هناك جلبة لاداعى لها حول طرد النازيين من المراكز الرئيسية وأن التفرقة بين النازيين وغير النازيين أمر مماثل للتفرقة بين الجمهوريين والديمقراطيين وأن مفتاح الاحتلال الناجح لألمانيا هو فى أن نظهر للالمان « مدى عظمتنا كزملاء » . ولقد كانت تلك أشهر واقعة علنية عن « تردد سلطات الاحتلال على مستوى العمليات فى أن تتصرف بالحزم الذى تتسم به السياسات التى أرسى دعائمها رؤساء الدول فى برلين والجنرال أيزنهاور شخصيا » وهو التردد الذى ذاع أمره . ولقد عهد الى باتون بقيادة فريق يتولى كتابة التاريخ العسكرى ، ولكنه اصيب فى حادث سيارة فى ديسمبر سنة ١٩٤٥ ومات بعد ذلك بأسبوعين متأثرا بجراحه .

ولقد اتسم موقف أيزنهاور تجاه الصهيونيين دائما بالمودة الشديدة فقبل نهاية الحرب بوقت قصير قامت روث كلايجر ، وهى نقابية صهيونية من مواطنات رومانيا كانت قد هاجرت الى فلسطين قبل الحرب ، بزيارة مقر قيادة ايزنهاور فى باريس لكى تشرح للقاضى ريفكيند مستشار أيزنهاور لشئون المشردين مهمتها فى تنظيم نقل اليهود من المانيا الى فلسطين . ومنحت رتبة كولونيل بالجيش الامريكى فى الحال وزودت بالوثائق اللازمة لمهمتها فى ألمانيا . ولم تنته خدمات أيزنهاور عند هذا الحد حيث إن سفينة نقل الجنود (أسكانيا) والتى كانت تمتلكها قيادة قوات الحلفاء ، ويتم تشغيلها بأوامر من قيادة أيزنهاور

وضعت فى ذلك الحين تحت تصرف الصهيونيين وحملت ٢٤٠٠ يهودى الى فلسطين وقابلها البريطانيون عند وصولها الى هناك ولكنهم لم يرغبوا فى اثارة مشكلات مع قيادة قوات الحلفاء فسمحوا للركاب بدخول فلسطين. وأصبح أيزنهاور فيما بعد رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية.

فكما يفترض مما سبق فإن اليهود الذين غادروا الاتحاد السوفيتى الى بولندا لم يمكثوا فيها على الاغلب وقتا طويلا ، وانما كانوا يواصلون بتأييد ودعم لجنة التوزيع المشتركة والمنظمات اليهودية المتصلة بها (وكانت المساعدات معفاة من الضرائب فى الولايات المتحدة) الرحلة الى ألمانيا وفى بعض الحالات الى تشيكوسلوفاكيا تستحث خطاهم الدعاية الصهيونية بكل أنواعها. فقد كان هناك ما لاحظناه من حديث عن المذابح المنظمة وكانت هناك بلاشك فكرة منتشرة على نطاق واسع بين اليهود بأن الجميع متجهون الى الولايات المتحدة ، ومن ألمانيا رحل كثيرون حقا فى آخر الامر الى الولايات المتحدة ولكن كثيرين غيرهم واصلوا رحلتهم الى ايطاليا حيث كانت مخيمات ادارة الاغاثة التابعة للامم المتحدة فى انتظارهم ، أو اتجهوا الى فرنسا التى شاع عنها فى ذلك الوقت أنها تكن مودة واضحة للقضية الصهيونية. ومن تشيكوسلوفاكيا كان اليهود يواصلون الترحال الى ايطاليا أو الى فيينا ، ومن فيينا الى موانئ فى ايطاليا أو يوغسلافيا أو الى بودابست وبلغراد والى نقاط اخرى أكثر قربا من فلسطين. وفى كل هذه التحركات غير المشروعة المحمومة لم يكن هناك احترام بطبيعة الحال لجوازات السفر القانونية أو أوراق تحقيق الشخصية فاوراق تحقيق الشخصية اليونانية كان يجرى تزويرها على نطاق واسع وظهر كثير من اليهود بمظهر اليونانيين العائدين الى الوطن من بولندا ، ولما علمت الحكومة اليونانية بذلك أرسلت شخصا مسئولا للتحقيق فى الامر ، ولكن ذلك المسئول كان هو نفسه صهيونيا نشطا واكتفى بأن اخبر المنظمات الصهيونية بأنه يستطيع أن يتستر على كل الحالات غير المشروعة الماضية ولكن عليهم أن يصرفوا النظر عن طريق اليونان ، على أن هذا التحقيق كان له أثره حتى ان حرس الحدود فى تشيكوسلوفاكيا الذين ظنوا أنهم قد عرفوا من الاعداد الكبير « لليونانيين » الذين تعاملوا معها كيف يميزون افراد تلك الجنسية ، داخلهم الشك فاعتقلوا يونانيين حقيقيين.

وفى بداية التحركات الجماعية وجدت المنظمة الصهيونية أن اليهود كانوا على درجة مؤسفة من سوء التنظيم ومن تدهور الروح المعنوية بحيث لايمكن أن يصلحوا كأعضاء فى حركة فعالة. ولذلك اختاروا أسلوب دعاية الكراهية لرفع معنويات اليهود القتالية فى شتى

المخيمات وشرعوا فى غرس شعور عميق بالاشمئزاز والكراهية فى نفوس هؤلاء اليهود تجاه الالمان ، وفى الواقع تجاه البيئة غير اليهود كلها وتجاه الأغيار المحيطين بهم » وفى شتاء سنة ١٩٤٦ زارت لجنة التحقيق الانجلو اميريكية المخيمات اليهودية فى ألمانيا وأحست « بالارتباك ازاء انتشار نزعة العداء للاغيار بين النزلاء واستحالة الحفاظ على أى اتصال بين اليهود المشردين وبين الشعبين البريطانى والامريكى » .

وكان من الطبيعى أن تشعر سلطات الاحتلال الامريكية فى المانيا بقلق بالغ لان أناسا كثيرين الى هذا الحد ، يجرى تصنيفهم فى غموض بأنهم « لاجئون » يتدفقون على منطقة الاحتلال الامريكية ، ولكنهم يترددون فى الكلام بصوت عال أو بصراحة خوفا من أن يحل بهم ماحل بالجنرال باتون والجنرال مورجان من أذى . الا أن استمرار زيادة اللاجئين اخذت تخلق مشكلات لم يكن بالامكان تجاهلها . فنى شهر يونية سنة ١٩٤٦ وصل فريق من رؤساء تحرير ومديرى الصحف الامريكية الى فرانكفورت كأول محطة فى رحلة لهم يطوفون فيها ألمانيا فصرح لهم كبار الضباط الامريكيين« بأن اليهود يتدفقون على المنطقة الامريكية بمعدل عشرة الاف فرد فى الشهر فيخلقون بذلك » مشكلة خطيرة « وقيل إن » كثيرين منهم قادمون من روسيا وأنهم اذا انضموا للموجودين فى بولندا فى هجرة جماعية ظاهرة فى اتجاه فلسطين فقد يتعين علينا أن نرعى ثلاثة ملايين منهم » . والامر الذى ينطوى على أهمية خاصة فى هذا التصريح هو المكان الذى كان يأتى منه « كثير » من اليهود ، وأن سلطات الجيش الامريكى شعرت بأنه من الملائم استخدام رقم ثلاثة ملايين وليس هذا خطأ مطبعى) ومن الطبيعى أن تلك السلطات كانت تبالغ فى تصوير الموقف للحث على اتخاذ اجراء مناسب لأنه لم يكن من الممكن أبدا دخول ثلاثة ملايين يهودى الى المنطقة الامريكية فى ألمانيا ، ولكن استخدامهم لمثل هذا الرقم وتحديدهم أن « كثيرا » من اليهود كانوا « يأتون من روسيا » نقطتان جديرتان بالملاحظة .

واستحوزت المشكلة على قدر كبير جدا من الاهتمام حتى لقد أعلن الحاكم العسكرى الامريكى ، الجنرال ماكنارنى فى مطلع شهر أغسطس سنة ١٩٤٦ « أن دورية الحدود الامريكية لن تسمح للاجئين اليهود القادمين من بولندا بدخول المنطقة الامريكية فى قوافل منظمة من السيارات والقطارات الا أنه أضاف أنه اذا حضر المضطهدون عبر الحدود فرادى فان الوضع يكون مختلفا بطبيعة الحال وسوف نقبلهم ولعل كثيرا من المراقبين قد أدهشهم أن هذا الشرط غير الهام فى ظاهرة قد أرضى الصهيونيين لدرجة أن الحاخام وايز

وغيره من الشخصيات الصهيونية البارزة قد أثنوا علانية بعد ذلك بوقت قصير على « موقف الجنرال جوزيف ماكنارنى من المشكلة برمتها » . ولكن دهشة اولئك المراقبين زالت فى شهر نوفمبر التالى عندما وردت الأنباء بأن رقما قياسيا بلغ ٣٥,٠٠٠ يهودى دخلوا ألمانيا الغربية قادمين من بولندا (وغالبيتهم العظمى دخلت المنطقة الامريكية) فى شهر سبتمبر وان « السيل المزيل » الذى كان موجودا فى نوفمبر وصل الى ما بين ١٥٠ الى ٢٠٠ شخصا يوميا » .

وفى الروايات الاخبارية عن تلك الفترة كان الوضع على الدوام يصف اليهود « العائدين » من روسيا الى بولندا بأنهم يتكونون أساسا من المرحلين الى الاتحاد السوفييتى فى سنة ١٩٤٠ . وكانت المعالجة الصحفية على هذا النحو متوقعة حيث كان من المفروض أن الاخرين قد ماتوا الا أنه يمكن التغاضى عن مثل هذه التفسيرات على الرغم من أن هذه المجموعة كانت تضم ، كما يلاحظ كورزن ، المرحلين فى سنة ١٩٤٠ .

وفى خلال سنة ١٩٤٦ أوفدت لجنة التحقيق العسكرية لمجلس الشيوخ الامريكى كبير مستشاريها ، جورج ميدر الى المانيا للتحقيق فى سياسات الاحتلال الامريكى . غير أن تقرير ميدر الذى انطوى على اتهامات بشيوع الفسق وابتزاز الاموال فى الجيش بقى فى طى الكتمان نتيجة لضغط هائل من البيت الأبيض ووزارتى الخارجية والحربية وعضو الشيوخ ارثر فاند نبيرج وتهديد الجنرال كلاى بالاستقالة ، ولكن مضمون التقرير أذيع فى نهاية الامر بطريقة أو بأخرى . وقد وجه هذا التقرير انتقادا شديدا لكل عملية استضافة اليهود الذين كانوا يتدفقون من بولندا لأنهم لم يكونوا لاجئين حقا (بمعنى أنهم قد تركوا عاجزين عن الحركة فى ألمانيا فى نهاية الحرب) ولكنهم كانوا جزءا من حركة جماعية ترعاها جماعات خاصة لمصلحة قضية سياسية محددة ، هى الصهيونية ومن ثم فان الولايات المتحدة « انما تمول برنامجا سياسيا باستقبالها لهؤلاء اليهود فى مخيمات المشردين الالمانية على الرغم من أن ذلك البرنامج لم يرفع قط الى مجلس الشيوخ لكى يدرسه . ولهذا السبب فقد ظهر اهتمام فى الولايات المتحدة بالمعونة الكبيرة التى كانت سياسة الولايات المتحدة المتعلقة باللاجئين تقدمها للقضية الصهيونية كما كانت هناك معارضة لتلك السياسة ولكن هذا الاهتمام وتلك المعارضة جاء بعد فوات الاوان وكانا من الضآلة بحيث لايمكن ان يؤثرا تأثيرا خطيراً على الاحداث .

وفى هذا التقرير شكا ميدر من أنه من الصعوبة حمل المشردين (تمييزا لهم عن غير

اليهود) على القيام بأى عمل حتى مد يد المساعدة لاصلاح مساكنهم الخاصة ، وأنهم مع ذلك دائمو الشكوى من أن الأمور لا تسير على مايرام حسبما يأملون وأوضح ميدوكذلك أن النشاط غير المشروع وجرائم العنف التى يرتكبها المشردون كثيرة ومتعددة ، وعلق بأن الولايات المتحدة قد وافقت على أن تقبل هجرة ٢,٢٥٠,٠٠٠ لاجئ من أوروبا اليها .

وانه لامر ليس له الا قيمة قليلة أن نذكر هنا الارقام التى كانت تقدم عن عدد اليهود المشردين ففى خريف سنة ١٩٤٦ قيل إن هناك ١٨٥,٠٠٠ من اليهود المشردين فى المعسكرات فى ألمانيا الغربية . وعندما نضيف اليهم المشردين اليهود فى النمسا فان العدد يتجاوز مائتى ألف مشرد ويقال كذلك انه كان يوجد مايربو على ٤٠٠,٠٠٠ لاجئ يهودى فى أوروبا الغربية فى أول يولية سنة ١٩٤٧ . وعلى أية حال فان مثل هذه الارقام ليس لها معنى كبير لأن معسكرات اليهود وغيرهم من اللاجئين كانت تستخدم فى حقيقة الامر كمعسكرات انتقال . وفى حالة اليهود كانت هناك حركة دائبة فى اتجاه الولايات المتحدة وفلسطين ، وكانت هذه الحركة غير قانونية وغير رسمية إلى حد كبير فى حالة الهجرة الى فلسطين وربما كانت كذلك بالنسبة للهجرة الى الولايات المتحدة أيضا .

ولقد كانت فلسطين والولايات المتحدة هما الوجهتان الرئيسيتان ، وان لم تكونا الوجهتين الوحيدتين ، لليهود الذين يغادرون أوروبا ، وينبغى لذلك أن نحاول تقدير الاعداد التى لها صلة بالموضوع . وربما كان تعداد سكان فلسطين الذى كانت السلطات البريطانية تحتفظ به دقيقا حتى سنة ١٩٤٦ .

سنة	مسلمون	يهود	مسيحيون	طوائف أخرى
١٩٢٤	٥٣٢,٦٣٦	٩٤,٩٤٥	٧٤,٠٩٤	٨,٢٦٣
١٩٢٩	٦٣٤,٨١١	١٥٦,٤٨١	٨١,٧٧٦	٩,٤٤٣
١٩٣٤	٧٤٧,٨٢٦	٢٨٢,٩٧٥	١٠٢,٤٠٧	١٠,٧٩٣
١٩٣٩	٨٦٠,٥٨٠	٤٤٥,٤٥٧	١١٦,٩٥٨	١٢,١٥٠
١٩٤٤	٩٩٤,٧٢٤	٥٢٨,٧٠٢	١٣٥,٥٤٧	١٤,٠٩٨

وفى أواخر سنة ١٩٤٦ كان من المفروض أن يكون التعداد ٦٠٨,٠٠٠ يهوديا و ١,٢٣٧,٠٠٠ مسلم ومسيحى ومن الطوائف الاخرى . وفيما عدا ذلك فانه لاتوجد ثمة بيانات بريطانية دقيقة بالارقام بسبب اتساع نطاق الهجرة غير المشروعة فى الوقت الذى

أخذ البريطانيون يفقدون فيه سيطرتهم على الموقف بالتدريج وأيا ما كان الحال ، فانه بمرور الوقت كانت الامور قد هدأت بعض الشيء ، وفى شهر يوليه سنة ١٩٤٩ أذاعت الحكومة الاسرائيلية ان هناك ٩٢٥,٠٠٠ يهودى فى اسرائيل . وهؤلاء كانت غالبيتهم العظمى من أصل أوروبى . وأما اتساع نطاق هجرة اليهود من شمال افريقيا وآسيا فكان تطورا لاحقا ونتيجة شجعته الحكومة الاسرائيلية وبحلول سنة ١٩٥٧ كان يوجد فى اسرائيل حوالى ١,٨٦٨,٠٠٠ يهودى ، وكان قد فر ٨٦٨,٠٠٠ عربى الى الدول المجاورة منذ استيلاء اليهود على مقاليد الأمور .

ومما يستوجب التوقف هنا أن نلاحظ أن أناسا كثيرين لديهم صورة خاطئة للغاية عن الصهيونية واسرائيل . ومن المسلم به الآن على نطاق واسع ان الصهيونية ولدت عند نهاية الحرب العالمية الثانية عندما قامت اعداد كبيرة من اليهود الاوروبيين وبعد أن قرروا أنه لم يعد بوسعهم أن يعيشوا فى أوروبا بغزو فلسطين التى كانت كلها عربية قبل ذلك وطردوا منها السكان العرب . والحقيقة أن الصهيونية ، تلك الحركة الرامية الى تأسيس دولة يهودية فى فلسطين ذات تاريخ يبدا منذ أواخر القرن التاسع . فلما كانت سنة ١٩١٧ كانت الصهيونية قد صارت قوة سياسية هائلة مما جعل بريطانيا ، وهى مشتبكة فى صراع دموى مع ألمانيا الاستعمارية ، تصدر وعد بلفور الذى يعد من الناحية الفعلية بمنح فلسطين لليهود فى مقابل تأييد لها فى الحرب . ولما كانت بريطانيا عقدت عدة اتفاقيات مع العرب فان فلسطين صارت « الارض الموعودة لأناس أكثر مما ينبغى » .

وتولت المنظمات الصهيونية تشجيع انتقال اليهود إلى فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى ، وفى اثناء الثلاثينات كانت فلسطين قد أصبحت ، كما توحى الارقام المذكورة آنفا أكبر صداع للسياسة الخارجية البريطانية التى واجهت المستحيل فى التوفيق بين مطالب اليهود والعرب فى فلسطين . وفى أواخر الثلاثينات وجدت الصهيونية نفسها تتعاون تعاونا فعالا مع الجستابو الذى كان يجتمع بانتظام مع الممثلين الصهيونيين بل وساعد فى مدهم بالمزارع والتسهيلات لاقامة مراكز تدريب فى ألمانيا والنمسا من أجل المهاجرين اليهود . فقد كان هدف الصهيونيين والجستابو واحدا وهو اخراج اليهود من أوروبا .

ان نتائج الحرب العالمية الثانية لم تخلق الصهيونية باعتبارها حركة سياسية مؤثرة . ولكنها منحت الصهيونية النصر السياسى العالمى الذى كانت تحتاج اليه من اجل المرحلة الأخيرة فى الاستيلاء على فلسطين . وذلك أن كل قوة العالم كانت قد دانت للولايات المتحدة والاتحاد

السوفيتى الذى كان كلاهما يؤيد أشد التأييد قضية الصهيونية فى ذلك الوقت . وفى ظل تلك الظروف كان الموقف العربى ميئوسا منه لأنه كان يعتمد على صلابة بريطانيا واستقلالها السياسى فى حين أنها كانت منهكة سياسيا واقتصاديا .

ومع أنه من الممكن تكوين فكرة قد تكون واضحة عن مدى الهجرة اليهودية الى فلسطين فان الانسان يصادف العوائق فى محاولته تقدير مدى تلك الهجرة الى الولايات المتحدة فقد رأينا كيف أن سياسة تصنيف المهاجرين باعتبارهم « عبريين » قد تم التخلى عنها فى ذات الشهر من سنة ١٩٤٣ الذى شرعت فيه الولايات المتحدة فى عملية معالجة مشكلة المشردين على نطاق واسع من خلال انشاء ادارة الاغاثة التابعة للأمم المتحدة . وعقب الحرب مباشرة كان هناك من الطبيعى ضغط يهودى كبير من أجل السماح بدخول اعداد كبيرة من المهاجرين اليهود . وفى ديسمبر سنة ١٩٤٥ أعلن الرئيس ترومان أنه سيكون هناك تعجيل فى عملية الهجرة بما يسمح بمعدل أعلى لدخول المهاجرين البلاد . وفى الوقت الذى أعلن فيه ترومان عن أسفه لأن النسب التى لم تستخدم من سنوات الحرب لايمكن اضافتها ولايمكن تطبيقها على المهاجرين فى المستقبل فانه تعهد بأن تُحترم كل نسب الهجرة المعلقة والترتيبات الخاصة بها . فاذا كانت هذه النسب قد احترمت حقا فان اثر ذلك على الأعداد المقبولة من اليهود يكون مع ذلك ثانويا لأنهم كانوا يدخلون تحت فئات من شتى الجنسيات الالمانية والنمساوية والهولندية والبولندية الخ .

ومع ذلك فان النظم القائمة لم تكن لتسمح بقبول الاعداد المرغوب فيها ، ولهذا فانه ما إن انقضت الحرب حتى كان صدر تشريع خاص يتعلق بقبول هجرة المشردين « ألغيت فيه الحواجز القائمة » كما أنشأ التشريع « لجنة للمشردين » للمساعدة فى اعادة توطين المهاجرين . وطبقا لتقدير تلك اللجنة أعيد توطين مايربو على ٤٠٠,٠٠٠ شخص من هؤلاء المشردين فى الولايات المتحدة فى الفترة من ١٩٤٨ – ١٩٥٢ (وهى الفترة المحددة فى التشريع) ويمضى التقرير الرسمى ليزعم أن ١٦٪ فقط من هؤلاء الأربعمائة الف مشرد كانوا يهوداً ولكن هذا التقرير الرسمى ماهو الا تقرير حكومة اتخذت خطوات محددة لكى تضمن عدم وجود معلومات تتصل بهذا الموضوع .

ونوجز هنا الاجراء الاكثر اتصالا بالموضوع ، لقيمتها ، والتى نشرتها الحكومة الأمريكية عن الهجرة :

المنطقة	الهجرة المعتادة		المشردون	الجملة من المنطقة
	١٩٤١ – ١٩٥٠	١٩٥١ – ١٩٦٠	١٩٤٨ – ١٩٥٢	
النمسا	٢٤,٨٦٠	٦٧,١٠٦	٨,٩٥٦	١٠٠,٩٢٢
بلجيكا	١٢,١٨٩	١٨,٥٧٥	٩٥١	٣١,٧١٥
تشيكو سلوفاكيا	٨,٣٤٧	٩١٨	١٢,٦٣٨	٢١,٩٠٣
استونيا	٢١٢	١٨٥	١٠,٤٢٧	١٠,٨٢٤
الدانمرك	٥,٣٩٣	١٠,٩٨٤	٦٢	١٦,٤٣٩
فرنسا	٣٨,٨٠٩	٥١,١٢١	٧٩٩	٩٠,٧٢٩
المانيا	٢٢٦,٥٧٨	٤٧٧,٧٦٥	٦٢,١٢٣	٧٦٦,٤٦٦
اليونان	٨,٩٧٣	٤٧,٦٠٨	١٠,٢٧٧	٦٦,٨٥٨
المجر	٣,٤٦٩	٣٦,٦٣٧	١٦,٦٢٧	٥٦,٧٣٣
ايطاليا	٥٧,٦٦١	١٨٥,٤٩١	٢,٢٦٨	٢٤٥,٤٢٠
لاتفيا	٣٦١	٣٥٢	٣٦,٠١٤	٣٦,٧٢٧
ليتوانيا	٦٨٣	٢٤٢	٢٤,٦٩٨	٢٥,٦٢٣
هولند	١٤,٨٦٠	٥٢,٢٧٧	٦٤	٦٧,٢٠١
بولنده	٧,٥٧١	٩,٩٨٥	١٣٥,٣٠٢	١٥٢,٨٥٨
رومانيا	١,٠٧٦	١,٠٣٩	١٠,٦١٨	١٢,٧٣٣
الاتحاد السوفييتى	٥٤٨	٥٨٤	٣٥,٧٤٧	٣٦,٨٧٩
يوغوسلافيا	١,٥٧٦	٨,٢٢٥	٣٣,٣٦٧	٤٣,١٦٨

ولم تقدم إلا الاعداد الخاصة بدول أوروبية مختارة ، وهى الدول التى ربما تكون قد ساهمت بعدد كبير من اليهود المطرودين وان كان الامر ينطوى على صعوبة كما سوف نرى بعد قليل . فمجموع المهاجرين من المجر خلال الفترة من ١٩٥١ – ١٩٦٠ لايبدو أنه يشمل أولئك الذين دخلوا الولايات المتحدة بسبب تشريع خاص صدر بالنسبة للاجئين من ثورة المجر فى سنة ١٩٥٦ الذين استقبلت الولايات المتحدة منهم خمسة وأربعين ألفا. وجدير بالذكر أن ٢٨٥,٤١٥ شخصا دخلوا الولايات المتحدة من أوروبا فى السنوات من

١٩٥٤ – ١٩٧١ بموجب نصوص قانونية أخرى عن اللاجئين.

ولأسباب سوف تتضح عندما نحاول تفسير هذه المعلومات فإننا نلقى نظرة على مجموع أرقام الهجرات من مختلف القارات:

المنطقة	الهجرة المعتادة		المشردون	الجملة من المنطقة
	١٩٤١–١٩٥٠	١٩٥١–١٩٦٠	١٩٤٨–١٩٥٢	
أوروبا	٦٢١,٧٠٤	١,٣٢٩,٢٩٣	٤٠٥,٢٣٤	٢,٣٥٥,٢٣١
آسيا	٣١,٧٨٠	١٤٧,٤٥٣	٤,٠١٦	١٨٣,٢٤٩
الامـــريـكـتـــان الشمالية والجنوبية	٣٥٤,٨٠٤	٩٩٦,٩٤٤	٣٠٧	١,٣٥٢,٠٥٥
افريقيا	٧,٣٦٧	١٤,٠٩٢	١٠٧	٢١,٥٦٦
المحيط الهادى	١٩,٢٤٢	١٦,٢٠٤	١٠٠	٣٥,٤٥٦
المجموع	١,٠٣٤,٨٩٧	٢,٥٠٢,٩٨٦	٤٠٩,٦٧٤	٣,٩٤٧,٥٥٧

وثمة نقطة هامة فى تفسير هذه البيانات هى أنه فى حالة الهجرة المعتادة فى السنوات من ١٩٤١ – ١٩٥٠ ومن ١٩٥١ – ١٩٦٠ يعرف المواطن الاصلى بأنه بلد آخر محل اقامة دائمة بينما الموطن الاصلى بالنسبة للمشردين الذين دخلوا الولايات المتحدة فى الفترة من ١٩٤٨ الى ١٩٥٢ هو البلد الذى يوجد فيه مسقط رأس المشرد.

فتحديد جنسية الشخص بأنها بلد آخر محل اقامة دائمة فى حالة الهجرة المعتادة يجعل من الصعب تفسير هذه الارقام بنوع خاص. ويوضح ذلك جيدا مجموع الذين دخلوا الولايات المتحدة من ألمانيا وهو ٧٦٦,٤٦٦, والذى يربو على ٩٠٪ على أساس الحصة المعتادة. فاذا تخيلنا يهوديا ألمانيا بوصفه يهوديا شب ونشأ فعلا فى ألمانيا واكتسب الجنسية الالمانية فان جزءا ضئيلا من بين الـ ٧٦٦,٤٦٦ يهوديا هو الذى يمكن اعتباره يهوديا فقط، والسبب فى ذلك بكل بساطة هو أن العدد الاكبر من بين الخمسمائة أو الستمائة الف يهودى ألمانى كان قد هاجر قبل الحرب. ولكى نحصل على فكرة ماعن عدد اليهود الالمان الذين

يمكن أن يكونوا قد هاجروا الى الولايات المتحدة بعد الحرب فان علينا أن نتذكر أن اليهود الذين رحلهم الالمان من فرنسا وبلجيكا الى الشرق كانوا جميعا على وجه التقريب يهودا ألمانيين ممن كانوا قد هاجروا من ألمانيا قبل الحرب. وعلى ذلك فاذا سلمنا بالارقام التى يذكرها رايتلنجر فان مجموع اليهود الالمان الذين رحلوا الى الشرق ربما كان حوالى ٢٥٠,٠٠٠ شخص . فاذا افترضنا أن النصف هاجر الى فلسطين بعد الحرب فانه يبدو حينئذ أن اليهود « الالمان » الذين دخلوا الولايات المتحدة لايمكن أن يكون عددهم أكثر من ١٢٥,٠٠٠ يهودى فعلا . وعلى أى حال فان هذا التقدير تنقضه ملاحظة بسيطة هى أن وضع « محل الاقامة الدائمة » ربما يكون قد اضفى على كثير من اليهود من جنسيات مختلفة ممن أقاموا فى ظل ظروف شتى فى ألمانيا بعد انتهاء الحرب مباشرة . اذ أن هذه الفترة لم تتميز بالالتزام الدقيق بالشكليات القانونية وعلى ذلك فانه من الممكن أن نفترض أن أكثر من ١٢٥,٠٠٠ من هؤلاء « الألمان » كانوا يهوداً . ونفس الشيء يمكن أن يقال عن الارقام الخاصة بايطاليا .

وغموض فكرة « المواطن الدائم » هو السبب فى اشتمال ارقام الهجرة على أماكن مثل امريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وآسيا . فيجب الانتوقع أن اليهود المرحلين كانوا يتوخون الدقة بنوع خاص فيما يتعلق بقانونية أوراق تحقيق شخصياتهم وقد سبق أن رأينا صورة واضحة لذلك فى حالة « اليونانيين » الذين يمرون بأراضى تشيكوسلوفاكيا . ولم يكن من الصعب أن يعدوا أوراق تحقيق شخصيته تبين أن اليهود متوطنون بصفة دائمة فى مختلف دول أمريكا الجنوبية ، وربما فى كندا كذلك ولربما اضطرهم الأمر الى القيام برحلة جانبية الى الدولة التى تخصها المسألة وهم فى الطريق الى الولايات المتحدة ولكن مثل هذه الرحلة تتسم بطابع تمثيلى على أية حال إذ أن دول أمريكا الجنوبية أسعدها أن تتعاون طالما أن اليهود لم يكونوا يسعون للاقامة فى هذه الدول . ولاشك أنه كانت هناك رشوة أيضا .

لهذه الاسباب فاننى أعتقد أن المرء يكون فى جانب الصواب تماما عندما يفترض أن ٥٠٠,٠٠٠ يهودى مرحل على الاقل قد دخلوا الولايات المتحدة وأن الرقم الصحيح ربما كان اكبر من ذلك . ولما كانت منطقة مدينة نيويورك هى موطن الملايين من اليهود ، فقد كان بوسع عدة مئات آلاف قليلة أن يتحركوا هناك بمفردهم ولايستطيع أحد أن يلحظ شيئاً أكثر من أنه شخصياً يدرك أن عدداً قليلاً من اليهود قد جاءوا إلى نيويورك من أوروبا بعد الحرب .

افترضنا فى هذا التحليل بطبيعة الحال ، أن الجماهير الواسعة من اليهود الذين توطنوا من جديد بعد الحرب كانوا من اليهود المرحلين ولم يكن من بينهم نسبة كبيرة من اليهود الفرنسيين مثلا الذين ليس لديهم ما يدعوهم الى مغادرة فرنسا أكثر مما لدى يهود الولايات المتحدة من أسباب تدعوهم للهجرة من هذه البلاد . وكانت النتيجة النهائية لسياسات النازى الرامية الى اعادة توطين اليهود هى أن عددا كبيرا من اليهود المرحلين من ديارهم سيطروا على منظمات غوث اللاجئين التى يسيطر عليها الصهيونيون والتى استطاعت توجيه هذه الجماهير اليهودية الى وجهات مختارة لاغراض سياسية .

وهذا هو التحليل الذى تتطلبه الدراسة السكانية هنا وربما كان هذا التحليل فى جوهره هو ما يمكن اجراؤه فى آى حال من الحالات فاذا افتراضنا أنه كان يوجد حوالى ثلاثة ملايين من اليهود المبعدين عند نهاية الحرب يتعين على الحلفاء التصرف فى وضعهم بطريقة أو بأخرى ، فانه يكون من الممكن فى هذه الحالة أن نصف مليون منهم هاجروا الى الولايات المتحدة ، وأن نصف مليون اتجهوا الى فلسطين ، وأن الاتحاد السوفييتى استوعب مليونا منهم ، وأن ٧٥٠,٠٠٠ تواطنوا فى أوروبا الشرقية باستثناء الاتحاد السوفيتى وأن ٢٥٠,٠٠٠ استوطنوا أوروبا الغربية . ومن ناحية أخرى فإن الأرقام الصحيحة بما فى ذلك تلك الارقام التى عرضت هنا كبيانات احصائية ربما كانت مختلفة تماما بعض الشىء ومن المؤكد أن المعالجة التى قدمناها للموضوع هنا صحيحة على وجه العموم ، ولكن الدقة الاحصائية لايمكن بلوغها .

ولو اننا حاولنا أن نقدر عدد الذين هلكوا بسبب ظروف الفوضى فى المعسكرات بينما كان الالمان يتقهقرون ، وبسبب الاوبئة فى أحياء اليهود أثناء فترات عادية ، وبسبب المذابح التى ربما تكون قد حدثت وبخاصة اثناء تقهقر الالمان ، أو بسبب تنفيذ احكام الاعدام على أيدى «فرق الهجوم وبسبب الظروف غير الصحية بمعسكرات الاعتقال فى ألمانيا وبخاصة عند نهاية الحرب وهى الظروف التى آثرت فقط فى المسجونين السياسيين اليهود والمجرمين العاديين وفى الشباب اليهودى الذين كانوا قد جندوا للعمل وأرسلوا الى معسكرات الاعتقال) ، فاننا نواجه مرة أخرى ، فى اعتقادى مشكلة مماثلة فتقدير راسينييه لعدد أولئك الذين هلكوا انهم حوالى مليون يهودى ولكن بوسع الانسان ان يقدم اعتراضات كثيرة على الحجج التى يسوقها ، فرقم المليون وان كان ممكنا ، الا أن يبدو لى مرتفعا فى الواقع . وعلى أية حال ، فإنه بالنظر الى ماينطوى عليه الأمر من غموض فإننى فى الحقيقة

لا أرغب فى الدخول فى جدل حول هذا الموضوع بطريقة أو بأخرى .

ويجب ألا يشعر المرء بأنه فى حاجة الى الاعتذار عن الاعتراف بالجهل فى مثل هذه الامور الاحصائية . فكوررزن فى دراسته عن اليهود البولنديين الذين تشتتوا نتيجة عمليات الترحيل الروسية فى سنة ١٩٤٠ ، يعترف بحالات كبيرة وهامة من الجهل فى دراسته وبخاصة فيما يتعلق بالاعداد على الرغم من أنه قد استعان بالمساعدات المشجعة التى قدمتها الحكومة الاسرائيلية فى بحثه . فمثل هذه الدراسة الراهنة تمر بالضرورة بمعوقات قاسية بالنسبة الى الاحصائيات المتصلة بالموضوع . وفى الحقيقة ، فاننى دهشت أنه كان بالامكان اعادة تجميع النواحى الاحصائية والكمية ولو الى هذه الدرجة المشوبة بالنقص هنا ، وذلك أن أقوى الجماعات على وجه الأرض قد عملت على تشويه تاريخ ماحدث فعلا ليهود أوروبا فى أثناء الحرب العالمية الثانية .

وفى مذكراته ، قدم جوزيف جنسبورج قصة تنسجم تماما مع ماسجله التاريخ . فعند نشوب الحرب فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ كان يقيم فى لمبرج ببولندة ، ففر باسرته على الاثر الى تشيرنوفتش برومانيا فى مقاطعة بوكوفينا التى احتلها الجيش الاحمر فى شهر يونية سنة ١٩٤٠ . وبعد مرور سنة يؤدى الهجوم الالمانى على روسيا الى طرد الجيش الاحمر من المنطقة وتبدأ العصابات الأوكرانية فى ممارسة المذابح المنظمة التى توقفها القوات الألمانية والرومانية وبعد ذلك يبعد جينسبورج واسرته الى ترانزنستريا فى الشرق حيث الحياة على الاقل محتملة ويقوم مستر كولب من رجال الصليب الأحمر السويسرى والدولى بزيارة المستوطنة التى يقيمون فيها فى مطلع عام ١٩٤٣ .

وبعد تصاعد الهزائم الالمانية يزداد التوتر بين الالمان والرومانيين ويحاول كثير من الرومانيين مصادقة اليهود ومناصرتهم . وتبدأ الجبهة الالمانية الرومانية فى الانهيار فى منتصف سنة ١٩٤٤ ويعود جنسبورج وأسرته الى تشيرنوفتش وتسود الفوضى والمجاعة والارهاب الروسى فى كل مكان .

وحتى بعد أن انتهت الحرب فان الاحوال لم تكن على مايرام ولذلك انتقل جنسبورج واسرته ١٩٤٦ الى برسلاو (ثم واصل رحلته الى معسكر للمشردين تابع لادارة الاغاثة للامم المتحدة بالقرب من ميونخ فى منطقة الاحتلال الامريكية بألمانيا ، وفى المعسكر يهتم كل اليهود تقريبا بطبيعة الحال بامكانية مواصلة الانتقال الى الولايات المتحدة لأنهم يعلمون أن عددا كبيرا من اليهود يقوم بذلك فعلا . الا أن الزعامة الصهيونية تحاول بكل السبل أن

تحول اهتمامهم عن الولايات المتحدة الى فلسطين . فاذا سأل سائل سؤالا يقول : « هل يستطيع الانسان أن يهاجر الى الولايات المتحدة ويظل صهيونيا ؟ » فان البروفيسور سبيكتور يجيب على ذلك بقوله ان من يهاجر الى الولايات المتحدة فى هذه اللحظة المصيرية لايمكن أن يكون غير صهيونى فحسب ، وانما يتخلى بهذا العمل عن شعبه اليهودى » . وبعد ذلك بستة اشهر يهاجر البروفيسور سبكتور الى الولايات المتحدة وأما جنسبورج واسرته فيذهبون الى فلسطين مع كثير من اليهود الاخرين المقيمين بالمعسكر .

نقترب الان الى حد كبير من نهاية دراستنا ، فلقد اثبتنا بالبرهان القاطع الفرضية التى بنينا عليها هذا الكتاب . فيهود أوروبا لم يتعرضوا للابادة ولم تحدث محاولة ألمانية لابادتهم . وانما قام اليهود باعادة توطين عدد معين منهم . وهؤلاء الناس اعيد توطينهم مرة ثانية وفقا لبرامج الحلفاء وعلى الرغم من أن تحليلنا تنقصه تفصيلات احصائية مختلفة الا أنه أمكن اعادة تجميع النواحى الكمية للمشكلة بدرجة مرضية .

لقد عانى يهود أوروبا خلال الحرب من ترحيلهم الى الشرق ، ومن مصادرة الكثير من ممتلكاتهم والاكثر اهمية أنهم عانوا من قسوة الظروف التى أحاطت بهزيمة ألمانيا ، بل انهم ربما يكونوا قد فقدوا مليون قتيل .

ولكن كل إنسان فى أوروبا قاسى فى أثناء الحرب وبخاصة شعوب وسط وشرق أوروبا . وكان أشد الجميع معاناة هم المهزومون أى الالمان (والنمساويون) الذين فقدوا عشرة ملايين قتيل بسبب الخسائر الحربية ، وغارات الحلفاء ، والارهاب الروسى عند نهاية الحرب ، وتجنيد الروس والفرنسيين أسرى الحرب للعمل بعد الحرب ، وعمليات طرد الالمان التى قام بها البولنديون وغيرهم فى ظل اقسى الظروف وبسبب سياسات الاحتلال الانتقامية فى المدة من ١٩٤٥ الى ١٩٤٨ .

ان غرف الغاز لم تكن الا أوهام دعائية أثناء الحرب مماثلة تماما لما كان ينشره لورد برايس ورفاقه من هراء اثناء الحرب العالمية الأولى ولقد قدم هنريخ هيملر التفسير الصحيح للاساس الحقيقى الذى تستند اليه هذه الاتهامات المضحكة وذلك بدقة بالغة فى مقابلة له مع ممثل للمؤتمر اليهودى العالمى قبل نهاية الحرب بأسابيع قليلة فقط حين قال .

« فلكى نضع حدا للاوبئة ، نضطر لاحراق اعداد لاحصر لها من جثث الموتى الذين قضى عليهم المرض ، ولهذا فقد اضطررنا الى بناء افران حرق جثث الموتى على هذا الاساس فانهم يعلقون لنا حبل المشنقة .

ومن سوء الحظ تماما أن هيملر انتحر ، بينما كان فى أمر البريطانيين لانه لو كان من بين المدعى عليهم أمام المحكمة العسكرية الدولية لكان موقفه كفيلا بأن يروى القصة الحقيقية (اذا كان على علم كامل ببواطن الامور ولم يكن فى وضع من يلقى بالمسئولية على شخص آخر) ولما كان ضروريا كتابة مثل هذا الكتاب حيث كان من الممكن قراءة المادة كلها فى سجلات المحكمة العسكرية الدولية . ولكن كما ترى لم يكن ممكنا أن يعيش هيلمر ليتحدث أمام المحكمة العسكرية الدولية لأن ذلك لم يكن داخل حدود الامكانية السياسية .

ويجب ان يكون من الواضح تماما لأى انسان ينفق أى وقت فى هذا الموضوع ان تقييم هيملر لاتهامات غرف الغاز هو أدق تقييم ، كما سبق أن رأينا فى الفصل الرابع بنوع خاص . وكان ينبغى على هيلبيرج ورايتلنجر بصفة خاصة أن يدركا ذلك قبل أن يكملا حتى اجزاء صغيرة من كتبهما الضخمة التى تتسم بسخافة جلية .

الفصل الثامن

ملاحظات

ويختم هذا المؤلف بعدة ملاحظات متنوعة ، تتناول فى غالبيتها بعض اعتراضات قد تثور فى مواقف معينة .

وثمة اعتراض يتمثل فى أن أحد النقاد ممن يتمتعون بذكاء حاد أعرب فعلا اعتقاده بأن ما ذكرته فى هذا المؤلف يماثل ما طالعه عن « الاطباق الطائرة » « اجهزة الاستكشاف » . فقد كان رد الفعل مروعا غير أن له مايبرره على الاقل تقدير . ذلك لان سنوات من الحملات الدعائية التى ربطت بين ألمانيا النازية وأسطورة الملايين الستة الى الحد الذى بدا فيه لاناس كثيرين أن تكذيب الاسطورة فى بادئ الامر يكاد يكون من قبيل المستحيلات شأنه فى ذلك شأن انكار نشوب الحرب العالمية الثانية بالمرة ومع ذلك ، فان هذا الاعتراض ليس بالامر الذى يمكن الرد عليه ، اللهم الا من خلال ايضاح ان تفسيرنا للامور لايتضمن ماهو خارق للطبيعة أو فوق قوانين البشر أو ماهو فى الواقع ، أكثر غرابة مما يلفقه الاخرون حول أعدائهم السياسيين . ولايسع المر فيما يتعلق بهذا الناقد سوى أن يتسأل عما اذا كان يحاول أن يذكر شيئا يتم عن ذكاء ويتمثل أهم اعتراض على هذا المؤلف فى أننى استعنت بما كتب فى موضوع « الابادة بالأحراق » ، ولاسيما ماكتبه رايتلنجر وهيلبرج كمصادر رغم أننى أدنت هذه المؤلفات ووصفتها بالتفاهة الى حد بعيد . ويعد هذه الاعتراض نقدا جادا حيث انى سأكون أول من يرى ، متى اندثرت أسطورة الابادة ، ان هذه المؤلفات لن تكون لها أية أهمية سوى أن تصبح أمثلة واضحة على الحماقة والتضليل التام ، ولن يشار اليها الا فى معرض الاشارة الى كبرى الاكاذيب فى التاريخ . ومهما يكن الامر فان مهمتنا هنا تتمثل بالتحديد فى القضاء على الاسطورة ، السبيل الوحيد الى ذلك هو البحث فيما ذكر من قبل عن هذه الاسطورة ، الامر الذى يستلزم تحليل القضايا التى طرحها رايتلنجر وهيلبرج . والسبيل العملى الوحيد لتفيذ هذه الاكذوبة هو بحث الدعاوى التى قدمها مروجى اسطورة الابادة .

وثمة سبب آخر دعانى الى الاستعانة بمؤلفات رايتلنجر وهيلبرج كمصادر للمعلومات . ذلك لأن هذا المؤلف اولى أهمية كبرى لتوفير الوثائق حتى يتسنى للقارىء الذى يستطيع التردد على مكتبة كبرى التثبت بنفسه ومن دواعى الاسف أن هذه الرغبة لايمكن تحقيقها على الوجه الاكمل ، حيث أن جانبا كبيرا من التحليل يعتمد على الوثائق والمطبوعات التى لايتيسر الحصول عليها بسهولة دون المرور باجراءات الاستعارة المعقدة . ومن أجل التغلب على هذه العقبة الى حد ما استعنت بمؤلفات رايتلنجر وهيلبرج كمصادر فى كثير من النقاط ، غير أننى لم أقم بذلك الا فى القضايا التى استطعت تأكيد ملاحظاتها بشأنها . ولم أنتهج سبيل افتراض أن كل ما يقوله ريتلنجر أو هيلبرج وفيه تأييد لوجهة نظرى لابد وأن يكون صحيحا . وعلى سبيل المثال فانه فيما يتعلق بالمناقشة التى وردت فى الفصل الخامس حول تاريخ أول غارة جوية شنها الحلفاء على أوشفيتز ، ذكرت الاسباب التى دعت الى استخلاص أن أول غارة جوية لم تقع قبل أغسطس ١٩٤٤ . ويكون من قبيل التضليل الاكتفاء بالاشارة الى هيلبرج فى هذا الصدد ، حيث أن هيلبرج يعتقد أن أول غارة وقعت فى ديسمبر من عام ١٩٤٤ ، ومن الواضح أن الأمر اختلط عليه فى هذه النقطة .

وهناك سبب آخر جعلنى أرجع الى مؤلفات رايتلنجر وهيلبرج فى أحيان كثيرة وهو رغبتى الصادقة فى أن يلقى القارئ نظرة على هذه المؤلفات ، حتى يتسنى له عندئذ فقط الاقتناع تماما بأن الاكذوبة ليست سوى اكذوبة . ويمكن للمرء فى هذا الصدد أن يشير على القارئ بأسلوب نموذجى للتأكيد من الامر بشكل عام . ولنتناول نسخة من مؤلف هيلبرج أولا . حيث يعرض لنا فى الصفحات من ٥٦٧ الى ٥٧١ بحثا رائعا حول الدور المزعوم الذى قامت به مادة السيكلون فى الابادة ، وعلى صفحة ١٦٩ أول ٦٢١ يشير الى أن الوثائق الالمانية لم تتناول سوى برنامج الترحيل الى الشرق وماتبع ذلك من عمليات . كذلك من المفيد مطالعة المناقشة التى ذكرها عما ورد فى وثائق محاكمة نورمبرج عما حدث فى المجر من ٥٠٩ – ٥٥٤ وملاحظة أرقام الوثائق التى يذكرها فى هذا الصدد .

واذا مايتسر الحصول على نسخة بعد ذلك من كتاب رايتلنجر ، طبعة أولى أوثانية . فسنجد على الصفحات ١٥٨ – ١٥٩ (صفحة ١٥٠ فى الطبقة الاولى) نقلا لنص وثيقة رقم ٤٤٧٣ ، يلاحظ فيها أن « غرفة الغاز » التى قيل انها فى المبنى الذى يضم فرن الاحراق الثانى فى أوشفيتز توصف فى الاصل الالمانى بأنها قبور الغاز ويعقب رايتلنجر فى الصفحات ١١٨ ، ١٢١ ، ١٨٢ (١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٦٩ فى الطبعة الاولى) على « السر »

فى أنه فى « فترات معينة » كانت شحنات من اليهود تنقل الى أوشفيتز . ويشير رايتلنجر فى ايجاز الى الصناعات الكيميائية فى أوشفيتز على صفحتى ١٠٩ و ٤٩٢ (١٠٥ و ٤٥٢ فى الطبعة الاولى) والامل كبير فى أن يقوم القارئ بالتثبت من ذلك على نحو أكثر دقة على أن يكون ماسبق الاشارة اليه بمثابة بداية طيبة .

وربما افترض بعض الأشخاص ، من قبيل المغالطة ، أن ما أعرب عنه اليهود والالمان من آراء حول موضوع « الحل النهائى » ينطوى تقريبا على أهمية قاطعة .

ومن المحتمل فى ظل ظروف تناقش فيها مجموعة من الاشخاص موضوع هذا المؤلف ، نظرا لأن الكتاب مشحون بالمشاعر التى يمكن أن تؤثر فى موازين هذه المجموعة ، كأن يطرح أحد اليهود فيما يبدو حجة قوية على زعم أنه فقد أحد أقاربه أو معارفه المقربين فى عملية « الابادة حرقا » وربما تكون لديه معلومات حول قريبه المفقود تفيد أن نقل الى أوشفيتز أوتربلينكا أو نحو ذلك .

وهناك طريق عديدة للرد على هذه النقطة . وأوضح لذلك هى أن الرجل يكذب . وعلى أن الارجح أنه يذكر الحقيقة كما يعرفها . واذا ما افترضنا أن روايته صحيحة ، فليس هناك سوى تفسير واحد لذلك وهو أنه أو اسرته فقدوا الاتصال بأحد الاقارب فى أوروبا خلال الحرب ولم يسمعوا عنه مرة أخرى ومن الواضح أن مثل هذه المعلومات لاتنطوى على وجود برنامج نازى للابادة .

والمعروف أن فقد الاتصال خلال الحرب كان امرا لا مناص منه تقريبا اما لتعذر اتصال اليهود المرحلين الى الشرق بذويهم واصدقائهم فى الدول المتحالفة أو لصعوبة او استحالة الاتصال من الشرق بأماكن بعيدة فى الغرب خلال العام الأخير من الحرب والذى اقسم بالفوضى . ومن ثم فان ما يثير الاهتمام فى هذه الحالة فحسب هو دعوى أن الاتصال لم يعد بعد الحرب كما كان من قبل الحرب .

وأبسط تفسير أن هذا الشخص الذى انقطعت اخباره ، فى واقع الامر ، ماتت فى مكان ما فى أوروبا مع عدد آخر غير محدد من الجنسيات وسط وشرق أوروبا خلال الحرب ، أو فى معسكر اعتقال كما ورد فى القضايا التى تناولها هذا المؤلف .

وثمة احتمال آخر يتمثل فى أن الشخص المفقود باق على قيد الحياة ، ولكنه لم يستأنف الاتصال بمن كانت له بهم صلة قبل الحرب . وهناك دافع محتمل رغم أنه من غير المرجح تماما ، لعدم استئناف الاتصال وهو ما مافرضته الحكومة السوفييتية على هذا النوع من

المراسلات من حظر على اليهود الذين اندمجوا فى الاتحاد السوفييتى .

أما الدافع الاكثر أهمية والاكثر قابلية للتصديق بالنسبة لعدم عودة الاتصال فهو عندما يتعلق الامر بانفصال زوج عن زوجته . فثمة عدد كبير من الزيجات تم بناء على اعتبارات اجتماعية واقتصادية بحتة ، ومثل هذه الاعتبارات لاتوجد بالنسبة لعدد كبير من اليهود الذين أبعدوا عن أوطانهم نتيجة للسياسات الالمانية ولظروف الحرب ومابعد الحرب .

وفى كثير من الحالات كان الألمان يهدفون بلاريب الى قطع أوامر الصلة بين العائلات اليهودية المؤجلة لفترة محدودة . وهذا هو الحال خاصة عندما كان يبدو الزوج صالحا للتجنيد وللعمل فمثلا . كان يجند الالمان للخدمة العسكرية المنطوية على مخاطر ، كان اليهود يجندون للقيام بمهام مشاقة وبغيضة وفى ظل هذه الظروف يصبح من المعقول أن نتوقع من الكثيرين من هؤلاء الزوجات والازواج الذين يشعرون بالوحدة أن يكونوا قد أقاموا علاقات أخرى أهم من سابقتها فيما يبدو وذلك خلال الحرب أو بعدها . وفى مثل هذه الحالات ، وقد سارت الامور على هذا النحو ، يصبح الدافع قويا لعدم الاتصال بالزوجة الشرعية أو الزوج الشرعى . وفضلا عن عدم توفر أى من القيود الاجتماعية والاقتصادية التى أشرنا اليها من قبل كان اليهود فى وضع يمكنهم من اختيار وجهات عديدة فى برامج اعادة التوطين التى وضعها الحلفاء عقب الحرب . ويبرر هذا الاحتمال فقد هذا العدد الهائل ، على نحو يدعو للذهول ، من اليهود . ولنفرض ، على سبيل المثال ، أنه تم ترحيل شخص وزوجته وطفليه الصغيرين ، وتم ارسال الرجل الى معسكر للعمل ، أما الزوجة والطفلين فقد نقلوا الى أحد معسكرات التوطين فى الشرق . ولنفترض أن الزوجة فشلت فى الاتصال بزوجها . فان الأمر سيبدو كما لو كان هناك أربعة أشخاص قد فقدوا أولاقوا حتفهم فسيفترض الزوج أن الزوجة والاطفال ربما يكونوا قد ماتوا فى حين تفترض الزوجة أن زوجها مفقود . ومع ذلك ، فان انفصال هذا الزوج عن زوجته يمكن أن يفسر لنا وجود المزيد من اليهود المفقودين ، ذلك لأنه من المحتمل أن يفقد والدا الزوجة وأقاربها من ناحية ووالدا الزوج وأقاربه ، من ناحية أخرى ، الاتصال ببعضهم بعضا وبالتالى نجد عددا لابأس به من أقارب الزوج يزعم ان عددا من أقارب الزوجة قد فقد والعكس صحيح . ومن هنا يتضح أن امكانيات تفسير اليهود المفقودين على هذا النحو لانهاية لها فى واقع الأمر .

ويقال ان سجلات أرشيف نصب ضحايا النازى بالقدس تضم حاليا أسماء ما بين مليونين ونصف وثلاثة ملايين يهودى من « ضحايا الإبادة النازية » . والمعتقد أن هذه

المعلومات « جمعت فى شهادات من صفحة واحدة دون بياناتها الأقارب أو الشهود أو الأصدقاء » . وبطبيعة الحال ، فإنه يتعذر اقامة الدليل بصورة مرضية على ما ورد فى سجلات الحكومة الإسرائيلية ، التى لا يمكن بكل تأكيد الادعاء بأنها طرف لا تعنيه مسألة عدد الموتى من اليهود . وليس هناك أى شك فى أن الكثير من اليهود قد ماتوا خلال الحرب ، وبالتالى فانه يتعين علينا تصديق بعض ما ورد فى سجلات النصب التذكارى لضحايا النازية ، غير أنه يتعذر أيضا التمييز ، فى هذه المعلومات ، بين اليهود الذين لاقوا حتفهم خلال الحرب فعلا وأولئك الذين فقد الموقعون فى « إقرارات الشهود » مجرد الاتصال بهم . وتعتبر هذه المعلومات بلا معنى على نحو خاص عندما يكون « صديق » هو الذى تقدم بها ، فلقد فقدت الاتصال بعدد كبير من أصدقائى القدامى ومعارفى السابقين ، بيد أننى أعتقد أنهم جميعا تقريبا ما زالوا على قيد الحياة . وفى الواقع ، فان الاعتماد على شهادة « الاصدقاء بهدف جمع معلومات نصب ضحايا النازى يوضح أن هذه المعلومات فى معظمها لا بقيمة لها ، ذلك لأن مثل هؤلاء الأصدقاء » ليس لديهم أكثر مما لدى من دليل لاعلان موت معارفهم المفقودين .

وليس لدى أيه فكرة عن المقصود بالشهود الذين وقعوا على كشوف الشهادة . وهناك احتمال من الأفضل ألا نغفله وهو احتمال قيام بعض الموقعين بتلفيق أسماء أقارب ومعارف مفقودين لأى من الدوافع المحتملة ، وربما لا يكون لبعض الموقعين وجود على الإطلاق .

وفى إيجاز ردنا على دعاوى اليهود فيما يتعلق بضحايا « الإبادة حرقا » ، فان هذه الدعاوى تعد بلا ريب صحيحة إلى حد ما ، حيث أن الكثير منهم لقوا مصرعهم ، غير أن المعلومات الأليمة المتوفرة لدى اليهود الذين يقدمون تقريرا عن مثل هذه الخسائر . عندما يقررون الحقيقة ، لا تعد قاطعة بالنسبة لوفاة الأشخاص المعتليين ، وعن المؤكد أنها لا تنم بأى حال من الأحوال على وجود برنامج نازى للإبادة .

ولابد للمرء أن يتوخى الدقة فى تفسير حقيقة أن الألمان ، أنفسهم يصدقون فيما يبدو موضوع الإبادة . . والمؤكد أن غالبية الألمان يصدقون فيما يبدو هذه الخرافة ، ولا يذهب الجميع إلى هذا الحد تخلصا من المشاكل . ومع ذلك فمن الواضح أن الشعب الالمانى لم يتسنى له الاطلاع على حقائق الأمور كسائر الشعوب الأخرى . وربما كان الكثيرون منه لاحظوا فى الحقيقة ترحيل اليهود المقيمين بينهم ، وعدم عودتهم بعد الحرب ، وربما كان ذلك سببا فى أن البعض اقتنع إلى حد بعيد بتصديق أكذوبة الإبادة أكثر من تصديقه لما

حدث بوجه عام . والملاحظة الأساسية فيما يتعلق بآراء الألمان العاديين هو أن ما يتيسر لهم في هذا الموضوع هو « المعلومات » القياسية وبهذا انطلت عليهم الخدعة ببساطة كما انطلت على غيرهم من الشعوب الأخرى .

وتسعى حكومة ألمانيا الغربية بكل ما يمكنها من وسائل ، عن طريق إجراء محاكمات جرائم الحرب اللانهائية التي تجرى الآن بعد مضى ٣٠ عاما أو أكثر على ارتكاب الجرائم المزعومة ، ومن خلال مناهج التعليم في المدارس ، وحاليا من خلال الارهاب السافر كما حدث في واقعة ستايجليش ، إلى تدعيم هذه الأكذوبة وحظر إجراء منافسات علنية ، الأمر الذى يختلف تماما ذلك لأن ما يدعوها لانتهاج هذا المسلك ليس مجرد سوء فهم بسيط . والحقيقة الاساسية هي أن ادعاء حكومة بون بأنها حكومة المانية يعد إلى حد ما إدعاء هزيلا . فالحقيقة أن حكومة الولايات المتحدة هي التي أسست البناء السياسي بأكمله في ألمانيا الغربية . وهذا يشمل السيطرة على الصحف ووسائل الإعلام الأخرى والرقابة على المدراس وتشكيل البرلمان . وبالضرورة ، فإن هذه المؤسسة السياسية « الألمانية » العملية لها مصلحة في نشر أكاذيب الغزاة وتتصرف وفقا لذلك . هذا هو الأمر ببساطة ، ومما يوضح هذا الموقف تماما سير الرجل الذى كان مستشاراً لألمانيا الغربية طوال الجزء الأكبر من كتابة هذا المؤلف : وهو الهرفيلى برانت (وهو اسم مستعار فاسم برانت الحقيقي هو هربرت ايرنست كارل فراهم — وفراهم اسم عائلة والدته ، أما هو فلم يعرف والده على الإطلاق) .

رحل برانت الماركسى عن المانيا عقب تولى هتلر مقالد الأمور وحصل على الجنسية النرويجية . وعقب غزو ألمانيا للنرويج عام ١٩٤٠ ، فربرانت إلى السويد المحايدة وحصل هناك في نهاية الأمر على وظيفة في الصحافة . ولم يكن سوى فيلي برانت الذى أخذ خلال الحرب بنقل قصص الدعاية الملفقة التي بدأت في ستوكهلم إلى أن انتهى به الحال إلى صفحات النيويورك تايمز .

وكان من الطبيعي ، بعد ما لحق بألمانيا من هزيمة أن يقرر برانت أن الظروف أصبحت مواتية للعودة إلى الوطن . وهكذا عاد إلى ألمانيا ، واسترد الجنسية الألمانية ، ودخل ميدان السياسة في برلين الغربية عضوا في الحزب الديمقراطى الاشتراكي . وأصبح في نهاية الأمر عمدة برلين الغربية وعين مساعدا صحفيا يدعى هانز هرشفيلد وهو يهودي ألماني عمل مع كينر وماركوس وغيرهما في مكتب الخدمات الاستراتيجية خلال فترة الحرب . وفى أثناء

محاكمة « ر . أ – سوبلن » بتهمة التجسس عام ١٩٦١ فى الولايات المتحدة ، والتى أسفرت عن الحكم على سوبلن بالسجن مدى الحياة ، شهدت مسز ج . ك . بيكر ، التى كانت تعمل حاملة رسائل فى شبكة تجسس سوفيتية أثناء الحرب ثم تحولت فيما بعد إلى مخبرة فى مكتب التحقيقات الفدرالى ، بأنها كانت تنقل المعلومات من هرشفيلد إلى سوبلن لينقلها بدوره إلى موسكو . وكانت مسز بيكر هى شاهد الحكومة الوحيد ومن ثم كان لابد من أن يستدعى الدفاع هرشفيلد . وفى الواقع ، أعلن محام سوبلن أنه حاول اقناع هرشفيلد بالسفر إلى الولايات المتحدة للادلاء بالشهادة ، غير أن هرشفيلد رفض ذلك أولا على أساس أن الدعاية التى ستصاحب ظهوره كشاهد من شأنها الإضرار ببرانت الذى كان منهمكاً فى حملة انتخابية كما كان هرشفيلد قلقا لاحتمال توجيه بعض التهم إليه إذا ما سافر إلى الولايات المتحدة . ولما كان برانت فى زيارة لنيويورك أثناء الجدل الذى أثير بشأن هرشفيلد فقد كان من الطبيعى أن يدافع عن مساعده السابق . الذى كان قد تقاعد فى ذلك الوقت فى ألمانيا .

ولاتاحة كل فرصة أمام الدفاع لتقديم الأدلة التى تعزز موقف سوبلن ، عرضت الحكومة أن تمنح هرشفيلد حصانة ضد مقاضاته عما قام به فى الماضى من أعمال إذا ما حضر إلى الولايات المتحدة للشهادة وأضافت فقط أنه يمكن محاكمة هرشفيلد عن أى شهادة كاذبة يدلى بها أثناء إعادة محاكمة سوبلن . ورغم ذلك ، فإن هرشفيلد امتنع عن المثول أمام المحكمة للدفاع عن سوبلن .

وأصبح برانت فى نهاية الأمر مستشارا لالمانيا الغربية وحصل على جائزة نوبل للسلام لعام ١٩٧١ لما بذله من جهود تستهدف إقامة علاقات ودية مع الكتلة الشرقية ، وهى سياسة الانفتاح على الشرق التى تبناها ، ويبدو أن الأمور كانت تسير فى صالح برانت غير أنه فى عام ١٩٧٤ أدت سياسات برانت المختلفة ، بما فى ذلك سياسة الانفتاح على الشرق ، إلى التقليل من جديد من شعبته حزبه الديمقراطى الاشتراكى ، ووصل الأمر إلى الحد الذى دعا ساسة الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى معاقل الحزب القوية لفترة طويلة إلى الإعراب من اعتقادهم بأنهم سيفقدون دوائرهم فى الانتخابات القادمة . ومن المصادفات بالنسبة للحزب الاشتراكى الديمقراطى أن ثارت فضيحة جونتر جوليوم فى أواخر أبريل وانتهت بالقاء القبض على جوليوم باعتبارهم عميلا لشبكة تجسس تعمل لحساب ألمانيا الشرقية ورغم ماكان معروفا من أن جوليوم كان عضوا فى شبكة تجسس

تعمل لحساب برلين الشرقية ، فان حكومة برانت عهدت إليه بمنصب رفيع ضمن دائرة مستشارى ومساعدى برانت المقربين . وقد أدت هذه الفضيحة إلى سقوط فيلى برانت بتقديمه استقالته فى ٧ مايو ١٩٧٤ . وخلف برانت هيلمرت شميث ، الذى أنهت زعامته انهيار الحزب الاشتراكى الديمقراطى .

ومن الواضح أن سيرة مثل سيرة برانت بعد الحرب لا يمكن الا أن تكون فى دولة تصبح منها الخيانة جزءا عاديا من الحياة السياسية ، ومن ثم فانه ليس من المثير للدهشة بأى حال أن تنصب حكومة بون بنفسها مدافعا عن الأكذوبة وثمة اعتراض مثير يتمثل فى الزعم بأن أحدا لا يتجاسر على اختلاف إشاعة كاسطورة الملايين الستة ، وأن أحدا لا يملك الخيال الفذ الذى يتطلبه مثل هذا الأمر ، وحتى لو أن أحدا توفر لديه مثل هذا الخيال ، لكانت المخاطر الواضحة الكامنة وراء هذه الكذبة العملاقة قد اثنته عن القيام بذلك . ووصل الجدل حول هذا الموضوع إلى حد الزعم بأن مجرد وجود الاسطورة ينطوى ضمنا على وجود عناصرها الرئيسية ، لذا أعتقد أن بوسعنا تصنيفها بأنها حجة الباحثين المتخصصين فى علم وجود الأكاذيب .

والأمر الذى يثير الاهتمام بالنسبة لهذا الاعتراض هو ما يتسم به من منطق سطحى . وأتخيل فى الحقيقة أن هذا التفكير يفسر لنا إلى حد بعيد أسباب قبول هذه الأسطورة على نطاق واسع ، فالناس يفترضون أنه ليس هناك من يبلغ حدا من الصفاقة يجعله يلفق مثل هذه الاكاذيب . ومع هذا فالمنطق لا يبدو معقولا ، ذلك لأن التاريخ يقدم لنا أمثلة عديدة تدل على تصديق الشعوب للأكاذيب الضخمة ، وفى هذا الصدد ، بوسعنا أن نستشهد من جديد بهيستريا السحر كسابقة للأصول السيكولوجية لأكذوبة الملايين الستة .

ومما يدعو للسخرية أن هتلر توقع سيكولوجية « الكذبة الكبرى » فى ملاحظاته فى هذا الشأن فى الفصل العاشر من كتابه « كفاحى » ومن دواعى السخرية أيضا ما ورد عن روايات مختلفة تحير الألباب إلى أقصى حد فى التلمود اليهودى عن الإبادة خلال الثورتين الأخيرتين من الثورات الكبرى الثلاث التى قام بها اليهود ضد روما ، ثورة الدياسيورا سنة ١١٥ - ١١٧ ميلادية . وثورة فلسطين ١٣٢ - ١٣٥ ميلادية ، أما بالنسبة لثورة فلسطين سنة ٦٦ - ٧٠ ميلادية فلم يرد فى التلمود أكثر من النواح على ضياع الهيكل بأورشليم « (القدس) وبحث مدلولات ذلك بالنسبة للشريعة اليهودية . ويقدم لنا يكل جرانت فى كتابه « اليهود فى العالم الرومانى » بحثا ممتازاً حول الثورات الثلاث .

وتحكى الروايات القديمة (ولا سيا ما كتبه كاسيوس ديو سنة ٢٠٠ ميلادية تقريبا ، وايوسيبيوس أسقف قيصرية فى أوائل القرن الرابع) أن ثورة الدياسبورا بدأت فى برقة (شمال شرق ليبيا) فى وقت كان الامبراطور تراجان قد أنشأ ، بهدف ضم بارثيا وأراضيها الثمينة فيا بين النهرين ، جيشا شرقيا ضخما على حساب سحب الكثير من الفرق الصغيرة التى كانت تعمل على استتباب الأمن فى مختلف أنحاء الامبراطورية . وهاجم اليهود المدنيين اليونانيين والرومان ويقال أنهم قتلوا ٢٢٠,٠٠٠ فى برقة ، لتسلية أنفسهم بمختلف الطرق البشعة . ثم امتدت الثورة بعد ذلك إلى مصر ، حيث قام اليهود بقتل عدد غير معروف ، وبعدها إلى قبرص ، حيث قيل أنهم قتلوا ٢٤٠,٠٠٠ شخص . أما فى الإسكندرية ، فقد تمكن اليونانيون الذين كانوا يشكلون أغلبية السكان من السيطرة على مجريات الأمور ويقال أنهم ذبحوا يهود تلك المدينة . وتدل شواهد الاثار التى كشف عنها أخيرا على أن الروايات القيمة تخلو من المغالاة .

ولا يذكر التلمود شيئا تقريبا عن هده الثورة ، فيا عدا تقدير عدد اليهود الذين قتلوا فى الاسكندرية بأنهم « ستمائة ألف فى ستمائة ألف . ضعف عدد الذين قاموا من مصر » . أى ١,٢٠٠,٠٠٠ على افتراض أن الجمع وليس الضرب هو المقصود . وألقى بمسئولية القتل على عاتق « الامبراطور هادريان ، وربما كان مرجع ذلك إلى أن هادريان كان فى ذاك الحين قائدا لجيش تراجان الشرقى وخلف تراجان كامبراطور عندما توفى فى سنة ١١٧ ، وربما قبل الثورة بصورة نهائية .

ومن الواضح أن هناك مبالغة فى الرقم الذى ورد عن عدد الضحايا اليهود ، ذلك لأنه بينما يكون من العسير عادة تقدير عدد سكان المدن القديمة إلا على وجه للتقريب كان تعداد الإسكندرية فى تلك الأونة ٥٠٠,٠٠٠ نسمة أو ما يزيد على ذلك ، بحد أقصى مليون نسمة ، وهو رقم من المعقول افتراضه لأنه كان تعداد سكان مدينة روما تقريبا ، وهو رقم يوجد بعض الشك أيضا فى مدى صحته . أما إذا كان تعداد سكان روما يزيد زيادة كبيرة عن مليون فانه لم يصل أبدا إلى مليونين . ومن هنا قد يبدو أن تقدير عدد الضحايا اليهود بمليون ومائتى ألف مجرد اختلاق يتسم بالصفاقة ، غير أنكم لم تروا شيئا بعد .

كانت الثورة الكبرى التالية فى فلسطين سنة ١٣٢ - ١٣٥ وكانت محاولة جادة من قائدها بار -كوخبا ، لاقامة دولة يهودية ينصب نفسه ملكا عليها . رغم أنه زعم فى نهاية

الأمر أنه المسيح . وقام خلال الثورة بشن القوانين وسك النقود وقام بالوظائف العادية الأخرى للحكومة .

وجاءت نهاية بار- كوجنا سنة ١٣٥ ولما لم تكن أورشليم (القدس) بالمدينة التى تصمد فى وجه الحصار فقد قاد بقية جيشه إلى قرية بيتار (بيتيرحاليا) وهى تقع على مرتفع على مسافة عشرة أميال جنوب أورشليم (القدس) وتبعد خمسة وعشرين ميلا عن البحر الميت وخمسة وثلاثين ميلا عن البحر الأبيض المتوسط . أم أبعاد المدينة القديمة فكانت على شكل مستطيل تقريبا طوله حوالى ٦٠٠ متر وعرضه ٢٠٠ متر . وكان النصف الجنوبى من المدينة محصنا . وكانت هذه الأبعاد بالإضافة إلى أن تقدير سكان فلسطين من اليهود فى ذلك الحين يتراوح بين حد أدنى يبلغ ٥٠٠,٠٠٠ وحد أقصى يصل إلى ٢,٥ مليون تجعل من غير المحتمل أن يصل جيش بار- كوخبا فى بلدة بيتار إلى ٥٠,٠٠٠ جندى .

وقام الرومان بحصار بيتار فى صيف عام ١٣٥ ، وأنهارت مقاومة بار- كوخبا فى أغسطس . فاقتحم الرومان القلعة وقتل بار- كوخبا فى هذه المعركة الأخيرة .

ويبدو من غير المحتمل ، ولاسباب عامة ، أن يكون الرومان قد أقاموا مذبحة لسكان بيتار من اليهود . و « الدليل » الوحيد على هذه المذبحة يوجد فى التلمود (ويتضمن فى هذا السياق ميدراشراباح) الذى يركز لاسباب غير معروفة على حصار بيتار وما أعقبه من آثار مفترضة . وقد أورد علم الآثار ايجال يادين فى ملحق كتابه « بار- كوخبا » فقرات من التلمود . وذكر أن جيش بار كوخبا كان يصل إلى ٢٠٠,٠٠٠ جندى . ويقال أن بار- كوخبا كان رجلا قويا إلى حد أنه عندما كان الرومان يطلقون بالمنجنيق قذائفهم نحو قلعته ، كان يتلقاها بركبته بقوة ليردها إلى وجوه الرومان وسط دهشتهم ، فيقتل الكثيرين منهم . ويستطرد التلمود لزعم أن عدد القتلى من اليهود على يد الرومان بعد سقوط القلعة هو ٤ بليون أو « كما يقول البعض » ٤٠ مليونا . بينما تذكر ميداراش راباح أن عددهم ٨٠٠ مليون قتيل يهودى .

وحتى يؤكد لنا أن هذه الأرقام جادة ، فانه يذكر ما صاحبها من أحداث بالضرورة ، فقد زكمت رائحة دم القتلى اليهود أنوف خيل الرومان ، ثم اندفع الدم كموجه عارمة لمسافة ميل أو أربعة أميال إلى البحر ، حاملا معه صخورا ضخمة ، ملطخا مياه البحر على امتداد أربعة أميال بعيدا عن الشاطئ .

ووفقا لما جاء فى التلمود فان التلاميذ اليهود فى بيتار لم ينجوا بطبيعة الحال من بطش

الرومان ، الذين قيل أنهم لفوا كل طفل منهم فى ملابسه ثم أحرقوهم جميعا ، وبلغ عدد تلاميذ المدارس اما ٦٤مليونا أو على الأقل ١٥٠,٠٠٠ (وهو الرقم التقريبى لعدد تلاميذ المدارس العامة حاليا بواشنطون) .

وقد نافس الرومان الامكان فى الكفاءة ، ذلك لأنهم استخدموا جثث اليهود فى بناء سور حول كرم هادريان ، الذى يقال أن مساحته تبلغ ١٨ ميلا مربعا ، وأن الدماء التى بقيت من الموجة العارمة ظلت تستخدم كسماد للكروم الرومان لسبع سنوات . كما استخدم فى مصانع الأسمدة والغراء والصابون .

وقيل أن بار - كوخبا (ويشار إليه عادة فى التلمود باسم بار - كوزبا فلا يزال اسمه الحقيقى غير معروف) قتل على أيدى الحاخامات لادعائه كذبا أنه المسيح المنتظر .

ولما لم يكن الهدف من كتابات التلمود التداول العام ، فقد توفر لمؤلفيه قدر من الحرية أكد مما توفر من طلفقى أكذوبة الملايين الستة ، الذين كان يتعين عليهم تقدير مدى سهولة خداع من يحتمل أن يرتابوا فى الأمر غير اليهود . ومع ذلك ، فان روح ما ورد من روايات التلمود فى هذا الشأن ، فى الأمثلة السابقة ، يبدو إلى حد كبير مماثلا لروح أكذوبة هذا القرن . وقد يلاحظ فى هذا الصدد أنه ليس غريبا فى واقع الأمر أن يقوم أحد دارسى التلمود مثل الحاخام فايتسماندل بدور هام الأكذوبة . كذلك ، بما أن الحاخام وايز ترجم قدرا كبيرا من أدب العصور الوسطى والقديمة اليهودى كما أسس معهداً دينيا يهوديا ربما كان له بعض الحق فى المطالبة بأن يكون أحد فلاسفة التلمود . ويرتاب المرء فى أن يكون هؤلاء الفلاسفة بالتحديد الطراز اللازم لاختلاف مثل هذه الأكذوبة .

ويبقى اعتراض قد يثير مسألة صلاحيتى لكتابة مثل هذا الكتاب . وهو اعتراض وجيه ذلك لأن دراستى الرسمية هى فى مجال الهندسة والرياضيات التطبيقية وليست فى التاريخ .

ولا تعد سابقة لم يسبق لها مثيل أن يسهم الباحثون فى مجالات تبدو بعيدة عن مجال تخصصاتهم ، ولكننى سأسلم بأنه ينبغى عدم التغاضى عن هذا الرأى بلا مبالاة . فنحن ننتظر ، بطبيعة الحال ، من علماء التاريخ أن يقدموا لنا تطورات فى البحث التاريخى ، مثلما يقدم لنا المهندسون التطورات فى مجال الهندسة ومن الممكن السماح باستثناءات على هذه القاعدة ، غير أنه لابد من وجود تبرير ما لهذه الاستثناءات .

ومبررى فى هذا المجال مبرر واضح وهو نكوص المؤرخين المحترفين . فلم يحدث أن قدم أحدهم بحثا انتقاديا فى هذا الموضوع أو أى عمل يناقش فى الواقع أى جانب خاص من

موضوع الإبادة وقدم دليلا يؤيد رأيه • وأقرب شيء على هذا العمل هو كتاب رايتلنجر الذى كان على استعداد على أقل تقدير – أن يبدى ملاحظة صريحة عن بعض الأبعاد التى نجمت عن عرض موضوع « الإبادة حرقا » ، غير أن رايتلنجر لا يعد مؤرخا ولكنه فنان ومن هواة جمع مما يتعلق بالفن . وكتب مؤلفات عديدة ، أهمها دراسة تاريخ ما يتعلق بالفن من أشياء . وتمكن هيلبرج بعد رايتلنجر من اتخاذ موقف انتقادى غير كاف للغاية ، ولكن هيلبرج أستاذ العلوم السياسية (جامعة فيرمونت) وحاصل على درجة دكتوراه فى القانون العام والنظم الحكومية .

ويعترف كتابا رايتلينجر وهيلبرج إلى درجة غير كافية تماما ومع ذلك ملحوظة بمسؤليتهما فى أقناع من يرتابون فى الأمر . فى حين لا يبذل مروجى أسطورة الإبادة الآخرين أى جهد أيا كان لاثبات أن عمليات الإبادة تمت بالفعل ، واكتفوا بأن افترضوا أننا جميعا على علم بحدوثها ومن ثم سلموا بها وهذا ينطبق على الثلاثة الباقين على قيد الحياة من أبرز خمسة مؤلفين كتبوا عن حدوث الإبادة ، والثلاثة هم نورا لفين وليون بولياكوف ولوسى دافيد وفتش . وكانت نورا لفين تعمل أمينة مكتبة علمية فى الوقت الذى كانت تضع فيه كتابها وتقوم حاليا بتدريس التاريخ فى كلية جراتز ، وهى مدرسة يهودية صغيرة فى فيلادلفيا . أما بولياكوف فهو مدير الأبحاث بالمركز العالمى للتوثيق اليهودى المعاصر فى باريس . وبالتالى فهو أحد رجال الدعاية اليهودية المحترفين . وبالنسبة له أفيد وفيتش فهى المؤرخة المحترفة الوحيدة فى المجموعة وتشغل كرسى « ليه لويس » فى الدراسات المتعلقة بموضوع الإبادة الجماعية فى جامعة بشيفا بنيويورك . وكل الكتاب البارزين الخمسة القائلين بأسطورة الإبادة من اليهود .

ويقدم علماء التاريخ المتخصصون فى الكتب والمقالات التى تتناول موضوعات أخرى غير موضوع « الإبادة حرقا » ، ولكنها تتعرض له ، نوعا ما من التأييد لهذه الكذبة ، غير أن التلميحات التى تقول بعكس ذلك والواردة فى كتاباتهم تعد كثيرة . ولم يحدث أن نشر أحد المؤرخين المتخصصين كتابا ناقش فيه أو قدم دليلا على وجود أو عدم وجود عمليات الإبادة الجماعية . ودوافع ذلك واضحة . فليس هناك من بين المؤرخين المعترف بهم . من هو على استعداد للإضرار بسمعته بكتابة مؤلف علمى حقيقى يؤيد مزاعم الإبادة مستشهدا من الناحية القانونية بالوثائق والشهادات التى تم الادلاء بها فى المحاكمات غير القانونية التى عقدت تحت ظروف هيسترية ، ومبينا بكل جدية ، دون اعتذار ، هراء سخيفا واضحا

مثل الدور المزدوج الذى قيل أن مادة السيكلون لعبته فى عمليات الإبادة فلم يظهر على الأقل ، ما يدفع إلى إصدار مثل هذا المؤلف . ومن ناحية أخرى ، فإن ضغط التكيف الثقافى ويلتزم هنا جانب الاعتدال فى الدراسات الاكاديمية أكره المؤرخين بصورة واضحة على التزام الصمت فيما يتعلق بالرأى المغاير ، ومن ثم الحالة فان اقدام المهندسين وغيرهم على كتابة مثل هذا المؤلف أمر له ما يبرره كما أنه متوقع .

وكما وعدت فى بداية هذا الكتاب فقد عالجنا هنا وبعمق أسطورة دعائية واحدة ولم يبذل أية محاولة من أى نوع لتغطية المجال العام لتصحيح وقائع الحرب العالمية الثانية . فلا جدوى من أن نكرر هنا ما ذكره عن مقدرة – مؤلفون آخرون أسهموا فى القضاء على ما بقى من أساطير متعلقة بالحرب ، ولكن لابد لى من بعض كلمات أهدف بها أساسا إلى إرشاد القارئ إلى أفضل ماكتب فى هذا الموضوع .

قضى دافيد هوجان المؤرخ الأمريكى على أسطورة مسئولية ألمانيا وحدها عن نشوب الحرب فى عام ١٩٣٩ . ورغم ذلك فإن كتابه لم يصدر إلا باللغة الالمانية كذلك فان كتاب تيلور « أصول الحرب العالمية الثانية » لا يعد شاملا ، إلا أنه حقق انتشارا واسع النطاق وكان فى وقت من الأوقات متوافرا بغلاف ورق . وقد جاء كتاب تايلور إضافة بارزة لما كتب عن تصحيح أحداث الحرب العالمية الثانية وذلك بسبب ما عرف عنه من معاداة لألمانيا ، وهى شهرة استحقتها عن جدارة .

وقد نسف عدد من الكتب اسطورة وحشية النازى الفذة ، بالمقارنة بوحشية الديمقراطيات الغربية ، وأفضل ما نشر فى هذا الشأن هو كتاب فيل « التقدم إلى البربرية » ، الذى ظهرت منه طبعة جديدة وموسعة عام ١٩٦٨ . وهناك كتب أخرى تستحق الذكر منها « الكراهية المطلقة » لكابتن راسل جرنفل والحملة الصليبية الثانية لأمريكا لوليام هنرى تشمبرلين و « الثمن الغالى للانتقام » لعزيدا أتلى ورغم ذلك فقد أغفل هؤلاء المؤلفون واحدة من أكبر جرائم الديمقراطيات الغربية ، وهى ارغام المواطنين السوفيت على العودة إلى الاتحاد السوفيتى على غير إرادتهم فى أعقاب الحرب وهى العملية المعروفة باسم « القصاص » ويرجع معظم ما نعرفه عن هذه الواقعة المشينة إلى جهود جوليوس أيشتين ، وهو يهودى رحل عن ألمانيا خلال الثلاثينات لأسباب عادية ، غير أنه بدأ حملاته من أجل البحث عن الحقيقة أثناء الحرب بأبحاثه فى مذبحة غابة كاتين وقضى الجزء الأكبر من فترة ما بعد الحرب فى بحث عملية « القصاص » . وصدر كتابه فى هذا

الموضوع عام ١٩٧٣ . ويعرض كتاب أرخبيل جولاج لسولجنتسين بحثا مسهبا لهذه العملية التى ، بما أنها كتبت من وجهة نظر سوفيتية ، فانها تكمل معالجة أيشتين بشكل ملحوظ . ويكشف نيكولاس من بتل فى كتابه « السر الأخير » عن الخلفية السياسية لعمليات الترحيل الإجبارى .

ومن المستحسن ، بالنسبة للقارئ الذى يعنيه الحصول على بحوث أشمل فى هذا المجال ، فيما يبدو ، أن يقرأ مجلد هارى المربارنز الذى قام بإعداده آرثر جودارد . ويعد كتيب بازنز ، « تبديد الظلمة التاريخية » ، تحليلاً أكثرشمولا لتصحيح وقائع الحرب العالمية .

والملاحظ أن أى من المؤلفات السابقة الذكى لم يعرض لأسطورة غرفة الغاز أو يعالج بطريقة جادةما يفترض أنه قد حدث فى معسكرات الاعتقال الألمانية ولقد عالجنا فى هذا الكتاب موضوع المعسكرات معالجة كاملة تقريبا من وجهة نظر واحدة تماما ولم نبحث بعمق الأساس الفعلى لمزاعم استخدام الأساليب الوحشية الأخرى ذات الطبيعة الأكثر عشوائية والأقل نظاما . ومع ذلك ، فان قضية الزى كوخ التى نوقشت فى لفصل الثانى ، يجب أن تكون دليلا كافيا للتمييز بين الواقع والخيال ويجب أن تكون الأساليب التى استخدمتها السلطات الأمريكية فى داخاو لتقديم « دليل » على الأعمال الوحشية غير العادية ، حاسمة .

وقد تناول عدد من الكتب الحديثة فضيحة مواصلة سجن ردولف هيس الذى تخطى الثمانين من العمر ، أهمها « السجين رقم ٧ : ردولف هيس « بقلم أيوجين بيرد » أحد القادة الأمريكيين فى سجن شباندو وفى برلين ، الذى خالف التعليمات المتبعة لا بالحديث إلى هيس فحسبوا إنما باجراء مناقشات دقيقة معه . وثمة كتاب آخر هو « دافع وراء القيام بمهمة » بقلم جيمس دوجلاس هاملتون ، وكتاب ثالث « هيس ، الرجل ومهمته » بقلم برنارد هاتون .

وقد اقتصرنا فى هذا الكتاب كما استلزم الأمر على تكذيب أسطورة واحدة فحسب ، ولم نحاول معالجة السلوك العام لألمانيا النازية بالمقارنة إلى الحلفاء ، فيما عدا التنويه بالمؤلفات السابقة . ذلك لأنه إذا ما تسنى للقارئ مطالعتها . فانها ستفيد فى تعزيز مدلولات هذه المؤلفات الأساسية ، حيث ان وسائل الإعلام فى الدول الغربية مفضوح أمرها حيث تشكل جهازا لنشر الأكاذيب على نحو أسرع مدى مما يتصوره الكثيرون من أصحاب الأفكار المتحررة .

وثمة مضمون آخر لهذا الكتاب ويتعلق بطبيعة الحال بفلسطين . ذلك لأن « التبرير » الذى يقدم الطهاينة دائما لطردهم العرب من فلسطين يرتبط بأسطورة الملايين الستة إلى حد أكبر . وطبيعى أن هناك أكثر من استنتاج لا يتفق مع المقدمات فى هذا الصدد . ففلسطين لم يغزها ستة ملايين يهودى قتيل ، ولاقى واقع الامر أى من اليهود القتلى ، وعلى أية حال ، فليس من العدل أو من المعقول أن يدفع العرب ثمن ما يفترض أن الألمان قد ارتكبوه فى حق اليهود فى أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية . وفضلا عن ذلك فإن إسرائيل ليست بالدولة التى ترحب بكل من عانى بطريقة ما على أيدى النازيين ، وإنما هى ترحب بكافة اليهود ، بصرف النظر عما إذا كانت لهم أو لأقاربهم أية صلة على الإطلاق بالنازيين .

وتقدم الولايات المتحدة حاليا لإسرائيل من المساعدات ما يكفى لضمان قدرتها على الاحتفاظ – عن طريق الاحتلال المسلح – بأراض تعلن الولايات المتحدة نفسها أنها من حق العرب (الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى حرب ١٩٦٧) . ورغم أنه من العسير إدراك السبب الذى يجعل أسطورة الملايين الستة باعثا على مثل هذه السياسة ، فإن مثل هذا الدافع غالبا ما يقدم تبريرا لها . وفى الأمم المتحدة فى نوفمبر من عام ١٩٧٥ ، وعندما وافقت الأغلبية الساحقة فى لحظة من الصفاء الذهنى الذى نادرا ما يتوافر للمنظمة – على قرار يعتبر الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية (وهى حقيقة لامفر منها تماما مثل ٢ + ٢ = ٤) تحول دانيال باتريك موينهات المندوب الأمريكى ، الذى يعد من نواح أخرى من المفكرين الذين يتيرنو الاعجاب ، فى سرعة تدعو للدهشة إلى الثرثرة عن الملايين الستة وكما أوضحت آثار « حرب عيد الغفران » فى عام ١٩٧٣ ، فإن هذا التأييد لإسرائيل يتناقض تماما مع مصالح الغرب ، ووضوح حقيقة لا أخلاقية هذا التأييد بلغة التفسير الاخلاقى الذى أصبح سائدا فى السياسات الخارجية الغربية يجعل هذا التأييد جنونا مضاعفا .

أما الدولة الأخرى التى قدمت مساعدات مادية كبيرة لإسرائيل فهى ألمانيا الغربية . فنى عام ١٩٧٥ ، كانت حكومة بون قد دفعت لليهود ما يقرب من ٢ بليون دولار قيمة تعويضات فى أشكال متعددة (مقدرة أساسا بالدولار على أساس قيمته فى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات) ، وكانت لا تزال تعد التزامات لدفع تعويضات جديدة . وقد حدد أكبر برنامج من هذا النوع فى اتفاقية لوكسمبورج المعقودة فى ١٩٥٢ بين حكومة

ألمانيا الغربية وإسرائيل والتى التزمت ألمانيا بمقتضاها بدفع ٧٥٠ مليون دولار لإسرائيل ، فى شكل منتجات صناعية أساسا وشحنات بترول من بريطانيا . وقد تم تنفيذ هذا البرنامج فى ١٩٦٦ . ويبدأ نص اتفاقية لوكسمبورج بهذه الكلمات :

« حيث انه تم ارتكاب أعمال إجرامية بشعة جدا ضد الشعب اليهودي خلال فترة حكم النظام الاشتراكى الوطنى الإرهابى . وحيث ان حكومة جمهورية ألمانيا الاتحادية أعلنت بمقتضى البيان الذى أصدره مجلس النواب الاتحادى الألمانى فى ٢٧ سبتمبر ١٩٥١ ، عن عزمها على أن تقوم فى حدود امكانياتها ، بتعويض الضرر المادى الذى نجم عن هذه الأعمال . . . »

وتعهدت حكومة بون ببرنامج تعويضات إضافية كانت دوافعها مماثلة وبما أن هذا الكتاب قد أوضح أن « الأعمال الإجرامية البشعة جد » بنفس المعنى الذى ورد فى اتفاقية لوكسمبورج ، إنما هى أكذوبة كبيرة ، وأنها بوجه خاص أكذوبة صهيونية ، فإن هذا يعنى أن إسرائيل مدينة لألمانيا بمبالغ هائلة نظرا لأن المبرر المقترح للتعويضات كان باطلا .

ملحق (١)

« بيان جيرشتاين »

فيما يلى نص الجزء الرئيسى من البيان وهو الوثيقة التى نسخت على الالة الكاتبة باللغة الفرنسية ، وترجمها إلى الإنجليزية اعضاء هيئة محكمة نور مبرج (باستثناء بعض التعديلات الطفيفة) :

حاصل على بكالوريوس هندسة التعدين

كورت جير شتاين

روتويل ٢٦ أبريل ١٩٤٥

معلومات شخصية : جيرشتاين ، كورت ، مستكشف مناجم ، طردت من الخدمة العامة فى عام ١٩٣٦ لمعادلة النازية ، مهندس مؤهل علميا ، ولدت فى ١١ أغسطس ١٩٠٥ فى ميونستر بوستفاليا . كنت أحد شركاء مصنع دى ليمون فلوهم وشركاه للتشحيم الأوتوماتيكى للقاطرات والعربات ، فرامل وستنجهاوس وكنور . . الخ . دوسلدورف شارع المصانع ١ — ١٧ .

الأب : لودفيج جيرشتاين ، كان يشغل منصب رئيس المحكمة المركزية فى هاجن بوستفاليا ، متقاعد .

الأم : كلارا جيرشتاين ، اسم أسرتها شميمان . توفيت عام ١٩٣١ اقترنت فى ٢ مايو ١٩٣٧ بألفريد بنش فى يتوينجن ، شارع البساتين انجبنا ثلاثة أولاد أرنولف ٥ أعوام وأدلهايد ثلاثة أعوام ونصف وكلاف عامين .

حياتى : عشت من ١٩٠٥ حتى ١٩١١ فى ميونستر ومن ١٩١١ حتى ١٩١٩ فى ساريروك ومن ١٩١٩ حتى ١٩٢١ فى هالبرشتات ومن ١٩٢١ حتى ١٩٢٥ فى نيوروبن بالقرب من برلين ، تخرجت من المدرسة الثانوية عام ١٩٢٥ — تلقيت دراساتى من ١٩٢٥ حتى ١٩٣١ فى الكليات الفنية وجامعات ماربورج واخن وبرلين فى ١٩٣١ اجتزت امتحان الهندسة . كنت منذ ١٩٢٥ عضوا عاملا فى منظمة الشباب البروتسنانتى . كما كنت فى منظمة للشباب المسيحى الاسمى ، وتسمى . « دائرة الانجيل » .

التاريخ السياسى : من اتباع سترسمان وبرونيخ ، وعملت لحسابها ، تعرضت منذ يونيو من عام ١٩٣٣ لاضطهاد الجستابو – البوليس السرى النازى) لقيامى بأنشطة ضد الدولة النازية . وانضممت منذ ٢ مايو ١٩٣٣ إلى الحزب الاشتراكى الوطنى الالمانى وفى ٢ أكتوبر ١٩٣٦ طردت منه لما كنت أقوم به من أنشطة ضد الحزب والدولة .

وفى ٣٠ يناير ١٩٣٥ قمت بالاحتجاج علنيا على مسرح مدينة هاجن فى وستفاليا على عرض مسرحية « ويتكيند » المعادية للمسيحية . وتعرضت للضرب على أيدى النازيين كما أصيبت بجراح .

وفى ٢٧ نوفمبر ١٩٣٥ اجتزت امتحان استكشاف المناجم . ثم عينتنى الدولة بعد ذلك فى ساريروك . وفى ٢٧ سبتمبر ١٩٣٦ اعتقلتنى الجستابو لما أقوم به من نشاط ضد الدولة « بقيامى بارسال ٨,٥٠٠ منشور معاد للنازية . لكبار المسئولين بالدولة .

ظللت فى السجن حتى آخر أكتوبر ١٩٣٦ ثم اطلق سراحى . وطردت من الخدمة المدنية . ومن ديسمبر ١٩٣٦ حتى نشوب الحرب قمت بدراسات طبية فى أحد معاهد البعثات الطبية البروتستنتية إلى المنطقة الاستوائية فى توبنجن . كنت أنفق ما يقرب من ثلث دخلى الذى يبلغ ١٨,٠٠٠ مارك ألمانى فى السنة منذ ١٩٣١ على أهدافى الدينية المثالية وطبعت على نفقتى الخاصة وقمت بإرسال ما يقرب من ٢٣٠,٠٠٠ منشور دينى معاد للنازية وفى الفترة ما بين ١٤ يوليو حتى ٨ أغسطس ١٩٣٨ أعتقلت من جديد فى معسكر للاعتقال بويلزهايم . ولم يكن لدى سوى رغبة واحدة بعد ما سمعته عن مذابح الحمقى والمجانين فى جرافنيك وهادامار وغيرهما وشعرت بصدمة وجرح عميق عندما تعرض أحد أفراد أسرتى لمثل هذا – وهى الاطلاع من الداخل على هذا الجهاز بأسرة لكى أفضحه بأعلى صوتى فى العالم أجمع ولم يكن من المتعذر بمساعدة اثنين من رجال الجستابو الذين عالجوا قضيتى أن أدخل أحد معسكرات قوات العاصفة ، وأن أتلقى من ١٠ مارس حتى ٢ يونيو ١٩٤١ ، تدريبا أوليا باعتبارى أحد الجنود فى هامبورج – لانجهورن وآرنهم وأورانينبرج مع أربعين طبيبا . ونظرا لدراستى المزدوجة – فى التكنولوجيا والطب – صدرت الأوامر بالحاقى بفرع تكنولوجيا الطب بمكتب العمليات الرئيسى لقيادة قوات العاصفة الفرع الطبى . لقوات العاصفة (الفرقة د) الإدارة الصحية .

ووقع اختيارى داخل هذا النوع على وظيفة تركيب أجهزة تطهير وتنقية مياه الشرب مباشرة للقوات ومعسكرات السجن ومعسكرات الاعتقال . وأفادتنى خبرتى الوثيقة فى مجال

الصناعة فى إحراز نجاح سريع فى الوقت الذى أخفق فيه من سبقونى فى هذا المضمار. وبالتالى أصبح من الممكن تخفيض نسبة الموتى بين المساجين إلى حد بعيد. وسرعان ما أصبحت ملازما أولا نظرا لما حققته من نجاح. وفى ديسمبر من عام ١٩٤١ تناهى إلى علم المحكمة التى كانت أصدرت حكما بطردى من الحزب الاشتراكى الوطنى الألمانى خبر التحاقى بقوات العاصفة فبذلت مساعى كبيرة لنقلى واضطهادى. غير أن ما حققته من نجاح كان سببا فى الاعتراف باخلاصى وعدم الاستغناء عنى. وفى يناير عام ١٩٤٢، تم تعيينى رئيسا للفرع الفنى للتطهير الذى كان يضم كذلك فرع الغازات السامة القوية اللازمة لتطهير. وفى ٨ يونيو ١٩٤٢، دخل الرائد جونتر من المكتب الرئيسى لأمن الدولة إلى مكتبى. وكان يرتدى ملابس مدنية ولم تكن لى معرفة به. وأمرنى باحضار مائة كيلو جرام من حامض البروسيك وأن أرافقه إلى مكان لا يعرفه سوى سائق العربة. وتوجهنا إلى مصنع البوتاسيوم بالقرب من كولنج (براغ). وما أن تم وضع الحمولة فوق العربة حتى رحلنا إلى لوبلين (بولندا) وأصطحبنا معنا البروفيسور فاننستيل أستاذ علم الصحة فى جامعة ماربورج. وفى لوبلين استقبلنا الفريق جلوبوشنيك من قوات العاصفة وأبلغنا أن هذا الأمر من أكثر الأمور سرية بل يكون أكثرها سرية. وأن من يتحدث عنه سيعدم رميا بالرصاص فورا. وأنه بالأمس لقى اثنين مصرعهما نظرا لأنهما كانا يثرثران. ثم شرح لنا، أنه يوجد فى الوقت الراهن – ١٧ أغسطس ١٩٤٢ – ثلاث منشآت:

١ – بلزيك، على طريق لوبلين – لمبرج، فى قطاع خط الحدود الروسية. تستوعب ١٥,٠٠٠ شخص يوميا كحد أقصى.

٢ – سوبيبور، لا أعرف بالتحديد موقعها وتستوعب ٢٠,٠٠٠ شخص يوميا.

٣ – تريبلنكا، وتقع على بعد ١٢٠ كيلو مترا شمال شرقى وارسو. تستوعب ٢٥,٠٠٠ شخص يوميا.

٤ – ميدانيك، بالقرب من لوبلين وهى فى مرحلة الاعداد.

وقال جلوبوشنيك: ان عليكم أن تعقموا كميات هائلة من الملابس يبلغ حجمها عشرة أضعاف أو عشرين ضعف مجموعة الملابس التى نظمت لاخفاء مصدر هذه الملابس اليهودية والبولندية والتشيكية أما مهامكم الأخرى فتتمثل فى تغيير أسلوب غرف الغاز التى تعمل فى الوقت الراهن بعادم الغاز المتولد من محرك ديزل قديم) واستخدام مادة تحتوى على نسبة أكبر من السم، وذات مفعول أسرع مثل حامض البروسيك. غير أن الفوهرر

وهملر ، اللذان كانا هنا فى ١٥ أغسطس – أمس الأول – أمرا بأن أرافق شخصيا كل من سيشاهد المنشآت ، . وهنا سأل البروفيسور : ماذا يقول الفوهرر ؟ ورد جلوبوشنيك الذى كان يشكل وقتئذ منصب رئيس الشرطة وقوات العاصفة لمنطقة ريفييرا الادرياتيك حتى تريستا : « هيا ، هيا ، نفذوا البرنامج بأسره » . وعندئذ قال دكتور هربرت لندنر المدير بوزارة الداخلية » ولكن أليس من الأفضل إحراق الجثث بدلا من دفنها ؟ فربما فكر الجيل القادم بطريقة مختلفة فى هذه الأمور » . وعندئذ رد جلوبوشنيك : « ولكن ، ايها السادة إذا ما خلفنا مثل هذا الجيل الفاسد الجبان الذى لا يتفهم مدى ضرورة وأهمية ما تقوم به من عمل ، فحينئذ أيها السادة ، ستكون الاشتراكية الوطنية بأسرها هباء . بل على النقيض من ذلك ينبغى وضع لوحات برونزية يكتب عليها أنه كانت لدينا الشجاعة لتحقيق مثل هذا العمل العملاق ، فقال هتلر « نعم يا صديقى جلوبوشنيك ، أنت على حق وهذا هو رأى أيضا » .

وتوجهنا فى اليوم التالى إلى بلزيك . وهى محطة خاصة صغيرة ذات رصيفين تقع فى مواجهة تل أصفر الرمال ، يتاخمها شمالا طريق وسكة حديد لوبلين – لمبرج . وفى الجنوب ، بالقرب من الطريق بعض مراكز خدمة تحمل لافتة كتب عليها « بلزيك مركز خدمة قوات العاصفة » وقدمنى جلوبوشنيك إلى الكابتن أوفرماير من برمازنس الذى صاحبنى بقدر كبير من التحفظ لرؤية المنشآت . ولم أشاهد فى هذا اليوم أى قتلى ، غير أن رائحة المنطقة كلها . حتى من أول الطريق الواسع ، كانت مزعجة . وإلى جانب المحطة الصغيرة كانت هناك ثكنة كتب عليها « غرفة الامانات » وباب كتب عليه « الأشياء القيمة » ويليه غرفة بها مائة مقعد « حلاقة » . ثم يليه ممر يبلغ طوله ١٥٠ مترا . بلا سقف وعلى جانبيه أسلاك شائكة . وتوجد لافتة كتب عليها : « إلى الحمام وأجهزة الاستنشاق وشاهدنا أمامنا غرفة تشبه غرفة الحمام على جانبيها أحواض من الأسمنت بها زهور الجيرانيوم وزهور أخرى . وبعد أن ارتقينا سلما صغيرا ، كانت ثلاث غرف تشبه الجاراج على كل جانب مساحتها ٤ × ٥ متر وأرتفاعها ١,٩٠ مترا . وفى الخلف كانت هناك أبواب خفية من الخشب . وعلى السقف نجمة داود مصنوعة من النحاس . وعند مدخل المبنى لافتة كتب عليها : مؤسسة هكنهولت . وكان هذا هو كل ما لاحظته بعد ظهر ذلك اليوم .

وفى صباح اليوم التالى عملت قبل السابعة ببضع دقائق أن أول قطار سيصل خلال عشرة دقائق . وبدلا من ذلك ، وصل أول قطار بعد بضع دقائق من لمبرج يتألف من

٤٥ عربة ستة آلاف وسبعمائة شخص ، مات منهم فعلا ١٤٥٠ شخصا عند وصولهم . ومن خلف فتحة صغيرة مغطاة بالاسلاك الشائكة ، شاهدت أطفالا يعلو وجوههم الاصفرار ، ونساء ورجالا يكادون أن يموتوا هلعا . ووصل القطار ، وفتح ٢٠٠ من الأوكرانيين الذين يرغمون على القيام بهذا العمل – الأبواب وانهالوا بالسياط الجلدية على من فى القطار ليخرجوهم من العربات ومن خلال مكبرات صوت ضخمة صدرت التعليمات : خلع الملابس تماما ، ترك النظارات والأسنان الصناعية – البعض فى الثكنات والبعض فى العراء ، وأن يربط كل شخص فردتى حذائه معا بقطة من الخيط يقدمها صبى يهودى صغير يبلغ من العمر أربعة أعوام إلى كل منهم وأن يسلم كل شخص كل ما معه من أشياء ثمينة ونقود فى شباك « الأشياء القيمة » ، دون سند أو إيصال ثم تتجه النساء والفتيات إلى الحلاق ، الذى يقوم بقص شعورهن بضربة واحدة أو اثنين من مقصه ، يختفى بعدها الشعر فى أكياس ضخمة « ليستخدم فى معدات خاصة فى الغواصات أو فى صنع ممسحة الأرجل التى توضع أمام الأبواب ، ألخ » كما أبلغنى الرقيب الذى كان بالخدمة . ثم تبدأ بعد ذلك المسيرة إلى اليمين واليسار أسلاك شائكة ومن الخلف عشرون أوكرانيا يحملون البنادق . تتقدمهم فتاة بارعة الجمال وأقف مع كابتن ويرث من ضباط الشرطة أمام غرف الموت . ويمر رجال ونساء وفتيات وأطفال وحتى المعوقون وكلهم عراة تماما ويقف رجل قوى من رجال قوات العاصفة فى أحد الأركان يقول للمساكين ، بصوت جمهورى عميق (لن يحدث لكم أى شىء . كل ما عليكم أن تفعلوه هو التنفس بعمق ، أنه يقوى الرئتين ان هذا الاستنشاق يعد إجراء ضروريا ضد الأمراض المعدية ، أنه مبيد فعال للجراثيم وعندما يسأل عن مصيرهم يجيب : حسنا ، إن الرجال سيعملون بالطبع فى رصف الشوارع وتشييد المنازل . أما النساء فلا . وإذا مارغبن فى العمل فبوعهن المساعدة فى أعمال البيت والمطبخ » . ومرة أخرى وبقدر قليل من الأمل ، يسير بعض هؤلاء المساكين دون مقاومة إلى غرف الموت . بينما غالبيتهم – رغم علمهم بكل شىء ، فالرائحة تنم بوضوح عن المصير الذى ينتظرهم فيرتقون السلم الصغير – ليواجهوا الحقيقة .

وتتردد الأمهات والمرضعات يحملن الأطفال على صدورهن ، عراة ، وكثير من الأطفال من مختلف الأعمار ، عراة أيضا ، غير أنهن يدخلن غرف الغاز ، دون أن يتفوه غالبيتهن بكلمة واحدة ، يدفعهن غيرهن من الخلف وسياط رجال قوات العاصفة تتعقبهن . وتستنزل إحدى السيدات اليهوديات فى الأربعين من عمرها ، ذات عينين

متوهجتين اللعنات على رءوس القتلة لسفكهم دماء أطفالها . وتنهال خمس جلدات على وجهها من سوط قائد البوليس وتتعقبها إلى غرفة الغاز . وكثيرا منهن يرددن صلواتهن ، فى حين تتساءل أخريات : « من الذى سيقدم لنا الماء عند موتنا ؟ (هل هى إحدى الشعائر اليهودية) . ويقوم رجال قوات العاصفة فى غرف الغاز بحشر الأشخاص معا ، فقد أمر القائد « بملء الغرف عن آخرها » حين يقف رجال عراة على أقدام غيرهم . ويحشر ما بين سبعمائة وثمانمائة شخص فى مساحة ٢٥ مترا مربعا ، أى فى ٤٥ مترا مكعبا وتغلق الأبواب . وفى نفس الوقت يظل الباقون فى الانتظار . وجميعهم عراة ، ويقول أحدهم : « عراة فى الشتاء أنهم قد يموتون بهذه الطريقة » والرد هو « حسنا ، هذا هو تماما ما قدموا من أجله (ولحظتها فقط فهمت السبب فى تسميتها « مؤسسة هكنهولت » فهكنهولت هو المسئول عن محرك الديزل ، وعادم الغازات التى يقتل بها هؤلاء المساكين . ويحاول الرقيب هكنهولت تشغيل محرك الديزل . غير أن المحرك لا يعمل ويجىء الكابتن ويرث . ومن الواضح أنه يخشى وجودى كشاهد على هذا الفشل . نعم ، فقد كنت فى واقع الأمر أراقب كل شىء وانتظر . كنت أسجل كل ما يجرى من خلال ساعة التوقيت . وتمر ٥٠ دقيقة ، ٧٠ دقيقة ومحرك الديزل لا يعمل والناس ينتظرون فى غرف الغاز ، بوسع المرء أن يسمعهم يستغيثون ولكن بلا جدوى . ويعلق البروفيسور فاننشتيل أستاذ الصحة العامة بجامعة ماربورج وهو يسترق السمع بجوار الباب الخشبى « تماما مثلما يحدث فى المعبد » . أما القائد ويرث فقد ضرب فى ثورة وغضبة مساعد هكنهولت الأوكرانى ١١ أو ١٢ جلدة على وجهه بالسوط الذى يحمله فى يده . وبعد ساعتين ، ٤٩ دقيقة ، كما سجلت ساعتى ، بدأ محرك الديزل فى العمل . وحتى تلك اللحظة كان كل من يشغل الغرف الأربع المملوءة عن آخرها على قيد الحياة . ومرت ٢٥ دقيقة مات فيها الكثيرون فى واقع الأمر . ويمكن للمرء أن يشاهد ذلك من خلال النافذة الصغيرة التى يكشف خلالها المصباح الكهربائى ، للحظة ، ما يدور بداخل الغرفة . بعد ٢٨ دقيقة لم يبق سوى القليل على قيد الحياة ، وبعد ٣٢ دقيقة مات الجميع فى نهاية الأمر ، ويقوم عمال يهود من الجانب الآخر بفتح الأبواب الخشبية وفى مقابل عملهم الفظيع ، تلقوا وعدا باطلاق سراحهم وبالحصول على نسبة ضئيلة من الأشياء الثمينة والنقود التى تجمع من هؤلاء المساكين . أما القتلى فظلوا واقفين مثل التماثيل فلم يكن هناك أى متسع للسقوط أو الانحناء . ورغم أنهم موتى ، فانه يمكن التعرف مع ذلك على الأسر منهم ، فلا تزال أيديهم متشابكة . وكان من العسير الفصل بينهم حتى تم

اخلاء الغرفة لغيرهم من القادمين . وكانت الجثث تلقى إلى الخارج وقد استحالت إلى الزرقة وبللها العرق والبول ، والأرجل مغطاه بالبراز ودماء الحيض . وكانت جثث الأطفال والصغار تلقى فى كل مكان بين الجثث الأخرى . فليس هناك وقت لاضاعته فقد انهمك أربعة وعشرون عاملا فى تفتيش الأفواه وفتحها بخطاطيف من الحديد بحثا عن « الذهب فى الناحية اليسرى ، ولا يوجد فى الناحية اليمنى » . بينما كان غيرهم يبحثون فى الشرج وأعضاء التناسل عن النقود والماس والذهب . . . الخ وكان أطباء الأسنان يقومون بنزع الكبارى والطرابيش والأسنان الذهبية بوساطة أزاميل . ووسط كل هذا كان الكابتن ويرث الذى اعتاد على كل شىء هنا يناولنى علبة ضخمة مملوءة بالاسنان وهو يقول : « لك أن تقدر بنفسك وزنها من الذهب . انها حصيلة أمس وأمس الأول فقط ولن تصدق ما الذى نعثر عليه هنا كل يوم دولارات ماس ذهب ولكن تحقق بنفسك ثم صحبنى إلى جواهرجى يعد مسئولا عن كافة هذه الأشياء الثمينة . ثم رافقونى بعد ذلك إلى أحد مديرى متجر الغرب الضخم فى برلين . وإلى رجل ضئيل الحجم يعزف على الكمان وكلاهما من رؤساء قيادات العمال اليهود وقال لى أوبرماير « انه ضابط برتبة كابتن فى الجيش الملكى والامبراطورى النمسوى ، وحاصل على وسام الصليب الحديدى الألمانى من الدرجة الأولى » . أما الجثث فكانت تلقى بعد ذلك فى خنادق كبيرة ابعادها ١٠٠ × ٢٠ × ١٢ مترا ، وتقع بالقرب من غرف الغاز ، وبعد بضعة أيام تنتفخ هذه الجثث وترتفع محتويات الخندق ما بين مترين وثلاثة أمتار بسبب الغازات التى تتفاعل فى الجثث . وبعد أيام قلائل يتوقف الانتفاخ وتنهار الجثث . وفى اليوم التالى تملأ هذه الخنادق من جديد وتغطى بعشرة سنتيمترات من الرمال . وبعد فترة قليلة ، علمت أنهم يقومون بتركيب « محرقة » من القضبان الحديدية يحرقون فوقها الجثث بزيت الديزل والجازولين حتى تتلاشى . ولم يكن أحد فى بلزيك وتريبلنكا يهتم باحصاء عدد القتلى . وتعد الأرقام التى أذاعتها الإذاعة البريطانية . غير دقيقة . فالحقيقة أن ما يقرب من خمسة وعشرين مليونا قد قتلوا . على أن هؤلاء القتلى ليسوا من اليهود وحدهم ، ولكنهم أيضا وبصفة خاصة من البولنديين والتشيكيين الذين كان النازيون يعتبرونهم سلالة رديئة . وقد مات أغلبهم مجهول الشخصية . فقد كانت لجان من أطباء موزعين ، وهم فى واقع الأمر ليسوا سوى شبان من قوات العاصفة يرتدون معاطف بيضاء ، ويستقلون سيارات ليموزين يطوفون بالمدن والقرى فى بولندا وتشيكوسلوفاكيا لاختيار المسنين والمرضى وخاصة بالدرن ليختفوا عقب ذلك فى غرف

الغاز . وكانوا من البولنديين والتشيكيين من الطبقة الثالثة الذين لا يستحقون البقاء على قيد الحياة ما داموا عاجزين عن العمل . وطلب منى ضابط البوليس ويرث الا أقترح استخدام أى نوع آخر من غرف الغاز فى برلين ، وأن أترك كل شىء يسير كما هو عليه . وكذبت عليه – كما كنت أفعل دائما – وقلت له أن حامض البروسيك فقد فاعليته بالفعل من جراء عملية الشحن وأصبح خطيرا للغاية ، ولذا فاننى مضطر لاخفائه . وهذا ما حدث فى الحال .

وفى اليوم التالى ، حملتنا سيارة الكابتن فرث إلى تربلينكا ، وتبعد حوالى ٧٥ ميلا عن وارسو . ولا تكاد تختلف مبانى مركز الموت هذا عن مبانى بلزيك غير أنها كانت أكثر اتساعا . فقد كان هناك ٨ غرف غاز وأكوام كالجبال جميعها من الملابس الخارجية والملابس الداخلية ترتفع حوالى ٣٥ – ٤٠ مترا . وأقيمت مأدبة تكريما لنا حضرها كافة العاملين فى المؤسسة . وأدلى البروفيسور ايفتنانت كولونيل فافنتستيل أستاذ علم الصحة – بجامعة ماربورج بكلمة قال فيها : « إن مهمتكم لمهمة عظيمة مهمة مفيدة جدا ضرورية جدا » . وتوجه إلى وحدى بالحديث عندما تحدث عن روعة المهمة ، المهمة الإنسانية » ثم خاطب الجميع فقال : « إن المرء عندما ينظر إلى هذه الجثث اليهودية يدرك مدى عظمة هذا العمل الجليل » وكان الغداء فى حد ذاته بسيطا . غير أنه بناء على تعليمات هلمركان العاملون فى هذا الفرع يحصلون على ما يريدونه من الزبد واللحم والمشروبات الروحية . . الخ . وعندما غادرنا « المؤسسة قدموا لنا عدة كيلو جرامات من الزبد وعددا ضخما من زجاجات المشروبات الروحية . ولجأت إلى الكذب ، قائلا إن لدى منها الكثير حصلت عليه من مزرعتنا الخاصة . ومن ثم فقد أخذ البروفيسور نصيبى كذلك .

واتجهنا بالسيارة إلى وارسو ، وبينما كنت أنتظر بلا جدوى مكانا شاغرا أنام فيه قابلت البارون فون أوتر ، سكرتير المفوضية السويدية . ولما كانت جميع الأسرة مشغولة ، أمضينا ليلتنا فى ممر عربة النوم . وهناك ، والحقائق لا تزال ماثلة بقوة فى ذاكرتى ، سردت عليه كل شىء ، وطلبت إليه أن يبلغها بدوره لحكومته ولكل دول الحلفاء وعندما طلب منى أن أذكر له اسم شخص يمكن أن يرجع إليه للسؤال عنى أعطيته هذا العنوان : المراقب العام دكتور أوتو ديبليدس برلين ليخترفيلد وست برودرفيج .

وهو صديق لمارتن نيمويلر ورئيس المقاومة البروتستانتية ضد النازية . وقابلت البارون فون أوتر بعد ذلك بعدة أسابيع مرتين . وابلغنى أنه أرسل تقريرا إلى الحكومة السويدية فى

هذا الشأن ، وكان له ، حسب ما اخبرنى ، تأثير شديد على العلاقات بين السويد وألمانيا . ولم أوفق فى محاولتى لابلاغ رئيس مفوضية الفاتيكان بكل ما حدث . فقد سألونى عما إذا كنت جنديا ، وعندئذ لم يقبل طلبى لاجراء مقابلة معه . فقمت بعدئذ بارسال تقرير مفصل إلى الدكتور ونتر سكرتير أسقفية برلين حتى يقوم بابلاغه إلى أسقف برلين ومنه إلى مفوضية الفاتيكان . وعندما خرجت من مفوضية الفاتيكان فى راوشتستراس فى برلين صادفت احد عملاء البوليس الذى أخذ يتعقبنى الا أننى أفلحت بعد لحظات مريرة للغاية من الافلات منه .

ويتعين على أن اضيف ، علاوة على ذلك ، أنه فى مستهل عام ١٩٤٤ طلب منى الميجور جونتر من المكتب الرئيسى لأمن الدولة شحنات ضخمة جدا من حامض البروسيك لأغراض غامضة . وكان من المقرر تسليم الحامض إلى مكتبة فى برلين ونجحت فى اقناعه بأن هذا الأمر مستحيل ، لأنه ينطوى على خطر جسيم فقد كانت الكمية المطلوبة حمولة عدة عربات مما يكفى لتقل عدد هائل من الأفراد ، أى ملايين فى واقع الأمر . وكان قد ذكرنى أنه ليس على ثقة مما إذا كانت هذه المادة السامة مطلوبة ، ومتى تكون مطلوبة ولأى نوع من الاشخاص وكيفية ومكان استخدامها . ولم أدرك حينذاك ما هى نوايا المكتب الرئيسى لأمن الدولة وقوات حماية أمن الرايخ على وجه الدقة ولكننى أخذت أفكر بعد ذلك فى كلمات جوبلز عن « صفق الباب خلفهم إذا ما قدر للنازية أن تفشل . ربما كانوا يريدون قتل قطاع كبير من الشعب الالمانى ربما العمال الاجانب ، ربما أسرى الحرب – لا أدرى وعلى أية حال فقد تسببت فى اختفاء السم لأغراض التعقيم بمجرد الحصول عليه . وكان فى اقدامى على هذا العمل خطر بالنسبة لى ، بيد أننى لو كنت قد سئلت عن الحامض السام . لاجبت بأن قد تعرض لحالة تلف بالفعل ومن ثم فقد اضطررت لاستخدامه فى التعقيم انى على ثقة من أن جونتر صاحب النظرية العنصرية كانت لديه ، حسبما قال ، أوامر بالحصول على الحامض لابادة ملايين البشر – نهائيا – ربما فى معسكرات الاعتقال ايضا . ولدى هنا فواتير بـ ٢,١٧٥ كيلوجراما ، وكان المطلوب فعلا ٨,٥٠٠ كيلوجرام وهى كمية تكفى لفناء ٨ ملايين شخص . ولقد طلبت أن ترسل الفواتير باسمى ، وقلت أن ذلك الطلب لأسباب تتعلق بسرية الأمر ، ومع ذلك فقد كان السبب الرئيسى هو أن تتوفر لى إلى حدما حرية اتخاذ قراراتى وامكانية أفضل لاخفاء الحامض السام . ولم أدفع على الاطلاق ثمن هذه الشحنات حتى اتجنب اعادة المال الامر الذى من شأنه تذكير قوات حماية أمن الدولة بهذه

الشحنات . وقد أبلغنى مدير مصنع المبيدات الحشرية الذى قام باعداد هذه الشحنات ، بأنه أرسل حامض البروسيك فى أوعية زجاجية صغيرة تحتوى كل واحدة منها على جرة واحدة بهدف قتل البشر . واستشارنى جونتر فى مناسبة أخرى حول امكانية قتل عدد ضخم من اليهود فى العراء فى خنادق حصون ماريا – تريزنشتات . وحتى يتسنى الحيلولة دون تنفيذ مثل هذا الاقتراح الشيطانى أعلنت أن هذا الأسلوب متعذر التنفيذ . وسمعت بعد فترة من الزمن أن إدارة الأمن حصلت بطرق اخرى على حامض البروسيك اللازم لتقل هؤلاء التعساء فى تريزنشتات . وأكثر المعسكرات مدعاة للاشمئزاز ليست فى أورانيتبرج وداخاو أوبلسن . وانما فى أوشفيتز وماوتهاوزن جوزن بالقرب من لنز – على نهر الدانوب .

تلك هى الأماكن التى كان يعنى فيها ملايين البشر فى غرف الغاز أو عربات على غرار غرف الغاز . وكان الأسلوب المتبع فى قتل الأطفال يتمثل فى وضع قطع قطنية مشبعة بحامض البروسيك تحت أنوفهم .

وشاهدت بنفسى تجارب تجرى على احياء فى معسكرات الاعتقال . وتستمر التجارب حتى تلفظ الضحية أنفاسها الأخيرة . وهذا ما حدث فى معسكر اعتقال للنساء ، حيث كان الكابتن جروندلاخ يقوم باجراء مثل هذه التجارب . وقد قرأت فى مكتبى تقارير عن تجارب اجريت فى بوخنفالد ، مثل اعطاء ما يقرب من ١٠٠ قرص بيرفيتن يوميا . كما كانت تجرى تجارب أخرى على حوالى ١٠٠ – ٢٠٠ شخص فى كل مرة بالامصال والسوائل الليمفاوية وغيرها ، إلى أن يموت الشخص وقد احتفظ هملر شخصيا بحق منح تصاريح اجراء مثل هذه التجارب .

وفى أورانينبرج شاهدت كيفية القضاء على كل المسجونين المصابين بانحراف جنسى فى يوم واحد .

وتحاشيت تكرار الزيارات لمعسكرات الاعتقال ذلك لأنه كان من المألوف ولا سيما فى ماوتهاوزن جوزن قرب لينز شنق مسجون أو اثنين تكريما للزائرين . كما كان من المعتاد فى ما وتهاوزن ارغام العمال اليهود على العمل فى اقتلاع الحجارة من ارتفاع شاهق وبعد فترة يقول جندى قوات العاصفة المكلف بالخدمة انتبهوا ستقع حادثة بعد دقيقتين وفعلا بعد دقيقة أو اثنين كان بعض اليهود يلقى بهم من أعلى الصخرة فيسقطون صرعى تحت اقدامنا . وكان يكتب فى ملفات الموتى : « اصابة عمل » . وكثيرا ما حدثنى الدكتور فريتز كرانتز وهو من ضباط العاصفة المعاديين للنازية عن مثل هذه الحوادث . وكان يندديها بشدة وغالبا

ماكان ينشر الحقائق فى هذا الصدد أن الجرائم التى اكتشفت فى بلسن وأوراينتبرج وغيرها لا تعد ذات أهمية كبيرة إذا ما قورنت بما كان يحدث فى أوشفيتز وماوتهاوزن انى اعتزم أن ألف كتابا عن مغامراتى مع النازيين. وأننى على استعداد أن أقسم بأن كافة بياناتى هى الحقيقة المطلقة.

توقيع بخط اليد
كورت جيرشتاين

ومن العسير على أى شخص أن يأخذ على محمل الجد ماورد فى هذا البيان. فقد ورد بحث لعدة نقاط محددة فى هذا البيان، ولكننى، بصفة عامة أترك للقارئ أن يدهش لما ورد فيه. فالجزء المطبوع الذى جاء فى مجلدات محاكمات نورمبرج العسكرية والذى يبدأ بما يلى: « عند سماعى بالمذابح.. وينتهى عند: ويدرك المرء عظمة عملكم الرائع على أن الملاحظة التى وردت عن الاذاعة البريطانية والخمسة وعشرين مليونا من ضحايا غرف الغاز مشطوبة. كما أن الرواية التى استخدمتها محكمة القدس التى حوكم أمامهم ايخمان قد حرفت بصورة أكثر مبالغة إلى حد بعيد.

وكان من الطبيعى فى هذا الكتاب الا أعرض لرتب قوات العاصفة نظرا لعدم تفهم غالبية القراء لها، فرتبة ملازم أول تبدو فى أهمية الجنرال. ولتفادى هذا اللبس استخدمت رتب القوات المسلحة الأمريكية المرادفة للرتب الالمانية تقريبا. ورغم ذلك ففى بيان جرشتاين السابق لم أتمسك بهذه القاعدة بسبب الخلط فى رتبة البروفيسور فاننشتيل استاذ علم الصحة بجامعة ماربورج الذى يعرف مرة بأنه ليفيتنانت كولوفيل ومرة أخرى بأنه « ملازم » وفى ملحق ب ايضاح لرتب قوات العاصفة. وماكان من المحتمل أن يقع جيرشتاين فى مثل هذا الخطأ لو أنه كتب هذا البيان بمحض ارادته.

وثمة تناقض آخر واضح، يبين مدى عدم الاتقان الذى صيغت به هذه الوثيقة، ويتمثل ذلك فى معرض الاحداث التى وقعت فى أغسطس باعتبارها وقعت « فى الشتاء ». كذلك يبدو من قبيل المستحيل الزج بسبعمائة أو ثمانمائة شخص فى غرفة مساحتها عشرين أو خمسة وعشرين مترا مربعا وارتفاعها ١,٩ مترا، غير أنه يبدو محتملا إذا ماستخدم المرء معصرة منحدرة، ولكن فى هذه الحالة فإن الضحايا سيسحقون بالمعنى الحرفى للكلم تماما كما تؤكد الوثيقة، ولن تكون ثمة ضرورة لاستخدام الغاز بالمرة.

إن الاشارة إلى التوجه إلى وارسو بالسيارة ثم مقابلة البارون فون اوتر فى القطار نقلت هنا تماما كما جاء بالوثيقة بطبيعة الحال . ولم يصدر أى تأكيد لاجتماعات جيرشتاين – أوتر من أى مصدر سويدى خلال الحرب ، أى قبل كتابة الوثيقة ، وليس واضحا ما إذا كان قد صدر أو لم يصدر أى تأكيد لها بعد الحرب .

وعلى حد قول راسينيه ، لو لم تكن حقيقة واقعة أن هتلر زار لوبلين ولو لم تكن حقيقة واقعة أنه بالامكان أن تضم غرفة غاز مساحتها خمسة وعشرين مترا مربعا ما بين سبعمائة وثمانمائة شخص ، ولو لم يكن حقيقة واقعة أن أغسطس يأتى فى الشتاء فى أوروبا ، ولو لم تكن حقيقة واقعة أن الالمان استخدموا الغاز فى اعدام ٢٥ مليون شخص إذن فلابد لنا حيث أن الوثيقة لم تتضمن سوى القليل بعد ذلك ، من أن نتساءل ، ما الذى تضمنته الوثيقة من حقيقة ؟

ان ما ورد من قبل هو ما يعتبر عادة بيان جيرشتاين ولكن البيانات (وفقا للوثيقة ١٥٥٣ – ب س) التى يقال أن جيرستاين قد كتبها بعدة لغات فى ربيع عام ١٩٤٥ تستمر بالفعل .

بيان اضافى لكورت جيرشتاين .

فى شقتى فى برلين و ٣٥ ، بولوفستراس ٤٧ ، الدور الثانى ، على اليسار ، أحاطت بى حلقة من المعادين للنازية . وفيما يلى أسماء بعضهم بيجور

لوتزرايز ، ويعمل حاليا فى هامبورج .

دكتور فيليكس باس ، كبير المستشارين القانونيين لشركة تلفونكن ، ببرلين .

المدير الكس ميش ، هامبورج .

القس بوتشهولز ، القس الملحق بسجن بليتزنسى ، الذى رافق ضباط مؤامرة ٢٠ يوليو ١٩٤٤ إلى المشنقة . وكان هؤلاء الضباط وكذلك صديقى الحميم القس مارتن يتمويلر ، يدخنون السجائر والسيجار الذى كنت أحصل عليه فى السجن لكى أقدمه لهم . القس موشالسكى ، الذى حل محل القس مارتن نيمويلر فى كنيسة انون فى داهلم .

دوروفيا شولز سكرتيرة القس يتمويلر .

مزارندت ، سكرتيرة القس مارتن ينمويلر فى داخاو .

أميل نيوفهويزن وصديقه هندريك ، من شركة فيلبيس – اندهوفن مرحلين كنت قد

التقيت بهم فى الكنيسة ، وظلوا لفترة طويلة ينزلون فى ضيافتى مرتين أو ثلاث مرات فى الأسبوع ، وكانوا يتناولون معى الطعام ويستمعون إلى الراديو .

المدير هاوزن ، برلين ميتلستراس مؤسسة فرانكى للطباعة هربرت تشاركوفسكى ، محرر بصحيفة تشيرل . كابتن نيلتاو وزوجته ، حاليا بفورتمبرج .

دكتور هيرمان اهلرز ، الوصى على كنيسة نيمويلر المعادية للنازية .

دكتور أبى الس وصى على كنيسة نيمويلر شخصيات أخرى : المراقب عام دكتور أوتو ديبليوس ، رئيس مقاومة الكنيسة للنازية .

القس رهلنج عضو عامل فى حركة المقاومة ضد النازية التابعة للكنيسة دكتوركوخ ، استاذ معاد للنازية بجامعة تيوبنجن .

برنارد . جوديكر مخرج بميونخ معادى للنازية .

المدير فرانز بايوريل ، ميونخ معاد للنازية

القس الكاثوليكى فالبرتز ، هاجن – وستفاليا .

القس أوتو فهر ، ساربروك .

القساوسة شلايجر وبيتكاو ، بنيوروبين بالقرب من برلين .

أوجست فرانز وعائلته كلها ، من أشد المعادين للنازية ، سابروك ، حاليا بثالهيم بفورتمبرج .

دكتور شتراوب ، مترتجن ، يفور تمبرج ، وعائلته .

(بدون توقيع)

ليس لدى أى فكرة عن علاقة جيرشتاين بهذه الوثيقة ، إذا كانت هناك أى علاقة بالفعل . ومن المحتمل أن يكون قد شارك بناء على أمر معتقليه ، فى صياغتها ، أو ربما لم يكن له أى علاقة بها . وربما أمكن تحديد ذلك على أساس التوقيع ومن المحتمل أن يكون بخط اليد) فى الجزء الأول وكتابه البيان بخط اليد ، ولكن يبدو أن الأمر لا يكاد يستحق أى بحث .

وقد صدرت الطبعة الالمانية لبيان جيرشتاين « بنفس المضمون أساسا عقب اختفاء جيرشتاين بعام . وقالت زوجته أن جيرشتاين ولم تكن قد تعرفت عليه فى ذلك الوقت – أودع الوثيقة ضمن امتعتها فى فندق موهرن فى روتفيل . وكان من الطبيعى أن يدعم

اكتشاف فراوجيرشتاين لمثل هذه الوثيقة فى أيام ١٩٤٦ المظلمة من وضعها كزوجة للقديس جيرشتاين لا كزوجة لجيرشتاين الضابط العادى فى قوات العاصفة ، وهو وضع تحسد عليه ألمانيا فى ذلك الوقت .

والنسخة الألمانية من بيان جيرشتاين منسوخة على الالة الكاتبة ولا تحمل توقيعا ، غير أنه تردد أن هناك ملحقا كتب بخط اليد ولم يحدد مضمون . ويقال أن جيرشتاين ولأسباب غير واضحة ، ضم إلى النسخة الالمانية عشر صفحات من بيانات سمع عنها لم ترد فى المادة التى يفترض أنه سلمها فى الأصل للمحققين الأمريكيين قبيل اختفائه .

وقد اعلن اوتوديبليوس ، أسقف الكنيسة اللوثرية فى برلين عقب ذلك بسنوات عدة أن جيرشتاين والبارون قون أوتر قد اتصلا به بالفعل فى هذا الصدد . ورغم أن ديبليوس كان عضوا بارزا فى الحزب الوطنى الديمقراطى الذى يرأسه هوجنبرج والذى كان على صلة بالنازيين قبل عام ١٩٣٣ ، فقد انضم إلى حركة معارضة الكنيسة للنازيين بقيادة نيمويلر بعد ١٩٣٣ وقد اعتقل نيمويلر عام ١٩٣٥ ، فى حين ظل ديبليوس مطلق السراح ثم توارى بعدها متسترا بمنصب ضئيل فى منظمة للمساعدات الاجتماعية تابعة للكنيسة ، وأصبح بعدها أسقفا فى أعقاب انتهاء الحرب ١٩٤٥ . ولا يصح أن نصف ديبليوس بأنه عضو عامل فى حركة المقاومة ابان فترة الحرب ، كما يفعل بيان جيرشتاين والملحق السابق ، وبذلك تعالى فى تقدير أهميته أكثر مما تسمح به حقائق الأمور .

أما بالنسبة للأسماء الاخرى التى وردت فى قائمة جيرشتاين عن المعادين للنازى « فباستثناء نيمويلر ، لا أعلم أن واحد من هذه الاسماء عرف عنه القيام بأى نشاط خلال الحرب ضد النازية أو غيرها . فلم أتعرف على أى واحد منهم سوى الدكتور هرمان أهلرز ، الذى أصبح فيما بعد أحد سياسة الاتحاد الديمقراطى المسيحى البارزين بعد الحرب ، والذى توفى عام ١٩٤٥ .

أما فى تقارير سيزان أورسينو ، السفير البابوى فى برلين ، التى نشرها الفاتيكان ، فلم يرد بالطبع أية اشارة إلى جير شتاين . كما سيرد فيما بعد .

ويتضمن الجزء الثانى من الوثيقة ١٥٥٣ – ب س) رسالة إلى جيرشتاين من شركة المبيدات الحشرية بخصوص المحافظة على مادة السيلكون وامكانيات الحصول على شحنات فى المستقبل رغم غارات القصف التى أدت إلى تدمير أحد المصانع وكانت الرسالة تستحق

النشر فى هذا المجال لو أنها فقط كانت بالفرنسية (ولكنها بالالمانية (. أما الجزء التالى من الوثيقة فهو مذكرة موجوزة كتبت بخط اليد :

طبقا للمذكرات المرفقة ، فإن المكتب الرئيسى لأمن الدولة قد طلب حامض البروسيك بناء على أمر الرائد جونتر . وكنت مسئولا عن هذه المهمة الخاصة وكنت أقدم بواجباتى باخلاص ، ولذا ما أن وصل الحامض إلى أورانينبرج وأشفيتز حتى أخفيت الصناديق فى حجرات التعقيم . ومن ثم أمكن تفادى اساءة استعمال الحامض . وحتى أتجنب لفت انتباه المكتب الرئيسى لأمن الرايخ إلى وجود أو – كما يتعين أن اقول – اختفاء هذه الشحنات ، لم أدفع مطلقا ثمنا لهذه الشحنات ، للفواتير التى ترد على نفس العنوان – أى عنوانى . وبهذه الطريقة أصبح ممكنا اخفاء الحامض بمجرد وصوله . ولأكتشف اختفاء الحامض لكان الرد : أن ذلك حدث نتيجة لخطأ مكتب التعقيم المحلى الذى لم يكن يعرف ، ولا يجب أن يعرف – المكان الحقيقى . أو لقت : أن الحامض فسد ولم يكن من الممكن الابقاء عليه لفترة أطول .

توقيع

جير شتاين

أما الجزء الاخير من البيان فكان مذكرة باللغة الانجليزية :

مهندس تعدين	محل الاقامة الدائم :
كورت جيرشتاين	يتوبنجن / نيكار ، شارع البساتين
دبلوم فى الهندسة	٢٦ ابريل ١٩٤٥

يعد تقريرى هذا ذا أهمية بالنسبة للخدمة السرية . فما شاهدته لم يشاهده سوى أربعة أو خمسة غيرى وهم من النازيين . وكان الكثيرون من المسئولين . فى بلسن وبوخنفالد ومادونيك وأوسكريس وماوتهاوزن وداخاو وغيرها يعملون معى ، وكنت أراهم يوميا بحكم عملى المزدوج فى

١ – مكتب العمليات الرئيسى لقوات العاصفة ، والخدمة الصحية .

٢ – العمل فى قوات العاصفة والشرطة ببرلين .

انني فى مركز يسمح لى بالاعلان عن الاسماء والجرائم التى ارتكبها فى واقع الأمر المسئولون عن هذه الأمور ، وانني على استعداد لتقديم الدليل المادى لهذا الاتهام فى محكمة دولية . كنت ، وأنا الصديق الحميم لرجل الدين مارتن نبمويلر وعائلته (الموجودة حاليا فى ليونى / ستار نسبرجر ابرشية بافارياة) وكيلا للكنيسة اعتراف وليفتنيايت كولونيل بقوات العاصفة ورئيس قسم بمكتب العمليات الرئيسى لقوات العاصفة وهو مركز خطير.

ان الأمور التى رأيتها لم يرها أحد . وفى أغسطس ١٩٤٢ ، قدمت تقاريرى إلى مفوضية السويد فى برلين ، وانني على استعداد وفى وضع يتيح لى ذكر كافة ملاحظاتى لمخابراتكم .

ويمكننى القول بأن سكرتير مفوضية السويد فى برلين ، البارون فون أوتر الموجود حاليا بستكهولم على استعداد للادلاء بشهادته حول علاقتى عام ١٩٤٢ بكل ما يتعلق بهذا الموضع إذا ما طلب منى أية معلومات .

يمكن الرجوع فى هذا الأمر إلى القس ينمويلر

(زوجة مارتن نيمريلر الموقر)

(ليونى / ستاربنرجر / أبرشيه / مونخن بافاريا)

التوقيع : جير شتاين .

ملحوظة : فى حالة عدم عثور قواتكم على

مستر منجولر

مستر ستلين الابن

مستر شوشنيج فى داخاو

فقد رحلوا ، ولا يعرف احد شيئا عن شحصياتهم . رجاء عدم نشر تقريرى قبل اطلاق سراح ينمويلر أو وفاته .

جير شتاين

أما بقية الوثيقة فهى مجموعة فواتير السيكلون . وقد قمت بتصحيحات طفيفة فى « بيان جيرشتاين » ، فيما عدا الجزء الخير فقد نشرت المذكرة التى وردت « بالانجليزية » كما هى

تماما ، ولأسباب واضحة ، يبدو جليا أن من كتبها شخص يلم باللغة الفرنسية . ولا شك فى أن « مستر ستلين الابن » هو ابن ستالين الذى كان واحدا من أسرى الحرب فى المانيا أما شوشنيج فهو المستشار النمساوى فى عهد انخيلوس وقد تم اعتقاله مع نيمولر فى داخاو لفترة من الوقت . وقد قدم لنا راسينيه بحثا شيقا عن بمنويلر .

ملحق (ب)

رتب قوات العاصفة وما يمثلها من رتب القوات الأمريكية

قوات العاصفة	رتب القوات المسلحة الأمريكية	
SS Man	Private	جندى
Sturmann	Private lst. class	جندى ممتاز
Rottenjuehrer	Corporal	عريف
Unterseharfuehrer	Seargent	رقيب
Scharfuehrer	Staff Seargent	رقيب أركان
Oberscharfuehrer	Technical Seargent	رقيب فنى
Hauptscharfuehrer	Master Seargent	رقيب ممتاز
Sturmscharfuehrer	lst Seargent	رقيب أول
Untersturmfuehrer	2nd. Lieutenant	ملازم ثان
Oberseharfuehrer	1st Lieutenant	ملازم أول
Hauptsturmfuehrer	Captain	نقيب
Sturmbannfuehrer	Major	رائد
Obersturmbannfuehrer	Lieutenant Colonel	مقدم
Standarten fuehrer	Colonel	عقيد
Oberfuehrer	Brigadier General	عميد
Brigadefuehrer	Lieutenant General	لواء
Gruppenfuehrer	General	لواء فريق
Oberstgruppenfuehrer	General of the Army	القائد العام للقوات المسلحة

يمكن للمرء ممارسة حرية التصرف فى هذا الصدد

ملحق (حـ)
ترحيل اليهود

تتناول الكتيبات الستة التى تتضمن تقرير الصليب الأحمر الهولندى تحت عنوان أوشفيتز ، فى الواقع ما يقرب من ١٠٠ عملية ترحيل لليهود الذين غادروا هولندا أولها كان فى ١٥ يولية ١٩٤٣ وآخرها فى ١٣ سبتمبر ١٩٤٤ . وكانت أوشفيتز تشكل الوجهة المباشرة لحوالى ثلثى اليهود المرحلين ، رغم أن اعدادا هائلة رحلت إلى سوبيبور ، ورحل بعضهم إلى تريزنشتات ، برجن – بلسن ورافنسبروك وتعد بيانات الصليب الاحمر شاملة فيما يتعلق بالامور المتصلة بعمليات النقل أثناء وجودهم فى هولندا ، كمواعيد الرحيل وأماكن النقل وعدد الاشخاص فى كل عملية نقل ، مع تحليل للعدد حسب الجنس والسن . ويفترض المؤلفون أن كل اليهود الذين عجزوا عن تفسير غيابهم ، عقب وصول اليهود إلى وجهتهم المباشرة اعدموا فى غرف الغاز أو أبيدوا بأية طريقة أخرى . ومن ثم استنتجوا أن أغلبية الـ ١٠٠,٠٠٠ يهودى تقريبا الذين رحلوا من هولندا قد اعدموا ، حيث اقتصرت دراستهم فيما يبدو على المعلومات الخاصة – بما كان يحدث فى المعتقلات فترة وصولهم إليها . ورغم ذلك ، فهناك استثناءات لهذه المعلومات ، فهناك بيانات خاصة باخلاء أوشفيتز فى عام ١٩٤٥ وهناك على سبيل المثال بيانات مستشفى مونوفيس . وأهم هذه البيانات مع ذلك ، هو ما سجل فى معسكر بركناو للرجال فى سجلات المسجلين والموتى فى الفترة ما بين ١٦ يولية و ١٩ اغسطس ١٩٤٢ . التى وردت فى الجزء الثانى من التقرير . وبما أن الصليب الاحمر قدم بيانات مفصلة عن عمليات نقل اليهود من وستربورك خلال هذه الفترة ، أصبح من الممكن اجراء مقارنة ، كما أن المقارنة (كما اعترف رايتلنجر) تتناقض الزعم القائل بأن الاغلبية ، أو عدد من اليهود قد اعدموا فى غرف الغاز فور وصولهم إلى أوشفيتز وقد كانت هناك ١٣ عملية نقل من وستربروف تمت فى يولية وأغسطس من عام ١٩٤٢ ، وكانت على النحو التالى :

تاريخ الترحيل	مجموع المرحلين	مجموع الرجال	من – ١٢ عاما	١٣ – ١٥ عاما	١٦ – ١٧ عاما	١٨ – ٣٥ عاما	٣٦ – ٥٠ عاما	٥١ – ٦٠ عاما	أكثر من ٦١ – عاما
١٥ / ٧	١١٣٥	٦٦٣	٤١	٩	٨٥	٣٥٦	١٥٧	١١	٤
٧/١٦	٨٩٥	٦٤٠	٣٢	٧	٤١	٢٨٥	١٩٣	٦٢	٢٠
٢١ / ٧	٩٣١	٥١١	٦٢	١٤	٥٤	٣١٧	٦١	٢	١
٢٤ / ٧	١٠٠٠	٥٧٣	٥١	٦	٨٣	٣٤٠	٧٥	١١	٧
٢٧ / ٧	١٠١٠	٥٤٢	٦٠	١٧	٩٠	٣١٥	٥٥	٤	١
٣١ / ٧	١٠٠٧	٥٤٠	٤٧	١٣	٩٣	٣٢٦	٥٦	٥	
٣ /٨	١٠١٣	٥٢٠	٧٢	٢١	٣١	٢٥٥	١٣٩	١	١
٧ /٨	٩٨٧	٥١٠	٦٧	٢٨	٢١	١٧٢	١٦٨	٤٨	٦
١٠ / ٨	٥٥٩	٢٨٨	١٨	٨	١٩	٩٣	٩٧	٤٥	٨
١٤ / ٨	٥٠٥	٢٣٨	٤٣	١٤	٥	٣٦	٦٨	٧٢	
١٧ / ٨	٥٠٦	٣٦٤	٣٦	٨	١١	٢٤٧	٦٠	٢	
٢١ / ٨	١٠٠٨	٤٩٣	٤٦	١٢	٤٩	٢٦٩	٩٧	٩	١
٢٤ / ٨	٥١٩	٣٥١	٢٦	٥	١٩	١٩٢	٧٨	٢٣	٨
المجموع	١١٠٧٥	٦٢٣٣	٦١١	١٦٢	٦٠١	٣٢٠٣	١٣٠٤	٢٩٥	٥٧

مجموع النساء	من ٠ – ١٢ عاما	١٣ – ١٥ عاما	١٦ –١٧ عاما	١٨ – ٣٥ عاما	٣٦ – ٥٠ عاما	٥١ – ٦٠ عاما	أكثر من ٦١ عاما	سيدات معهن أطفال حتى ١٥ عاما
٤٧٢	٣٦	٣	٣٨	٣١٨	٧٤	٣		٦٣
٢٥٥	٢٨	٦	٢٧	١٦١	٣٢		١	٤٢
٤٢٠	٥٣	٨	٣٦	٢٦٨	٥٤	١		٨٣
٤٢٧	٥٢	٣	٤٢	٢٧٣	٥١	٦		٧٥
٤٦٨	٥٥	١٣	٥٠	٢٩١	٥٥	٤		٨٥
٤٦٧	٦٥	١٠	٥١	٢٩٦	٤٤	١		٨١
٤٩٣	٨٥	١٧	٢٩	٢٣٢	١٢٩	١		١٠٤
٤٧٧	٧٤	٢١	٢٦	١٦٧	١٧٥	١٣	١	٩٦
٢٧١	١٩	٨	١٢	٩	١٠٩	٢٣	١	٣٥
٢٦٧	٥٣	١٩	٣	٤٣	١٠٠	٤٩		٥٢
١٤٢	١٨	٦	١٢	٤٩	٥٣	٤		٢٦
٥١٥	٥٨	١٦	٣٦	٢٥٣	١٣٢	١٩	١	٨٥
١٦٨	٢٦	٨	٦	٦٣	٣٩	١٨	٨	٣٩
٤٨٤٢	٦٢٢	١٣٨	٣٦٨	٢٥١٣	١٠٤٧	١٤٢	١٢	٨٦٦

وفيما يلي بيانات قيل إنها صدرت من معسكر بركيناو للرجال ، حتى يتسنى مقارنتها مع البيانات السابقة الصادرة عن وستربورك . ويبين لنا عمود (١) تاريخ وموعد عمليات التفقد (صباحا = ص مساء = م) في بركيناو ، ويوضح عمود (٢) مجموع المذكورين في قوائم التفقد ، وفي عمود (٣) يرد عدد الموتى بين عمليات التفقد ويشير عمود رقم (٤) إلى عدد القادمين الجدد ، في حين يبين عمود (٥) عدد المفقودين أثناء عمليات التفقد بسبب الافراج أو الهروب . ويسجل عمود (٦) مصادر عمليات النقل المختلفة إلى المعسكرات كما أشير إلى عمليات النقل التي تمت من وستربورك . وكانت بيتيفييه ودرانسي وبيون لاروند تعد مراكز تجمع في فرنسا لنقل اليهود . كذلك كانت تستخدم ميشلان كنقطة تجمع لنفس المهمة في بلجيكا . ومن المرجح أن عمليات النقل التي كانت تتم من سلوفاكيا كانت لنقل اليهود ، غير أن تجميع اليهود لنقلهم من بولندا يعد أمرا مشكوكا فيه . . وتشكل الغالبية والقادمين من « جنسيات متعددة » على أرجح تقدير معتقلين سياسيين ومجرمين عاديين . ويشير عمود ٧ إلى رقم تسجيل الوارد ذكرهم في عمود رقم (٤) .

(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)
		٤٠	٢٢			
١٦,٧,٤٢ص	١٦٢٤٦					
		١٠٠	١٣١			
١٦,٧,٤٢م	١٦٢٧٧					
		٣٠	٦٠١		وستربورك	
					١٥,٧,٤٢	
١٧,٧,٤٢ص	١٦٨٤٨					
		٨٣	١٨٥		جنسيات متعددة	٤٧٦٨٨ – ٤٧٨٤٢
١٧,٧,٤٢م	١٦٩٥٠				وستربورك ١٦,٧,٤٢	٤٧٨٤٣ – ٤٨٤٩٣
		٢٥	٩٧٧			
١٨,٧,٤٢ص	١٧٩٠٢				سلوفاكيا	٤٨٤٩٤ – ٤٨٨١٩
		١٠١	٤٦	١		
١٨,٧,٤٢م	١٧٨٤٦				جنسيات متعددة	٤٨٨٢٠ – ٤٨٩٠١
		١٨	٢٤			
١٩,٧,٤٢ص	١٧٨٥٢					
		٨٢				

(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)
١٩,٧,٤٢م	١٧٧٧٠					
		٥٣	٨٠٩		بيتيفيه ١٧,٧,٤٢	٤٨٩٠٢ – ٤٩٦٧٠
٢٠,٧,٤٢ص	١٨٥٢٦					
		١٢٢	٧٤			
٢٠,٧,٤٢م	١٨٤٧٨					
		٢٨			جنسيات متعددة	٤٩٦٧١ – ٤٩٧٩٥
٢١,٧,٤٢ص	١٨٤٥٠					
		١١٠	٢١			
٢١,٧,٤٢م	١٨٣٦١					
		١٨	٦٢٠			
٢٢,٧,٤٢ص	١٨٩٦٣				بيتيفيه ١٩,٧,٤٢	٤٩٧٩٦ – ٥٠٢٧٠
		١٢٥	٩		جنسيات متعددة	٥٠٢٧١ – ٥٠٤٠٥
٢٢,٧,٤٢م	١٨٨٤٧					
		١٤	٤٧٩		وستربورك ٢١,٧,٤٢	٥٠٤٠٦ – ٥٠٨٨٤
٢٣,٧,٤٢ص	١٩٣١٢					
		١٢٧	١٤٣		بولندا	٥٠٨٨٥ – ٥١٠٠٢
٢٣,٧,٤٢م	١٩٣١٩					

		١٣	٤١١		درانسي ٤٢,٧,٢٠	٥١٠٠٣ – ٥١٤١٣
ص٢٤,٧,٤٢	١٩٧١٧					
		١٧٣	٩١		بولندا وغيرها	٥١٤١٤ – ٥١٥٠٣
م٢٤,٧,٤٢	١٩٦٣٥					
		١١	٧٩١		درانسي ٢٢,٧,٤٢	٥١٥٠٤ – ٥٢١٠٢
ص٢٥,٧,٤٢	٢٠٤١٥				جنسيات متعددة	٥٢١٠٣ – ٥٢١١٥
		٢٠٨	٧٣	٢	سلوفاكيا	٥٢١١٦ – ٥٢٣٣٢
م٢٥,٧,٤٢	٢٠٢٧٨				جنسيات متعددة	٥٢٣٣٣ – ٥٢٣٦٧
		٢٦	٥١٥		وستربورك ٤٢,٧,٤٢	٥٢٣٦٨ – ٥٢٨٨٢
ص٢٦,٧,٤٢	٢٠٧٦٧					
		٧١				
م٢٦,٧,٤٢	٢٠٦٩٦					
		٢٨	٣٧٠		بيتيفييه ٤٢,٧,٤٢	٥٢٨٨٣ – ٥٣٢٥٢
		١٦٧	٦٩	١		
م٢٧,٧,٤٢	٢٠٩٣٩					
		٢٤		١	جنسيات متعددة	٥٣٢٥٣ – ٥٣٣٢٥

(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)
ص٢٨,٧,٤٢	٢٠٩١٤					
		٢٠٥	٤			
م٢٨,٧,٤٢	٢٠٧١٣					
		٢٣	٤٧٣		وستربورك ٢٧,٧,٤٢	٥٣٣٢٦ — ٥٣٧٩٠
ص٢٩,٧,٤٢	٢١١٦٣					
		١٠٠	٣١		جنسيات متعددة	٥٣٧٩١ — ٥٣٨٢٩
م٢٩,٧,٤٢	٢١٠٩٤					
		١٦	٢٤٩		بيتفييه ٢٧,٧,٤٢	٥٣٨٣٠ — ٥٤٠٧٨
ص٣٠,٧,٤٢	٢١٣٢٧					
		٩١				
م٣٠,٧,٤٢	٢١٢٣٦					
		١٦				
ص٣١,٧,٤٢	٢١٢٢٠					
		١١٣	٧٦		جنسيات متعددة	٥٤٠٧٩ — ٥٤١٥٤
م٣١,٧,٤٢	٢١١٨٣					
		٣٢	٢٧٠		بيتفييه ٢٩,٧,٤٢	٥٤١٥٥ — ٥٤٤٢٤
ص١,٨,٤٢	٢١٤٢١					

		٩٨	١٦٦		سلوفاكيا	٥٤٤٢٥ – ٥٤٥٩٠
م١,٨,٤٢	٢١٤٨٩					
		٣١	٤٩٥		وستربورك ٣١,٧,٤٢	٥٤٥٩١ – ٥٥٠٧١
ص٢,٨,٤٢	٢١٩٥٣				جنسيات متعددة	٥٥٠٧٢ – ٥٥٠٨٥
		٧١				
م٢,٨,٤٢	٢١٨٨٢					
		٤١	٦٩٣		بيتفييه ٣١,٧,٤٢	٥٥٠٨٦ – ٥٥٧٧٨
ص٣,٨,٤٢	٢٢٥٣٤					
		١٠٧	٥١			
م٣,٨,٤٢	٢٢٤٧٨					
		٣٥			جنسيات متعددة	٥٥٧٧٩ – ٥٥٨٤٠
ص٣,٨,٤٢	٢٢٤٤٣					
		١٠٠	١			
م٤,٨,٤٢	٢٢٣٥٤					
		٣٨	٤٨٠		جنسيات متعددة	٥٥٨٤١ – ٥٥٩٠٧
ص٥,٨,٤٢	٢٢٧٩٦				وستربورك ٣,٨,٤٢	٥٥٩٠٨ – ٥٦٣٣٤

(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)
		٨٢	٦٧		جنسيات متعددة	٥٦٣٣٥ – ٥٦٣٨٧
٥,٨,٤٢م	٢٢٧٨١					
		٤٤	٢٢		جنسيات متعددة	٥٦٣٨٨ – ٥٦٤٠٩
		٧٨	٤٤٦		ميشلان ٤٢,٨,٨٢	٥٦٤١٠ – ٥٦٨٥٥
٦,٨,٤٢م	٢٣١٢٧					
		٩٣	٧٩		جنسيات متعددة	٥٦٨٥٦ – ٥٦٩٩١
٧,٨,٤٢م	٢٣٠٦٥					
	٢٣٣٨٣	٥٥	٣٧٣		بيون لارولاند ٥٨,٤٢	٥٦٩٩٢ – ٥٧٣٠٨
٨,٨,٤٢ص	٢٣٣٨٣					
		١٢١	٩١		جنسيات متعددة؟	٥٧٣٠٩ – ٥٧٣٩٩
٨,٨,٤٢م	٢٣٣٥٣					
		٧٠	٣١٥		وستربورك ٧,٨,٤٢	٥٧٤٠٠ – ٥٧٧١٤
٩,٨,٤٢ص	٢٣٥٩٨					
		٩٨				
٩,٨,٤٢ص	٢٣٥٠٠					
		٨٠	٦٣		جنسيات متعددة	٥٧٧١٥ – ٥٧٧٧٧
١٠,٨,٤٢ص	٢٣٤٨٣					

		٢١٩	١٢٨		بيتيفييه ٧,٨,٤٢	٥٧٧٧٨ – ٥٧٩٠٥
١٠,٨,٤٢م	٢٣٣٩٢					
		٥٦				
ص١١,٨,٤٢	٢٣٣٣٦					
		٢٣٢	٥		جنسيات متعددة	٥٧٩٠٦ – ٥٧٩١٠
م١١,٨,٤٢	٢٣١٠٩					
		٤٩	١٦٤		وستربورك ٠,٨,٤٢	٥٧٩١١ – ٥٨٠٧٤
ص١٢,٨,٤٢	٣٣٢٠٤					
		٢٠٥	١١		جنسيات متعدده	٥٨٠٧٥ – ٥٨٠٨٥
م١٢,٨,٤٢	٢٣٠١٠					
		٤٤	١٤٠		درانسي ١٠,٨,٤٢؟	٥٨٠٨٦ – ٥٨٢٢٥
ص١٣,٨,٤٢	٢٣١٠٦					
		٢١٣	٣٠٦		ميشلان ١١,٨,٤٢	٥٨٢٢٦ – ٥٨٥٣١
م١٣,٨,٤٢	٢٣١٩٩					
ص١٤,٨,٤٢	٢٣٠٨٨					
		٢٠٦	١٠٢	؟؟؟		٥٨٥٣٢ – ٥٨٦٣٣
م١٤,٨,٤٢	٢٢٩٨٤					

(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)
		٦٣	١٥٢		درانسي ١٢,٨,٤٢	٥٨٦٣٤ – ٥٨٧٨٥
ص١٥,٨,٤٢	٢٣٠٧٣					
		١٧٧	٢٧٠		؟؟؟؟؟؟	٥٨٧٨٦ – ٥٩٠٥٥
م١٥,٨,٤٢	٢٣١٦٦					
		١٠٩	١٦٥		وستربورك ١٤,٨,٤٢	٥٩٠٥٦ – ٥٩٢٢٠
ص١٦,٨,٤٢	٢٣٢٢٢					
		١٣٤	٩		جنسيات متعددة	٥٩٢٢١ – ٥٩٢٢٩
م١٦,٨,٤٢	٢٣٠٩٧					
		١٢٧	١١٥		درانسي ١٤,٨,٤٢ ؟	٥٩٢٣٠ – ٥٩٣٤٤
ص١٧,٨,٤٢	٢٣٠٨٥					
		١٥٧	٢٥٥		ميشلان ١٥,٨,٤٢	٥٩٣٤٥ – ٥٩٥٩٩
م١٧,٨,٤٢	٢٣١٨٣					
		٩٢	٥		جنسيات متعددة	٥٩٦٠٠ – ٥٩٦٠٤
ص١٨,٨,٤٢	٢٣٠٩٦					
		٨٧			جنسيات متعددة	٥٩٦٠٥ – ٥٩٦٩١
		٣٩٠				
م١٨,٨,٤٢	٢٣١١٢		٣١٩		وستربورك ١٧,٨,٤٢	٥٩٦٩٢ – ٦٠٠١٠
ص١٩,٨,٤٢	٢٣١١٢					
		٢٢٠	٣٣		جنسيات متعددة	٦٠٠١١ – ٦٠٠٤٣
م١٩,٨,٤٢	٢٢٩٢٥					
المجموع		٦٥٠٧	١٣١٧٤٥			

ونعرض مثالا لايضاح هذه الارقام ، فإننا نرى أنه خلال الفترة ما بين مساء ١٦ يوليو وصباح ١٧ يوليو ١٩٤٢ ، وصل القادمون من وستربورك فى ١٥ يوليو إلى أوشفيتز وأنه تم تسجيل اسماء ٦٠١ رجلا من هؤلاء القادمين فى معسكر بركيناو للرجال تحت رقم ٤٧٠٨٧ — ٤٧٦٨٧ . توفى خلال هذه الفترة أيضا ٣٠ رجلا فى المعسكر ، وبالتالى فإن التغيير النهائى الذى طرأ على رقم التفقد هو ٦٠١ — ٣٠ = ١٦٨٤٨ — ١٦٢٧٧ = ٥٧١ . والجدير بالملاحظة أن الـ ٦٠١ القادمين من وستربورك فى ١٥ يوليو هم تقريبا مجموع الرجال الوافدين إذا ما استبعدنا الاطفال البالغين من العمر ١٥ عاما . حيث خصص جدول المرحلين من وستربورك عمودا « لسيدات معهن أطفال حتى ١٥ عاما » .

ولقد أتحنا لانفسنا حرية التصرف وقمنا بتصحيح خطأين واضحين فى بيانات معسكر بركيناو للرجال . فالصليب الأحمر الهولندى يؤكد أن ٤٣ شخصا توفوا ما بين مساء ٥ أغسطس و ١٦ أغسطس ، غير أن رقم ٤٤ يتفق مع ما ورد فى أرقام كشوف التفقد والمجموع فى عمود رقم ٣ . كذلك فإن الصليب الاحمر الهولندى يوضح أن عملية النقل من ميشلان فى ١٥ أغسطس سجلت رقم ٥٩٣٤٥ — ٥٩٦٩٩ ، وهو خطأ واضح تم تصحيحه .

ولا تتفق زيادة أرقام التسجيل فى عمود ٧ فى جميع الأحوال مع عدد المرحلين فى عمود ٤ . وفى الواقع فإن هذا هو الحال بالنسبة لاغلبية عمليات النقل التى تمت فى الفترة ما بين ١٧ يوليو و ٢٤ يوليو ، ويصدق هذا أيضا على القادمين المسجلين تحت رقم ٥٧٣٠٨ — ٥٦٨٥٦ . ورغم ذلك ، وفى كافة الحالات الأخرى تتفق أرقام التسجيل فى عمود ٧ مع الأرقام الواردة فى عمود ٤ .

وعندما يتم استبعاد الاطفال حتى ١٥ عاما من مجموع الرجال فى عمليات الترحيل المتعددة من وستربورك ، فإن الارقام الناتجة تتفق عموما مع الارقام المسجلة فى معسكر بركيناو للرجال ، رغم أنها ، ولاسباب ربما يمكن للمرء التكهن بها ، ليست صحيحه . فمن المرجح أن هناك أعدادا ضئيلة . أضيفت إلى القادمين ، ولم تدرج فى القوائم مثلهم . وكذلك اعدادا لم تقبل فى بركيناو لأسباب عديدة وتم ترحيلها إلى جهات أخرى . أما أكبر الاختلافات التى لا مبرر لها فهى تلك المتعلقة بالقادمين من وستربورك فى ٧ أغسطس و ١٠ أغسطس ، حيث يفقد ما يقرب من ١٠٠ شخص فى كل مرة عند التسجيل فى بركيناو .

وتؤكد هذه البيانات ، إلى جانب المجلد الوحيد من سجل وفيات بركيناو (الذى تم بحثه كذلك فى مجلد ١ من تقارير الصليب الاحمر الهولندى ، عدا سجل وفيات أوشفيتز هناك) ، ما زعمه تقرير مجلس لاجئى الحرب من أن وباء خطيرا قد تفشى فى أوشفيتز فى صيف ١٩٤٢ ، مما أدى إلى توقف العمل هناك . ولم تصل الينا أية بيانات تغطى فترة لاحقة ارتفعت فيها فعلا معدلات الوفيات فى أوشفيتز ، رغم أن نسبة الوفيات ، كما يوضح النص ، كانت مرتفعة دائما بكل أسف ابتداء من ١٩٤٢ فصاعدا .

ملحق (د)
محاكمة بلسن

فيما يلي نص البيانين اللذين أدلى بهما جوزيف كرامر كما نشرا فى طبعة فايف ، محاكمة بلسن .

بيان جوزيف كرامر

ولدت فى العاشر من نوفمبر ١٩٠٦ ، فى ميونخ . وأنا متزوج ولدى ثلاثة أطفال . تطوعت فى قوات العاصفة عام ١٩٣٢ ، ولم أتلق أى تدريب من أى نوع ، ووقع على الاختيار للعمل فى أحد معسكرات الاعتقال . ولم أكن قد تطوعت لأداء هذا النوع المحدد من المهام وعندما نشبت الحرب سيطر الجيش على قوات العاصفة ، فتطوعت للخدمة العسكرية ، لأننى كنت أفضل القيام بمهمة قتالية ، غير أنه صدرت التعليمات بأنه يتعين على القيام بالمهمة التى اخترت من أجلها . وكانت رتبتى الأولى رقيب وتمت ترقيتى إلى رقيب أول ثم ملازم فى عامى ١٩٣٤ و ١٩٣٥ . ولا يسعنى تذكر التاريخ بالتحديد .

داخاو : فى عام ١٩٣٦ كنت فى مكتب معسكر الاعتقال فى داخاو . وكان قائد هذا المعسكر هو الكولونيل لوريتز . ولم يكن هناك فى المعسكر سوى مساجين الماان . لست على يقين تماما ، ولكن على ما أذكر ، كانوا جميعهم من الألمان . وكانت وحدة قوات العاصفة هى سرية حراسة ، من بافاريا العليا . ولم يكن هناك سوى معتقلون سياسيون ، ومجرمون ومعادون للمجتمع فى هذا المعسكر . وكان أعداء المجتمع اناس من المتسولين والعجزة وأولئك الذين لا يرغبون فى مزاولة العمل . ولم يكن ينفذ فى المعسكر أية احكام بالاعدام ، وكانت الحالات الوحيدة التى يتعرض فيها المسجونون للموت هى عندما يحاولون الهرب ، حيث كانت الاوامر هى اطلاق النار عليهم . وفى حالة اطلاق الرصاص ، فى الوقت الذى يحاول فيه المسجونون الهرب ، كان رجال البوليس يقومون بالتحقيق من الأمر . وتركت هذا المعسكر فى أوائل يونيه ١٩٣٧ .

زاكسنهاوزن : رحلت من داخاو إلى معسكر اعتقال زاكسنهاوزن . فقد حصلت على رتبة أعلى خارج المؤسسة ، هى رتبة ملازم ثان . وعندما ذهبت إلى زاكسنهاوزن التحقت بالمؤسسة هناك وكان المعتقلون فى معسكر زاكسنهاوزن هم نفس الانماط الثلاث الموجودة فى المعسكر السابق . وكان قائد المعسكر هو الكولونيل بارانوفسكى كذلك فلم تكن تنفيذ أحكام بالاعدام فى هذا المعسكر . وكنت أتولى رئاسة قسم البريد ومن ثم فلم أكن ادرى عن مجريات الأمور شيئا ، ولكننى كنت أسمع من حين لآخر عن أناس اطلق عليهم الرصاص وهم يحاولون الفرار .

ماوتهاوزن : وانتقلت عقب ذلك إلى معسكر ماوتهاوزن بالنمسا . وكان هذا المعسكر قد استكمل بناؤه عندما وصلت إليه . وكان قائد المعسكر هو الكولونيل زيريس . وكنت فى نفس الرتبة عندما وصلت . وبينما كنت فى المعسكر حصلت على رتبة ملازم أول . وأعتقد أن هذا كان فى يناير من عام ١٩٣٩ . وكنت أعمل معاونا للقائد اشرف على شئون المكتب . وكان المعتقلون جميعهم من الالمان ومن نفس الفئات الثلاثة التى ذكرتها من قبل . وكان النوع الثالث وهم المتشردون من النمساويين فى المقام الأول حيث بدا أنه كان هناك الكثير منهم عندما استولت المانيا على النمسا . وكان هناك ما بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ معتقل جميعهم من الرجال . وكان من بينهم مسجونون من اليهود ، وكان هناك متسع فى المعسكر لكافة المعتقلين عندما كنت فيه . ولم يكن أحد من المسجونين يعلم عند وصوله إلى المعسكر شيئا عن موعد مغادرته له . ولم يكن هناك سوى عدد قليل ممن صدرت ضدهم أحكام بالسجن لمدة ثلاثة أو ستة شهور ، وكان القطاع الأكبر منهم مسجونا لفترة غير محددة . وكان الحبس الانفرادى أو الحبس الانفرادى مع الاكتفاء بتقديم الخبز والماء ، والعمل الاضافى أيام الآحاد هى الاحكام التى تصدر كعقوبة لمخالفة النظام ، ولم يتعرض المعتقلون للضرب على الاطلاق ، كما لم أسمع عن حادث اطلاق رصاص واحد . وقد كانت هناك حوادث فرار من السجن ولكننى لم أشهد أيا منها . فقد أكون بالمكتب ويدق جرس التليفون ويبلغنى أحد الحراس بأن أحد المسجونين حاول الهرب فكانت مهمتى أن أخرج لأرى موقع عمل السجين وكيف تيسر له الهرب ثم نقوم بعد ذلك بابلاغ البوليس وذكر مواصفات الشخص الذى هرب . وكانت التعليمات تقضى بعدم تجاوز المسجونين لخط حدود معين . فإذا ما تجاوز المسجون هذا الخط ، فإن على الحارس أن يحذره ثلاث مرات « قف وإلا اطلقت عليك الرصاص » ثم يطلق طلقة فى الهواء أولا ثم يطلق

الرصاصة الثانية ليقتله . ومن العسير أن تحديد عدد مرات اطلاق النار لهذا الغرض أثناء وجودى فى المعسكر ذلك لأنه مضى على هذا الموضوع عهد بعيد . وعلى ما أذكر فإن ما بين ١٠ إلى ١٥ شخصا لقوا مصرعهم رميا بالرصاص على هذا النحو ، ولكنى لا أستطيع أن أحدد العدد على نحو دقيق . وكانت الأوامر تقضى بابلاغ كل حالة من حالات اطلاق النار إلى السلطات فى ماوتهاوزن وفى لنز . وكانت أقرب مدينة كبرى تقوم باجراء تحقيق فى الموضوع . وإذا أطلق الرصاص على شخص وهو يحاول الفرار أولقى مصرعه بالرصاص ، يوضع الحارس تحت نوع من التحفظ غير المقيد ، غير أنه لم تثبت أن أحدا منهم باطلاق الرصاص بصورة غير مشروعة على الاطلاق . وكان معظم من يطلق عليهم النار على هذا النحو من المجرمين والمتشردين ، والسبب فى ذلك أن الجزء الأكبر من نزلاء المعسكر ينتمون إلى هذه الفئة .

وكانت الوفيات التى تحدث فى المعسكر فى أغلبيتها لأسباب طبيعية . وعند وفاة أحدهم كان لابد من ابلاغ أقاربه والسلطات ، التى أرسلته إلى معسكر الاعتقال . وأذكر أن نسبة الوفيات ارتفعت فى أحد فصول الشتاء الشديد البرودة ، وفيما عدا ذلك كانت نسبة الوفيات منخفضة . وكان النزلاء يقيمون فى أكواخ خشبية بها أسرة فى ثلاثة صفوف . وكان الكوخ يضم ما بين ٢٥٠ إلى ٣٠٠ سجين . وبينما كنت فى هذا المعسكر زار الجنرال ايك ، الذى كان يشرف على كافة معسكرات الاعتقال ، المعسكر ثلاث أو أربع مرات ، ولكنى لا أستطيع تذكر مواعيد الزيارات ولم يكن المعسكر يضم أسرى حرب . وقد وفد إلى المعسكر قليل من المسجونين السياسيين ، ولكنهم لم يزيدوا بنسبة كبيرة . وكان أغلبهم من النمسا . ولم يكن يوجد أحد من أعضاء الحكومة النمسوية السابقة ولا من أعضاء حزب شوشنيج فى معسكر داخاو أو فى معسكر ماوتهاوزن . وكنت أشرف على المكتب وأطلع على البريد الوارد والصادر نيابة عن القائد . وكنت أقرأ له الرسائل ويقوم هو باصدار أوامره ، التى كنت أنقلها بدورى إلى مختلف القادة الأقل رتبة . ولم تكن سلطات القائد فيما يتعلق بتوقيع العقوبات على المسجونين محددة بصورة واضحة ، ولكننى أعتقد أنه كان بوسعه أن يحكم على السجين بمدة تصل إلى ٢١ يوما . وكان القائد هو الشخص الوحيد المسئول عن حفظ النظام بالمعسكر . ولم اكن أعلم شيئا عن عدد المعتقلين عندما غادرت المعسكر فى عام ١٩٤٠ ، غير أن المعسكر كان حافلا بالمسجونين . وكان عددهم يسجل يوميا ، ولكن لا استطيع أن اتذكر الان عددهم . وقد تم نقل بعض المسجونين إلى معسكرات أخرى .

ولم تكن عمليات النقل تتم حسب فئات المعتقلين وإنما وفقا للعمل الذى ترغب فى أن يقوموا به طبقا لمهمتهم . وقد أطلق سراح البعض بينما كنت فى المعسكر . ولا أتذكر ما إذا كانوا من المعتقلين السياسيين أو غيرهم ، ولكن الذى أتذكره أنه فى عيد ميلاد هتلر ٢٠ ابريل ١٩٤٠ ، رأيت . معتقلا فى فناء المعسكر ممن سيتم الافراج عنهم .

أوشفيتز : ذهبت إلى أوشفيتز فى مايو ١٩٤٠ . وأقمت خارج المعسكر فى قرية مع أسرتى وكان لى مكتب المعسكر أعمل فيه خلال النهار . وكان قائد المعسكر هو الكولونيل هوس . وكنت أعمل مساعدا له . ولم أكن أدركم عدد العاملين بالمعسكر عندما حضرت . وكانت الغالبية العظمى من المسجونين فى أوشفيتز معتقلين سياسيين يحملون الجنسية البولندية . وكان عدد الموجودين بالمعسكر ضئيلا جدا ، ذلك لأنه لم يكن قد مضى وقت طويل على انشاء المعسكر . وكان كل ما هنالك عندما رحلت ، بعد قدومى باربعة أشهر ، مبانى حجرية شيدها البولنديون . وكان يقيم فى المبانى الخشبية الرجال والنساء والماشية وكانت المبانى الحجرية خالية . فنقل السكان السابقون إلى المبانى الخشبية وعندما بدأت العمل ، لم يكن بالمعسكر من المساعدين سواى وأحد الكتبة ، ولم يكن هناك سوى سرية واحدة من قوات العاصفة تقوم بالحراسة فى المعسكر . ولا يسعنى تذكر اسمها ، غير أنهم كانوا يشيرون إليها « بسرية الحرس فى معسكر الاعتقال بأوشفيتز » . ولم يكن لهذه السرية رقم « بريد ميدان » . وكان أعلى الضباط رتبة هو قائد المعسكر ، يليه قائد سرية الحرس ، الملازم أول بلورين . ولم يكن أحد يحمل رتبة ضابط باستثناء قائد السرية . وكان يتولى قيادة الفصائل ضباط صف . وكانت بسرية مكونة من ثلاث فصائل وكانت كل فصيلة تضم ما بين ٣٠ إلى ٤٠ جنديا . وتغير هذا النظام وفقا لما تقتضيه الحاجة . وفيما عدا قائد المعسكر ، وأنا ، والكاتب وسرية قوات العاصفة ، لم يكن هناك أحد آخر . ثم انضم إلينا فيما بعد كاتب ثان . وكان هناك ٤٠ أو ٥٠ جنديا من قوات العاصفة لا ينتمون إلى سرية الحراسة ، يقومون بمهام ادارية فى المعسكر مثل الاشراف على المطبخ والثكنات ، وما إلى ذلك .

انى لا أعرف عدد المسجونين بالمعسكر . وربما كان العدد ما بين ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ معتقل ، غير أنى لا أود التدخل فيما لا أعرف فقد كان الملازم ثان ماير هو المشرف على الشئون الادارية . ولا أتذكر اسمه الأول ذلك لأنى كنت دائما فى عزلة تامة عن الآخرين . وكان السبب فى ذلك يرجع إلى وجود أسرتى بجانبى . وكان هناك أحد الاطباء

واعتقد أن اسمه كان بوتاو . وكان قد قدم من سيليزيا العليا . ثم توفى فيما بعد ، ولكن لا أتذكر هذه الأمور جيدا . وكان هناك ملازم ثان آخر اسمه ميثير (أو ماير) وكان يشرف على المعتقلين . وأعتقد أن اسمه الأول كان فرانز . وكان قائد المعسكر يصدر التعليمات الى ضابط قوات العاصفة المسئول عن الحراسة . وكان يتلقى هذه التعليمات من تشكيل قوات العاصفة الأعلى مرتبة منه . وكان هذا التشكيل هو : المكتب الرئيسى للادارة الاقتصادية ببرلين ، المجموعة الفرعية « د » لبرلين وأورانيتيورج .

وعندما كان يصل مسجونون كان رجال الجستابو فى كاتوفيش يقومون بابلاغنا . وكان هناك حالات يجىء منها المعتقلون برفقة رجال بوليس عاديين كانوا يحضرون معهم الملفات الخاصة بهؤلاء المعتقلين . وكانوا يحضرون فى أغلب الأحوال على دفعات . ويصلون بالقطار إلى محطة أوشفيتز ، ثم يتم نقلهم فى سيارة من هناك . وكانوا جميعهم من الرجال . ولم تكن تحقيقات الجستابو تتم فى المعسكر وإنما كانت كافة الاستجوابات تجرى قبل وصولهم وكان بالمعسكر مسئول واحد من البوليس يتعامل مع المجرمين الذين رفعت ضدهم دعوى قضائية من قبل . ولا أتذكر اسمه . فقد كان يمكث فترة قصيرة فقط ويحل محله مسئول آخر . وعندما كان يصل المعتقلون كان بعضهم يبدو فى صحة جيدة فى حين كان البعض الآخر يبدو معتلا ، لكن لم تكن تظهر على أحد منهم أية دلائل تشير إلى سوء المعاملة أو سوء التغذية ، وأعتقد أنه خلال الفترة التى كنت أعمل فيها بالمعسكر لم يكن يوجد به أى زنزانات للحبس الانفرادى ، غير أنه ، كما قلت ، فإن المعسكر كان فى أول مراحله . وكانت نفس القواعد للسياسيين الألمان والسجناء الألمان تطبق على البولنديين ثم طبقت على الروس فيما بعد . الجميع على حد سواء بلا تفرقة . وكان قد تم حجز أحد الابنيه الحجرية بهدف اقامة مستشفى . ولم يكن هذا المبنى الذى وقع عليه الاختيار يختلف بأى حال عن الابنية الأخرى . وعلاوة على الطبيب الذى ذكرته من قبل ، كان هناك طبيب اخر من بين المعتقلين الذين كان من بينهم الكثير من الأطباء وطلبة الطب . ولم يكن من اختصاصى اصدار أية أوامر إلى الأطباء حيث كانوا يتبعون القائد مباشرة . وكانت نسبة الوفيات تصل إلى ١ ٪ تقريبا فى فصل الصيف أو ربما ١,٥ ٪ وهو معدل أسبوعى . وكانت الوفيات طبيعية وترجع إلى ما كانوا يعانون منه عند وصولهم إلى المعسكر . وكان طبيب المعسكر يقوم بكتابة التقارير ، واطلع عليها ، حسب عملى كمساعد . وكنت اتلقى ٣٠ تقريرا من هذه التقارير فى الأسبوع . وكان يتم احراق الموتى من السجناء . وكان هناك بعض المعتقلين

يعملون فى أفران حرق جثث الموتى بناء على أوامر من الحراس . وكان رماد الجثث المحرقة يرسل إلى أقارب الميت إذا ما طلبوها .

وكانت حالات الافراج عن المعتقلين ضئيلة جدا فى هذا المعسكر عندما كنت أعمل فيه . وكان الجستابو فى برلين هو وحده المختص بعمليات الأفراج ، بالنسبة للمعتقلين السياسيين ، وكانت سلطات البوليس هى المختصة بالافراج عن المجرمين العاديين . وكانت هيئة الجستابو التى تتعامل مع المعسكر هى مركز قيادة إدارة الجستابو فى كاتوفيتش . ولا أدرى ما إذا كان ثمة مركز قيادة آخر بين كاتوفيتش ومقر القيادة المركزية فى برلين . وكان رجال الجستابو إما مدنيين يرتدون ملابس مدنية ، أو يرتدون زيا عسكريا ، بلا أية شارات مميزة . وكان البعض منهم يعلق شارة مصلحة الأمن وكانت مصلحة الأمن مختلفة عن الجستابو تماما . وكنت أعتمد على قوات العاصفة فى تلقى الأوامر . وكذلك كان يفعل قائد المعسكر . إلا أن الجستابو هم الذين كانوا يتعاملون مع المعتقلين السياسيين داخل المعسكر ، وكانت كافة العقوبات البدنية لا تتم الا بتصريح من برلين ولا يمكن لسلطات المعسكر اصدار أية عقوبات من هذا القبيل . وكانت العقوبات البدنية فى بادئ الأمر ، يضطلع بها الحراس . إلا أن برلين منعت ذلك فيما بعد وكان يتعين على المعتقلين القيام بذلك بأنفسهم . ولا أدرى السبب فى صدور هذا الأمر من برلين . وكان يحمل توقيع الليفتينانت جنرال جلوكس ومصدره أورانينبرج ، برلين .

داخاو : فى الفترة ما بين الخامس عشر والعشرين من نوفمبر ١٩٤٠ عدت إلى داخاو . وكنت حتى ذلك الحين أعمل فى المكتب ، كاتبا فى بداية الامر ، ثم مساعدا لقائد المعسكر . أما الان فيتعين على أن أتعرف على العمل المتعلق بالمعتقلين مباشرة . وكان يتعين على أن أتلقى تدريبا حتى أصبح قائد الحرس لمعسكر وكانت عملية نقلى قد تمت بناء على أوامر القيادة المركزية لقوات العاصفة فى برلين . وعندما وصلت إلى داخاو كان المعسكر يعمل فى نظام تام . ويضم ثلاثين أو اثنين وثلاثين مبنى من الخشب خصصت جميعها ، لايواء المعتقلين ، بما فى ذلك المستشفى وغيره . وكان عدد المعتقلين فى ثكنة واحدة يتراوح بين ٣٠٠ و ٤٥٠ معتقلا وكان عدد المعتقلين كلهم ما بين ١٣,٠٠٠ و ١٤,٠٠٠ معتقل وكانت هناك ثلاث سرايا من قوات العاصفة (تضم كل سرية ما بين مائة وعشرين ومائة وخمسين جنديا) لحراسة المعتقلين وكان عدد المسئولين الاداريين يتراوح بين ١٠٠ أو ١٢٠ شخصا . ولم يكن ضباط سرايا الحراسة من قوات العاصفة المحترفين وانما

كانوا قد استدعوا من المهن والحرف التى يزاولونها والحقوا بالجيش ، ثم خصصوا للخدمة فى قوات العاصفة . وبعد ذلك اختيروا من قوات العاصفة لأداء مهام خاصة فى معسكرات الاعتقال ، ومن ثم فإنهم لم ينطوا بمحض ارادتهم للعمل فى هذه المهام الخاصة . وكانوا يتلقون الأوامر من القائد الذى كان بدوره يتلقى تعليماته من برلين ، اورانينبرج .وكان القائد هو الليفتينانت كولونيل بيوركوفسكى . وكانت الرتبة التى تلى القائد هو قائد حرس المعسكر الكابتن ايل . ولا أذكر اسمه الأول . وكان هناك ضابط واحد يشرف على الشئون الادارية هو الكابتن فاجنر . ثم قادة السرايا الثلاث ولا تسعفنى الذاكرة بتذكر اسمائهم .

وكان المعتقلون جميعا من الرجال ويشملون المجرمين والمعتقلين السياسيين كما ذكرنا من قبل ، ثم فئة جديدة هم البولنديون والروس من أسرى الحرب الذين وقع عليهم الاختيار لاداء عمل بذاته كأعمال الفلاحة على سبيل المثال ، وممن قاموا بارتكاب جرائم غير خطيرة كمحاولة الفرار أو الامتناع عن العمل ، ومن ثم فقد ارسلوا إلى معسكر الاعتقال . وكان قد تم اعتقالهم لما اقترفوه من هذه الجرائم . ولم يكن هناك فى ذلك الوقت سوى معتقلون من الجبهة الشرقية أى من بولندا وروسيا . وقد اتضح لى أن الحرب لم تنشب فى روسيا الا فى يونيه ١٩٤١ ، بينما رحلت مرة أخرى فى ابريل ، ١٩٤١ . فإذا صح ذلك فلابد وأن يكون الأمر قد اختلط على ولم أفرق بين ما حدث هنا وما حدث هنا وما فى أوشفيتز . وكنت هنا لتلقى تدريب فقط ولم يكن لى دخل كبير فيما يتعلق بتنظيم هذا المعسكر . ولا أذكر أية حوادث للهروب من المعتقل وكذلك فانى لا أتذكر نسبة الوفيات نظرا لأن هذه الامور لا تعنينى ، غير أننى أعلم أنه معسكر جيد للغاية .

وكان ثمة مصنع للأثاث وكان المسجونون يعملون نجارين ويقومون بأعمال التجارة ، كما كانوا يعملون فى الخياطة وصناعة الأحذية . ولم يكن يسمح للمعتقلين بالخروج من المعسكر الا فى حالات استثنائية كالقيام بفلاحة البساتين . وكان هناك ما يقرب من اربعين أو خمسين نزيلا جديدا أسبوعيا فى الوقت الذى كنت فى المعسكر . وكان عدد المنقولين من المسجونين ضئيلا ، أما عدد المفرج عنهم فكان أقل . وكان المعتقلون يفدون من مقر الجستابو فى ميونخ . وإذا كانوا من المجرمين ، فإنهم كانوا يفدون عن طريق البوليس ، فى ميونخ أيضا . وكانت الأفواج التى تنظمها ادارة المعسكر ، والتى تقوم بزيارة وتفقد أحوال المعسكر ، من السمات المألوفة التى تأتى مرتين أو ثلاث مرات فى الأسبوع . وكانت هذه

الأفواج تضم فى معظم الأحوال ضيوفا بارزين من الخارج ، وحكاما وسياسيين من الدول الحليفة لألمانيا . ولم يقم كبار المسئولين الالمان بزيارة المعسكر على الاطلاق .

نانشفيلر : من ابريل ١٩٤١ حتى العاشر أو الخامس عشر من مايو ١٩٤٤ . تم تعييني فى نانشفيلر قائدا للحرس . وفى أكتوبر ١٩٤٢ ، أصبحت قائدا للمعسكر . وكنت قد رقيت إلى رتبة كابتن قبل أن أتولى منصب قائد فى المعسكر . وعندما وصلت إلى المعسكر كان القائد هو الميجور هيونج . وكان الضابط المشرف على الشئون الادارية هو الليفتينانت كولونيل فاشنجباور وكان الطبيب هو الليفتينانت كولونيل ايزيل . وكان قائد سرية الحراسة هو الليفتينلنت كولونيل بيتر . وكان المسئولون الاداريون يتكونون من ٢٠ فردا فى البداية ثم وصل عددهم إلى ما بين ٧٠ إلى ٧٥ رجلا فى نهاية الأمر . وكان المعسكر صغيرا جدا . لم يكن هناك أى معتقل عندما وصلت ، فقد كان المعسكر حديث العهد جدا . وعندما تركته فى مايو ١٩٤٤ ، كان هناك ما بين ٢٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ معتقلا ، يمثلون الفئات الثلاث التقليدية : المعتقلين السياسيين واعداء المجتمع والمجرمين ، وانضم إليهم فيما بعد أسرى الحرب البولنديين والروس ممن ارتكبوا جرائم غير خطيرة أو حاولوا الهرب أو امتنعوا عن العمل . كما كان هناك عدة مئات من المعتقلين من لكسمبورج . ولا استطيع أن أؤكد تماما ما إذا كان هناك مسجونون فرنسيون أم لا . كان المعتقلون يصلون ومعهم ملفاتهم وكانت جنسياتهم مدونة فى هذه الملفات ، غير أننى لا أستطيع أن أتذكر أية تفصيلات عن ذلك لأننى لم أكن أفحص هذه الأوراق بنفسى . ولم يفد أى من هؤلاء المعتقلين مباشرة إلى هذا المعسكر ، بل كانوا يفدون من معسكرات اعتقال أخرى . ومن ثم فإنه لا يمكننى أن أذكر سبب قدومهم إلى المعسكر ولكن على حسب معلوماتى فإنهم كانوا يندرجون تحت فئة من الفئات الثلاث التى وصفتها من قبل .

ولا يمكننى أن أذكر . على أية حال ، انه كان يتم إرسال المعتقلين إلى طبيب فى ستراسبورج لإجراء تجارب عليهم . ولا أذكر البروفيسور بيكار فى ستراسبورج . ومن المستحيل تماما أن تكون قد أجريت تجارب من أى نوع على المعتقلين دون علمى ، ذلك أنه بحكم عملى كقائد للحرس فى المعسكر ثم قائدا للمعسكر فيما بعد ، كان لابد من أن أحاط علما بهذا الموضوع . وقد جاء الجنرال جلوكس من الوزارة فى برلين لتفقد أحوال المعسكر مرتين فى البداية مرة فى صيف عام ١٩٤١ ومرة فى ربيع ١٩٤٢ . أما زيارة الليفتينانت جنرال بوهل فقد كانت فى أواخر أبريل أو أوائل مايو من عام ١٩٤٤ . وكان

الأمر الوحيد الذى استفسر عنه جلوكس هو عدد المعتقلين السياسيين ، وعدد أعداء المجتمع الموجودين بالمعسكر . وكان عدد المعتقلين السياسيين الأجانب كبيرا ، ولم يسأل جلوكس عن جنسياتهم . ولم يكن بالمعسكر على حد علمى ، أى من الأسرى البريطانيين . فلم ير مطلقا وثيقة توضح أن من بين المعتقلين فى المعسكر من يحمل جنسية بريطانية .

وكان بالمعسكر خمس عشرة ثكنة خشبية وما يقرب من ٢٥٠ معتقلا فى كل ثكنة . وكان مكتبى على حدود المعسكر . وكنت أقطن فى قرية بسفح التل مع أسرتى . وكان جميع الضباط متزوجين ويقيمون مع عائلاتهم فى القرية .

وأذكر أنه حدث تغيير واحد من المسئولين هو أن الليفتينانت كولونيل بيتر ، الذى كان قائدا لسرية الحرس ، نقل من المعسكر وخلفه ليفتينانت كولونيل يدعى ميثير . ولست أعرف شيئا عن أى عريف كان موجودا بالمعسكر . وكان يوجد بالمعسكر فرن لإحراق جثث الموتى . وكان معدل الوفيات يتوقف على الفصول . فقد كان هناك بين ٧ إلى ٨ وفيات أسبوعيا فى الفصول المعتدلة وما يقرب من ١٥ إلى ١٨ فى الفصول السيئة . وكانت جميعها وفيات طبيعية . وكان المتبع فى إبلاغ الأقارب والسلطات التى قامت بإرسالهم إلى هذا المعسكر هو نفس الإجراء الذى سبق لنا أن شرحناه فى المعسكرات الأخرى .

ولم يكن بالمعسكر سوى طبيب واحد (هو الليفتينانت كولونيل ايزرل) وأربعة أو خمسة ممرضين (من الألمان) . وكان ثمة أطباء وطلبة طب من بين المعتقلين يقومون بمساعدة الممرضين . وكان الكثيرون من المعتقلين ممن تجاوزوا الخمسين من عمرهم يموتون لأسباب طبيعية ، كالأزمات القلبية مثلا . وكانت نسبة الوفيات فى هذا المعسكر تعد منخفضة إذا ما قورنت بمثيلاتها فى معسكرات أخرى . وكان من عادتى أن أذهب إلى عيادة الطبيب وكان يشرح لى مختلف الأمور ، كالامدادات الطبية الموجودة لديه غير أنه كان يوضحها باللغة اللاتينية ، فلم أكن أفهم شيئا منها فى واقع الأمر ، ولا أذكر أنه شكا على الإطلاق من أى نقص فى الامدادات الطبية . وكان هناك ثكنتان مخصصتين للمستشفى ، أحداهما للضعفاء من النزلاء فقط ، وكانت الأخرى مستشفى حقيقيا . وكان هناك من ٦٠ إلى ٧٥ سرير فى المستشفى الحقيقى . ويوجد بها تسهيلات حتى يتسنى للجراح اجراء العمليات الصغيرة ، أما العمليات الخطيرة ، فكان أصحابها يرسلون إلى ستراسبورج . وفى حالة نقل أى من المعتقلين إلى هناك كان يتم التوقيع على وثيقة ، وعند عودته يتم التوقيع عليها مرة أخرى ، وكانت معدلات الوفيات تدون فى سجلات المعسكر .

وأثناء خدمتى فى المعسكر وقع ما بين ٢٠ إلى ٢٥ حادث هروب من المعسكر . وقد قتل عشرة ممن حاولوا الهرب بالرصاص . وتم إلقاء القبض من جديد على ثمانية أو تسعة من الفارين . وأعيدوا إلى المعسكر . وقد حكم على الهاربين الثمانية أو التسعة الذين قبض عليهم بالحبس لمدد تتراوح بين أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع بحسب أعمارهم وحالتهم الصحية . أما الحالات الأخرى فقد تمكن أصحابها من الفرار . وفى أربع أو خمس حالات من العشرين كان المعتقلون يجلدون أو يضربون . وكان المتهم ينال عشر جلدات أو خمس عشرة جلدة فى كل حالة . وكان يشرف على هذه العملية قائد حرس المعسكر وطبيب المعسكر . وكنت أشرف على ذلك عندما كنت قائدا لحرس المعسكر . وبصفة عامة ، عندما كانت توقع عقوبة بدنية كان عدد الجلدات يتراوح بين خمس جلدات وخمس وعشرين جلدة وكان عدد الجلدات يدون فى الأمر الصادر من برلين . وكان أقصى حد للجلدات هو خمسا وعشرين جلدة . وكان من الضرورى وجود الطبيب عند توقيع العقوبات البدنية . ولا يمكننى أن أذكر أنه حدث مرة وعجز المعتقل عن تحمل عقوبته أو أغمى عليه . وإذا ما حدث مثل هذا الأمر فمهمة الطبيب أن يتدخل عندئذ وهذا هو السبب فى وجوده عند توقيع العقوبات البدنية . وكان يتم تنفيذ ذلك باستخدام عصى خشبية عادية يبلغ طولها ٣ أو ٤ أقدام وتماثل فى سمكها إبهامى . وكانت هذه العصى من الخشب المتين حيث توجد فى الغابات المحيطة بالمعسكر . وكان يقوم بتنفيذ العقوبة معتقل آخر ، يتم اختياره كيفما اتفق وعلى النحو التالى : ينحنى المعتقل على منضدة ، وتوجه الجلدات إلى مؤخرته . ولم يحدث أن واجهت على الإطلاق أية صعوبات مع المعتقلين الذين يتعين عليهم القيام بتوقيع العقوبات فقد كانت تصدر الأوامر فينصاعون لها . ولو أنهم رفضوا الإذعان للأمر ، لما كان فى استطاعتى توقيع أية عقوبة عليهم لرفضهم . فقد كانت الأوامر الصادرة من برلين أن يقوم معتقل آخر بتوقيق عقوبة الجلد ، ولكنها لم تذكر ما الذى ينبغى القيام به فى حالة رفض أحد المعتقلين توقيع عقوبة الجلد على أحد رفاقه .

كذلك لم يكن ثمة قواعد موضوعة لنوع الجرائم التى يمكن توقيع عقوبة بدنية بشأنها . فقد كانت مسئولية القائد الرجوع إلى برلين حتى تخول له سلطة توقيع عقوبة بدنية . وكانت التعليمات تقضى بأن يتضمن الطلب المرفوع إلى برلين نوع الجريمة التى ارتكبها المعتقل والعقوبات التى وقعت عليه من قبل بالفعل . وينبغى على القائد التوقيع على هذه الرسالة . وكانت الجرائم التى ينبغى أن أرجع إلى برلين بشأنها حتى تخول إلى سلطة توقيع عقوبات

بدنية بصددها من هذا القبيل : « أن هذا المعتقل قام فعلا بسرقة طعام رفاقه المعتقلين ثلاث أو اربع مرات » . أو لإهماله أو عصيانه الأوامر أو مهاجمته أحد الحراس . وكان أول اجراء يحدث فى حالة ما إذا حاول أحدهم الهرب من المعسكر وأعيد إليه هو أن يقوم قسم التحقيقات الجنائية فى أول الأمر بالتحقيق حتى تتيقن من ارتكابه لأية جرائم بينما كان مطلق السراح ، ثم يمثل أمام القائد دون أية محاكمة ، ويأمر القائد بتوقيع العقوبة عليه . وكان لابد من تقديم تقرير إلى برلين عن كل شخص حاول الهرب ، كما كان ينبغى تقديم تقرير عنه عندما تتم إعادته إلى المعسكر . ويمكن للقائد أن يأمر باعتقاله لمدة ٢١ يوما دون الرجوع إلى سلطة أعلى ، ولكن لا يمكنه أن يوقع أية عقوبات بدنية إلا بتفويض من برلين . ويحمل كل فرد من الحراس بندقية وتوجد رشاشات فى الأبراج . ومن غير المسموح به حمل السياط والعصى . بل يحمل الحراس بنادق فقط .

وعندما يصل المعتقلون فى دفعات ، يوضع الجميع فى مبنى واحد وفى نهاية الأمر ، يقسمون إلى ثلاث مجموعات ، سياسيين ومعادين للمجتمع ومجرمين ، ولم يحدث إطلاقا أن تم تصنيفهم حسب جنسياتهم . ولم تكن هناك أية تعليمات صارمة فى هذا الصدد ، ولكن الأمور كانت تسير على هذا المنوال . ولم يكن يتم الفصل بين الفئات الثلاثة إلا فيما يتعلق بالمعيشة إذا كانوا يعملون معا . ويتناولون طعامهم معا وكان يمكنهم تبادل الحديث . ويعمل المعتقلون فى البداية فى المعسكر ذاته وحسب . ويسمح لهم فيما بعد بالذهاب إلى المحاجر المجاورة . وثمة عمل آخر يقوم به المعتقلون يتمثل فى فك محركات الطائرات وانتقاء الأجزاء التى يمكن أن تستخدم من جديد . وقد تم الإفراج عن ١٥ إلى ٢٠ من المعتقلين بينما كنت فى المعسكر . وكان أمر اطلاق سراحهم يصدر من برلين . ولا أدرى سبب ذلك الأمر . وكانوا جميعا معتقلين سياسيين ألمان .

وكان يحيط بالمعسكر أسلاك شائكة يبلغ ارتفاعها ثلاثة أمتار . وكانت ثمة أبراج فى أركان المعسكر مزودة بمدافع رشاشة . وكان هناك سور واحد من السلك الشائك حيث يطوف الحراس فى دوريات ثم يوجد سور آخر والسلك الشائك . ولم يكن السلك الشائك مكهربا فى بداية الأمر نظرا لعدم وجود تيار كهربائى ، غير أنه عندما توفر وجود التيار الكهربائى فيما بعد ، تم كهربة السلك فى ربيع عام ١٩٤٣ . وكنت وقتها قائدا للمعسكر . وقبل أن أغادر المعسكر بشهرين وصل ثمانية أو تسعة كلاب ، لمساعدة الحراس . وكانوا يستخدمون أساسا فى المحجر للحيلولة دون هروب المعتقلين . وكان الحراس يشرفون على

هذه الكلاب . وأذكر حادثتين حاول فيهما بعض المعتقلين الهرب من المحجر . غير أنى لا أذكر أنه تم اطلاق النار عليهم . وخلال عملى الذى امتد ثلاثة أعوام كاملة لم يحدث سوى مرتين أن أطلق الرصاص فى المحجر . اما الثمانية الآخرون الذين حاولوا الهرب ، وتحدثت عنهم من قبل ، فإنهم حاولوا الهرب من المعسكر نفسه وليس من المحجر .

وأذكر أن حالة الشنق الوحيدة التى وقعت كانت فى صيف ١٩٤٣ وتمت بناء على أوامر صادرة من برلين . فقد احضر اثنان من رجال الجستابو معتقلا إلى المعسكر وأطلعانى على أمر بتوقيع شخص ما فى برلين يقضى بتسليم هذا السجين إلى المعسكر وإعدامه شنقا . ولا أذكر اسم الشخص الذى وقع هذا الأمر . وبالتالى قمت باختيار اثنين من المعتقلين لتنفيذ عملية الإعدام . فأقيمت مشنقة فى المعسكر وتمت عملية الشنق فى حضورى . وكان الذين حضروا هذه العملية هم طبيب المعسكر (الليفتينانت كولونيل ايزرل) ، الذى شهد بأن سبب الوفاة هو الشنق ومندوبا الجستابو اللذان اصطحبا السجين ، والمعتقلان اللذان قاما بتنفيذ الإعدام ، وأنا . ولا يمكننى تذكر اسم السجين الذى أعدم ، وأعتقد انه كان روسى الجنسية . ولا يمكننى تذكر اسمه نظرا لأنه لم يسجل إطلاقا فى دفاترى . ولم يسلم إلى المعسكر إلا لتنفيذ حكم الإعدام شنقا . ومن المستحيل تماما أن تكون قد نفذت عمليات إعدام أخرى فى الوقت الذى كنت فيه قائدا للمعسكر . ولم يصطف المعتقلون الآخرون فى المعسكر لمشاهدة عملية الإعدام . ولم يحدث أن أطلق الرصاص أو تمت أية عمليات إعدام أخرى بالمعسكر بناء على تعليمات صادرة من بريلين . ولم أسمع مطلقا عن أى زنزانات ضيقة يقوم فيها المعتقلون بشنق أنفسهم ، فلم تكن هناك أية أبنية خاصة للسجناء المعتقلين ، ولا زنزانات سجن انفرادى ومن المستحيل تماما أن يكون أى من المسجونين قد شنق بيديه دون علمى . وكان السجن الوحيد التابع لنا هو مبنى يفصله عن بقية المعسكر سلك شائك وكان يستخدم لمن يخل بنظام المعسكر .

وكان كل من بالمعسكر من الرجال . ولم أسمع على الاطلاق عن سجين يدعى فرتز نول فى هذا المعسكر . فلم يكن كبيرا للعمال ، ولكنه ربما كان واحدا من المسجونين . ولاأتذكر هذا الاسم . ولو أن أحدا توفى وهو يعمل مع مجموعة لتم ابلاغ المكتب ، ولكان المكتب قد ابلغنى بدوره ، ولكنى لا أذكر وقوع مثل هذا الحادث . ففى كل مرة يموت فيها سجين أثناء العمل أو لأى سبب آخر يتم ابلاغ المكتب ، ويقوم المكتب بابلاغ مسئول التحقيقات الجنائية الذى يتولى أمر ابلاغها لقائد المعسكر . وكانت قيادتى وادارتى لكل ما يحدث فى

معسكر فاتشفيلر على الوجه الاكمل ، وكانت أوامرى للعاملين معى محددة ، الى الحد الذى يجعل اعدام أى من المسجونين دون علمى خلال فترة عملى كقائد للمعسكر يعد امرا مستحيلا تماما .

وكان المسئولون فى قوات العاصفة وحدهم يقومون بتفقد أحوال المعسكرات . ولم يكن يسمح لغيرهم حتّى بالاقتراب من المعسكرات وهذا يطبق على ضباط الجيش المحظور عليهم دخول معسكرات الاعتقال . ولم يكن من الممكن دخول أى معسكر اعتقال دون ترخيص من القيادة العامة لقوات العاصفة فى برلين . كذلك لم يكن من المسموح لموظفى مصلحة الامن دخول المعسكرات ، دون تصريح من برلين. وباستثناء الليفتينانت جنرال جلوكسى ، الذى يفد من الوزارة فى برلين والجنرال بوهل ، ولم يقم أحد بزيارة المعسكر طوال العامين اللذين كنت خلالها قائدا للمعسكر . وبخلاف هذه الزيارات لم أكن مسئولا أمام أحد سوى برلين. ولا أذكر أية تفصيلات عن زيارة الجنرال بوهل فى اوائل مايو ١٩٤٤ . فقد جاء لتفقد المعسكر والقاء نظرة عما يدور بداخله .

وخلال الفترة التى كنت فيها قائدا لقوات الحراسة حصلت على وسام « صليب الاستحقاق الحربى » (من الطبقة الثانية) فى ربيع ١٩٤٣ . ولم يكن ثمة سبب خاص لهذا الوسام . وكان سبب نيلى هذا الوسام أساسا لاننى أمضيت عامين فى المعسكر قائدا لقوات الحراسة وقد رشحنى القائد لنيل هذا الوسام . كذلك حصلت على هذا الوسام (من الطبقة الاولى) فى يناير ١٩٤٥ . وكنت طوال الفترة التى قضيتها فى ناتشفيلر مسئول عن المعسكر . وعندما غادرت المعسكر سلمته بدورى الى القائد الذى حل مكانى وكان الميجور هارتجنشتاين وتمت اجراءات التسليم فى مكتبى ، وسلمته المعسكر باسره . ولم تسلم الدفاتر رسميا الى القائد الجديد ، فلم يرد ذكرها .

أوشفيتز : من العاشر الى الخامس عشر من مايو ١٩٤٤ ، حتى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٤ . تعد أوشفيتز معسكرا ضخما يتبعه كثير من المعسكرات الصغيرة المجاورة . ولما كان من غير الممكن أن يتحمل مسئولية المعسكر كله رجل واحد ، فقد تم تقسيمه ، وعهد الى بجزء من اجزاء المعسكر . وكنت قائدا لهذا الجزء ، غير أنه لما كنت أتبع القائد الأعلى للمعسكر كله ، الذى كان قائدى الأعلى ، فقد كانت المهام الموكلة الى هى مهام قائد قوات الحراسة . رغم أن منصبى كان قائد معسكر وكنت اشرف فى الجزء المخصص لى من المعسكر على المستشفى والمعسكر الزراعى ، الذى كان يعتبر معسكرا ضخما ويضم عدة آلاف من

الأفدنة . وكان عدد المسجونين الخاضعين لاشرافى المباشر يتراوح ما بين ١٥,٠٠٠ و ١٦,٠٠٠ و ٣٥,٠٠٠ و ٤٠,٠٠٠ من الرجال والنساء .

وكانت نسبة الوفيات تتراوح بين ٣٥٠ و ٥٠٠ حالة فى الأسبوع وكانت نسبة الوفيات أكثر ارتفاعا بين الرجال ، وسبب ذلك أن القادمين من معسكر العمل يضمون بالدرجة الأولى مرضى . وعندما اتحدث عن معدل الوفيات فى أوشفيتز ، فإنما أعنى أن كل هؤلاء الناس ماتوا لأسباب طبيعية ، أى بسبب المرضى او الشيخوخة . وكان معدل الوفيات أكثر ارتفاعا بعض الشيء عن المعدل نظرا لأننى اشرف على معسكر مرضى قادمين من أجزاء أخرى من المعسكر . والسبب الوحيد الذى اراه مبررا لارتفاع معدل الوفيات ، ليس فى أوشفيتز فحسب وانما فى كافة معسكرات الاعتقال بالمقارنة الى السجون المدنية ، يرجع الى أن المسجونين فى المعسكرات ، عليهم أن يعملوا فى حين أنهم لايعملون فى السجون المدنية .

فى أوشفيتز ، يبدأ المسجونون فى العمل فى الخامسة صباحا فى الصيف وينتهون فى الثامنة مساء ، وربما بعد ذلك فى بعض الأحيان . ويعملون سبعة أيام فى الأسبوع ، ولكنهم فى أيام الاحاد يعوذون من العمل فى الساعة الواحدة أو الثانية أو الثالثة بعد الظهر . وكانت طبيعة العمل زراعية ويقوم المسجونون بكل العمل وحدهم . ويضم المعسكر بأكمله نحو ٩٠,٠٠٠ الى ١٠٠,٠٠٠ سجينا ، غير أن هذا التقدير تقريبى . وكان الليفتينانت كولونيل هوس ، قائدى الاعلى ، وقائد المعسكر كله . وكان المعسكر يضم رجالا ونساء وأطفالا . وكان غالبية المسجونين الخاضعين لاشرافى مباشرة من الشرقيين ، أى من بولندا وروسيا . وليس ثمة ما يدعونى للاعتقاد بأن من بينهم أسرى حرب ، رغم أن هذا الأمر يعد محتملا دون علمى . ولم يكن من بين المسجونين على ما اذكر ، معتقولون بريطانيون . وأعتقد أن المسجونين البريطانيين كانوا فى معسكر الاعتقال فى زاكسنهاوزن وفى معسكر آخر يقع على مقربة من هامبورج ويطلق اسم نيوتجام وربما كان هناك بعض الفرنسيين فى المعسكر الخاضع لاشرافى ، غير أننى لست على يقين من ذلك . وكانت الأغلبية من النساء وليس الرجال .

وكان هناك ثلاث سرايا من قوات العاصفة تابعة لى تقوم على حراسة المعسكر . وكان بعضهم من قوات العاصفة العسكرية وكانت هناك نساء يتبعن قوات العاصفة ويعملن كسجانات فكان بالمعسكر ما يقرب من ٤٢٠ رجلا ومايقرب من ٤٠ الى ٥٠ من النساء يتبعون جميعا قوات العاصفة . وكان يقوم على حراسة المسجونين من الرجال والنساء الذين

يعملون خارج المعسكر فى القطاع الزراعى حراس من الرجال دائما . وكانت النساء يقمن بحراسة المسجونين داخل المبنى فقط . وكان هناك ما يقرب من عشرة الى اربعة عشر طبيبا للمعسكر بأكمله ، كان اثنان منهم يشرفان على الجزء الخاص بى من المعسكر . وكان فى كل قسم من المعسكر مستشفى ، ولكن أكبرها فى القسم الخاضع لاشرافى . ولاأستطيع أن أذكر على وجه التحديد عدد الاسرة التى كانت بالمستشفى ، فقد كان هذا يتوقف على مدى امكانية وضع الأسرة إلى جانب البعض الآخر .

وكان المسجونون يقيمون فى مبان خشبية بها ثلاثة صفوف من الاسرة ، وكان الرجال ينامون بمعزل عن النساء ، أما الأطفال فكانوا برفقة أمهاتهم . كذلك فان المتزوجين منهم كانوا ينامون على انفراد . وكان مجموع المبانى الخشبية ١٥٠ مبنى فى معسكرات الرجال والنساء معا ، حوالى ٨٠ أو ٩٠ للرجال ، ومايقرب من ٦٠ للنساء ، ونحو ٢٥ أو ٣٠ خصصت للمستشفيات . وكان المعسكر ، فى بداية عهده ، وكان من المقرر التوسع فيه الى حد بعيد .

وكان كل المسجونين الذين يموتون تحرق جثثهم . ولم تكن تقام أية شعائر دينية عند وفاتهم . كانت تحرق جثثهم فحسب . وكان يقوم على تنفيذ عملية احراق جثث الموتى السجناء الآخرون . وكان كل ما يتعين على أن أفعله عندما يموت أحد المسجونين يتمثل فى ابلاغ الليفتينانت كولونيل هوس الذى يقوم باتخاذ اللازم . ولم تكن فى أية سلطة ادارية فى أوشفيتز . وكان كل المسجونين يعرفون بأرقامهم فقط . ولم يكن لى أى دخل فيما يتعلق بتنفيذ العقوبات فى أوشفيتز ، فكان كل شىء من هذا القبيل من اختصاص هوس . وعندما قدمت الى أوشفيتز لم تكن هناك أية عقوبات بدنية توقع على النساء ، غير أننى سمعت لما يتردد فى المعسكر عن توقيع عقوبات بدنية على النساء من قبل ، وانه تم الغاؤها . وكان السبيل الوحيد الذى علمت من خلاله أنه من غير المسموح به توقيع عقوبات بدنية على النساء عن طريق الحديث الذى أشرت اليه والذى دار فى المعسكر . ولاأتذكر من الذى كان يدير الحديث . ولوحدث أن قامت احدى النساء بارتكاب جريمة من تلك الجرائم التى يعاقب عليها الرجال بالضرب لاوضحت للحارسات أنه من غير الممكن توقيع عقوبات بدنية على النساء . وكان المصدر الوحيد الذى استندت اليه فى هذا الأمر هو ما استمعت اليه من حديث عقب وصولى الى المعسكر بفترة وجيزة . وحتى لو كان الجائز توقيع عقوبات بدنية على النساء لماكنت وضعتها أبدا موضع التنفيذ ، باعتبار أن هذا الامر

لايمكن تصوره بالنسبة لى . وكانت العقوبة التى توقع على النساء فى حالة ما اذا ارتكبت احداهن جريمة من الجرائم التى يعاقب عليها الرجال بالضرب ، تتمثل فى نقلها الى مجموعة عمل أخرى حيث تقوم بعمل أحقر مما كانت تقوم به ولساعات أطول .

وعندما كان يصل من برلين أمر بطلب عمال . كان الطبيب يستعرض السجناء . وكنت كثيرا ما أحضر هذه العمليات ، وان لم يكن ذلك بصفة دائمة . وكان الطبيب يفحص طوابير المعتقلين بدون خلع ملابسهم . ثم يتخذ بعد ذلك قرارا بما اذا كان الرجل ، أو المرأة ، يصلح للعمل أم لا . على أنه لو تحتم فحص أحدهم للتأكيد من قدرته على تحمل توقيع عقوبات بدنية ، فانه فى هذا الحال يجرى على فحص طبى شامل . والسبب فى عدم اجراء فحوص طبية على الوجه الأكمل فى حالة اختيار أناس للقيام بالعمل هو أن طلبات العمال كانت تعد بالآلاف . وكان الطبيب يظل مشغولا لعدة أيام . وكان هذا الاسلوب فى اختيار العمال هو الاسلوب المعتاد الذى يطبق فى كافة معسكرات الاعتقال . ولم يكن هناك مايدعو للغرابة فى ذلك .

ولقد وقعت أربع أو خمس محاولات للهرب خلال فترة وجودى بالمعسكر وكانت هذه المحاولات متفرقة . وقد تمكن بعضهم من الفرار . ولم يحدث أن أطلق الرصاص على أحد أثناء محاولته الهرب فى القسم الذى أشرف عليه من المعسكر . ولم يجلد أو يشنق أو يعدم معتقل فى هذا الجزء من العسكر . وكثيرا ماكنت أطوف بالمعسكر بهدف تفقد الاحوال . ويعد الطبيب هو المسئول الوحيد عن تحديد سبب الوفاة اذا مات أى من المعتقلين . وكان الاطباء يتغيرون بصفة مستمرة . وكان أحد هؤلاء الاطباء هو الكابتن مينجل . وكنت أقوم بمعاينة جثث الذين ماتوا لاسباب طبيعية أثناء طوافى بالمعسكر وكان كل من يموت خلال النهار يوضع فى مبنى خاص يطلق عليه مستودع الجثث تنقلها شاحنات كل مساء الى أفران حرق الجثث . وكان المعتقلون هم الذين يحملون الجثث الى الشاحنات وهم الذين ينقلونها من الشاحنات . وكانوا يجردون الجثث من ملابسها فى الافران قبل احراقها . وكانت الملابس تنظف ويعاد توزيعها اذا لم يكن اصحابها قد ماتوا لاصابتهم بأمراض معدية . وخلال دوريات التفتيش التى كنت أقوم بها لم أر مطلقا أن معتقلين ماتوا بسبب استخدام أساليب العنف البدنى . اذ عندما كان يموت أحدهم كان على الطبيب التصديق على ساعة وفاته وسبب وتفاصيل المرض . ثم يقوم الطبيب بالتوقيع على شهادة ترسل الى مكتب المعسكر الرئيسى . ولم تكن هذه الشهادات الطبية ترسل عن طريقى . وكان الطبيبان

يعملان يوميا من الثامنة صباحا حتى الثامنة أو التاسعة مساء . وكانا يبذلان مافى وسعها للمحافظة على حياة المعتقلين ، كما كان من المتيسر استخدام الامدادات الطبية والعقاقير المقوية . وكان يشرف على القسم الخاص بى من المعسكر طبيبان مختلفان يوميا . وأذكر أحدهم جيدا ، ذلك لأنه أمضى وقتا طويلا فى القسم الخاص بى من المعسكر ، كما عمل كذلك مع هارتجنشتاين قائد المعسكر السابق ولا أعلم كم أمضى من الوقت فى القسم . وكان يدعى الكابتن مينجل ، كما ذكرت من قبل .

وكان سور المعسكر مكهربا . ولم تكن الكلاب تستخدم الا خارج المعسكر بهدف حراسة المعتقلين الذين يزاولون أعمالا زراعية . ولم أبلغ اطلاقا بضرورة معالجة معتقلين لأن الكلاب قد عقرتهم . ولم تجد أية تحقيقات بالمعسكر ، ولم يحدث أن قمت باجراء تحقيق عندما كنت قائدا على الاطلاق . وكنت أحيانا أقوم بارسال اشخاص ، للتحقيق معهم ، الى مكتب التحقيقات الجنائية ، فكانوا يرسلون الى المكتب الرئيسى للمعسكر ، ويعودون ثانية بعد استكمال التحقيق . ولا أعرف من كان يقوم باجراء التحقيق معهم .

وقد سمعت عن ادعاء معتقلين قدامى فى أوشفيتز بشأن وجود غرفة غاز هناك وعمليات الاعدام الجماعية والجلد بالسياط ، وقسوة الحراس هناك . وأن هذا كله حدث اما فى وجودى أو بعلم منى . وكل ما يسعنى قوله ردا على كل هذا أنه لاصحة له من أوله لآخره .

بلسن ، الأول من ديسمبر ١٩٤٤ ، حتى الخامس عشر من ابريل ١٩٤٥ : فى ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٤ ، ذهبت الى أوانينبرج ، برلين ، لأقدم تقريرا الى الليفتينانت جنرال جلوكس . وكان يشغل منصب رئيس المجموعة الفرعية والأمر الذى يعنى أنه كان الضابط المشرف على تنظيم كافة معسكرات الاعتقال داخل الرايخ . وكان مسئولا أمام الجنرال بوهل . الذى كان يشغل منصب رئيس شعبة ادارة قوات العاصفة بالوزارة ، أى ما يعادل رتبة جنرال فى الجيش . وقد قال لى : كرامر انك ستنقل الى بلسن قائدا لمعسكرها . وفى بلسن يوجد حالياً الكثير من المعتقلين اليهود الذين سيتم تبادلهم فى نهاية الأمر . وعلمت فيما بعد ، وعندما كنت فى بلسن أن هؤلاء المعتقلين اليهود تجرى مبادلتهم برعايا ألمان فى الخارج .

وقد تم أول تبادل فيما بين الخامس والخامس عشر من ديسمبر ١٩٤٤ ، وتم تحت الاشراف الشخصى لمسئول حضر من برلين لهذا الغرض . ولاأذكر اسم هذا المسئول . وكان

برتبة (مستشار الدولة) وكانت أول مجموعة تضم مايقرب من ١٣٠٠ الى ١٤٠٠ معتقل .
وكان جلوكس قد قال لى فى الاجتماع الذى تم بيننا فى برلين : « ان النية تتجه الى تحويل بلسن الى معسكر للمرضى . فهذا المعسكر سيضم كافة المرضى من المسجونين والمعتقلين فى كافة معسكرات الاعتقال فى شمال وشمال غرب ألمانيا ، وكذلك جميع المرضى العاملين فى شركات أو مع شركات صناعية » وكان يشير الى وظائف العمل بحسب كمية الانتاج الامر الذى يعنى المعتقلين الذين وقع عليهم الاختيار للعمل فى مؤسسات زراعية وصناعية ومناجم الفحم والمحاجر وأولئك الذين أقيمت من أجلهم معسكرات خاصة . وكانت مسئولية اطعامهم وتوفير أسباب الحياة لهم تقع على عاتق المؤسسة تماما . أما مسئولية الشئون الادارية فظلت من اختصاص معسكر الاعتقال الاصلى . وقال جلوكس هناك عدد لابأس به من المعتقلين يعملون مع مؤسسات صناعية مصابون بأمراض أو غير صالحين من الناحية البدنية للقيام بالعمل الذين وقع عليهم الاختيار للقيام به . وسيتم سحب كل هؤلاء المرضى الى معسكر بلسن . ذلك لأنه المؤسسات الصناعية المعنية تتحمل عبئا لاضرورة له ومن ثم فانه يتعين نقل أولئك المعتقلين ، ولاأستطيع أن أحدد ذلك الآن نوع المسجونين والعدد الذى سيستوعبن المعسكر منهم لأن ذلك سيتحدد فيما بعد . والقاعدة العامة التى سيؤخذ بها فى هذا الصدد أن أى سجين يتغيب عن عمله لمدة تربو على عشرة أيام أربعة عشر يوما بسبب المرض ، سينقل الى بلسن . فاذا ماشفى اولئك المرضى فى بلسن ، عندئذ اما أن يضموا الى مجموعات جديدة ترسل للقيام بأعمال جديدة ، أو يعودون الى عملهم الاول ، الذى ربما يكون أكثر ملاءمة لهم . وأقترح أن تذهب الى بلسن الان حتى تلقى نظرة على المعسكر وترى كيف ستسير الامور . واذا مادعت الحاجة الى أى مساعدة فلك أن تجىء الى برلين أو تكتب لى .

وهذا ما انتهى اليه اجتماع العمل . وبعدها سألنى جلوكس عن زوجتى وأطفالى ، وسألته بدورى عن أحوال أسرته . وكذلك استفسرت عما اذا كان من الممكن عندما أتولى الإشراف على معسكر بلسن أن أنقل أسرتى إلى هناك ، فقال إن على أولاً أن أذهب إلى بلسن لاستطلاع الامور . فاذا ما عثرت على مسكن ملائم فيمكننى الكتابة له وسوف يصرح بنقل أسرتى . وقد دار هذا الحديث بين الليفتينانت جنرال جلوكس وبينى ، ولم يكن هناك سوانا . وكانت هذه هى التعليمات التى تلقيتها فحسب ولم أسأل عن المزيد . فلم أكن اعتقد أننى بحاجة الى المزيد من التعليمات وكنت أشعر بالارتياح تماما لما صدر الى من أوامر .

وعقب اجتماعى مع جلوكس ، تحدثت إلى ثلاثة ضباط آخرين أعرفهم معرفة شخصية وهم (الكولونيل ماورر) المسئول عن توزيع المعتقلين على المعسكرات واسناد الأعمال اليهم) والكابتن سومر (ويعمل فى الادارة التى يرأسها ماورر) ، والميجور برجو (وكان يشرف على ادارة مختلف معسكرات الاعتقال) ولم أتحدث عن الأمور المتعلقة بالعمل مع أى من الثلاثة الذين ذكرتهم من قبل . فقد كانوا أصدقاء لى ، ولما كنت فى المبنى توجهت الى مكاتبهم لتحيتهم .

وكان كبير الاطباء هو الكولونيل طبيب لولنج . وهو المشرف الطبى على كافة معسكرات الاعتقال . ولا اذكر أية أسماء أخرى ، غير أننى أذكر هذه الاسماء الاربعة ذلك لأنهم كانوا يحضرون لزيارة المعسكرات أو لأننى كنت أرى أسماءهم على رسائل عديدة ترد من الوزارة .

وسافرت بعد ذلك الى بلسن ، وكان فى استقبالى الليفتينانت كولونيل سكاف وهو الضابط المسئول عن الادارة . وفى اليوم التالى توجهت الى المكتب واجتمعت مع الميجور هاس ، قائد المعسكر ، الذى كان يعلم أننى قادم من برلين لتولى المسئولية التامة عن بلسن . وسألته عن عدد المعتقلين الموجودين بالمعسكر ، وأجاب ، « ١٥,٠٠٠ تقريبا » . وقال انه لافائدة كبيرة من وراء مناقشة الامور فى المكتب وعرض القيام بجولة فى أنحاء المعسكر . وخلال الجولة أشار الى تغيرات وتحسنات كان لايزال يود القيام بها . وكانت مساحة المعسكر حوالى ١ ½ كيلو مترا طولا بين ٣٠٠ الى ٣٥٠ مترا عرضا . وكان هناك ما يقرب من ٦٠ ثكنة ، من بينها مساكن للحرس ومخازن . وكان هناك ما بين ٤٠ إلى ٤٥ ثكنة للمعتقلين . ويضم المعسكر معتقلين من الرجال والنساء والاطفال ، وكان مسموحا باقامة العائلات معا ، وفيما عدا هذا كان الرجال بمعزل عن النساء . وكان هناك ستة مبان فى معسكر الرجال وثلاثة فى معسكر العائلات ومبنيان فى معسكر النساء ، مخصصة جميعا للمستشفيات . وكان ثمة مزيد لاحراق جثث الموتى بالمعسكر .

ولاأعلم شيئا عن جنسيات المعتقلين عندما وصلت ، ذلك لأنه لم تكن هناك أية ملفات أو أوراق من أى نوع بالمعسكر . وكان من المتعذر بالنسبة لى أن أعرف نوعيات المعتقلين ذلك لأنهم كانوا قد أرسلوا الى بلسن بسبب مرضهم من كافة معسكرات الاعتقال فى أنحاء البلاد . كما كان الكثيرون قد فقدوا بطاقاتهم الشخصية ، ولما لم تكن هناك أية سجلات ، كان من المستحيل تماما التعرف على أحد . فشرعت فى تدوين سجلات خاصة

عن المعتقلين الا أنني أعدمت هذه السجلات كلها بناء على تعليمات تلقيتها من برلين قرب أواخر شهر مارس . ولاأذكر اسم الشخص الذى وقع على هذه الاوامر .

وكانت هناك سرية حراسة واحدة من قوات العاصفة بقيادة الكابتن ميثير . وكان قد قدم من مكان ما بالقرب من هانوفر . وكان متوسط القامة ، طوله حوالى ١٧٠ سم ، وكان يضع نظارات على عينيه ، اصلع الرأس تقريبا ، يبلغ حوالى الخمسين من عمره ثم كان هناك الكابتن فوجلر . وهو الضابط المسئول عن الادارة التى تولى أمرها بعد سكاف ، الذى أشرت اليه من قبل باعتباره الضابط المسئول عن الادارة عند وصولى . وكان الضابط المسئول عن الإدارة عند وصولى . وكان الضابط المسئول عند القسم الجنائى هو الملازم ثانى فريركس . وكان الضابط المشرف على المخازن اللفتنانت الكولونيل شترس قد نقل عقب وصولى بأيام قلائل ، وبقيت بلا مسئول عن المخازن مايربو على الشهرين وكان على أن أقوم بمهام العمل بنفسى مع مساعد واحد فقط ضابط صف برتبة ملازم ثان . وكان المشرف الطبى على المعسكر هو الميجور شنابل . وكان طبيب الأسنان برتبة رقيب ممتاز . ثم حصل فيما بعد على ترقية واصبح ملازما ثانيا . وكان يدعى لينتز مائير . ولم يكن يوجد ضباط آخرون كما لم يكن لى أى مساعدون وكان هناك ما يقرب من ٦٠ الى ٧٠ من ضباط الصف ، من بينهم ٢٠ الى ٢٥ تابعين لسرية الحرس من قوات العاصفة . وكان الآخرون يعملون فى وظائف ادارية . وكان أحد ضباط الصف يعمل كمساعد للضابط المشرف على الشئون الادارية . وهو الرقيب كوكيرتز وكان هناك مسئول آخر من ضباط الصف فى مكتبى . وكان يدعى رايخ . وكان يعمل كرقيب ومساعد . وهناك مجموعة من ضباط صف آخرين أتذكرهم وهم الرقيب فنى هملر والرقيب لادماخر والرقيب فيل ، ويعملون جميعا « فى ادارة ضباط الصف » ، والرقيب مولر ، الذى كان يشرف على مخازن للطعام . وعندما توليت قيادة معسكر بلسن كان هناك ستة ضباط بما فيهم انا . ولم يكن لدى مسئول من ضباط الصف . وعندما توليت مهام الأمور هناك ، كان من بين العاملين ثلاث نساء . ولا أذكر أسماءهن الآن .

وكانت نسبة الوفيات عندما وصلت إلى المعسكر ما بين ٤٠ الى ٦٠ حالة اسبوعيا . وعند تسلمى للمعسكر كان على مسئول الايداع أن يقدم تقريرا لى يذكر فيه « عدد المعتقلين بالمعسكر ، وعدد الموتى بالأمس ، وعدد الباقين . » وعندما وصلت خصصت دفترا لتسجيل هذه الارقام ، غير أنه تم الاستغناء عنه فيما بعد . وقد تسلمت هذا الدفتر من

القائد السابق لى . وكان القائم بأعمال الايداع بمكتبه يحتفظ بهذا الدفتر . كذلك كان هناك دفتر آخر يسجل فيه حجم القوة . وكان يقوم باستعراض كل صباح لاحصاء عدد المعتقلين . وفى هذا العرض يقدم رئيس كل مبنى تقريرا عن قوة وحدته وعدد الوفيات التى حدثت فى اليوم السابق ، ليقوم الكاتب المختص بتدوين قوة كل وحدة فى ورقة ، ويجمع الرقم الكلى . وكان هذا التقرير يتضمن حالات عدد الوفيات التى وقعت فى اليوم السابق . وكان هناك ما يقرب من ٤٠ مشرفا على الوحدات فى العرض اليومى .

وفى يناير توليت زمام الامور فى معسكر جديد مجاور للمعسكر القديم وكان يضم من ٤٠ إلى ٥٠ وحدة جديدة . ولم أحصل على مزيد من العاملين عندما تسلمت المعسكر الجديد . ولكن فيما بعد ، وعندما تم إخلاء معسكرات سيليزيا ، وصل الى المعسكر بعض الحراس ومعهم معتقلين جدد ، زاد من عدد العاملين معى . ولم أكن أخطر دائما بموعد وصول معتقلين جدد الى المعسكر ، ولاسيما أولئك الذين كانوا يفدون من سيليزيا دون سابق انذار . وكانت هناك أفواج تضم ١٠٠ أو ٢٠٠ سجين فقط ، فى حين كانت هناك أفواج تشمل ١٥٠٠ ، ٢٠٠٠ ، ٢٥٠٠ الخ . وكان لدينا مخزون من الطعام فى المعسكر ، وعندما كانت تصل دفعة جديدة من المعتقلين كان يتعين على اللجوء الى هذا الاحتياطى ، حتى يتم الابلاغ عن القوة الجديدة ومن ثم أحصل على كميات اضافية من الطعام للمستقلين الذين زاد عددهم . ولم تكن عمليات نقل الطعام منتظمة ، فكان الطعام يصل عندما يتوفر قطار لحمل الطعام الينا . ولا أستطيع أن أذكر عدد المعتقلين الذين وفدوا بعد هذا الشهر ذلك لان التعليمات كانت تقضى بارسال المعتقلين الى العمل بأسرع مايمكن فكانت نسبة القادمين من المعتقلين تعادل نسبة المعتقلين الذين يرسلون للعمل وكانت الارقام تتقلب يوميا . وكان أى سجين قادر على العمل نقوم بارساله ضمن مجموعات عمل الى المؤسسات الصناعية . أما الآخرون فكانوا يعملون داخل المعسكر وفى أعمال الصيانة بالمعسكر .

وفى أول ديسمبر وعندما توليت قيادة المعسكر كان هناك ما يقرب من ١٥,٠٠٠ سجين بالمعسكر ، توفى منهم ٢٠٠ تقريبا فى ديسمبر ، وفى أول يناير بلغ عددا المعتقلين بالمعسكر حوالى ١٧,٠٠٠ معتقل ، توفى منهم ٦٠٠ فى يناير ، وفى أول فبراير كان بالمعسكر ٢٢,٠٠٠ معتقل تقريبا . ومن ١٥ فبراير فصاعدا لايمكننى تحديد عدد المعتقلين لأنه لم يعد بامكانى الإحتفاظ بأى سجلات لما ثبت أنه من المستحيل تماما أن نمضى فى تسجيل الارقام

نظرا لتدفق المعتقلين ، من معسكرات سيليزيا التى كان يتم اخلاؤها ، كما أنه كان قد تم التخلص من الدفاتر فى مارس كما ذكرت من قبل .

ولا أدرى شيئا البتة عن عدد الوفيات التى وقعت فى هذه الفترة ، غير أن الاحوال فى بلسن أخذت تسير من سيئ إلى أسوأ ابتداء من منتصف فبراير حتى منتصف ابريل عام ١٩٤٥ ، عندما وصل الحلفاء . وكنت أتفقد المعسكر يوميا خلال هذه الفترة وكنت أدرك تماما مدى ما وصلت اليه الامور وضخامة عدد الموتى . فقد أخذت نسبة الوفيات خلال فبراير ومارس وابريل ترتفع تدريجيا حتى وصلت الى ٤٠٠ أو ٥٠٠ حالة يوميا . ويرجع هذا الى حقيقة أنه اذا كان المعتقلون أصحاء فقد كان على أن أرسلهم فى مجموعات عمل وأن أستبقى المرضى والمحتضرين وحدهم . وكان ناظر محطة السكة الحديدية يبلغنى بأن قطارا قد وصل وأنه يتعين على أن أتسلم المعتقلين. وكان الحراس يقومون بالتحقق من أرقام القادمين فقط لامن أسمائهم : وكان الطعام يطلب مرتين أسبوعيا من المخازن المحلية. ويرفع تقرير الى الوزارة فى برلين ، يقوم على أساس الارقام التى دونها الحراس ، الذين قاموا بالتحقق من عدد المعتقلين عند قدومهم الى المعسكر .

وكان كافة المعتقلين يتناولون ثلاث وجبات يوميا . ولاأدرى شيئا عن حصة المعتقل من الطعام يوميا ذلك لأن مخزن المؤن هو الذى يحددها وفقا لمعايير موحدة . ولم يحدث اطلاقا أن تفقدت حصص المعتقلين من الطعام فى مخازن المؤن ، غير أننى كنت أتأكد من أن كل سجين قد حصل على لتر من الخضروات المطهوة فى الوجبة الرئيسية ، وأنه فى الصباح قد تناول قهوة وخبزا ، اذا ما توفر ذلك وفى المساء قهوة وخبزا ، اذا ما توفر ذلك أيضا ، وجبنا أو سجقا . ولو كان المعتقلون يعملون لما كانت هذه الوجبة كافية ، الا أنه نظرا لأنهم لم يكونوا يعملون فاننى أعتقد أن هذه الوجبة كانت كافية للابقاء على حياتهم وكنت أعتقد أن بوسعهم تحمل هذه الوجبة لستة أسابيع تقريبا ، وكنت آمل بعدها فى الحصول على مزيد من الطعام . وكانت الحصص التى ذكرتها من قبل هى الحصص العادية فى أى معسكر اعتقال فى ذلك الوقت . وكانت النقطة الوحيدة التى يتدهور فيها الطعام هى الخبز ، ذلك لاننا كنا نفتقر اليه تماما لمدة يومين أوثلاثة تتكرر عدة مرات . وكان من المستحيل تماما بالنسبة لى أن أوفر الخبز الكافى لاطعام ذلك العدد من المعتقلين وكانت المخابز المحلية فى بلسن تمدنا فى بداية الامر بالخبز ولكن عدد المعتقلين ازداد فيما بعد ، الامر الذى لم تعد معه المخابز المحلية قادرة على امدادنا بالكميات المطلوبة فكنت أرسل شاحنات الى

هانوفر وأماكن أخرى لاحضار الخبز ولكن لم يكن فى استطاعتى حينذاك الحصول حتى على نصف كمية الخبز اللازمة لتقديم وجبات عادية للمعتقلين وفيما عدا الخبز ، لم تنقص الكميات المحددة مطلقا . وكان الدقيق يقدم بدلا من الخبز وكان يستخدم فى صنع وجبات . ورغم ذلك ، فقد ثبت فى النهاية ، أنه لو كنا استخدمنا الدقيق فى صنع الخبز ، لما ارتفعت نسبة الوفيات الى هذا الحد . وقد ذهبت الى مخزن المؤن فى سيل ثم الى السلطة العليا فى هانوفر وأطلعتهم على مجريات الامور فى بلسن . كذلك أوضحت لهم أنه اذا ما وقعت كارثة ، فاننى لن أكتفى بكشف الحقائق وانما سأحملهم مسئولية ماحدث . ولاأذكر أسماء المسئولين الذين اجتمعت بهم فى أى من المكانيين . ولم أرجع الى برلين أبدا فى هذا الصدد ذلك لأننى كنت أعلم أنهم لن يقدموا لى أية مساعدة من أى نوع فقد كان هذا الأمر من اختصاص المسئولين عن توزيع حصص الطعام فى سيل وهانوفر . وأسفرت زيارتى لهذين الموقعين عن زيادة كميات البطاطس والفت فيما بعد .

وأذكر تماما واقعة حدث فيها أن أكل أحد المعتقلين لحم بشر . فقد أبلغت بأن أحد المعتقلين دخل مستودع حفظ الجثث ، وأنه بعد ذلك تم اكتشاف اختفاء بعض أجزاء احدى الجثث . فقمت بوضع حارس على جثث الموتى ليلا ، وقد ألقى هذا الحارس القبض على رجل فى نفس الليلة كان يقترب من إحدى الجثث . وقد اعتقل هذا الرجل ، ولكن قبل اجراء أى تحقيق معه فى اليوم التالى شنق نفسه . ولاأذكر إن كانت هذه الواقعة قد تكررت أم لا ، ولكننى عينت حراسا على مستودع الجثث منذ تلك الليلة . وكان الحراس من المعتقلين . فقد كنت أعتقد ان المعتقلين سيحمون الجثث من المعتقلين الآخرين . ولايمكننى ان أؤكد ما اذا كانوا قد فعلوا ذلك أم لا . فلم يكن مستودع الجثث ثابتا فى مبنى واحد دائما نظرا لتذبذب عدد المعتقلين الى حد كبير جدا ، فكان يتحتم على تغيير اقامة المعتقلين على نحو مستمر ، ولذا لم يكن المبنى المخصص لحفظ الجثث ثابتا دائما . فاذا ما طرأت تغيرات قام المعتقلون بتنظيف المبنى وأقاموا فيه فى اليوم التالى .

وأبلغ طبيب المعسكر أنه مريض . فحل محله الدكتور كلاين فى منتصف شهر فبراير . وفى أول مارس تقريبا توصل الى المعسكر ضابط طبيب أخر يدعى الكابتن هورستمان وقد رحل هورستمان مع القوات قبل وصول الحلفاء بيومين ، بينما بقى دكتور كلاين بمفرده . وباستثناء هذين الطبيبين ، لم يكن بالمعسكر أى اطباء آخرين من قوات العاصفة . وفى أواخر يناير وصل دكتور لولنج ، من الوزارة فى برلين فى جولة تفتيشية . وأوضحت له أنه

اذا ما تحول معسكر بلسن الى معسكر للمرضى ، كما أبلغت فى برلين ، فاننى بحاجة الى مزيد من الاطباء . فقال انه لا يوجد أطباء فى الوقت الراهن . ولكنه سيقوم بتزويدى بأطباء بمجرد أن يتوافر لديه عدد منهم . وقام دكتور لولنج بتفقد المعسكر وأصبح على دراية تامة بالاوضاع السائدة فيه آنذاك . وقد مكث يوما بأكمله يتجول فى أنحاء المعسكر برفقة دكتور شنابل ويتفقده بعناية . وتمثلت الاجراءات التى اتخذت فى أن الدكتور لولنج حمل معه قائمة باحتياجاتنا وقال انه سوف يتدبر الامر حتى نحصل على الامدادات الطبية اللازمة . ورغم أننى كنت قائدا للمعسكر ، فاننى لم أكن أعلم شيئا ، عن الاجهزة الطبية ومخازن الادوية . فقد كان هذا الأمر كلية من اختصاص الضابط الطبيب . وكانت كافة الامدادات الطبية تطلب مباشرة من برلين (الادارة التى يرأسها الدكتور لولنج) . وهذا كل ما أعلمه عن هذا الامر .

ووقعت خلال اقامتى فى بلسن ما بين ١٥ الى ٢٠ محاولة للفرار من السجن . وقد قتل بالرصاص بعض المعتقلين وهم يحاولون الهرب . ولاأذكر عددهم وفى أواخر ديسمبر وصل أمر من برلين يقضى بمنع عقوبات بدنية تماما . ومنذ تلك اللحظة لم توقع أية عقوبات بدنية .

وفى الفترة ما بين ٢٠ الى ٢٨ فبراير ابلغنى طبيب المعسكر عن تفشى حمى التيفوس فى المعسكر . وأكد هذه الحقيقة المعهد البكتريولوجى فى هانوفر . لذلك قمت باغلاق المعسكر وارسال تقريرا إلى برلين . وكان رد برلين أنه لابد من أن يظل المعسكر مفتوحا لاستقبال القادمين من الشرق سواء تفشت الحمى أم لا . وكانت المرة الثانية التى كتبت فيها الى برلين فى الفترة مابين أول مارس ، ١٠ مارس كان ذلك عندما أرسلت تقريرا مفصلا عن الاوضاع السائدة فى المعسكر . وهاتان المناسبتان هما الوحيدتان اللتان راسلت فيهما السلطة العليا . وقد بعثت بهاتين الرسالتين الى مجموعة الادارة » برلين . ولم أذهب الى برلين بنفسى وفقا للتعليمات التى كنت قد تلقيتها فى نوفمبر ، ذلك لأن الرحلة كانت ستستغرق ثلاثة أو أربعة ايام ولم يكن هناك من يقوم بأعمالى أثناء غيابى .

وعلى حسب ما أتذكر قام الليفتينانت جنرال بوهل بتفقد معسكر بلسن فى العشرين من مارس تقريبا . وقدم برفقة ضابط آخر . وقد رافقت بوهل خلال تفقده للمعسكر وأوضحت له الظروف الطبيعة . ولم يكن قد جاء بناء على الرسالة التى بعثت به . وانما كان يقوم بجولة تفقدية روتينية « لمجرد القاء نظرة على المعسكر ولايمكننى أن أتذكر ما اذا كان

الحديث بيننا قد تطرق الى الرسالة التى بعثت بها الى المكتب الرئيسى فى برلين أم لا . وقد شرحت له الاوضاع فقال انه لابد من اتخاذ اجراء ما . وكان أول مقترحاته اغلاق المعسكر وعدم قبول أى معتقلين آخرين . وقد عرضت عليه اجرائين للتغلب على هذا الموقف .

(ا) الحيولة دون قدوم نزلاء جدد .

(ب) الاسراع بتبادل المعتقلين اليهود فى المعسكر . وكانت النتيجة أنه أملى رسالة من مكتبى ، موجهة الى برلين ، يذكر فيها ضرورة ، اتمام تبادل المعتقلين اليهود فورا . وقد أجريت عملية التبادل بالفعل خلال الايام الاخيرة من مارس ولست أعرف من الذى تم تبادلهم مع اليهود ، ولكنهم رحلوا عن بلسن الى تريزنشتات . ورحل عن المعسكر ما بين ٦٠٠٠ و ٧٠٠٠ معتقل ليتم تبادلهم (قام بنقلهم ثلاثة قطارات امتلأت بهم تماما) وكان هذا الرقم ٦٠٠٠ أو ٧٠٠٠ يشكل مجموع الأسرى اليهود الذين سيتم تبادلهم . وقد حملتهم ثلاثة قطارات عن آخرها ، يضم كل قطار ما بين ٤٥ الى ٥٠ عربة وقد تلقيت تعليمات بارسال ثلاث مجموعات على ثلاثة أيام متفرقة . وكنت فى كل مرة أختار عددا قليلا من الحراس – لا أذكر عددهم وكان هناك أحد ضباط الصف يقوم بالاشراف على كل قطار ، ربما كان برتبة رقيب أركان ، ولكنى لا أذكر على وجه التحديد . ولاأدرى لمن كان يرفع ضباط الصف تقاريرهم . وكان كل ما لدى من تعليمات أن أرسل عددا من المعتقلين يشغل ثلاثة قطارات . ولم أر أحدا من ضباط الصف الذين أوفدتهم مرة أخرى .

وأوضحت لبوهل أننى بحاجة الى مزيد من الأسرة والبطاطين ، ووافق على طلبى هذا ، كما وافق على أمور أخرى ، رأى أنها تستلزم مساعدة عاجلة . كذلك تحدث طبيب المعسكر والضابط المشرف على الشئون الادارية الى بوهل وأوضح الضابط المشرف على الشئون الادارية ما يلاقيه من صعوبات فى الحصول على الطعام ، بينما كان الطبيب يشعر بالرضا نظرا لأنه كان قد تسلم دفعة جديدة من العقاقير الطبية . وقد ظل بوهل يشغل وظيفته فى برلين لمدة عامين تقريبا . أما جلوكس فقد أمضى مدة أكثر من ذلك حيث إنه كان يعمل من قبل تحت قيادة ايك الذى أرسل فيما بعد الى الجبهة الغربية ثم الى الجبهة الشرقية حيث قتل هناك . ولاأدرى شيئا عن جنسية أى من المعتقلين فى بلسن ذلك لأنه لم يكن يرسل معهم أية أوراق . وكانت عملية الفحص الوحيدة تتم حسب الارقام . وهكذا لايمكنى أن اؤكد ما اذا كان بينهم بريطانيون ، غير انه من المحتمل أنه كان ثمة رعايا بريطانيون . ولم أسمع مطلقا عن معتقل يدعى كيت ماير ، من الرعايا البريطانيين .

وكان عدد العاملات يزداد تماما مثل عدد العاملين حيث وصلت حارسات المعتقلات اللاتى قدمن من الشرق . وكانت كل النساء فى المعسكر يخضعن لقيادتى ، تماما كالرجال . وكان لايزال فى بلسن ما بين ٢٠ الى ٢٢ سجانة عندما وصل الحلفاء ومايقرب من ٢٦,٠٠٠ سجينة . ولم تكن لدى وسيلة للتعرف على طريقة معاملة السجانات للسجينات مالم تصلنى شكاوى من السجينات أنفسهن ، غير أننى كنت اثق تماما فى تلك السجانات . وكان الانتقاد الوحيد الذى وجهته اليهن هو تلك الالفة الزائده عن الحد التى كانت تنشأ بينهن وبين المعتقلات . وكنت أثق بنفس القدر فى الحراس من الرجال . فقد كان سلوكهم سليما تماما . ولم اتلق أبدا أى شكوى ضدهم من المعتقلين . وفى فبراير أو مارس لا اذكر على وجه التحديد – وصلت رئيسة السجانات لتشرف على السجانات . وكنت أثق فيها ثقة تامة .

وكان بالمعسكر فرن لاحراق جثث الموتى وطالما توفر فحم الكوك ، كانت جميع جثث الموتى يتم حرقها . وعندما لا يتوفر الكوك ، كانت الجثث تدفن فى مدافن جماعية . ولم تقع عينى مطلقا على أحد مسئولى الصليب الأحمر فى أى من المعسكرات التى عملت بها . ولا أعرف سبباً لذلك ولو كان أحد مسئولى الصليب الأحمر قام بزيارة المعسكر ، لاتصلت فوراً ببرلين تليفونيًا لأتأكد مما إذا كان مصرحاً له بالدخول إلى المعسكر ، نظراً لأنه لم يكن من الممكن أن يدخل أحد المعسكر بدون تصريح من برلين . ولا أستطيع التكهن بما كان يمكن أن يكون عليه الرد .

ولم تكن ثمة تعليمات ثابتة من برلين لاى من معسكرات الاعتقال التى عملت بها بالنسبة لما يأتى :

(ا) المكان المخصص للمعتقلين الأفراد .

(ب) الرعاية الصحية .

(حـ) ظروف العمل . فكانت هذه الامور متروكة لتصرف القائد – ولاأذكر أية تعليمات أو أوامر ثابتة من برلين الا فيما يتعلق بزوار المعسكر وتوقيع العقوبات . أما فى كافة الامور الاخرى فكان للقائد مطلق الحرية فى التصرف وعندما استولى الحلفاء على معسكر بلسن معسكر فى نهاية الأمر كنت أشعر بالارتياح تماما لاننى بذلت مافى وسعى فى ظل الظروف الراهنة لتصحيح الاوضاع فى المعسكر .

بيان آخر لجوزيف كرامر

١ – تخليت عن قيادة ستروتوف ناشفيلر فى مايو ١٩٤٤ وسلمت القيادة للميجور هارتجنشتاين . وكان باك فى ذلك الوقت وقبل ذلك بعام على الاقل ، يتولى قيادة شيرمك ، غير أنه لم تكن ثمة علاقة رسمية بين شيرمك وستروتوف . وكان هناك ضابط جستابو تابعا لى خلال فترة عملى فى سترونوف . ويدعى فوخنر ، وكان موفدا من جستابو شتوتجارت ، وطبقا للموقع الجغرافى فان سترونوف كان لابد فى تقديرى ، من أن تتبع منطقة جستابو ستراسبورج ، غير أننى أعتقد على أية حال ، أن جستابو ستراسبورج كانوا يعتمدون على شتوتجارت .

٢ – فى معرض الاشارة الى الاوامر التى تلقيتها باعدام بعض النساء بالغاز ونقلهن الى جامعة ستراسبوزج ، وفقا لما أقسمت على صحته أمام القائد جادان بالجيش الفرنسى ، فاننى أقدم التفصيلات التالية : كانت التعليمات التى تلقيتها تحمل توقيع الجنرال جلوكس بخط يده وذلك بناء على أمر هيملر وكانت هذه التعليمات ، على ما أذكر تقريبا ، تنص على أن شاحنة خاصة سوق تأتى من أوشفيتز وأنه يتعين قتل القادمين على هذه الشاحنة وارسال جثثهم الى ستراسبورج الى البروفسور هيرت . كما كانت التعليمات تقضى بأن اتصل بالبروفسور هيرت للاستفسار عن كيفية القيام بعملية القتل . وهذا ما قمت به وزودنى هيرت بوعاء به بللورات غاز مع تعليمات عن كيفية استخدامها . ولم تكن هناك غرفة للاعدام بالغاز بالمعنى المألوف فى ستروتوف ، بيد أنه أوضح لى امكانية استخدام غرفة عادية . ولم أعرف أى شىء عن الاساتذة الذين يعملون مع هيرت – ولكننى كنت أعرف ان البروفسور بيكرباخ كان يعمل فى أحد الاقسام .

٣ – وكانت المرة الأولى التى شاهدت فيها غرفة غاز بالمعنى المعروف فى أوشفيتز . وكانت ملحقة بفرن احراق جثث الموتى . وكان المبنى كله الذى يضم فرن احراق جثث الموتى وغرفة الغاز يقع فى معسكر رقم ٢ (بركيناو) ، الذى كنت قائدا له . وقد زرت المبنى فى اول جولة تفقدت فيها المعسكر بعد ثلاثة أيام من وصولى ، ولكنه لم يبدأ العمل الا بعد ثمانية أيام من وصولى . فقد وصل أول قطار يحمل من وقع عليهم الاختيار ليكونوا ضحايا غرفة الغاز بعد ثمانية أيام من وصولى الى المعسكر ، وفى نفس الوقت تلقيت أمرا

مكتوبا من هوس ، الذى يشرف على معسكر أوشفيتز كله يفيد أنه رغم أن غرفة الغاز وفرن احراق جثث الموتى يقعان فى القسم الذى أضطلع بقيادته من المعسكر الا أنه ليست لى أية سلطة عليهما مهما كانت . وكانت الاوامر المتعلقة بغرفة الغاز تصدر فى واقع الامر ، دائما من هوس ، وانني على اقتناع تام بأنه كان يتلقى مثل هذه الاوامر من برلين . وأعتقد أننى لو كنت مكان هوس وتلقيت مثل هذه الاوامر ، لنفذتها ، ذلك لاننى حتى لو قدمت احتجاجا لما أسفر ذلك الا عن اعتقالى شخصيا . وكان شعورى ازاء الاوامر التى تصدر بشأن غرفة الغاز يتسم بالدهشة الى حد ما . وكنت أسائل نفسى عما اذا كان هذا العمل صوابا فى واقع الامر .

٤ – أما فيما يتعلق بالظروف التى كانت سائدة فى بلسن فاننى أعلن مرة أخرى أننى بذلت كل مافى وسعى لمعالجتها . فبالنسبة للطعام كان المسجونون خلال شهرى مارس وابريل ١٩٤٥ ، يحصلون على حصتهم كاملة واعتقد انها كانت كافية تماما لسجين قوى الجسم ، غير أنه ابتداء من منتصف فبراير بدأ المرضى يفدون وشعرت بأنهم يجب أن ينالوا المزيد من الطعام . فأوفدت الرقيب مولر الى مخازن الطعام فى سيل وهانوفر ، ولكنهم أبلغوه أنه لايمكن ارسال أى مزيد من الطعام نظرا لاننا نحصل على حصتنا بالفعل . وتمكنت فى الحقيقة من الحصول على بعض الاطعمة من مخزن الطعام فى معسكر القوات المسلحة فى بلسن ، غير أنه لم يكن من المجدى أن أطلب منهم المزيد لانهم لم يكونوا المستودع المصرح لى بالحصول على طعام منه بصورة قانونية .

٥ – وبخصوص تسهيلات الاقامة عندما صدرت الى الاوامر باستيعاب ٣٠,٠٠٠ معتقل فى أوائل ابريل فى الوقت الذى كان فيه المعسكر لايتسع لمن فيه ناشدت الليفتينانت جنرال بابنبورج فى قيادة معسكر القوات المسلحة فى بلسن ، وكان هو الذى نظم عملية ايواء ١٥٠٠٠ سجينا فى ثكنات ذلك المعسكر كان لابد من أن يحصل على تصريح خاص تليفونيا للقيام بذلك . ولم يحدث أن لجأ مطلقا الى الجنرال طلبا للمساعدة فيما يختص بموضوع الطعام أو أية صعوبات أخرى لأنى كنت أعلم انه لن يستطيع ان يقدم لى يد العون ، لان ذلك لم يكن من اختصاصه . ولم أضع فى اعتبارى أنه يتعين على أن أناشده المساعدة ، ذلك لأنى أعلم انه لايستطيع تقديمها . وعلاوة على ذلك فانى لا اعتقد أن أحدا فى ألمانيا كان يمكنه تغيير حصة طعام المعتقلين فى المعسكر ذلك لأن الطعام لم يكن متوفرا . ومن دواعى دهشتى الشديدة أن أسمع عن وجود كميات كبيرة وكافية من الطعام فى

معسكر القوات المسلحة . ورغم ذلك فلازلت أعتقد أن طلبى المساعدة من الجنرال ما كان له أى جدوى .

٦ – تناهى الى عملى أن بعضا من معاونى من قوات العاصفة متهمون بإساءة معاملة المعتقلين ، ومعاملتهم بوحشية . وأجد أنه من العسير تصديق ذلك لانى أثق بهم تماما . وأعتقد وأنا على صواب فى اعتقادى أنهم يقترفوا أية جرائم فى حق المعتقلين . وأعتبر نفسى مسئولا عن مسلكهم ولاأعتقد أن أحدا منهم خالف أوامرى التى تقضى بعدم اساءة المعاملة أو استخدام القسوة .

٧ – تولت قوات المجر مهام الحراسة حول الحدود الخارجية للمعسكر خلال الايام القلائل التى سبقت وصول القوات البريطانية ، وأقر بأنه خلال هذه الفترة زاد اطلاق النار عما كان مألوفا اثناء قيام القوات الالمانية المسلحة بالحراسة وأتذكر حادثة وقعت فى الخامس عشر من ابريل ١٩٤٥ فى ساعة متأخرة من بعد ظهر ذلك اليوم ، عندما ذهبت برفقة ضباط بريطانيين الى الارض المزروعة بالبطاطس ، وصدرت الى الاوامر بنقل جثة أحد المعتقلين من الرقعة الزراعية ، وأعتقد أنه من الاجرام أن يطلق الرصاص على هذا الرجل ولايساورنى أدنى شك فى أن المسئول عما حدث أما جنود القوات المسلحة الالمان أو المجريين .

٨ – كانت القوات المسلحة الالمانية تستخدم ميدان الرماية الذى يقع فى الجانب الشمالى الغربى من المعسكر التابع لى فى التدريب على اطلاق النار بصورة منتظمة يومين أو ثلاثة أيام فى الأسبوع .

ملحق (هـ)

الدور الذى قام به الفاتيكان

إن ما تتضمنه أية أكذوبة على غرار أكذوبة إبادة اليهود من مدلولات لا يمكن أن تتقيد بموضوعات متفرقة مثل اسرائيل ومراجعة أحداث الحرب العالمية الثانية . فقد تأكد قبل أعوام ليست بالكثيرة أن البابا بيوس الثانى عشر لم يعرب على الإطلاق عن إدانته لعمليات إبادة اليهود المزعومة سواء أثناء الحرب أو بعدها . وبطبيعة الحال أثارت هذه الحقيقة عدة مشاكل بالنسبة لتاريخ الدعاية المتعلقة بالحرب العالمية الثانية . أما الواقعة المحددة التى تسببت فى إثارة جدل عام فهى مسرحية هوخوت بعنوان : (النائب) . وتمثل المسرحية التى من المعتقد أنها تقوم على « بيان جيرشتاين » عملية مجردة من المبادئ الأخلاقية تماما وهى تشويه سمعة بيوس الثانى عشر وذلك من خلال سرد أحداث لا تتفق مع ما جاء فى البيان ، ومن ثم فهى تكديس لتلفيقات فوق تلفيقات . إلا أن مسرحية هوخوت كانت بلا أدنى ريب ، عاملا حافزا على مناقشة حقيقة هامة إلى حد بعيد على الرغم من أن المناقشة التى ترتبت على ذلك ، ودارت بين أناس خدعوا تماما بهذه الأكذوبة ولم توضح شيئا على الإطلاق وإنما زادت من اختلاط الأمور .

إن توضيح السبب الذى دعا بيوس الثانى عشر إلى عدم المجاهرة برأيه بصراحة فى غير ما تردد عن إبادة اليهود ليس أكثر ضرورة من توضيح السبب فى نكوصه عن الاحتجاج على إبادة الاسكيمو . على أن دور الفاتيكان ينطوى على بعض الأهمية بالنسبة لموضوعنا ، ومن ثم فإنه من المناسب أن نتناوله ببضع كلمات .

ولنبدأ بملاحظات قليلة عن خلفية الموضوع . فقد كان الفاتيكان فى الفترة ما بين ١٩٢٠ - ١٩٤٥ يعتبر الشيوعية بمثابة الخطر الرئيسى الذى يتهدد العالم بلا أية قيود . وبسبب هذا الوضع ، توسع فى إقامة علاقات ودية مع الفاشيين عقب توليهم السلطة فى إيطاليا عام ١٩٢٢ . وكانت الاتفاقية البابوية التى عقدت عام ١٩٢٩ ، والتى نقضت سياسات الحكومات الإيطالية السابقة على الفاشية والمعادية للكنيسة ، هى أساس العلاقات التى ظلت طيبة بوجه عام حتى سقوط موسولينى ١٩٤٣ .

وعندما تولى هتلر السلطة فى ١٩٣٣ راودت الفاتيكان نفس الآمال فى قيام نظام معاد للشيوعية من شأنه إقرار سلام داخلى مع الكنيسة . وبدا فى أول الأمر ، أن الأحداث سوف تتجلى تدريجيا كما هى الحال فى إيطاليا ، ودعمت الاتفاقية البابوية لعام ١٩٣٣ مع هتلر (لا تزال سارية المفعول) ، والتى تضمن للكنيسة حصة من الدخل الضريبى وتحدد اختصاصات الكنيسة والدولة على نحو سليم ، هذه الآمال .

ورغم ذلك فإن الأمور لم تسر على ما يرام . فبرغم تحديد الاتفاقية لحقوق الكنيسة فى مجال التعليم ، وثقافة الشباب بوجه عام ، بما يرضى الفاتيكان ، فقد وجد النازيون أنه من العسير مسايرة مثل هذه الشروط ، ووجدوا أن هناك سبلا عديدة للحد من النفوذ الكاثوليكى دون التنصل من شروط الاتفاقية بصورة رسمية . فعلى سبيل المثال ، منعت اتحادات الشباب الكاثوليكى من المشاركة فى الأنشطة الرياضية ، على اعتبار أن تقييد هذه الاتحادات بعالم الروحانيات سوف يضمن اضمحلالها . كما كان ثمة وسائل أخرى عديدة لإرهاب الآباء الذين يصرون على الحاق أبنائهم بمدارس الكاثوليك . وعلاوة على هذا ، كانت منشورات النازى مثل « الكتائب السوداء » و « العاصفة » تحمل عداء سافرا للمسيحيين ، وتكيل السباب بصورة متواصلة للبابا ورجال الدين الكاثوليك بصفة عامة ، وكان من بين التهم التى تؤثر هذه النشرات توجيها لرجال الدين هى أنهم منحرفون جنسيا أو إنهم على علاقات غرامية مع يهوديات .

وعلى الرغم من أن النازيين لم يتهربوا اطلاقا من الوفاء بأهم نص فى الاتفاقية ، وهو الالتزام بدفع حصة الكنيسة من الدخل الضريبى ، فإن العداء المتبادل أصبح شديدا حتى أن كثيرين شعروا بأن احتمالا كبيرا ماثلا دائما لحدوث (كفاح ثقافى) ثان ، (وكانت المرة الأولى عندما حاول بسمارك بغير نجاح ، فى سبعينات القرن التاسع عشر (١٨٧٠) القضاء على سلطان الكنيسة الرومانية فى ألمانيا) .

وقد أدى العداء بين النازى والفاتيكان فى عام ١٩٣٧ ، إلى اصدار أغرب منشور بابوى عام . وصدر المنشور باللغة الألمانية بدلا من اللغة اللاتينية كما هى العادة ، وكان واحدا من أعنف الحملات الهجومية التى شنها الفاتيكان على دولة معنية . وكان البابا وقتها هو بيوس الحادى عشر وكان يوجينو كاردينال باتشيلى ، الذى أصبح فيما بعد البابا بيوس الثانى عشر فى ١٩٣٩ آنذاك وزيرا لخارجية الفاتيكان ، وهو دبلوماسى ذو خبرة عالمية ، وقد عمل لمدة عشرة أعوام سفيرا للبابا فى ألمانيا ويجيد التحدث بالألمانية بطلاقة ، وكان

يعد بالفعل الوريث الظاهر للبابا بيوس الحادى عشر. وكان تفوقه فى مجال الدبلوماسية الدولية لا جدال فيه وقد كتب المنشور البابوى العام الذى صدر ضد ألمانيا تحت اشرافه.

وعلى الرغم من العداء المسلم به بين الكنيسة والنازيين، فلابد من أن نضع فى اعتبارنا أن الشيوعية فى رأى الفاتيكان كانت ماتزال هى العدو الأول. ذلك أنه بالنسبة لخصم، مثل النازيين الألمان، كان المجال لايزال يتسع لمناورات الكنيسة. لكن الشيوعيين فقد أظهروا حتى الوقت الراهن، أنهم أعداء ألداء. بالإضافة إلى أن المانيا لم تكن الدولة الأوربية الوحيدة التى على خلاف مع الفاتيكان. فقد كان يحكم فرنسا وتشيكوسلوفاكيا حكومتان شديدتان العداء لرجال الدين. وهكذا، فعندما نشبت الحرب، لم يسع الفاتيكان (رغم حياده الرسمى بطبيعة الحال) التحمس لأى طرف. ولما كانت الشيوعية تعد بمثابة العدو الأول، فربما كان من الأصوب أن يفضل الفاتيكان جانب دول المحور، غير أن ذلك كان بكل تأكيد فى رأيهم يمثل خيارا هو أهون الشرين. وعلاوة على ذلك، فقد كان ثمة خلاف كبير فى الأولويات داخل الكنيسة. وعلى سبيل المثال، كان سفير البابا فى برلين خلال الحرب المونسنيور سيزار أورسينو، يشعر بالارتياح فيما يبدو لانتصار المانيا على فرنسا ١٩٤٠، وأعرب لوزارة الخارجية الألمانية عن أمله فى أن يدخل الألمان باريس عن طريق فرساى. ومن ناحية اخرى كان راديو الفاتيكان الذى يسيطر عليه الجيزويت معاديا للألمان حتى أن البريطانيين كانوا يعتبرونه امتدادا فعليا لجهاز الدعاية التابع لهم.

لقد أفضنا كثيرا فى الحديث عن الخلفية السياسية لموقف الفاتيكان أثناء الحرب، ونعود إلى بحث حقيقة التزام البابا بيوس الصمت إزاء إبادة اليهود. ولن يكون من المعقول أن نستعرض هنا آراء كل من ساهم فى المناقشة، ومن ثم فاننا سنكتفى بقدر ما فى هذا الصدد. فى المقام الأول، هناك الفاتيكان ذاته، ويمثله أساسا ثمانية مجلدات من وثائق فترة الحرب نشرت خلال السنوات ١٩٦٧ - ١٩٧٤ وهى بيانات ووثائق المجمع المقدس المتعلقة بالحرب العالمية الثانية، وقد قام بإعداد هذه السلسلة روبرت جراهام، وهو أمريكى يسوعى ورئيس التحرير السابق لمجلة «أمريكا» اليسوعية، ويؤيد جراهام أسطورة الإبادة وقد أصبح المتحدث الرسمى الأول باسم الفاتيكان فيما يختص بهذه الأمور. ومن سوء الحظ أن المجلد الوحيد من الثمانية الذى خصص تماما لضحايا الحرب هو المجلد الأخير، نشر فى عام ١٩٧٤، ولا يحمل فى مضمونه سوى أحداث ديسمبر ١٩٤٢.

ومن بين المؤلفات العديدة التى نشرت فى هذا الصدد، وتمثل المواقف المختلفة أفضل

تمثيل مؤلفان حديثان هما « الفاتيكان فى عصر الدكتاتوريين » بقلم أنتونى رودس (لندن ١٩٧٣) وهو أحد المدافعين عن الفاتيكان ، والكتاب الثانى « يهود البابا » بقلم سام فلاجنار (لندن ١٩٧٤) ، وينتقد موقف البابا .

ويتمثل موقف الفاتيكان الرسمى ، كما جاء فى مقدمة المجلدات الثمانية للبيانات والوثائق فيما يلى :

جدد مايرون تايلور الممثل الشخصى للرئيس روزفلت خلال زيارته القصيرة للفاتيكان فى ٢٦ من ديسمبر (١٩٤٢) طلبا رسميا للحصول على معلومات . فقد تلقوا من مكتب جنيف التابع للوكالة اليهودية لفلسطين ، معلومات بشأن الوضع الباعث على اليأس ليهود بولندا واليهود الذين رحلوا إلى بولندا . ويصف التقرير ، المؤرخ ٣٠ أغسطس ، تصفية أحياء اليهود فى وارسو ، وعمليات الاعدام فى معسكر اسمه بلزيك وفى لوفو وفى وارسو . أما مصير المرحلين فقد كان الموت : وجاء فى التقرير « أن اليهود المرحلين من ألمانيا وبلجيكا وهولندا وفرنسا وسلوفاكيا ، كانوا يرسلون إلى المذابح ، بينما كان الآريون المرحلون إلى الشرق من هولندا وفرنسا يستخدمون فى واقع الأمر كعمال . « وجاء فى المذكرة التى بعث بها تايلور إلى الكاردينال ماجليون (وزير خارجية الفاتيكان) « سأكون شاكرا لنيافتكم إذا ما أمكن إبلاغى عما إذا كان لدى الفاتيكان أية معلومات تؤكد ما ورد فى التقرير المرفق بهذه المذكرة . فإذا صح ذلك فإننى أود أن أعرف ما إذا كان لدى قداسة البابا أية مقترحات بشأن بعض الوسائل العلمية للاستفادة بقوى الرأى العام فى العالم المتحضر حتى يتسنى الحيلولة دون مواصلة هذه الأعمال الوحشية » .

وكان على الكاردينال ماجليون أن يرد فى ١٠ أكتوبر بأنه من جانبه ليس لديه أية معلومات خاصة تؤكد تقرير جنيف . وفى الواقع ، كانت المعلومات المفصلة التى تلقاها الفاتيكان حاليا هى نفس المعلومات التى لدى الولايات المتحدة . وكان مصدر هذه المعلومات هو سفير بولندا لدى الفاتيكان والمنظمات اليهودية ذاتها . كذلك وردت تقارير بشأن الاجراءات القاسية التى تتخذ ضد الآريين إلى مقر البابا من مصادر أخرى ، غير أنه فى الوقت الحاضر من المتعذر التأكد من مدى صحتها » . وفى ظل هذه الظروف ، لم يستلزم الأمر الرد على السؤال الثانى يتمثل فى الوسائل العلمية التى ينبغى اتخاذها فى هذا الشأن .

وتعد المذكرات التى كتبها ماجليون عقب تسلمه وثيقة تايلور ذات أهمية بالغة . لا أعتقد

أن لدينا معلومات تؤكد هذه الأنباء الخطيرة ، أحقا ؟ فقد كتب (مسجل المحاضر الرسمية) من جانبه فى المذكرة : « هناك مستر مالفيزى » وكانت معلومات مالفيزى ، وهو مسئول بإحدى المؤسسات الإيطالية عاد مؤخرا من بولندا ، خطيرة ولكنها تتسم بطابع العمومية ولا تتفق مع ما جاء بتقرير جنيف .

ويمكن تفسير ما سمعه الكاردينال وزير الخارجية من « اجراءات صارمة » على ضوء وثائق هذين العامين . فالمعلومات التى تلقاها الفاتيكان عبارة عن معلومات متناقلة بطريقة غير مباشرة ، على أنها أخذت على محمل الجد ، المعاملة الوحشية التى كان يلقاها يهود المجر وكرواتيا وسلوفاكيا وفرنسا والدول الأخرى .

أما مكان المرحلين فى نهاية الأمر . أو ما هى خطة النازيين ، فكانت لا تزال مسائل مبهمة . وعلى سبيل المثال ، تحدث المونسنيور بورزيو القائم بالأعمال فى سلوفاكيا فى شهر مارس عن المرحلين باعتبار أنهم سيواجهون « الموت المحقق » ، من الواضح أنه استند فى هذا التأكيد على الأوضاع اللا إنسانية للمرحلين ومعاملة الحراس التى اتسمت بالوحشية . وبعد هذه المقدمة ، أصبح من اليسير تخيل عدم قدرة المسنين والمرضى والأطفال على الصمود طويلا ، حتى لو لم يقض عليهم التيفوس فى المعسكرات المزدحمة غير الصحية . وهذا ينطبق أيضا على ملاحظة يوجين كفاترنيك قائد قوات بوليس كرواتيا الذى أعلن أن الألمان تسببوا بالفعل فى قتل ٢ مليون يهودى وأن يهود كرواتيا ينتظرهم نفس المصير . وبعدها تأكدت هذه الكلمات بأنها دقيقة جدا وهذا كل ما فى الأمر . ورغم ذلك فمن الواضح أن ممثل قداسة البابا الأب آبى ماركونى ، عندما أبلغها للفاتيكان ، لم يكن يعتقد أو لم يكن فى قدرته أن يعتقد أنه ينبغى أن تؤخذ كما هى . وإنما سينبغى للمرء على الأقل اعتبارها بمثابة فصل خطير من مأساة لم تظهر إلا خطوطها العريضة .

وشهدت نهاية عام ١٩٤٢ بيانات عامة عديدة بشأن عمليات الترحيل . وفى ١٧ ديسمبر ، نشرت الأمم المتحدة بيانا فى لندن حول حقوق الإنسان ، أدانت فيه ، فى لهجة شديدة ولكن بشكل عام ، المعاملة التى يلقاها اليهود . وفى ٢٤ ديسمبر وجه البابا الثانى عشر ، رسالته عشية عيد الميلاد ، وأشار فيها بصورة واضحة تماما إلى عمليات الترحيل التى لم يسع العالم فى ذلك الوقت ، سوى تكوين فكرة عنها بكل صعوبة .

ولا يعد هذا الايضاح من جانب الفاتيكان مقبولا . فمن الطبيعى حقا أن تظهر فقرات متفرقة تتصل بإبادة اليهود فى وثائقه . فضلا عن أى شخص عاقل لا يمكنه إنكار أن غالبية

هذه العبارات لابد وأن توصف بأنها دعاية مختلفة ، ذلك لأن مزاعم الإبادة اما أن تقترن من بعض النواحى بمزاعم أخرى لن يدافع عنها أحد الآن ، وإما أن ترتبط بأحداث غريبة تجعل من المستحيل تصديقها . فعلى سبيل المثال ، ادعت مذكرة بتاريخ ٢ يناير ١٩٤٣ بعث بها فلاديلاس اكيفيتش رئيس الحكومة البولندية فى المنفى فى لندن إلى الفاتيكان ، أن الألمان شرعوا فى القيام بعمليات إبادة شاملة للشعب البولندى إلى جانب الأقلية اليهودية ببولندا (مما يتفق مع تحليلنا فى الفصل الثالث ، فقد أشارت المذكرة إلى معسكر أوشفيتز بما يدل على أنه لم يكن أحد أماكن الإبادة) . ولقد أوضحنا بالفعل فى الفصل الثالث أن بورزيو القائم بأعمال البابا فى سلوفاكيا ، أرسل بعض الحكايات الملفقة إلى روما ، وسوف نستعرض مزيدا من هذه العبارات فيما بعد .

ولابد للمرء من أن يوافق بالطبع رأى الفاتيكان بأن مثل هذه المعلومات التى حصل عليها خلال الحرب لا يمكن أن تكون دليلا مقبولا على عمليات الإبادة ، وهذا ما تم اثباته فعلا فى هذا الكتاب . ورغم ذلك ، فإن هذه ليست المشكلة . فالمتحدثون باسم الفاتيكان اليوم لا يؤكدون أن معلوماتهم لا تكشف عن برامج الإبادة فحسب ، وإنما يؤكدون ان عمليات الإبادة قد حدثت على نطاق القارة كلها ، دون معلومات أكيدة عنها إلى الفاتيكان . وهذا الزعم هو الذى يدعو إلى الضحك ولكنه لا يمكن التفكير فيه لأكثر من ثوان .

وليس فى الإمكان تنفيذ برنامج إبادة من النوع المزعوم دون علم الفاتيكان . فمن المفترض أن عمليات القتل كانت تتم أساسا فى بولندا الكاثوليكية ، حيث للكنيسة رجالها وحيث القساوسة الكاثوليك فى كل قرية ، وهم فى موقع (حيث يستمعون إلى الشائعات والاعترافات) يجعل من العسير حدوث أمور مثل عمليات الإبادة دون علم رجال الدين الكاثوليك البولنديين بأسرهم . وحقيق أن الألمان كانوا يفرضون رقابة على أية اتصالات ببولندا ، حتى لا يتسنى اتصال رجال الدين فى بولندا بالفاتيكان بحرية عادية ، كما ورد فى مقدمة المجلد الثالث من بيانات ووثائق المجمع المقدس فيما يتعلق بالحرب الثانية ، غير أنه ورد كذلك ، انه كان هناك وسائل عديدة للتغلب على هذه الرقابة ، ولا سيما عن طريق الايطاليين الذين كانت لهم أعمال مختلفة فى بولندا والشرق ، ومن خلال الرسائل التى يحملها أناس معينين من بولندا إلى مكتب السفير البابوى فى برلين ، الذى كان على اتصال بالفاتيكان من خلال الطرق الدبلوماسية المتميزة .

ويدرك رودس أن ادعاء الجهل بعمليات الإبادة لا يمكن الدفاع عنه ومن ثم يسلم (حيث إنه يفترض حدوث عمليات الإبادة) بأنه لابد وأن البابا بيوس الثانى عشر قد علم بهذه العمليات . ويبدو أن تفسير عدم المجاهرة بلا مواربة فى رأى رودس هو الخوف من أن تؤدى أية ادانة علنية أو صريحة إلى وضع الكاثوليك فى ألمانيا والأراضى المحتلة فى مركز سيئ . ويؤكد رودس بعد ذلك أنه فى رسائله الخاصة التى بعث بها إلى رؤساء الدول فيما يتعلق باضطهاد اليهود ، أعرب بيوس الثانى عشر بالتأكيد عن رأيه بكل صراحة » . ثم يعرض مثالين من هذه الرسائل السرية ، يتصلان بسلوفاكيا والمجر ، لا تتضمنان أية إشارة إلى عمليات الإبادة ، ولكنها تتحدث عن عمليات الترحيل واضطهاد اليهود بوجه عام .

إن الصورة التى رسمها رودس لبيوس والذى تظهره بمظهر الجبان الذى يخشى الإعراب عن رأيه بصراحة ضد النازيين وبرامجهم ، لا يمكن أن تصمد لعدة أسباب . فكما يبدو من الوثائق التى يستشهد بها رودس يتعين عليه أن يعلن أن البابا كان يخشى أيضا أن يعرب عن رأيه بصراحة فى الاتصالات الدبلوماسية السرية . فضلا عن أن السجل التاريخى لا يؤيد الصورة التى رسمها رودس للكنيسة الكاثوليكية التى التزمت الصمت خوفا من إرهاب النازيين . ولم يلتزم أساقفة الألمان الصمت مطلقا خوفا من إرهاب النازيين ، فعلى حين أنهم لم يعارضوا ، كزملائهم فى دول الحلفاء ، المجهود الحربى الألمانى ، فإنهم كانوا يعلنون فى صراحة تامة خلال الحرب معارضتهم للسياسات المتعلقة بالأمور الدينية وقيم النظام الاشتراكى الوطنى ، كما كانوا يعربون عن معارضتهم فى الصحف الكاثوليكية التى تصدر فى ألمانيا ومن فوق منابر الوعظ فى أنحاء ألمانيا . فنى ديسمبر ١٩٤٢ ، اجتمع الأساقفة الألمان فى مؤتمرهم السنوى فى فولدا ، وبعثوا ببيان إلى الحكومة الألمانية يستنكرون فيه اضطهاد الكنائس الكاثوليكية فى الأراضى المحتلة . وفى يناير ١٩٤٣ أدان كونراد كونت فون بريزنج ، أسقف برلين علانية سياسات ونظرات النازى العنصرية . وفى أغسطس ١٩٤٣ أعلن الأساقفة الألمان استنكارهم لسياسات النازى المعادية للتعليم الكاثوليكى ، ونشر هذه الاستنكار فى كافة أنحاء ألمانيا . والحقيقة التى لا مفر منها هى أن الكنيسة الكاثوليكية لم تلتزم الصمت بدافع الخوف من الإرهاب .

ولا يفسر الافتقار إلى الشجاعة السبب الذى دعا البابا بيوس الى عدم إدانة عمليات الإبادة المزعومة بعد هزيمة النازى . فقد كان الخطاب الذى ألقاه البابا أمام مجمع الكردالة فى ٢ يونية ١٩٤٥ ، هجوما طويلا ولاذعا على النازيين المنهزمين ، ورغم ذلك ، فإن

العبارة الوحيدة التى يمكن أن تفسر على أنها إشارة لعمليات الإبادة فى هذا الخطاب هى « تطبيق تعاليم الاشتراكية الوطنية ، التى بلغت حد استخدام أشد الأساليب العلمية مضاء فى تعذيب أو إبادة أبرياء فى أغلب الأحيان » . ومع ذلك ، وبقراءة المزيد من الخطاب يصبح من الواضح أن البابا ، مثله مثل الكثيرين فى ذلك الوقت ، كان يفكر فى مشاهد مأساوية عثر عليها فى المعسكرات الألمانية فى نهاية الحرب . وكان الضحايا الوحيدون الذين ذكروا بالتحديد هم القساوسة الكاثوليك الذين اعتقلوا فى داخاو ، وقد قضى على نسبة كبيرة منهم لأسباب تناولناها بإسهاب فى هذا الكتاب . وعلى الرغم من أن البابا بيوس أشار إلى أحد الأساقفة المساعدين البولنديين الذى مات بمرض التيفوس ، فإن ملاحظته تترك الانطباع بأنه يعتقد أن الوفيات بالمعسكرات كانت متعمدة من قبل النازيين ، ووصف القساوسة المعتقلين فى داخاو بأنهم « تحملوا معاناة لا يمكن وصفها من أجل عقيدتهم ومن أجل رسالتهم » . ولم يرد بالخطاب أى شىء عن إبادة أية مجموعات وطنية أو دينية أو عنصرية .

وفى الوقت الذى لم يظهر فيه تاريخ الكنيسة الرومانية أنها التزمت الصمت خوفا من الإرهاب خلال فترة الحرب ، فقد تعرض الفاتيكان رغم ذلك إلى ضغوط إلى حد ما ، كما اتضح من فحص الظروف التى اقتضت إصدار بيان البابا بيوس الذى بدا أقرب إلى إدانة عمليات الإبادة فى رسالته التى وجهها عشية عيد الميلاد عام ١٩٤٢ .

وقد رأينا فى الفصل الثالث ومما سبق أنه فى خريف ١٩٤٢ ، استفسر الحلفاء من الفاتيكان عما إذا كانت لديه أية معلومات تؤيد مزاعم الإبادة التى ظل الحاخام وايز وبعض الآخرين يرددونها عدة شهور ، وكان رد الفاتيكان أنه لا يملك مثل هذه المعلومات . بينما اشتم البابا بيوس ولويجى كاردينال ماجليونى وزير الخارجية ، بلا شك ، رائحة دعاية فور سماعهم هذه الأنباء ، ويبدو مما سبق أن الفاتيكان بذل على الأقل بعض الجهد لتقصى الأمور . كذلك اجتمع سفير البابا فى إيطاليا المونسنيور فرانشيسكو بورجونينى – دوكا ، فى ١٠ نوفمبر ١٩٤٢ مع جويدو بوفاريتى وكيل وزارة الداخلية ، بهدف مناقشة الموقف السياسى والعسكرى بوجه عام . وتم بحث موقف اليهود وبعث بورجونينى إلى ماجليونى بتقرير جاء فيه :

ثم تحدث إلى بخصوص الخطاب الذى ألقاه هتلر (فى ميونيخ فى الثامن من نوفمبر)

وسألته عما إذا كانوا يقصدون بعمليات الانتقام الخنق باستخدام الغاز ، فأجابني مرتين بالنفي بصورة حاسمة .

وهكذا فإن الفاتيكان لم تكن لديه أساسا أية معلومات ، فى خريف ١٩٤٢ ، تؤكد مزاعم الإبادة وقد اتخذ هذا الموقف من خلال اتصالاته بممثلى الحلفاء عند إثارة الموضوع . وقد أوضحنا فى الفصل الثالث بأنه لم يكن هناك سوى مذكرة مجهولة المصدر ، ربما كان مصدرها الفاتيكان ، ظهرت فى أواخر نوفمبر ، تؤيد مزاعم الإبادة . إلا أنه ، نظرا لأن هذا لم يكن بموقف الفاتيكان ، فإن المذكرة تعد بلا شك مزيفة إلى حد ما . أما إذا كانت المذكرة من مصدر من الفاتيكان فلابد وأن يكون من اختلقها هو فرجيليو سكاتوفيني ، الذى يعمل بصحيفة الفاتيكان « لوزرفاتور رومانو » والذى كان يتظاهر بأنه من المطلعين على بواطن الأمور فى الفاتيكان حتى يتسنى له بيع « معلوماته » المختلقة والتى حيكت بطريقة تناسب المشترى لكل القادمين ، والذى كان مكتب الخدمات الاستراتيجية يعتبره فى فترة ما « رجلنا فى الفاتيكان » .

وثمة احتمال أضعف يتمثل فى المذكرة مصدرها القس بيروسكا فيزى ، لقد شرحت المعلومات التى حصل عليها الفاتيكان فى ديسمبر ١٩٤٢ ، فيما يتعلق باضطهاد النازى لليهود ، بصورة ممتازة فى رسالة كتبها المونسينور جيوسيبى دى مجليو من العاملين مع أورسينيو ، سفير البابا فى برلين ، وسلمت إلى الفاتيكان عن طريق دى مجليو فى ٩ ديسمبر ١٩٤٢ . وتتناول الرسالة باسهاب السياسات الالمانية تجاه اليهود. والافتراض المعقول أن تكون هذه الرسالة قد كتبت ردا على طلب وجه إلى أورسينيو من الفاتيكان ، للحصول على مثل هذه المعلومات . ولا شك أن السفارة البابوية فى برلين كانت تعتبر أفضل مصدر لمثل هذه المعلومات داخل الكنيسة . حيث كان يتم ، كما أشرنا من قبل ، اتصالات كثيرة بين بولندا والفاتيكان عن طريق مكتب أورسينيو فى برلين . وفيما يلى أهم ما ورد فى الرسالة فى الجزء الذى تناول اليهود :

بما أن الكثيرين فروا ، قبل وصول القوات الالمانية ، من الاراضى البولندية التى يحتلها الروس ومن الاراضى الروسية ، فبوسع المرء أن يقدر أنه يوجد فى الوقت الحاضر فى المانيا والأراضى المحتلة ، بما فى ذلك محمية بوهيميا – مورافيا ، ما يربو على ٤ مليون يهودى أى ربع يهود العالم بأسره .

اجراءات

١ – إنشاء احياء لليهود :

تم تخصيص احياء داخل بعض المدن لاقامة اليهود بصورة رسمية مع منحهم حق الادارة وأن تكون لهم قوات شرطة خاصة بهم ووسائل اتصال ملائمة .

وأهم أحياء اليهود التى أقيمت حتى الان ، هى أحياء لتز مانشتات (لودز) ووارسو . كذلك تقام بعض هذه الاحياء فى دول البلطيق فى الأراضى الروسية المحتلة .

٢ – معسكرات الاعتقال :

ولما كان من الواضح ، أنه لا يمكن توفير أماكن اقامة لكافة اليهود فى احياء اليهود ، فقد أقيمت لهم معسكرات اعتقال ضخمة حيث يعيشون حياة صعبة ، لا يتوفر فيها سوى القليل من الطعام ، ويعهد اليهم القيام باعمال شاقة للغاية – وهى أوضاع تؤدى بالكثيرين منهم إلى الموت سريعا .

ويقال إن هذه المعسكرات لا تزال تقام حتى الان فى بولندا ، وأن الحكومة الالمانية قررت فى مشروعات أن تكون الاراضى الشرقية ولا سيما بولندا بمثابة مكان الاقامة النهائى ليهود أوروبا .

وعلى العموم ، وحتى لا يتم لفت الانظار أكثر مما ينبغى ، فإنه يتم ارغام اليهود على الرحيل فى منتصف الليل ، ويسمح لهم بأن يأخذوا معهم قليلا من الملابس ومبلغا ضئيلا من النقود .

٣ – النجمة :

ومنذ شهر سبتمبر ١٩٤١ ، ارغم كل اليهود على حمل شارة مميزة عبارة عن نجمة صفراء ، سداسية الشكل ، توضع على الصدر ، كتب فى وسطها كلمة يهودى .

وكان مشهد هؤلاء البؤساء ، شاحبى الوجوه ، هزيلى الابدان (حيث نصيبهم من الطعام أقل بكثير من الالمان ، وحيث يحرمون تماما من بعض أنواع الاطعمة) ، وهم يتجولون فى الشوارع فى ساعات معينة من اليوم ، أو عندما يسافرون ، يتجمعون معا فى الأركان ، يثير شعورا عميقا بالذعر والأسى .

أى معاملة لا إنسانية فى الأراضى المحتلة وفى الدول التى تخضع سياسيا لألمانيا .

وقد قدم لى صحفى إيطالى عاد من رومانيا منذ وقت قريب ، تقريرا مفصلا حول الوسائل الوحشية التى تستخدم فى هذه الدولة ، بايعاز من الالمان أساسه ضد اليهود .

وروى لى أن قطارا مزدحما باليهود عن آخره وقد أغلقت جميع منافذه حتى إنه تعذر على الهواء الدخول إليه وعندما وصل القطار إلى وجهته ، لم يكن به سوى القليل من الاحياء ، وهم أولئك الذين وجدوا أنفسهم بالقرب من أماكن ليست مغلقة تماما وكان بوسعهم التنفس ولو بشق الأنفس . .

واختتم دى مجليو هذا الجزء من رسالته بالإشارة إلى شخصية معادية للمسيحين وهو الفريد روزنبرج مدير معهد تقصى النفوذ اليهودى فى الحياة الدينية فى ألمانيا ، وكذلك بالإشارة إلى عدم اهتمام رجال الدين الالمان بمحنة اليهود .

وتعد معلومات دى مجليو من جوانب عديدة غير صحيحة . فعلى سبيل المثال يمكننا تكوين فكرة عادلة عن الأوضاع الفعلية لترحيل يهود رومانيا من تقرير الصليب الأحمر مما ورد فى الفصل الخامس فى هذا الكتاب ومن مصادر أخرى ، وكذلك من كتابات جنسبرج . ومن المؤكد أن الاحداث التى وردت بالقصة التى يرويها الصحفى الايطالى المجهول انما كانت محض اختلاق . ويبدو أن دى مجليو على استعداد للموافقة على ما هو أسوأ من ذلك .

وتنطوى معالجة دى مجليو لدور معسكرات التجمع على قدر من اساءة تفسير الأوضاع الفعلية . ذلك لسبب واحد هو أنه أشار إلى أن الكثيرين من اليهود أرسلوا إلى معسكرات الاعتقال نظرا لعدم توفر أماكن كافية لهم فى أحياء اليهود ، وهذا ليس صحيحا . فقد أرسل اليهود ، ضمن آخرين ، إلى المعسكرات فى بولندا حيث كانت احتياجات العمل تتطلب ذلك . كذلك ترك دى مجليو انطباعا بأن المعسكرات لم تكن فى المقام الأولى سوى اماكن اقامة لليهود ، الأمر الذى يجانبه الصواب أيضا . وربما بالغ أيضا فى الافتقار إلى الطعام الصحى فى المعسكرات ، بيد أنه كما رأينا فى الفصل الرابع ، كان على حق على أقل تقدير بالنسبة لمسألة ارتفاع نسبة الوفيات فى المعسكرات ، فى الوقت الذى كتب فيه تقريره رغم أن العمل الاضافى لم يكن السبب فى هذه الزيادة فى نسبة الوفيات .

وبمعنى آخر ، فإن وصف دى مجليو للموقف ، يمثل الحقيقة بشكل عام أو بشكل تقريبى ، مع بعض الاخطاء ، والمغالاة لاستعداده لتصديق ما هو أسوأ من ذلك . ومن

الواضح أنه لم يكن لديه أية معلومات بشأن وجود برنامج ابادة حتى وإن لم يصل إلى ذلك الذى اختلقته دعاية الحلفاء وكان يجرى ابلاغه إلى الفاتيكان عن طريق العديد من دبلوماسى الحلفاء والمنظمات اليهودية .

وقد تضمن خطاب البابا الذى ألقاه بمناسبة عيد الميلاد ملاحظة عابرة ، دون اشارة واضحة إلى اليهود ، حول « مئات الآلاف الذين ، بلا خطأ ارتكبوه ، وبسبب الوطن أو الجنس ، حكم عليهم بالاعدام والابادة التدريجية » .

واختلط الأمر على برلين فى ردود فعلها ازاء الخطاب ، فاعتبره المكتب الرئيسى لأمن الرايخ هجوما مباشرا على حكومة النازى ، فى حين اعتبرته وزارة الخارجية ، فيما يبدو ، هذرا من رجال الدين . أما الحلفاء ، فكما نذكر من الفصل الثالث ، فقد اعتنقوا رسميا مزاعم الابادة فى ١٧ ديسمبر ، فى بيان قدر فيه « عدد الضحايا بعدة مئات من الآلاف » من اليهود ، ولم يشعروا بالرضا لبيان البابا ، واعتقدوا أنه لم يكن صريحا بالقدر الكافى . الا أننا نعتقد ، أن ملاحظة خطاب عيد الميلاد تبدو قوية لدرجة تدعو للدهشة لأول وهلة ، نظرا لصورة الموقف التى تلقاها الفاتيكان من السفارة البابوية فى برلين ، وكذلك نظرا لغرابة ابداء البابا لأقوى ملاحظة من نوع كان ينبغى ابداؤه فى بداية الحرب ولا يكررها مرة أخرى .

أما تفسير ظهور ملاحظة « الموت والابادة التدريجية » فى الخطاب الذى القاه البابا عشية عيد الميلاد ، فإننا نجده فى وثائق الفاتيكان المتعلقة بفترة الحرب . ففى أواخر عام ١٩٤٢ وأوائل عام ١٩٤٣ كان أحد الاهداف الدبلوماسية الرئيسية للفاتيكان يتمثل فى الحصول على وعد من جانب الحلفاء بعدم قصف روما . وكان البريطانيون مصرين بصفة خاصة على حقهم فى قصف روما ، بالمقارنة بالأمريكين ، الذين كان لديهم أقلية كاثوليكية كبيرة تشكل عنصرا هاما فى القاعدة السياسية للسياسة الجديدة التى يتبعها روزفلت . وأصر البريطانيون على موقفهم من عدم امكانهم أن يولوا روما أى اعتبار خاص وقصفها متى استلزمت العوامل العسكرية اتخاذ مثل هذا الاجراء . ولم يكن الفاتيكان فى سعيه وراء تحقيق هدفه يتعامل مع الحلفاء ، محاولا تحويلهم عن طريقهم الواضح فحسب ، وإنما كان يتعامل ايضا مع الألمان والايطاليين ، محاولا اقناعهم بابعاد اية عمليات ذات طبيعة حربية عن روما (ولم يكن بالمدينة سوى النذر اليسير من الصناعات الحربية ، ولكنه كان ثمة مقر قيادة عسكرية وثكنات عسكرية) . وفى ديسمبر ١٩٤٢

وافقت الحكومة الايطالية على نقل مقر قيادتها العسكرية من روما . واجتمع الكاردينال ماجليونى ، بعد أن شعر الفاتيكان بأنه تم احراز بعض التقدم نحو هدفه ، فى ١٤ ديسمبر ، مع السفير البريطانى لدى الفاتيكان سير دارسى أوسبورن ، حتى يبلغ هذا التطور إلى البريطانيين ويبحث أيضا مسألة القصف . ورغم ذلك ، فإن أوسبورن لم يتأثر ، وأشار إلى أن القوات الايطالية لا تزال مرابطة بالمدينة . وأوجزت مذكرات ماجليون ما تم فى الاجتماع على النحو التالى :

أوضح السفير أن المرء يشعر بانطباع أن مقر البابا مشغول بصفة خاصة بالمدن الايطالية ، عندما يتحدث عن القصف ، لأنها مدن إيطالية .

وقد أعربت له عن الملاحظات التالية :

١ – أنه بالنسبة لروما ، فهناك اعتبارات خاصة ، عرضتها عليه (ولم يفتنى أن أعيد على مسامعه أنه فى حالة قصف روما ، فإنه مقر البابا سوف يقدم احتجاجا) .

٢ – أن المقر البابوى سيتدخل الان ضد قصف المدنيين فى المدن الايطالية نظرا لأن عمليات القصف تجرى الان وينبغى على السفير الا ينسى أن قداسة البابا تحدث عن عدم قصف سكان عزل فى مناسبات أخرى : وعندما كانت المدن الانجليزية تتعرض للقصف ، كان الجميع يدركون أن قداسة البابا لم يفته ادانة عمليات القصف فى عمليات القصف فى واقع الأمر .

وأدرك السفير عدالة ما أبديت من ملاحظات ثم تساءل : ولكن ما السبب فى عدم تدخل المقر البابوى فى قتل اليهود بصورة مرعبة ؟

وأعدت على مسامعه أن قداسة البابا أكد بالفعل ، فى رسائله ، الحق فى الحياة والحق فى التعايش السلمى وفى نصيب عادل من خيرات هذا العالم ، لكافة البشر ، أيا كان جنسهم أو دينهم .

وأضفت أنه لا يتعين على المرء أن يغفل مدى ما بذله قداسة البابا وما يبذله لرفع معاناة اليهود البؤساء . وأن أولئك اليهود يدركون ذلك ويكررون شكرهم للمقر البابوى لما بذله كثيرا من أجلهم .

وأصر السفير على هذه النقطة : أنه من الضرورى أن يتدخل المقر البابوى لوقف مذابح اليهود . (انتهت المذكرة) .

وفى ساعة متأخرة من نفس اليوم التقى أوسبورن بمونسينور دومينسيو تارديني وزير

خارجية الفاتيكان ، وأكد له فيما يتعلق بنقل مقر القيادة العسكرية الايطالية من روما « أن الأمر لن يغير شيئا » . وأوجز تارديني محادثته مع أوسبورن فى مذكراته واختتمها قائلا :

ربما أوضح نقل القيادات العسكرية بصورة أفضل أن من يقصف روما يتسم بالوحشية (كما أن المقر البابوى يعد طرفا معنيا بالأمور) ، غير أن ذلك لن ينقذ روما من القنابل .

وهكذا نرى خلفية الملاحظة التى أدلى بها البابا عشية عيد الميلاد فقد بدا للفاتيكان من اجتماع أوسبورن وما جليونى أن الانجليز يعرضون فى الواقع صفقة : أن يدين البابا ابادة اليهود فى مقابل عدم تعرض روما لغارات الحلفاء ، وهو موقف مغير من شأنه اقناع قداسة البابا ذاته . وبصرف النظر عن أية اعتبارات اخلاقية محتملة ، فقد كان من الواضح للفاتيكان أنه لا يسعه انتهاك حياده الرسمى باتهام الالمان علانية بجرائم ملفقة تماما ، وعلى أية حال ، فالالمان لا يزالون يمثلون الدولة المسيطرة عسكريا على القارة فى ذلك الحين ، ولذا بدت الملاحظة التى أبداها البابا عشية عيد الميلاد دون اشارة محددة لليهود أو ألمانيا (إلى جانب الملاحظات الاخرى التى بدت تقريبا معادية للالمان دون تحديد) . ولم تنجح هذه الخطوة ولم يتضائل تهديد الحلفاء لروما بعد عيد الميلاد ١٩٤٢ ، ولم يصدر عن الفاتيكان بطبيعة الحال مزيد من الملاحظات من ذلك النوع .

وأشار البابا بيوسى اشارة عابرة مناسبة إلى الملاحظة التى أبداها فى عيد الميلاد فى خطابه المؤرخ ٣٠ ابريل ١٩٤٣ لصديقه فون برايزنج أسقف برلين ، غير أنه حتى فى هذه الرسالة الخاصة كانت كلماته المحددة حول هذا الموضوع أخف حدة من لهجة الملاحظة التى أبديت عشية عيد الميلاد .

ورغم أن الفاتيكان لديه العذر تماما فى تفسيره لملاحظات أوسبورن على أنها اقتراح محدد ، فمن المرجح تماما أنه اساء التفسير رغم ذلك ، وأن أوسبورن نفسه لم يتصور أنه يعرض صفقة . ويمكن القول على سبيل المثال ، أن أوسبورن قد شعر أن ماجليونى يتمتع بمركز قوى نسبيا وبالتالى فقد تناول شيئا بعيدا عن السياحه حتى يستكمل دوره من المناقشة الشفوية . وقد صدر بيان الحلفاء الرسمى عن عمليات ابادة اليهود بعدها بثلاثة أيام ، وبالتالى فقد كان الموضوع منتشرا دون شك ، فى الهيئات الدبلوماسية ووصل إلى أوسبورن بطريقة طبيعية .

وتعرضت روما للقصف لأول مرة فى ١٩ يوليو ١٩٤٣ (من قبل الأمريكيين) ، وكان الهدف هو مراكز السكك الحديدية التى كانت القوات الالمانية والايطالية بدأت تمر بها

عقب احتلال الحلفاء لصقلية فى ٩ يوليو . وفى الغارات المتتالية كانت القنابل تسقط على الفاتيكان من حين لآخر ، غير أن الاضرار التى لحقت بالآثار التاريخية والدينية ، فى الفاتيكان وأى مكان آخر فى روما ، كانت طفيفة .

والنقطة الأخرى الوحيدة التى لها بعض الأهمية بالنسبة لدور الفاتيكان تتمثل فى أن مساعيه من أجل تقديم المساعدات لليهود كانت مكثفة إلى حد بعيد ، كما بحثها رودس . رغم أنه لابد من الاطلاع على ما ورد فى كتاب فاجنار فى هذا الصدد ، للتعرف على النقاط التى أغفلها رودس . ورغم هذا ، وعلى ضوء تحليل أسطورة الابادة ، فإن الاستنتاج الهام الوحيد الذى يستخلص من أنشطة الفاتيكان هو أنها تقدم المزيد من المعلومات التى تبين أنه لم يكن من الممكن أن تحدث عمليات ابادة دون أن يعلم الفاتيكان عنها شيئاً ، نظراً لأن الفاتيكان كان مهتماً بالشئون اليهودية فى أوروبا فى ذلك الحين.

وفى الوقت الذى لا تعد فيه النقاط الهامة بالنسبة لدور الفاتيكان ، كثيرة وتمت تغطيتها ، هناك بضع أمور غريبة يمكن أن نستعرضها أيضا فى معرض تناولنا للموضوع .

ثمة شخصية غريبة الأطوار برزت فى وثائق الفاتيكان خلال فترة الحرب هو بيروسكافيزى ، وهو قس عادى للغاية ، كان يستقل قطارات المستشفى العسكرى الإيطالى التى كانت تتنقل جيئة وذهابا بين إيطاليا والجبهة الشرقية . وكان يطلق عليه موزع الصدقات ، وكان يقدم المساعدات للجرحى من الجنود الإيطاليين أيا كانت المساعدات التى تقدم فى مثل هذه الظروف . ولما كان كثير السفر ، فقد كان من ناحية أخرى يستخدم فى كثير من الأحوال كحامل رسائل ، ويبدو أن اتصاله عن قرب كثيرا ، وقيامه بصورة منتظمة بتسليم رسائل إلى كبار الاساقفة ، قد ألهبا خياله .

وكان الحادث الأول الغريب من نوعه فى فبراير– مارس ١٩٤٢ . فقد عرض سكافيزى رسالة ، زاعما أنها من آدم سابيها كبير أساقفة كراكاو ، بخصوص موضوع معاناة القساوسة الكاثوليك تحت نير الالمان القساة . على أن الظروف كانت غاية فى الغرابة . كما ورد فى « البيانات والوثائق » .

تخلى كبير الاساقفة عن كل حذر ووصف . . قسوة الاضطهاد النازى ومأساة معسكرات الاعتقال . غير أنه بعد أن أودع هذه الشهادة مع . . سكافيزى ، انتابه الخوف وبعث برسالة الى سكافيزى يطلب إليه فيها احراق الوثيقة « خشية أن تقع فى أيدى الالمان ، الأمر الذى سيؤدى إلى إعدام جميع الأساقفة رميا بالرصاص وربما غيرهم » . فما

كان من الأب سكافيزى إلا أن تخلص من المذكرة المعنية ، ولكن بعد أن نقل صورة منها بخط يده وأضاف إليها فى نفس الوقت شهادته الخاصة عن المأساة واليأس الذى يسود الحياة اليومية للكاثوليك فى بولندا .

ويؤدى إبراز سكافيزى للرسالة التى أحرقها ، مراعاة لطلب كاتب الرسالة ، بالضرورة إلى أن يشعر المرء بقليل من عدم الارتياح تجاهه ، ولكن دعنا نسايره بعض الشىء . فهو يطلعنا تارة أخرى على رسالة بعث بها إلى البابا بيوس من بولونيا فى ٢١ مايو ١٩٤٢ :

فيما يتعلق بالسفير البابوى الحالى ، (الكاردينال أورسينيو ، سفير البابا لدى برلين) أبدى الكاردينال أسفه ازاء التزام الصمت حيال هذا الأمر وأعرب عن اعتقاده بأن البابا يتهيب الموقف تماما ولا يهتم بمثل هذه الأنباء الخطيرة .

إن الحملة التى تشن ضد اليهود لا هوادة فيها وتسير من سيئ إلى أسوأ بصورة متواصلة بترحيلهم بل واعدامهم جماعيا .

وقد تمت بالفعل مذبحة اليهود فى أوكرانيا . ويعتزمون تنفيذها أيضا فى بولندا وألمانيا حتى النهاية بطريقة القتل الجماعى » .

رأينا مما سبق أن هذه المعلومات لا تمثل المعلومات المتوافرة لدى السفارة البابوية فى برلين ، ومن ثم فإن سكافيزى انما يتخيل آراء من تلقاء نفسه وينسبها إلى أورسينيو . ورغم هذا وحتى لوكان أورسينيو يعتنق مثل هذه الاراء فمن الغريب إلى أبعد حد أن يفضى بها لسكافيزى ، ولو لمعلومات سكافيزى الشخصية ، ناهيك عن ابلاغها للبابا عن طريق سكافيزى . ولا يسع المرء سوى أن تساوره الشكوك ازاء صدق سكافيزى .

ويظهر سكافيزى عقب ذلك فى ٧ أكتوبر ١٩٤٢ ، عندما كتب « تقريرا حول الموقف فى بولندا » تمكن من دسه بين أوراق الفاتيكان .

اليهود :

تكاد عمليات التخلص من اليهود ، عن طريق القتل الجماعى ، دون اعتبار للاطفال أو حتى الرضع ، تكون شاملة . أما بالنسبة لبقيتهم ، الذين يميزهم جميعا أشرطة بيضاء تعلق على الاذرع ، فالحياة المتحضرة تعد ضربا من المستحيل . فلا يسمح لهم بالشراء من المحال التجارية أو استعمال الترام أوسيارات الأجرة ، أوحضور العروض المسرحية

أو التردد على منازل غير اليهود . ويحكم عليهم ، قبل ترحيلهم أو قتلهم بالقيام بأعمال السخره الشاقة ، وحتى وإن كانوا ينتمون إلى الطبقة المثقفة . وتبدو البقية الباقية الضئيلة من اليهود هادئة محتمية تقريبا بكبريائها . ويقال إنه تم قتل ما يزيد على مليونى يهودى .

وعند هذه النقطة ، لا يسع المرء سوى أن يرتاب فى الأمر من جديد ، بمعنى أن ثمة شك فى أن يعتبر الفاتيكان ما ساورتنا فيه الشكوك من قبل حول سكافيزى ، بمثابة معلومات : وأنه لابد من عدم تعليق أهمية كبيرة على بيانات سكافيزى . فالفاتيكان قد احتفظ بمثل هذه المعلومات من سكافيزى ضمن أوراقه ، غير أنه لم يتعبرها تأكيدا لمزاعم المنظمات الصهيونية ، كما أوضحنا من قبل .

وربما كان سبب عدم نشر بيانات سكافيزى فى وثائق الفاتيكان خلال فترة الحرب أن الوثائق كانت لا تزال فى طريقها للاعداد للنشر فى الوقت الذى كنت لا أزال أكتب فيه هذا المؤلف . إلا أن سكافيزى زعم فى عام ١٩٦٤ (توفى حوالى ١٩٦٧) فى إحدى المجلات الإيطالية ، أنه خلال فترة الحرب ، أفضى إليه البابا بالأثار السلبية فيما يبدو لاقتراح بحرمان هتلر كنسيا (الكاثوليكى بالاسم فقط) لما قام به من عمليات إبادة لليهود . وهذه حقيقة الأمر ، من الواضح أن سكافيزى كان ينسج روايات مستفيضة مبالغا فيها من وحى خياله بهدف الظهور بمظهر الشخصية الهامة ، وهو المظهر الذى لا يوحى به مركزه المتواضع عندما ينتقل فى قطارات المرضى . وبالتالى أصبح واضحا أن شكنا فى المرة الثانية لابد وأن يكون فى محله ، فقد كان الفاتيكان يرى فى سكافيزى شخصا لا ضرر منه ، يمكن أن يعهد إليه بتلاوة الطقوس الدينية الأخيرة ، بل وتسليم الرسائل ، ولكنه لا يضع الأمور فى نصابها الحقيقى . والمضحك فى الأمر بحق ، أن محررى « البيانات والوثائق » كانوا فيما يبدو من واقع تعليقاتهم الافتتاحية ، يأخذون بيانات سكافيزى على محمل الجد . إلا أنه ، وحيث يتبين لقارئ الوثائق بكل وضوح أن سكافيزى مؤلف روايات طويلة ، من المحتمل أن يكون للمحررين آراء أخرى فى موضوع سكافيزى لم يعربوا عنها .

ومع هذا ، فثمة نقطة واحدة ذات أهمية لا يمكن اغفالها فيما يتعلق بتقارير سكافيزى ، ولا سيما تقرير ١٢ مايو ١٩٤٢ بشأن مزاعمه حول ما أفضى به أورسينيو إليه . وهو أنه من غير المحتمل أن يكون سكافيزى قد اختلق أسطورة الابادة بمفرده ، رغم أن هذا يعد ممكنا إلى أبعد الحدود . فإذا لم يكن قد لفق مزاعم عمليات الابادة التى وردت فى رسالته بتاريخ ١٢ مايو ١٩٤٢ ، فلابد وأن يكون قد سمع بها فى مكان ما ، وهى حقيقة

لها بعض الأهمية ، من حيث إن تاريخ رسالته سابق بأكثر من شهر على بدء المنظمات الصهيونية فى الغرب الحديث فى هذا الموضوع . إذ كانت أول مرة يصدر فيها بيان بهذا المعنى من جانب المؤتمر اليهودى العالمى فى ٢٩ يونية ١٩٤٢ ، كما ورد فى الفصل الثالث) .

ويشير هذا إلى انتشار مثل هذه الدعاية فى أوروبا الشرقية قبل يونية ١٩٤٢ . ويتفق هذا فى واقع الأمر ، مع رواية دافيد وفينش التى ترى أن المزاعم الخاصة بالإبادة فى (الجزء الذى ضم من بولندا جنوبى الممر) عن طريق محركات الغاز فى شيلمنو ، قد ظهرت فى أول الأمر فى أربع صفحات فى النشرة السرية اليهودية « فيكر » التى نشرت أول مزاعم حول عمليات الابادة فى صفحتى ٣ ، ٤ فى أعداد نشرت فى فبراير من عام ١٩٤٢ . أما مزاعم الابادة فى حكومة بولندا العامة (عن طريق الاعدام بالغاز فى بلزيك) فقد نشرت فى النشرة السرية « الاخبار » فى أوائل ابريل ١٩٤٢ . ومن هنا ، توحى الادلة بأن السبب فى نشأة اسطورة الابادة هم رجال الدعاية البولنديين اليهود المغمورين ، ولكن تعهد هذه الاسطورة بالرعاية فيما بعد ، حتى وصلت إلى أن تصبح اكذوبة دولية وتاريخية كان من انجاز الدوائر الصهيونية المتمركزة أساسا فى الغرب ، لاسيما فى نيويورك وما حولها .

وحيث إنه من الواضح أن دعاية الابادة كانت قائمة فى بولندا فى ربيع ١٩٤٢ ، وحيث إن الكثير من المعلومات التى وصلت إلى الفاتيكان تمت عن طريق مكتب السفارة البابوية فى برلين ، فمن المحتمل أن تكون هذه الروايات قد وصلت إلى أورسينيو فى ذلك الوقت . وفى الواقع ، فإن رسالة أورسنيو إلى المونسينور جيوفانى مونتينى (البابا بول السادس الحالى ، الذى كان كثيرا ما يحل محل ماجليون خلال فترة الحرب) ، والمؤرخة ٢٨ يوليو ١٩٤٢ ، كرست بصفة أساسية للاعراب عن أسفه لتعذر التأكيد تماما مما يحدث بالنسبة لليهود . وبعد التعقيب على ما يمارسه النازى كيفما اتفق من اصدار أوامر فجائية وبدون سابق انذار بترحيل جماعات من اليهود المختارين ، كتب يقول :

من السهل ان يتفهم المرء أن هذا الافتقار إلى تقرير مسبق يفتح الباب أمام أبشع الافتراضات بشأن مصير غير الآريين . كما أن هناك شائعات تتردد ، من العسير التأكد من صحتها ، حول رحلات تنطوى على كوارث بل ومذابح لليهود . كذلك رفض حتى الان أى تدخل لصالح الكاثوليك من غير الاريين فقط بالرد المألوف وهو أن ماء المعمودية لن يطهر الدم اليهودى وأن الجمهورية الالمانية تحمى نفسها ضد الجنس غير الآرى وليس من دين اليهود المعمدين .

ومن بين هذه الشائعات الخبيثة لا تخلوا بعضها من أن تكون أقل مدعاة للشعور بالكآبة : فعلى سبيل المثال ، دار حديث فى هولندا ، حيث بدأت الآن عمليات ترحيل لغير الآريين ، عن إعراب رجال الدين عن احتجاجهم ، وانضمام الأساقفة الكاثوليك إليهم ، الأمر الذى أدى إلى استثناء المعمدين من غير الآريين من عمليات الترحيل . مثلما تردد أنه فى حى اليهود ليتزماتشتات المشهور فى الأراضى التى ضمت من بولندا جنوبى الممر حصل أحد القساوسة البولنديين ، وكان قد طلب ذلك ببطولة الرسل ، على تصريح بالدخول والبقاء هناك من أجل رعاية أرواح الكاثوليك من غير الآريين .

وجاء فى حاشية المقال الافتتاحى أن رواية هولندا غير صحيحة ولنا ملاحظة عابرة تتمثل فى أن جانبا كبيرا من اهتمام الفاتيكان بمساعدة اليهود ، من هذه الآونة ، كان ينصب بالتحديد على العائلات اليهودية التى اعتنقت الكاثوليكية ، والتى كان موقفها مأساوى بصفة خاصة ، حيث بدا أن أحدا لا يرغب فى وجودهم ، فالألمان يعتبرونهم يهودا ، واليهود يعتبرونهم من المرتدين .

وتوضح ملاحظة أورسينيو السابقة أن سكافيزى قد أساء فهمه على أقل تقدير ، غير أنها توضح كذلك أنه استمع إلى بعض الشائعات البشعة ، رغم أنه ليس من الواضح ما الذى يعنيه « بالقتل الجماعى » . فقد كان من الطبيعى ، كما اشرنا فى الفصل السابع ، أن يقتل من حين لآخر عدد من اليهود خلال الحرب ، ومن المحتمل أن تكون التقارير التى تلقاها تتعلق بهم ، أو ربما نجمت أصلا عن الدعاية التى أثيرت حول عمليات الإبادة الجماعية والتى كانت قد بدأت مؤخرا تصدر عن المنظمات السرية اليهودية فى بولندا . بل إنه من المحتمل كذلك أنه كان يفكر فى تقرير كان سكافيزى قد قدمه إلى مقر السفارة البابوية فى برلين فيما يتصل « بالمعلومات » التى ضمنها رسالته فى ١٢ مايو ١٩٤٢ . وعلى أية حال ، فإن رسالة دى مجليو فى ٩ ديسمبر ١٩٤٢ توضح أن السفارة البابوية ، فى ذلك الوقت ، لم تتقبل أية مزاعم عن عمليات الإبادة (ربما فيما عدا رواية رومانيا) ، لو أن مثل هذه المزاعم وصلت إليها .

ويتبقى نقطتان أخيرتان تستحقان المناقشة ، فيما يتعلق بوثائق الفاتيكان . فخلال فترة الحرب كان ممثل الفاتيكان فى اليونان وتركيا الونسينور انجيلو رونكالى ، الذى أصبح فيما بعد

البابا جون الثالث والعشرين . وقد بعث فى ٨ يوليو ١٩٤٣ بتقرير إلى الفاتيكان من اسطنبول جاء فيه :

١ – حسب القاعدة التى اتبعها من التزام جانب الحذر فى معاملاتى مع مختلف الاشخاص حتى أولئك الذى يتمتعون باحترام خاص ، فاننى أتجنب الاجتماعات التى لا ضرورة لها تماما أو ذات المنفعة الفردية . وعلى سبيل المثال فقد اجتمعت بفون بابن (سفير ألمانيا لدى تركيا) مرة واحدة خلال ستة أشهر ، وبصورة خاطفة وعابرة بمناسبة زيارة عيد الفصح التى قمت بها لأنقره . وكان الحديث فى ذلك الوقت يتردد كثيرا حول مسألة كاتين ، التى ، وفقا لما ذكره فون بابن ، كان ينبغى أن تجعل البولنديين يفكرون فى مزايا الاتجاه إلى الألمان . وأجبته بابتسامة حزينة أن الأمر يقتضى اولا أن ينسوا ملايين اليهود الذين رحلوا إلى بولندا وقمعوا هناك ، وأنها على أية حال فرصة طيبة لالمانيا لتحسن معاملتها للبولنديين .

وبعد أن عاد فون بابن ، مثلما عاد أعضاء السلك الدبلوماسى جميعا ، من أنقرة إلى اسطنبول والبوسفور ، فإن فرص عقد اجتماعات لن تعوزنا .

٢ – من حين لآخر يأتى البارون فون لرسنر لزيارتى . . ثم مضى رونكالى بعد ذلك فى بحث أمور لاتمت لموضوعنا بصلة .

وعندما قام الفاتيكان بنشر هذه الوثيقة ، ذكرت الصحافة أن رونكالى أبدى ملاحظته عن « ملايين اليهود الذين رحلوا إلى بولندا وأبيدوا هناك » وهى ترجمة وافية تماما ، ولكنها بحاجة إلى بضع كلمات لتوضيحها . فالفعل الايطالى الذى استخدم فى مذكرة رونكالى يعادل الفعل الانجليزى « قمع » ، (وهو الأنسب حيث من المرجح أن يكون الحديث بين رونكالى وفون بابن قد جرى بينهما باللغة الفرنسية وتتساوى الكلمتان فى اللغة الإيطالية والفرنسية فى المعنى ، ولكنهما لا تحملان نفس المعنى فى اللغة الانجليزية ، حيث إنهما عندما يستخدمان بالنسبة للاشخاص يحملان بعض مدلولات قتل اعداد كبيرة . فى حين أنهما عندما يستخدمان بالنسبة للاشخاص فى اللغة الايطالية فانهما لا يعادلان تماما معنى « الابادة » أو « القتل الجماعى » حيث توجد فى اللغتين الإيطالية والفرنسية كلمات تعادل هذه الكلمات فى اللغة الانجليزية . فعند استخدام كلمة « القمع » بالنسبة لعدد كبير من الاشخاص لا تعنى سوى القيام بعمليات قتل كثيرة وقد تعنى أو لا تعنى « الابادة الجماعية » ويتوقف هذا على السياق فى النص . ومن ثم يتعين على المرء أن يجيز احتمال أن يكون

رونكالى كان يفكر فى شىء آخر غير مزاعم الابادة الجماعية التى اختلقها الحلفاء ، والتى من المؤكد أن تكون قد تناهت إلى أسماع رونكالى . فعلى سبيل المثال ، ربما كان يفكر فى أمور انتشرت انباؤها مؤخرا مثل القمع الالمانى لتمرد الحى اليهودى فى وارسو ، والذى راح ضحيته الكثير من اليهود على أيدى الالمان . ورغم هذا فإننى أميل إلى رفض مثل هذا التفسير ، ويبدو لى أكثر احتمالا أن رونكالى كان يفكر فى الواقع فى عمليات الابادة الجماعية التى يدعيها الحلفاء .

ومع ذلك ، لو أن المرء قرأ تقرير رونكالى بدقة ، مع الخلفية الدبلوماسية الصحيحة له ، يصبح من الواضح أن ليست هناك أهمية بالغة فى الواقع ، وبصفة خاصة ، لما كان يفكر فيه رونكالى عندما أبدى هذه الملاحظة . فهو يصف اجتماعا تم عن طريق الصدفة بين اثنين من الدبلوماسيين ، لم يكن أحدهما يرغب فى عقده . وحسب القاعدة التى رسمها لنفسه « من التزام جانب الحذر » فلابد وأن تخضع كلماته لهذه القاعدة عندما أشار إلى « تجنب الاجتماعات » . ويتمثل ما أبلغه رونكالى بالفعل لفون بابن فى أنه « إذا مارد الاخير من فترة الاجتماع ، فلن يكون ذلك بالأمر اليسير على رونكالى . وكان رونكالى يتحدث إلى فون بابن ، بلغة الدبلوماسيين ، الأمر الذى بدا واضحا فى أول جملة فى تقريره اتسمت بالوضوح والصراحة . وكانت ملاحظة رونكالى بمثابة تهرب دبلوماسى من نوع معروف تماما ، حيث لا يهم فى الواقع تحديد على نحو لا لبس فيه ، ما يشير إليه المتحدث ، أو تحديد ما إذا كان المتحدث ذاته يعتقد أو لا يعتقد بصحة الزعم المذكور . وكل ما فى الأمر هو أن رونكالى لم تكن لديه رغبة فى التحدث إلى فون بابن ، وأن هذا كل ما قاله لفون بابن . ولو أن رونكالى ، من ناحية أخرى ، كان يود التحدث مع فون بابن ، لما بدأ من المؤكد الحديث جانبه من يمثل هذه الملاحظات التى تنطوى بالضرورة على العداء ، سواء بالاشارة إلى عمليات الابادة الجماعية أو بالإشارة إلى القمع القاسى لتمرد حى اليهود ، وعلى نحو لا يعبر اطلاقا عن آرائه الشخصية ازاء موضوع الفظائع والعمليات الوحشية المزعومة التى ارتكبها الالمان .

هذا هو المعنى الواضح لما ورد على صفحات أوراق الفاتيكان . بما أن الفاتيكان نفسه رفض بشدة التصديق على مزاعم الابادة التى اختلقها الحلفاء . وهى حقيقة لابد وأن يكون رونكالى على علم بها ، فقد كان على علم تماما عندما كتب تقريره عن اجتماعه مع فون

بابن ، أن ملاحظته ، سيتفهمها الفاتيكان على النحو الذى أوضحناه ، والذى يبدأ به أول جملة فى تقريره بكل وضوح .

ليس هناك تقريبا أكثر من ذلك فى وثائق الفاتيكان التى نشرت يستحق المناقشة بصدد موضوعنا . وبوسعنا أن نختم هذا الملحق بذكر نقطة ضئيلة الأهمية . فقد كتب أندريه تشبتيشيكى كبير أساقفة الكاثوليك الرومانى فى أوكرانيا ، رسالة إلى البابا بيوس فى أواخر أغسطس ١٩٤٢ ، سرد فيها رواية مستفيضة عن الفظائع التى يقال إن الالمان يرتكبونها بما فى ذلك القتل الجماعى لليهود ، ضد الأوكرانيين ، ووصف الالمان بأنهم « ربما يفوقون النظام البلشفى إلى حد ما وحشية وضراوة» . ويرى أنه من الواضح أن الارهاب سرعان ما يوجه إلى « المسيحيين الأوكرانيين والبولنديين . فقد اعتاد سفاكو الدماء فى الواقع ، على قتل اليهود ، آلاف الابرياء ، اعتادوا رؤية تدفق الدماء ويتعطشون سفك المزيد منه . « وفى ختام رسالته المستفيضة والتى تثير حيرة المرء فى بداية الأمر ، يوضح أخيرا السبب العملى الذى دعاه على الاصح إلى سرد مثل هذه الاكاذيب على البابا :

« لو أن الاضطهاد يتخذ صورة مذابح ترتكب على أسس دينية ، فربما كان ذلك من الأفضل بالنسبة لهذه البقاع . فهناك حاجة ماسة إلى سفك الدماء طواعية للتفكير عن دماء الجرائم . وقد رفضتم قداستكم طوال ثلاثة أعوام منحى نعمة البركة البابوية بصدد الموت ، فى سبيل الأسقفية التابعة لى ، التى اخترت لها . ولم أصر على موقفى ، مقتنعاً بأن قداستكم أرجح رأياً منى . وأعتقد أننى فقدت أفضل فرصة ، وربما الفرصة الوحيدة فى ظل البلشفيق ، إن هذه الأعوام الثلاثة علمتنى أننى لست جديراً بمثل هذا الاستشهاد . وأدرك أن التضحية بحياتى ربما تكون أقل قيمة أمام الله من صلاة يتلوها طفل . واليوم فإننى لا أطلب سوى منحى بركة خاصة تبارك صلواتى وتضحياتى ، إن الجانب الأكبر من هذه التضحيات للكنيسة الكاثوليكية بأسرها ، والجانب الأقل لأسقفيتى وشعبى ، غير أن هذه التضحيات لن تؤتى ثمارها إلا ببركة قداستكم التى أرجو أن تمنحها لى بفضل الله .

ومن الواضح أن تشبتيشيكى كان لديه الدافع بهدف الحصول على البركة التى سعى من أجلها طويلاً والتى حرم منها طويلاً ، (وتماثل هذ البركة فى السياسة الدينية ، إقراراً خاصاً ومباشراً من الرئيس الأمريكى لأحد أعضاء الكونجرس) لأن يبدو الموقف فى أوكرانيا رهيباً وخطراً بقدر الإمكان .

ويجدر بنا أن نلاحظ بصورة عابرة أنه فى ٨ مايو ١٩٤٣ ذكر تشبتيشيكى أن عددا من

رجال الدين الكاثوليك ، وبينهم أحدا كبار الاساقفة ، قد اغتالهم الانصار مؤخرا ، وأن المنطقة بأسرها « تزدحم بجماعات لها طابع سياسى خاص » . ولم يكن تشبتيشيكى فى هذه الرسالة التى بعث بها إلى يوجين كاردينال تسرانت الفرنسى يسعى إلى الحصول على بركة ، لذا فإن تقريره عن الموقف لم يكن رهيبا تماما على الرغم من أن انتشار جماعات الانصار هذه والاجراءات المضادة الالمانية التى كانت تتخذ ضدها هو الذى جعل الموقف فى واقع الأمر ، شيئا رهيبا بدرجة ملحوظة .

ملاحظـــات

عملنا فى هذا المؤلف تفادى المغالاة فى الملاحظات وسعينا إلى الإشارة إلى كل ما يستحق الذكر فى النص . ومن ثم تعتبر الملاحظات المذكورة هنا موجزة للغاية .

وحيث إن مهمة الملاحظات هى إرشاد القارئ إلى وثائق محاكمة نورنبرج ، سعينا إلى الإشارة إلى بعض الحالات حيث يتسنى الحصول على نص الوثيقة التى نحن بصددها بيسر وسهولة إلى حد ما . وفيما عدا الوثائق التى وردت فى سلسلة محكمة نورنبرج العسكرية NI, NG, NO واستثناءات أخرى أشرنا إليها ، وردت الوثائق المشار إليها هنا ، فى مجلد رقم ٤٢ من سلسلة وقائع المحكمة العسكرية الدولية . وتشكل وثائق سلسلة محاضر محكمة نورنبرج العسكرية(NI, NG, NO)أغلبية الوثائق المشار إليها ، وتشير الملاحظات إلى بعض الحالات التى من المعروف لدينا أنها نشرت فى بعض الكتب ، وفى معظم هذه الحالات وردت الوثائق المشار إليها فى مجلد ١٥ من سلسلة ، محاضر محكمة نورنبرج العسكرية . وفى حالة عدم ورود هذه الوثائق ، لا يوجد لدينا علم بمكان نشرها ، ومن ثم يتعين على الباحث فى هذه الحال خوض تجربة التعرض لمتاعب إجراءات الحصول على نسخ من قسم الإعارة الداخلية بإحدى مكتبات الابحاث الضخمة .

أولاً : محاكمات اليهود والنازى :

١ – كيندى ، ٢١٦ – ٢١٩ ، ٢٣٦ – ٢٣٩ فى طبعة تذكارية .

٢ – جرايزل ، ٧٩٢ .

٣ – راسينيه (١٩٦١) ، ٩ ، ١٧٥ ، راسينيه (١٩٦٢) ، ١١٢ .

٤ – نيشن يوروبا ، مجلد ٢٣ (أكتوبر ٧٣) ، ٥٠ ، مجلد ٢٥ (أغسطس ٧٥) ، ٣٩ . واقعة ضرب جنسبرج المشهورة وردت فى ملحق ٢٠ .

٥ – روبن ، ٣٠ – ٣٣ .

٦ – نيويورك تايمز (٢٢ فبراير ٤٨) ، ٤ .

٧ – التقويم العالمى (١٩٣١) ، ١٩٢ ، (١٩٤٢) ، ٥٨٨ ، (١٩٥٢) ، ٣٩٤ (١٩٦٢) ، ٢٥١ .

٨ – التقويم العالمى (١٩٣١) ، ١٩٧ ، (١٩٤٢) ، ٥٩٣ ، (١٩٥٢) ، ٤٣٧ ، (١٩٦٢) ، ٢٥٨ .

٩ - التقويم العالمى (١٩٥٢) ٤٣٨ .

١٠ - تقرير لجنة لاجئى الحرب الأمريكية (١٩٤٥) ، ٤٦ - ٦٩ ، نيويورك تايمز (١٠ يونيو ٤٤) ، ١ ، (١٣ يونيو ٤٤) ، (١٠ أغسطس ٤٤) ٥ ، (٢٤ أكتوبر ٤٤) ١٤ ، (٢٥ أكتوبر ٤٤) ، ١٣ ، مايو ، ١٠٨ - ١٢٣ .

١١ - ريتلنجر ٥٣٤ ، ٥٤٢ - ٥٤٤ .

١٢ - ريتلنجر ، ٣٢٧ .

١٣ - NG ٢٥٨٦ - G من محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ١٣ ، ٢١٢ .

١٤ - راسينيه (١٩٦٤) ، ٢٢٠ .

١٥ - كيلى ٧٦ - ٧٧ ، نيويورك تايمز (٢ يناير ٥٨) ، ١٨ ، روبرتسون ، ٢٦٦ .

١٦ - راسينيه (١٩٦٢) ، ٨٣ ، انظر دفيدوفينش ، ١٢١ .

١٧ - تايلور (١٥ أغسطس ٤٩) ، ١ - ٣ ، نيويورك تايمز (١ فبراير ٤٥) ، ٤ .

١٨ - ديفيلسون ، ٦ ، ١٨ ، ٢١ .

١٩ - نيويورك تايمز (٢١ يونيو ٤٥) ، ٦ ، (١٦ ديسمبر ٤٥) قسمى ٤ ، ٨ نيويورك (١٧ نوفمبر ٤٥) ، ٢٤ ، سورفاى جرافك (يناير ٤٦) ، ٤ - ٩ ، ريورز رايجست (فبراير ٤٦) ، ٥٦ - ٦٤ .

٢٠ - تايلور (ابريل ٤٩) ، ٢٤٨ - ٢٥٥ ، اللجنة المختارة ، ١٥٣٦ .

٢١ - نيويورك تايمز (٧ أكتوبر ٤٣) ، قسم ٦ ، ١٠ ، (٢٠ مايو ٤٥) ، ١٥ .

٢٢ - كولاندر ، تايلور (١٥ أغسطس ٤٩) ، ٤ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٤ .

٢٣ - بوتلى ، ١٨٥ - ٢٠٠ ، شيكاغو تربيون (٣٠ أبريل ٤٨) ، ١٢ ، (١٣ فبراير ٤٩) ، ٣ ، (١٤ فبراير ٤٩) ، ٣ ، (١٧ فبراير ٤٩) ، ٨ ، نيويورك تايمز (٣١ أكتوبر ٤٨) ٤ ، ٨ .

٢٤ - نيويورك تايمز (٣٠ يوليو ٤٨) ، ٥ ، (٧ أكتوبر ٤٨) ، ١٥ ، (٧ يناير ٤٩) ، ١ ، ٩ (٢ مارس ٤٩) ، ١ ، ١٤ ، (٥ مارس ٤٩) ، ١ ، ٤ ، (٥ مايو ٤٩) ٨ .

٢٥ - نيويورك تايمز (٥ مارس ٤٩) ، ٤ . (٣٠ ابريل ٤٩) ، (٦ سبتمبر ٤٩) ، (٧ سبتمبر ٤٩) ، ٩ ، (٨ سبتمبر ٤٩) ، ٩ .

٢٦ - ارندرت ، ٢٠١ ، ٢٥١ (٢٢١ ، ٢٧٤ فى طبعة عام ١٩٦٤) ، اريتز ٢٨ - ٢٩ .

٢٧ - تايلور (ابريل ٤٩) ٢٧٢ - ٢٧٦ .

٢٨ - دوبوا ، ١٨٢ . شيكاغو تريبون (٢٣ فبراير ٤٨) ، ١ ، ٢ ، (٢٤ فبراير ٤٨) ٣ ، (٢٥ فبراير ٤٨) ، ٤ ، (٢٦ فبراير ٤٨) ، ١ ، ٨ ، (٢٨ فبراير ٤٨) ٤ ، ٨ ، (٢٩ فبراير ٤٨) ، ب نيويورك تايمز (٢٣ فبراير ٤٨) ، ٥ ، (٢٥ فبراير ٤٨) ، ١٠ ، (٢٩ فبراير ٤٨) ، ١٠ ، (٦ مارس ٤٨) ، ٦ .

٢٩ - تايلور (إبريل ٤٩) ٢٧٢ - ٢٧٦ .

٣٠ - ماركوس ، الموسوعة اليهودية ، مجلد ١١ ، ٩٤٥ ، بركان ٤٤ - ٤٥ ، ستروای ایفنینج بوست (٤ ديسمبر ٤٨) ، ١٧٩ .
٣١ - تايلور (١٥ أغسطس ٤٩) ، ١٣ ، ١٤ ، ٣٤ ، ٣٥ .
٣٢ - دوبوا ، ١٩ - ٢٢ ، ٣١ ، ٥٣ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٥ بركان ، ١٩٥ - ١٩٩ ، ١٥٧ - ١٥٩ .
٣٣ - ماركوس ، بركان ، ١٩١ - ١٩٣ ، جون وهداف ، مجلد ٢ ، ٢٠٩ ، ٣٦٧ ، زنك ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، نيويورك تايمز (٨ ابريل ٤٣) ، ١٢ ، (١٦ ابريل ٤٣) ١٠ (١٧ مارس ٤٦) ، ١٥ ، (١٦ سبتمبر ٤٧) ، ١٠ ، (٢٩ ابريل ٤٨) ، ١٦ ، بلوم ٣٨٣ .
٣٤ - كولفن ، ٧ ، ١ - ٦ ، نيويورك تايمز (٢٣ ديسمبر ٥٦) ، ١ ، (٦ يوليو ٦٩) انظر ستردزا ١٦١ ، ١٦٢ ، تصوير عرضي لرجال المخابرات وهم يعملون .
٣٥ - ريتلنجر ، ٢١ ، الصليب الأحمر (١٩٤٧) ، ٩٩ ، ايجمان دورة ٧٥ ، ١٠ ٧١ .
٣٦ - ارندت ١٣٦ (١٥٢ فى طبعة عام ١٩٤٦) .

ثانيا : المعسكرات :

١ - فيل ، ١٣٣ - ١٣٦ ، مارتن ، ١٢١ .
٢ - ريتلنجر ، ١٢٢ ، ٤٠٢ ، هيلبرج ، ٥٧٠ - ٥٧١ ، دوبوا ، ١٢٧ .
٣ - بورنى ، ٩ ، بوير ١٨٨ ، لتر ٣١ ، كوهن ١٢٠ - ١٢٢ .
٤ - سبختون ١١٧ - ١١٨ .
٥ - فايف ، ١٥٢ .
٦ - سبختون ، ٤٨ .
٧ - فايف ، ١٧ .
٨ - هيلبرج ، ٥٦١ - ٥٦٤ ، ريتلنجر ، ٩٤ ، ١٤٧ - ١٥٠ ، ١٥٤ .
٩ - كوهن ٢٦ - ٢٨ .
١٠ - الصليب الأحمر (١٩٤٨) ، مجلد ١ ، ٥٤٦ - ٥٤٧ .
١١ - ١٤٦٩ - PS and NO ١٩٩٠ فى محاضر محكمة نورنبرج العسكرية ، مجلد ٥ ٣٨٢ - ٣٨٩ .
١٢ - كوهن ، ١٣ .
١٣ - اورونينو ٢١٢ .
١٤ - ١٤٦٩ - PS فى محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٥ ، ٣٨٢ .
١٥ - ريتلنجر ، ٣٦٤ - ٣٦٥ ، ٤٠٦ ، هيلبرج ، ٣٧٧ - ٣٧٩ - ٦٣٢ - ٦٣٣ .
١٦ - ا . فرانك ٢٨٥ .
١٧ - اورونينو ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٠ .

١٨ - بورنى ١٠ - ١٤ .

١٩ - هويهمد ٣٨٣ - ٣٨٧ (٤٣٤ - ٤٣٦ فى كتاب ورق الغلاف) .

٢٠ - بورنى ١٠ .

٢١ - ٣٤٢١ - PS ، ٢٤٢٢ (PS . للصور انظر على سبيل المثال اندروس ، صور فوتوغرافية كذلك ورد فى بليسية ٦٤ « مجموعة رهيبة » لنماذج من بوخنفالد .

٢٢ - ٣٤٢٠ - P S ، محاضر المحكمة العسكرية الدولية ، مجلد ٣ ، ٥١٥ ، نقلا عن شيرين ٩٨٤ .

٢٣ - نيويورك تايمز (٢٤ سبتمبر ٤٨) ، ٣ ، (١ أكتوبر ٤٨) ، ١١ (٨ أكتوبر) ، ١٠ (٢٢ أكتوبر ٤٨) ٥ (٢٧ ديسمبر ٤٨) ١ ، ١٢ (٢٠ ديسمبر ٥٠) ١٥ (١٦ يناير ٥١) ١ ، (٣ سبتمبر ٦٧) ، ١ .

٢٤ - بورنى ١٠٦ - ١٠٩ .

٢٥ - لنز ٣٢ ، ٤٢ ، ٧٨ ، ١٠٦٣ P S .

٢٦ - الصليب الأحمر (١٩٤٨) مجلد ١ ، ٦٢٠ ، مجلد ٣ ، ٨٣ ، ١٨٤ الصليب الأحمر (١٩٤٧) ٨٢ - ٨٤ .

٢٧ - الصليب الأحمر (١٩٤٧) ، ٢٣٤ - ١٣٧ .

٢٨ - الصليب الأحمر (١٩٤٧) ١٤٤ - ١٤٦ ، ١٤٩ - ١٥٢ .

٢٩ - لنز ٢٧٠ ، جن ٦٣ - ٦٤ .

٣٠ - م . ج . شميث ٩٤ - ٩٥ .

٣١ - محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ٥ ، ١٦٧ - ١٧٣ ، راسينيه (١٩٦٢) ٧٨ .

٣٢ - بورنى ١٠٧ الصليب الأحمر (١٩٤٧) ١٥١ .

٣٣ - جوردون ٢٣ - ٢٥ .

٣٤ - الصليب الأحمر (١٩٤٧) ١٥٠ .

٣٥ - رسالة بقلم بنتر فى اور صنداى فيذتور الأسبوعية (١٤ يونيو ٥٩) ، ١٥ .

٣٦ - دى زيت (٢٦ أغسطس ٦٠) ١٤ (رسالة بقلم م . بروزات) ، راسينيه (١٩٦٢) ٧٩ . إشارة راسينيه إلى دى زيت (١٩ أغسطس ٦٠) ليست صحيحة ، كما ورد .

٣٧ - هوارد ٣ ، ١١ - ٢٢ ، ٤٤ ، ٦٠ ، ٦٢ ، محاضر محاكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٧ ، ٧٩ - ٨٠ .

٣٨ - كرافن ١٧٢ .

٣٩ - هوارد ٣٥ - ٣٧ .

٤٠ - دنبروك ٥٠ نونتون ١٠٧ .

٤١ - دوبوا ١٥٤ - ١٥٥ .

٤٢ – ريتلنجر ١١٠ ، ١٢٨ ، NO – ٥٣٤ فى محاضر محاكمة نورنبرج العسكرية ، مجلد ٥ ، ٣٥٦ – ٣٥٨ .

٤٣ – ريتلنجر ١١٤ – ١١٥ ، دوبوا ١٥٦ .

٤٤ – اللجنة المركزية شكل ٢ ، ٤ لابخين ٩٢٩ .

٤٥ – اللجنة المركزية ٣٠ ، ريتلنجر ٤٩٢ ، NO٥٢١فى محاضر محاكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٣٨٥ .

٤٦ – دوبوا ٢١٧ – ٢١٨ – ٢٢٣ – ٢٢٧ ، ريتلنجر ١١٥ .

٤٧ – محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٨ ، ١١٨٣ – ١١٨٤ .

٤٨ – الصليب الأحمر (١٩٤٧) ، ٩٢ الصليب الأحمر (١٩٤٨) مجلد ١ ، ٥٤٦ – ٥٥١ .

٤٩ – اللجنة المركزية ٣١ ريتلنجر ١٢٣ – ٤٩٢ ، PS ١٤٦٩ و ٥٢١ إن أوفى محاضر محاكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٥ ، ٣٨٢ – ٣٨٥ .

٥٠ – A – ١١٤١٢ – N Iفى محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٨ ، ٣١١ – ٣١٢ .

٥١ – ١٢٩٠ – NO فى محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٥ ، ٣٧١ .

٥٢ – كوهن ١٨٠ ، كريستوفرش ٣٤ ، انظر كذلك مناقشة ماخور واخاو فى جن ٣٨ – ٤٠

٥٣ – محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٩ ، ١٢١ اللجنة المركزية ٣٧ .

٥٤ – دوبوا ١٦٤ ، ٢٢٠ – ٢٢٤ .

٥٥ – دوبوا ١٤١ ، محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ١٦ ، ٢٠٧ ، ٢٢٣ ، محاضر محكمة نونبرج العسكرية مجلد ٩ ، ١٢٠ ، لجنة لاجئى الحرب الأمريكية (١٩٤٤) كريستوفرش ٢٣ – ٢٥ .

٥٦ – ريتلنجر ١١٥ ، ١٥٧ ، هيلبرج ٥٦٥ ، ٥٧٤ .

٥٧ – اللجنة المركزية ٣١ .

٥٨ – اللجنة المركزية ٢٧ – ٢٩ دوبوا ، ١٣٠ فرايدمان ٣٣ .

٥٩ – دوبوا ٣٤١ ، نونتون ١٠٧ ، بب ، ويكفيلد ٩٤٥ .

ثالثا : واشنطن ونيويورك

١ – هوارد ٤ – ٧ ، ٢١٦ اللجنة الخاصة الامريكية ٢٤ .

٢ – هوارد الفصل ٢ – ٩ .

٣ – هوارد ٨٢ – ٨٣ .

٤ – هوارد ١٠٤ – ١٠٨ .

٥ – نونتون ١٠٤ .

٦ – دوبوا ٢٨٤ .

٧ – مثلما تردد ، فقد ملأت « أزمة المطاط » ، غير أن الروايات التالية ، على ما يبدو ، تلخص

الأزمة على نحو كاف : بيرننس ويك (٣١ يناير ٤٢) ٢٢ + (١٤ مارس ٤٢) ١٥ + (٣٠ مايو ٤٢) ١٥ + (٢٠ يناير ٤٢) ١٥ + (١٥ أغسطس ٤٢) ١٥ + (١٩ سبتمبر ٤٢) ٢٩ (١٩ سبتمبر ٤٢) ٢٨ + نيوزويك (٦ ابريل ٤٢) ٤٦ + (٣١ ابريل ٤٢) ٥٦ + (١ يونيو ٤٢) ٤٦ + (٢١ سبتمبر ٤٢) ٥٨ + نيويورك تايمز (١١ يناير ٤٢) ٧ ، ٦ (٢٦ يوليو ٤٢) ٧ ، ٣ + فوشن (يونية ٤٢) ٩٢ + نيتشر ماجازين (مايو ٤٢) ٢٢٣ + هاربرز (ديسمبر ٤٢) ٦٦ + .

٨ - نونتون ١٠٨ ، هوارد ٢١٠ - ٢١٣ .

٩ - هوارد ٢٢١ - ٢٢٢ ، كويت ١٢٠ - ١٢١ ، ١٦٢ - ٢٢٢ ، ٥١٣ - ٥٢٠ .

١٠ - هوارد ٢٢٧ - ٢٢٨ ، اللجنة الخاصة الامريكية ١٣ ، ١٨ ، ٥٠ - ٥١ ، دبنروك ٤٠ - ٤٦ .

١١ - الصورة الفوتوغرافية موجودة فى سخوينبرنر ١٦٢ (٢٠٦ فى كتاب ورق الغلاف) وفى شكل ٣٩ فى تقارير اللجنة المركزية .

١٢ - P.S. . سميث ١٦٦ - ١٧١ وفوتو جرافس .

١٣ - هيلبرج ٦٣١ ، ريتلنجر ٤٩٣ - ٤٩٥ .

١٤ - مالم ترد على نحو غير ذلك ، فإن معالجتنا لدعاية الإبادة المبكرة ، وما طرأ من تطورات فى هذا الصدد فى واشنطن ونيويورك والصراعات التى قامت بين وزارة الخارجية من ناحية وبين الصهاينة ووزارة المالية من ناحية أخرى ، والأحداث التى أدت إلى تشكيل لجنة لاجئى الحرب ، تستند على مورس ٣ - ٩٩ ، فينجولد ١٦٧ - ٢٤٧ ، دوبوا ١٨٣ - ١٨٩ ، بلوم ٢٠٧ - ٢٢٧ ، إسرائيل ١٧٣ - ١٧٤ ، ٢١٦ - ٢١٧ ، ٣٠٦ - ٣٣٧ مورجنتو .

١٥ - وردت شهادة جوجنهايم الخطية فى رسالة رقم ٤٩ فى أكتوبر ١٩٤٢ من ملف أوراق القنصلية الأمريكية فى جنيف ، وكانت فى أرشيف مركز المراجع والوثائق بوزارة الخارجية فى واشنطن .
كما يوجد فى نفس الملف مذكرة سكواير عن حديثه مع برخاردت ورسالة شخصية له كان قد بعث بها إلى هاريسون فى ٩ نوفبر ١٩٤٢ .

١٦ - الاسئلة التى وجهت إلى برخاردت وردوده عليها من وثائق محاضر المحكمة العسكرية الدولية .

١٧ - بيان « مصدر الفاتيكان » من الأرشيف القومى ضمن ملفات وزارة الخارجية الأمريكية ٧٤٠ - ١١٦ - ٧٢٦ E.W .

١٨ - هل ٤٧١ - ٤٧٣ .

١٩ - مذكرات مورجنتو ٦ .

٢٠ - نيويورك تايمز (٢٣ يناير ٤٤) ١١ .

٢١ - مذكرات مورجنتو .

٢٢ - دوبوا ١٩٨ - ١٩٩ ، الصليب الأحمر (١٩٤٧) ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٥٩ - ٦٠ ، لجنة لاجئى الحرب الأمريكية (١٩٤٥) ٩ - ١٠ - ٥٦ - ٦١ .

٢٣ - تقرير لجنة لاجئى الحرب الأمريكية (١٩٤٥) ٤٦ - ٥٦ .

٢٤ - مذكرات مورجنتو ٨٠٥ - ٨١٠ ، ارتز ٣٦٦ - ٣٦٨ .
٢٥ - بارتز نقلا عن مصدر مجهول ، ٣ .
٢٦ - بلوم ٣٤٣ - ٣٨٣ .
٢٧ - داس رايخ (١٤ يناير ٤٢) ٢ ، جيكل ٦٢ - ٦٣ .
٢٨ - كاليس ٣٤ - ٣٥ كذلك أدلى هتلر بملاحظات فى هذا الصدد فى كفاحى .
٢٩ - هتلر ٨٤٨ .
٣٠ - نيويورك تايمز (٢٩ أكتوبر ٤٢) ٢٠ ، نيويورك (١٨ ابريل ٤٢) ٢٦ (١٢ سبتمبر ٤٢) ٥٣ (٢٤ أكتوبر ٤٢) ٤٦ F ، (٢٨ نوفبر ٤٢) ٨٢ ، (٥ ديسمبر ٤٢) ٨٢ .
٣١ - ريتلنجر ١٧٦ - ١٨٦ .
٣٢ - ريتلنجر ٤٣٩ .
٣٣ - دوبوا ١٩٧ .
٣٤ - نيويورك تايمز (١ نوفبر ٤٣) ٥ (١١ ديسمبر ٤٣) ١ (٣١ ديسمبر) ١١ (٣ يناير ٤٤) ٩ .
٣٥ ريتلنجر ٥٣٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ .
٣٦ - تايم (١٢ يوليو ٥٤) ٩٨ - ١٠٠ ، نيوريبلك (٢٠ ديسمبر ٥٤) ٢٢ ، نيويورك تايمز (٧ ابريل ٣٥) ٢٠ ، (٢١ ابريل ٥٣) ٣٣ ، ايخمان ٨٥ A L L I ، محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ١١ ، ٢٢٨ .
٣٧ - ر . هـ . سميث ٢١٤ - ٢١٥ .
٣٨ - ريتلنجر ٣٦٧ ، ٣٧٠ - ٣٧١ ، ٣٧٨ .
٣٩ - ريتلنجر ٣٥٢ .
٤٠ - دوبوا ١٣٧ - ١٣٨ ، ١٨٦ - ١٨٨ .
٤١ - محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٥ ، ٨٢٠ريتلنجر ٤٦٦ ، بورفيتش ٦٦ - ٦٧ .
٤٢ - لجنة لاجئى الحرب الامريكية (١٩٤٥) ٢٤ - ٣٣ . بالنسبة لاتصالات اليهود السلوفاكيين مع بولندا ولاسيما كراكو ، ومع بوادبست ، انظر مؤلف نومان وشهادة فريدجر : ايخمان ٥١ E d - I w w ، ٥٢ Al bi . ناقشها والنبرج فى بولياكوف وولف (١٩٥٥) ، ٤١٦ - ٤٢٠ .
٤٣ - ر . هـ . سميث ٢ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٦٢ ، ١٢٥ ، ٢٣٩ ، كيمش وكيمش ، ١٠٨ .
٤٤ - محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ٣ ، ٥٦٨ .
٤٥ - دوبوا ١٧٣ - ١٧٥ .
٤٦ - نومان ١٧٨ - ١٨٣ .
٤٧ - نيويورك تايمز (٣٠ نوفبر ٥٧) ٢١ ، الموسوعة اليهودية ، مجلد ١٦ ، ٤١٨ - ٤١٩ .
٤٨ - ريتلنجر ، ١١٥ ، ١٨٢ ، ٥٩٠ - ٥٩١ .

٤٩ – ايخمان ٥٢ J1- I1, R1, 109 , I1 — M1 , 72 , F1 71 , M1, N1, W1 — Aal
ونشر فريا ويستك الشهادة الخطية ٢٧٣ – ٢٧٦ .
٥٠ – نومان ، ٢٩٠ – ٢٩١ ، لانجبين مجلد ١ ، ١٢٢ – ١٢٥ ، مجلد ٢ ، ٩٦٨ ، ٩٧١ .
٥١ – نيويورك تايمز (٢٧ ابريل ٧٤) ٧ .

رابعا : أوشفيتز

١ – ٣٨٦٨ PS .
٢ – محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ٢ ، ٣٩٦ – ٤٢٢ .
٣ – هيلبرج ٥٧٥ ، ويتلنجر ١١٣ .
٤ – ريتلنجر ، ١١٣ ، ٥٠٢ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، الصليب الأحمر (١٩٤٧) ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٣ – ١٠٤ .
٥ – لانجبين مجلد ٢ ، ٩٣٠ – ٩٣١ ، نيومان ١٩ لجنة لاجئى الحرب الامريكية (١٩٤٤) ١ ، ٢٢ .
٦ – محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ٦ ، ٢١١ .
٧ – ريتلنجر ١١٩ .
٨ – الاتحاد السوفيتى ، فريدمان ١٤ .
٩ – ريتلنجر ٤٧٢ – ٤٧٨ ، لجنة لاجئى الحرب الامريكية (١٩٤٥) ٣٩ – ٤٠ .
١٠ – تقرير لجنة لاجئى الحرب الامريكية (١٩٤٥) ٤٩ – ٥٠ .
١١ – محاضر المحكمة العسكرية الدولية ، مجلد ١١ ، ٣٨٩ .
١٢ – هيلبرج ، ٥٥٦ – ٥٦٠ ريتلنجر FF ، وثائق ١٢٩ – R ٧١٩ NO ، أو ١٠٦٣ F PS فى محاضر محكمة نورنبرج مجلد ٢٩٨٥ – ٣٠٣ .
١٣ – ريتلنجر ١٠٩ – ١١٥ .
١٤ – ريتلنجر ١٧٤ FF
١٥ – دوبوا ٢١٣ . وردت مناقشة لبعض المواد الكيمائية التى استخدمت فى معسكر سيكلون فى مقال عن السيانيد فى الموسوعة البريطانية لعام ١٩٤٣ .
١٦ – هيلبرج ٥٦٧ – ٥٧١ .
١٧ – محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ٦ ، ٢٢٥ – ٣٣٢ .
١٨ – هيلبرج ٥٧٠ ، ريتلنجر ١٥٤ – ١٥٦ .
١٩ – هاردنبرغ ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ كتبلنج .
٢٠ – محاضر المحكمة العسكرية الدولية ، مجلد ٦ ، ٢١١ ، ٢٢٥ ، ٣٦٠ – ٣٦٤ . راسينيه (١٩٦٢) ٨٠ ، ٢٢٤ ، راسينيه (١٩٦٤) ، ١٠٥ n ، راسينيه (١٩٥٤) ٣٨ – ٤٨ ، ريتلنجر ١٦١ n .

٢١ – محاضر محكمة نورنبرج العسكرية ، مجلد ١ ، ٨٦٥ – ٨٧٠ محاضر المحكمة العسكرية الدولية ، مجلد ٢٧ ، ٣٤٠ – ٣٤٢ .

٢٢ – هيلبرج ٥٧٠ .

٢٣ – ريتلنجر ١٦١ ، ١٥٥٣ PS

٢٤ – فريد لاندر ٧ – ١٢

٢٥ – فريد لاندر ١١

٢٦ – فريد لاندر ١٠

٢٧ – ريتلنجر ١٦٢ F انظر أيضاً فرتلجهر شفت ف – زايت جيتشتى (أبريل ٥٣) ١٨٩ n L. وهو ما ورد فى مقال فى نيشن يوروبا (مايو ٦٣) ٥٠ + .

٢٨ – هيلبرج ٥٦٧ ريتلنجر ١٥٥ – ١٥٦ ، وثائق ٤٣٤٤ NO و ٤٣٤٥ NO فى محاضر نورنبرج العسكرية ، مجلد ٥ ٣٦٢ – ٣٦٤ .

٢٩ – هيلبرج ٥٦٥ ، رايتلنجر ١٥٨ n

٣٠ – لانجبين مجلد ٢ ٩٣٠ – ٩٣١ نيومان ١٩ PP

٣١ – ريتلنجر ١٥٥ – ١٥٨

٣٢ – تقرير لجنة لاجئى الحرب الأمريكية (١٩٤٤) ١ ١٩OT – ٢١ ، ٣٧ – ٣٨ ريتلنجر ١٨٢ – ١٨٣ ، بلومنتال ١٠٥ .

٣٣ – محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ٦ ، ٢١٨

٣٤ – ريتلنجر ١٨٣

٣٥ – يادفائيم ستاديز مجلد ٧ ، ١١٠ ، ١١٣

٣٦ – ريتلنجر ١٨١ – ١٨٢ ، بوهم ٢٩٢ – ٢٩٣ .

٣٧ – ريتلنجر ١١٨ – ١٢١ ملاحظات ريتلنجر حول « السرية » وردت فى تقارير الصليب الأحمر الهولندى ، التى تناولناها بالبحث فى ملحق جـ . وقد تناول دوجونج الرسائل التى وردت من أوشفيتز .

٣٨ – كوهن ٣٨ – ٣٩ .

٣٩ – الصليب الأحمر (١٩٤٧) ٩١ – ٩٢ .

٤٠ – محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٨ ، ٣٢٠ .

٤١ – دوبوا ٥٣ – ١٧٣ ، ٢٣١ ، لجنة لاجئى الحرب الأمريكية (١٩٤٥) ٤٨ – ٥٥

٤٢ – لرمز ١٥٢ – ١٥٣ .

٤٣ – فريد مان ١٣ – ١٤ .

٤٤ – كوهن ١١٩ .

٤٥ – كوهن ٦٠ .

٤٦ – فريدمان ١٤ – ١٥ ريتلنجر ١٧٢ ، هيلبرج ٥٨٧ ، بلامنتال ١٠٩ – ١١٠ وردت إحدى

هذه الوثائق فى بولياكوف وولف (١٩٥٥) ١٩٨ .

٤٧ – NO٤٦٣٤فى محاضر نورمبرج العسكرية مجلد ٤ ، ١٦٦ ايخمان ٧٩ .

٤٨ – محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ١١ ، ٣٣٦ – ٣٣٩ .

F1 — H1, N1, O1, NG Y1, Z1

٤٩ – بولياكوف وولف (١٩٥٦) ٢٢٩ – ٣٠٢ ، ايخمان ١٠٩ – ٥٠٧٧

٥٠ – أورد بولياتوف معظم تقرير كورهر (١٩٥٥) ٢٤٠ – ٢٤٨ ايخمان ٧٧

٥١ – ريتلنجر ٥٥٧ ، وثائق ورد ذكرها فى بولياكوف وولف (١٩٥٥) ١٩٧ – ١٩٩

٥٢ – محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ١١ ، ٤٠٠ – ٤٠١ .

٥٣ – محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ١١ ، ٤٢٠ اللجنة المركزية ٨٧ – ٨٨ .

٥٤ – اللجنة المركزية ٨٣ – ٨٤ راسينيه (١٩٦٢) ٨٥ – ٨٦ لم يذكر راسينيه مصدرا ومن ثم فقد استقى معلوماته من اللجنة المركزية .

٥٥ – ريتلنجر ١٥٧ – ١٥٨ – هيلبرج ٦٥ ، ٤٤٧٢ – NO

٥٦ – اللجنة المركزية ٨٣ ، راسينيه (١٩٦٢) ٨٦ ، ٤٤٦١ – NO

٥٧ – ريتلنجر ١٥٩ ، NO٤٣٥٣ ، NO٤٤٠٠و NO٤٤٠١فى محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٥ ، ٣٥٣ – ٣٥٦ ، ٤٤٤٥ ، ٤٤٤٨ انظر شونبرنر ونايزلى .

٥٨ – فريدما ٥٤

٥٩ – محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٥ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ .

٦٠ – ٠٠٨ – الاتحاد السوفييتى .

٦١ – NO – ٤٤٤٦٦ فى محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٥ ، ٦٢٤

٦٢ – فريدمان ٢٠ ، ٧٤ ، ٧٨ ، هيلبرج ٦٣٢ .

٦٣ – ٠٠٨ – الاتحاد السوفييتى ، اللجنة المركزية ، ٨٨ لجنة لاجئى الحرب الأمريكية (١٩٤٤) ١٤ – ١,١٦ PT ، فايق ١٥٨ ، بلومنتال ١٠٠ .

٦٤ – راسينيه (١٩٦٢) ٢٤٥ – ٢٤٩ .

٦٥ – دوبوا ٢٢١ – ١٢٤٥ NO

٦٦ – كوهين ٨١ – ١٢٥ . انظر أيضا فايق ١٥٩ وملحق d فى هذا المؤلف .

٦٧ – محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٥ ، ٦٢٤ – ٦٢٥ انظر كذلك بلومنتال ١٠٠

٦٨ – بولسون ١٣٨ ، ١٤٣ – ١٤٥ .

٦٩ – بولسون ١٣٨ – ١٣٩ .

٧٠ – دوبوا ٣٤٠ – ٣٤١ .

٧١ – محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ١١ ، ٤٢١ .

٧٢ – دوبوا ٢١٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ .

٧٣ – بولسون ١٣٧ – ١٤٦ .

٧٤ – ريتلنجر ١٥٨ – ١٥٩ .

٧٥ – بولسون ١٤٢ .

٧٦ – ٠٠٨ – الاتحاد السوفييتى ، اللجنة المركزية ٧٩ .

٧٧ – جونسون وات ٢٥٩ – ٢٦١ .

٧٨ – بولسون ١٤٤١ .

٧٩ – نيويورك تايمز (٣٠ أغسطس ٤٤) ٠١

٨٠ – محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٥ ، ٦٢٢ – ٦٢٣ .

٨١ – هيلبرج ٥٦٦ .

٨٢ – من المفترض أن شهادة جروش وردت فى وثيقة القضية رقم ٤ ، ٣٥٦٥ – ٣٥٩٢ غير أن هذه الصفحات لم ترد فى نسخة الوثيقة التى راجعتها . ومن المحتمل أنه شهد بذلك حسب ما ورد فى شهادته الخطية ٢١٥٤ .N.O.

٨٣ – ٢١٥٤ –NOنقلا عن راسينيه (١٩٥٢) ٨٤ ff ، وكذلك بولياكوف وولف (١٩٥٥) ، ١٣٦ ، وقد ورد اضطراب جروش قبل المحاكمة فى مذكرة اورثمان المرفقة ب NO٤٤٠٦.

٨٤ – اللجنة المركزية ٤١ ، ٤٣ ، نيومان ١٩٤ ، ٢٥٤، الطبعة الألمانية لينومان ٥٤٠ .

٨٥ – محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ٦ ، ٢١١ .

٨٦ – ريتلنجر ١٢٥ ، ٠٢١ –NOفى محاضر محاكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٥ ، ٠٣٨٥ انظر أيضا فايف ٧٧٩ أو ملحق d فى هذا الكتاب .

٨٧ – دوبوا ١٩٢ ، ٢٢٠

٨٨ – لجنة لاجئى الحرب الأمريكية (١٩٤٤) pt ، ٣٠ ، ٣٢ ، ريتلنجر ١٢٢

٨٩ – دوبوا ٢٠٩ .

٩٠ – ريتلنجر ١٢٢ – ١٢٣ سجل الوفيات موجود بمعهد الرايخ للوثائق الرسمية ورد فى تقرير الصليب الأحمر الهولندى مجلد ١ ، ٨ – ٠١٢

٩١ – لجنة لاجئى الحرب الأمريكية (١٩٤٤) ,pt.1 ٣٢

٩٢ – على سبيل المثال بورنى ١٠٨ – ١٠٩ .

٩٣ – ريتلنجر ١٢٧ ، ٢١٧٢ – ps

٩٤ – NO١٥٢٣ و NO١٢٨٥ فى محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٥ ، ٣٧٢ – ٣٧٦ .

٩٥ – ١٤٦٩ – PS فى محاضر نورنبرج العسكرية مجلد ٥ ، ٣٧٩ – ٠٣٨

٩٦ – ١٩٣٥ –NOفى محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٥ ، ٣٦٦ – ٣٦٧ .

٩٧ – فايف ٧٢٩ أو مجلد D فى هذا الكتاب وثيقة القضية رقم ٦ ، ١٤٣٢٦ .

٩٨ – هسلتين ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٩٢ ، ٢٠٣ الموسوعة البريطانية الطبعة ١١ ، مجلد ١ ، ٩٦٠ .

٩٩ – أميرى مجلد ٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ – ٦١٠ ، مجلد ٦ ، ٢٤ ، ٢٥ .

١٠٠ – الموسوعة البريطانية الطبعة ٠١٢ ، مجلد ٣٢ (المجلد الثالث يكمل الطبعة ١١)

١٠١- NG شميث ٩٥ ، NO٣٨٦٣و NO٣٨٦٠في محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٥ ، ٦١٣ - ٦١٦ ، لجنة بوخنفالد الدولية ٢٠٦ - ٢٠٧ ورسم ٥٥ ، موزول رسم ٨٨ - ٠٩١

١٠٢- لجنة مناهضة الفاشية وثائق ١٢٤٢ - NOو NO٤٤٦٣، أوردها هيلبرج ٥٦٦ ، فايق ٧٣١ ، أو ملحق D في هذا المؤلف.

خامسا : اليهود المحريون

١ - الصليب الأحمر (١٩٤٨) مجلد ٢ ، ٥٢٣

٢ - ريتلنجر ٥١٢ - ٥١٣ ، الصليب الأحمر (١٩٤٧) ٩٩ - ٠١٠٠

٣ - ريتلنجر ١٧٦ - ١٧٧ ، سترو (١٩٦٠) ، ٠٩٩١

٤ - ريتلنجر ٠١٨٤

٥ - لجنة لاجئي الحرب الأمريكية (١٩٤٥) ٠٤٩

٦ - ريتلنجر ٤٤٧ - ٠٤٨٧ ٥٤٢ ، هيلبرج ٥٠٩ - ٥٥٤ ، ٥٩٩ - ٠٦٠٠

٧ - g ٢٥٨٦ - NG - في محاضر محكمة نورنبرج العسكرية ، مجلد ١٣ ، ٢١٢ ، ٥١٩٤ - ١٧٥ ، جزء من تقرير كورهر ، الذى ورد في بولياكوف وولف (١٩٥٥) ٢٤٠ - ٢٤٨ ، ٥٦٢٠ - NG ، أورده هيلبرج ٠٥١٣

٨ - روبن ٣٠ - ٣١ ، ٠٦٨

٩ - كرافن ٢٨٠ - ٣٠٢، ٦٤١ - ٠٦٤٢

١٠ - C . بي سميث ٠١٦٧

١١ - كرافن ١٧٢ - ٠١٧٩

١٢ - ريتلنجر ٤٢١ - ٤٢٢ ، هيلبرج ، ٥٢٨ ، راسينيه (١٩٦٢) ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ساشار ، ٤٦٣ - ٤٦٤ ، جورن وهداوى ، مجلد ٢ ، ٠٣٦ ان.

١٣ - محاضر المحكمة العسكرية الدولية ، مجلد ٤ ، ٣٥٥ - ٣٧٣ ، مجلد ٨ ٦٠٦ - ٠٦٢١

١٤ - محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ١٤ ، ١٠٢٣ ، ٠١٠٢٧

١٥ - نيويورك تايمز (٢٦ فبراير ٤٧) ٤ ، هيلبرج ٣٥٠ ، ٣٥١ ، محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ١٤ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ستينجراشت ٨٦ .

١٦ - محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ١٤ ، ٠١٠٣١

١٧ - هيلبرج ٧١٤ ، ٧١٥ ، ريتلنجر ٤٤٣ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، أيخمان جلسة ٨٥ لندن تايمز (٢٠ نوفبر ٦٤) ١٦ ، نيويورك تايمز (٢٠ نوفبر ٦٤) ٠٨

١٨ - نيويورك تايمز (٢٢ فبراير ٤٠) ٢٢ ، (٢٦ أغسطس ٤٠) ١٧ ، (٣٠ مارس ٤٤) ٦ (١٤ نوفبر ٤٥) ٨ ، (١٧ يناير ٤٦) ١٤ ، اللجنة المختارة ، ١٥٣٤ ١٥٣٥ ، سيرة حديثة (١٩٤٣) ، ٣٧٠ ، تراجم شخصيات يهود العالم.

١٩ - كمبنر ، ١٢٠١ ، نيويورك تايمز (٢٨ سبتمبر ٤١) قسم ٢ ، ٦ (٢٠ يناير ٤٥) ١٠

٢٠ - ر. هـ. سميث ٢١٧ ، ٢٢٢ ، دراسات يادفاشيم مجلد ٥ ، ٤٤ نيويورك تايمز (٦ أكتوبر ٤٦). إ (٧ أكتوبر ٤٦) ٢ ، (١٨ مارس ٤٧) ٤ ، اللجنة المختارة ١٥٣٦ ، ١٥٣٩ .

٢١ - سيرة حديثة (١٩٤٨) ٥٣٣ - ٥٣٤ ، نيويورك تايمز (٧ فبراير ٤٣) ٠٣٤

٢٢ - سيرة حديثة (١٩٤٨) ٥٣٤ ، نيويورك تايمز (١٤ أكتوبر ٤٦) ٤٤ ، (٢٣ أكتوبر ٤٦) ٨ ، (٢٦ أكتوبر ٤٦) ، (٢٧ أكتوبر ٤٦) ١٦ ، (٣ نوفمبر ٤٦) ١٣ ، نيوزويك (٤ نوفمبر ٤٦) ٠٢٦

٢٣ - نيويورك تايمز (١٢ مارس ٤٧) ٦ ، (١٣ مارس ٤٧) ١٧ ، (١٤ مارس ٤٧) ١٢ ، (١٥ مارس ٤٧) ١١ ، (١٨ مارس ٤٧) ٤ ، (١٩ مارس ٤٧) ٥ ، (٢٦ مارس ٤٧) ٤ ، شيكاغوا رمبون (١٩ مارس ٤٧) ٠٢٠

٢٤ - يوتلى ١٧٢ ، ١٧٧ ، جوس (وثيقة القضية ١١ ، ٥١٢٣ - ٥١٦٧) نفى أعمال القسر ولكن ، ومثلما عقبت ماجى فى المحكمة بقولها « ان لدينا الاسئلة والردود التى ذكرها الشاهد فى الاستجواب المذكور . فقد وردت تصريحات فون تاون وهيفلجر فى جلستى ٣ مارس و ١١ مايو ١٩٤٨ على التوالى ، ونقل باردخ الأجزاء المتماثلة فى وثيقة المحاكمة ff ١٢٠ ، وقدم أمثلة أخرى على قسر وارهاب الشهود فى نورنبرج .

٢٥ - نيويورك تايمز (٨ نوفمبر ٤٧) ١٠ ، (٤ ابريل ٤٨) ٤٦ نيشن (٢٧ مايو ٥٠) ٥٢٨ ، (٢ ديسمبر ٥٠) ٠٤٩٩

٢٦ - نيويورك تايمز (١٧ ديسمبر ٤٩) ١ ، (٢٢ يوليو ٥٠) ٠٣٢

٢٧ - نيويورك تايمز (٣٠ سبتمبر ٤٩) ٢١ ، (١٢ يناير ٥١) ٧ ، (٢ فبراير ٥١) ٠٨

٢٨ - بلجيون ٦٤ - ٠٧٨

٢٩ - محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ١٠ ، ٠٦٤٨

٣٠ - اللجنة المختارة ١٥٣٦ - ٠١٥٤٨

٣١ - نيويورك تايمز (٢٥ ابريل ٥٢) ٥ ، شيكاغو تريبيون (٢٤ ابريل ٥٢) ١ ، ٤ .Pt

٣٢ - نيويورك تايمز (١٥ نوفمبر ٥٢) ، ٢ ، (٢٣ ديسمبر ٥٢) ١ .

٣٣ - الموسوعة اليهودية مجلد ١٠ ، ٩٠٤ ، نيويورك تايمز (٣١ مارس ٧١) ، ١ ، (٥ ديسمبر ٧٢) ١٦ .

٣٤ - نيويورك تايمز (٦ أكتوبر ٤٦) ٦ ، ٨ ، (٧ أكتوبر ٤٦) ٠٢

٣٥ - تايلور (١٥ أغسطس ٤٩) ٣٨.

٣٦ - محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ١٣ ، ٤٨٧ - ٥٠٨ ، ريتلنجر ٠٥٦٦

٣٧ - لويلن (مايدانيك) دعاية نشرت فى لايف (٢٨ أغسطس ٤٤) ٣٤ ، (١٨ سبتمبر ٤٤) ١٧ ، نيوزويك (١١ سبتمبر ٤٤) ٦٤ ، ريدرز وايجست (نوفمبر ٤٤) ٣٢ تايم (٢١ أغسطس ٤٤) ٣٦ ، (١١ سبتمبر ٤٤) ٣٦ ، (١٦ سبتمبر ٤٤) ٠٤٤

سادسا : إلى آخره . . إلى آخره

١ – هيلبرج ٥٦٢ ، ريتلنجر ١٣٧ – ٥٦٧ ، راسينيه (١٩٦٢) ٨٠ N .

٢ – محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ١ ، ٨٧٦.

٣ – ٨٢٤ – ١٧٥ (تعليمات هتلر) ٨٤٦ – ١٧٥ (رسالة فولنهابر) ٨٤٤ – ١٧٥ (تقرير حول الشائعات) .

٤ – نيويورك تايمز (٧ ديسمبر ٤١) ٤٥.

٥ – محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ٢٠ ، ٤٨٧ – ٥١٥.

٦ – فايف ١٥٧.

٧ – يتعين قراءة كتاب جلبرت بأكمله ، أما الصفحات ١٥ و ٣٩ و ٤٦ و ٤٧ و ٦٤ و ٧٨ و ١٥٢ و١٥٧ و٢٤٢ و٢٧٣ و٢٧٥ و ٢٩١ فلها اهتمام خاص .

٨ – هيلبرج ٥٩٩ ، ريتلنجر ٤٦٠ – ٤٦٣ محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ١٦ ، ٤٤٥ – ٥٢٠.

٩ – سبير ٣٧٥ – ٣٧٦ ، ٥١٢.

١٠ – سبير xvu ، دى جونج .

١١ – نيويورك تايمز ربول يفيو (٢٣ أغسطس ٧٠) ٢ ، ١٦.

١٢ – فى شهادة جورنج ، انظر مصبغة خاصة محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ٩ ، ٥١٥ ، ٦٠٩ – ٦١٩.

١٣ – كيلى ٥٤ – ٥٨.

١٤ – محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ١١ ، ٢٧٣ – ٢٧٦ ، ٣٣٥.

١٥ – محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ٢٢ ، ٤٩٤ – ٤٩٦.

١٦ – وثيقة القضية رقم ٦ ، ١٩٧.

١٧ – محاضر محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٥ ، ٦٦٤ – ٦٧٦.

١٨ – دوبوا ٢٣٠ – ٢٣١ ، محاضر محكمة نورنبرج العسكرية ، مجلد ٨ ، ٣١٢ – ٣٢١ ، وثيقة قضية ٦ ، ١٤٣٢١ – ١٤٣٤٥.

١٩ – الجهان ، جلسة ٧٨ ، NI — OI ، جلسة ٩٨ ، WI — TI

٢٠ – الجهان ، جلسة ١٠٣ ، jji ، جلسة ١٠٦ ، VI

٢١ – الجهان ، جلسة Aal — KKll ، جلسة ٧٣ ، Ai — Ri ، جلسة ٧٣ ، Ai — Ri جلسة ٧٤ ، Hhi — lil جلسة ٨٨ ، Li — P2 وملحقاتها جلسة ١٠٤ ، ٧١ – Ti ، جلسة ١٠٥ Wi — Zi لايف (٢٨ نوفبر ٦٠) ١٩ + ؛ (٥ ديسمبر ٦٠) ١٦٤ +.

٢٢ – الجهان جلسة ٨٥ Ui — Ti — Ki — jji جلسة ٨٧ ، Ni — Oi Yi ، جلسة ٨٨ Gi — Hi

٢٣ - اريتز ٥٨ ، نيومان ٨ .

٢٤ - نومان ٨ - ٢٦ ، ٤١٦ - ٤١٧.

٢٥ - لاتسنر ٨٥ - ٩٤.

٢٦ - نومام ٤١٢ - ٤١٣ ، ٤١٨ - ٤١٩ ، ٤٢٢ - ٤٢٣ . ريتلنجر ٥٥١ - ٥٦١.

٢٧ - ميشيلية ١٥١ - ١٥٧ ، ٣١٣ - ٣١٤.

٢٨ - بلجيون ٨٠ - ٨١.

٢٩ - بارنش ١٢ - ٧٣.

٣٠ - ايخمان ، جلسة ٧٥ ، Ui . للاطلاع على الإجراءات المشددة التى اتخذت بهدف عزل ايخمان عن العالم الخارجى أثناء سجنه فى إسرائيل انظر ذا لندن جويش كرونيكل (٢ سبتمبر ٦٠) ١٥.

٣١ - قدم سولجنتسين تقريرا محددا حول التطور التاريخى « للتجربة » السياسية الشيوعية انظر كذلك كونكويست ٨٢ - ١٤٧.

٣٢ - ريتلنجر ٤٥٠ - ٤٥٢ ، هيلبرج ٥٢٤ ، شميدت ٢٤٨.

٣٣ - الصفحة الأخيرة من شهادة أدلى بها تريفور - روبر ، ١٨٠. وقد نشرت صحيفة نيويورك تايمز اكتشاف ونص الشهادة فى عددها الصادر بتاريخ (٣٠ ديسمبر ٤٥) ١ ، و (٣١ ديسمبر ٤٥) ١ ، ٠٦ كذلك أوردتشيرر نص الشهادة (١٩٤٧) ١٨٠ - ١٨١.

٣٤ - ١٩١٩ - PS فى محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ٢٩ ، ١١٠ - ١٧٣ (باللغة الألمانية) ومقتطفات فى ترجمة انجليزية فى محاضر محاكمة نورنبرج العسكرية مجلد ١٣ ، ٣١٨ - ٣٢٧.

٣٥ - محاضر المحكمة العسكرية الدولية ، مجلد ١١ ، ٥٦١.

٣٦ - محاضر المحكمة العسكرية الدولية مجلد ١٣ ، ٣١٨.

٣٧ - محاضر محاكمة نورنبرج العسكرية مجلد ١٣ ، ٤٥٧ - ٤٨٧.

٣٨ - ريتلنجر ٣١٧.

٣٩ - محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٥ ، ٦٦٦ ، ٦٧٥ .

٤٠ - لوشنر، ١٢٦ ، ١٣٨ ، ١٤٧ f ، ٢٤١ viii . وقد وردت ملاحظات أوفن فى (نيشن يوروبا) ، (ابريل ٧٥) ٥٣ - ٥٦.

٤١ - فيل ٢٢٠ - ٢٢٤ ، ريتلنجر ٨٣ ، ١٩٨ ، ديفيدوفيتش ١٢٥.

٤٢ - ريتلنجر ٨٢ - ٨٤ ، ١٩٩ ، ٢١٠ ، هيلبرج ١٨٧ - ١٨٨ ، ١٩٤ - ١٩٥.

٤٣ - ريتلنجر ٢١٣.

٤٤ - المحكمة العسكرية الدولية مجلد ٣ ، ٥٦٠ ، مجلد ٢٦ ، ١٠٢ - ١٠٥ بولياكوف وولف (١٩٥٥) ١٤٠ ff .

٤٥ - سولجنتسين ١١٢ N .

٤٦ - المحكمة العسكرية الدولية مجلد ٣ ، ٥٥٩.

٤٧ - ريتلنجر ٢١٠ ، مذكرة ٧٠ صفحة ٦١١.
٤٨ - محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ١٣ ، ٢٦٩ - ٢٧٢ (مقتطفات فقط).
٤٩ - المحكمة العسكرية الدولية مجلد ٣٧ ، ٦٧٠ - ٧١٧ ، محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٤ ، ١٥٤.
٥٠ - هيلبرج ٢٥٢ n ، ريتلنجر ٢٣٢ - ٢٣٣. وثائق ١٣٥ - R و ٣٦٣٣ - ps وردت فى بولياكوف وولف (١٩٥٥) ، ١٩٠ ff .
٥١ - هيلبرج ٧٠٩ ، ريتلنجر ٥٦٠ ، ٣٤٢٨ - ps فى محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٤ ، ١٩١ - ١٩٣.
٥٢ - ريتلنجر ٢١٣ - ٢١٤.
٥٣ - محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٤ ، ١٦٨ - ١٦٩ ، ١٨٧ ، ١٩٠.
٥٤ - نيويورك تايمز (١٦ يوليو ٤٣) ٧.
٥٥ - المحكمة العسكرية الدولية مجلد ٤ ، ٣١١ - ٣٥٥.
٥٦ - المحكمة العسكرية الدولية مجلد ٢٢ ، ٤٧٨ - ٤٨٠ ، ٤٩١ - ٤٩٤ ، ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥٣٨.
٥٧ - محكمة نورنبرج العسكرية ، مجلد ٤ ، ٢٢٣ - ٣١٢.
٥٨ - محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٤ ، ٢١٣ ، ٣٢٣ ، ٥٤٧ - ٥٥٥.

سابعا : الحل النهائى

١ - محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ١٣ ، ٢٤٣ - ٢٤٩.
٢ - هيلبرج ٦١٩ أو ٦٢١.
٣ - ساشار ٣٦٥ - ٣٦٨ ، ٤١٢ - ٤١٧ ، جون وهداق ، مجلد ١ ، ٢٩٥ - ٣٢٦.
٤ - محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ١٣ ، ١٦٩ - ١٧٠.
٥ - على سبيل المثال شيرر (١٩٦٠) ٩٦٤.
٦ - محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ١٣ ، ٢١٢ - ٢١٣ . بولياكوف وولف (١٩٥٥) ١١٩ - ١٢٦.
٧ - انظر بصفة خاصة نيويورك تايمز (٢٨ فبراير ٤١) ٤ ، (١٨ أكتوبر ٤١) ٤ (٢٨ أكتوبر ٤١) ١٠ (٢ فبراير ٤٢) ٥ ، (١٥ مارس ٤٢) ٢٧ (٦ أغسطس ٤٢) ١.
٨ - روث ١٧٣ - ١٩٦.
٩ - ١٦١١ No و ١٨٨٢ No فى محاضر محكمة نورنبرج العسكرية ، مجلد ٥ ، ٦١٦ - ٦١٩.
١٠ - ريتلنجر ١٤٩ ، ٢٧٩ هيلبرج ، ٣١٨ ، ٦١٩ أو ٦٢١.
١١ - ريتلنجر ٤٨ - ٩٧ ، هيلبرج ٢٦٢ - ٢٦٣.
١٢ - ريتلنجر ١٠٢ - ١٠٩ ، هيلبرج ٢٦٤ - ٢٦٥ ، محاضر محكمة نورنبرج الدولية مجلد ١٣ ، ٢١٣.

١٣ – جرايزل ٧٨٥ – ٧٨٦.

١٤ – كوهل ١٣١ – ١٣٢.

١٥ – كوهل ١٤٦.

١٦ – كوهل ١٣٠ ، ١٨٤.

١٧ – ريتلنجر ٥٢٣ – ٥٤٦ ، هيلبرج ٦٧٠.

١٨ – ريتلنجر ٣٦٧ ، ٣٧٧.

١٩ – دراسات يادفاشيم مجلد ٣ ، ١١٦ – ١٤٠.

٢٠ – كيمش وكيمش ٦٣.

٢١ – ستينجراشت ٦٤ فى محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ١٣ ، ٣٠٠ ، No ١٢٤٧ أوردها ريتلنجر ٣٠٨ ونقلها هيلبرج ٢٥٤. ستينجراشت ٦٥ (أو No ١٦٢٤) لم تنشر على ما يبدو فى أى مصدر آخر.

٢٢ – فيما كتبه الذين ظلوا على قيد الحياة انظر بصفة خاصة جلاتشين ٢٥ – ٣٢ – ٤٣ – ١١٢ ، جونجوز (١٩٤٩ و ١٩٥٠) ، فريدمان وبنسون.

٢٣ – نيويورك تايمز (١٨ أكتوبر ٤١) ٤.

٢٤ – يعد راشهومز ٢٦ – ٦٦ بمثابة أفضل مصدر لمراجعة طبيعة ودواعى برامج معاداة اليهودية والإجراءات الألمانية التى اتخذت لقميعهم. انظر كذلك بورج (١٩٦٢) ٥٠.

٢٥ – نيويورك تايمز (٣١ ابريل ٤٦) ٨.

٢٦ – نيويورك تايمز (٢٠ يوليو ٤٥) ٩ (٧ سبتمبر ٤٥) ٥ (٢٥ نوفمبر ٤٥) ٣٢ ، (١٠ مارس ٤٦) ٢ ، (١٧ ابريل ٤٦) ٢٧ (١٣ مايو ٤٦) ١٨ ، (١٧ مايو ٤٦) ٥ (٢ ديسمبر ٤٦) ٥.

٢٧ – ريتلنجر ٥٣٤ ، ٥٤٢ – ٥٤٣ ، نيويورك تايمز (٨ يوليو ٤٥) ١ ، (٢٤ مارس ٤٦) ٣.

٢٨ – كوهل ١٩٨ – ١٩٩ ، محكمة نورنبرج العسكرية مجلد ٥ ، ٦٩٢ – ٧٤١ ، مجلد ٤ ، ٩٥٤ – ٩٧٣.

٢٩ – نيويورك تايمز (٢٨ يونيو ٤٥) ٨.

٣٠ – ديفى ٣٣.

٣١ – لجنة لاجئى الحرب الأمريكية (١٩٤٥) ٣ – ٤ ، ١٢ ، ١٣.

٣٢ – روزنمان ٣٩٩.

٣٣ – نيويورك تايمز (٢١ سبتمبر ٤٥) ٧.

٣٤ – نيويورك تايمز (٢٣ ديسمبر ٤٥) ١.

٣٥ – لجنة لاجئى الحرب الامريكية (١٩٤٥) ٩ ، ١٦ ، ٤٥ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٧٢، ٧٤.

٣٦ – جون وهداف مجلد ٢ ، ٣٤.

٣٧ – كوهل ٢١٩ – ٢٢٠.

٣٨ – زنك ١٢١ – ١٢٢.

٣٩ – نيويورك تايمز (٢٦ أكتوبر ٤٦) ٥.

٤٠ – كيمش وكيمش ٨٨ – ٨٩ ، جون وهداف ، مجلد ٢ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٣٦ مذكرات مورجنتو ٧٩

٤١ – نيويورك تايمز (١٤ أغسطس ٤٦) ١٠ (٢١ أغسطس ٤٦) ١ ، ٥ (٢٣ أغسطس ٤٦) ١٨.

٤٢ – نيويورك تايمز (١ أكتوبر ٤٥) ٢ ، (٢ أكتوبر ٤٥) ١ ، (٣ أكتوبر ٤٥) ١.

٤٣ – كيمش وكيمش ١٠١ – ١٠٣.

٤٤ – كيمش وكيمش ٩٧ – ٩٨.

٤٥ – كيمش وكيمش ٨٥ – ١٨٨.

٤٦ – كيمش وكيمش ٨١ – ٨٣.

٤٧ – نيويورك تايمز (٢٤ يناير ٤٦) ١٢.

٤٨ – نيويورك تايمز (١٠ أغسطس ٤٦) ٤ ، (٢٧ أغسطس ٤٦) ٦ ، (٢ نوفمبر ٤٦) ٧.

٤٩ – نيويورك تايمز (٢ ديسمبر ٤٦) ٣ ، (٣ ديسمبر ٤٦) ١٣.

٥٠ – نيويورك تايمز (٢ نوفمبر ٤٦) ٧ كيمش وكيمش ٩٥.

٥١ – جون وهداف مجلد ٢ ، ٤٥ ، ١٧٩.

٥٢ – التقويم العالمى (١٩٥٠) ١٩٣ ، (١٩٥٨) ٣٦٤ – ٣٦٥ ، بريتى ١٤٩ – ١٥٠ ماكدونالد ١٤٢ – ١٤٣.

٥٣ – كيمش وكيمش ١٥ – ١٩.

٥٤ – نيويورك تايمز (٢٣ ديسمبر ٤٥) ١.

٥٥ – لجنة المرحلين الأمريكية ٢٤٨.

٥٦ – تم نقل هذه المعلومات كلها من التقرير السنوى لمصلحة الهجرة والجنسية الأمريكية وهنا استخدمت التقارير الموجزة التى وردت فى التقويم الاعلامى (١٩٦٩) والبيانات الإحصائية الأمريكية (سبتمبر ٧٢).

٥٧ – ارنز ٣٣٧ – ٣٤٦.

٥٨ – ريتلنجر ٥٢١.

ثامنا : ملاحظــات

١ – هيلبرج ٦٣٢.

٢ – كولورادو سبرنجزص (٣٠ يناير ٧٣) ٦.

٣ – نيويورك تايمز (١٢ أغسطس) ٢٣.

٤ – نيويورك تايمز (٦ أكتوبر ٦١) ١٠ ، (١٤ أكتوبر ٦١) ١٠ ، (١٧ أكتوبر ٦١) ٣٥ ، (٤ نوفمبر ٦١) ١١ ، و. هـ. سميث ٢٣٧.

٥ – نيويورك تايمز (٨ مايو ٧٤) ١٦.

٦ - فوكس .
٧ - كمبريدج انشت هستورى التاريخ القديم إعداد جامعة كمبريدج مجلد ١٠ ، ٢٩٦ ، بيكر ، كاركوبينو ١٦ ، ٢١ ، ت . فرانك مجلد ٢ ٢٤٥ ، مجلد ٤ ١٥٨ ، مجلد ٥ ، ٢١٨.
٨ - الموسوعة اليهودية مجلد ٤ ، ٧٣٥.
٩ - ماكون .
١٠ - تلمود بابيلون ساندورين ، ٩٣ صفحة ٦٢٧ فى ترجمة ابشتين .
١١ - نيويورك تايمز (١٨ يناير ٧٥) ٦.
١٢ - فوجل ٥٦ ، ٨٨ - ١٠٠.

ملحق بيان جريشتين

١ - راسينيه (١٩٦٤) ٩٣ - ١٠٦.
٢ - هيلبرج ٦٢٢ ، ريتلنجر ١٦٣ ، بولياكوف وولف (١٩٥٥) ١١٤.
٣ - فرتلجهرشفت ف - زايت جيشى (ابريل ٥٣)
موسى ٢٤٥ نيويورك تايمز (١ فبراير ٦٧) ٣٩.
٤ - راسينيه (١٩٦٤) ٣٥ - ٣٩.

ملحق دور الفاتيكان

١ - رودس ١٧١ - ٢١٠.
٢ - رودس ٢٤٦.
٣ - أوراق ووثائق الفاتيكان المتعلقة بالحرب العالمية الثانية مجلد ٧ ، ١٧٩.
٤ - رودس ٣٤٧.
٥ - نيويورك تايمز (٢٢ يناير ٤٣) ٦ ، (٣١ مايو ٤٣) ٨ ، (٥ سبتمبر ٤٣) ٧ ، (٦ سبتمبر ٤٣) ٧
٦ - نيويورك تايمز (٣ يناير ٤٥) ٢٢
٧ - أوراق ووثائق الفاتيكان المتعلقة بالحرب العالمية مجلد ٧ ، ٨٢
٨ - كاثوليك هستوريكال ريفيو مجلد ٥٩ (يناير ٧٤) f ٧١٩.
٩ - أوراق ووثائق مجلد ٨ ، ٧٣٨ - ٧٤٢. مجلد ٨ ، ٧٣٨ - ٧٤٢.
١٠ - الصليب الأحمر (١٩٤٨) ٣ ، ٥٢٠ ff .
١١ - رودس ٢٧٢ ff . فاجنار ٤٠٩ ، ٤٣٥ f .
١٢ - أوراق ووثائق . . مجلد ٧ ، ١٣٦ ff . فاجنار ٤١٣ ، نقلا عن حوار أوزبورن - ماجليون غير أنه لم ينقل تهديد روما بالقصف ، فى السياق السليم .
١٣ - أوراق ووثائق الفاتيكان المتعلقة بالحرب العالمية الثانية مجلد ٧ ، ١٣٨ f .
١٤ - أوراق ووثائق الفاتيكان المتعلقة بالحرب العالمية الثانية مجلد ٢ ، ٣٢٦ رودس ٣٤٨ f .

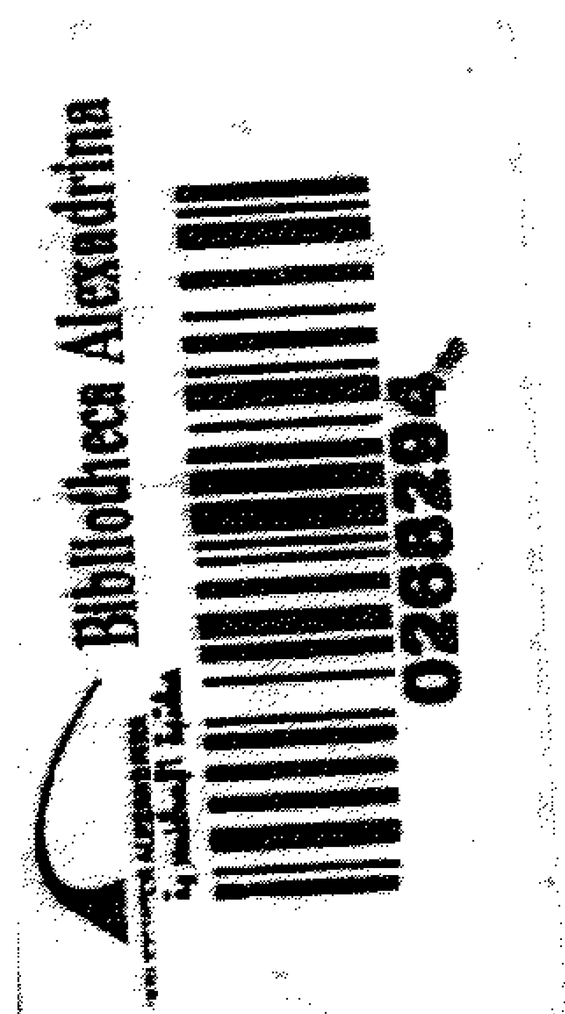
١٥ – أوراق ووثائق الفاتيكان المتعلقة بالحرب العالمية الثانية مجلد ٣ ، ١٥ f . رودس ٢٨٨.
١٦ – أوراق ووثائق الفاتيكان المتعلقة بالحرب العالمية الثانية مجلد ٨ ، ٥٣٨ .
١٧ – أوراق ووثائق الفاتيكان المتعلقة بالحرب العالمية الثانية مجلد ٨ ، ٦٦٩ n .
١٨ – رودس ٣٤٥ فاجنار ٤٣١
١٩ – دافيدوفيش ٢٩٥ ff .
٢٠ – أوراق ووثائق الفاتيكان المتعلقة بالحرب العالمية الثانية مجلد ٨ ، ٦٠٧ f .
٢١ – أوراق ووثائق الفاتيكان المتعلقة بالحرب العالمية الثانية مجلد ٧ ، ٤٧٣ f .
٢٢ – نيويورك تايمز (٥ ابريل ٧٣) ١ ، ٥.
٢٣ – أوراق ووثائق الفاتيكان المتعلقة بالحرب العالمية الثانية مجلد ٣ ، ٦٢٥ – ٦٢٩.
٢٤ – أوراق ووثائق الفاتيكان المتعلقة بالحرب العالمية الثانية مجلد ٣ ، ٧٩٠ f .

رقم الإيداع	١٩٨٠/٤٤٨٠
الترقيم الدولى ٢–٩٨–٧٣٣٤–٩٧٧	ISBN

٢/٨٠/٣٣١

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

الهيئة العامة للاستعلامات



طبع بمطابع دار المعارف